جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله–

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

التربية والتعليم في الأندلس

من عصر الامارة الأموية إلى عصر ملوك الطوائف

(138 – 479 هـ / 756 – 1086 م)

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب : ميلود بن حاج

إشراف الأستاذة : أ.د سامية أبو عمران

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د عبد الشكور نبيلة ....رئيسا
أ.د أبو عمران سامية ....مقررا
د غرداوي نور الدين ....عضوا
د خالدي عبد الحميد ....عضوا
د هيصام موسى ....عضوا
د مبارك بوطارن ....عضوا

الموسم الجامعي

1436 – 1437هـ / 2015 – 2016

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ***))

سورة الإسراء 17/الآيات 23-24.

((**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ***))

سورة العلق 96 / الآيات 1-5 .

الإهداء

إلى الذين تحملوني ، وساعدوني لإتمام هذا البحث

والدتي مينة ، ووالدي بن سديرة أطال وبارك الله في عمرهما بالأعمال الصالحة ،

زوجتي مسعودة نور الهدى ،

بناتي وابنائي : ماجدة ، ملاك ، محمد عبد الوهاب ، وأبو بكر الصديق

إخوتي : أحمد ، عبد الرحمن ، كمال ،

طلابي في شعبة التاريخ بجامعتي ابن خلدون بتيارت ، وزيان عاشور بالجلفة بين سنتي1429–1438هـ/ 2008 – 2017م ،

زملائي ، وأصدقائي .

إليهم جميعًا أهدي هذا العمل .

كلمة شكر وتقدير

تقديرًا مني لفضلها عليَّ ، واعترافًا بجهودها ، ومساعدتها لي في تجاوز مختلف الصعوبات والمعوقات ، وامتنانًا بتفضلها الموافقة للإشراف على تأطير الرسالة ، والإضافة التي قدمتها إشرافًا وتوجيهًا ، وتطعيم البحث ببعض الدراسات ، أتقدم بجزيل الشكر ، والتقدير للأستاذة الفاضلة الدكتورة **أبو عمران سامية** .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل المربين ، والمعلمين ، والأساتذة الأفاضل، الذين أطروني من بداية تعلمي إلى هذه المرحلة ، فجازاهم الله عنا كل خير ، وكذلك الطاقم الإداري ، وعلى رأسهم رئيس القسم وإدارة مصلحة البحث العلمي وما بعد التدرج ، وأعضاء اللجنة العلمية نظير المجهودات التي يقدمونها لفائدة الطلبة ، والباحثين .

والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة الأفاضل لتفضلهم بالموافقة لمناقشة هذا العمل .

مـقدمــة :

يعالج البحث موضوع التربية ، والتعليم في الأندلس بداية من تأسيس الامارة الأموية المستقلة عن سلطة الخلافة العباسية بالمشرق سنة 138هـ/755م إلى غاية نهاية عصر التفكك السياسي الذي اصطلح عليه عصر ملوك الطوائف سنة 478هـ/1085م ، لهذا فالدراسة عمودية من حيث الموضوع فهو لا يتناول الحياة العلمية بالأندلس فقط ، وإنما جزئية مناهج التربية ، وطرق التعليم ، ومراحله ، ومواد الدراسة التي كان يتلقاها طالب العلم الأندلسي ، وأفقية من حيث الاطار الزماني الذي يشمل ثلاثة عصور متتالية هي: الامارة الأموية ، والخلافة وملوك الطوائف .

ولقد اهتم الأندلسيون بجانب التربية، والتعليم ، فساهموا بإبداء أراءهم ونظرياتهم حول المبادئ ، والأخلاقيات وتقويم سلوك ، وشخصية الفرد الأندلسي منذ مرحلة الصبى ، وأبدعوا في خلق طرق التعلم ، وقسموا مسار التعليم إلى مراحل حسب سن المتعلم ، وتمكنه في إلمام مواد كل مرحلة ، كما برعوا في مختلف العلوم والتخصصات سواء منها الشرعية ، أو الأدبية ، أو الاجتماعية ، أو العلمية...، وهكذا .

وترجع أسباب اختياري لهذا الموضوع إلى دافعين أحدهما ذاتي ، والآخر موضوعي ، أما الذاتي فلتعلقي واهتمامي بتاريخ الأندلس عمومًا ، والحياة الفكرية خصوصًا ، أما الموضوعي فهو بغرض معرفة ماهية ،وأساسيات تكوين الشخصية العلمية الأندلسية التي أنجبت أمثال الفقيه يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/849م)، والمخترع عباس بن فرناس(274هـ/887م)، والأديب ابن عبد ربه(ت328هـ/940م)، والموسوعي ابن حزم الظاهري(456هـ/ 1063م) ، والمحدث ابن عبد البر النمري (ت463هـ/1070م) ، وغيرهم .

وانطلاقًا مما سبق فإن الإشكالية العامة للبحث تتلخص في السؤال التالي: **كيف كان حال التربية والتعليم عند الأندلسيين؟ وعلى أي أساس ارتكزت مناهج التربية ، والتعليم في الأندلس منذ إنشاء أول إمارة فيها (كدولة مستقلة عن مركز الخلافة في المشرق) إلى غاية نهاية عصر التفكك السياسي (عصر ملوك الطوائف)؟**

زيادة على إشكاليات فرعية تتمحور فيما يلي : كيف كانت مساهمة الأندلسيين في اقتراح الآراء ، والنظريات التربوية ؟ ومن هؤلاء الذين ساهموا في ذلك ؟ وماهي المناهج التي اعتمدها الأندلسيون في التعليم ، وكيف كانت أشكال ، وطرق التدريس في الحلقة العلمية ؟ وأين تعلم الأندلسيون علومهم في ظل غياب مؤسسات رسمية أو مدارس معينة ؟ وما أهم الوسائل التي اعتمدها الأندلسيون في تعلمهم ؟ وماهي المواد التي اهتم الأندلسيون بتعلمها ، وتحصيلها ؟ وما مكانة العلم في نفوس الأندلسيين؟ وكيف كان الوضع الاجتماعي لطلاب العلم والمعلمين ؟ وما هو نصيب أهل الذمة من النصارى واليهود في حركية التربية ، والتعليم ؟ وهل اهتم الأندلسيون بتعليم الصنائع (التعليم المهني)؟ وما علاقة السلطة السياسية بالتعليم ؟ وفيما تمثل الدور السياسي للمعلمين؟ وما نتائجه ؟ ...الخ .

ومن أهم الدراسات السابقة – في حدود ما هو معلوم – فيلاحظ أن بعضها ركز على التعليم في العصور التي تأتي بعد الاطار الزماني لهذه الدراسة كعصر المرابطين أو الموحدين أو عصر بني نصر في مملكة غرناطة ، وقليلًا ما نجد معلومات عن العصور المطروقة في هذا البحث، وهذا دون ذكر أو معالجة موضوع التربية في الأندلس، ومن هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر الكتاب الذي ألفه المستشرق الاسباني خوليان ريبرا ، والمعنون بـ: **"التربية الاسلامية في الأندلس أصولها المشرقية ، وتأثيراتها الأندلسية "**، وقام بترجمته الباحث الطاهر أحمد مكي ، وقدم هذا الكتاب معلومات مفيدة عن مراحل التعليم في الأندلس ، ومواد الدراسة لكل مرحلة ، كما قدم نماذج لبعض العقود التي كانت تبرم بين أولياء التلاميذ والمعلمين ، وتحدث كذلك عن الاجازات العلمية كشهادات تحصيل المتعلم .

وكذلك الدراسة التي قام بها إبراهيم علي العكش المعنونة **بـ" التربية والتعليم في الأندلس"** ، والتي قدم فيها معلومات مهمة عن مناهج التعليم ، ومراحله ، وطرق التدريس ، ولكن ما يؤاخذ عليه عدم تطرقه لموضوع التربية والنظريات التربوية الأندلسية ، كما أن موضوع التعليم الذي عالجه في أغلبه يشمل فترة المرابطين ، وما بعدها ، ولم نجد ما يتعلق بالاطار الزماني لموضوع بحثنا إلا إشارات بسيطة .

أما الباحث عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي الذي ألف كتاب " **الفكر التربوي في الأندلس 403-478هـ**" فقد تحدث فيه عن الآراء التربوية لعلماء الأندلس في عصر ملوك الطوائف كابن حزم الأندلسي ، وابن عبد البر النمري ، وتحدث عن طرق التدريس ، ومراحل التعليم ، وغير ذلك.

زيادة على الدراستين التي قدمهما الباحث سعد بن عبد الله البشري ، وهما على التوالي :" **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316-422هـ/928-1030م)**" ، و"**الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (422 – 488 هـ/1030 – 1095م)**" ، وتناول في الكتابين حياة العلماء العلمية من جانب معالجة كيفية طلبهما للعلم من خلال عقد الرحلات العلمية ، وتبادل الزيارات لبعضهم البعض ،وطرق تدريسهم في الحلقات العلمية علاقاتهم بالسلطة السياسية ، وإنتاجهم الفكري في عصري الخلافة ، وملوك الطوائف ، وغيرها من المواضيع .

أما الدراسة التي قدمها المستشرق الاسباني أنخل جنثالث بالنثيا تحت عنوان " **تاريخ الفكر الأندلسي**" فقد تطرقت إلى العلوم التي كانت معروفة وسائدة في الأندلس ، والتي كانت بمثابة مواد الدراسة التي أخذها المتعلمون الأندلسيون مشافهة من مشارب شيوخهم ، أو عن طريق مؤلفاتهم وإنتاجهم الفكري .

وكانت للدراسة التي قام بها الباحث محمد الأمين بلغيث تحت عنوان : " **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين** " مساهمة في هذا البحث ، من خلال تتبع خطوات ومسار الكتاب فكان بمثابة المنهجية التي سار في بعض فصولها هذه الدراسة خاصة عند التطرق للمراحل التعليمية بالأندلس، وطرق التدريس ، ومواد الدراسة .

أما الصعوبات التي اعترضت إعداد البحث فيمكن ذكر بعضها فيما يأتي :

- قلة المصادر والمراجع التي تتحدث عن الموضوع في العصور التي هي محل البحث خاصة منها المخطوطة فحتى المصادر المطبوعة تتكلم عن فترة المرابطين ، والموحدين ، و فترة حكم بني نصر في مملكة غرناطة قبل سقوط الأندلس أكثر من العصور الأخرى .
- ندرة المصادر والمراجع التي تتكلم عن التربية في الأندلس خاصة في عصري الامارة والخلافة ، فمعظمها تتحدث عن التعليم، ومناهجه ، وطرق التدريس .
- كثرة الأعلام ، ومعلمي المواد الدراسية ، مما تطلب جهدًا اضافيًّا ، واستهلك وقتًا كبيرًا للبحث عن ترجمة لهم في كتب التراجم والطبقات ، وضمها في الدراسة كأمثلة عن معلمي تلك العصور كل مادة على حدى.

- عدم وجود تراجم لبعض الأعلام من المعلمين في كتب التراجم والطبقات فأخذ وقتًا كبيرًا في البحث عن ترجمة لهم دون فائدة .

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فتنوع بين المنهج الوصفي الذي يعتمد على وصف ، وسرد حال العملية التربوية والحركة التعليمية في الأندلس ، وتقديم الآراء التربوية التي أبداها فقهاء ، وعلماء تلك الفترة ، وبيان مظاهر العملية التربوية التعليمية من خلال ذكر مراحل التعليم ، وطرق التدريس ، وأماكن التعليم ، ووسائله ، وتعديد مواد الدراسة ، كما تم توظيف المنهج التاريخي كأساس ، ومسار للموضوع من خلال التتبع الزمني لواقع التربية والتعليم للفترة الزمنية المقترحة في عنوان الدراسة (عصر الإمارة ، عصر الخلافة ، وعصر ملوك الطوائف)، وكذلك المنهج المقارن خاصة في المقارنة بين النظريات التربوية والتعليم المعمول به في الكتاتيب والمرحلة الأولى بالأندلس مع ما هو في المغرب والقيروان بالأخص ،كما أُستعمل المنهج التحليلي من خلال معالجة ، وتحليل بعض الآراء التي ناقشت أسباب سيادة المذهب المالكي في الأندلس ، ومدى صحتها فقد كانت معظم مادة الفقه ترتكز عليه وكان هو المذهب الذي عليه مدار الدراسة في معظم الحلقات العلمية .

وللإجابة على الإشكالية المطروحة سالفًا قُسم موضوع البحث إلى مقدمة ، وفصل تمهيدي ، وأربعة فصول وخاتمة ، وملاحق ، وقائمة المصادر والمراجع ، وذيل البحث بفهارس خاصة بالأعلام ، والأماكن ، والمحتويات .

فأما المقدمة فقد ذُكر فيها تصور عام لموضوع البحث ، من خلال التعريف به ، وأسباب اختيار الموضوع وطرح إشكالية الموضوع ، وأهم الدراسات السابقة التي لها علاقة بالموضوع ، والصعوبات التي اعترضت إعداد البحث ، والمنهج المتبع ، ثم تقسيم موضوع البحث ، وأخيرًا عرض لأهم مصادر ، ومراجع البحث الرئيسية .

وعنوان الفصل التمهيدي هو:**ضبط ،وشرح مصطلحات الدراسة ، ونبذة تاريخية عن التربية، والتعليم في عهدي الفتح ، والولاة (92-138هـ/710-756م)** ، وقسم إلى مبحثين: فالأول تعرض للتعريف ببعض المصطلحات التي تخص البحث ، وبعض المفاهيم المشابهة فشرح مصطلح التربية ، التعليم ، وارتباط المصطلحين ببعضهما البعض ، وكذلك شرح مصطلح التأديب ، التدبير ، التدريس ، والمعرفة ، أما المبحث الثاني من هذا الفصل فقد تناول مظاهر ، وجهود الفاتحين ، والولاة في نشر الإسلام ، وتعليم الأندلسيين .

أما الفصل الأول فقد كان عنوانه : **النظريات ، والآراء التربوية** بين عصري الامارة ، وملوك الطوائف ، فقد قسم إلى ثلاثة مباحث رئيسية تتناول ثلاثة آراء ، ونظريات لمربين ، وعلماء أندلسيين ، فخصص المبحث الأول لرأي الفقيه عبد الملك بن حبيب حول تربية ، وتعليم الصبي في مرحلة الكتاتيب ، أما المبحث الثاني فقد خصص للفقيه الظاهري ابن حزم الأندلسي ، فقد قدم نظرية متكاملة عن تربية ، وتعليم الفرد الأندلسي من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الكبر ، والشيخوخة ، أما المبحث الثالث ، فقد كان للحديث عن آراء المحدث ابن عبد البر النمري في تعليم الكبار ، وتفرعت عن تلك المباحث ، مطالب عالجت عناوين فرعية من تلك الآراء .

والفصل الثاني فهو تحت عنوان : **مظاهر ، ومكونات العملية التربوية التعليمية** ، وقسم هو الآخر إلى ثلاثة مباحث ، فقد تطرق المبحث الأول إلى التعليم ، ومناهجه ، والمراحل التعليمية التي يمر بها المتمدرس ، وعرض لبعض طرق التدريس التي كانت معروفة في تلك الفترة ، أما المبحث الثاني فقد تطرق إلى الأماكن التي كان يزاول فيها المتعلم الأندلسي دروسه ، والمبحث الثالث فقد تم فيه معالجة أهم وسائل ، وأدوات التعليم ، وهما الكتاب والرحلة العلمية ، فقد خصص لكل واحد منهما مطلبًا .

أما الفصل الثالث فهو بعنوان **مواد الدراسة ، والانتاج الفكري الأندلسي** فقد خصص فيه تمهيد للحديث عن مواد الدراسة لمرحلة الكتاتيب، ثم قُسم الفصل إلى مبحثين رئيسيين يتعلقان بالمرحلة الوسطى ، والعليا ، فعالج المبحث الأول العلوم الدينية (علوم القرآن ، التفسير ، الفقه ، الحديث ، وعلم الكلام) ، والعلوم اللغوية ،والأدبية (النحو ، النثر ، الشعر الفصيح ، الموشحات ، والأزجال) ، والفنون (الموسيقى ، الخط العربي) ، أما المبحث الثاني فقد خصص للعلوم الاجتماعية (التاريخ ، الجغرافيا ، الفلسفة ، والتصوف) ، والعلوم الطبيعية (كالطب الصيدلة ، الرياضيات ، علم الفلك , الكيمياء ، والفلاحة) ، وتم التطرق في هذا الفصل إلى مساهمة أهل الذمة من النصارى ، واليهود في العلوم الطبيعية خاصة في الفلسفة ، الطب ، الصيدلة ، وعلم الفلك .

والفصل الرابع والأخير المعنون بـ**الإطار الاجتماعي ، والسياسي لحركة التربية ، والتعليم** ، فقد تفرع إلى مبحثين بارزين ، فأما المبحث الأول فقد عنون بـالاطار الاجتماعي ، فتناول أوضاع الطلاب ، وتعلق الأندلسيين بالعلم ، وسن بداية التعلم ، ومظاهر حرص الآباء بتعليم أبنائهم ، ودور المرأة في التعليم ، وتعليم الكبار الذي

يشبه جهود محو الأمية في عصرنا الحالي ، وتعليم غير المسلمين من النصارى ، واليهود ، وتعليم الصنائع الذي يقابله في العصر المعاصر التعليم المهني ، كما تطرق هذا المبحث إلى أوضاع الأساتذة ، والمعلمين من خلال عرض شروط ممارسة التعليم في الأندلس في ذلك العصر ، وألقاب المعلمين ، ومناقشة آراء ، ومواقف المعلمين ،والفقهاء من قضية أخذ الأجر على التعليم ، وأما المبحث الثاني فقد تم التطرق فيه إلى الاطار السياسي لحركة التربية والتعليم من خلال معالجة جزئية علاقة السلطة السياسية بالتعليم ، وتوضيح أوجه تدخل الدولة في التعليم سلبًا وإيجابًا من خلال فرض ، وتوجيه مواد بعينها ، ومنع بعض التخصصات من التداول بين الطلاب ، وبناء الأماكن والاشراف عليها ، وغيرها من أشكال التدخل ، كما عالج هذا المبحث الدور السياسي للمعلمين في الحياة السياسية ، إما بالاشتغال في الوظائف الادارية ، أو الدينية في الاستشارة ، والقضاء والوزارة ، والسفارة ، وإمامة الصوات ، وغيرها من المناصب ، ولم يكتفوا بذلك بل راحوا يراقبون الحكام ، ويحرضون في بعض الأحيان العامة ضدهم ، بل الأكثر من ذلك تزعم بعضهم الثورات ضد حاكم معين ، ومحاولة تعيين بدلًا منه حاكم آخر ، كما وجد بعض المعلمين من رفض الخوض في الأمور السياسية ، وتركها لأهلها ، والانكباب في طلب العلم .

وخاتمة البحث ضمت النتائج المستخلصة من هذه الدراسة ، و منها مثلًا أن الأندلسيين كانت لهم ميزة الحرص على تربية أبنائهم ، والاهتمام بتعليمهم ، فقد تنوعت الآراء ، والأقوال التي عالجت مختلف مراحل المتعلم منذ دخوله الكُتَّاب إلى أن يصبح المعلم العالم ، وغيرها من النتائج الأخرى المدونة في خاتمة هذا البحث .

أما عن الملاحق فقد تنوعت بين وثائق من المخطوطة المعتمدة في هذا البحث ، والتي ضمت رأي الفقيه عبد الملك بن حبيب في التربية والتعليم في مرحلة الكتاتيب ، وكذلك ملخصات عن المراحل التعليمية ، وموادها التي ذكرها كل من ابن حزم الظاهري ، وابن عبد البر النمري ، وكذلك بعض النماذج من عقود التعليم التي كانت تبرم بين أولياء التلاميذ ، ومعلميهم قدمها الباحث المستشرق الاسباني خوليان ريبيرا ، وغيرها .

وختام البحث كان قائمة للمصادر والمراجع ، وكذلك فهارس للأعلام ، والأماكن ، والمصطلحات ، والمحتويات الواردة في متنه .

- **دراسة لأهم المصادر والمراجع :**

تنوعت مصادر هذه الرسالة بين مصادر، ومراجع خدمت مواد محتوياتها موضوع البحث ، وتعد المصادر أنفس تلك الموارد لأن بعضها ألفها أصحابها ، وهم في الأصل من طبقة المعلمين ، الذين هم أساس ، ومحور العملية التربوية ، وبسببهم تعقد حلقات العلم , والدرس ، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر : الفقيه عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238هـ/852م) ، وابن حزم الأندلسي (ت456هـ/1063م) ، وابن عبد البر النمري(ت463هـ/1070م) .

وفيما يلي تصنيف وعرض لأهم مصادر ومراجع البحث مرتبة بحسب طبيعة الوثيقة ، ودرجتها العلمية (مخطوطة ، مصادر ، ومراجع) ، وفي إطار كل صنف ترتب تلك المؤلفات بحسب طبيعة الموضوعات (مصادر التربية ، والتعليم ، كتب التراجم والطبقات ، مصادر التاريخ العام...الخ) ، وفي إطار طبيعة المواضيع ترتب بحسب السبق الزمني .

I –**المخطوطة** :

- **مخطوط لمؤلف مجهول** (**عاش بعد 1214هـ/1800م**) ، وهو مجموع موجود في خزانة المكتبة العامة والمحفوظات بمدينة تطوان المغربية تحت رقم 739 ، والمخطوط مجهول العنوان كذلك ، وقد اجتهدنا من خلال قراءة فهرس محتوياته فعنون بفوائد فيها وصية ابن حبيب الأندلسي لمعلم أولاده وغيرها(ضمن مجموعة من الخطب ، والتعليقات على بعض الكتب وتفاسير بعض السور القرآنية)،وأورد صاحب المخطوط في ظهر الورقة الأولى منه فهرس لمحتوياته ، إذ يضم مجموعة من المواد كخطب الجمعة وتعليقات ، وشروحات لبعض المؤلفات كتفسير سورة الفاتحة لعالم الحاضرة تلمسان محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) وكتاب " تحصيل المنافع في شرح الدرر اللوامع " للفقيه المالكي المغربي يحي بن سعيد الكرامي السملالي (ت900هـ/1495م) ، وتعليق على كتاب " القطوف الدانية في شرح الدالية "للمقرئ المغربي محمد بن عبد السلام الفاسي (ت 1214هـ/ 1800م) ، ولقد ساعدتني

تراجم أصحاب المؤلفات السابقة في تحديد – ولو بالتقريب – الفترة الزمنية التي عاش فيها صاحب المخطوط .

وتتجلى أهمية هذا المخطوط في هذه الرسالة بأنه يضم النص الذي قدم فيه الفقيه عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) وصاياه لمعلم ولده في مرحلة الكتاتيب ، فهو يتحدث عن المنهج المعتمد في هذه المرحلة ، ومواد الدراسة ، وأساليب التعليم ، وعالج قضية الضرب والعقاب ، واليوم والأسبوع الدراسي .

II – المصادر المطبوعة :

1- كتب التربية والتعليم :

أ) **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين ،وأحكام المعلمين ،والمتعلمين** لأبي الحسن علي بن القابسي(ت403هـ/1012م) , الذي قام بدراسته ، وتحقيقه ، والتعليق عليه ، ووضع فهارسه، وترجمه إلى الفرنسية : أحمد خالد ، فقد قدم هذا الكتاب بعض آراء الفقيه عبد الملك بن حبيب السلمي والتي لم تذكر في المخطوطة السالفة الذكر ، فقد عرض ابن القابسي فيه موقف ابن حبيب من قضية أخذ الأجر على التعليم ، كما قدم مقارنة بين آراء الفقيهين سحنون بن سعيد التنوخي (ت240هـ/854م) عالم المغرب ، وعبد الملك بن حبيب السلمي عالم الأندلس في هذه القضية ، كما تطرق إلى رأي ابن حبيب السلمي في الحذقة ، ومتى تجب ؟ وموقفه من قبول الهدايا التي يقدمها المتعلم أو وليُّه للمعلم .

ب) رسائل ابن حزم الأندلسي(384–456هـ) في أربعة أجزاء : حققها الباحث : إحسان عباس ومن ضمن هذه الرسائل **رسالة التلخيص لوجوه التخليص(في ج3)** ، فقد تطرق فيها ابن حزم إلى تجاربه ، ومحاولاته في تقويم سلوكه ، ومراقبة نفسه ، محاولًا تقديم الجانب التطبيقي لآرائه النظرية في ضرورة تحلي المسلم بصفة عامة ، وأهل العلم بصفة خاصة بالفضائل ومحاسن الأخلاق ، كما قدم في هذه الرسالة رأيه في الشعر ، وأهمية دراسة وطلب العلوم الشرعية باعتبارها أفضل العلوم وأعلاها درجة.

وعالج في **رسالة التقريب لحد المنطق ، والمدخل إليه بالألفاظ العامية ، والأمثلة الفقهية (في ج4)** آداب طالب العلم في حضوره المجالس العلمية ، ورأيه حول التأليف في العلوم ، وشروطه .

أما **رسالة في فضل الأندلس ، وذكر رجالها (في ج2)** فقد ذكر فيها أهم العلماء الأندلسيين والتخصصات التي نبغوا فيها ، وقارنهم بنظرائهم من المشرق ، وعدد مؤلفاتهم ، وإنتاجهم الفكري .

وفي **رسالة مراتب العلوم** قدم فيها المنهج التعليمي للمتعلم من بداية تعلمه لما يبلغ سن الخامسة من العمر إلى آخر مراحل التعلم ، وأعطى رأيه في تقسيم العلوم ، والكتب المساعدة في تحصيل كل علم ورأيه في بعض المواد التعليمية كالشعر وحدود تعلمه ، وعلم التاريخ ، والأخبار ، وبين موقفه من التقليد ، والقياس ، واقترح الصورة النموذجية لمواصفات طالب العلم ، وأخلاقه ، وذم بعض الأمراض والظواهر المضرة بالعلم وأهله كالحسد ، والبخل ، والتكبر ، كما عالج في هذه الرسالة بعض القضايا التي تتعلق بالتعليم كأخذ الأجر على التعليم ، وصحبة السلطان بالعلم ، والعوامل المساعدة في التعلم وحثه للمتعلم بطلب أكثر من العلم ، وغيرها من المسائل .

ج) **كتاب الأخلاق ، والسير في مداواة النفوس لابن حزم** : تحقيق ، وتقديم ، وتعليق : الطاهر أحمد مكي ، وتحدث فيه ابن حزم عن ظاهرة الدخلاء على العلم ، الذين يتصدرون المجالس والحلقات ويكتفون بالحفظ دون الفهم ، وهو تصوير لبعض المظاهر السلبية للتعليم في عصره ، كما تحدث عن واجبات طالب العلم بعد تحصيله بضرورة بث ونشر ما تعلمه من علوم ومعارف .

د)**كتاب طوق الحمامة ، وظل الغمامة في الألفة ، والألاف لابن حزم** : دراسة ، وتحقيق عبد الحق التركماني ، ومراجعة عبد العزيز بن علي الحربي ، تعددت فوائد هذا الكتاب بمعلومات مهمة لها صلة مباشرة بالموضوع ، ومنها ان ابن حزم قدم فيه صورة نموذجية لظروف وأشكال تعلم أبناء الخاصة من ذوي الوزراء ، وأعيان الدولة ، وهذا انطلاقًا من تجربته الشخصية ، ونشأته في القصور ، فقد حرص أبوه على تنشئته ، وتعليمه ، كما تحدث عن دور المرأة في التعليم ، فهو تأدب على يدها ،وكان الفضل في تنشئته يرجع لجواري أبيه اللواتي علمنه في مرحلة صباه القراءة ، والكتابة ، والشعر، والقرآن الكريم.

و)كتاب جامع بيان العلم ،وفضله ،وما ينبغي في روايته ،وحمله لابن عبد البر النمري (ت463هـ/ 1070م) ، وتمت الاستفادة من هذا الكتاب بتقديم آراء صاحبه – وهو من أحد شيوخ العلم في عصره– حول ما يجب أن يتقيد به المتعلم من آداب ، وأخلاق لتحصيل العلم ، كما نبه إلى فضل التعلم في الصغر ، وأعطى صورة عن بعض الظواهر التي كانت منتشرة في عصره بين بعض طلاب العلم كالحسد مثلًا ، وفرق بينه ، وبين الغبطة ، فالأولى مذمومة ، والأخرى محمودة ومطلوبة عند أهل العلم ، كما حث المتعلم على وجوب نشر العلم الذي حصله ، وعالج بعض قضايا التربية والتعليم كقضية ثنائية طلب العلم ، وكسب المال ، وحث المتعلم على ضرورة عقد الرحلات العلمية وملازمة العلماء ، وحضور مجالس العلم ، والمناظرة ، كما تطرق إلى علاقة المعلم ، والمتعلم بالسلطة السياسية من جهة ، وعلاقة العلماء ببعضهم البعض من جهة أخرى ، وتحدث عن طرق التدريس ، وماهية العلم ، وأقسامه ، وأنواع العلوم التي تُطلب ، ومراتبها ، فقد ذكر بأن علم الدين هو أرفعها ، وأعلاها ، كما بين رأيه في التقليد والقياس ، وعلم الكلام ، وشروط الاجتهاد ، وموقفه من الاجازة ، ومدى صحتها ، وفي هذا الكتاب قدم ابن عبد البر صورة قاتمة عن طلاب العلم في عصره فقد تذمر من بعض الدخلاء على العلم ، الذين يتصدرون المجالس العلمية دون كفاءة .

ز) أدب المجالسة ، وحمد اللسان ، وفضل البيان ، وذم العيِّ ،وتعليم الاعراب وغير ذلك لابن عبد البر النمري : وساهم هذا الكتاب بمعلومات مهمة ، وقيمة لهذه الدراسة عن علاقات المتعلم بمحيطه كترغيب ابن عبد البر بضرورة تحلي المتعلم بفضيلة حب الخير ، ومساعدة الآخرين ، ونبذ الخلاف والفرقة ، وحثه على صون اللسان ، وإحترام مجالس العلم ، والذكر ، وقدم صورة عن آداب حضور الدرس، والحلقات العلمية ، وأورد بعض العلوم التي يراها مذمومة كعلم التنجيم ، والفلك مثلًا وموقفه من بعض قضايا التربية ، والتعليم كقضية تأديب الطفل بالضرب فهو لا يحبذ ذلك إلا للضرورة القصوى ، وقضية ترجمة العلوم غير العربية ...الخ .

2- كتب التاريخ العام :

أ)كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لأبي بكر بن القوطية (ت367هـ/977م) : تتجلى أهمية هذا الكتاب بأنه قدم لنا نبذة عن جهود الفاتحين في نشر الاسلام ، وتعليم الأندلسيين أمور دينهم ، وبناء المساجد باعتبارها أحد أهم أماكن التعليم ، كما قدم صورة عن التعليم في الكتاتيب إبان عصر الولاة ودور السلطة السياسية في مراقبة محتويات الدروس التي تُلقى ، وتعيين المكلفين على مراقبتها كالمحتسب وغيره .

ب) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (ت بعد 712هـ/ 1312م): ولقد أفاد هذا الكتاب بمعلومات تاريخية مهمة لها علاقة بموضوع التربية ، والتعليم ، فقد عدد جهود الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/ 961- 976م) في تشييد الكتاتيب ، وتعيين المؤدبين القائمين عليها لتعليم الفقراء ، والمساكين ، كما قدم نماذج لبعض أماكن التعليم كالقصور مثلًا وبعض مؤدبي الخاصة ممن أدبوا أبناء الخلفاء ، والملوك ، والدور السياسي لبعض العلماء ، والفقهاء كيحيى بن يحيى الليثي(ت234هـ/849م) في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ/ 822-852م) ، وغيره .

ج) مقدمة ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) : لقد اسهب العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون في الحديث عن التربية ، والتعليم في الأندلس ، فتحدث عن المواد التي يدرسها المتعلم في مرحلة الكتاتيب ، وبماذا تميز الأندلسيون عن باقي البلدان الأخرى في تفضيل ترتيب تعلم مادة على أخرى كإيثارهم تعليم القرآن الكريم على باقي العلوم الأخرى ، وعرف ابن خلدون بعض العلوم ، التي هي بمثابة مواد للدراسة كعلم القراءات ، والتفسير ، والفقه ، وعلم الهيئة ، والكواكب ، وتحدث عن المراحل التعليمية التي يجتازها المتعلم ، و بَيَّنَ أوجه بطلان ، وفساد الاجازة ، كالإجازة للمعدوم بأن يجاز للولد وهو لم يولد بعد ، كما عرف بعض الاجازات الأخرى كالإجازة بالمناولة ، وغيرها من المواضيع .

د) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لأبي العباس المقري التلمساني (ت1041هـ/1631م) : ساعد هذا الكتاب موضوع البحث مساعدة جليلة ومعتبرة ، فقد قدم مسحًا عامًّا عن جهود الفاتحين ، والولاة في نشر الاسلام ، وتعليم العربية ، والقرآن الكريم بين الأندلسيين ، ووصف مدى تعلقهم ، وحرصهم على طلب العلم ، كما ترجم لبعض المعلمين الأندلسيين في مختلف التخصصات ، وطلاب العلم في العصور الثلاثة المطروقة في هذه الدراسة ، كما أبرز دور الرحلة العلمية في التحصيل ، والاستزادة من العلم ، ولهذا القصد خصص بابًا في موسوعته هذه للحديث ، والترجمة لعدد معتبر من الطلاب ، والعلماء الذين رحلوا إلى المشرق ، كما تحدث عن بعض أنواع الاجازات ، وتطرق إلى تحديد سن بداية التعلم في مرحلة الكتاتيب فهو يحدده بالسن السابعة من عمر المتعلم انطلاقا من أحد النصوص التي ترجع إلى عصر الخلافة الأموية ، وبَيَّنَ دور أهل الذمة من النصارى ، واليهود ، ومساهمتهم في التعليم ، وإقبالهم على تعلم اللغة العربية وآدابها.

3- كتب التراجم ، والطبقات :

أ)تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن الفرضي (ت403هـ /1012م) :

وتتجلى أهمية هذا الكتاب في أنه ترجم للعلماء ، والفقهاء ، والمحدثين ، والأدباء والشعراء ، والمتكلمين وغيرهم ، وأشار في كل فئة منهم إلى الذين مارسوا التعليم ، ونشطوا الكثير من الحلقات العلمية والمساهمة التي قدمها لبحثنا أنه قام بعملية مسح للمعلمين الذين عاشوا بين عصري الامارة إلى عصره هو أي قبيل سقوط الخلافة الأموية ، كما قدم معلومات مهمة عن المذاهب الفقهية التي كانت منتشرة قبل عصر الامارة كالمذهب الأوزاعي مثلًا ، وترجم للعلماء الذين ساهموا في إدخال بعض العلوم ، والكتب إلى الأندلس كصعصعة بن سلام الشامي (ت192هـ/807م) ، وغيره .

ب)طبقات الأمم لأبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي(ت462هـ/1069-1070م): وقدم هذا الكتاب معلومات على قدر كبير من الأهمية ، فقد ترجم للمعلمين الذين اختصوا في العلوم الاجتماعية (كالفلسفة ، والمنطق) ، والرياضية (كالحساب ، والهندسة) ، والعلوم الطبيعية (كالطب ، والصيدلة ، والفلك ، والتنجيم) خاصة الذين لم تترجم لهم كتب التراجم الأخرى ، كما قدم مسحًا عامًّا لحال العلم ، والتعليم من عصر الإمارة إلى عصر ملوك الطوائف ، وموقف الأندلسيين من

بعض العلوم التي كانت منبوذة عندهم كالفلسفة ، والمنطق ، والفلك ، والتنجيم ، وتحدث عن مساهمة النصارى ، واليهود في تعليم تلك العلوم السالفة الذكر ، وغيرها من المعلومات .

ج) **الصلة لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت578هـ/1183م)** : أفادنا هذا الكتاب بالترجمة للعلماء الذين لم يذكرهم ابن الفرضي ، و التعريف بالعلماء الذين جاءوا من بعده إلى نهاية عصر ملوك الطوائف ، وما بعده ، كما أفرد في آخر كتابه بالتعريف للأندلسيات اللواتي مارسن التعليم ، أو ممن ينتمين إلى أهل العلم .

III) – المـراجـع :

1) بالـعربـيـة :

أ)**تاريخ التعليم في الأندلس لعبد الحميد عيسى محمد** : ساهم هذا الكتاب في تقديم مادة لا بأس بها عن المراحل التعليمية التي يتدرج فيها المتعلم بحسب تقدمه في السن ، ومكان التعليم ، والمادة التي يطلبها ، وعدَّدَ أماكن التعليم ، كالمساجد ، والمنازل مثلًا ، وتحدث عن مواد الدراسة .

ب)**دراسات أندلسية في السياسة ، والاجتماع لعصمت عبد اللطيف دندش** : منها الدراسة التي لخصت فيها الباحثة آراء ابن حزم في العلم ، والتعليم ، فقد تحدثت عن رؤيته في ما يجب أن يتقيد به المتعلم من آداب في طلبه ، والمراحل التعليمية التي يمر بها طالب العلم من بداية تعلمه إلى مرحلة التوسع في علوم الشريعة التي يرى بأنها آخر المراحل ، كما قدم المراجع المساعدة للتحصيل ، والمستوى المطلوب في كل مرحلة ، ومواد كل مرحلة ، ولخصت الباحثة الشروط التي أقرها ابن حزم للتأليف ، والبحث ، وآداب الجلوس في الحلقات العلمية ، وطرح السؤال ، وغيرها من قضايا التعليم .

ج) **دور الفقهاء في الحياة السياسية ، والاجتماعية بالأندلس في عصري الامارة ، والخلافة لخليل إبراهيم الكبيسي** : عالج هذا الكتاب أهم المذاهب الفقهية التي كانت منتشرة في الأندلس قبل اعتماد المذهب المالكي كمذهب رسمي للدولة بداية من عصر الامارة الأموية ، كما تعرض لوضعية ، ومدى تقبل الأندلسيين للمذاهب الفقهية الأخرى بعد سيادة المذهب المالكي بالأندلس ، وقدم نماذج لبعض المعلمين الذين شاركوا في الحياة السياسية من خلال تقلدهم لبعض المناصب الادارية ، والدينية .

2- المترجمة إلى العربية : ومنها كتاب **فقه التربية : المبادئ النظرية ، والمنطلقات لعلي رضا أعرافي** ، وقام بتعريبه من الفارسية إلى العربية : محمد ترمس ، وكذلك كتاب **النظرية الاسلامية في التربية ، والتعلم ، لجميلة علم الهدى** ، وقام بتعريبه كذلك من الفارسية إلى العربية : عباس صافي ومراجعة : حسين صافي ، وقد ساعدني المرجعان في ضبط المصطلحات التي تتعلق بالتربية ، والتعليم وارتباط مفهومهما ببعضهما البعض ، فإذا رُبِط بينهما بواو العطف ، فليس المقصود به الفصل بينهما دراسة التربية من جهة ، والتعليم من جهة أخرى ، وإنما تلازمهما يعني هدفًا واحدًا ، وهو دراسة المنهج التعليمي ، ومراحله ، ومواد الدراسة ، وأدوات ، وأساليب ، ومؤسسات التعليم .

3- باللغة الأجنبية :

ومنها على سبيل المثال كتاب **Les Fortesse de L'Espagne musulmane** للمؤرخ **H.Terrasse**، الذي قدم صورة عن مظاهر التعليم في مجالس الأمراء ، ومنها مجلس الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ/ 822-852م) من خلال سجالات الشعراء ، ومناظرات الأدباء، وأما كتاب **Espana musulmana (Siglos VIII – XV)** للمؤرخة الاسبانية **(Arié(Rachel** التي عالجت فيه تشجيع حكام الأندلس للعلماء ، وتمويلهم ، وتكليف عملائهم بجلب نفائس الكتب من المشرق ، وتقريبهم للفقهاء ، كما عالجت كيف تعلم الأندلسيون علم الموسيقى ، وجهود زرياب علي بن نافع (ت238هـ/852م) في ذلك ، وهو الذي أسس مدرسة بحق تعتني بالكثير من الأمور زيادة على الموسيقى ، كآداب الجلوس ، والمحادثة ، وطرق اللباس ، والحفاظ على الهندام ، وتصفيف الشعر، وغير ذلك .

IV- المقالات ، والدوريات :

قدمت المقالات ، والدوريات الكثير من المعلومات القيمة ، وساهمت في تذليل العديد من صعوبات البحث ، ومن هذه الدراسات تلك التي قام بها المؤرخ المغربي **سعيد اعراب** تحت عنوان : " **رسالة من ابن حبيب إلى معلم ولده أقدم نص في التربية والتعليم بالأندلس**" ، والمنشورة في مجلة الثقافة المغربية العدد07 ، التي تصدر عن وزارة الثقافة ، والتعليم الأصلي ، والعالي ، والثانوي المغربية ، حيث أشار إلى وجود مخطوط يتضمن في محتواه نص للفقيه عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ/852م) ، بين فيه آراءه التربوية ، وتحدث عن التعليم في مرحلة الكتاتيب ، وساعدتني هذه الدراسة في الاشارة إلى مكان

تواجد المخطوط ، ورقمه ، مما سهل علي التنقل إلى مدينة تطوان المغربية ، وطلب الحصول على هذا المخطوط ، فلم يُعْطَ لي إلا نسخ إلكترونية لثلاث ورقات منه فقط ، فالورقة الأولى تحتوي على فهرس محتويات المخطوط ، أما الورقة الثانية فهي تتضمن نص ابن حبيب ، ووصاياه لمعلم ولده ، والورقة الثالثة وهي نسخة عن آخر ورقة من المخطوط ، حاولت استغلالها في تحديد تاريخ كتابة أو نسخ المخطوط ومعرفة صاحبه ، والعصر الذي عاش فيه ، لكنني لم أعثر على مبتغاي ، فلجأت إلى فهرس محتويات المخطوط ، بعد أن ذكر فيه بعض الأعلام ، وعلق على بعض مؤلفاتهم ، فساعدني ذلك في تحديد العصر الذي عاش فيه صاحب المخطوط ، ولو بالتقريب .

كما تحدثت هذه الدراسة عن طريقة تعليم الصبي القرآن الكريم ، وطريقة تحفيظه ، والأدوات المساعدة على ذلك كاستعمال اللوح مثلًا ، وغير ذلك .

وأما فيما يخص ضبط ، وشرح المصطلحات التي تخص التربية ، والتعليم ، والمفاهيم المشابهة لهما وألقاب المعلمين ، فكان للدراستين التي قام بهما كل من الباحث **محمد فارس الجميل** في مقاله المعنون ب**المصطلحات التعليمية في الأندلس خلال خمسة قرون** الصادرة عن مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس ، الرباط ، العدد المزدوج : 21 -22 ، والمقالة التي كتبها المؤرخ **أحمد البوشيخي** بعنوان **تاريخ التربية والتعليم ، وماله من أثر في النهوض بالثقافة الإسلامية بالمغرب** في مجلة دعوة الحق التي تصدر عن وزارة الأوقاف ، والشؤون الإسلامية المغربية ، في العدد 362 الفضل في ذلك .

الفصل التمهيدي

شرح مصطلحات الدراسة

ونبذة تاريخية عن

التربية والتعليم في عهدي الفتح والإمارة

المبحث الأول : شرح مصطلحي التربية والتعليم ، والمفاهيم المشابهة لهما

يتداخل كثيراً مفهوم التربية مع مفهوم التعليم ، لهذا وجب توضيح معنى اللفظين والعلاقة التي تجمعهما وشرح بعض المصطلحات ذات الصلة بموضوع التربية والتعليم ، والتي لها علاقة بهذا الموضوع إذ تستخدم بدلاً من مصطلحي التربية والتعليم في الكثير من المواضع ، وسيأتي ذكرها عند الحديث وشرح مظاهر ونظريات التربية ، وأوضاع التعليم في الأندلس ، ومناهجه ، والبرامج ، والمراحل ، والمواد التعليمية ، وخاصة عند التعريف ببعض ممارسي هذا النشاط .

المطلب الأول : مفهوم التربية :

أ) **لغة** : مما يلاحظ في تعريف التربية أن لها شروحًا متعددة ، ومتنوعة بحسب الغرض الذي يستخدم من أجله ؛ فالتربية لفظ مشتق من :

- رَبَأَ ، يَرْبُو : فيقال رَبَأَتْ الأرض رَبَاءً ، أي زكت ، وارتفعت لهذا جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : " فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ "[1] ؛ أي ارتفعت ، ونمت ، وزادت عندما يداخلها الماء ، والنبات[2] ،كما أن لهذا اللفظ معنى ثاني ، والذي يقصد به التدرج , فالتربية جهود تراكمية ، يرفد بعضها بعضاً ، والزمن عامل مهم في بلوغ التربية غاياتها [3]، ولها معنى آخر ، وهو الرعاية ، والاهتمام ، وذلك في تفسير الآية الكريمة في قوله تعالى : " وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً "[4] ، وأما في قوله تعالى : " وَيُرْبِي الصَدَقَاتْ "[5] فهي تعني الزيادة ، ومضاعفة الأجر[6] .
- الرَّبُّ : التي تعني المالِك ، السيّد ، المُدبِّر، المُربي ، والقيِّم ، والمُصلح فيقال رَبَّ الشيء إذا أصْلحه [7] وفي حديث عبد الله بن عباس(ت68هـ/687م) مع عبد الله بن الزبير (ت73هـ/692م) رضي الله

---

[1] سورة الحج ، 22 / الآية 05 برواية ورش عن نافع .

[2] ابن منظور الافريقي (جمال الدين محمد بن مكرم) ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ، م17 ، ص 1546 . أحمد البوشيخي ،**تاريخ التربية والتعليم وماله من أثر في النهوض بالثقافة الإسلامية بالمغرب** ، مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية ، الرباط ، العدد 362 ، 2001 ، ص 36 .

[3] عبد الكريم بكار ، **حول التربية والتعليم** ، دار القلم ، دمشق ، ط3 ، 2011 ، ص11.

[4] سورة الإسراء ، 17 / الآية 24 .

[5] سورة البقرة ، 02 / الآية 275 .

[6] محمد منير مرسي ، **تاريخ التربية في الشرق والغرب** ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1993 ، ص 249 .

[7] ابن منظور ، المصدر السابق ، م17، ص 1546.

عنهم قوله : " لان يَرُبَّنِي بَنُو عَمِّي أَحبُّ إلي من أن يَرُبَّنِي غَيْرَهُم " أي يكونوا عليّ أمراء ، وسادة ويُقال السحاب يَرُبُّ المطر أي يَجْمَعُهُ وَ يُنَمِّيهِ[1].

- رَبَبَ : كقول تَرَبَّبَهُ ، و ارْتَبَّهُ ، وَرَبَّاهُ تَرْبِيَةً ، أي أحسن القيام عليه ، وتولاه حتى فارق سن الطفولة [2].
- رَبَى: ومثال على ذلك كقول أحدهم رَبَوْتُ في بني فلان أَرْبُو ؛ بمعنى نشأت فيهم ، ويقال رَبَيتُ في حجره أي نشأت عنده ، كما يقال أيضاً ربَّبْت فلاناً أُرَبِّيه تَرْبِيَةً ، وقيل رَبَّيْتُهُ تَرْبِيَةً ، وتَرَبَّبْتُهُ أي غَذَوْتُهُ ويقال هذا لكل ما يَنْمِي كالولد ، والزرع ، ونحوه ،كما جاء أن الرُّبَّى يعني أول الشباب ، ويقال الرَّبِيبَة بمعنى الحَاضِنَةُ[3].

ويقصد بكلمة تربيت في اللغة الفارسية إلى معان متعددة ، منها التنمية ، وتعليم الأخلاق والآداب ، وتعليم الطفل ، وتنشئته حتى بلوغه ، ولقد وظف المصطلح المركب : " تعليم , تربيت" للدلالة على المعاني ذاتها[4].

ومن خلال ما سبق يتضح معنى التربية فهي: الزيادة ، والنمو ، والإصلاح ، والرعاية ، والحضانة والنشأة ، وتعليم الأخلاق ، والآداب ، والتعليم ، وكلها تدخل في تنشئة الفرد .

ب) **اصطلاحاً** : وفي التعريف الاصطلاحي نجد الأمر نفسه كما هو عند اللغويين في التعدد ، والاختلاف بين آراء المربين ، والباحثين في هذا المجال على مر العصور التاريخية ، فالفلاسفة اليونانيون القدماء كأفلاطون مثلاً (427-347ق.م) يرون بأن التربية تضفي على الجسم ، والنفس كل جمال ، وكمال ممكن لهما أما ارسطو (384 -322 ق.م) فيعرفها بأنها إعداد العقل كما تُعدُّ الأرض للبذر[5] .

أما عند المسلمين فقد استخدم ابن خلدون (ت808هـ/ 1405م) مصطلح التربية عندما تحدث عن سياسة المُلك تجاه الرعية من الاستعانة بذوي القربى ، والنسب ، فذكر أن التربية يقصد بها في هذا الموضع من نشأ مع الملك ؛ أي الذي ترعرع في نفس العائلة ، والبيئة مستدلاً بالقرآن الكريم في قوله تعالى: "وَاجْعَلْ لِّي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي(28) هَرُونَ أَخِي (29) اِشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (30) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (31)"[6]

---

[1] نفسه ، ص ص 1547- 1548 .

[2] نفسه ، ص 1547.

[3] نفسه ، ص ص 1549, 1551, 1574 .

[4] علي رضا أعرافي ، **فقه التربية المبادئ النظرية والمنطلقات** ، تعريب محمد ترمس ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، ط1، بيروت 2012 ، ج1 ، ص 131 .

[5] محمد حسن العمايرة ، **أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية** ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2010 ص15.

[6] سورة طه 20 / الآيات 28 - 31 .

والملاحظ في المصادر الإسلامية أنها استخدمت بدل مصطلح التربية مصطلحات أخرى مشابهة له كالتعليم ، والتأديب ، والتهذيب ، وما إلى ذلك كما هو الحال عند أبي حامد الغزالي (ت505هـ /1111م) مثلاً الذي وظف مصطلح التعليم ، وذكر بأنه صناعة ، وهي من أشرف الصناعات التي يستطيع الإنسان أن يحترفها ، وأن أهم أغراضه هي الفضيلة والتقرب إلى الله عز وجل[1].

ولدى المتصوفة فالتربية هي إرشاد المريد في سلوك طريق التصوف بأسلوب مجاهدة النفس وتخليصها من الشوائب الدينية ، وإخراج الأخلاق السيئة وغرس الأخلاق الحميدة ، فهي بتعبيرهم مثل "فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ، ويُخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع لِيَحْسُنَ نباته ، ويَكْمُلَ رَيْعهُ "[2].

أما مفكرو التربية في العصر المعاصر كمحمود قمبر مثلاً ، فيعرِّفون التربية بأنها "عملية تنشئة الصغار، وإعالتهم ، ورعايتهم ، وعملية واعية ، ومعلومة الأهداف ، والوسائل ، ولها آثارها العميقة في تشكيل الأفراد ، وتطبيعهم ، وتسويتهم" [3] .

وهناك من يذهب إلى أوسع من ذلك عندما يعرّف التربية بأنها "عملية عامة لتكييف الفرد ليتلاءم مع تيار الحضارة الذي يعيش فيه ، وبهذا فالتربية عملية خارجية يقوم بها المجتمع لتنشئة الأفراد ليسايروا المستوى الحضاري العام "[4].

ويوجد من الباحثين كأحمد البوشيخي مثلاً الذي فرّق في عمل التربية بين الحيواني والإنساني فالفرع الإنساني–الذي يهم موضوع البحث – يُقصد بالتربية " كل فعل يمارس من قبل كائن على آخر راشد على صغير مثلاً ، أو جيل ناضج على جيل لاحق به ، وهذا العمل هو موجه لتحقيق غاية معينة أو التأكيد على أن غرض التربية هو مساعدة الأفراد على اكتساب ، وتنمية مجموعة من الاستعدادات العامة"[5] .

---

[1] أبو حامد الغزالي ، **أيـها الولـد** ، ترجمة إلى العربية عمر فروخ ، تقديم جورج شيرر، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ، ط3، بيروت ، 1969 ص33. محمد فوزي العنتيل ، **التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966 ، ص 103 .

[2] أبو حامد الغزالي ، المصدر السابق ، ص 33 . محمد فوزي العنتيل ، المرجع السابق، 103 .

[3] محمود قمبر ، **دراسات تراثية في التربية الإسلامية** ، دار الثقافة ، الدوحة ، 1985 ، ص 223 .

[4] علي عبد الحليم محمود ، **التربية الاجتماعية الإسلامية** ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ط1 ، القاهرة ، 2001 ، ص 26 .

[5] أحمد البوشيخي ، المرجع السابق ، ص 36 .

والمقصود بالتربية الإسلامية هو: "إعداد الفرد إعداداً عاماً شاملاً ، يتناول كل جوانب حياته الروحية ، والخلقية ، والعقلية ، والجسدية ، وكذلك كل حياته الدنيوية ، والآخرة التي هي الحياة الأبدية "[1].

ومما سبق ذكره يمكن تلخيص التعريف الاصطلاحي للتربية ، بأنها عملية واعية لإعداد الفرد وتنشئته ، ورعايته ، وإعالته من المهد إلى البلوغ , ويقوم بهذه العملية أفراد آخرين أكبر منه ، وأقرب إليه كالأم ، والأب ، والأسرة ، والمجتمع ، والمحيط عموماً ، ولهذه العملية أهداف واعية من بينها: تحصيل التأقلم للفرد المربَّىَ ، والتكيف مع المحيط ، وغرس الفضائل ، والأخلاق الحميدة في نفسه ، وسلوكه واكتساب الاستعدادات ، وتنمية المهارات الفردية ،كما أن للتربية آثار في تشكل طبع الفرد ، وأخلاقه وعاداته ، وتصرفاته ، وسلوكه ، وتفكيره ، وحياته بصفة عامة .

ولقد شاع توظيف مصطلح فلسفة التربية في مواضيع التربية ، والتعليم ليُقصد به :"مجموعة المبادئ والأفكار النظرية التي يهتدي بها المربون في صناعة أهداف التربية ، وتحديد أساليبها ، ووسائلها ، وأنشطتها وهي إجمالاً خطة لتوجيه العملية التربوية"[2] ، وهذا التعريف الأخير هو محور موضوع هذا البحث ، والذي له علاقة، وارتباط بالتعليم ، وطرقه ، ومناهجه ، ومواده ، ووسائله ، وسياسته ...الخ .

المطلب الثاني : مفهوم التعلـيم :

أ) **لـغة** : كلمة تعليم في اللغة العربية على وزن تفعيل ، وهي مشتقة من فِعل[3] :

- عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً ، وهو نقيض الجهل ، وعَلِمْتُ الشيء أعلمه عِلْماً ؛ أي عرفته .
- عَلَمَ فيقال عَلَمُ الثوب ، والعَلَمُ يقصد بها الراية ، وعَلِمَ الرجل يَعْلَمُ عَلَماً ، إذا صار أعْلَمَ ، والمرأة عَلْمَاء وعالَمْتُ الرجل فعَلَمْتُهُ أعْلُمُهُ : غلبته بالعلم ، وتعلمت الشيء أي أخذته ، وتعلمت أي علمت واسْتَعْلَمَهُ الخَبَرَ فَأَعْلَمَهُ إيَّاهُ ، وَعَلَّمَهُ الشَّيْءَ تَعْلِيمًا فَتَعَلَّمَ ، وليس التشديد هنا للتكثير بل للتعدية .

---

[1] علي عبد الحليم محمود ، المرجع السابق ، ص ص 26 – 27 .

[2] إبراهيم علي العكش ، **التربية والتعليم في الأندلس** ،دار عمار ، دار الفيحاء ، ط1 ، عمان ، 1986 ، ص 25 .

[3] البصري(الخليل بن أحمد) ،**كتاب العـين**، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ،(د.ت)،(د.ط) ،ج2 , ص152. الجوهري الفارابي (إسماعيل بن حماد)،**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين، ط4 ،بيروت 1987 ،ج5 ، ص1990.الرازي (زين الدين محمد بن أبي بكر) ، **مختار الصحاح** ، تحقيق يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ،ط5 بيروت ، 1999، ص217. الزبيدي المرتضى(محمد بن محمد) ، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية (د.ت)،(د.ط)،ج33 ،ص127. دوزي , **تكملة المعاجم العربية** ، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي ، وزارة الثقافة والاعلام ط1 ، العراق ، 2000 ،ج7 ، ص293 .

- عِلْمُ ، وهو إدراك الشيء بحقيقته ، وينقسم إلى نوعين : الأول بإدراك ذات الشيء ، والثاني : الحُكْمُ على الشيء بوجود شيء هو موجود له ، أو نَفْيُ شيءٍ هو منفيٌّ عنه ، والمعرفة إدراك الشيءِ بتفكر وتدبر لأثره ، وتَعْلِيم ، والجمع تعاليم ، ويقصد به إرشاد ، وتهذيب ، ويقصد به كذلك تعني التلقين[1] .

كما أن التعليم يقصد به ذلك التغير الذي يتحقق في مجال المعرفة ، فهو مشتق كذلك من فعل عَلَّمَ أي إعطاء العلم لشخص ما ، ولابد أن نفرق بينه وبين مصطلح الإعلام ، فالتعليم يتضمن شيئًا من الاستمرارية ، والتثبيت ، وهي من مميزات مصدر التفعيل ، بينما الإعلام الذي يطلق على الأخبار لا يشترط فيه الاستمرار[2] ، لهذا لا يطلق مصطلح العالم إلا بعد المزاولة ، وطول الاستمرار في طلب العلم أما إذا كان في أوله فيسمى متعلماً[3] .

ومما سبق ذكره فالتعليم لغة مشتق من الأفعال : عَلِمَ ، عَلَمَ ، عِلْمُ ، عَلَّمَ ، ويقصد به معرفة الشيء وإدراكه بحقيقته ، كما يشمل التهذيب ، والإرشاد ، والتلقين ، ويشترط فيه التثبيت ، والاستمرارية في طلب المعرفة .

ب)**اصطلاحاً** : لا يختلف كثيراً المفهوم الاصطلاحي للفظ التعليم عن مفهومه اللغوي ، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: "وَ عَلَّمَ ءَادَمَ الاسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِؤُنِـي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ انْ كُنتُمْ صَادِقِينَ((30))قَالُواْ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الحَكِيمُ((31))"[4]. ومعنى تعليم الله لآدم ليس التلقين ، وإنما خلق فيه علماً ضرورياً تفصيلياً بأسماء جميع المسميات ، وما يتعلق بها من مميزات ، كأن يُعلمه بأن الشيء الفلاني فيه كذا ، وكذا [5] ، وقال في موضع آخر :" فَاسْئَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ

---

[1] وهناك فرق بين التعليم والتلقين ، فالتلقين يكون في الكلام فقط ، بينما التعليم يكون في الكلام وغيره ، كالقول: لَقَّنَهُ الشعر، ولا يقال لقنه التجارة أو النجارة ، إذا فالتعليم أعم من التلقين .أنظر عمار بن خميسي ، **الممتع في أخبار العلم والعلماء** ، دار ابن حزم ، ط1، بيروت 2007 ، ص 22 .

[2] علي رضا أعرافي ، المرجع السابق ، ص 185.

[3] ابن منظور ، المصدر السابق ، ج34 ، ص 3083 .

[4] سورة البقرة 02 / الآيات : 30- 31 .

[5] مجموعة من العلماء، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ،ط1 ،(د.ب) ،1973،ج1 ، ص74.

إنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ "[1] ؛ أي اسألوا: أهل الكتب التي نزلت من قبل يخبرونكم [2] ، وقوله تعالى: " هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً "[3] ؛ بمعنى أن تعلمني من العلم الذي علمك الله ما هو رشاد إلى الحقّ[4] .

وقيل أن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِحَلْقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، وَالْأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ ، وَيُعَلِّمُونَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ، هَؤُلَاءِ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ، وَيُعَلِّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا"، فَجَلَسَ مَعَهُمْ"[5], وفي حديث آخر أنه جاء إلى النبيِّ – صلى الله عليه وسلم– قوم فقالوا: ابعث معنا رجالاً يعلّمونا القرآنَ ، والسُّنَّةَ فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القُرَّاءُ (...)يقرؤون القرآنَ، ويتدارَسُون بالليل يتعلَّمون"[6]، وقوله صلى الله عليه وسلم : " خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ "[7].

---

[1] سورة النحل 16/ الآية 43 .

[2] مكي بن أبي طالب ، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه،** تحقيق بإشراف الشاهد البوشيخي ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة ،ط1 ، 2008 ، ج7 ،ص 4731 .

[3] سورة الكهف 18 / الآية 65 .

[4] الطبري (محمد بن جرير) ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،ط1 ، 2000 ، ج18 ، ص71 .

[5] رواه ابن ماجة . ابن ماجة (محمد بن يزيد)، **سنن ابن ماجة** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون ، دار الرسالة العالمية، ط1 ،2009، ج1 ص 152 .جلال الدين السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر)، **الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير**، تحقيق يوسف النبهاني، دار الفكر، ط1 ، بيروت، 2003 ، ج2 ، ص307 .

[6] أنظر **المسند الجامع لأحاديث الكتب الستة وموطأ الإمام مالك** ،حققه ورتبه وضبط نصه محمود محمد خليل ،دار الجيل ،بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، ط1 ، الكويت، 1993، ، ج2، ص 300 . ابن الأثير (مجد الدين المبارك بن محمد)، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق ، عبد القادر الأرنؤوط ، مكتبة الحلواني ، مكتبة دار البيان، ط1 ، ج8 ، ص 260.

[7] رواه الإمام أحمد بن حنبل ، والبخاري ، وابن ماجة ،و ابوداود .أنظرابن حنبل (أحمد بن محمد)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، تحقيق أحمد محمد شاكر ،دار الحديث ، ط1 ، القاهرة ، 1995 ، ج1 ، ص 336 . البخاري(محمد بن إسماعيل) ، **الجامع الصحيح** ، شرحه وحققه محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتبتها ،ط1 ، القاهرة ، 1400هـ ، ج3 ، ص 346 .ناصر الدين الألباني ، **مختصر صحيح الامام البخاري** ، مكتبة المعارف، ط1 ،الرياض ،ط1، 2002 ، ج3 ، ص 341 . ابن ماجة ، المصدر السابق ، ج1 ، ص144 . السجستاني (سليمان ببن الأشعث)، **سنن أبي داود** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، محمد كامل قره بللي ، دار الرسالة العالمية ، ط1 ،2009 ،ج2، 583.

وروي أن الإمام علي (ت 40هـ/661م) كرم الله وجهه كان فِي المسجد فسمع ضجة شديدةً قال: " مَا هَؤُلاءِ؟ فَقَالُوا: قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ ، أَوْ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ كَانُوا أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" [1].

وعن أبي الدرداء عويمر بن مالك(ت32هـ/652م)، أنه قال: " مَالِي أَرَى عُلَمَاءَكُمْ يَذْهَبُونَ، وَأَرَى جُهَّالَكُمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ، اعْلَمُوا قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ فَإِنَّ رَفْعَ الْعِلْم ذَهَابُ الْعُلَمَاءِ"[2].

أما المعاصرون فقد كثرت آرائهم ، و نظرياتهم في تأصيل مفهوم التعليم ، وعلاقته بالتعلم , ولنختر نموذجين في الضبط الاصطلاحي لهذا اللفظ ، وهما الأقرب للمعنى المقصود في بحثنا هذا ، فمنهم من يعرف التعليم بأنه " اكتساب المعلومات ، أو المهارات، أو العادات ،والقيم ، والأخلاق ، أو غير ذلك سواء كانت عقلية ، أو يدوية ، أوبدنية" [3]، وهناك من يلخصه في عبارة بسيطة مفادها أن التعليم " كل نشاط تمت برمجته مسبقًا بهدف تسهيل التعلم لدى المتعلم "[4].

ومنه فعلى العموم ، والإجمال فإنه يمكن تلخيص التعريف الاصطلاحي للتعليم بأنه عملية تزويد الفرد من معلومات ، ومعارف نظرية ، أو مهارات عملية ، أو غرس أفكار ، وسلوكيات تدخل في عادات وقيم ، وأخلاق ودين المجتمع الذي يعيش فيه هذا الفرد .

ج) – شرح ارتباط مصطلحي التربية والتعليم ببعضهما البعض:

اقترن كثيراً توظيف المصطلحين التربية ، أو التعليم في الحديث عن مواضيع تنشئة الفرد ، وتعليمه وكذلك في البرامج التربوية لغرض الإعداد ، والتقويم ، وطرق التعليم ، بغية تحصيل النتائج ، والآثار المرجوة من كل هذه الإجراءات ، والفلسفة المتبعة خدمة في صالح هذا الفرد المُربى ، أو المـُتعلم لكي يكون الشخصية المثالية النموذجية ، زيادة على تحقيق تكيفه مع مجتمعه ، ومحيطه الذي يعيش فيه ، فيتأثر به ، ويُؤثر فيه .

---

[1] أبو الحسن الهيثمي(نور الدين علي بن أبي بكر)،**كشف الأستار عن زوائد البزار**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي،مؤسسة الرسالة، ط1 بيروت ، 1979، ج3 ، ص94 . أبو الحسن الهيثمي(نور الدين علي بن أبي بكر)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق حسام الدين القدسي مكتبة القدسي ، القاهرة ، 1994 ، ج7 ، ص 162 .

[2] ابن أبي شيبة (عبد الله بن محمد) ، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار** ، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الراشد ، ط1، الرياض 1409 هـ ، ج7، ص 113. البيهقي (أحمد بن الحسين) ، **المدخل إلى السنن الكبرى** ، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت ، ج1 ، ص453.

[3] محمود قمبر ، المرجع السابق ، ص 224 .

[4] علي رضا أعرافي ، المرجع السابق ، ص 186 .

وفي هذا المجال يمكن طرح تساءل مفاده : هل يصح أنه لو يستعمل أحد المصطلحين التربية ، أو التعليم يُغنـِي عن استعمال المصطلح الآخر؟ بمعنى هل فعلاً توظيف أحد المصطلحين يؤدي إلى نفس الموضوع ؟

اختلفت آراء الباحثين حول صحة هذا التوظيف ، فمنهم من يرى أنه إذا كان التعليم هو تدريب الفرد على المهارات العقلية ، أو اليدوية ، أو البدنية ، فالتربية تشمل زيادة على ذلك إعالة الفرد ،وتنشئته ورعايته نفسياً ، ومادياً ، والتعليم ما هو إلا الجزء الفني ، والتطبيقي للتربية ، ومنه يستنتج بأن التربية أعم وأشمل من التعليم[1] ، كما أن التعليم هو فقط أحد أهداف التربية من خلال إيصال الفرد المرُبى إلى درجة الكمال الإنساني ، لهذا قال عليه الصلاة ، والسلام :"إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاق "[2]، والتربية تستخدم آلية التعليم كأداة ، ووسيلة فقط لتحقيق هذا الهدف ، لهذا فالتعليم قد يهدف إلى تحصيل المعرفة ، أو التدريب على مهارة ، أو حفظ نص من النصوص الدينية ، أو الأدبية ...الخ ، أما التربية فإنها تتخذ كل ذلك كوسيلة لتربية المشاعر ، والضمير ، وتنمية الإرادة ، والقيم الأخلاقية ، وأنماط السلوك ،إذاً فالتربية تتعلق بكل جوانب النفس البشرية ، إضافة لـما سبق فمن أهداف التربية تحصيل العلم ، والمعرفة للفرد المـُربّى ، والذي يتكفل بهذا الجانب هو التعليم[3] .

والمـُلاحظ أن تفاسير مصطلح التربية في بعض قواميس اللغة العربية مشتقة من فعل الرِّبِّـيُّ ، وهو منسوب إلى الرَّبِّ ، والرَّبَّانيُّ يقصد به الموصوف بِعِلْمِ الرَّبِّ[4]، وهي دلالة على وجود علاقة بين مصطلح التربية ، والعلم الذي هو أحد الأفعال المشتقة لمصطلح التعليم ، ويُقال الرَّبَّاني للعالِمِ المـُعَلِّم الذي يُعَلِّم

---

[1] محمود قمبر ، المرجع السابق ، ص ص 224 – 225 .

[2] حديث صحيح .ابن فرحون القرطبي ، **الزاهر في بيان ما يستند من الخبائث الصغائر والكبائر** ، تحقيق أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1997، ص 286 . وذكر الإمام مالك (ت 179هـ/795م) بلفظ: "بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الأَخْلاقِ" . الإمام مالك بن أنس ، **الموطـأ برواية يحيى بن يحيى الليثي** ، تحقيق وتخريج الأحاديث وتعليق بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، ط2 ، 1997 ، م2 ، ص490 (باب ما جاء في حسن الخلق).

[3] علي أحمد مدكور ، **منهج التربية في التصور الإسلامي** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1990، ص ص 267 – 268 . محمد حسن العمايرة ، المرجع السابق ، ص ص 136 –137 . سيد إبراهيم الجيار ، **دراسات في تاريخ الفكر التربوي** ، وكالة المطبوعات ، ط1 الكويت، 1974 ، ص 141 .

[4] ابن منظور ، المصدر السابق ، ج17 ، ص 1549 . ومن معانيه كذلك العارف بالله عز وجل الذي ، يُستخدم كثيراً لدى الصوفية كنعت لبعض أئمتهم وأعلامهم. الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) ، **القاموس المحيط** ، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، ط2 ، بيروت ، 2003 ، ص94 .

الناس بصغار العلم قبل كباره ، أي التعليم بالمسائل الواضحة السهلة قبل الدقيقة أو المعقدة ، وهو ما جاء في تفسير الآية الكريمة في قوله تعالى:" كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الكِتَاب وبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ"[1].

وروي عن الإمام علي بن أبي طالب(ت40هـ/661م) كرم الله وجهه أنه قال:"الناس ثلاثة: عالم رَبَّانِي ، ومُتَعَلِّمٌ على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق" ففسر عالم رباني على أنه الذي يعرف علم الرب ، والرَّبَّانِي هو العالم الراسخ في العلم ، والدين ، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله عز وجل ، وقيل العالم العامِل المُعَلِّمُ ، والرباني العالي الدرجة في العلم ، وُقال الربانيون للعلماء بالحلال ، والحرام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ويُرجح أن أصل كلمة الرباني ليست عربية ، وإنما عبرانية ، أو سريانية لهذا لا تعرف مدلولها العامة ، وإنما يعرفها الفقهاء ، وأهل العلم ، أما إذا قيل الرِّبِّيُّونَ فالمقصود بها العُلماء الأتقياء الصُّبُرُ[2].

وقد قال محمد بن علي بن الحنفية(ت81هـ/700م)[3] لما مات عبد الله بن عباس (ت 68هـ/ 687م) رضي الله عنه : " اليوم مات رَبَّانِـيُّ هذه الأمة "[4].

وفي المفهوم الاصطلاحي أجاز بعض الباحثين ربط ، وتوظيف اللفظين التربية ، والتعليم معاً للدلالة على معنى واحد ، فإذا استخدمنا العبارة المركبة التالية :"تاريخ التربية ، والتعليم " فإن المقصود به الحديث عن المؤسسات التربوية ، والبرنامج ، والمحتوى (مواد الدراسة)، وكذلك التحولات ، والتطورات التي طرأت على أوضاع التربية ، ودراسة تاريخ الفكر ، والآراء التربوية ، والأساليب ، والفنون ، وطرق التربية وبالمختصر المفيد يُقصد بالتربية ، والتعليم إذا وظفا معاً في عبارة واحدة معالجة النظام التعليمي وأهدافه وأصوله ، وأساليبه ، ومؤسساته ، ونظرياته التربوية[5] ، وهو ما يتوافق مع مسار موضوع هذا البحث .

---

[1] سورة آل عمران 03 /الآية 78 ، أما في رواية حفص عن عاصم فهي بلفظ " تُعَلِّمُونَ " أي بتشديد اللام والفرق واضح فمن يَعْلَمَ ليس كمن يُعَلِّمَ ، فالأول يَعْلَمُ وفقط ، أما الثاني فهو يَعْلَمُ وَ يُعَلِّمَ أي يمارس التعليم .وجاء تفسير ربانيين كذلك بمعنى حكماء. ابن منظور ، المصدر السابق ، ج17 ، ص 1549 . محمود قمبر ، المرجع السابق ، ص 224 .

[2] ابن منظور ، المصدر السابق ، ج17 ، ص ص 1549 ، 1551 .

[3] وهو ابن علي بن أبي طالب ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية وإليها ينسب تمييزاً له عن الحسن والحسين أبناء فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، يكنى بأبي القاسم ،كان واسع العلم ، ورعاً ، شجاعاً ، ولد سنة 21هـ/ 642م بالمدينة المنورة وبها توفي ، وقيل بأنه توفي بالطائف . ابن خلكان شمس الدين (أحمد بن محمد) ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ،1994، م3، ص128. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج 6 ، ص270 .

[4] ابن منظور ، المصدر السابق ، ج17 ، ص 1549 .

[5] علي رضا أعرافي ، المرجع السابق ، ص ص 138 ، 221 . جميلة علم الهدى ، **النظرية الإسلامية في التربية والتعليم** ، تعريب عباس صافي مراجعة حسين صافي ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2011 ، ج1 ، ص 171 .

المطلب الثالث : بعض المفاهيم المشابهة :

1 . **التأديـب** : يُقصد بالأدب في اللغة معنى الظَّرْفِ ، وحسن التناول ، وهو مشتق من فعل أدب ، وسُمِّي أَدَبًا لأنه يَأْدِبُ(الذي يتعلمونه) الناس إلى المحامد ، وينهاهم عن المقابح ، والأَدَبُ أَدَبُ النَّفس ، والدرس ويُقال أَدَّبَهُ فَتَأَدَّبَ ؛ أي عَلَّمَهُ فَتَأَدَّبَ ، واسْتَأْدَبَ[1] .

أما في المفهوم الاصطلاحي فالتأديب يمكن توظيفه في العديد من المجالات ، فإذا كان في مجال سلوك الفرد فإنه يعني تعليمه طرق ، وأساليب التصرفات إلى ما هو أحسن ، وهي ما تسمى بالآداب ، أما في المجال المعرفي فيكون معنى التأديب موافقاً لمعنى التعليم ، وقد يُقصد منه تربية الفرد على الأخلاق الحميدة والملكات ، والفضائل الإيجابية ، وبذل الجهد لدفع ، والتخلص من الرذائل ، والمفاسد ، كما قد يقصد بالتأديب كل الأمور السابقة فيكون تربية ، وتعليم في آن واحد[2] .

2 . **التدبير** : وهو لفظ مشتق من فعل دَبَّرَ ، ويُقال دَبَّرَ الأمر ، وتَدَبَّرَهُ ؛ أي نظر في عاقِبَتَهُ ، والتَّدْبِيرُ بمعنى النظر في عاقبة الأمر ، أما التَّدَبُّرْ فيقصد به التَّفَكُّرُ ، أو رواية الحديث ، ونقله عن غيرك ، ويُقال دَبَّرَ الحديث عنه أي رواه ، ودَبَّرْتُ الحديث أي حَدَّثْتُ به عن غيري [3].

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى :" اَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ "[4] ، وكذلك قوله "أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ"[5] بمعنى ألم يَتَفَهَّمُوا ما خُوطِبُوا به في القرآن الكريم [6]، وقال تعالى في موضع آخر من كتابه العزيز الحكيم: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ"[7] ، والتفسير المقصود للتدبر في هذه الآية هو العِلمُ بالله تعالى ، والمعْرِفَةُ به من خِلال صفاتِهِ[8] .

ومما سبق ذكره فالتدبر، والتدبير لفظان لهما عدة معاني منها :النظر في الأمر ، والتفكر فيه وكذلك رواية الحديث ، وكلها وسائل ، ومسائل تدخل ضمن العملية التربوية التعليمية ، حتى أن المربي

---

[1] ابن منظور ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 43 . الفيروز آبادي ، المصدر السابق ، ص 68 .

[2] علي رضا أعرافي ، المرجع السابق ، ص 205 وما بعدها .

[3] ابن منظور ، المصدر السابق ، ج15 ، ص 1321 .الفيروز آبادي ، المصدر السابق ، ص 364 .

[4] سورة النساء 04 / الآية 81 .

[5] سورة المؤمنون 23 / الآية 69.

[6] الفيروز آبادي ، المصدر السابق ، ص 364 .

[7] سورة ص 38 / الآية 28.

[8] أبو بكر الطرطوشي (محمد بن الوليد) ، **الحوادث والبدع** ، تحقيق علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي،(د.ب)،ط3 ، 1998 ، ص98. عبد الله بن يوسف الجديع ، **العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية** ، دار الإمام مالك ، دار الصميعي،ط2 ، 1995 ، ص 72 .

والطبيب القيرواني ابن الجزار أبي جعفر أحمد (ت369هـ/979م) ألف رسالة في طب الأطفال، وتربيتهم وتعليمهم ، ورعايتهم ، وكل ما يتعلق بهم سماها: "سياسة الصبيان و**تدبيرهم**"، كما وظف المؤرخ الأندلسي صاعد الأندلسي (ت462هـ/1070م) هذا المصطلح في كتابه طبقات الأمم ، وهو بصدد الترجمة للطبيب ، والمهندس، والرياضي الأندلسي محمد بن عبدون الجبلي (عاش في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي) الذي قال فيه أنه رحل إلى المشرق سنة347 هـ/958م ، ودخل البصرة ، ومصر **ودبَّر** مارستانهما[1] ، وتمهر في الطب ثم عاد إلى الأندلس سنة 360هـ/ 970م [2].

3 . التدريس : وهو مشتق من فعل دَرَسَ ، فيقال دَرَسَ الكتاب يَدْرُسُهُ دَرْساً ، و دِرَاسَةً ، ودَارسُهُ بمعنى عَانَدَهُ حتى حَفظهُ ، كما يقال دَرَسْتُ الكتاب أَدْرُسُهُ دَرْساً أي ذَلَّلْتُهُ بكثرة القراءة حتى خف حفظه عليَّ[3] ، وقد قال الله تعالى: " وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ "[4] بمعنى قرأتَ ، وقَرَؤُوا عليك ، ويقال دَارَسْتَ ؛ أي ذاكَرْتَهُم ، وَدَرسْتَ بمعنى تَعَلَّمْتَ ، أو عُلِّمْت ، والمِدْرَسُ هو الكتاب ، والمُدِّرسُ كثير الدرس[5].

والتدريس لا يوافق المعنى العام لمصطلح التعليم ، وإنما هو أحد أشكاله ، ووسائله فقط ، ويجوز استعماله في حالة التعليم لبعض المواد فقط كالفقه ، أو النحو، أو اللغة العربية ، ولا ينطبق هذا التوظيف مع مواد أخرى كالقرآن ، أو الحديث ، أو الحساب ، أو الهندسة[6].

- **المعرفة كوسيلة في التربية ، وهدف في التعليم** :

يُلاحظ مما سبق ذكره في تحديد المفاهيم من مصطلحات التربية ، والتعليم أن القاسم المشترك بينها هو تقديم معلومات ، وغرس أفكار ،ومعتقدات ،وسلوكيات معينة، وكذلك تلقين بعض المعلومات ،والمعارف في تخصصات محددة ؛ أي أن المعرفة، والتي هي في الأصل المعلومة أساس هذا التدريب ،والتلقين، والتواصل بين المـُربِي، والمـُربَّى ، أو بين المـُعَلِّم ، والمـُتَعَلِّم .

---

[1] المارستان أو البيمارستانات : هي كلمة فارسية مركبة من شطرين: بيمار بمعنى مريض أو عليل أو مصاب، وستان أي مكان أو دار ، والمَارَسْتانُ في المصادر العربية بمعنى دار المرضى، أي بمعنى المستشفيات في عصرنا . الفيروز آباي ، المصدر السابق ، ص531 . أحمد عيسى بك ،**تاريخ البيمارستانات في الاسلام** ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط2 ، 1981 ، ص ص 4 ، 10. نهاد عباس زينل ، **الانجازات العلمية للأطباء في الاندلس** ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 2013 ، ص 329 .

[2] صاعد الأندلسي ، **طبقات الأمـم** ، نشره وذيله بالحواشي لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1912 ، ص 81 .

[3] ابن منظور ، المصدر السابق ، ج15 ، ص 1360 .

[4] سورة الأنعام/ 06 ، الآية 106 .

[5] ابن منظور ، المصدر السابق ، ج15 ، ص 1360 . الفيروز آبادي ، المصدر السابق ، ص 504 .

[6] محمد فارس الجميل ، **المصطلحات التعليمية في الأندلس (خلال خمسة قرون)** ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، ط1 ، الرباط ، العدد المزدوج 21 -22 ، 1998 ، ص ص 171 - 172 .

وُيعرف بعض المعاصرين كالباحث محمد عبيدات ،وآخرين المعرفة بأنها " مجموعة من المعاني والتصورات والآراء ، والمعتقدات ، والحقائق التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به "[1]، كما هناك من يُعرفها بتعبير أبسط مما سبق فيقول :" هي معلومات ، ومعارف خالية من الغموض واللبس"[2]، ولابد من توضيح الفرق بين المعرفة ، والعلم ، فمفهوم المعرفة لا يوافق مفهوم العلم ،فإذا كان العلم هو " إدراك الشيء بحقيقته ،أو الحُكْمُ على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نَفْيُ شيءٍ هو منفيٌّ عنه ، فالمعرفة هي إدراك الشيءِ بتفكر ،وتدبر لأثره "[3], لهذا فرق الباحثون بين العلم ،والمعرفة على أساس الأسلوب ، أو منهج التفكير الذي من خلاله تم تحصيل المعرفة ، وحتى في مواضيع ، وميادين البحث ، فالمعرفة تختص بالمحسوسات ، والمعاني الجزئية ، أما العلم فهو يختص بالمعقولات ، والمعاني الكلية[4].

المبحث الثاني : مظاهر وجهود الفاتحين والولاة في نشر الإسلام وتعليم الأندلسيين :

المطلب الأول : سنوات الفتح الإسلامي (92-95هـ/710-713م) :

اجتهد المسلمون بعد فتح الأندلس بتعليم أهلها-خاصة الكبار منهم-أمور دينهم أي الذين دخلوا الإسلام حديثاً ، وتوجد الكثير من محاولات هؤلاء الفاتحين لتحقيق ذلك الهدف منها مثلاً تشييد ، وبناء المساجد في ربوع الأماكن المفتوحة من أرض الأندلس، فالمسجد كمكان للعبادة، وإقامة الصلاة ، فهو كذلك يُعد أقدم المؤسسات التربوية التعليمية في الإسلام [5] ، ولقد اتبع الفاتحون سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والاقتداء به بعد هجرته من مكة إلى المدينة لما قام ببناء مسجده النبوي، فقاموا مع عمليات الفتح للمدن الأندلسية ببناء المساجد ، وعملاً بهذه السنة فإنه لما حل التابعي الفاتح موسى بن نصير(ت 98 أو99هـ / 716 أو717م)[6] بالجزيرة الخضراء(Algeciras) في بدايات عمليات الفتح بالأندلس من سنة 93هـ/711م

---

[1] محمد عبيدات وآخرون ، **منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات** ، دار وائل ، ط2 ، عمان ، 1999 ، ص 05 .

[2] عقيل حسين عقيل ، **فلسفة مناهج البحث العلمي** ، مكتبة مدبولي ،(د.ب)،(د.ط) ، 1999 ، ص 08 .

[3] الزبيدي المرتضى(محمد بن محمد) ، المصدر السابق، ص127. دوزي ، المرجع السابق ، ج7 ، ص293 .

[4] محمد عبيدات وآخرون ، المرجع السابق ، ص05 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 41 .

[5] عن دور المسجد في التعليم أنظر إلى المبحث الثالث من الفصل الثاني ص139 وما بعدها .

[6] يكنى بأبي عبد الرحمن ، فاتح الأندلس ، أصله من وادي القرى بالحجاز ، ولد سنة 19هـ/640م، عين في عهد عبد الملك بن مروان (65-86هـ/684-705م) والياً على المغرب ، وكلف عامله طارق بن زياد(ت102هـ/720م) بفتح الأندلس سنة92هـ/710م فافتتح الكثير من المناطق والمدن ، وأجاز موسى بن نصير إلى الأندلس سنة 93هـ/711م ،وسلك طريقا غير الذي سلكه طارق بن زياد فافتتح مدناً ومناطق أخرى ورجع إلى المشرق ، وقصد مسقط رأسه وادي القرى وبه توفي ، وقيل أن وفاته كانت بالمدينة المنورة ووصف بأنه كان عاقلاً ، شجاعاً ، كريماً فصيحاً بليغاً ، ولقد اختلف المؤرخون في ضبط سنة وفاته ، فالحميدي يقول سنة 99هـ/717م ، أما ابن عذارى المراكشي فيحددها سنة 98هـ/716م ،والمقري التلمساني يقول بأنها سنة 97هـ/715م.مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب=

أسس بها مسجداً عرف فيما بعد بمسجد الرايات[1]، ولم يبرح القائد موسى بن نصير الموضع حتى أمر بتخطيط المسجد الذي يطل على البحر [2]، وينسب للتابعي الجليل حنش بن عبد الله السبئي الصنعائي (ت100هـ /718م)[3] بناء مسجد بسرقسطة(Zaragoza)بعد فتحها ، وهو أول من اختطه من التابعين الذين أسسوا مسجد قرطبة(Cordoba) وحددوا قبلته كما اختط بناء مسجد البيرة (Elvira)حتى لقب بمهندس المساجد بالغرب الإسلامي أثناء الفتح[4] .

ومما يلاحظ فيمن شاركوا في فتح الأندلس أن هناك نخبة من الفاتحين كانت من صلحاء وعلماء الأمة حتى قيل أنه كان من ضمنهم الصحابي المعروف بالمنيذر الافريقي، وهو من أحداث الصحابة ، وروى عنه أبو عبد الله

=المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، ط2 ، بيروت ، 1989، ص16 وما بعدها . ابن القوطية (محمد بن عمر) ، **تاريخ افتتاح الأندلس** تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط2 ، القاهرة ،بيروت ، 1989، ص35 وما بعدها . ابن الفرضي (عبد الله بن محمد) ، **تاريخ علماء الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة، 1966، ق2 ، ص146. الحميدي (محمد بن أبي نصر فتوح) **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966 ، ص 338. الضبي (أحمد بن يحيى)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** ،تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1 ،القاهرة ،بيروت ،1989 ج2 ، ص 607 .ابن عذارى المراكشي (أبوعبد الله محمد)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان وَ ليفي بروفنسال، دار الثقافة ،ط3، بيروت، 1983،ج1، ص39 وما بعدها. المقري التلمساني(أحمد بن محمد)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر، ط1، بيروت، 1998، ج1، ص ص 194،220 وما بعدها . خير الدين الزركلي ، **الأعـلام** ، دار العلم للملايين ، ط16، بيروت، 2005 ، ج7، ص ص 330- 331 .

[1] وسمي بهذا الاسم لاجتماع رايات العرب ووجوه الكتائب من الموالي لفتح الأندلس .عبد الرحمن علي الحجي ، **التاريخ الأندلسي** ، دار القلم ط5 ،دمشق، 1997، ص 73 .

[2] محمد الغساني الأندلسي ، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير** ، تحرير وتقديم نوري الجراح ، دار السويدي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1 ، أبوظبي ، بيروت ، 2002 ، 139 . عبد الرحمن علي الحجي ، المرجع السابق ، ص 73 .

[3] وحسب رواية المقري التلمساني فإنه توفي بسرقسطة ودفن بها ، وقبره عند باب اليهود غربي سرقسطة ،وحنش بن عبد الله هو تابعي، ثقة، يكنى أبا رشيق ، وأبا رشدين ، و أبا علي ،كان مع الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالكوفة ، وقدم مصر بعد استشهاد علي بن أبي طالب وغزا المغرب ثم الأندلس مع موسى بن نصير ، ويقال بأنه أول من ولي عشور افريقية ، واختلف المؤرخون في مكان وفاته فابن الفرضي، والحميدي يقولا بأنه توفي بإفريقية ، وأما المقري فيذكر بأن أهل سرقسطة يزعمون أنه توفي ببلدهم وقبره عندهم معلوم على حد تعبيره ، وحنش هو لقبه أما اسمه فهو حسين بن عبد الله . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1، ص125. الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 202-203. ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد) ، **الكامل في التاريخ** ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، 1987 ،م4 ص324 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص221 .ج3 ، ص 289 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 286 .

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1، ص125. الحميدي ، المصدر السابق ، ص 202. ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ص96 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2، ص 83 . عبد الرحمن علي الحجي ، المرجع السابق ، ص 91 .

الحبلي (ت100هـ/718م)[1]حديث واحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، زيادة على مجموعة من التابعين وربما هي استراتيجية اعتمدها الفاتحون من خلال مشاركة الفقهاء والمعلمين عملية الفتح لنشر الإسلام في البلاد المفتوحة ، وتعليم أمور الدين الجديد ، فقد دأب المسلمون على ذلك ، فبعد فتح المغرب أرسل الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-720م)عشرة من الفقهاء التابعين ليفقهوا أهل افريقية ،ويعلموهم دينهم ، ونفس الحال نجدها اثناء وبعد فتح الأندلس ، إذ دخل بعض التابعين مع جيوش الفاتحين إلى الأندلس وقدر عددهم بما يزيد عن عشرين رجلاً[3]، وهناك من يقول كالمقري التلمساني بأن عددهم ثمانية وعشرون تابعياً[4] وإليهم يرجع الفضل في تأسيس قبلة المسجد الجامع بقرطبة[5]، وكان من هؤلاء التابعين الداخلين إلى الأندلس ممن أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى افريقية لنشر الإسلام كبكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي (ت 128هـ/ 745م)[6] ، وحبان بن أبي جبلة (ت بعد 120هـ/737م)[7] .

ولم يقتصر دور القائد موسى بن نصير على العمل العسكري من خلال عمليات الفتوح فقط ، بل ساهم هو في حد ذاته في تعليم أهالي المناطق المفتوحة الدين الاسلامي ومبادئه ، فقد دخل الأندلس ومعه رهائن البربر من المصامدة الذين أخذهم معه من المغرب ، وعين لهم سبعة عشر رجلاً من العرب يعلمونهم القرآن والإسلام

[1] هو عبد الله بن يزيد المعافري ، من التابعين الداخلين إلى الأندلس مع الفتح الإسلامي ، قيل بأنه توفي في افريقية ، أو في قرطبة . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص291 .

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1، ص 221 . ج3 ، ص ص 288 – 289 . والصحابي منيذر الإفريقي هو الذي روى بإفريقية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :" مَنْ قَالَ : رَضِيتُ بِاللهِ رَبا ، وَ بِالإِسْلامِ دِينًا ، وَبِمُحَمد نَبِيا فَأَنَاْ الزَعِيمُ لَهُ ، فَلأُخُذن بِيدِهِ فَلأُدْخِلنَهُ الجَنّةَ " وسنده ضعيف . ابن عبد البر النمري (يوسف بن عبد الله)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، صححه وخرّج أحاديثه عادل مرشد ، دار الأعلام ، عمان ، 2002، ص 715 .

[3] عبد الملك بن حبيب ، **كتاب التاريخ** ، وضع حواشيه سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1999 ، ص125.

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 227 نقلاً عن ابن بشكوال في كتابه التنبيه و التعيين لمن دخل الأندلس من التابعين .محمد عبد الحميد عيسى ، **تاريخ التعليم في الأندلس** ، دار الفكر العربي ، ط1، القاهرة ، 1982 ،ص 72 .

[5] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1، ص 227 .

[6] نفسه ، ج3 ، ص ص 329 –330 . وهو من الفقهاء التابعين ، يروي عن الصحابة رضوان الله عليهم ، قيل بأنه غرق في مجاز الأندلس سنة 128هـ / 745م ، وقيل بأنه توفي بإفريقية في أيام الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م). الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 179 – 180.

[7] تابعي، يكنى : أبا النصر ، أو أبا النضر ، كان في ديوان مصر ، يروي عن عمرو بن العاص ، وابن عباس ، وابن عمر ، حدث عنه مجموعة من الفقهاء منهم الفقيه القيرواني عبد الرحمن بن زياد المعافري (ت161هـ/777م)، غزا مع موسى بن نصير الأندلس إلى أن بلغ فيها حصن قرقشونة التي تبعد عن برشلونة مسيرة خمسة وعشرين يوماً ، قيل أنه رجع إلى افريقية وبها توفي . أبو العرب بن تميم (محمد بن أحمد) ، **طبقات علماء افريقية** ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، (د.ط)، (د.ت) ، ص20 .المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص222. ج3 ، ص291 .

وبعد التقائه بعامله طارق بن زياد (ت102هـ/720م)[1] بطليطلة(Toledo) أواخر سنة 94هـ/713م أقاما بهذه الحاضرة وقاما بإفهام الناس الإسلام وشرحه لهم ودعوتهم إليه ، وأرسل بعض الفرق إلى أهالي المناطق الأخرى ينشرون الإسلام ويعلمونهم أمور هذا الدين[2]، وكان موسى بن نصير في حد ذاته يروي الحديث عن الصحابي تميم الداري (ت 40هـ/660م)[3] .

ومن التابعين الذين دخلوا الأندلس كذلك ، واسندت إليهم مهمة تعليم الكبار حنش الصنعاني (ت 100هـ /718م)[4]، والتابعي الفقيه محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري (كان حيا 102هـ/720م)[5]، وكذلك التابعي الفقيه ،والمحدث زيد بن قاصد السَّكْسَكِي المصري الذي كان يروي عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص(ت 65هـ/684م) ، وممن رووا عن السكسكي الفقيه القيرواني وأحد شيوخ طلبة الأندلس المرتحلين إليه عبد الرحمن بن زياد (ت 161هـ/777م)[6] .

---

[1] طارق بن زياد أو طارق بن عمرو ، فاتح الأندلس ، أصله من البربر ، أسلم على يد مولاه موسى بن نصير ، هذا الأخير الذي كلفه بفتح الأندلس سنة 92هـ/710م حيث افتتح العديد من الناطق والمدن منها حصن قرطاجنة ، اشبيلية ، استجة ، طليطلة ، ومدينة سالم شمالاً طرطوشة ،بلنسية ، شاطبة ، ودانية وغيرها، استدعاه مع موسى بن نصير الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة 96هـ / 714م ولم يُعرف مصيره بعد ذلك. الحميدي ، المصدر السابق ، ص 3 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 27 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ص 187 وما بعدها .خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ص217 .

[2] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق، ج1، ص 42 . عبد الرحمن علي الحجي ، المرجع السابق ، ص 85 .

[3] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 6 . والصحابي تميم بن أوس بن خارجة الداري ، يكنى : أبا رقية ، كان نصرانياً ، أسلم سنة 9هـ/630م أصله من إحدى قرى الخليل بفلسطين ، وكان يسكن المدينة المنورة ، ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (24- 35هـ/ 644-656م) ،ونزل ببيت المقدس .ابن سعد (أبو عبد الله محمد) ، **الطبقات الكبرى** ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1968، ج7 ، ص408 . المقدمي (محمد بن أحمد) , **التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم** ، تحقيق محمد بن إبراهيم اللحيدان ، دار الكتاب والسنة ، ط1،ج1، ص34 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج2 ، 87 .

[4] وحدث عنه مجموعة من العلماء بإفريقية ، وله تفاسير لبعض الآيات من القرآن الكريم ، ورسالة لبنيه نقلها لهم عن أبيه حول آداب الدعاء وقيل بأنه روى عنه بعض المصريين لما نزل بمصر ، وكان يروي عن بعض الصحابة كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وعبد الله بن عباس ، وأبي الدرداء وغيرهم . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 125 . الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 6 ، 201 وما بعدها .

[5] روى عن أبي هريرة ، وُصف بأنه من أهل الدين والورع ، معروفاً بالفقه ، والحديث .الحميدي ، المصدر السابق، ص 338. المقري التلمساني المصدر السابق ، ج1 ، ص217 .

[6] الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 6 ، 221 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص227 . ج3 ، ص330 .

وقد كان في سلوك الفاتحين، وخلقهم ، وحسن معاملتهم للأسرى ، وأهل الأندلس الذين دخلوا في ذمتهم من غير المسلمين الأثر العميق في دخولهم إلى الإسلام ، ومن استراتيجية العرب والبربر الفاتحين أنهم كلما مروا على موضع استحسنوه حطوا به ، ونزلوه ، وقاموا بنشر الإسلام ، وتعليم أهله[1].

ويبدو أن عمل وجهد الفاتحين الدعوي ، والتعليمي لم يقتصر على الوافدين الجدد إلى الإسلام من الأندلسيين بل حتى على جنود الجيش الإسلامي الفاتحين خاصة منهم البربر حديثي الإسلام ، فقد أورد المقري التلمساني بأن التابعي المغيرة بن أبي بُرْدة (ت 105هـ/723م)[2] دخل الأندلس مع موسى بن نصير، فكان هذا الأخير يُخرجه إلى العساكر ليروي لهم الحديث عن أبي هريرة (ت 59هـ/679م) رضي الله عنه[3].

المطلب الثاني : عهد الولاة (95-138هـ/714-756م) :

واصل ولاة الأندلس استكمال فتح بعض الجيوب التي لم تصلها عمليات الفتح الأولى، وفتح المناطق التي تقع ما وراء جبال البرت، كما قاموا بتثبيت أركان الولاية الإسلامية الجديدة، فاهتموا بإرساء قواعد الاستقرار، واتخاذ مظاهر تبعية هذا الإقليم للدولة الأموية بالمشرق الإسلامي ، وتم اختيار حاضرة اشبيلية (Sevilla) كعاصمة للولاية ثم قرطبة من بعدها ، كما اهتموا بالجانب العلمي من خلال نشر ، وتعليم الأندلسيين أصول الدين الإسلامي، واللغة العربية التي أصبحت لغة أهل البلد والعلم والتعليم ، ومن الولاة الذين ساهموا في تعليم الأندلسيين ، يذكر الوالي عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (استشهد 114هـ/732م)[4] الذي كان

---

[1] نفسه ، ج1 ، ص 220 . عبد الرحمن علي الحجي ، المرجع السابق ، ص ص 85 ، 102 . محمد سهيل طقوش ، **تاريخ المسلمين في الأندلس** ، دار النفائس ، ط3 ، بيروت ، 2010 ، ص 58 .

[2] تابعي وصف بأنه من أهل الفضل والدين والحزم ، روى عنه بعض علماء مصر . أبو العرب بن تميم ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 22-23. المالكي (عبد الله بن محمد) ، **رياض النفوس** ، حققه بشير البكوش ، راجعه محمد العروسي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 بيروت ، 1994 ، ج1، ص ص 124 – 125 .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 291 .

[4] يكنى بأبي سعيد ، لم يكن واليا فقط ، بل كذلك من كبار قادة الفتح الإسلامي للأندلس ، يمني الأصل ، تولى في الأندلس مرتين ، الأولى : سنة 102-103هـ/720-721م ، والثانية : بين 112 -114هـ/730- 732م ، تولى مواصلة عمليات الفتح إلى ما وراء جبال البرانس حيث توغل في بلاد غالة ، وفتح مدينة بوردو ، ولما حاول التوغل أكثر نشبت معركة بينه وبين الغاليين المتحالفين مع الجرمان وهي المعركة المشهورة في التاريخ الإسلامي ببلاط الشهداء حيث كان من بين هؤلاء الشهداء في رمضان 114هـ/أكتوبر 732م ، من إنجازاته في الأندلس بناء قنطرة قرطبة المشهورة بها . ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 26 , 28 .المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ص ص 191 -192. ج2 ، ص ص22 – 23 . ج3 ، ص 296 . السيد عبد العزيز سالم ، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981، ص 141 .

يروي الحديث عن عبد الله بن عمر (ت 73هـ/692م) وغيره ، ووصف بالعدل وحسن سياسته بأهل الأندلس [1] .

وبعد أن بدأت الولاية تأخذ في الاستقرار والتعمير شيئاً فشيئاً ، ظهرت بوادر إقبال الأندلسيين لطلب العلم في العلوم الشرعية واللغوية إذ اقتصر في بداية الأمر على الفقه والحديث واللغة العربية ، فقد انتشر في عصر الولاة المذهب الأوزاعي[2] بالأندلس ، وكذلك الحديث النبوي الشريف , وأول من أدخل المذهب الأوزاعي إلى الأندلس هو الفقيه صعصعة بن سلام الشامي(ت 192هـ/807م)[3]، وكانت له مساهمة معتبرة في إدخال بعض العلوم إلى الأندلس حتى قيل أن الفضل يرجع إليه في إدخال علم الحديث الشريف[4] ، ولقد تصدر للإفتاء بالأندلس في عهد الامير عبد الرحمن بن معاوية الداخل (138-172هـ/756-788م) وصدرا من أيام هشام بن عبد الرحمن (172 -180هـ/788 -796م) ، وروى عنه الكثير من طلاب العلم الاندلسيين[5] .

غير أن معرفة مدى صحة القول بأن المذهب الأوزاعي بالأندلس كان سائداً و معروفاً في عهد الولاة أو بعده يلاحظ في ترجمة الفقيه صعصعة بن سلام ذلك أن تصدره للإفتاء في هذا المذهب وتدريسه لم يكن إلاّ في صدر عهد الإمارة (138-316هـ/755-928م) وتلاميذه الذين أخذوا عنه عاشوا في هذا العصر، وليس عصر

---

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 256 . الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 6 ، 274 وما بعدها . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 296. محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص 72 .

[2] نسبة إلى الفقيه الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعي ، يكنى بأبي عمرو ، إمام الشام في الفقه والزهد ، ولد في بعلبك سنة 88هـ/707م ، وسكن ببيروت ، وبها توفي سنة 157هـ/774م ، عرض عليه القضاء فامتنع ، من مؤلفاته كتاب السنن في الفقه ، وكتاب المسائل أما كلمة الأوزاع فيرى ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ/1063م) بأنها تعني اسم لإحدى قبائل حمْير ، ولا ينسب إليهم عبد الرحمن الأوزاعي ولكنه سكن بينهم فنسب إليهم ، أما ابن خلكان شمس الدين (ت 681هـ/1282م) فيقول بأنها تعني اسم لقبيلة من اليمن أو اسم قرية بدمشق ، وأن عبد الرحمن الأوزاعي نزل فيها فنسب إليها ، ويوافقه الحميري بن عبد المنعم (ت 900هـ/1494م) في الرأي الأخير .ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد) ،**جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، ط5 ، 1982 ،ص437 . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ،128. الحميري (محمد بن عبد المنعم) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق إحسان عباس مكتبة لبنان ، ط2، بيروت ، 1984 ، ص63 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج3 ،ص320 . خليل إبراهيم الكبيسي ، **دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة** ، دار البشائر الإسلامية ،ط1 ، بيروت ، 2004 ،ص27.

[3] دمشقي الأصل، يكنى : أبا عبد الله ، يروي عن الاوزاعي ونظرائه من علماء الشام ، قدم مصر ، وروى فيها وكُتب عنه ,ثم رحل الى الاندلس فكُتب عنه ، وروي عنه بها ،أُختلف في تاريخ وفاته ، فذكر كل من ابن الفرضي، و الحميدي بأنه في حدود 180 هـ /796م أو 192هـ 807م ، ويُرجح أن التاريخ الأخير هو الأصح باعتبار أن ابن الفرضي نقل ذلك عن تلميذ الفقيه صعصعة وهو عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/853م) . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 203-204 . الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص244-245. الضبي ، المصدر السابق ج2 ، ص 418 .

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص204 . الحميدي ، المصدر السابق ، ص 244 .

[5] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 203 .خليل ابراهيم الكيسي ، المرجع السابق ، ص 31 .

الولاة(95-138هـ/714-756م) ، فيذكر المؤرخ ابن الفرضي (ت403هـ /1010م) أن من تلاميذه الذين أخذوا عنه العلم على سبيل المثال الفقيه عبد الملك بن الحسن بن محمد بن زريق (ت232هـ/846م) والفقيه عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238هـ/852م) وغيرهم [1] .

وعلى الرغم من ذلك فابن الفرضي نفسه يؤكد في موضع آخر أن المذهب الأوزاعي كان سائداً في الأندلس قبل دخول بني أمية أي في عهد الولاة ، وهو يترجم للفقيه زهير بن مالك البلوي (كان حياً 238هـ/852م)، إذ يقول : "كان فقيهاً على مذهب الأوزاعي على ما كان عليه الأندلس قبل دخول بني أمية رحمهم الله "[2].

ومن الترجمتين السابقتين يمكن التخمين والترجيح على أن المذهب الاوزاعي كان فعلاً منتشراً بالأندلس في عهد الولاة هذه نقطة ، أما النقطة الثانية لابد من طرح سؤال حول من الذي أدخل المذهب الاوزاعي في عصر الولاة ؟ لهذا يُرجح أن الفضل يعود إما للفقيه صعصعة بن سلام الشامي بواسطة تلاميذ آخرين غير الذين ذكرهم ابن الفرضي ، أو من طرف علماء وفقهاء آخرين حلوا بالأندلس من المشرق ، فقاموا ببثه ونشره ، أو ربما طلاب الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق لغرض التعلم أو الحج أو كليهما معا ، فتفقهوا بهذا المذهب ودرسوه وأخذوه عن مشايخه ثم عادوا إلى الأندلس حاملين علمه وأصوله ، فقاموا بتدريسه ونشره بين الأندلسيين ، وما إن يدخل عصر الامارة حتى يكون هذا المذهب منتشرًا وشائعًا في الأندلس .

ويُذكر أنه بعد دخول الإسلام إلى الأندلس ظهرت طائفة عرفت باسم المولدون (Muwallàd)[3] كانت لها مشاركة فعالة في الحياة السياسية والإدارية و العلمية بالأندلس ، فقد برز منها القضاة والعلماء والفقهاء على سبيل المثال لا الحصر مهدي بن مسلم (كان حياً 116هـ/734م) الذي استقضاه الوالي عقبة بن الحجاج السلولي (116-121هـ/734-738م) على قرطبة لما انتقل الى أربونة(Narbonne)[4] ، وقد كتب له

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 204, 269, 272 .

[2] نفسه ، ص 153 .

[3] وهم الإسبان الذين كانوا نصارى أومن ديانات أخرى ثم اعتنقوا الإسلام .السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق، ص127. عبد الرحمن علي الحجي ، المرجع السابق ، ص 163 . محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص63.

[4] هي آخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلي بلاد الأفرنج ، بينها وبين قرطبة ألف ميل . الحميري ، المصدر السابق ص 24. ياقوت الحموي (شهاب الدين بن عبد الله) ، **معجم البلدان** ، دار صادر ، بيروت ،ج1 ، ص 140 .

عهداً بذلك ، فأصبح منذ ذلك الحين تقليداً لمن يتولى القضاء من قبل السلطة الحاكمة أن يكتب له عهد بذلك ،ولقد كان مهدي مسلم من أهل العلم والورع والدين والتمكن في البلاغة والبيان[1] .

كما وجد من الإسبان مَنْ حافظوا على ديانتهم ، ولم يدخلوا إلى الإسلام ، ولكنهم تأثروا بالعادات والتقاليد الإسلامية ، وأقبلوا على تعلم اللغة العربية ، واتخذوها لغة التعامل مع المسلمين ، ولبسوا ملابسهم واستعملوا الختان ، وامتنعوا عن أكل لحم الخنزير ، واستخدموا بعض الأسماء الإسلامية مقترنة بأسمائهم اللاتينية فأطلق عليهم مصطلح المستعربين ، و تولوا الوظائف وتمتعوا بتسامح المسلمين معهم ، فبقوا على دينهم يمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية[2].

غير أن النص الصريح الذي وجد في بعض المصادر التاريخية يتحدث عن التعليم بالأندلس في عصر الولاة ما أورده ابن القوطية في كتابه تاريخ افتتاح الاندلس ، إذ يذكر بأن حاتم بن الصميل (ت142هـ/759م) [3] مرَّ يومًا على مؤدب الصبيان ، وهو يقرأ لهم الآية الكريمة : ((وَتِلْكَ الأْيَامَ نُدَاوِلهَا بِيْن النَّاسِ))[4] فقال الصميل : نداولها بين العرب ، فقال له المؤدب : بين الناس ، فقال الصميل : وهكذا نزلت الآية ؟ قال له: نعم ، هكذا نزلت الآية ، قال الصميل : والله إني أرى هذا الأمر سيشركنا فيه العبيد والسفلة والأراذل [5] .

ومن خلال النص السابق ذكره تتضح عدة أمور عن أوضاع التعليم في عصر الولاة تلخص أهمها في النقاط التالية:

1-وجود نشاط تعليمي في عهد الولاة أي وجود مؤدبين مخصصين لهذا الغرض ، وتلاميذ .

2-تخصيص مكان للتعليم معروف للعامة ، والخاصة .

---

[1] الخشني (محمد بن الحارث) ، **قضاة قرطبة وعلماء افريقية** ، نشره وصححه وراجعه السيد عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، ط2 القاهرة ،1994 ، ص 21 وما بعدها . النباهي المالقي (علي بن عبد الله) ، **تاريخ قضاة الأندلس أو المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا** ضبط وشرح وتعليق وتقديم وترتيب فهارس مريم قاسم طويل ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1995 ، ص 62 .حسين مؤنس **فجر الأندلس** ، العصر الحديث ، دار المناهل ، ط1 ، بيروت ،2002 ، ص650 وما بعدها . عبد الرحمن علي الحجي ، المرجع السابق ، ص ص 163- 164 .

[2] عبد الرحمن علي الحجي ، المرجع السابق ، ص 165 .

[3] عامل آخِر ولاة الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري (حكم بين 129- 138 هـ/747 – 755م) ، وخاض معه حروبه ضد عبد الرحمن بن معاوية الداخل.ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 45. ابن الأبار (محمد بن عبد الله)، **الحلة السيراء** ، وضع حواشيه وعلق عليه علي إبراهيم محمود ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 2008 ، ص ص 46 – 47 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ج3 ، ص ص 209-210.

[4] سورة آل عمران 03 / الآية 140 .

[5] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 60 .

3-وأن هذا المكان أو المؤسسة سواء كان المسجد أو الكتاتيب أو غير ذلك ،كان مفتوحًا للمارة ، ويمكن سماع ما يلقى على الصبية من دروس .

4-كما أن هذا النص يوحي بأن التعليم أو الأماكن التي يُدَّرس فيها كانت خاضعة للمراقبة ، وتفقد عمال الولاية للاطلاع على ما يقوم به المؤدب في تدريسه ، ومعرفة المادة التي يُدرِّسُها ، وقد يقتضي الأمر حتى فرض المادة الواجب تدريسها ، كما لوحظ في النص السالف الذكر، وهذا حسب ما يتماشى أو ما تريده السلطة آنذاك والقائمين عليها ، وورد أنه كان للمحتسب الذي يعرف بصاحب السوق عند الاندلسيين مهمة غير مهامه الأخرى وهي مراقبة دُور وأماكن التعليم كالكتاتيب مثلاً[1] .

من خلال ما سبق ذكره حول أوضاع ومظاهر التربية والتعليم في عصري الفتح والولاة ، يظهر أن اهتمام الأندلسيين كان في البدء مقتصراً على نشر الإسلام ، وهو جوهر أهداف الفتح الإسلامي ، وكذلك تعليم أهل الأندلس اللغة العربية ، وقواعد الدين الإسلامي ، ثم بدأ الاهتمام في عصر الولاة بالعلوم الشرعية كالفقه والحديث وكذلك اللغة العربية ، ولم تكن هناك عناية أو اهتمام بطلب العلوم الاخرى مثل العلوم الطبيعية كالطب مثلًا ، أو العلوم الرياضية كالحساب والهندسة وعلوم الأوائل كالفلسفة والمنطق والفلك والتنجيم ، وغير ذلك ، وهذا ما لخصه المؤرخ صاعد الأندلسي(ت462هـ/1069-1070م) لما قال : "وأما الأندلس (...) لا يعني أهلها بشيء من العلوم إلا بعلوم الشريعة وعلم اللغة إلى أن توطد المُلك ببني أمية "[2].

---

[1] محمد عبد الحميد عيسى ، **تدخل الدولة في التعليم في الأندلس** ، مجلة أوراق ثقافية ، المعهد الإسباني العربي للثقافة ، العدد03 ،(د-ت) (د-ب) ، ص980 .

[2] صاعد الأندلسي، المصدر السابق ، ص 62 .

الفصل الأول
النظريات والآراء التربوية

تمهيد :

عالج بعض الفقهاء والمربين الأندلسيين كعبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ/852م) ،وابن حزم الظاهري(ت 456هـ/1063م) ، وابن عبد البر النمري (ت463هـ/1070م) موضوع التربية والتعليم بإسهاب وساهموا بآرائهم حول ما يجب أن تكون عليه سياسة التربية والتعليم ومواصفات وآداب المعلم والمتعلم .

فقد كتب الفقيه عبد الملك بن حبيب رسالة الى معلم كُتَّاب وهو في نفس الوقت معلم ولده، تضمنت العديد من المواضيع التربوية التعليمية ,وهي حسب المؤرخ المغربي سعيد اعراب أقدم نص في التربية والتعليم بالأندلس[1] .

أما الفقيه الظاهري ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد فقد قدم نظرياته التربوية التعليمية في عدة مؤلفات ونخص منها بالذكر كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، ورسالته في مراتب العلوم ، وكذلك بعض الآراء والأفكار والمواقف المتفرقة والمتناثرة في ثنايا بعض مؤلفاته الأخرى عندما يتحدث فيها عن التربية و الأخلاق والعلاقات الاجتماعية ، والعلم والمعرفة ،وإذا كان قد خصص كتابه الأخلاق والسير للتربية الخلقية والسلوك القويم للفرد المسلم بصفة عامة والمتعلم خاصة، فقد عالج في رسالة مراتب العلوم بعض العلوم التي كانت سائدة في الاندلس وقضية الأجر على التعليم ، والمراحل التعليمية ، والمواصفات التي يجب أن تكون في شخص العالم المعلم، وكذلك أخلاق المتعلم ، وآداب تعلمه ، وأقسام العلم ...الخ .

أما الفقيه والمحدث ابن عبد البر النمري فقد ألف مصنفين عن التربية والتعليم ، الأول خصصه للتربية والأخلاق وآداب المجالس ، وهذا يتضح من خلال عنوانه الذي سماه كتاب : " أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العيِّ وتعليم الإعراب وغير ذلك " ، أما كتابه الثاني فقد خصصه للعلم وآدابه فقط ، وما ينبغي لطالبه وحامله سماه : "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله " ضمن فيه آراءه في مجال التربية والتعليم مستنبطا ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال الصحابة والتابعين والشعراء والعلماء والحكماء .

[1] سعيد اعراب ، " **رسالة من ابن حبيب إلى معلم ولده " أقدم نص في التربية والتعليم بالأندلس**" ، مجلة الثقافة المغربية ، العدد07 ،وزارة الثقافة والتعليم الأصلي والعالي والثانوي ، الرباط ، المملكة المغربية ، 1972 ، ص 57 .

المبحث الأول : الفقيه عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852م)[1] ورأيه في التربية والتعليم في مرحلة الكتاتيب :

ترجع طبيعة المصدر الذي ذَكَرَ فيه الفقيه عبد الملك بن حبيب آراءه وأفكاره التربوية والتعليمية إلى الرسالة التي بعثها إلى معلم ولده في مرحلة الكتاتيب ، وقد تضمنت هذه الرسالة العديد من التوصيات التي أراد الفقيه أن تكون في عملية التعليم لابنه وأبناء الأندلسيين الذين كانوا معه في هذا الكُتّابْ[2]، ويمكن تلخيص أفكار ومضمون هذه لرسالة في النقاط التالية :

المطلب الأول : المنهج التربوي ومواد الدراسة في مرحلة الكتاتيب:

قبل أن يتحدث ابن حبيب عن المنهج التربوي في رسالته ، حرص على أن يركز في البداية على الحديث عن أهمية شخصية المعلم ودورها في العملية التربوية فرأى الفقيه عبد الملك بن حبيب بأن يكون المعلم مثالاً وقدوةً يُحتذى بها، فقد قال في افتتاحية رسالته: " فليكن أول ما تؤدب نفسك ، وأعينهم متعلقة بك ، فالحسن لهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت "[3] ، وفي هذه النقطة راعى عبد الملك بن حبيب مدى تأثر التلميذ بمعلمه ، فهو القدوة له والمثال الأعلى ، لهذا يتأثر التلميذ بشخصية المعلم وآرائه ، وما سيملي عليه من آراء وأفكار في التربية وتقويم السلوك من خلال إعطاء الانطباع عن ما هو السلوك الحسن؟ وما هو السلوك السيئ ؟ فشخصية المعلم هي مجموعة الصفات الجسمية والعقلية ،والخلقية ، والنفسية ، الظاهرية منها والداخلية ، والمتعلم يتأثر بالصفات الموجودة في شخص المعلم سواء في مظهره وشكله أو أسلوبه وحركاته وألفاظه ...الخ خاصة في مرحلة الصبى التي توافق مرحلة الكتاتيب.

---

[1] يكنى بأبي مروان، فقيه مالكي ، كان بالبيرة وسكن قرطبة ، كثير الحديث والمشايخ ، تفقه بالأندلس وسمع من علمائها ثم رحل إلى المشرق قيل بأنه أدرك الامام مالك في آخر عمره ، ولقي أصحاب مالك وغيرهم وأخذ عنهم العلم ،وعاد إلى الأندلس ،وقد جمع علماً عظيماً ، وُصف بعالم الأندلس ، كان حافظاً للفقه على مذهب المدنيين ، نحوياً، عروضياً ، شاعراً ، حافظاً للأخبار والأنساب والأشعار ، متصرفاً في فنون العلوم روى عنه الكثير من الأندلسيين ،له مؤلفات في الفقه ، والتاريخ ، والأدب منها موسوعته الفقهية "الواضحة" التي وصفها ابن الفرضي بأنها لم يؤلف مثلها في الفقه ، وكتاب " فضل الصحابة رضي الله عنهم" ، وكتاب "غريب الحديث "، و "تفسير الموطأ "، وكتاب "حروب الإسلام" وكتاب "طبقات الفقهاء والتابعين " ....الخ . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 269 وما بعدها . الحميدي ، المصدر السابق ، ص 282 وما بعدها. الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 490 وما بعدها .

[2] للاطلاع على النص الكامل للرسالة أنظر إلى الملحقين رقم 01 ، ورقم 02 .

[3] مؤلف مجهول (عاش بعد 1214هـ/1800م) ، **فوائد فيها وصية ابن حبيب الأندلسي لمعلم أولاده وغيرها ضمن مجموعة من الخطب والتعليقات على بعض الكتب ، وتفاسير بعض السور القرآنية** ، مخطوط رقم 739 ، المكتبة العامة ، تطوان ، المملكة المغربية الورقة 76 (وجه). سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص59.

ثم ينتقل عبد الملك بن حبيب السلمي في رسالته للحديث عن المنهج التربوي التعليمي لمرحلة الكتاتيب ، والذي يتضمن ما يلي :

أ)- **تعليم القرآن** : فهو يرى أنه لابد من تعليم القرآن الكريم كما صرح ذلك بقوله: " علمهم كتاب الله"[1] وهذا ما ينطبق مع ما أرخه ابن خلدون (ت808هـ/1405م) عن التعليم لدى الأندلسيين بأنهم يبتدئون في تعليم أبنائهم بالقرآن الكريم لأنهم يرون أن القرآن هو أصل التعليم وأساسه ، وهو منبع الدين والعلوم [2].

ويلاحظ أنها نفس الطريقة المعمول بها عند أهل المغرب ، فيذكر الفقيه القيرواني محمد بن سعيد التنوخي (ت256هـ/ 870م)[3] في كتابه آداب المعلمين أن القرآن الكريم هو أساس التعليم لما ثبت في الأحاديث النبوية الشريفة في فضل تعلمه[4] .

---

[1] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 76 (ظهر) . سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص 59 .

[2] ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ، **مقدمة ابن خلدون** ، تحقيق وتنظيم وضبط وشرح وتعليق علي عبد الواحد وافي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،ج3 ،2006 ، ص 1116 . ونقل الفقيه القيرواني محمد بن سحنون (256هـ/869-870م)عن أبيه الفقيه سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي (ت 240هـ/854م) أنه يُستحسن تعليم الصبيان مع مادة القرآن الكريم مواد أخرى كالحساب والشعر والغريب واللغة العربية والخط والنحو ، هذا إذا تطوع المعلم في ذلك وليس إلزاماً عليه ، إلا إذا اشترط كل من ولي الصبي والمعلم على ذلك ، ويرى سحنون أنه من واجب المعلم تعليم الصبيان في هذه المرحلة إعراب ألفاظ القرآن الكريم ،والشكل والهجاء ، والخط الحسن، والقراءة الحسنة ومواضع الوقف ...الخ ،كما ينصح سحنون معلم القرآن أن يختار لهم قراءة نافع بن أبي نعيم(ت169هـ/785م)،أما الفقيه والمربي القيرواني أبو الحسن علي بن محمد بن القابسي(ت403هـ/1012م) فقد فضل أن يتفرغ الصبي لتعلم وحفظ القرآن الكريم فقط ، وأن لا يشتغل بعلم آخر أو يشتغل عن القرآن الكريم وتحجج في ذلك بعدد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة عن فضل تعلم القرآن الكريم وهو ما يوافق رأي ابن خلدون عن التعليم في المغرب بقوله : " وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات . وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده (...) ، فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط ".محمد بن سحنون ، **كتاب آداب المعلمين** ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ومحمد العروسي المطوي، مراجعة إبراهيم بن مراد ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ،ط3 ،تونس ، 2010 ، ص ص73 ،92. علي بن القابسي، **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين** ، دراسة وتحقيق وتعليق وفهارس وترجمة فرنسية أحمد خالد ،الشركة التونسية للتوزيع، ط1 ، تونس ، 1986، ص74 وما بعدها . ابن خلدون المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 1115 – 1116 .

[3] هو أبو عبد الله محمد بن سعيد سحنون بن حبيب التنوخي،كان إماماً ثقة ، عالماً بمذهب الإمام مالك ، ولد بالقيروان سنة 202هـ/817م تعلم على يد أبيه سحنون بن سعيد فقيه افريقية ، ثم على علماء بلده ، رحل إلى المشرق سنة 235هـ/849م فزار مصر والحجاز، ولقي بعض علماء المدينة ،وأدى فريضة الحج ، ورجع إلى القيروان فعكف على التأليف والتدريس بمنزله و بجامع عقبة بن نافع بالقيروان ذاعت شهرته في حياة أبيه وكانت له حلقة غير حلقة أبيه ، وُصف بأنه كان وجيهاً عند العامة مقدماً عند الملوك ، حتى قيل فيه بأنه لم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه في الفقه والحديث والتاريخ والتراجم والقضاء وآدابه حيث ألف فيها كتباً قيل بأنها بلغت نحو مائتي كتاباً ، ومن مؤلفاته: كتاب المسند وكتاب التاريخ وكتاب تفسير الموطأ ، وكتاب الرد على أهل البدع ، وكتابه المشهور آداب المعلمين .المالكي ، المصدر السابق ، 443 وما بعدها . الخشني القروي ، المصدر السابق ، 178 وما بعدها .خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص ص 204-205 .

[4] محمد بن سحنون ، المصدر السابق ، ص 73.

ويوافق الفقيه والمربي أبو الحسن بن القابسي (ت403هـ/1012م) [1] الرأي مع ابن سحنون ، فقد عدد فضائل تعليم الولد القرآن الكريم وفضل أن يستأجر لذلك معلماً لولده ، فهو بذلك من السابقين للخيرات، وفي هذا يقول: " ومازال المسلمون وهم يرغبون في تعليم أولادهم القرآن وعلى ذلك يربونهم، وبه يبتدونهم وهم أطفال "[2].

ب)- الرفق بالصبيان ودفع الملل في التدريس: فقد أوصى معلم القرآن بعدم إكراههم لكتاب الله عز وجل فيملوه : "علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه "[3]، وكأنه يوصي معلم أولاده بضرورة خلق فترات في تعليم مادة القرآن الكريم تتنوع فيها النشاطات بين الحفظ ، والتكرار ، والكتابة ، وهذا لدفع الملل .

ج)- التدرج من علم إلى علم أو من مسألة إلى مسألة : حيث نبه الفقيه عبد الملك بن حبيب معلم أولاده بضرورة عدم الانتقال من علم إلى علم إلا بعد أن يفقه العلم الأول وذلك في قوله: "ولا تخرجهم من فن إلى فن حتى يحصلوه ، لأن ازدحام العلوم مضلة للفهم ، ومشقة للذهن"[4]، ويرى ابن سحنون بأنه لا يجوز للمعلم نقل الصبي من سورة إلى سورة حتى يحفظها بإعرابها وكتابتها ،إلا إذا سمح له والد الصبي بالاكتفاء بالحفظ فقط ، أو سمح له نقله من السورة قبل تمامها[5]، ويرى ابن خلدون في مقدمته عند الحديث في نظريته عما يجب على المعلم اثناء تعليمه للمتعلمين بأن لا ينتقل المتعلم من علم إلى علم أو من فن إلى فن حتى يستوفي الذي قبله أي

---

[1] اسمه علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني ، الفقيه ، الحافظ ، المحدث ، العلامة ، ولد سنة 324هـ/935م على الأرجح بالقيروان سمع ببلده ثم رحل إلى المشرق سنة 352هـ/963م للحج وطلب العلم فسمع بالحجاز ومصر ، وعاد الى القيروان سنة 357هـ/967م ، فتولى الإفتاء ببلده ، كان إماماً في علم الحديث ومتونه وأسانيده وجميع ما يتعلق به حيث صنف فيه كتابه الملخّص جمع فيه ما رواه الأمام مالك في الموطأ ، ومن مؤلفاته الممهد في الفقه ، أحكام الديانة ، وكتاب رتب العلم وأحوال أهله ، ولقد وُصفت مصنفاته بأنها غاية في الصحة والوثوق واشتهر بالزهد والورع ، قيل أنه عمي في آخر عمره ، ونسب بابن القابسي لأن عمه كان يشد عمامته شدة أهل قابس ، دفن بالقيروان. القاضي عياض(عياض بن موسى) ،**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية ، ج2 ،ص80. ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي) ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ج3 ص168. الشيرازي ، **طبقات الفقهاء** ،حققه وقدم له إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1970 ،ص161 . ابن عبد الهادي الدمشقي (محمد بن أحمد)، **طبقات علماء الحديث** ، تحقيق أكرم البوشي ابراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة، ط2 ، بيروت ، 1996 ، ج3 ص 276 وما بعدها . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 320 وما بعدها .خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 326 .

[2] علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص 87 .

[3] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 76 (ظهر) . سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص 59 .

[4] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 76 (ظهر) . سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص 59 .

[5] محمد بن سحنون ، المصدر السابق ، ص ص 94 – 95 . علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص 133.

بالتدريج ، فقد قال في مقدمة فصله عن وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته ما يلي:" إعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً"[1].

د)– تعليم الشعر: وتحدث الفقيه عبد الملك بن حبيب في رسالته إلى معلم أولاده عن تعليم الشعر على أن يختار منه العفيف الخالي من المجون والغزل والفسق ، وهذا ما صرح به في قوله : " وعلِّمهم من الشعر أعفه "[2]

ولقد أورد ابن القابسي في رسالته بعض آراء الفقيه عبد الملك بن حبيب التربوية والتعليمية ، ومنها مثلاً رأيه في الشعر، إذ كرر مبدأه في ضرورة تعليم الصبي الشعر العفيف ليس الخالي من المجون والفسق فقط ، بل كذلك الذي لا يتناول الهجاء والقُبح والحمية والعصبية ، فقد نقل ابن القابسي عن ابن حبيب قوله :"...إلا أنني أكره من تعليم الشعر وتعلُّمِه وروايته الكبير والصغير ما فيه ذكر الحَمِيّة والخناءِ أو قبيح الهجاء ، وقد ثبتت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " اِنَّمَا الشِعْرُ كَلامُ ، فَحَسَنُهُ حَسَنْ وقَبِيحُهُ قَبِيحُ "[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ مِنَ الشِّعرِ حِكْمَة "[4] .

هـ)–تعليم الحديث النبوي الشريف: كما تضمنت رسالة الفقيه ابن حبيب تدريس المادة الثالثة التي تتناول الحديث النبوي الشريف خاصة ما ثبت منه أنه صحيح حيث قال :"ومن الحديث أشرفه"[5] .

وبالنظر إلى المواد التي أقرّها الفقيه والمربي عبد الملك بن حبيب السلمي لمعلم أولاده وهو معلم كتاب يلاحظ أنه حدد للصبي في هذه المرحلة ثلاث مواد رئيسية وهي : **القرآن الكريم ، الشعر العفيف ،والحديث الشريف بهذا الترتيب** ، أي أنه قدم الشعر على الحديث ، وكذلك لم يذكر مواد أخرى كالهجاء و اللغة العربية وهما ضروريان في هذه المرحلة وربما أهم من الشعر .

و)– أساليب التعليم والتأديب عند عبد الملك بن حبيب :

1) في المعاملة والتدريس : تحدث الفقيه عبد الملك بن حبيب في رسالته هذه على أن من عوامل نجاح العملية التربوية أن يتحلى المعلم ببعض الصفات التي تقترن بشخصيته وفطنته وذكائه ومعرفته لطرق التعليم بصفته كمربيًّا قبل أن يكون معلماً ، ومن أهم هذه الصفات مثلاً : أن يكون حكيماً ، يعرف نفسيات تلاميذه وطبائعهم

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1110 .

[2] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 76 (ظهر) . سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص 59 .

[3] حديث ضعيف. أنظر إلى أبي الحسن الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج8 ، ص 122 . ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) **التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بالتلخيص الحبير** ، تحقيق محمد الثاني بن عمر بن موسى ، دار أضواء السلف (ب.ب)، ط1 ، 2007 ، ج6، ص 3231 .

[4] حديث صحيح . علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص 115 .

[5] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 76 (ظهر) . سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص 59 .

فيخاطبهم على قدر عقولهم ، بحيث يتدرج بهم في التعليم من السهل إلى الصعب ، ومن الجزء إلى الكل ، وعليه مراعاة أحوالهم والفروق الفردية التي بينهم ، فمنهم القوي والضعيف ، والنبيه والفطن والذكي ، ومنهم عكس ذلك ...الخ ، وهذا ما يفسر قوله في رسالته : " وكن لهم مثل الطبيب المشفق الذي لا يضع الدواء إلا في موضع الداء[1].

2) العقوبة والضرب : لم يغفل الفقيه ابن حبيب عن طريقة تأديب الصبيان ، حيث شدد على عدم استخدام الضرب، وإنما التهديد بإبلاغ الولي عن خطئه فقط عندما قال:" وهددهم بي، ولا تضربهم دوني "[2].

والملاحظ أن قضية عقوبة صبيان الكتاتيب وتأديبهم بالضرب أو الذم أو العقاب من القضايا التي ناقشها المعلمون والمربون في تلك العصور ، ولقد اختلفت الآراء وتباينت بين من يبيح استخدام الضرب وبين من يحضر استخدامه ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر أجاز الفقيه سحنون حسب ما أورده ابنه محمد ضرب الصبي لأجل مصلحته على أن لا يتجاوز الضرب ثلاثاً ويستطيع المعلم الزيادة عليها ، إذا أذن له والد الصبي ذلك وعليه أن لا يزيد على العشرة استناداً لقوله صلى الله عليه وسلم : "لا يَضْرِب – لا يحله– أَحَدُكُمْ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ أَسْوَاطٍ إلا فِي حَدٍّ"[3] ، وحدد الفقيه سحنون الحالات التي يكون فيها الضرب كتأديبهم على اللعب اثناء الدرس أو غيابهم عن الدراسة ، كما أوصى بأن لا يضربهم في حالة الغضب ، ورأى بوجوب أن يكون للمعلم أدوات العقاب كالدَّرةِ والفَلْقَة[4] .

أما أبو الحسن علي بن القابسي فقد تحدث عن بعض مواصفات المعلم , وأساليبه في تعامله مع الصبيان منها مثلاً ضرورة أن يتحلى بالرفق استناداً لحديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

---

[1] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 76 (ظهر) . سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص 59 ، 63 .

[2] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 76 (ظهر) . سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص 59 ، 63 .

[3] وروي الحديث بصيغة أخرى في بعض كتب التخريج منها قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يُجْلَدُ – وفي رواية لا عُقُوبَةٌ – فَوْقَ عَشْرِ جَلَدَاتٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ " وهو حديث صحيح .سليمان السجستاني ، سنن أبي داود ،ج6, ص 541. ابن حنبل الشيباني المسند المصدر السابق ، ج25 ، ص 153 . الإمام البخاري ، الجامع المسند الصحيح ، ج8 ،ص 174 . جلال الدين السيوطي ، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ،ج3 ، ص 332 . وفيه رواية أخرى لابن ماجة يقول فيها " لا يُجْلَدُ أَحَدٌ فَوْقَ....." أنظر : ابن ماجة ، السنن المصدر السابق ، ج3 ، ص 625 . وفيه رواية رابعة يقول فيها عليه الصلاة والسلام : " لا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَضْرِبَ أَحَدًا فَوْقَ عَشْرَةِ أَسْواطٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ " . مجموعة من الشيوخ ، المسند الجامع لأحاديث الكتب الستة وموطأ الإمام مالك ، ج15 ، ص 625.

[4] محمد بن سحنون ، المصدر السابق ، ص ص 81 –82 . و الدرة هي السوط التي تصنع من جلد البقر ، أما الفلقة فهي عصا خشبية مثقوبة من طرفيها ، ويشد في ثقبيها بخيط يكون قوساً يُشَدُّ به على رجلي الصبي المعاقب حتى لا يحركها عند إيقاع الضرب على باطن قدميه . نفسه ص 93 . ووصف ابن القابسي الدرة ونبه بأنه يجب أن تكون رطبة مأمونة لئلا تؤثر أثر سوء أو ينتج عن استعمالها عواقب وخيمة وأن يتجنب المعلم ضرب رأس الصبي أو وجهه ، وأن لا يضرب بالعصا أو اللوح. علي بن القابسي، المصدر السابق، ص ص 144 ، 170 .

" اللَّهُمَّ مَنْ وُلِي مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَأَرْفِقْ بِهِ "[1] ، وقوله صلى الله عليه وسلم :" إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهُ ، إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءُ "[2] ، وتحدث ابن القابسي حتى عن ملامح وجه المعلم بأن لا يكون عبوساً ، بل استحسن أن يكون بشوشاً ، ولكن ليست بتلك البشاشة الممقوتة التي قد تفتح الباب بأن يتجرأ الصبي على المعلم ، وأبدى ابن القابسي نوعاً من التسامح في استخدام الضرب ، وحدد بأن العقوبة يجب أن تكون من واحدة إلى ثلاث أو إلى عشر كأقصى حد ، وحدد الحالات التي يستخدم فيها الضرب مثلاً : إذا أساء الصبي الأدب ، أو تثاقل عن الإقبال إلى المعلم إذا طلبه ، أو إذا تباطأ في حفظه ، أو أكثر الخطأ في حزبه أو أخطأ في كتابة لوحه من نقص الحروف وسوء تهجيه ، وقبح شكله للكلمات ، أو أخطأ في نقط الحروف ...الخ وقبل ضرب الصبي رأى ابن القابسي وجوب التنبيه له أولاً مرة بعد مرة ، فإن تغافل الصبي ولم يُفِد الكلام والاعذار والوعد والوعيد دون أن يشتمه المعلم أو يسبه ، وفي حالة إن تمادى الصبي بعد كل هذا يجوز للمعلم ضربه ويكرر ابن القابسي رأي ابن سحنون بأن لا يضربه وهو في حالة الغضب فيظلمه إن كان محسناً ، كما أجاز الزيادة في الضرب على العشر بحسب ما يقتضي الحال بعد استشارة ولي الصبي ، أو ناهز الاحتلام ، أو يكون سيء التربية ولم يؤثر فيه العقاب بالثلاث أو بالعشر[3] .

كما أعطى ابن القابسي حتى الصفة التي يكون فيها الضرب ، فشدد بوجوب أن يكون مؤلما، ولا يتعدى هذا الألم إلى التأثير المُشْنِع أو الوهن المضرِ على حد تعبيره ، ونبه بأن لا يكلف المعلم أحد الصبيان بضرب زميله وأن يتجنب المعلم ضرب رأس الصبي أو وجهه ،وهو الرأي الذي نقله عن ابن سحنون ، إذ ذكر بعدم جواز ذلك لأنه قد يصيب العين أو يضر بالدماغ ، ومن الضروري اختيار المواضع الملائمة من الجسم الأقل ضرراً لهذا حبب الضرب في الرجلين .[4]

---

[1] حديث صحيح ، وروى ابن حنبل الحديث بالصيغة التالية : " اللَّهُمَّ مَنْ وَلِي مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهُمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِي مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَأَرْفِقْ بِهِ ".ابن حنبل الشيباني، المصدر السابق، ج41 ، ص 171. الحميدي ، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم،ج4 ص 224. ابن الأثير ، جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ج4، ص81. جلال السيوطي ، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ، ج1 ، ص 231 .

[2] حديث إسناده صحيح. الحميدي(عبد الله بن الزبير)، **مسند الحميدي** ، تحقيق وتخريج حسن سليم الدَّاربي ، دار السقا ،ط1 ،دمشق 1996 ج1، ص 282. ابن حنبل , المصدر السابق ،ج40 ،ص109.الإمام البخاري(محمد بن إسماعيل) ، **الأدب المفرد** ،تحقيق سمير بن أمين الزهيري ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط1، 1998 ،ج1 ،ص 235 . ابن ماجة ، المصدر السابق ،ج4 ،ص647. الترمذي ، نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ج1 ، ص 161 .

[3] علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص ص128- 129 .

[4] محمد بن سحنون ، المصدر السابق ، ص 91 . علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص30 .

ولقد أقر ابن الجزار القيرواني (ت 369هـ/ 980م)[1] بأن التأديب – الضرب- في بعض الحالات قد ينقل الطبع المذموم للطفل إلى الطبع المحمود ، ونبَّه بأنه لابد في هذه الحالات من استخدام الضرب لتقويم عادات وطبائع الصبيان ذوي الأخلاق الفاسدة قبل أن تتمكن في طبائعهم الأخلاق المذمومة فيقول في ذلك :" فمن عوَّد ابنه الأدب والأفعال الحميدة والمذاهب الجميلة في الصغر حاز بذلك الفضيلة ونال المحبة والكرامة وبلغ غاية السعادة ، ومن ترك فعل ذلك وتخلى عن العناية به أداه ذلك إلى عظيم النقص والخساسة ، ولعله يعرف فضيلة ذلك في وقت لا يُمكنه تلافيه واستدراك ما فاته منه فتحصل له الندامة التي هي ثمرة الخطأ "[2] .

ويشرح ، ويحلل الطبيب القيرواني ابن الجزار نفسيات ، وطبائع الصبيان ، والأطفال ، ويبين أهمية هذه المرحلة في تكوين شخصية المتعلم ، لهذا يلح على المربين والمعلمين بضرورة الاهتمام والعناية بالتربية السليمة في هذه المرحلة فهو يعتبر أن الصغير في هذه المرحلة من العمر أحسن مؤاتاةً وقبولاً لما يقدمه وما يرسمه له المربي أو المعلم في تربيته وتعليمه دون إغفال أهمية وتأثير طبائع المتعلم ودور الغريزة الفطرية في ذلك ، فيذكر أنه قد نجد من الصبيان من يقبل الأدب قبولاً سهلاً ، كما قد نجد من الصبيان الأكثر حياءً وخجلاً ،كما أن هناك من لا يستحي وهناك من يُعنى بما يُعلمه ويتعلمه بحرص واجتهاد ، وقد نجد منهم من يمل التعليم ويبغضه، كما أننا قد نجد من ذوي العناية بالعلم الذي إذا مُدح تعلم أخذته لتعلم الكثير من العلم ، ومنهم من لا يتعلم إلا إذا عاتبه المعلم أو وبَّخه[3].

---

[1] هو أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد ، يكنى بأبي جعفر ، طبيب بن طبيب وعمه كذلك طبيب ، عالم في النبات والأدوية ، مؤرخ وأديب من أهل القيروان ، له باع في مختلف العلوم ،كان لا يأخذ مقابلاً مادياً على علاجه لمرضاه ، فاضل السيرة منقبضاً عن الملوك ، توفي بالقيروان ،ومن مؤلفاته في الطب كتابه " زاد المسافر وقوت الحاضر" في مجلدين ووصفه ابن صاعد الأندلسي(ت462هـ/ 1069م) بالكناش ، وكتابه "اعتماد" في الأدوية المفردة ، وكتابه " البغية" في الأدوية المركبة ، وكتابه " العدة لطول المدة" الذي وُصف بأنه من أكبر مصنفاته في الطب ، وله مصنفات في التاريخ ككتابه " التعريف بصحيح التاريخ "، وهو تاريخ مختصر تناول فيه وفيات علماء زمانه وبعض أخبارهم ، وكتابه " أخبار الدولة" تحدث فيه عن ظهور المهدي والدولة العبيدية بالمغرب ، وله مؤلفات في البلاغة ، ورسائل في النفس من خلال علماء اليونان الأوائل .ابن جلجل الأندلسي (سليمان بن حسان)، **طبقات الأطباء والحكماء** ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، بيروت ، 1985 ، ج1 ، ص 88 وما بعدها. ابن صاعد الأندلسي، المصدر السابق ، ص ص 61 – 62 . ياقوت الحموي (شهاب الدين بن عبد الله)، **معجم الأدباء ارشاد الأريب في معرفة الأديب** ، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، ج1 ، ص ص 187 – 188 . ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أحمد بن القاسم) ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، شرح وتحقيق نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (د ، ط) (د ،ت) ، ص ص 481-482 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 85 – 86 .

[2] ابن الجزار القيرواني (أحمد بن إبراهيم) ، **سياسة الصبيان وتدبيرهم** ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ، تونس ، 2008 ، ص 137 .

[3] نفسه ، ص 136 .

ويستخلص ابن الجزار أن تأديب الصبيان يُصنف إلى ثلاثة نماذج حسب طبائعهم ونفسياتهم وهي[1]:

01 – هناك من الصبيان من يُؤَدب بالعقوبة والضرب ، وهذا إن كانت طبائعهم مذمومة .

02 – ومنهم من يكون مطبوعاً على الحياء وحب الكرامة والألفة ، محباً للصدق ، فإن تأديبه يكون سهلاً إما بالمدح عند الإحسان ، أو الذم والعتاب عند الإساءة ، فإنهما يبلغان منه ما لا تبلغه العقوبة بالضرب ؛ أي أن الوسيلة التأديبية شفوية فقط مدح أو ذم بدون ضرب .

03 –كما يوجد من الصبيان من يكون قليل الحياء ، مستخفاً للكرامة ، قليل الألفة ، محباً للكذب ووجب في هذا النوع من الصبيان التأديب بالتخويف والترهيب وإذا لم يصلحا فعندئذ يُستخدم الضرب .

ونبّه ابن الجزار القيرواني بأنه على المؤدب سواء كان الأب أو الأم أو المعلم أن يتفقد ويراقب ويُقوِمُ سلوك الصبي وحركاته وسكناته حيث يقول :" وينبغي أن يُتفقد الصبي في كلامه وقعوده بين الناس وحركته ونومه وقيامه ومطعمه ومشربه ، ويُلْزَم في جميع ذلك ما ألزمه العقلاء أنفسهم حتى صاروا وأفعالهم طبيعة من طبائعهم[2] .

ومما سبق ذكره يتضح جليًّا الاختلاف في الرأي بين الفقيه عبد الملك بن حبيب الذي لم يبح ضرب الصبي من جهة ، وابن سحنون وابن القابسي الذين أباحا الضرب وحددا له شروطه وحالاته من جهة أخرى على الرغم من انتمائهم كلهم لمدرسة واحدة هي المدرسة الفقهية المالكية ، والطبيب القيرواني ابن الجزار الذي أعطى حالات التأديب بالتأنيب والعتاب وحالات التأديب بالضرب حسب طبائع ونفسيات الصبي المتعلم .

3) المدح والتشجيع : احتوت رسالة ابن حبيب على جانب مهم في العملية التربوية له علاقة بالجانب النفسي للصبي الذي يتأثر بالكلام الحسن والمدح والثناء والترغيب من طرف المعلم له ، مما يؤثر إيجاباً على التحصيل الدراسي، وهو ما نبه إليه الفقيه عبد الملك بن حبيب في قوله:" واجعل أدبك لهم مدحاً يزدادون رفقاً وشوقاً "[3].

4)– اليوم والأسبوع الدراسي : لم يغفل الفقيه عبد الملك بن حبيب في رسالته للحديث عن اليوم الدراسي والبرنامج الاسبوعي ، وتحديد العطلة الأسبوعية ، أما اليوم الدراسي فقد حدده كالآتي :

1)من **الصباح الباكر** إلى **وقت الضحى**: لدراسة وحفظ القرآن الكريم ،ومحو الألواح[4] بعد العرض[5] على المعلم.

---

[1] نفسه ، ص ص 139 – 140 .

[2] نفسه ، ص 140 .

[3] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 76 (ظهر) . سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص ص 59 ، 63 .

[4] من خلال رسالة ابن حبيب يتضح أن عادة أهل الأندلس لتعليم القرآن الكريم في مرحلة الكتاتيب يتم على الألواح .

[5] العرض هو استعراض الصبي للمعلم ما حفظه عن ظهر قلب مما كتبه على اللوح من آيات أو سور القرآن الكريم ، وله أوقات معلومة لذلك كمساء الأربعاء وصباح الخميس . محمد بن سحنون ، المصدر السابق ، ص ص 90 ، 93 .

2)عند **الضحى** : استراحة قصيرة لتناول الفطور ثم يرجع الصبي إلى الكُتَّابْ[1] .

3)من **الضحى** إلى ما **قبل الظهر** : للكتابة، وتعليم الخط[2] .

4)**قبل الظهر** : موعد الغداء فيسمح للصبيان الانصراف إلى بيوتهم .

5)**وبعد الظهر** يعود الصبيان للكُتَّابْ لدراسة بقية العلوم كالشعر والحديث .

6)**وفي المساء – عند العصر**– استراحة خفيفة حسب قصر النهار أو طوله .

ولقد أورد الفقيه ابن حبيب ذلك البرنامج في قوله : " وتلطفهم في النهار ثلاثة أوقات : بعد المحو للإفطار وقبل الظهر للغداء وبعض الراحة ومع عشية النهار ، وذلك بحسب قصر النهار وطوله ، ويوسع عليهم في طوله ويضيق عليهم في قصره "[3] .

وأما الأسبوع الدراسي فهو يبدأ من صباح يوم السبت إلى يوم الخميس ، أما يوم الجمعة بأكمله فهو عطلة كما صرح بذلك في قوله : " وأطلقهم يوم الخميس بعد كتبهم للألواح وإصلاحها وتجويدها ، وليس عليهم رجوع إلى المكتب إلا صبيحة السبت " [4] .

أما المربي ابن سحنون فيجعل عشية الأربعاء أو يوم الخميس كاملاً من نهاية الأسبوع الدراسي لعرض ما حفظه الصبيان من القرآن الكريم ، ويتفق مع ابن حبيب في تخصيص يوم الجمعة كيوم راحة فيُؤذن للصبيان بعدم المجيء حتى صبيحة يوم السبت [5].

---

[1] يرى ابن سحنون بأنه لا يجوز للمعلم منع الصبي إذا استأذنه للذهاب إلى بيته للطعام أو الشراب ،لكنه عليه أن ينبهه بضرورة العودة سريعاً إلى الكُتَّابْ، ويُعلق ابن القابسي على ذلك بأنها من أوجه الرفق بالصبيان.نفسه ،ص 91. علي بن القابسي، المصدر السابق ، ص 130.

[2] ويوافق هذا رأي ابن سحنون وكذلك ابن القابسي،إذ يجعل تعليم الكتابة من وقت الضحى إلى وقت الانقلاب(أي قبل وقت نصف النهار) ويضيف كل من ابن سحنون وابن القابسي بأنه على المعلم بث روح المنافسة بينهم حول من يجيد الكتابة وحسن الخط أو من يحفظ أولاً وغيرها. محمد بن سحنون ، المصدر السابق ، ص ص 91 ، 93 – 94 . علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص ص 131 ، 135 .

[3] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 76 (ظهر) . سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص 59 ، 64 .

[4] نفسه . سعيد اعراب ، المرجع السابق ،ص59 ،60 ،65 .وهو ما يطابق رأي ابن القابسي .أنظر علي بن القابسي، المصدر السابق، ص 135 .

[5] محمد بن سحنون ، المصدر السابق ، ص 93 . علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص ص131 ، 135 . كما تطرق ابن سحنون إلى أيام العطل الأخرى كأيام العيد مثلاً ، فذكر بأنه يجوز للمعلم بأن يأذن لهم في عيد الفطر يوماً واحداً ، ولا بأس بأن يتعدى ذلك إلى ثلاثة أيام أما عيد الأضحى فقد حدد عطلته من ثلاثة إلى خمسة أيام ، ونقل ابن القابسي عنه ذلك لكنه أضاف أن عطلة ثلاثة أيام الخاصة بعيد الفطر فتشمل يوماً قبل العيد ويوم العيد ، وثاني أيام العيد ، أما عطلة خمسة أيام الخاصة بعيد الأضحى فتتمثل في يوم قبل النحر ، والبقية هي يوم النحر وثلاثة أيام التي بعده ، كما توجد عطلة أخرى للصبيان من أجل الختم أو ما تسمى الخِتْمَة والتي حددت بيوم ونحوه ،ولا يجوز للمعلم أن يأذن لهم بأكثر من ذلك إلا بإذن من أبائهم كلهم في حالة ما إذا كان يتلقى أجراً على التعليم . محمد بن سحنون ، المصدر السابق ،ص89 . علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص 136 .

ويتفق ابن القابسي مع رأي عبد الملك بن حبيب في تحديد الأسبوع الدراسي ، فقد ذكر بأن على المعلم أن يصرف الصبيان ابتداء من يوم الخميس كما جرى عليه عرف المعلمين ، ويخصص مساء الأربعاء لدراسة الصبيان أحزابهم وعرضهم على معلميهم , وكذلك صباح يوم الخميس ، ثم يأتي وقت الكتابة من ضحى يوم الخميس إلى ما قبل يوم منتصف النهار ،وهو وقت انتهاء الدراسة الصباحية ، ثم يرجعون إلى الكُتَّابِ بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر ، وهو وقت سماه ابن القابسي بالخِيار بمعنى التسابق في العلم ، وذكره في هذا الموضوع بمعنى التنافس بين الصبيان في حفظ القرآن الكريم ، وفي الكتابة ، ثم ينصرف الصبيان إلى بيوتهم حتى يوم السبت ، وهو بداية الأسبوع الدراسي فيبكرون إلى معلميهم [1].

هذا أهم ما جاء من وصايا وأفكار تربوية وتعليمية في رسالة الفقيه عبد الملك بن حبيب إلى معلم أولاده ، وقد ذكر الباحث المغربي سعيد اعراب بأن الفقيه ابن حبيب استقى أكثر آرائه في هذه الرسالة من وصية عتبة بن أبي سفيان(ت44هـ/664م)[2] .

ويُذكر أن للفقيه عبد الملك بن حبيب الكثير من الآراء والمواقف حول بعض القضايا الأساسية التي تتعلق بالتربية والتعليم موزعة وموجودة في ثنايا ، ومتون بعض الكتب الأخرى ، منها ما أورده الفقيه القيرواني محمد بن سحنون في كتابه آداب المعلمين ، وكذلك ما صرح بها أبو الحسن علي بن القابسي في كتابه الرسالة المفصلة في أحكام المعلمين والمتعلمين ، ومن أهم القضايا والفتاوى التي صدرت من الفقيه عبد الملك بن حبيب في هذين المصنفين ما يلي :

المطلب الثاني : موقف عبد الملك بن حبيب من بعض القضايا في التربية والتعليم :

أ)- موقفه من الاجارة على التعليم : صرح الفقيه عبد الملك بن حبيب بموقفه من بعض القضايا التي كانت تشغل بال المربين والمعلمين في ميدان التربية والتعليم ، منها مثلاً قضية أخذ الأجر على التعليم ، حيث أباح استئجار المعلم لتعليم الشعر مثلاً أو النحو وكتابة الرسائل وأخبار العرب وأيامها والتعريف بالرجال وذوي

---

[1] علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص ص 135 – 136 .

[2] أمير مصر ، عينه عليها أخوه الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-680م) فقدمها سنة 43هـ/663م ، وخرج إلى الاسكندرية مرابطاً فابتنى داراً في حصنها القديم ، وبها توفي ، وُصف بأنه كان فصيحاً ، عاقلاً ، من فحول بني أمية . خير الدين الزركلي المرجع السابق ، ج4 ، ص200 . ولم ينقل ابن حبيب عن عتبة بعض المواد الأخرى التي أدرجها في هذه المرحلة كقراءة ومطالعة سير وأخبار الحكماء وأخلاق الأدباء ، وتعليمه بعض الآداب كعدم مخالطة النساء ، وغيرها .أنظر: الجاحظ (عمرو بن بحر)، **البيان والتبيين** ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج2 ، ط7 ، 1998 ، ص ص 73 – 74 . سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص 60 .

البطولات والمروءات[1] ، ولقد تحفظ من بعض مواد الشعر فقال :" إلا أني أكره من تعليم الشعر وتعلُّمِه وروايته الكبير والصغير ما فيه ذكر الحَمِيَّة والخَناءِ أو قبيح الهجاء "[2] ؛ أي أباح الاستئجار على تعليم الشعر العفيف .

ويوافقه ابن سحنون في جواز أخذ المعلم الأجر والمقابل المادي للتعليم ، فقد أورد قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود قوله : " ثلاث لا بد منهم : لا بد من أمير يحكم بينهم ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً ، ولابد للناس من شراء المصاحف وبيعها ، ولولا ذلك لقل كتاب الله ، ولابد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجراً ولولا ذلك لكان الناس أميين"[3]، واستند في حديث الإمام مالك لما قال بأنه لابأس بما يأخذ المعلم على تعليم القرآن ، وإن اشترط شيئاً كان حلالاً جائزاً[4] .

و لقد وضع ابن القابسي مقارنة بين آراء الفقيهين سحنون بن سعيد التنوخي نقلاً عن ابنه محمد وبين عبد الملك بن حبيب حول أي المواد تصح الإجارة عليها ؟ فقال : " إنما قصد ابن حبيب إلى جواز الاجارة على تعليم الشعر ، و ما ذكر معه دون تعلم القرآن والكتابة وهو الذي خالف فيه قول ابن سحنون (...) وكذلك ذكر ابن حبيب يعلمه من الشعر ما يخالفه فيه ابن سحنون[5] ، ولسحنون : لا بأس بأن يستأجر من يعلم ولده الخط والهجاء"[6] ، أو يستأجر من يعلم القرآن كله ، أو نصفه ، أو ربعه بأجرة معلومة [7].

أما موقف ابن القابسي من الإجارة فقد أجاز أخذ المعلم الأجر على تعليم الصبيان بشرط أن يتفرغ لهم كلياً "ويحبس نفسه لهم ، ويترك التماس معايشه وتصرفه في مكسبه وسائر حاجياته"[8] ، ومن واجباته الاجتهاد في

[1] علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص 115 .

[2] نفسه .

[3] محمد بن سحنون ، المصدر السابق ، ص 76 .

[4] نفسه ، ص 77 .

[5] يُذكر بأن ابن سحنون لم يكتف بعدم جواز أخذ الأجر على تعليم الشعر والنحو ، بل حتى عدم جواز بيع كتبهما ، وذكر بأن بعض أهل الأندلس أباحوا الإجارة على تعليم الفقه والفرائض والشعر والنحو بحجة أن طلب تلك العلوم مثل طلب القرآن الكريم ، فانتقد ابن القابسي هذا الرأي ورد عليه بأن الإمام مالك لم يجز الإجارة على تعليم الفقه والفرائض ونفى تشبيه طبيعة تلك المواد ونية طلبها بالقرآن الكريم، فالقرآن له غاية ينتهي إليها (أي مادته معلومة ومحددة) ،أما المواد الأخرى فليست لها نهاية تنتهي إليها (أي أن موادها مجهولة النهاية وغير محددة) والقرآن هو المنزه من الخطأ ، وهو الحق الذي لاشك فيه ، أما الفقه مثلاً فلا يستظهر مثل القرآن فهو لا يشبهه ، ولا غاية له ، ولا أمد ينتهي إليه. محمد بن سحنون ، المصدر السابق ، ص 108 وما بعدها . علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص 111 .

[6] نفسه ، ص117 . واستند ابن سحنون في جواز الإجارة على تعليم الخط والهجاء إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفادي بالرجل يُعّلم الخط . محمد بن سحنون ، المصدر السابق ، ص 108 .ولقد أجاز محمد بن سحنون بأن يأخذ المعلم الأجر على تعليم القرآن ، أما المواد الأخرى فلم يجز ذلك .نفسه ، ص 86 .

[7] نفسه ، ص 107 .

[8] علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص 98 .

تعليمهم مقابل الاجر الذي يتقاضاه[1] ، كما تحدث ابن القابسي عن الحصص التعويضية في حالة ما إذا اشتغل عن التعليم بأمر ما في أقل من يوم ، فإذا كانت مدة هذا الاشتغال تعدت اليوم كاملاً أو أكثر فعليه أن يقتطع ذلك من أجره[2] .

ب)- رأيه في الحذقـة[3] :

استند رأي الفقيه عبد الملك بن حبيب في موقفه من الحذقة على فتوى الإمام مالك لما سئل عنها ، فقال بانه أجاز بأن" يشارط المعلم في الغلام على الحذقة ظاهراً أو نظراً ، سَمَّيا في ذلك أجلاً ، أو لم يُسمَّيا " [4] ، ويعني ذلك أنه أجاز بأن يتفق والد الصبي مع المعلم لتعليمه القرآن الكريم حفظاً عن ظهر قلب دون النظر في النص المكتوب ، وهو ما قصد به ظاهراً ، أما نظراً فالمقصود به قراءة الصبي القرآن الكريم في المصحف ، ويعرف حروفه وإعرابه ، ويعرف الصبي ضبط الهجاء والشكل ، ويُحسن الخط[5] .

وأورد ابن القابسي بعض آراء عبد الملك بن حبيب حول بعض الحالات التي تجب فيها الحذقة ، ومتى لا تجب فمنها[6] :

- تكون الحذقة واجبة ، ولازمة على والد الصبي في **حفظه** القرآن الكريم .
- ولا تجب الحذقة على الوالد إذا اشترط على المعلم بأن لاحذقة عليه سوى الخَراجِ[7] ، فبهذا الشرط تسقط الحذقة على الوالد ، أما إذا سكتا عنها فهي تجب ، إذاً فاختلاف الحكم هو في الشرط بين والد الصبي والمعلم .
- وإذا أراد الرجل أن يُخرج ولده قبل الحذقة ، فإنه إذا اشترطها المعلم مثلاً كأن يقول : " أُعلِّمُهُ على درهم في كل شهر أو في كل شهرين ، وعلى أن لي في الحذقة كذا كذا "[8] ، في هذه الحالة يمكن للأب أن يُخرج ابنه متى

---

[1] نفسه ، ص 126 . وإذا مرض المعلم مثلاً أو وجد ما يشغله عن التعليم ، فإذا كانت المدة قصيرة لهذا الانقطاع فليستأجر لهم معلماً بمثل كفايته ، إما إذا طالت المدة فلآباء الصبيان النظر في ذلك ، ويبدوا أن موقف ابن القابسي هذا قد أخذه عن ابن سحنون . محمد بن سحنون المصدر السابق ، ص ص 90 -91 . علي بن القابسي ، المصدر السابق ، 142- 143 .

[2] نفسه ، ص 146 .

[3] استخدم ابن القابسي هذا المصطلح للدلالة على مفهومين ، الأول فيعني به أجرة المعلم مقابل حفظ الصبي للقرآن الكريم ، أما الثاني فلا يعني المقابل المادي ، وإنما للدلالة على حفظ الصبي للقرآن الكريم كله . علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص 124 ، 155.

[4] نفسه ، ص 124 .

[5] محمد بن سحنون ، المصدر السابق ، ص 96 . علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص 149 .

[6] أورد ابن القابسي أهم الحالات التي تجب أو تسقط فيها الحذقة حسب رأي عبد الملك بن حبيب ، ثم أضاف رأيه فيها . نفسه ، ص 158 وما بعدها .

[7] بمعنى ما يخرجه الولي للمعلم من مال غير جُعْل الختمة . نفسه ، ص 157 .

[8] نفسه ، ص 158.

شاء ، وتجب عليه الحذقة بقدر ما قرأ الصبي ، ولو لم يقرأ من القرآن الكريم إلا الثلث أو الربع ، وعليه حساب حق المعلم في ذلك ، أما إذا شارط الوالد على المعلم بأن يُحذقَه وله كذا وكذا ، ففي هذه الحالة لا يمكن إخراج الصبي إلا أن يتم حذقه في المسمى الذي اشترطا عليه .

ويُشدد الفقيه عبد الملك بن حبيب على ضرورة التسمية في الحذقة ، أي أن تحدد القيمة والمقابل المادي عن حذق الصبي ، حيث صرح بذلك بقوله : " لا يجوز للمعلم إذا اشترط الحذقة مع الخراج إلا أن يسمي لها شيئاً معلوماً ، فإما أن يقول : أعلمه كل شهر بدرهم ، على أن الحذقة لي واجبة ، وسكت عن تسميتها ، فلا يجوز ذلك إذا اشترطها ، فلا بد لها من تسمية "[1] .

ويُضيف ابن القابسي لما سبق ذكره بأنه لا بد من تخصيص حصة مالية للمعلم نظير اجتهاده في الختمة **إذا كَمُلَتْ** ، أما إذا أخرج الأب ولده ولم يستكمل الختمة ، وقد تعلم منها شيئاً فوجبت الاجارة للمعلم بحسب ما تعلم الصبي[2] .

وذكر الفقيه عبد الملك بن حبيب نقلاً واستناداً عن فتوى للإمام مالك يقول فيها : " لا بأس بأخذ الأجر على تعليم الصبيان الكتابة والقرآن ، والاشتراط على ذلك سنة أو سنتين ، فإذا كان ذلك لم يكن لأبي الغلام أن يُخرجه حتى يستوفي الشرط ، وإذا لم يكن شرط مسمى فلا بأس أن يخرجه إذا شاء وعليه قدر ما علَّمه "[3] .

ومن خلال النص السابق يتضح بأنه إذا اشترط والد الصبي مع المعلم على تعليم مادة معينة وفي وقت محدد معلوم فلا يجوز لوالد الصبي إخراج ابنه ، أما إذا لم يسميا الوقت ولم يحددانه في أجل معلوم فيجوز عندئذ لوالد الصبي – ان شاء – إخراج ابنه مع إعطاء المعلم حقه المادي نظير ما تعلمه الصبي عنده .

وينتقد ابن القابسي الفقيه ابن حبيب بطريقة غير مباشرة فيقول أن رأيه نظري فقط ،أما عملياً فهو لم يُطَبِّقَهُ إذ بعد عرضه لرأي عبد الملك بن حبيب يعلق فيقول :" هذا هو رأي ابن حبيب ، ولكنه لم يستعمله في جميع وجوه المسألة "[4]،ويُضيف على الفتوى السابقة أن أحكام إخراج الصبي قبل حذقه ترجع بحسب ما عليه عادة الناس وما اشتهر بينهم ، وهذا الرأي استناداً لما قاله الامام مالك بن أنس[5].

---

[1] نفسه ، ص 159 .
[2] نفسه ، ص 160 .
[3] نفسه ، ص ص 160-161 .
[4] نفسه ، ص ص 161 ، 165 .
[5] نفسه ، ص 163 .

ج)– موقفه من الهدايا التي تُقدم للمعلم وما يجب فيها :

ذكر أبو الحسن علي بن القابسي رأي عبد الملك بن حبيب حول جواز أو عدم جواز تقديم الصبيان الهدايا للمعلم مثل هدايا العيد ونحوها ، فذكر أن ابن حبيب قال : " ولا يجب للمعلم الحكم بالأخطار[1] التي يأخذونها من الصبيان في الأعياد "[2] إلا من تطوع ،فمن شاء فعل أو لم يفعل رغم أنه استحسن ذلك ، وجعله من فضل وكرم أباء الصبيان للمعلمين ، ويُعقب ابن القابسي على رأي ابن حبيب ،ويضيف بأنه إذا كان هذا غير معروف عند عامة الناس فيكون الحكم حسب رغبة آباء الصبيان أو الصبيان في حد ذاتهم ، أما إذا كان فاشياً ومعروفاً لدى العامة فهنا تجب هدية العيد للمعلم على أولياء الصبيان وقد شبهها بالهبة والمكافأة[3] .

وكرّه ابن حبيب تقديم الهدايا للمعلمين في أيام أعياد النصارى ، فذكر أنه " لا يحل لمن فعله ولا لمن يقبله من المعلمين لأنه تعظيم للشرك وأيام أهل الكفر بالله "[4] .

وذكر أن المسلمين يعرفون حق معلميهم في العيدين (الفطر والأضحى) ، أو إذا دخل رمضان ، أو قدم غائب منهم من السفر، فيعطون له الهدايا والهبات والمكافآت ، أما أبو الحسن بن القابسي فيقول أن المشهور والمعروف لدى عامة الناس في تقديم الهدايا لمعلمي صبيانهم أن لا تكون إلا في العيدين فقط ، وفيما يخص رمضان والقدوم من السفر ، وعاشوراء ، وغيرها فهو من عمل أهل الخاصة فقط [5].

---

[1] وهي الأحراز ، بمعنى ما يقدمه صبيان الكُتَّاب لمعلميهم في الأعياد من هدايا موضوعة في أحراز أي صُرُرٍ . نفسه ، ص 152 .

[2] نفسه .

[3] نفسه ، ص ص 139 ، 152

[4] نفسه ، ص 153 .

[5] نفسه ، ص ص 153 – 154 .

د)–رأيه في الختمة[1] ، ومتى تجب ؟

ناقش الفقيهان سحنون بن سعيد التنوخي ، وعبد الملك بن حبيب السلمي مسألة الختمة ومتى تجب ؟ فإذا كانت الختمة المعروفة ، وهي حفظ القرآن الكريم كله عن ظهر قلب لا جدال ولا نقاش فيها ، يبقى الاشكال في ختمة النصف والثلث والربع ، فالفقيه سحنون يرى بأنها لا تلزم لا في حفظ نصفه ولا ثلثه إلا إذا تطوع بذلك والد الصبي بأن يعطي عطية في إحدى الختمات سواء الثلث أو الربع أو النصف تطوعاً واجباً عليه وقضى سحنون بأن الختمة تكون على حسب قدرة واستطاعة ولي الصبي ويسره[2] .

ولقد طرحت قضية على الفقهاء مفادها : هل إخراج الولي لابنه الصبي من الكُتَّابْ وقد قارب الختمة ، وكانت الختمة المتفق عليها هي : في كل شهر ، تلزم الختمة في هذه الحالة أم لا ؟[3]

فيرى سحنون أنه كالذي قضى بالختمة سواء أخرجه أو تركه ، هذا إذا بلغ الصبي في حفظه من القرآن الكريم الثلثين ، أو الثلاثة أرباع ، أما إذا بلغ إلى سورة يونس فلا يقضى له بشيء[4] .

أما بن حبيب فقد رأى بأنه إذا لم يشترط المعلم الختمة وكذلك أبو الصبي بسقوطها عنه ، وأراد أبو الصبي أن يُخرجه قبل فراغه منها وكانت الختمة قد بقي منها الأمر اليسير مثل السور القليلة فالحذقة واجبة للمعلم كلها إذا كان الصبي يحفظ كما سبق ذكره ، أما إذا بقي من الحذقة كالسدس من القرآن الكريم ونحوه ، فيمكن للولي أن يخرجه إن شاء ولا تجب عليه الحذقة[5] .

---

[1] الختمة أي الانتهاء من حفظ القرآن الكريم إما بجزء منه ، وإما جميعه ، وقد يوظف هذا المصطلح للمقابل المادي أو العطية أو الهدية أو المكافأة التي يقدمها والد الصبي لمعلم ابنه جزاء تحفيظه القرآن الكريم كله أو بعضه ، وذكر ابن سحنون أن أباه كان يرى أن الختمة لا تكون لازمة إلا إذا أتم حفظ القرآن الكريم كله ، بينما المتعارف عليه أنها تكون ختمة إذا أنهى الصبي المتعلم ربع القرآن فتسمى ختمة الربع ، وهكذا مع الثلث والنصف ، كما هنا الختمة التي تكون عند ما يحفظ الصبي القرآن الكريم كله ، ولقد استخدم ابن القابسي مصطلح الختمة للدلالة على حفظ القرآن ، وفي بعض الأحيان للأجر المستحق للمعلم في تعليمه الصبيان ، فذكر أن الختمة واجبة للمعلم على وجهين : الأولى ، وهي أن يستظهر الصبي القرآن الكريم حفظاً من أوله إلى آخره فهذا الذي تجب له الختمة ، وتكون على قدر يسر الأب وعسره وعلى قدر ما فهمه الصبي مما علّمه إياه المعلم وحسب ما هم معمول به لدى عامة الناس ، أما الوجه الآخر فهو أن يكون الصبي قد استكمل قراءة القرآن الكريم في المصحف نظراً لا يخفى عليه شيء من حروفه مع فهم الصبي من ضبط الهجاء والشكل وحسن الخط هذا إذا لم يشترط المعلم للختمة جُعْلاً مسمى أما إذا شرط ذلك كان له ما شرط إذا ما حذق الصبي ما اتفق عليه . محمد بن سحنون ، المصدر السابق ، ص ص 77 ، 86 .علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص 149 وما بعدها .

[2] محمد بن سحنون ، المصدر السابق ، ص 86 . علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص ص 151 – 152 .

[3] الختمة في هذا الموضع بمعنى الحذقة نظير حفظ الصبي ، بمعنى أجرة المعلم المستحقة كل شهر .

[4] علي بن القابسي ، المصدر السابق ، ص 154 .

[5] نفسه ، ص 155 .

وفي ختام عرض ،ودراسة نظرية عبد الملك بن حبيب التربوية التعليمية التي أفردها في رسالته إلى معلم أولاده وكذلك آرائه ومواقفه من بعض القضايا التربوية والموجودة في بعض كتب فقهاء القيروان يتضح أن عبد الملك بن حبيب لم يكن مجرد ذلك الفقيه الذي لا يخرج عن إطار إصدار الفتاوى والنوازل الفقهية فمن خلال أفكاره تبين أن له باع وتجربة في ميدان علم النفس التربوي وتقويم سلوك الناشئة وتعليمها ،فقد نبّه قبل تعليم الصبيان إلى ضرورة مراعاة استقامة شخصية المعلم أولاً وما لذلك من تأثير في نفسية وبناء شخصية المتعلم سلباً أو إيجاباً ،كما قدم منهجاً تربوياً قويماً ضمن فيه مواد الدراسة ، وأساليب تعامل المعلم مع الصبيان ، وناقش في سرده لآرائه بعض قضايا عصره التربوية كقضية التأديب والعقوبة والضرب، وقضية الحذقة وأجر المعلم ، وبيّن مواطن جواز ذلك من عدمه ولم يغفل على تبيان التقسيم اليومي للتعلم والأسبوع الدراسي ، وتحدث حتى عن الهدايا والعطايا التي يقدمها الصبيان وأولياؤهم للمعلمين .

ومن هنا تكمن أهمية رسالة ابن حبيب وآرائه التربوية بالنسبة لموضوع الدراسة بأنها تعبر عن رأي ، ونظرة أحد معلمي عصر الإمارة في الأندلس ، فهذه الآراء والمواقف التي أبداها ابن حبيب تعطي صورة عن ظروف وأحوال التربية والتعليم في مرحلة الكُتّاب في هذا العصر الذي عاشه الفقيه عبد الملك بن حبيب .

المبحث الثاني : آراء الفقيه ابن حزم الأندلسي(ت 456هـ/1063م)[1] في التربية والتعليم :

على الرغم من تعدد المصادر التي ذكر فيها ابن حزم آرائه ونظريته التربوية ، وطرق التعلم وما ينبغي في ذلك للعالم والمتعلم على حد سواء ، إلا أن الغالب العام في تلك المصادر أنها تعبر بالدرجة الأولى عن أوضاع التربية

[1] هو العالم الموسوعي ، الفقيه الظاهري، الحافظ ، المتكلم ، الأديب ، عالم الأندلس في عصره علي بن أحمد بن سعيد ، يكنى بأبي محمد، ولد بقرطبة سنة 384هـ/ 994م ، أصله من الفرس ، نشأ في رفاهية ، إذ كان والده من كبار أهل قرطبة وأحد وزراء الدولة العامرية ، كما اشتغل وزيراً في شبابه ، ثم زهد فيها ، وتفرغ للتأليف ، كان متفنناً في علوم جمة ، متواضعاً، وصف بأنه أجمع أهل الأندلس علماً وأوسعهم معرفة خاصة في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار وعلم الأديان ، وصفه صديقه ومعاصره الحميدي بقوله : " وما رأينا مثله رحمه الله فيما اجتمع له مع الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين (...) وكان له في الآداب والشعر نفس واسع وباع طويل ، و ما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه وشعره كثير "، واجتمع له من مؤلفاته نحو اربعمائة مجلد تحتوي على ثمانين ألف ورقة ، ومن بين مؤلفاته على سبيل المثال لا الحصر "الإحكام في أصول الأحكام " ، " الفصل في الملل والأهواء و النحل" الذي به أسس علم الأديان المقارن ، وكذلك كتاب طوق الحمامة الذي يعد دراسة في علم النفس التربوي، وفي نفس الوقت هي دراسة أدبية لما تحوي من أشعار، وألف كذلك رسالة في فضائل أهل الأندلس، "الإجماع ومسائله " ، " في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض" ...الخ . الحميدي ، المصدر السابق ، ص 308 وما بعدها . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 543 وما بعدها . ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك)، **الصلة**، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني القاهرة ، بيروت ،ط1 ،ج2 ،1989، ص ص 605 – 606 . شمس الدين الذهبي (محمد بن أحمد) ، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق وإخراج وتعليق شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، ط10 بيروت ، 1994 ، ج18 ، ص 184 وما بعدها .

والتعليم في الأندلس في العصر الذي عاشه ابن حزم وما قبله ، كما ضمن في تلك المصادر آرائه التجديدية وما ينبغي – في نظره- أن تكون عليه حال سياسة التربية والتعليم في الأندلس .

وما يتميز به ابن حزم من أفكار تربوية أنه تتبع بنظريته المتعلم في جميع مراحله التعليمية من دخوله الكُتَّابْ وهو في سن الخامسة من عمره ، وتدرجه في التعليم إلى أن يصبح عالماً متخصصاً يعقد وينشط المجالس التعليمية ويناظر في الحلقات العلمية [1] .

ومما يلاحظ في حياة ابن حزم أنه عايش عصرين من تاريخ الأندلس وهما أواخر عصر الخلافة وجزء لا بأس به –إن لم نقل معظم – من عصر ملوك الطوائف ، ففي فترة سقوط الخلافة الأموية لاحظ انهيار القيم الأخلاقية والاقتتال من أجل السلطة ، وتصدر بعض أشباه العلماء لمجالس العلم ، فعمت الفوضى وتفشى الجهل والجمود والتقليد ، وانتشر التعصب ، وتعرض ابن حزم إلى هؤلاء بالنقد ، وهو الذي عانى منهم ومن تآمرهم عليه وتأليب الحكام ضده ، مما جعله يرد على هؤلاء بكثير من الحدة والاستخفاف بآرائهم في مؤلفاته ومناظراته ، لهذا صنّف بعض المؤلفات التي ذكرت في موضع سابق ليتحدث عن فضائل العلم وأدب طلبه ، وما هي العلوم التي ينبغي أن تطلب ؟ وكذلك المراحل التعليمية والمواد الدراسية الخاصة بكل مرحلة ، ولم يهمل الجانب الخلقي والآداب التربوية ومواصفات العالم المعلم وكفاءته وما يجب عليه التقيد به ف تأليفه وتصنيفه للكتب ، وطرق تدريسه و اسلوبه في التعليم اثناء الحلقات العلمية ...الخ .

ويمكن تلخيص أهم ما جاء به ابن حزم من آراء وأفكار ومواقف في التربية والتعليم في النقاط الآتية :

المطلب الأول : التربية والأخلاق في نظر ابن حزم : أولى المفكر والمربي ابن حزم في نظريته التربوية جانبًا كبيرًا من الاهتمام على مكارم الأخلاق وفضائلها لدى الفرد المسلم عامة والأندلسي خاصة ، فقد خصص كتاباً للحديث عن ذلك وهو مؤلفه المعنون " الأخلاق والسير في مداواة النفوس" حيث ضم في هذا الكتاب اثني عشر فصلاً تحدث في عشرة منها على بعض الصفات والسلوكيات الأخلاقية التي من الواجب على المسلم التحلي بها كما عرّج على بعض السلوكيات غير الأخلاقية الشائعة آنذاك في المجتمع الأندلسي في عصره الحسد الذي خصص له حيزاً لا بأس به من الكتاب وكذلك الحقد والبخل والجشع والعصبية ، غيرها ، وأردف فصلين لفضائل العلم ، وآداب حضور مجالسه .

ويلاحظ أن بعض آرائه في تقويم سلوك الفرد وتوجيهه إلى ما هو أحسن نابع من تجاربه الشخصية ومما لاحظه وعايشه من آفات تفشت في المجتمع الأندلسي ، فحاول إصلاح تلك الآفات الاجتماعية الخلقية من خلال تصنيفه لهذا الكتاب ، والدليل على أن بعض آرائه نابعة من وسطه الاجتماعي كثرة توظيفه للعبارات التالية :

[1] عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي، **الفكر التربوي في الأندلس 403-478هـ** ، دار الفكر العربي ، ط2،(د.ب) ، 1985 ، ص 75 .

"رأيت أكثر الناس..."[1] ، " وقد رأيت "[2] ،" وجدت (...) هذا شيء طال اختباري إياه، ولم أجد "[3] ، " قوم شاهدتهم ..." [4] ، " وفي الناس ..."[5]، وقوله كذلك " ...وهذا كثير موجود"[6] ، وكذلك " ومن كل من أهل هذه الصفات قد شاهدناه وبلوناه "[7]، وغيرها من العبارات ، كما أن بعض الآراء جاءت من تأملاته وطول تفكيره "تأملت كل ما دون السماء "[8] ، وبعض المواقف والآراء للرد على منتقديه كقوله " وقد عابني (...)وأما أنا فإني ان قلت ..."[9] ، كما استفاد من تجارب سابقيه وضمنها في أفكاره في قوله : " ولقد انتفعت بمحك أهل (...) واخبرني فلان " [10] أو سأل أحدًا من المعمرين وشيوخ عصره كقوله " ...وقد سألت من طال عمره ،وبلغ الثمانين عاماً ..."[11] ،كما جاءت بعض الآراء إجابة على بعض الأسئلة التي طرحت عليه وهذا ما صرح به في قوله : " وقد سئلت عن كذا(...) وقد سئلت عن تحقيق القول فيها ، وفي أنواعها (...) وقد سئلت في تحقيق الكلام فيها..."[12] .

ولهذا فالكتاب لم يكن موجهاً لتربية الصغار فقط ،وانما للكبار كذلك ،وليس للمتعلمين فقط وإنما لعامة الناس كذلك ؛ أي للفرد المسلم أيًا كان مستواه ،لهذا جاء محتوى الكتاب لمعالجة بعض المشكلات والتصرفات الأخلاقية كما جاءت ردوده على تلك الظواهر والممارسات الاجتماعية على ما ورد في القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة .

ومن المظاهر الأخلاقية والواجبات التي يرى ابن حزم أنه يجب أن يتحلى بها الفرد السعي لطلب الفضائل من الأخلاق كالتحلي بالعقل والحكمة والاقبال على طلب العلم والعمل به ، والزهد في الملذات وضرورة إدراكه

---

[1] ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد) ، **الأخلاق والسير في مداواة النفوس** ، تحقيق وتقديم وتعليق الطاهر أحمد مكي ، دار المنارة ، جدة ط2 ،2007 ، ص 116 .
[2] نفسه ، ص ص 124 – 125 .
[3] نفسه ، ص 131 .
[4] نفسه ، ص 136 .
[5] نفسه ، ص 109 .
[6] نفسه ، ص 156 .
[7] نفسه ، ص 158 .
[8] نفسه ، ص 180 .
[9] نفسه ، ص 141 .
[10] نفسه ، ص ص 158 ، 165 .
[11] نفسه ، ص 181 .
[12] نفسه ، ص ص 160 ، 169 .

للحقيقة التي وجد لأجلها الإنسان في الدنيا وهي العمل للآخرة فقط أي العمل بما يرضي الله تعالى فينال صاحبه ثواب الدنيا بقلة الهم مما يهتم به الناس ، واحترام العدو والصديق ، فينال ثواب الآخرة ،وهو أن يكون من أهل الجنة[1] .

ولقد عدد ابن حزم الكثير من الأخلاق والصفات الحميدة الواجب على المسلم أيًا كانت مرتبته ووضعه الاجتماعي أن يتقيد بها وأن يعمل على أن يكتسبها منها مثلاً :

أ)**صفات نفسية وسلوكية** : فيجب على الفرد أن لا يبالي بكلام الناس ، والتقيد والاهتمام بأوامر الله سبحانه وتعالى ، إذ يرى ابن حزم بأن هذا الموقف هو عين العقل الذي يؤدي إلى اكتساب الراحة كلها وعدم الاكتراث بطعن الناس فيه ، وقد صرح بذلك في قوله :"من قدر أن يسلم من طعن الناس وعيبهم فهو مجنون " [2].

ولقد قسم مساعي الناس وطلبهم في الدنيا إلى أصناف : منهم طالب للآخرة ، وآخر للشرف وطالب للعون والغلبة ، وآخر للملذات ، وطالب للمال ، ذكر أن أفلح هؤلاء هو العاقل الذي يطلب الفضيلة ويتحلى بها ،ومن مظاهر ذلك أن يكتسب المسلم فضيلة نهي النفس عن الهوى امتثالاً لقوله تعالى : "وأَمَّاْ مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَّ المَأْوَى" [3]، وجاء تفسير هذه الآيات بحسب ابن حزم بمعنى ردع النفس عن طبع الغضب عند الانسان وكذلك الطبع الشهواني [4]، كما حث ابن حزم على ان يجتنب المسلم الغضب اتباعاً لقوله صلى الله عليه وسلم : " لَاْ تَغْضَبْ "[5].

وذكر أن العاقل المسلم لا يمكنه إدراك الفضائل إلا إذا تحقق له ما يُصطلح عليه بالتمييز[6]، فيقول في ذلك: " وأفلح من كل هؤلاء هو العاقل الذي يغتبط في الفضيلة التي أبانه الله تعالى عن السباع والبهائم والجمادات وهي التمييز الذي يشارك فيه الملائكة (...) من قوي تمييزه، واتسع علمه ، وحسن عمله فليغتبط بذلك ، فإنه لا يتقدمه في هذه الوجوه إلا الملائكة وخيار الناس "[7].

---

[1] نفسه ، ص ص 107 -108 .

[2] نفسه ، ص 113 .

[3] سورة النازعات 79 / الآيات 40 -41 .

[4] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 115 .

[5] حديث صحيح . الإمام البخاري ، الجامع الصحيح ، ج8 ، ص 28 . الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج6 ، 194 .

[6] هو معرفة الفضيلة من الرذيلة ، ووجب التفريق بين العاقل والمميز ، فالعاقل من يطبق ما أوجبه تمييزه ، أما المميز فقد يطبق ما يجب التحلي به من الفضائل أو لا يطبق وهذا هو جوهر الفرق بين العاقل والمميز ، لهذا فكل عاقل مميز ، وليس كل مميز عاقل .عبد البديع الخولي، المرجع السابق ص139.

[7] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص115 .

ولقد نهى ابن حزم عن بعض الطبائع التي لاحظها في المجتمع الأندلسي في عصره كالحسد[1]،والكذب[2]،وخصص الفصل التاسع من كتاب الأخلاق والسير في مداواة الاخلاق الفاسدة ، فتحدث فيه عن بعض أمراض النفس البشرية كالعُجْب والافتخار بالنفس ، والتعرض لعيوب الناس وغيرها ،ووصف حد الشجاعة التي وإن كانت فضيلة ، فاندفاع الانسان فيها دون ضابط ودون تحكيم للعقل ينقله إلى صفة التهور[3] ، كما ذم العصبية والاقتتال من أجل الدنيا أو من أجل فلان أو علان ، وكأنه يتحدث عن الفتنة التي حدثت في أواخر عصر الخلافة ، وبدايات عصر ملوك الطوائف تلك الفترة الفاصلة بين العصرين [4].

وقدم بعض الخصال التي لابد أن تكون في الانسان ومنها مثلاً الصبر ، وحبب ابن حزم عدم مجالسة الناس وايثار الوحدة والانفراد من أجل السلامة والراحة ، وهذا اجتناباً لاشتغال المرء بما لا يعنيه ، كما حث على العمل ولو بالقليل أحسن من التأجيل خاصة في العمل الخيري [5].

ولم يكتفِ ابن حزم بتقديم نصائحه وأفكاره وآرائه في التربية والأخلاق للعامة فقط ، بل خصص جزءاً مهما قدم فيه ما يجب على السلطان أو الحاكم بصفة عامة في انتقاده رفقاء مجلسه ، وحذر من حاشية السوء في قوله : " لا شيء أضر على السلطان من كثرة المتفرغين حواليه ، فالحازم يشغلهم بما لا يظلمهم فيه ، فان لم يفعل شغلوه بما يظلمونه فيه ، وأما مقرب اعدائه فذلك قاتل نفسه "[6] .

وتحدث عن مكارم الأخلاق وفضائلها كحسن الظن والجود والصحبة الحقيقية والصداقة المثالية تلك المتعلقة بالأرواح لا بالمال على حد تعبير ابن حزم [7]، وكذلك استحسن الاعتراف بالوقوع في الخطأ ولوم النفس في افشاء السر لمن لا يكتمه مثلاً ، وكذلك الدفاع عن إخوانه إذا ذكروا بسوء في حضرته ، وذكر ابن حزم أن أحسن الأخلاق في نظره إذا اكتسب المرء صفة حبه للعدل وإيثاره للحق [8].

---

[1] نفسه .

[2] الذي ربطه بالكفر ، إذ قال بأنه نوع من أنواع الكذب الذي يتولد عن الجور والجبن والجهل . نفسه ، ص 171 . عبد الحليم عويس ، **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري** ، الزهراء للإعلام العربي ، ط2 ، القاهرة ، 1988 ، ص 81.

[3] نفسه ، ص ص 136 ، 183 وما بعدها .عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 136 .

[4] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق، ص 136 .

[5] نفسه ، ص 128 .

[6] نفسه ، ص 130 .

[7] نفسه ، ص 131 وما بعدها .

[8] نفسه ، ص ص 142 ، 144 .

وتطرق في الفصل الخامس من كتابه الاخلاق والسير[1] إلى إبداء رأيه في الاخوان والصداقة ووجوه تقديم النصيحة حيث تكلم فيه عن الامانة والخيانة والاسرار التي بين الاصدقاء ، وتندرج قيمة محتوى هذا الفصل في أن الآراء والأحكام التي أصدرها ابن حزم في حق الأصدقاء ، والحال الذي تجب فيه الصداقة هي في الأصل بمثابة عرض حال لبعض العلاقات الاجتماعية ما بين أفراد المجتمع الأندلسي في عصره فهي تعطي صورة عن حال ومستوى التربية ومظاهرها وأمراضها في تلك الفترة التي عاشها ابن حزم ، فقد تحدث عن بعض تجاربه والمحن التي عاشها بسبب أصدقائه مثلاً كقوله : " وأنا أعلمك أن بعض من خالصني المودة وأصفاني إياها غاية الصفاء (...) تغيَّر عَليَّ تَغُّيرًا بعد اثني عشر عاماً متصلة في غاية الصفاء ، ولسبب لطيف جداً ما قدرت قط انه يؤثر مثله في أحد من الناس ، وما صلح لي بعدها ، ولقد أهَّمنِي في ذلك سنين كثيرة همًّا شديداً " [2].

لهذا نصح لكل من أراد اختيار الصديق الحقيقي المثالي أن يتحلى بالفضائل ، فإذا أقبل المرء على طلبها لم يساير إلا أهلها فبهذا يتحقق له اكتساب الصديق الكريم من أهل المواساة والبر والصدق وكرم العشيرة والصبر والوفاء والأمانة والحلم وصفاء الضمير وصحة المودة ، أما إذا طلب الجاه والمال واللذات، فإنه لا يساير إلا أمثال – عافانا الله وإياكم –الكلاب الكلبة والثعالب الخلبة (الخادعة) ولم يتحقق له إلا عدو خبيث الطبيعة على حد وصف ابن حزم [3] .

ولقد صنف ابن حزم أخلاق الناس وعلاقاتهم فيما بينهم خاصة بين الأصدقاء إلى سبعٍ مراتب ، وهي [4] :

- طائفة تمدح في الوجه ، وتذم في الغيب ، وهذه صفة أهل النفاق من العيابين ، وهذا خلق فاش في الناس غالب عليهم .
- طائفة تذم في الحضور والغياب ، وهذه صفة أهل التسلط والوقاحة من العيابين
- طائفة تمدح في الوجه وفي الغيب ، وهذه صفة أهل الملق والطمع .
- طائفة تذم في الحضور ، وتمدح في الغيب ، وهذه صفة أهل السخف .
- طائفة وهم أهل الفضل فيمسكون عن المدح والذم في الحضور، ويثنون بالخير في الغيب أو يمسكون عن الذم .
- طائفة أخرى وتسمى : العيابون البرآء من النفاق والقحة (اللؤم) ، فيمسكون في الحضور والغيب.
- طائفة تسمى : أهل السلامة ، فيمسكون عن المدح وعن الذم في الحضور والغيب .

[1] نفسه ، ص 146 وما بعدها .
[2] نفسه ، ص 146 .
[3] نفسه ، ص 124 .
[4] نفسه ، ص ص 157 – 158 .

ويعلق ابن حزم أن كل هذه الأصناف والصفات قد شاهدها وابتلي ببعضها .[1]

ولقد أولى ابن حزم حول طريقة التعامل مع الناس وحث على الرفق والتيسير وعدم التنفير وقدم مثالاً على ذلك من خلال الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في طريقة النصح وتقديم الموعظة بالتي هي أحسن خاصة مع جلساء السوء وقدم طرقًا لذلك كأن لا يواجه المعني بالنصح إلا رمزاً اقتداءً رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث بقوله : " ماَ بَالُ أَقْوام يَفْعَلُونَ كذا وكذا " ، وقد قال الله تعالى : " وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ "[2] .

كما قدم ابن حزم طرقًا أخرى لتقديم الموعظة كالثناء بحضرة المُسيء على من فعل خلاف الواجب فعله ونبَّه أن الغلظة والشدة لا تكون إلا في تطبيق حد من حدود الله ولا يصلحا كطريقة تعامل بين الناس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3] .

ب)-اعترافات ابن حزم أو الوجه التطبيقي لنظريته التربوية في مجال الأخلاق :

وما يجب أن يثمن في نظرية ابن حزم التربوية في مجال الأخلاق أنه قدم اعترافات في شخصه تخص بعض الطباع والعادات التي كانت فيه ، وحاول إما الحفاظ عليها بالنسبة للسلوكيات والنفسيات الإيجابية ، والحد منها أو تركها بالنسبة للسلبية منها ، ويُذكر على سبيل المثال اعترافه بأنه لا يبالي مخالفة أهل بلده ، ومجتمعه في بعض العادات التي لا معنى لها في نظره ولا يهمه في ذلك إذا أنتقد أو عُوتب أو ما إلى ذلك فقد قال في هذا المعنى في أحدِ المواضع من كتابه الأخلاق والسير : "...وأما الذي يعيبني به جهال أعدائي من أني لا أبالي فيما أعتقد حقاً من مخالفة من خالفته ، ولو أنهم جميع من على ظهر الأرض ، وأني لا أبالي موافقة أهل بلادي في كثير من زيهم الذي قد تعودوه لغير معنى ، فهذه الخصلة عندي من أكبر فضائلي التي لا مثيل لها "[4] .

ومن الوجوه التي تجعل الآراء التي قدمها ابن حزم واقعية ، وقابلة للتنفيذ وتعبر عن صدق صاحبها في تقديم المواعظ وسهولة تطبيقها ، أن هذه الآراء والاخلاق التي ينادي بها ابن حزم حاول تطبيقها في شخصه أولاً ، وقدم الطرق التي بها يتم ترويض النفس لتلك الأخلاق الحميدة ، والتخلص من الطبائع السيئة ، فابن حزم ينتقد حتى نفسه حيث يعترف بأنه يعرف عيوباً في نفسه أكثر مما يعلم من عيوب الناس[5] ، وأقر بأنه يتدارك ذلك بإصلاح

---

[1] نفسه ، ص 158 .

[2] سورة آل عمران 03 / الآية 159 . ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 178 وما بعدها .

[3] نفسه ، ص 180 .

[4] نفسه ، ص 140 .

[5] ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد) ، **رسالة التلخيص لوجوه التخليص (ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي 384 – 456 هـ)**، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، بيروت ، 1987 ،، ج3، ص 178.

نفسه من خلال معالجة تلك الطبائع بالاتعاظ بقصص الأنبياء، وأقوال الحكماء ، حيث يقول :" كانت فِيَّ عيوب فلم أزل بالرياضة ، واطلاعي على ما قالت الأنبياء صلوات الله عليهم المتأخرين والمتقدمين في الأخلاق وفي آداب النفس ،أعاني مداواتها حتى أعان الله عز وجل على أكثر ذلك بتوفيقه ومنِّه (...) هو الإقرار بها ليتعظ بذلك متعظ يوماً إن شاء الله "[1] .

ومن تواضعه فقد أقر بأن العاقل هو من يميز عيوب نفسه فيتغلب عليها ويقمعها ، والأحمق من يجهل عيوبه إما لقلة علمه ، أو لأنه يرى أن عيوبه خصال وفضائل وذلك أشد عيباً وأكثر حمقاً [2] .

ومن الأخلاق الفاسدة التي اعترف بها ابن حزم وحاول إصلاحها مثلاً : الإفراط في الغضب ، كثرة الدعابة العجب الشديد بالنفس ، محبة بُعد الصيت والغلبة (الشهرة) ، الإفراط في الألفة ، وكذلك الحقد ، وسوء الظن ومخالفة الاخرين ...وغيرها ، وذكر أنه كان فيه عيبان ولم يفصح عنهما،وذكر أن أحدهما قد ذهب بتوفيق وستر من الله سبحانه وتعالى على تعبيره ، والعيب الاخر تخلص منه بعد مشقة طويلة وتيسير من المولى عز وجل [3].

كما أورد ابن حزم بعض أسراره الشخصية بذكر مصدر حدة طبعه ، هذه الصفة التي اشتهر بها في مناظراته وجداله مع نظرائه وفي مؤلفاته وأرجع ذلك إلى علة ومرض أصابه في الطحال ، وهذا من خلال قوله :" ولقد أصابتني علة شديدة ، ولَّدت علي ربْواً في الطحال شديداً ، فولد ذلك عليَّ من الضجر وضيق الخلق ،وقلة الصبر والترق ، امراً حاسبت نفسي فيه ، إذ أنكرت تبدل خلقي ، واشتد عجبي من مفارقتي لطبعي ، وصح عندي أن الطحال موضع الفرح إذا فسد تولد ضده ... "[4] .

ومن خلال اعترافات ابن حزم يبدوا أنه عانى الكثير في ترويض نفسه ، وتهذيبها ، وتعويدها على السلوك الأخلاقي الحسن ، وترك العمل غير الاخلاقي السيء ، وغرس مكارم الاخلاق ، فقد ذكر بان رياضة النفس وتربيتها وتعويدها على الخير والفضائل أصعب من رياضة الحيوان المفترس كالأسد ، " لأن الأُسُدْ إذا سُجنت في البيوت التي تتخذها لها الملوك أُمِن شرُّها ، والنفس وإن سجنت لم يؤمن شَرُّها "[5].

[1] ابن حزم الاندلسي ، الأخلاق والسير ، ص 137 .

[2] عصمت عبد اللطيف دندش ، **دراسات أندلسية في السياسة والاجتماع**، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، تونس ، 2009 ، ص 20 .

[3] نفسه ، ص 137 وما بعدها . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 140 .حسان محمد حسان ، **ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د ،ط) ، (د ، س) ، ص 22 . عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 81 .وديع واصف مصطفى ، **ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق** ، المجمع الثقافي ، أبوظبي ، 2000 ، ص ص 75 – 76 .

[4] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 191 . ويبدوا أن الأندلسيين في عصر ابن حزم كانوا يعتقدون أن الطحال في جسم الإنسان هو مصدر الفرح أو الحزن .

[5] نفسه ، ص 196 .

مما سبق ذكره في نظرية ابن حزم التربوية في مجال الأخلاق ، يلاحظ أن كل الآراء السالفة الذكر لم يوجهها لفئة معينة كطلاب العلم أو العلماء فحسب ، وإنما للإنسان المسلم بصفة عامة مهما بلغت ثقافته أو مستواه فهو يُعبر عن مشروع لإصلاح مجتمعه من بعض النفسيات والذهنيات والسلوكيات السيئة التي كانت شائعة في عصره ، وغرس الأخلاق الحميدة والفضائل بدلاً منها ، فبدأ بتقديم التوجيهات النظرية والنصائح ، ثم أفرد جانباً تطبيقياً لها من خلال محاولاته هو في إصلاح نفسه ، وتربيتها وتعويدها على ما هو خير ، وهذا الجزء التطبيقي في شخصه هو الذي يجعل تلك الآراء والنظريات صالحة للتطبيق وقابلة للتنفيذ للاتعاظ والاقتداء .

ومن هنا تبرز عبقرية ابن حزم في مجال التربية والأخلاق فهو لم يكتفِ بالجانب النظري ، وانما اهتم بالجانب العملي التطبيقي كذلك من خلال ذكر تجاربه الشخصية .

ج)– أخلاق طالب العلم في نظر ابن حزم : بما أن ابن حزم عاش فترة الانتقال بين عصري الخلافة الأموية وملوك الطوائف ، وحالة الفوضى التي عرفتها الأندلس في تلك الفترة ، فقد كان بمثابة الشاهد على هذه الأحداث التي انهارت فيها قيم المجتمع ، وتصدر فيها المتعالم لمجالس التعليم وتفشى التعصب والجهل ، وانزى العلماء وأهل العلم حفاظاً على العلم وهيبته ، ومكانته ، ونشأ في هذا الظرف جيل لم يتأدب بآداب العلم ،ولهذا صنف ابن حزم كتابه "في مراتب العلوم" ، كما خصص فصولاً في بعض مؤلفاته في كتابه " الأخلاق والسير" لمعالجة تلك الآفات ، والحديث عن آداب العلم وطلبه ، والعلوم التي تتطلب[1] .

وأعطى في مؤلفاته الصورة النموذجية التي يجب أن تكون فيها شخصية طالب العلم من أخلاق ،وآداب سواء في طلبه للعلم ، أو في سلوكياته ، وتصرفاته ، وعلاقاته ، واختياراه لبعض العلوم التي تطلب ، وما إلى ذلك.

ويمكن تلخيص أهم أفكاره ، وآرائه التي تتحدث عن الصفات ، والطبائع التي يجب أن تكون في شخص طالب العلم ، وأدبيات تعامله مع الناس ، ومنها تلك التي تتعلق بطريقة تحصيل دروس العلم ، وحضوره مجالس التدريس ، وغيرها من السلوكيات ، والآداب في النقاط الآتية :

د)– العلم ودوره في غرس الفضائل الخُلقية في شخصية المتعلم :

وقبل أن يقدم الصورة النموذجية ووصاياه للمتعلم ، أفرد ابن حزم في بعض مؤلفاته فصولاً تحدث فيها عن فضل العلم وفوائده على حامله ، منها على سبيل المثال لا الحصر : " أن الجهال يهابونه ، أما العلماء فيحبونه ويكرمونه ، كما أن الاشتغال به يبعده عن الوساوس ، والهموم ..."[2].

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص ص 20 -21 .

[2] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 118 .

ومن فضل العلم على طالبه تحقيق ، واكتساب الفضائل ، لهذا فهو يتعلم أحسنها ، وبها يدرك قبح الرذائل فيتجنبها ، فقد قال ابن حزم : " منفعة العلم في استعمال الفضائل عظيمة ، وهو أن يعلم حسن الفضائل فيأتيها ولو في الندرة ، ويسمع في الثناء الحسن فيرغب في مثله والثناء الرديء ، فينفر منه "[1].

وذكر ابن حزم أن التحلي بالفضائل ليس بالأمر الهيّن ، فلا يكتسبها إلا من اجتمعت فيه صفات نفسية معينة وهي أن يكون :" صافي الطبع جدًا ، فاضل التركيب ، وهذه منزلة النبيين عليهم أفضل الصلاة والسلام ، لأن الله علمهم الخير كله دون أن يتعلموه من الناس [2]، ولهذا فاكتساب الفضائل يُعد في حد ذاته علم ، وعكس ذلك يعد جهل في نظر ابن حزم[3] .

ولم ينس ابن حزم منهجه في تقديم النائح والمواعظ بإعطاء أمثلة من تجاربه الشخصية فأثناء حديثه عن الخلق قدم لنا نماذج وأصناف الناس ، وأخلاقهم انطلاقاً من مشاهداته ، وملاحظاته في محيطه الاجتماعي بالأندلس فصنفهم الى قسمين[4] :

-منهم من له حسن الخلق دون أن يكتسب العلم ، وهذه الفئة قليلة في المجتمع الذي عايشه .

-ومنهم من له علم وإلمام بأقوال الحكماء ، ولكنه سيء الخُلق، وهذه الفئة كثيرة مقارنة مع الفئة السابقة في المجتمع .

ومن الوصايا التي قدمها ابن حزم لطالب العلم في جانب الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها : ضرورة الاقتداء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في قوله : "من أراد خيرا الآخرة ، وحكمة الدنيا ، وعدل السيرة ، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها ، واستحقاق الفضائل بأسرها ، فليقتد بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وليستعمل أخلاقه ، وسير ما أمكنه ..."[5] .

ونبه إلى بعض الأخلاق الفاسدة التي قد تدخل في نفس المتعلم ، والعالم على حد سواء ، فقدم نصائح لتداركها ، منها مثلاً : العجب بالعلم ، والغرور ، والافتخار بالنفس ، والتمدح ، ونيل الجاه ، فذكر أن العلم فضل من الله لهذا وجب التواضع ، وشكر المولى عز وجل ، والاعتراف بجهل أصناف أخرى من العلم غير الذي

[1] نفسه ، ص 124 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 138 .
[2] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 124 .
[3] عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص139 .
[4] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 124 – 125 .
[5] نفسه ، ص 123 .

أختص به[1] ،وبأنه يوجد الكثير من الذين هم أعلم منه ، وأكد ابن حزم على ضرورة العمل بالعلم فهو حجة على صاحبه أكثر مما هو حجة له[2] .

وعن العجب بالعلم (الغرور) فقد حث على ضرورة أن يتفادى أهل العلم هذه الصفة ، فقد يسخط الله تعالى عليه ، ويبتلي صاحبه بنسيان علمه بعلة ما ، وضرب ابن حزم أمثلة ، ونماذج عن هذا الحكم ، فقد ذكر أن عبد الملك بن طريف (ت قريباً من 400هـ/1009م)[3] "وهو من أهل العلم والذكاء ، واعتدال الأحوال ، وصحة البحث[4]: أنه كان ذا حظ من الحفظ عظيم ، لا يكاد يمر على سمعه شيء يحتاج إلى استعادته ، وأنه ركب البحر فمر به هول شديد أنساه أكثر ما كان يحفظ ، وأخل بقوة حفظه إخلالاً شديداً لم يعاوده ذلك الذكاء بعد"[5].

كما يعترف ابن حزم في حد ذاته بأن علة أصابته فَقَدَ بسببها الكثير من العلم مما حفظه ، فقد قال : "وأنا أصابتني عِلَّة فأفقت منها ، وقد ذهب ما كنت أحفظ إلا ما لا قدر له ، فما عاودته إلا بعد أعوام "[6].

هـ)– ما يجب على المتعلم في طلبه ، وحضور مجالس العلم :

لم يكتفِ ابن حزم في تقديم وصاياه لطالب العلم على الجانب الخلقي النفسي والاجتماعي ؛ أي تربية النفس وطريقة التعامل مع العامة ، وإنما أفرد جزءًا خاصًا يتعلق بأخلاقيات طالب العلم في تحصيله الدراسي أي مع العلم الذي يطلبه ، ومجالسه ، وشيوخه ، وزملائه ، لهذا فقد خصص فصلاً كاملاً ، وهو الفصل الثاني عشر من كتاب الأخلاق والسير ، تحدث فيه عن آداب طالب العلم في حضوره المجالس العلمية ومنها :

أولاً: النية : التي يجب أن تكون في نفس المتعلم أو السبب أو الغاية من حضور مجالس العلم ، فهو بغرض الاستزادة من العلم والأجر ، لا حضور مستغنٍ ، طالبًا عثرة العالم للرد عليها ، والشهرة بها ، فهي أفعال الأرذال لهذا نبه ابن حزم أنه من كانت له هذه النية الأخيرة فجلوسه في المنزل أفضل ، وأكرم ، وأسلم له ، كما يجب أن

[1] نفسه ، ص ص 186 – 187 .

[2] نفسه ، ص 187 .

[3] يكنى بأبي مروان ، لغوي ونحوي ، له كتاب في الأفعال تداوله الأندلسيين بينهم ، ذكره الحميدي ضمن شيوخه . الحميدي المصدر السابق ص 406 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 523 . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 719 -720 .

[4] يذكر ابن حزم عبارة " البحث " مما يدل على أن هذا المصطلح كان متداولًا في العصور الوسطى بالأندلس ، وهو يعني – ربما– سعة العلم وصدق الخبر ، وهو ما يوافق في العصر الحالي مصطلح البحث العلمي ، وكذا التحري وجمع المعلومات الصادقة الصحيحة وغيرها من المعاني .

[5] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 186 .

[6] نفسه .

تكون نيته خالصة " لإدراك الحقائق في إنكار الباطل ، ونصر الحق ، وتعليمه للناس ، وهدي الجاهل ، ومعرفة ما تدين به خالقك عز وجل ..."[1] .

و) – آداب ، وأخلاق الطالب اثناء الدرس: عليه أن يلتزم بأحد الأوجه الثلاثة الآتية :[2]

1- سكوت الجهال فيحصل صاحبه على أجر النية في المشاهدة ، والثناء بقلة الفضول ، وكرم المجالسة ، ومودة الجليس.

2- طرح السؤال بنية التعلم فيحصل على الفضائل المذكورة سابقاً بالإضافة إلى فضيلة الاستزادة بالعلم ، وقدم ابن حزم صفة سؤال المتعلم في قوله : " أن تسأل عما لا تدري ،لا عما تدري ، فإن السؤال عما تدريه سخف وقلة عقل ،وشغل لكلامك ، وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه لا لك ولا لغيرك ، وربما أدى إلى اكتساب العداوات (...) فيجب عليك أن لا تكون فضوليًا ، فإنها صفة سوء ، فإن أجابك الذي سألت بما فيه كفاية لك فاقطع الكلام ، وإن لم يجبك بما فيه كفاية ، أو أجابك بما لم تفهم فقل له : لم أفهم ، واستزده ، فإن لم يزدك بياناً وسكت ،و أعاد عليك الكلام الأول ، ولا مزيد ، فأمسك عنه وإلا حصلت على الشر والعداوة ، ولم تحصل على ما تريد من الزيادة "[3] .

3 – والوجه الثالث من آداب حضور المجالس ، وهو أن يراجع مراجعة العالم من خلال : إما مراجعة وتصحيح أو مناقشة ما يُقدم في الحلقة العلمية ما قد يناقض ما تحصلّه الطالب قبل هذا الدرس في موضوع ما بالبيان والحجة والدليل القاطع ، وهذا دون إلحاح أو إبداء الغلبة والتعنت الذين يعدا من آفات طلب العلم ومجالسه ، إما إن كان ما يُقدم في المجلس تكراراً فالإمساك أفضل ، التكرار لا يجلب لا تعليمًا ، ولا تعلمًا[4] .

مما سبق ذكره يلاحظ أن مراتب ،وأوجه حضور مجالس العلم التي حددها ابن حزم تنحصر في ثلاثة أوجه ومتوقفة بحسب مستوى طالب العلم ،ومعارفه السابقة ، وما يُلقى في تلك المجالس من دروس ومعلومات ، فالحالة الأولى تخص الجاهل ، أما الحالة الثانية تخص المتعلم ، وآدابه في طرح السؤال اثناء الحلقة العلمية ، أما الحالة الثالثة تخص أعلى مراتب المتعلمين ،وهي العالم ، إذا لم يكن هو شيخ الحلقة أو المعلم الذي يُدرِّس ، فحضوره

---

[1] نفسه . ابن حزم الأندلسي(علي بن أحمد) ، **التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية (ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي 384 – 456هـ)** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ،(د.ب)، 1983 ، ج4 ،ص 345 .

[2] ابن حزم الأندلسي ، الأخلاق والسير ، ص ص 219 – 220 .

[3] نفسه ، ص 220 . يرى ابن حزم بأن السؤال لا يُطرح في حلقة الدرس أكثر من مرتين في حالة عدم فهم الجواب من العالم في المرة الأولى كما أنه لم يجز الالحاح في طلب الإجابة .

[4] نفسه ، ص 220 .

مجالس العلم يكون بقصد المراجعة ، والمناقشة ، والمناظرة بالبيِّنة ، والحُجة القاطعة ، وكل الحالات السابقة هي أوجه طلب العلم .

ز) – **واجبات الطالب بعد تحصيله لبعض العلم** : ومنها مثلاً عدم البخل في نشر ما تعلمه ، وبثه بين الناس وإن لم يفعل ذلك ، فقد شبهه باللئيم أو حتى ألأم من الباخل بالمال ، إلا أنه نبّه بأن لا ينشر العلم إلا في أهله ومن يطلبه أما غير ذلك فهو مفسدة [1] .

وذكر أن فضل نشر العلم ، والاحتكاك بأهل الجهل خاصة ممن يتصدرون للتعليم ، الذين يرون بأنهم علماء قد يؤدي إلى مناقشة بعض المواضيع ، وسبباً للتأليف للرد عليهم ، وتوضيح مكامن جهلهم في تلك المواضيع وأخطائهم في بعض الأفكار ، والأحكام ، وهذا ما ذكره ابن حزم في أحد اعترافاته عندما صرح بأن الكثير من مؤلفاته جاءت بفضل مخالطته لأهل الجهل ، في قوله :" ولقد انتفعت بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة ، وهي أنه توقد طبعي ، واحترم خاطري ، وحمي فكري ، وتهيج نشاطي ، فكان ذلك سبباً إلى تواليف لي عظيمة المنفعة ولولا استثارتهم ساكني ، واقتداحهم كامني ، ما انبعث لتلك التوليف "[2] .

ح) – **تعلم الخير والعمل به** : شملت آراء ابن حزم جانب من المثالية المطلوبة بين أفراد المجتمع ، فقد حث طالب العلم على أن يتعلم الخير كما ألح على تطبيقه في الواقع والعمل به ، لهذا يرى أنه من جمع بينهما فقد اكتسب فضيلتين معًا ، ومن علِم الخير من دون العمل به فقد أحسن في التعليم ، وأساء في ترك العمل به ،وهو أحسن ممن لم يعلمه ولم يعمل به ، وهماً أحسن حالاً ممن ينهي عن الخير ، ويصد عنه[3] .

ط)– **تصنيف العلوم عند ابن حزم ورأيه فيها** :

1) أفضل العلوم عنده : ينطلق ابن حزم في آرائه التربوية من مبدأ ذلك الفقيه الذي يؤصِّل أفكاره على أساس الدين وأحكام الشريعة الاسلامية ، لهذا يُلتمس هذا الاتجاه في كل أحكامه ، ووصاياه ، ونصائحه لطلبة العلم ومن هذا المنطلق ، فقد رأى أن أجلَّ العلوم ، وأفضلها ما قرَّبَ طالبها من الخالق عز وجل ، وما أعان على الوصول إلى رضاه[4] .

2) ازدراؤه من تخصص الشعر : على الرغم من أن الفقيه ابن حزم ينشد الشعر ، وله باع طويل فيه ، وعلى الرغم من جعله الشعر كمادة من المواد التي تُدرَّسْ في إحدى المراحل التعليمية كذلك ، إلا أنه أبدى تحفظات

---

[1] نفسه ، ص 119 .
[2] نفسه ، ص ص 158 – 159 .
[3] نفسه ، ص 221 .
[4] نفسه ، ص120 .

على الشعر دراسته ، وتدريسه أو حتى في انشائه ، فقد جعله من العلوم المتأخرة التي لا فائدة منها ، ولا خصلة كبيرة فيها[1] ، لهذا فقد صنف من يتناول الشعر إلى ثلاثة أصناف ، وأعطى حكمه على كل صنف[2] :

-إذا لم يكن للإنسان علم غيره فهو حرام .

-أن الاستكثار من الشعر ليس بالمحبوب ، وليس بالحرام ، لكن على المرء أن يأخذ إضافة إلى الشعر بنصيب من علم دينه ، ويحبب الاشتغال بغير الشعر أفضل .

– الأخذ باليسير من الشعر، استناداً لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْماً" [3].

كما أن من فوائد الشعر أنه يُعِين على الاستشهاد والتحجج به في النحو واللغة ، وهذا هو المقدار المطلوب الذي يجب – حسب ابن حزم – الاقتصار عليه من رواية الشعر ، ويطلب من مادة ومواضيع الشعر تلك التي تتحدث عن الخير والزهد ، فهي تعين على تربية النفس ، ويحذر ابن حزم بأن الكسب في رواية الشعر غير محمود لأن طريقه الباطل والفضول[4] .

ويرد على من يتهمه بأن تهجمه على الشعر نابع من أنه لا يتقنه أو أنه قليل الإنشاء فيه ،حيث يقول بأنه متمرس في ميدانه ،وله باع طويل فيه وهو ممن يتمرسون في إنشائه إلى درجة الإبداع في مختلف أغراضه ، ولكن الحق عنده أولى – بحسب تعبيره – وأنه لا طائل منه ، لهذا وجب النصح لأهل العلم ، وطلبته بذلك[5].

---

[1] نفسه ، ص 187 .

[2] ابن حزم الأندلسي ، رسالة التلخيص لوجوه التخليص ، ص 163 .

[3] حديث حسن صحيح . ابن حنبل ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 106 ، 124 ، 228 . الطيالسي (سليمان بن داود) ، **مسند أبي داود الطيالسي** ، تحقيق محمد عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط1 ، مصر ، ج1 ، ص 451 . وفيه رواية تقول : "...إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكَماً..." . نفسه ، ج4 ، ص394 . الترمذي ، **الجامع الكبير سنن الترمذي** ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1998 ، ج4 ، ص 435 . ابن ماجة ، المصدر السابق ، ج4 ، ص687 .

[4] ابن حزم الأندلسي ، **رسالة مراتب العلوم (ضمن رسائل ابن حزم 384 – 456هـ)**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1، 1983 ج4 ، ص 67 .

[5] نفسه ، 67 وما بعدها .عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 26 .

3) – **إنكاره للقياس** : انطلاقاً من مذهبه الظاهري[1] ، فقد أنكر ابن حزم القياس ، وحجته في ذلك أن الفقيه في استخدامه " القياس في أحوال الناس قد يكذب في أكثر الأمور ، ويبطل في الأغلب ، واستعمال ما هذه صفته في الدين لا يجوز "[2] ؛ أي أنه لا يجب أن يخضع الحُكم الشرعي أو التشريعي الاسلامي لتخمين وتقدير البشر الذي قد يخطئ في الكثير من الأحكام ، والاجتهادات ، وبهذا تصبح أحكامه باطلة ، ومنه – حسبه– فالمرجعية الأساسية في اصدار الأحكام يجب أن لا تخرج عن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة قبل تفرقهم وخروجهم من المدينة ، ولا بد أن يكون إجماعهم على نص لا خلاف فيه[3].

4) **رفضه للتقليد** : أفتى ابن حزم الأندلسي بتحريم التقليد ، فلا يحل للمسلم أن يأخذ بقول أحد من غير برهان فهل يرضى المرء – على حد قوله – أن يغبن عقله في تقليد غيره ؟[4] ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، عندما صرّح بأنه لا يجوز لأحدٍ أن يُقَلِّدَ أحد ، ولو كان صحابياًّ [5].

وفي التقليد أوصى ابن حزم المعلم – الذي يسميه بالعالم – في حلقاته العلمية بأن لا يكون مجرد ناقل لأقوال غيره ، ومقلداً لهم دون أن تكون له دراية في معرفة الفرق بين هذا وذاك ، وبين رأي فلان ، وآخر مخالف له ، كما نبه على ضرورة أن يكون للعالم رأيه الشخصي ، واجتهاده الخاص به ، فلا يكون إمَّعة أو تابعًا لرأي غيره ، ولا يمكن أن يبلغ العالم هذه المرتبة إلا بعد بحث طويل ، وإطلاع كثير[6] .

المطلب الثاني : المنهج التربوي والمراحل التعليمية عند ابن حزم الأندلسي : قبل الحديث عن المنهج التربوي والمراحل التعليمية التي قدمها ابن حزم على أنها من المفروض أن تكون في العملية التعليمية ، لا بأس أن نذكر بعض نصائحه ، ووصاياه لطالب العلم في مراحل تعلمه ، والمواد التي يجب أن يطلبها ، تلك الوصايا التي

---

[1] وهو المذهب الذي يأخذ بظاهر النصوص من الكتاب والسنة ، والاعراض عن التأويل والرأي والقياس ، ويرجع تأسيسه للإمام داود بن علي بن خلف الأصبهاني (ت 270هـ/ 883م) ولد بالكوفة سنة 200هـ/ 815م، وقيل في سنة 201 هـ/816م أو 202هـ / 817م، نشأ ببغداد وتوفي بها، ونسب إلى اصبهان بفارس؛ لأن أصله منها ،وُصف بأنه أحد أئمة المسلمين المجتهدين ، انتهت إليه رياسة العلم ببغداد في وقته ورعاً ، زاهداً ، وقبل انتحاله للمذهب الظاهري كان متعصباً للشافعيّ وصنف في فضائله والثناء عليه كتابين , ومن أقوال الظاهرية : " دين الله ظاهر لا باطن فيه ، وجهر لا سر تحته ، كله برهان لا مسامحة فيه ".أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج2،ص 255 وما بعدها. تاج الدين السبكي (عبد الوهاب بن علي)، طبقات الشافعية الكبرى ، ص 284 . عبد المنعم الحفني , **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية** دار الرشاد ، ط1 ، القاهرة ، 1993 ، ص ص 286 – 287 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 333.

[2] ابن حزم الأندلسي ، الأخلاق والسير ، ص 204 .

[3] حسان محمد حسان ، المرجع السابق ، ص 70 .

[4] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 204 . عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 19 .

[5] حسان محمد حسان ، المرجع السابق ، ص 69 .

[6] عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 35 .

ترتبط ، وتتعلق بالعلم ، والمادة في حد ذاتها ، وأنواع العلوم التي تُطلب ، ولا علاقة لها بشخص المتعلم وصفاته وأخلاقه كما مرّ سالفاً ، ولقد تنوعت محتويات هذه الوصايا بين تلك التي تناولت ما على الطالب أن يختار من بين العلوم ،كما تحدثت عن فضل المذاكرة والمناظرة مع أهل العلم ، وآداب الرد على المخالفين ، وكيفية نشر العلم أو لمن يُقَدَّمُ العلم؟ أو من يُّعلِّم ؟

أ- **في اختيار العلوم:** أوصى الحافظ المربي الفقيه الظاهري ابن حزم الأندلسي طالب العلم بأن يحرص على الانشغال بأعلى العلوم ، وليس بادناها خاصة إذا توفرت له المقدرة على ذلك ،" فمن شغل نفسه بأدنى العلوم وترك أعلاها وهو قادر عليه ، كان كزارع الذرة في الأرض التي يجود فيها البرُّ ، وكغارس الشعراء[1] حيث يزكو النخل والزيتون"[2] .

ب - **فضل المذاكرة والمناظرة مع أهل العلم** : ومن وصايا ابن حزم حثه لطالب العلم بضرورة مراجعة معلوماته ، وإضافة الجديد إليها من خلال المداومة على مذاكرة أهل العلم ، ولما لا تنشيط بعض المناظرات للاستزادة من العلم ، ومعرفة مالم يتعلمه ، فطالب العلم الحقيقي إن لم يقال العالم دائمًا يشعر بالنقص في معلوماته ، وعدم الكمال في طلب العلم ، فهو يكب على طلبه سواء أيام جهله أو أيام تعلمه ، وهذا ما صرّح به ابن حزم في قوله : " وسرني أهل العلم مرتين من عمري : إحداهما :بتعليمي أيام جهلي ، والثانية بمذاكرتي أيام علمي"[3] .

ج- **آداب الرد على المتعلمين والمعلمين** : لم ينس ابن حزم حتى أدبيات الرد على المخالفين في الرأي أو ممن يتعرضون لأهل العلم بخلاف في إحدى المسائل الفقهية أو ما إلى ذلك ، فقد قدم نصائح لطلبة العلم لمواجهة تلك المواقف لخّصها في أربع نقاط ، وهي[4] :

أ-أن لا يقابلهُ مقابلة المغاضبة القائمة على أساس المغالبة قبل أن يتبين بطلان الرأي المخالف بالبرهان القاطع .

ب- كما لا يقابله مقابلة المصدق به ، قبل إدراك صحة أقواله وآرائه ومعلوماته ببرهان قاطع كذلك .

ج- وليكن إقبال طالب العلم للمخالف له إقبال سالم القلب عن أي نزاع كان .

د- كما يجب أن يكون هذا الإقبال بنية طلب الاستزادة في فهم ما تعلم أو ما سمع فتكون النتيجة إما القبول أو الرد ، وبهذا يحصل التعلم وينال صاحبه الأجر والفضل على ذلك .

---

[1] نوع من فاكهة الخوخ ، وهي شجرة من الحمض ليس لها ورق . ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 204. (تعليق المحقق في الهامش رقم 02).

[2] نفسه ، ص 119 .

[3] نفسه ، ص 123 .

[4] نفسه ، ص ص 220-221 .

د– في نشر العلم وبثه : لم يكتف ابن حزم في تقديم وصاياه لطلبة العلم بالكيفية التي يُحصَّلُ بها العلم ،وآداب الرد وغيرها ، بل أولى اهتماماً بالغاً لمن يُعطى هذا العلم ، فقد حرص على خصوصية مجالس العلم ، وضرورة اختيار أهل العلم تلك الطبقة التي تُقِّدر فضل العلم ، وتتمتع بأخلاقيات سامية ، وتحترم الأفكار ، والآراء المخالفة ، وتتقبل الجديد ، وتتبادل المعارف والمعلومات فيما بينها، ومن خلال تأثره بفلاسفة اليونان فهو يجعل العلم خاصاً وحكراً على الطبقة المختارة من المجتمع ،ويحذر من نشر العلم في غير أهله وشبه ذلك بقوله: " كإطعامك العسل والحلواء من به احتراق وحمى، أو كتشميمك المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام الصفراء"[1].

هـ) – **تقسيم العلوم** : لابن حزم تصنيفان للعلوم التي تُطلب فأما تصنيفه الأول: فقد قسم العلوم إلى سبعة[2] ثلاثة منها موجودة عند كل الأمم لها نفس التصنيف ، وتختلف من حيث المواد ، وأما الأربعة الأخرى فهي تختلف حسب كل أمة ، ولكن موادها مشتركة في كل الأمم فلها نفس المواضيع ، أما العلوم الثلاثة الموجودة عند كل الأمم فهي :

1 – علم الشريعة : فلكل أمة شريعتها ، وعند الملة الإسلامية تتفرع إلى علوم أخرى ثانوية ، منها مثلاً علوم القرآن ، وعلم الحديث ، وعلم الفقه ، وعلم الكلام .

2 – علم الأخبار : وهو التاريخ بحسب الملوك والممالك ، أو على السنين أو البلاد ، أو على الطبقات ،أو مركباً من كل ذلك ، ويتفرع منه كذلك علم النسب .

3 – علم اللغة : الذي يتكون عند المسلمين من علمي النحو واللغة العربية .

وهذه العلوم جميعاً هي التي ترسم شخصية كل أمة وتميز موادها ومحتواها عن غيرها من الأمم الأخرى.

وأما العلوم الأربعة التي تتشابه بين كل الأمم مهما اختلفت شرائعها فهي تتكون من :

1–علم النجوم : الذي يتفرع منه علمان هما : علم الهيئة والتعديل [3] ؛ أي علم الفلك ،وأحكام النجوم [4].

2– علم العدد (الحساب) : الذي يقوم على ضبط القوانين والبراهين الحسابية ، ثم العمل بذلك في المساحات وغيرها .

---

[1] نفسه ، ص 119 . عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص ص 09 ، 23 .

[2] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص 78 وما بعدها .

[3] يعرف ابن خلدون علم الهيئة بأنه علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة ، والمتحركة وما تبع من أجل ذلك من دراسات وبراهين . ابن خلدون المقدمة ، ج3 ، ص 1019 .

[4] وفي التقريب لحد المنطق : علم هيئة الأفلاك والكواكب والشمس والقمر والسماوات ومراكزها ، وعلم حركات الكواكب . ابن حزم الأندلسي التقريب لحد المنطق، ص 350 . ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم، ص80 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق، ص157 .

3- علم الطب : وينقسم إلى قسمين من حيث التخصص : طب النفس ، وطب البدن (الجسم) ، فأما طب النفس فهو متصل بعلم المنطق من خلال إصلاح الأخلاق ومداواتها ، وهو الذي يهدف إلى الاعتدال بدون إفراط ولا تقصير ، وأما طب الجسم فهو الذي يقوم على معرفة الطبائع الجسمية ، وتركيب الأعضاء ، ومعرفة العلل والأمراض وأسبابها ، كما يشتمل على معرفة الأدوية وأنواعها.

ولعلم الطب تقسيم آخر ، فهو ينقسم كذلك إلى قسمين : طب وقاية قائم على حفظ الصحة ، لكي لا يقع المرض ومعاناته ، طب علاج الذي ينقسم بدوره إلى قسمين : علاج بالأدوية لصرف المرض ، والقضاء عليه وأسبابه ، وعلاج بالجراحة كالجبر والكي والقطع ...الخ [1] .

4- علم الفلسفة والمنطق : ويعرف ابن حزم الفلسفة بأنها معرفة الأشياء على ماهي عليه من حدودها من أعلى الأجناس إلى الأشخاص ، ومعرفة إلاهية ، وأما المنطق فينقسم إلى عقلي ، وحسي ، والعقلي ينقسم بدوره إلى إلاهي ، وطبيعي ، وأما الحسي فطبيعي فقط[2] .

أما التقسيم الثاني لابن حزم للعلوم ، فيذكر فيه معظم العلوم المقصودة بالطلب ، والتي تدور بين المتعلمين كمواد دراسية ، وتصنف حسب طبيعة مادتها ، وتخصصها إلى اثني عشر علماً وهي : علم القرآن، علم الحديث علم المذاهب (علم الكلام) ، علم الفُتيا (الفقه) ، علم المنطق ، علم النحو ، علم اللغة ، علم الشعر ، علم الخبر (التاريخ)، علم الطب ، علم العدد والهندسة ، علم النجوم[3] .

ويرى ابن حزم أن بعد هذه العلوم يوجد علمان لا يُشتغل بهما إلا بعد تحصيل العلوم السالفة الذكر أو على علمين منهما أو أكثر ، ويُصرح بأنهما علم البلاغة ، وعلم العبارة [4] .

فيعرف البلاغة بأنها " ما فهمه العامي كفهم الخاصي ، وكان بلفظ ينتبه له العامي ،لأنه لا عهد له بمثله،ويتنبه له الخاص لا عهد له بمثل نظمه ، ومعناه ، واستوعب المراد كله ، ولم يزد فيه ما ليس منه ، ولا حذف مما يحتاج

[1] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 80 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص ص 157 – 158 . ويضيف ابن حزم أن كل ما عُلِمَ فهو علم ، ويضيف إلى العلوم السابقة : علم التجارة ، والخياطة ، والحياكة ، وتدبير السفن ،وفلاحة الأرض ،وتدبير الشجر ومعاناتها وغرسها ، والبناء ، وغير ذلك ، لكن الفرق بين العلوم التي ذُكرت في المتن والتي وردت في الهامش حسب ابن حزم أن العلوم الأولى هي التي تؤدي إلى الخلاص في الميعاد (إلى الجنة) ، أما العلوم الأخرى – وهي المعروفة في عصرنا بالحرف – فهي تختص بالدنيا ، وحوائج الناس في معاشهم وهي التي يسميها ابن خلدون اختصاراً بأمهات الصنائع . ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 81 . ابن خلدون ، المقدمة ج2 ،ص 864.

[2] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص ص 78 ، 80 .

[3] ابن حزم الأندلسي ، التقريب لحد المنطق ، ص 348 . عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 25 .

[4] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 348 . ابن حزم الأندلسي ، رسالة ترتيب العلوم ، ص80. عبد البديع الخولي، المرجع السابق 158.

من ذلك المطلوب شيئاً ، وقرب على المخاطب به فهمه ، ولوضوحه وتقريبه ما بعد ، وكثر من المعاني ، وسهل عليه حفظه لقصره ، وسهولة ألفاظه "[1] .

وعلم البلاغة إن أشتغل به صاحبه إلى الله عز وجل ، وإظهار الحقائق ، وتعليم الجهال مستخدمًا فيه جمال اللغة ، وروعة الأسلوب فهو فضيلة ، وإن أستغله في ضد ذلك ، فقد خسر وأتعب نفسه وأفنى عمره فيما هو وبال عليه بمنظور ابن حزم الأندلسي [2] .

أما علم العبارة فيعرفه بأنه ينسب إلى " أشياء رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أفاضل أهل هذا العلم "[3] ، وهو" طبع في المعبر مع عون العلم عليه ولا يقطع بصحته إلا بعد ظهور ذلك عليه لا قبله "[4] ويرى ان العبارة يقصد بها الرؤيا ولا بد من معرفة عبارتها ولا يكون الا بالتمكن في العلوم المذكورة سالفاً[5] .

وميزة من يطلب هذين العلمين التوسع في جميع العلوم ولا يأتي ذلك إلا بالطبع والموافقة[6] ، وهما –حسب ما يُفهم– ميزتان فطريتان ترجعان إلى أصل الخلقة يهبهما الله لمن يشاء من عباده [7] .

ويذكر ابن حزم أن كل هذه العلوم على الرغم من تنوعها واختلاف طبيعة مادتها المدروسة ، إلا أنها مكملة لبعضها البعض ، ولا يستغني علم منها عن غيره ، لهذا ينصح طالب العلم بأن لا يزهد في علم من تلك العلوم فمثلاً علم الفقه مرتبط بالقرآن ، وعلم الحديث ، وعلم القراءات مرتبطان بعلم اللغة العربية في اختلاف المعاني والاعراب وبه تعرف القراءات الصحيحة ، واللغة العربية لها ارتباط بالشعر ، وعلم الفلك والنجوم له ارتباط وثيق مع علم العدد والحساب لمعرفة اتجاه القبلة وأوقات الصلوات والزوال ، كما له علاقة بعلم الفقه لحساب المواريث وهكذا ...[8] .

و)– طرق التعلم والمراحل التعلمية وموادها : بعد أن قدم ابن حزم طبيعة العلوم التي تدرس وعرّفها ووضّح بيان أقسامها ، لم يغفل كذلك على أشكال ، وطرق التعلم على مر مراحل حياة المتعلم الدراسية ، إذ أكد أن طلب العلم ، وتحصيل العلوم لا يكون إلا بثلاثة وهي : سماع ، قراءة ، وكتاب [9] .

[1] ابن حزم الأندلسي ، التقريب لحد المنطق ، ص 352 .
[2] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص 80 .عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 158 .
[3] ابن حزم الأندلسي ، التقريب لحد المنطق ، ص 350 .
[4] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص 81 .
[5] نفسه ، ص 83 .
[6] ابن حزم الأندلسي ، التقريب لحد المنطق ، ص 350 .
[7] نفسه .
[8] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص ص 81 -82 .
[9] نفسه ، ص 65 . عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 31 .

وفي عرضه للمواد الدراسية يُشار إلى أنه رتبها بحسب مراحل المتعلم العمرية ،والمواد التي يتمكن فيها ، ويبدوا أنه رتبها بحسب أهميتها لطالب العلم ، أو يُعتقد بأن هذا المنهج الذي رسمه ابن حزم للمتعلم كان سائداً في الأندلس في عصره – أو ربما – هو يقارب المنهج الذي اتبعه هو في تعلمه ، وحسب تجربته الشخصية [1] .

ويلاحظ أن ابن حزم لم يصرح بصفة مباشرة أو يحدد مراحل دراسية أو زمنية معينة ، وإنما ساق تلك المواد متتابعة ، توحي للقارئ بوجود فاصل أو مراحل بين مادة وأخرى أو بعض المواد ومثيلاتها ، والقاسم المشترك بين بعض المواد وأخرى هو تشابه التخصص أو ارتباطها ببعضها البعض[2] ، لهذا لخصها المؤرخ احسان عباس في جدول بيّن فيه المراحل التي سردها ابن حزم بحسب المواد التي تُدرس إلى سبع مراحل ، كل مرحلة عدد فيها طبيعة ونوع العلم الذي يُدرس ، والمستوى المطلوب الذي يجب أن يبلغه المتعلم في هذه المرحلة ، زيادة على الكتب المقررة في كل مرحلة[3] .

- **المراحل التعليمية :**

1- المرحلة الأولى : تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم :

وتبدأ الحياة الدراسية للمتعلم لما يبلغ من العمر خمس سنوات أو نحوها من مولد الصبي ، وهو السن الذي يرى ابن حزم أن الطفل يشتد فيه ساعده للتعلم(استعداد جسمي)، ويفهم ما يخاطب به ، ويَقْدر فيه على رد الجواب (استعداد ذهني وفكري)، وفي هذا السن يُسلِّم الآباء أو الأولياء صبيانهم إلى مؤدبٍ ليُعلِّمهم الخط وتأليف الكلمات من الحروف ، والحد الأدنى المطلوب من هذه المرحلة أن يستطيع ، ويتمكن الصبي من كتابة الخط قائم الحروف ، واضحاً ، صحيح التأليف ، وهو ما يسمى بالهجاء .

ومما يلاحظ من تعليق ابن حزم على تعلم الخط بأنه لا يجوز للصبي تجاوز هذه المرحلة إذا كان خطه غير واضح فإنه يُتعب قارئه "فإن الخط إن لم يكن هكذا لم يُقرأ إلا بتعب شديد[4] .

كما لا يُطلب من الصبي المبالغة في رسم الخط وحسنه وجماله لأنه قد يوظفه في ما ليس فضيلة ، ويستخدم موهبته تلك كمطية للأغراض دنيوية ،كأن يدخل في خدمة السلطان ، فيشاركه في ظلم الناس ، وهو ما صرح به

---

[1] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 27 (تعليق المحقق) . عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 21 .

[2] يُلاحظ أن ابن حزم إذا أراد أن ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى يوظف بعض الألفاظ والعبارات الدالة على ذلك مثلاً في قوله : " فلينتقل" أو "إذا أحكم " "إذا بلغ (...)أخذ في النظر ". ابن حزم ، المصدر السابق ، ص ص 66 ،69 ، 72 وما بعدها.

[3] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 27 وما بعدها (مقدمة المحقق). عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص ص 29 – 30. عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 159 . أنظر إلى الملحق رقم 03 .

[4] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 65 .

في قوله : " وأما التزيد في حسن الخط فليس هو فضيلة بل لعله داعية إلى التعلق بالسلطان ، فيفني دهره إما في ظلم الناس، وإما بتسويد القراطيس بتواقيع بعيدة من الحق ..."[1] .

أما تعلم القراءة فالمستوى المطلوب منه أن يصل الصبي إلى حد المهارة في قراءة كل كتاب يصل اليه بلغة بلده كما عليه في هذه المرحلة أن يحفظ القرآن الكريم ، فيتدرب على قراءته وتلاوته تلاوة صحيحة ، ويحاول أن يفهم معانيه ليستعين بوصاياه في حياته ، ويكون عدة ودخرًا له[2] .

مما يُلاحظ في ترتيب المواد السابقة تقديم ابن حزم تعلم الخط والقراءة على حفظ القران الكريم ، وهذا حتى يستطيع الصبي كتابة ، وقراءة القرآن الكريم ثم حفظه ، وأن يفهم ما يقرؤه .

- **المرحلة الثانية : تعلم علم النحو واللغة والشعر :**

فالنحو أن يعرف المتعلم حركات اللفظ وهجائه الذي يؤدي إلى اختلاف المعاني ومعرفة الاعراب والصرف "كرفع الفاعل ونصب المفعول ، وخفض المضاف، وجزم الأمر والنهي، وكالياء في التثنية والجمع في النصب وخفضهما ، وكالألف في رفع التثنية ، والواو في رفع الجمع وما أشبه ذلك ، فإن جهل هذا العلم عسر عليه علم ما يقرأ من العلم "[3]، أما اللغة فهي تكمن في الألفاظ التي يعبر بها عن المعاني المراد توصيلها إلى الآخر، ولا تكون الاستزادة منه إلا بكثرة مخاطبة الناس خاصة منهم العلماء ، وكذلك قراءة الكتب والمؤلفات ، ومنها بعض الكتب المتخصصة في هذين العلمين – النحو واللغة – والتي تعين

---

[1] نفسه . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 160 .

[2] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 66 .

[3] نفسه .

طالب العلم في طلبهما وتحصيلهما وهي: "كتاب الواضح " للزبيدي (ت 379 هـ/989م)[1] ،أو" الموجز " لابن السراج (ت 316هـ/929م) [2].

وينصح ابن حزم بعدم التعمق في علم النحو ، فلا منفعة له في ذلك ، والاشتغال بغيره أولى ، إلا من أراد أن يجعله معاشاً ومطية للتكسب ، ويرى أن الهدف المنشود لطالب العلم من هذا العلم هو التمكن في المخاطبة فقط ويُوجه من أراد التوسع والتعمق في النحو إلى دراسة كتاب سيبويه (ت180هـ/ 796م)[3] .

---

[1] هو محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي ، يكنى بأبي بكر ، من اشبيلية ، يرجع أصل أجداده إلى جند حمص من الشام، سكن قرطبة فنال بها جاهاً عظيماً ورياسة ، وصف بأنه كان واحد عصره في علم النحو ، وحفظ اللغة والعربية ، عالماً في الإعراب والمعاني والنوادر وعلم السير والأخبار ، استأدبه الخليفة الحكم المستنصر بالله لابنه هشام المؤيد بالله لتعليمه الحساب والعربية ، وقدمه على أحكام القضاء بإشبيلية ، ثم عينه على خطة الشرطة ، وقد قرئ عليه بعض كتب اللغة وبعض ما ألفه ، ومن مؤلفاته في النحو والعربية كتابه الواضح ، وصفه ابن خلكان بالمفيد جداً ، وكتاب "الأبنية " ، و"لحن العامة " ، وفي رجال النحو واللغة كتابه "طبقات النحويين واللغويين" . وكان شاعراً كثير الشعر ، ويرى الحميدي بأنه توفي قريباً من 380هـ/990م بإشبيلية .ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 90. الحميدي ، المصدر السابق ، ص 46 وما بعدها .الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 93-94 . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 372 وما بعدها .جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) ، **بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحويين** ، دار الفكر ، ط2 ،ج1 ،1979 ، ص ص 84 – 85 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص 82 .

[2] هو محمد بن السَّرِي بن سهل بن السَّرَّاج ، يكنى بأبي بكر ، من أهل بغداد ، أحد الأئمة المشاهير في النحو والآداب ، وهو شاعر كذلك عارفاً بالموسيقى، وكناية لتمكنه في علم النحو قيل في حقه : مازال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله ، توفي شاباً ، من مؤلفاته في النحو كتاب " الأصول"، الذي وصف بأنه من أجود كتب النحو وغاية من الشرف والفائدة ، وكتاب " جمل الأصول" ، و"الموجز" ،و"الجمل" وغيرهم . الزبيدي الأندلسي(أبوبكر محمد بن الحسن)، **طبقات النحويين واللغويين** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، القاهرة 1984 ، ص 112. ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج4 ،ص ص 339 – 340 .خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص136. ابن خير الإشبيلي (أبوبكر محمد)، **فهرسة ابن خير الإشبيلي(502- 575هـ/ 1108-1179م)** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني، ط1 ،القاهرة، بيروت ، 1989، ج2 ، ص397 .

[3] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص ص 66 – 67. وسيبويَه هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، ولد سنة 148هـ/ 765م ، يكنى بأبي بشر، أو بأبي الحسن ، لُقب بإمام النحاة ، وأعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو واللغة، وهو أول من بسط علم النحو، رحل إلى البصرة وبغداد ولزم علماء النحو ، صنف كتاباً في النحو سماه "كتاب سيبويه" ، قيل بأنه لم يُصنع قبله ولا بعده مثله ، يحتوي على ألف ورقة تتضمن ألف وخمسون بيتاً من الشعر، اختلف المترجمون في تاريخ ومكان وفاته . وكلمة سيبويه لقب فارسي بمعنى رائحة التفاح أو ثلاثون رائحة. الزبيدي الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 66 وما بعدها . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 463 . ابن خير الاشبيلي ، المصدر السابق ج 2 ، ص 399. جلال الدين السيوطي ، المصدر السابق ، ج2 ،ص ص 229 – 230 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج5 ص 81 .

وفي علم اللغة يوجه ابن حزم طالب العلم إلى كتابين وهما "الغريب المصنف" لأبي عبيد(ت224هـ /838م)[1] ، و" مختصر العين " للزبيدي ، يستعين بهما المتعلم في فهم الألفاظ المستعصية ، وللتعمق اقترح ابن حزم كتاب "خلق الانسان"، وكتاب"الفرق " لثابت (ت نحو 250هـ/نحو 865م)[2] ، " والمذكر والمؤنث " لابن الأنباري (ت327 أو 328هـ /938 أو939م)[3] ، و"الممدود والمقصور والمهموز " لابي علي القالي(ت356هـ/967م)[4]،و" النبات " لابي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت282هـ/895م)[5] .

---

[1] وأبو عبيد هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي الخراساني البغدادي ، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه ، وله حظ من القراءات والأخبار ، ولد 154هـ/ 770م ،وقيل سنة 157هـ/774م ،كان مُؤدِّباً فاضلاً ، سمع الناس من كتبه في القرآن الكريم واعرابه ،والحديث وغريبه والفقه والنحو ، حج وتوفي بمكة ، من مؤلفاته : "الطهور في الحديث" ،" الأجناس من كلام العرب" ، " الأمثال" ، " معاني الشعر" وغيرها وكتابه :"الغريب المصنف" في غريب الحديث المذكور أعلاه يقع في مجلدين ألفه في نحو أربعين سنة ، وقيل بأنه أول من صنف في هذا الفن. الزبيدي الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 199 وما بعدها . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج4، ص 60 وما بعدها . خير الدين الزركلي المرجع السابق ، ج5 ، ص 176 .

[2] ثابت بن أبي ثابت سعيد الكوفي ،نحوي ، لغوي ، له حظ في الفقه ، وُصف بأنه من أحسن الناس في زمانه خطاً ، يكنى بأبي محمد ، من مؤلفاته: "خلق الإنسان" وكتابه المذكور أعلاه " الفرق بين تسمية جوارح الإنسان وتسمية جوارح غيره من الحيوان " . الزبيدي الأندلسي المصدر السابق ، ص 205 . جلال الدين السيوطي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 481 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 97 .

[3] هو أبوبكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، النحوي اللغوي ،ولد سنة 271هـ/787م بالأنبار، وصف بأنه من أعلم الناس بالنحو والأدب في وقته وأكثرهم حفظاً للشعر والأخبار، ويحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيدها ، وأملى كتباً كثيرة منها : " غريب الحديث " الذي قيل فيه أنه من أجلّ كتبه يقع في خمسة وأربعين ألف ورقة، " الهاءات" ، "الأضداد" ، وكتابه "المذكر والمؤنث" المذكور أعلاه قيل فيه بأنه لم يُعمل أتم منه في اللغة ، توفي ببغداد. الزبيدي ، المصدر السابق ، ص ص 153 – 154 . جلال الدين السيوطي ، المصدر السابق ، ج1، ص 212 وما بعدها. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص 334 .

[4] هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون ، لغوي ، ولد سنة 288هـ/901م بمنازجرد على الفرات الشرقي وبها نشأ ، رحل إلى بغداد ،وأقام بها وتعلم ، ثم قصد الأندلس ، فدخل قرطبة أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) واستوطنها ، وقيل بأن الحكم المستنصر قبل توليه هو الذي كتب للوفود عليه ، وقد أكرمه بالعطاء على التأليف ، توفي بقرطبة .قيل بأنه كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والنحو ، ومن أشهر تصانيفه "النوادر" ، " الأمالي" في الأخبار والأشعار ، " البارع" الذي يعد من أوسع كتب اللغة ، بناه على حروف المعجم يشتمل على خمسة آلاف ورقة ، وكتابه" المقصور والممدود والمهموز" المذكور قيل فيه بأنه لم يؤلف في مثله .الزبيدي الأندلسي ، المصدر السابق ص 121 . ابن الفرضي ، المصدر السابق ،ق1، ص 121. الحميدي ، المصدر السابق ، ص 164 وما بعدها. الضبي ، المصدر السابق ج1 ، ص 282 وما بعدها . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 226 وما بعدها .ابن خير الاشبيلي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 460 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 321 – 322.

[5] نحوي ، لغوي ، مهندس ، رياضي، مؤرخ ، ونباتي ، وُصف بأنه راوية ثقة ،جمع بين آداب العرب وحكم الفلاسفة ، من مؤلفاته "كتاب الباه" "لحن العامة "، "الشعر والشعراء" ، "الأخبار الطوال" ، "الأنواء" ، أما كتابه "النبات " المذكور أعلاه فقد قيل فيه بأنه لم يؤلف مثله في زمانه . جلال الدين السيوطي، المصدر السابق ، ج1 ، ص 306 .خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 122 – 123 .

و يرى ابن حزم بأنه لا مانع من التعمق في اللغة ، بل يستحسنه مخالفاً رأيه في علم النحو ، ويبرر ذلك بأن ألفاظ اللغة كلها صحيحة ، وحث الطالب على اكتساب ثروة من الألفاظ التي يدل كل لفظ منها على معنى محدد ، فتتنوع تعابيره ، وبهذا يكون الخطاب بليغاً خالياً من الغموض والشك وأقرب الى البيان، بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما قرر أنه لا يجوز لمعلم القرآن أن يُعلِّم ما لم يكن متمكناً في اللغة العربية[1] .

ويبين ابن حزم أهمية استيعاب المتعلم مادتي النحو واللغة لما لهما من أثر ودور في فهم القرآن الكريم وعلم الحديث ومقاصدهما ،إذ شدد على من جهل النحو واللغة فحرام عليه أن يفتي في الدين وحرام على المسلمين أن يستفتوه لأنه لا علم له باللسان الذي خاطبنا به الله سبحانه وتعالى[2] .

ولقد أدرج ابن حزم إلى جانب علم النحو وعلم اللغة في هذه المرحلة رواية الشعر ، ويحبذ عدم الاكثار منه وليكن طلبه للأشعار التي فيها الحكم وما يوجه الى الخير ، لهذا استحب اختيار من ينشد الشعر في هذين الغرضين كشعر عبد الله بن رواحة (استشهد8هـ/629م)[3] ، وكعب بن مالك (ت 50هـ/670م)[4]، وحسان بن ثابت (ت 54هـ/674م)[5]، رضي الله عنهم ، وشعر صالح بن عبد القدوس (قُتل 167هـ/783م)[6] ،ومن نحا نحوهم ، فإن مواضيع تلك الأشعار تحث على تنبيه النفس[7] ، وعلى المتعلم تجنب أربعة أغراض من الشعر، وهي :

---

[1] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص ص 67 , 87.

[2] ابن حزم الأندلسي ، رسالة التلخيص لوجوه التخليص ، ص 162 . عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 26 .

[3] يكنى بأبي محمد ، صحابي من شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استخلفه النبي عليه الصلاة والسلام على المدينة في إحدى غزواته . ابن العماد الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، م1، ص 126 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 86 .

[4] صحابي من أهل المدينة ، يعد من كبار الشعراء ، اشتهر في الجاهلية ، وهو من شعراء الرسول عليه الصلاة والسلام ، وشهد أكثر الوقائع معه عمي في آخر عمره ، وعاش سبعاً وسبعين سنة، له 30حديثاً وقيل 80 حديثاً وديوان شعر. شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 523 وما بعدها . ابن العماد الدمشقي ، المصدر السابق ، م1 ،ص 244 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج5 ، ص ص 228 – 229 .

[5] يكنى بأبي الوليد وبأبي الحسام ، صحابي ،وشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وسيد الشعراء المؤمنين ، وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، فقيل بأنه عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام ، سكن المدينة المنورة وبها توفي ، عُمي قبل وفاته ، له ديوان شعر . شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،ج2، ص 512 وما بعدها .ابن العماد الدمشقي، المصدر السابق، م1 ص 253 وما بعدها . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 175 -176 .

[6] يكنى بأبي الفضل، شاعر وحكيم ، شعره كله أمثال وحكم وآداب ، كان متكلماً يعظ الناس في البصرة ، اتهم بالزندقة فقتله الخليفة العباسي المهدي (158-169هـ/775-785م). ابن خلكان، المصدر السابق،ج2،ص 492. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ، ج3 ، ص 192.

[7] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص 67 .

1- شعر الغزل والتشبيب الذي يحث على المجون ، والفتنة ، وإثارة الشهوات ، وهو ما يؤدي إلى فساد الدين وتضييع الواجبات ، أما شعر التشبيب الذي يسميه الرقيق فيهدم ما يبنيه الإنسان من رياضة نفسه وتقويمها[1].

2 – شعر التصعلك ،والحروب الذي يثير الفتن ،ويحث على اباحة الظلم ،وسفك الدماء .

3 – أشعار التغرّب[2] ، وصفات المفاوز، والتعلق بالمغامرات، والتي قد تؤدي بصاحبها الى الهلاك[3] .

4 – شعر الهجاء ، لأنه يدخل صاحبه في السفه والنذالة والخساسة وتمزيق الأعراض وذكر العورات ، وانتهاك حرمات الآباء والأمهات [4].

وأبقى ابن حزم على غرضين من الشعر لم ينهَ عن طلبهما كما لم يحض على تعلمهما فيراهما من المباح المكروه – على حد تعبيره – وهما المدح والرثاء ، وإذا توفر فيهما شرط صدق المُعَبِّر للمُعَبَّر بِهِ فلا مانع من ذلك فهما يذكران فضائل الممدوح وتُذَكِّر القارئ والمستمع بالمواعظ والموت[5] .

ومما يلاحظ في حديثه عن هذه المرحلة عدم تصنيفه للشعر كعلم أو كمادة تطلب، لهذا فقد أردف العبارة التالية : " وإن كان مع ما ذكرنا رواية شيء من الشعر "[6] ، ويذكر في بداية المرحلة الموالية عبارة : " فإذا بلغ المرء من النحو واللغة إلى الحد الذي ذكرنا فلينتقل الى علم العدد ..." ، ويُلاحظ في العبارة الأخيرة عدم ذكره للشعر البتة ، وهذا راجع لموقف ابن حزم من تعلم الشعر إذ لا يعتبره مادة للتعلم مع أنه يعتبر شاعراً ومن فطاحل شعراء الأندلس الذين ينظمون الشعر على البديهة[7] .

- **المرحلة الثالثة : علم العدد :**

حدد ابن حزم ما يجب على المتعلم تعلمه في هذه المرحلة وهو إتقانه لعمليات الضرب والقسمة والجمع والطرح ، وحساب المساحات ، لهذا وجب عليه الرجوع أو الاعتماد على الكتب التي تعينه في هذا العلم ككتاب

---

[1] نفسه ، ص ص 67 – 68 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 163 . عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 27 .

[2] جاء في القواميس اللغوية من تعاريف التغرب بمعنى الذهاب والتنحي عن الناس ، ويقال تَغَرَّبَ من الغُربة أي البُعد ، ويُقال التَّغَرُّبُ أي النزوح عن الوطن . ابن منظور ، المصدر السابق ، ج36 ، ص 3225. الفيروز آبادي ، المصدر السابق ، ص 123.

[3] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 68 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 163 .

[4] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 68 .

[5] نفسه .

[6] نفسه ، ص 67 .

[7] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 309 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 163 .

اقليدس[1] في الأرثماطيقي (علم طبيعة العدد) فَبِهِ يَدْرسُ مساحة الارض ،" وتركيب الأفلاك ودورانها ومراكزها وأبعادها والوقوف على براهين كل ذلك ، وعلى دوران الكواكب وقطعها في البروج ..."[2] ، كما عليه مطالعة كتاب المجسطي[3] " لمعرفة الكسوفات وعروض البلاد وأطوالها والأوقات وزيادة الليل والنهار والمد والجزر ، ومنازل الشمس والقمر (...) وأما الإيغال في المساحة فمنفعته في جلب المياه ورفع الأثقال وهندسة البناء ..."[4] .

ولقد حذر ابن حزم من الاشتغال بأحكام النجوم لأنه علم باطل ويخلو من البراهين[5]، ويوحي بكلامه هذا بأنه يقصد علم الأبراج والغيب والتنبؤ، لهذا ينصح المتعلم بعدم تصديق أحكام هذا التخصص لأنه يجلب الهم والغم والبؤس والنكد وتوقع الأمراض والنكبات وموت الأحبة وغيرها ، فلا صحة لما يقال في هذا العلم لأنه لا يقوم على براهين وحجج قوية بل على التجارب والخرافات والتخمينات لا غير ، إلا أنه حبب معرفة هذا العلم والأساس الذي يقوم عليه لمعرفة الباطل فيه ودعاوى أصحابه الخرافية للاقتناع بضرورة الابتعاد عنه[6] .

وما يمكن ملاحظته في هذه المرحلة أن ابن حزم بعد تعريفه لعلم العدد وما يحتويه من العمليات الحسابية ،لم يغفل عن دور هذا العلم في العلوم الطبيعية الأخرى كعلم دراسة مساحة الأفلاك وتركيبها ودورانها وأبعادها وتوظيف علم العدد للبرهنة ، وحساب دورات الكواكب ، ومعرفة أوقات زيادة ونقصان الليل والنهار والمد والجزر وغيرها ، وهذا انطلاقاً من إيمانه بتكامل العلوم فيما بينها وخدمة بعضها لبعضها الآخر .

---

[1] من أشهر رياضيي اليونان و المذكور في المصادر العربية باقليدس الصوري صاحب المدخل المشهور إلى علم الهندسة المعروف بكتاب الأركان،كان أعلم أهل زمانه بالهندسة ، يُلقب بالحكيم ، قيل بأنه عاش قبل المسيح بعدة قرون ،وبأنه أول من تكلم في الرياضيات وأفردها كعلم مستقل ، وكتابه معروف باسمه ، ترجم عنه العرب عدة كتب في الرياضيات ، ومن مؤلفاته كتاب المعروضات ، وكتاب المناظر ، وكتاب تأليف اللحون وله كتاب في الطب وغيرها. ابن صاعد الأندلسي، المصدر السابق ،ص ص 28، 40، 78. محمد فريد وجدي ،**دائرة معارف القرن العشرون** دار المعرفة، ط3 ، بيروت ، 1971، م1 ، ص 433.

[2] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص 69 .

[3] المجسطي هو عنوان لكتاب في حركة الكواكب ألفه العالم الفلكي اليوناني بطليموس ، وصف ابن صاعد أهمية وقيمة هذا الكتاب بقوله :" ولا أعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها ، فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بجميع أجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب ، أحدها كتاب المجسطي هذا في علم هيئة الفلك وحركات النجوم " . ابن صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 19 ، 29 ، 31 .

[4] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 69 .

[5] ابن حزم الأندلسي (أحمد بن علي) ، **رسالة التوقيف على شارع النجاة باختصار الطريق (ضمن رسائل ابن حزم)** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2 ، بيروت ، 1987 ، ج3 ، ص 133 . عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 27 .

[6] ابن حزم الأندلسي، رسالة مراتب العلوم ،ص69 وما بعدها. عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص ص 25 ،27.

- **المرحلة الرابعة : علم المنطق والعلوم الطبيعية :**

ينتقل المتعلم بعد تحصيله للعلوم السابقة إلى دراسة علم المنطق والعلوم الطبيعية ،ففي المنطق يدرس الأجناس والأنواع والأسماء المفردة, والقضايا والمقدمات والقرائن والنتائج ليعرف ما هو البرهان ، وما ليس ببرهان ،وبهذا العلم يميز الحقائق من الأباطيل ، أما في العلوم الطبيعية فيدرس أحوال الجو ، وتركيب العناصر ، في الحيوان والنبات والمعادن ، ومن أجل الإلمام بذلك ينصح ابن حزم المتعلم بقراءة كتب التشريح ليفهم ويقف على قدرة الصانع عز وجل في خلقه ، كما يطلع ويعرف مكونات الأعضاء كدليل لإعجازه سبحانه وتعالى[1] .

ومما سبق ذكره نلاحظ أن ابن حزم أدرج مادة علم المنطق الفلسفية جنباً إلى جنب مع مادة العلوم الطبيعية وهذا لتوظيف البرهان وأدواته في العلم التجريبي في دراسة أحوال الجو ، وإثبات عناصر مكونات الإنسان والحيوان والنبات ، وقدم مثالاً عمليًّا لذلك من خلال توجيه طالب العلم إلى دراسة كتب التشريح للوقوف على الإعجاز العلمي للخالق عز وجل في مخلوقاته خاصة منها الانسان .

- **المرحلة الخامسة : علم الأخبار :**

لا يرى ابن حزم حرجاً في دراسة علم الأخبار والتاريخ مرادفاً ومتزامناً مع طلب العلوم الأخرى وهذا ما تجلى واضحاً في قوله : " فإذا أحكم ذلك في خلال ابتدائه بالنظر في العلوم فلا يكن منه إغفال لمطالعة أخبار الأمم السالفة والخالفة "[2] ، وقوله في موضع آخر عن علم الأخبار : "ويجعل هذا العلم خاصة وقت راحته وسآمته من تعلم غيره من العلوم "[3].

أما مادة هذا العلم فهي تتنوع بين أخبار الأمم ، وتواريخ الممالك والبلدان والمدن المشهورة والملوك ومظاليمهم وآثارهم وطبقاتهم ، وتتجلى أهمية دراسة تلك الأخبار ليزهد المتعلم في الدنيا وزخارفها ، والاتعاظ بفناء تلك الدول وقراءة أخبار وفضائل الناس الأخيار للاقتداء بهم ، وكذلك يشمل هذا العلم دارسة ومعرفة الفرق والمذاهب الدينية ، وأخبار العلماء للتأثر بهم وتقليد فضائلهم ومآثرهم ، وأخبار المفسدين ليتجنب أن يُذكر منهم وهكذا فالتاريخ والأخبار التي يقصدها ابن حزم هنا تنوعت بحسب الممالك أو السنين أو البلاد أو الطبقات[4] .

ويعلق ابن حزم على هذا العلم بأنه سهل جداً ومنشط للنفس ومنتزه لطالبه وفيه لذة من خلال ترويح نفسه بالاطلاع على تجارب سابقيه[5] .

---

[1] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 72 .

[2] نفسه .

[3] نفسه ، ص 73.

[4] نفسه ، ص ص 72 – 73 . عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 30 .

[5] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 73 .

ومما سبق ذكره يلاحظ أن ابن حزم لم يكتفِ بتوجيه المتعلم إلى الاطلاع على أخبار وتواريخ الامم السابقة والحاضرة والدول والممالك والملوك وغيرهم ، وإنما قدَّم منهجاً للبحث التاريخي الذي يوظفه المتعلم في دراسة علم التاريخ من أجل معرفة الحقائق التاريخية وغيرها من الأباطيل ، فهو يوجهه إلى الاعتماد على المصادر التاريخية اليقينية ومنها مثلاً أداة التواتر التي تحمل الخبر من جيل إلى جيل مهما اختلفت الأزمان وتباعدت الأماكن وهذا ما يتجلى في قوله : " ويوفي على تيقن النصح منها لما يرى من تناصر التواريخ على تباعد أقطار حامليها وتفاوت أزمانهم وتباين هممهم واختلاف أديانهم وتفرق مذاهبهم على نقل قصه ما , فيوقن أنها حق لا شك فيه ويسمع بخلاف نقلهم في قصه ما ، فيدري أنها مضطربة "[1].

وتجسيداً لمنهج ابن حزم القائم على تقديم الوجه العملي في توجيهاته ونصائحه النظرية يلاحظ أنه يطابق ما قاله في علم التاريخ وقيمته المعرفية والعلمية في معرفة الدول وتواريخها مع حياة الانسان وعمره ، لهذا فقد شبه تاريخ دولة ما بحياة الإنسان وعمره ، فالإنسان إذا عاش في بؤس ونعيم ومال ورياسة ثم خمول ، لابد له في الأخير من الوفاة ، وهكذا تواريخ الدول ومظاهر خراب الدول هي شبه أعراض هرم الانسان قبل وفاته ، ونجد هذا الإسقاط في قوله : " فإذا أحكم ما ذكرنا فأولى الأشياء به معرفة ما له خرج إلى هذا العالم ، وما إليه يرجع إذا خرج من هذا العالم ، وبيان ذلك بيان انقضاء أيام سفره ، فإنها قليلة جداً (...) لسنا نقول بالموت الذي لابد منه فقط ، بل بالهرم وعوارض الدهر الذي لا يؤمن تقلبه بأهله ..." [2].

- **المرحلة السادسة : دراسة العقائد والقضايا الفكرية ومواضيع ما وراء الطبيعة :**

بعد أن يحكم المتعلم ويتمكن من العلوم السالفة الذكر على اختلافها وتنوعها من بداية تعلمه في صباه وتدربه على الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم ومختلف العلوم الأخرى الرياضية والفلسفية والطبيعية وغيرها ، وبهذا يمتلك القدرة على توظيف البرهان لحل بعض المشكلات والقضايا الفكرية بعد التمكن من كل ذلك ينتقل إلى درجة ومستوى أعلى مما سبق وهو البحث والاستقصاء في المواضيع التي تختص بالعقائد والقضايا التي توظف الفكر الانساني والتأمل وتتناول ما وراء الطبيعة ، ومن هذه المواضيع تلك التي تطرح بعض الاسئلة والاشكاليات لغرض البحث فيها منها مثلاً :" هل العالم مُحْدَث ؟ أو لم يزل ، فإذا حصل له أنه محدث (...) نظر هل له مُحْدِث أو لا محدث له (...) هل المحدِث واحد أو أكثر من واحد (...) ، هل النبوة ممكنة أو واجبة أو ممتنعة ...."[3].

---

[1] نفسه ، ص ص 72 – 73 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص ص 166 – 167 .

[2] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 73 .

[3] نفسه .

وتهدف الأسئلة السالفة الذكر إلى البحث في العالم الذي يوجد فيه هذا الإنسان ، وأصل هذا الكون وخالقه الواحد القهار والبرهنة وإثبات إعجازه وتوحيده وربوبيته لهذا الكون ،وعند التأمل والبرهنة على ذلك يأتي الهدف المنشود من كل تلك الأسئلة والاستفهامات وإتباع طريق الاستقامة والخلاص والنجاة وهو الطريق الذي يؤدي إلى الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والانكباب على حفظ القرآن ودراسته والأخذ بأحكامه وأوامره ونواهيه وهذا وجه الفرق بين ملة الاسلام والملل الأخرى ، ودليل ذلك ما صرح به ابن حزم في قوله : " ...وقف عند ذلك وسلم الأمر – يقصد المتعلم – إلى من صحت له البراهين بنبوته ، وأنه عن الله عز وجل يتكلم وعن عهوده يُخْبِر ، وتبحث حينئذ عن كل ما أُمِر به أو نهي عنه فاستعمل نفسه به (...) فهذا طريق الخلاص وشارع النجاة ومحلة الفوز (...) وهذه الطريق التي وصفنا مؤدية إلى الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وموجبة لطلبنا في القرآن من عهود الله تعالى ، وطلب عهوده عليه السلام (..) والأخذ بكل ذلك والتمسك به فإن هذا معدوم في جميع الملل ، حاشا ملة الإسلام "[1].

مما سبق ذكره يلاحظ أن ابن حزم أخّر مادة العقائد والنظر في ما وراء الطبيعة وتوظيفها في البرهنة وإثبات وحدانية الله تعالى وربوبيته سبحانه ضمن أواخر مراحل التعلم , وهذا حتى ينضج العقل العلمي للمتعلم -إن صح التعبير – فهذه المادة خطيرة بالنسبة للمبتدئ أو من اكتفى بمرحلة أو مرحلتين من المراحل السابقة الذكر .

- **المرحلة السابعة : علم الشريعة :**

ويجعله ابن حزم العلم الأعلى والأعظم منفعة ولا يجب على المتعلم أن يشتغل بعلم غيره ، لهذا فقد رتبه ابن حزم في أعلى هرم العلوم التي تُطلب[2] ، وما يجعل تلك العلوم السالفة الذكر إلا خدمة لعلم الشريعة فمثلاً في علم العدد والهيئة والمنطق فالغرض منها الإثبات والاستدلال على دلائل إعجاز المولى عز وجل الصانع للأشياء ، أما في التاريخ ومطالعة أخبار البلاد والعباد ، فالهدف منها الاتعاظ والاقتداء والاستفادة من ذلك العلم طلباً للنجاة في تلك الدار وإذا لم يكن كذلك فهو فضول وحماقة فقط[3] .

وعلم الشريعة يشتمل على علوم القرآن ،وعلوم الحديث، وعلم الفقه ،وعلم الكلام ، ولقد حدد ابن حزم أقسام علم الشريعة الاسلامية ، وهي أن يدرس المتعلم علوم القرآن فيعرف قراءته ومعانيه ، وعلوم الحديث فيعرف

---

[1] نفسه ، ص 74. عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص ص 167 – 168 .

[2] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 75 . ابن حزم الأندلسي ، الأخلاق والسير، ص 120 .عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 28 .

[3] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص 75 .بل يشدد على علم الشريعة بأكثر حدة في لهجته عندما ذهب بالقول إلى ضرورة إيثار علم الشريعة على كل العلوم ، فيرى ذلك واجباً . نفسه ، ص 86 .

متونه ورواته ، وعلم الفقه : فيدرس فيه أحكام القرآن والحديث ، وما أجمع المسلمون عليه وما اختلفوا فيه ، أما علم الكلام فينقسم إلى معرفة أقوال المتكلمين وحججهم ، وما يصح بالبرهان ، ومالا يصح [1].

مما سبق ذكره عن المراحل التعليمية ، التي حدد ابن حزم المواد التي يطلبها المتعلم فيها يمكن الخروج بعدة نتائج و تعليقات تُلخص فيما يلي :

1/ – أن العمر المناسب الذي أقره ابن حزم لبداية التعلم هو لما يبلغ الصبي الخمس سنوات أو نحوها .

2/ – يتدرج المتعلم في طلب العلوم إلى سبع مراحل تتحدد كل مرحلة بحسب طبيعة المواد التي تحتويها ويجتاز المتعلم كل مرحلة حسب استطاعته وقدرته وتمكنه وسنه ونضجه العقلي .

3/ – أن المرحلة تتحدد بطلب أكثر من مادة .

4/– وجود مواد أساسية في كل مرحلة ومواد اختيارية في بعض المراحل ، كما توجد بعض المواد التي يحذر منها ابن حزم طالب العلم أن يطلبها لذاتها ، وإنما ليعرف ويقف على مدى بطلانها كعلم أحكام النجوم مثلاً ، وأما المواد الأساسية فهي كل التي ذكرها في مختلف المراحل ما عدا علم الشعر الذي رآه ابن حزم مادة اختيارية وحدد أغراضًا شعرية معينة يطلبها المتعلم كالتي تتحدث عن الخير والزهد والحكم والمواعظ .

5/– وجود مراحل متدرجة ومتعاقبة ، ومراحل أخرى متزامنة ومتداخلة مع أخرى ، فعلى الرغم من أن الباحث والمؤرخ إحسان عباس في مقدمة تحقيقه لكتاب رسالة في مراتب العلوم لابن حزم ذكر أن صاحب الكتاب لم يحدد ما إذا كانت هذه المراحل متعاقبة ومتدرجة أو متداخلة ومتوازية ، حتى ذهب به الرأي بقريب من الجزم بأنها متداخلة ومتزامنة وحجته في ذلك أن تعاقب هذه المراحل يستغرق وقتاً طويلاً ، إلا إنه بالتمعن في ما صرح به ابن حزم وهو يعدد مواد بعض المراحل نجد أنه يفصل بينها بعبارات تدل على وجود فواصل بين بعض المراحل أي أنها متعاقبة ومتدرجة باستخدامه كلمة :" فلينتقل "[2] ، التي وظفها عند الانتقال من المرحلة الأولى الأساسية إلى المرحلة الثانية ، وكذلك عند انتقال المتعلم من المرحلة الثالثة إلى الرابعة وظف عبارة :" فاذا بلغ .... أخذ النظر في ...." [3] للدلالة على الانتقال من المرحلة الثالثة إلى الرابعة ،كما استخدم عبارة "فيلزم المرء أن ينظر – إذا أحكم ما ذكرنا – "[4] للانتقال من المرحلة الخامسة إلى السادسة ، في حين لمح ابن حزم إلى مرحلتين بأنهما متداخلتان ومتزامنتان مع المراحل السالفة الذكر وهما علم التاريخ والأخبار، وعلم الشريعة ، وألح ابن حزم على المتعلم بعدم

[1] نفسه ، ص ص 29 ، 78 – 79 .
[2] نفسه ، ص ص 66 69 .
[3] نفسه ، ص 72 .
[4] نفسه ، ص 73 .

التغافل عن هذين العلمين لما لهما من فوائد جمة ومهمة ، فعلم الشريعة وعلم التاريخ هما هوية الأمة الإسلامية التي تُميزها عن باقي الملل والشرائع الدينية الأخرى ، والكلمة المفتاحية التي وظفها للدلالة على المرحلة المتزامنة والمتداخلة هي كلمة " اغفال " أو " مغفل " فقد قال عن علم الأخبار والتاريخ :" فلا يكن منه اغفال لمطالعة أخبار الأمم السالفة والخالفة" [1]، وقال في علم الشريعة :" فإن اشتغل مغفل عن علم الشريعة بعلم غيره ، فقد أساء النظر وظلم نفسه وآثر الأدنى والأقل منفعة على الأعلى والأعظم منفعة "[2] .

6/- رغّب ابن حزم المتعلم في دراسة علم التاريخ عند بداية طلبه للعلوم ؛ أي أنه يمكن تقديم المرحلة الخامسة مع المراحل الأولى من التعلم ، وهذا ما صرح به في قوله : " فإذا أحكم ذلك في خلال ابتدائه بالنظر في العلوم"[3]. كما توجد بعض المواد المتداخلة في المرحلة الواحدة في حد ذاتها كحفظ القرآن الكريم في المرحلة الأولى ، فجعل حفظه متزامناً مع علمي الكتابة والقراءة، وهذا ما صرح به في قوله :".. .ويحفظ مع ذلك القرآن فإنه يجمع بذلك وجوها كثيرة عظيمة ،أحدها التدرب في القراءة له وتمرين اللسان على تلاوته ..."[4] ، وكذلك مادة الشعر التي جعلها اختيارية ومتداخلة مع مواد المرحلة الثانية (النحو واللغة العربية) من خلال قوله : " وإن كان مع ما ذكرنا رواية شيء من الشعر..."[5] .

ويمكن تلخيص الاستنتاجات السابقة الخاصة بالمراحل المتزامنة والمتداخلة ، وكذا المراحل المتعاقبة والمتدرجة والمواد الاختيارية والمتداخلة في الجدول التالي :

	العبارة الدالة على الفاصل بين مرحلتين من قول ابن حزم	**طبيعة المرحلة متداخلة أم متدرجة**	**المواد المتداخلة في كل مرحلة**
بين المرحلة الأولى والثانية	" **فإذا نفذ** في الكتابة والقراءة كما ذكرنا **فلينتقل** إلى علم النحو واللغة معاً " .(ابن حزم الأندلسي، رسالة مراتب العلوم ص 66).	مرحلة متدرجة	القرآن الكريم في المرحلة الأولى كمادة متداخلة ضرورية والعبارة الدالة على ذلك:"ويحفظ مع ذلك القرآن".(ابن حزم الأندلسي،رسالة مراتب العلوم ، ص 66).

[1] نفسه .
[2] نفسه ، ص 75 .
[3] نفسه ، ص 72 .
[4] نفسه ، ص 66 .
[5] نفسه ، ص 67 .

بين الثانية والثالثة	" **فإذا بلغ** المرء من النحو واللغة إلى الحد الذي ذكرنا **فلينتقل** إلى علم العدد "(ابن حزم الأندلسي رسالة مراتب العلوم، ص 69).	مرحلة متدرجة	الشعر في المرحلة الثالثة مادة متداخلة اختيارية ، والعبارة الدالة على ذلك : "وإن كان مع ما ذكرنا رواية شيء من الشعر". (ابن حزم الأندلسي، رسالة مراتب العلوم، ص67).
بين الثالثة والرابعة	" **فإذا بلغ** الإنسان **حيث ذكرنا أخذ النظر** في حدود المنطق وعلم الأجناس...**وينظر** في الطبيعيات"(ابن حزم الأندلسي رسالة مراتب العلوم ، ص 72).	مرحلة متدرجة	
بين الرابعة و الخامسة	" **فإذا أحكم** ذلك **في خلال ابتدائه بالنظر في العلوم فلا يكن منه إغفال** لمطالعة أخبار الأمم السالفة والخالفة "	مرحلة متداخلة ومتزامنة مع المراحل الأخرى	مادة متداخلة في جميع المراحل التعليمية والعبارة الدالة على ذلك في قوله : " **ويجعل هذا العلم خاصة وقت راحته وسآمته من تعلم غيره من العلوم** ".(ابن حزم الأندلسي، رسالة مراتب العلوم ص73.
بين الخامسة والسادسة	" فيلزم المرء أن ينظر – **إذا أحكم ما ذكرنا –** أن يطلب البرهان من العلوم الضرورية التي ذكرنا " . (ابن حزم الأندلسي رسالة مراتب العلوم ، ص 73.	مرحلة متدرجة .	
بين السادسة والسابعة	" **فإذا اشتغل مغفل**عن علم الشريعة بعلم غيره، فقد أساء وظلم نفسه ..." .(ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص 75).	مرحلة متداخلة ومتزامنة مع المراحل الأخرى.	

7- يُلاحظ أن ابن حزم حدد للمتعلم بعض الكتب التي تساعده في تحصيل مواد بعض المراحل وهي المرحلة الأولى والثانية والثالثة ، أما باقي المراحل فقد ترك له الحرية في اختيار ومطالعة كتب مواد كل مرحلة .

ز) – الآفات التي تضر بالعلم وأهله عند ابن حزم : لم ينس ابن حزم التطرق لبعض المظاهر السيئة التي أصابت حال العلم والتعليم وأهله في الأندلس في عصره ، فتكلم عن بعض هذه المظاهر السيئة ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

1 – الدخلاء على العلم : تحدث ابن حزم عن بعض الآفات والمظاهر التي تعاني منها مجالس العلم والعلماء ومنها من يدّعون بأنهم علماء وهم الدخلاء عليه ومن غير أهله الحقيقيين ، ويظنون أنهم يُعلِّمون ، ولكنهم يفسدون[1] .

ولقد عانى ابن حزم من هذه الفئة في حياته ، لهذا حرص على المتعلم بأن يميز العلماء الحقيقيين عن غيرهم من الدخلاء ، وتهجم ابن حزم على هؤلاء الدخلاء قائلًا بأنهم من محدودي المستوى ،وأن طلبهم للعلم كان بغرض الازدراء أو الافتخار على الناس ، والتطاول على العامة ، كما أنهم يتهجمون على بعض العلوم غير التي درسوها كعلم الفلك مثلاً ، وكتب اليونان القديمة التي تتكلم عن الطب والتداوي بالأعشاب ، وانتقد بالأخص علماء الشريعة والفقهاء بدليل قوله :" ...فمن ذلك أنا وجدنا قوماً من أهل طلب العلم أعنى الديانة ، يزرون بسائر العلوم وهذا نقص عظيم شديد لا ينتفع به صاحبه في قسمة الفرائض والمواريث ، وأن يعرف من المطالع ما يعرف به أوقات الصلوات ودخول شهر رمضان ...وإن لم يعرف مضار المأكل والمشرب أوشك أن يتناول ما يؤذيه ويضر به وذلك محرم ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتداوي ، فاتباع أمره فرض ، وتعلم الطب فرض على الكفاية ..." [2] ، وشبه ابن حزم هذه الفئة بالمبتدئ في طلب العلم وهو في عنفوان الصبا وشدة الحداثة لهذا نبه المتعلم إلى عدم ازدراء العلوم الأخرى غير التي طلبها مهما كانت طبيعة موادها [3].

2 – الأخلاق الفاسدة لبعض العلماء : وحذر ابن حزم من انتشار بعض السلوكيات والنوايا الفاسدة في نفوس بعض العلماء ، ومنها مثلاً " الحسد " فهو من بين الآفات والمصائب التي يعاني منها أهل العلم ، وتحدث عن بعض المظاهر التي تدل على الحسد عند قوله : " من بديع ما يقع في الحسد قول الحاسد إذا سمع إنساناً يُغْرب في علم ما : هذا شيء بارد ، لم يتقدم إليه ولا قاله قبله أحد ، فإذا سمع من يُبَيِّن ما قد قال غيره قال : هذا بارد

---

[1] ابن حزم الأندلسي ، الأخلاق والسير ، ص 122 .
[2] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص 87 .
[3] نفسه ، ص ص 87 – 88 .

وقد قيل قبله ، وهذه طائفة سوء قد نصبت أنفسها للقعود على طريق العلم ، ويصدون الناس عنها ليكثر نظراؤهم من الجهال ..."[1] .

على أنه يميز بين نوعين من الحسد ، الأول هو الحسد البغيض الذي ينتقص من العلماء وأقوالهم وعلمهم ،والثاني هو الحسد المحمود – على حد تعبيره – وهو أن يتمنى المتعلم الوصول إلى درجة محسوده فهذا حسن ومطلوب ومرغوب في نفس المتعلم وهو ما يسمى بالغبطة[2] ، لهذا فهو يحث على التعاون في العلم كالتعاون في شؤون الحياة في مجالات أخرى [3]، ولقد أوصى ابن حزم العالم بأن يكون متواضعاً خيِّراً ، وأن لا يسخر من الأقل منه علماً أو يحتقر من دونه مستوى ، وليتذكر بأنه كان في مثل حاله قبل أن يعلم ما علم وحث العالم بأن لا يتكلم في علم قبل أن يحكمه فيخزى ، وأن لا يكتم علمه فيكون هو ومن لا علم له في منزلة واحدة ، وأن لا يطلب بعلمه عرض الدنيا ، وأن يتقي الله في سره وعلانيته ، فهذا هو ما يتزين به العلماء على حد قوله [4].

المطلب الثالث : آراؤه في بعض القضايا التي تتعلق بالتعليم والعلماء :

أ)– رأيه في قضية أخذ الأجر عن التعليم : ناقش الفقيه المربي ابن حزم قضية جوهرية وإشكالية أرقت فقهاء ذلك العصر مفادها : هل يجوز للمعلم أخذ المقابل المادي نظير تعليمه طلبة العلم؟ أما موقفه فقد رأى أنه إذا كان المعلم على كفاف من العيش فلا حاجة له بأخذ الأجرة والمقابل المادي على ذلك، أما إذا كان في حاجة وفاقة ، ولا يوجد مورد مادي آخر لكسب قوت يومه فيجيزه على أخذ الأجر على التعليم ،بل ويستحسنه ويميز من يعلم الهجاء عن غيره من المعلمين حيث يجيز لمعلم الهجاء أخذ الأجر، لأن " له فضيلة عظيمة لأنه سبب حياة كل من تعلم منه شيئاً ، وله الأجر المضاعف من كل من يتعلم ممن علّمه هو إلى انقضاء الأبد"[5].

والمواد التي ذكرها كالهجاء والنحو ، والحساب ، والطب هي المواد التي سمح فيها ابن حزم للمعلم بالتكسب من تدريسها ، أي أنه لم يجيز الأخذ على تعليم مواد أخرى كتحفيظ القران الكريم، الفقه ،الحديث ، والشعر ...الخ.[6]

ب)– صحبة السلطان بالعلم : ويحذر ابن حزم طالب العلم من أن يصحب السلطان ، ويجعل العلم مطية للتقرب منه ، لكي لا يؤثم معه في المظالم ، كما كرّه من أن يصحبه بالطب ، فالغالب على الملوك الجهل ،وقلة

---

[1] ابن حزم الأندلسي ، الأخلاق والسير ، ص 202 .

[2] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص81. عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 35 .

[3] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 27 ، 84 .

[4] نفسه ، ص 81 . عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 37 .

[5] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 76 .

[6] نفسه .

الصبر " ، ويكلفون الطبيب إحياء الموتى ويستقصرونه دون هذه المنزلة "[1] ،كما نهى عن صحبة السلطان بعلم النجوم "لأنه يتعاطى ما ليس في قوته الوفاء به "[2].

ج)– مقومات ودعائم التعلم : حث ابن حزم المتعلم على الاستكثار من طلب العلم ليتميز عن غيره من الجهال لا ليجعله مكتسباً أو ليُمدح به ، ولخص مظاهر البحث ومقومات التعلم في الكلمات التالية : " ذكاء ، فهم وبحث وذكر، وصبر على ذلك ، والتعب فيه ، وإنفاق المال عليه ، والاستكثار من الكتب "[3]، ويجب أن تلازمه المحبرة والكتب في يده وكمه ، وتقييد ما يسمعه [4].

كما نبه على المتعلم بضرورة ملازمة العلماء ، وكتابة ما يسمعه عنهم ، وأن يقصد حواضر العلم التي تشتهر بالعلماء وحضور مجالس المناظرة ، وأن لا يقتصر السماع على شيخ أو عالم واحد فقط ، وأن لا يطلب علماً واحداً ، وبما أن المتعلم لا يستطيع الإلمام بكل العلوم ، فإنه يأخذ من كل علم بنصيب ، بأن يعرف الأساسيات المهمة فيه ، ونصح ابن حزم المتعلم بأن لا يتوسع إلا في العلم الذي يوافق رغبته وقدراته وميله نحوه ، وكذا ملكاته ويكون ذلك في علمين أو ثلاثة أو أكثر ، وهذا ما صرح به في قوله :" ثم يعتمد العلم الذي يسبق فيه بطبعه وبقلبه وبحيلته ، فيستكثر منه ما أمكنه ، فربما كان ذلك منه في علمين أو ثلاثة أو أكثر على قدر زكاء فهمه وقوة طبعه ، وحضور خاطره ، وإكبابه على الطلب ، وكل ذلك بتسيير الله تعالى "[5] .

د)–ضرورة تعلم أكثر من علم : يرى ابن حزم أنه من العيب اكتفاء المتعلم أو العالم بعلم واحد من العلوم خاصة في ميدان العلوم الشرعية ، فمعلم القرآن يجب عليه الإلمام بالعربية ومعرفة السنن ، ومن أَحْسَنَ علم السنن (الحديث) ولم يُحسِن علم القرآن لم يعلم علم القراءات وأسباب نزول آيات القرآن وسوره ، ومن طلب علم الفقه دون تعلم القرآن وعلم الحديث فلا يجوز له الإفتاء ، ولا يجوز طلب علم الكلام دون معرفة علم الحديث وأحكامه لعدم معرفته حقيقة الشريعة وأصولها[6] .

هـ)– رأيه حول التأليف في العلوم : لم تقتصر آراء ابن حزم على طلب العلم وكيفيات تحصيله ، وإنما تحدث كذلك عما يجب على العالم في تأليفه للمصنفات والكتب ، فقد وضع شروطاً يجب توفرها منها مثلاً أن يكون الموضوع والبحث الذي بصدد التأليف فيه جديداً ، وهذا لا يتحقق إلا بعد الإكثار من المطالعة "والنظر في

[1] نفسه .
[2] نفسه ، ص 77 .
[3] نفسه .
[4] نفسه .
[5] نفسه ، ص 78 .
[6] نفسه ، ص 87 .

طبائع الأشياء وسماع حجة كل محتج ،والنظر فيها ، وتفتيشها والإشراف على الديانات والآراء والنحل والمذاهب والاختيارات واختلاف الناس ، وقراءة كتبهم ..."[1] ، وألا يكون البحث مسبوقاً ، وأن يكون في موضوع يستحق البحث فيه ولا يؤلف إلا فيما يفيد ، وألا يكرر أقوال السابقين [2].

مما سبق ذكره حول آراء ونظريات ابن حزم في التربية والتعلم قد يُجزم بأن المُربي ابن حزم لم يترك شاردة ولا واردة في هذين المجالين إلا وذكرها ، فتكلم في أخلاق المسلم بصفة عامة ،وأخلاق طالب العلم خاصةً، ومجالس العلم وآدابها ، والصفات المثالية المطلوبة التي يجب أن يتحلى بها العالم (المعلم) والمتعلم على حد سواء ، كما قدم برنامجاً تربويًّا هادفاً صالحاً في عصره وما بعده ، وفي كل مكان من البقاع الإسلامية ، حدد فيه المواد التي يجب أن تُطلب ، وتحدث عن سن بداية التعلم ، وناقش قضية أخذ الأجرة عن التعليم ، وتحدث عن آفات العلم وأشباه العلماء والدخلاء عليهم ، وغيرها من المواضيع التربوية ، ولا يتسع المقام هنا لذكر وحصر وإحصاء كل آرائه ونظرياته وأقواله في هذا الميدان لتناثرها في مختلف مؤلفاته ومصنفاته وتشعبها ، وطول تحليل صاحبها في كل ما يتعلق بهذا الموضوع ، وتستحق أن تفرد بدراسة خاصة بجمع ما قدمه الفقيه والمحدث والمربي الموسوعي ابن حزم الأندلسي عن موضوع التربية والتعليم من نظريات ومواقف وآراء .

[1] عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 23 .
[2] نفسه ، ص 24 .

المبحث الثالث: آراء المحدث ابن عبد البر النمري(ت463هـ/1070م)[1]في التربية والتعليم :

يُصنف ابن عبد البر النمري ضمن كبار علماء الحديث في الأندلس ، وكان لهذا التخصص الأثر فيما استقاه ابن عبد البر من آراء ومواقف حول مختلف جوانب موضوع العلم وأهميته ،ومجالسه ، والتعليم ، وأصوله ،ومظاهره وآداب التعلم ، فقد صنف كتابين حول هذا الموضوع هما :" جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله " والكتاب الآخر هو" أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العيِّ وتعليم الإعراب وغير ذلك "، والملاحظ أن القاسم المشترك بين الكتابين أن محتواهما والمصادر التي اعتمد عليها في كل كتاب ، و آرائه في مجال التربية والأخلاق والتعليم فيهما من آيات القرآن الكريم، وسنن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وكذلك أقوال الصحابة رضي الله عنهم ، والخلفاء، وأقوال التابعين والعلماء ،والحكماء، والشعراء ، وهذا راجع إلى طبيعة شخصية ابن عبد البر النمري العلمية وتخصصه ، فهو محدث بالدرجة الأولى لهذا فقد أكثر من الأحاديث النبوية ولو كانت ضعيفة [2].

فأما كتابه جامع بيان العلم وفضله فقد ضم فيه اثنين وثمانين (82) ما بين باب وفصل تحدث فيها عن طلب العلم وفضله ، وآداب السؤال والجواب ، والرحلة في طلب العلم ، وآفات العلم ، وأخلاق العالم والمتعلم وآدابهما

---

[1] هو يوسف بن عبد الله بن محمد ، يكنى بأبي عمر، فقيه ، حافظ ، عالم بالقراءات والفقه والحديث والنسب والأخبار، وصفه الحميدي بأنه كبير شيوخ الأندلس ، ووصفه ابن بشكوال بأنه إمام عصره وواحد دهره ،وقال في حقه القاضي الفقيه المالكي أبي الوليد الباجي (ت474هـ/1081م):"لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث"، و" أبو عمر أحفظ أهل المغرب" ، ولد بقرطبة سنة 362هـ/972م برواية الحميدي والضبي و سنة 368هـ/978م برواية ابن بشكوال ، لم يخرج من الأندلس إلا أنه طاف ببعض مدنها شرقاً وغرباً وتولى القضاء في بعضها كلشبونة وشنترين ، سمع من كبار أهل الحديث ، وكان يميل في الفقه إلى المذهب الشافعي ، بحاثة كثير التأليف ، ومن مؤلفاته : "كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" يقع في عشرة أسفار أو سبعون جزءاً رتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم ، قال فيه الفقيه والعالم الموسوعي ابن حزم : " لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه ؟ " وكتابه المشهور في تراجم الصحابة المسمى بـ "كتاب الاستيعاب في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضي الله عنهم " يقع في أربعة أسفار قال فيه الحميدي : "هو كتاب حسن كثير الفائدة ، رأيت أهل المشرق يستحسنونه جداً ، ويقدمونه على ما ألف في بابه" ، وكتاب "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله " ، وكتاب" بهجة المجالس وأنس المجالس بما يجري في المذاكرات من غرر الأبيات ونوادر الحكايات " يقع في مجلدين ، وغيرها من المصنفات توفي بشاطبة . الحميدي ، المصدر السابق ، ص367 وما بعدها . الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 659 وما بعدها . ابن بشكوال المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 973-974. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج8 ، ص240 .

[2] عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 22 . ويعترف هو في حد ذاته بأنه ينقل من الأحاديث الضعيفة من حيث نقص ضبط الإسناد ولكن صحيحة في محتواها ، ويؤكد بأنها منسوبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر هذه الحجة في إحدى صفحاته من كتابه جامع بيان العلم وفضله ، وهو ينقل بعض الأحاديث النبوية الشريفة حيث قال : " هذا صحيح لا يحتج بمثله لضعف إسناده ، ولكنه حديث حسن نقله الناس وذكرناه لتقف على ذلك وتعرفه ...". ابن عبد البر النمري ، (يوسف بن عبد الله)، **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله** ، دار ابن حزم ،ط1 ، بيروت ، 2006 ، ص139.

كما تحدث عن علاقة العالم بالسلطان ، والتكسب بالعلم ، والمطالعة والاجتهاد ، وآداب المناظرة والجدال ورأيه في التقليد ، وحث الطالب بضرورة العناية بالعلوم الشرعية خاصة السنة منها ، كما عالج العديد من المواضيع والقضايا التربوية ، ويبدوا أن تأليفه لهذا الكتاب كان بمثابة جواب لسؤال طرح عليه حول معنى العلم وفضل طلبه وثواب السعي فيه ، وآدابه ، وكل ما يتعلق به من المسائل الأخرى[1]، ويذكر منهجه في هذا الكتاب هو كما صرح به في قوله : "ولكني رأيت القصد إلى ما يلزم أولى وأوجب ، فاقتصرنا على الحجة عندنا "[2].

وأما كتابه المعنون بـ: " أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العيِّ وتعليم الإعراب وغير ذلك " فهو عبارة عن رسالة تحتوي على مقدمة صغيرة وخمسة عشر (15) باباً ، ويبدو – حسب تعليق المحقق – أن مضمونها أُختير من طرف بعض تلاميذه أو بعض الوراقين من كتابه الكبير " بهجة المجَالسِ وأنس المُجالسِ وشَحْذُ الذاهن والهاجس "[3] أو ربما وقعت نسخة مبتورة من هذا الكتاب في يد أحد الوراقين فتوهم أنها كتابٌ أو رسالة مستقلة[4] ، ويذكر خير الدين الزركلي صاحب موسوعة الأعلام بأن كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " يقع في أربعة أجزاء ، وطبعت قطعة منه ، واختصره ابن ليون وسماه " بغية المؤانس من بهجة المجالس"، وأنه تحصل على نسخة من الكتاب الأخير[5] ، ومما يلي تلخيص لأهم النقاط في آراء المحدث والمربي ابن عبد البر النمري التربوية والتعليمية من خلال النموذجين السابقين من مؤلفاته :

المطلب الأول : التقيد بالآداب والأخلاق :

مما يُلاحظ في المصنفين المذكورين سالفاً أن المحدث ابن عبد البر أفرد جزءاً مهماً للحديث عما يجب على المسلم أن يتحلى به من آداب وأخلاق ، حث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديثه ، وتكلم عنها

---

[1] نفسه ، ص 7 .

[2] نفسه ، ص 311 .

[3] صنفه ابن خير الإشبيلي ضمن كتب اللغة العربية وآدابها . ابن خير الإشبيلي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 432 .

[4] ابن عبد البر النمري (يوسف بن عبد الله)، **أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العيِّ وتعليم الإعراب وغير ذلك** ، تحقيق ودراسة : سمير حلبي ، دار الصحابة للتراث ، ط1 ، طنطا ، 1989 ، ص ص 21 – 22 . وعند قراءة مقدمة رسالته " أدب المجالسة وحمد اللسان " لا نجد السبب الداعي إلى تأليفها فبعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ مباشرة في الموضوع ، غير أن الباحث المغربي شفيق لامة يرى أن الداعي لتأليف هذه الرسالة هو : تنبيه طالب العلم إلى ما ينبغي الاشتغال به بعد التفرغ من طلب العلوم الشرعية وتركه الفضول . ابن عبد البر النمري ، المصدر السابق ، ص 29. شفيق لامة ، **مجالس العلم والمناظرة بالمغرب والأندلس على عهد المرابطين والموحدين** ، " أطروحة دكتوراه في الدراسات الإسلامية "، كلية الآداب والعلوم الإسلامية بنمسيك ، جامعة الحسن الثاني ، المحمدية الدار البيضاء ، الموسم الجامعي 1432- 1433هـ/ 2011-2012م ، م1 ، ص 158.

[5] خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج8 ، ص 240 .

بعض الصحابة والحكماء في أقوالهم ومواعظهم ، وهذه الأمور ليست مقتصرة على المتعلم والعالم فقط وإنما على المسلم مهما كان مستواه العلمي ، ومن هذه الآداب والأخلاق على سبيل المثال لا الحصر :

1 – معرفة أمور الدين ووجوب التفقه فيه ، انطلاقاً من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ليعرف الحق ويعمل به [1] .

2– الحث على عمل الخير ومساعدة الآخرين ، ونبذ الخلاف [2].

3– ذم الحسد بين الناس ، وتحبيب الغبطة ، وطاعة الله عز وجل ، والالتزام بتلاوة القرآن الكريم ، والقيام به في الليل والنهار ، والاكثار من الصدقات على المحتاجين والمساكين ، لهذا فقد خصص ابن عبد البر باباً كاملاً للحديث عن الحسد المحمود من كتابه جامع بيان العلم وفضله [3].

4– فضل الصمت وحمده و صون اللسان واستغلاله فيما يرضي الله تعالى ويأمر به ، حيث قدم ابن عبد البر نصائح للمسلم بين فيها فوائد الصمت في بعض المواقف والمجالس ، وأن لا يكون الكلام إلا في الخير ومن أجله فقط[4] ، كما حثه على قول الحق ، والكلمة الطيبة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وعدد فضائل الصمت ، وفضائل الكلم الطيب ، والفصاحة ، ودقة البيان[5] .

5- ذم العي[6] ، وحشو الكلام ، وترك الفضول والحديث غير المفيد[7] .

6– الحث على العفو ، والرحمة ، والتجاوز عن الآخرين ، وكظم الغيظ[8] .

7– الحث على التكسب بالمال الحلال ، والإكثار من الدعاء ، وطلب النجاة[9] .

---

[1] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم ، ص 24 وما بعدها .

[2] ابن عبد البر النمري ، أدب المجالسة وحمد اللسان ، ص 111.

[3] أنظر إلى باب : لا حسد إلا في اثنين ، ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 21 وما بعدها .

[4] نفسه ، ص 158 وما بعدها . ابن عبد البر النمري ، أدب المجالسة وحمد اللسان ، ص ص 75 – 76 .

[5] نفسه ، ص 40 وما بعدها .

[6] لها معان كثيرة ، وربما المقصود به حسب سياقه في الكلام : الذي يأتي بالكلام غير المفهوم وغير الواضح ، أو الذي لا معنى له ، ويقال المُعايَاةُ : أن تأتي بكلام لا يُهتدى له أي غير مفهوم وغير واضح . ابن منظور ، المصدر السابق ، ج31 ، ص 3201. الفيروز آبادي المصدر السابق ، ص 1209.

[7] ابن عبد البر النمري ، أدب المجالسة وحمد اللسان ، ص 51 وما بعدها .

[8] نفسه ، ص 120 .

[9] نفسه ، ص ص 94 – 95 .

8– الالتزام بالأدب في المجالس مهما كانت طبيعتها ، وليس مجالس العلم فقط ، بل كذلك مجالس العامة والأصدقاء والأهل وغيرها ، والحفاظ على حق الجليس ، واحترامه ، وحفظ الأمانات ، وأسرار المجالس [1] .

ومما يُلاحظ مما ذكر سالفاً من وصايا ابن عبد البر للمسلم أنه التزم بتقديم تلك النصائح من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال الرسل ، والحكماء وسابقيه ، ولم يتصرف في تلك الأقوال أو يقدم تحليلاً أو تعليقاً أو رأيًا معيناً .

المطلب الثاني : **فكر ابن عبد البر التربوي** : ينطلق ابن عبد البر النمري في تقديم آرائه وفق منهج اعتمد فيه على الكتاب والسنة باعتبار أنه محدث وفقيه ، ويمكن تلخيص أهم أفكاره التربوية والتعليمية في النقاط الآتية :

أ)– مبادئ تربوية ومظاهر التعليم: فأما التي تختص بـ**المتعلم** يذكر منها:

- **فضل التعلم في الصغر والحض عليه** : أفرد ابن عبد البر باباً خاصاً للحديث عن فضل التعلم في الصغر حيث ألح على الأولياء والمربين بضرورة مراعاة تعليم ذويهم منذ الصغر مستنداً في ذلك بالأحاديث النبوية الشريفة وركز على طلب الحديث خاصة ، وبين أن أهمية التعلم منذ الصغر وهذا مخافة أن يختل عقل الصبي قبل البلوغ فيكبر جاهلاً ، لهذا لابد من استغلال حداثة الصبي قبل أن يكبر فيشتد ويصعب عليه التعلم [2].

كما استأنس ابن عبد البر ببعض أقوال الصحابة وتفاسيرهم لبعض الآيات الكريمة ومنها تفسير الامام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – للآية الكريمة : " قُوُاْ أَنْفُسَكُمْ وَ أَهلِيكُمْ نَاراً "[3] بأن المقصود بها : " أَدِّبُوهُمْ وَعَلِّمُوهُمْ "[4] ، كما أورد أقوال بعض العلماء في هذا المعنى كقول الحسن البصري :" التعلم في الصغر كالنقش على الحجر"[5] ، وكذلك قول أحد الحكماء:" أفضل مَا يُورِّثُ الآباء الأبناء : الثناء الحسن، والأدب النافع والإخوان الصالحون "[6].

- **النية في الاستفادة من العلم** : وهو أن يخلص المتعلم النية في طلبه للعلم من أجل أن يستفيد فينقذ نفسه من ظلمات الجهل ويفيد غيره [7].

---

[1] نفسه ، ص 30 وما بعدها .

[2] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 94 وما بعدها .

[3] سورة التحريم 66 / الآية رقم 06.

[4] ابن عبد البر النمري ، أدب المجالسة وحمد اللسان ، ص 106 .

[5] نفسه ، ص 103 .

[6] نفسه ، ص 106 .

[7] نفسه ، ص 155 .

- **وجوب نشر العلم (التعليم) وتحريم كتمانه** : لهذا أوجب طلب العلم والبحث فيه وملازمة العلماء كما وجب على العالم بأن لا يكتم علمه ، كما حث عليه بأن يكثر من التأليف من أجل حفظ العلم وجمع التاريخ والأخبار ، ونشر العلم في أهله ، ولمن يطلبه ويُلمس هذا الطلب والالحاح من ابن عبد البر في مقدمة كتابه جامع بيان العلم وفضله عند قوله : " ولو أغفل العلماء على جمع الأخبار وتمييز الآثار وتركوا جمع كل نوع إلى بابه وكل شكل من العلم إلى شكله لبطلت الحكمة وضاع العلم ودُرِس (...) ولكن الله يبقي لهذا الدين قوماً وإن قلوا يحفظون على الأمة أصوله ، ويميزون فروعه فضلاً من الله ونعمة ، ولا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم منه الآخر ، فإن ذهاب العلم بذهاب العلماء كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] .
- **العمل بالعلم** : وتطبيق ما تعلمه طالب العلم خاصة منها في الآداب والمعاملات والعلاقات مع الناس والعلماء كالتواضع مثلاً ، والانفاق فيما يرضي الله ومخالطة أهل الفقه والعلم ، وإصلاح النفس والتقيد بما علمه وتعلمه ، ونبذ الرياء والإخلاص لله في طلب العلم والعمل به[2] .
- **تفضيل العلم على العبادة** : أورد ابن عبد البر النمري الكثير من الأحاديث التي تُعلي من قيمة طالب العلم والتي تفضله حتى على العابد الناسك ، وتلك التي تفضل معلم الناس الخير على غيره ، فالدراسة وطلب العلم هي في حد ذاتها عبادة ومن أعظم العبادات ، وما أجمل أن يتزين العالم أو المتعلم مع العلم بالورع والتقوى كما حث ابن عبد البر على المذاكرة والمراجعة في العلوم التي تُطلب خاصة منها الدينية وفقه العبادات ، فعماد الدين الفقه كما نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم[3] .
- **طالب العلم وكسب المال** : نبّه ابن عبد البر طالب العلم بأن يجتنب كسب المال الحرام وهو المال المذموم وحثه على السعي لكسب المال الحلال الذي سماه بالمال المحمود والممدوح كاسبه ومنفقه ، وحثه على اصطناع المال وإنفاقه فيما يرضي الله ويكفه عن طلب الناس ، وأورد أمثلة كثيرة عن الصحابة الذين اشتهروا بالغنى ومنهم عبد الرحمن بن عوف، وعمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهم [4] .

وذكر ابن عبد البر أن الهدف من جمع المال على هذا الوجه ليس مكروهاً وإنما طلباً للكفاف والاستغناء عن الناس وذلك بقوله : " هذه الآثار كلها وإنما أوردناها ههنا لئلا يظن ظان جاهل بما يقرأ في هذا الباب أن طلب

---

[1] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 10، 19 ، 140 وما بعدها .
[2] نفسه ، ص207 وما بعدها .
[3] نفسه ، 26 وما بعدها .
[4] نفسه ، ص 218 وما بعدها .

المال من وجهه للكفاف والاستغناء عن الناس هو طلب الدنيا المكروه الممنوع ، فإنه ليس كذلك ، رحم الله أبي الدرداء حيث يقول : "من فقه الرجل المسلم استصلاحه معيشته "[1].

- **مراجعة طالب العلم ما كتبه من العلم** : لتصحيح أخطائه ، والتثبت من صحة نقله للخبر والمعلومة[2] .
- **الحث على الاستزادة من العلم والإلحاح في طلبه** : وعدم الحياء من السؤال فيه ، والصبر على تحمل المشقة من أجل تحصيله ، لهذا أورد ابن عبد البر من جملة ما أورد بعض الأبيات من قصيدة يقول فيها:

مَا إِنْ يَنَالُ الفَتَى عِلْماً وَلا أَدَباً — بِراحَـةِ النّفْسِ واللــذّاتِ والطَرَبِ
إِنَّ الحَياءَ لخَيرٌ كُلُّهُ أَبَـــــداً — مَا لَمْ يَحِلْ بَينَ نَفْسِ المَرْءِ والطَّلَبِ[3]

كما حث المتعلم على ملازمة العلماء ، وإيثار العلم على الاشتغال بالدنيا وزخارفها [4]، ونصحه بأن لا يكتفي بأخذ العلم عن شيخ واحد فقط لأن المتعلم في هذه الحالة لا يعرف خطأ معلمه إلا إذا جالس غيره من المعلمين[5] وقد نقل ابن عبد البر قول الإمام علي بن أبي طالب : " قيمة كل امرئ ما يحسن " ، ويعلق ابن عبد البر على هذه العبارة بأنها أبلغ ما قيل ، وبأنه لم يسبقه إليها أحد " وقد قالوا : "و ليس كلمة أحص على طلب العلم منها وقالوا كذلك : ولا كلمة أضر بالعلم وبالعلماء والمتعلمين من قول القائل: ما ترك الأول للآخر شيئاً "[6].

- **الرحلة في طلب العلم** : يرى المحدث والمربي ابن عبد البر النمري أن من مظاهر طلب العلم الضرورية شد الرحال إلى الحواضر التي يشتهر فيها شيوخ العلم ، وحث طالب العلم على الانفاق في سبيل ذلك ، ولقد أورد ما كان الصحابة ورواة الحديث والعلماء يبذلونه في الارتحال من أجل سماع وطلب وجمع الأحاديث النبوية الشريفة وحبب واستحسن ابن عبد البر لطالب العلم الرحلة إلى دار الهجرة (المدينة المنورة) وهي دار الحديث النبوي الشريف[7] ، ولقد عدد بعض القصص لرواة الحديث وما عانوه من مصاعب ومشاق وسهر الليالي في السفر والارتحال ، والوقوف والانتظار على أبواب المحدثين والعلماء من أجل طلب العلم والحديث الشريف [8].

---

[1] نفسه ، ص 223 .
[2] نفسه ، ص ص 89 – 90 .
[3] نفسه ، ص 105 وما بعدها .
[4] نفسه ، ص 111.
[5] نفسه ، ص 114 .
[6] نفسه .
[7] وبذلك فهو يفضل طلب علم الحديث على باقي العلوم الأخرى .
[8] ابن عبد البر النمري ، المصدر السابق ، ص 106 وما بعدها .

- **الحرص على ملازمة العلماء والأخذ عنهم** ، وأن لا يكون تعلمه للمباهاة والرياء ، كما أنه لا مكان للزهد والحياء في طلب المسائل ، وذكر ابن عبد البر أن خير المجالس التي يذكر فيها الله سبحانه وتعالى[1] .
- **احترام شيوخ العلم و توقيرهم**: وأن يختار الوقت المناسب، والمكان ،والظرف الملائمين لطرح الأسئلة عليهم[2]، ومن حق العالم على المتعلم أن لا يكثر عليه السؤال، ولا يعنته في الجواب، ووجب عليه توقيره واحترامه وأن لا يطلب عثراته ، واحتراماً له يجب عدم الجلوس بين يديه، وعليه خدمته إذا طلب منه ذلك[3]، ومن باب احترام المتعلم للعالم أن لا يتجرأ بأن يُفتي أو يجيب على سؤال في حضرته إلا إذا أذن له أو أمره بذلك[4].

وأما الأدبيات والأخلاقيات التي يجب أن يتقيد بها **العالم المعلم** فيذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **التقيد بأخلاق أهل العلم** : كالتواضع وترك الإعجاب بعلمه ، ونبذ حب الرئاسة ، وأن يلتزم السكينة والوقار والحلم والرفق بالمتعلمين ، وتقوى الله ، وأن يُقدم الصورة الحسنة في الأدب ، واحترام الأعلم منه والأدنى منه علماً وأن لا يخوض في المواضيع والعلوم التي لا يحسنها[5] .
- **الترحيب بطلبة العلم في مجلسه والعطف عليهم** : وهذه المعاملة لا بد أن يتقيد بها خاصة معلم الأحداث والصبيان اقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم ، وأن ييسر في التعليم ولا يعسر، وأن يحدث طلابه بحسب عقولهم[6].
- **عدم التسرع والعجلة في الإجابة عن الأسئلة** : وأن لا يناظر الجهال وفي هذا الباب يقول ابن عبد البر معلقاً : " وآداب المناظرة يطول الكتاب بذكرها ، وقد ألف قوم في أدب الجدل وأدب المناظرة كتباً من طالعها وقف على المراد منها ..."[7].
- **الابتعاد عن الآفات التي تضر بالعلم** : إذ يحذر العالم من وضع العلم في غير أهله ، كما يحذره من ترك العلم والنسيان وترك المذاكرة والمراجعة وإضاعته ، والكذب فيه ، فالعلم أمانة ووجب عليه أن يضعه فيمن يستحقه ممن يطلبه ويُقدره ويحفظه ولا يضيعه[8] .

---

[1] نفسه ، ص ص 122 – 123.
[2] نفسه ، ص 128 وما بعدها .
[3] نفسه ، ص 149 .
[4] نفسه ، ص ص 139 – 140 .
[5] نفسه ، ص 144 وما بعدها ، 163، 168 وما بعدها .
[6] نفسه ، ص ص 155- 156 , 169.
[7] نفسه ، ص 169 .
[8] نفسه ، ص124 وما بعدها .

- **ومن واجبات العلماء نحو المتعلمين في جانب الآداب والمعاملات** : ومنها مثلاً " إن أحسن المتعلم حمده ،وإن أساء عذره ، وإن أخطأ لم يعنفه ، وإن جهل علمه ونفعه"[1]، لهذا نقل ابن عبد البر من أقوال العلماء: "لا يكون الرجل عالماً حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحقر من دونه في العلم ، ولا يحسد من فوقه في العلم ولا يأخذ على علمه ثمناً "[2] ، وفي المقطع الثالث والأخير من هذا القول إشارة ضمنية من المحدث ابن عبد البر النمري بتفضيله أن لا يأخذ المعلم أجراً على تعليمه ، وأن يعترف بالخطأ إذا أخطأ في الجواب على مسألة ما أو إذا صحح له المتعلم ، وهذا داخل في باب الإنصاف في العلم ، واحترام الآراء المخالفة [3].
- **تجنب الدخول على السلطان الظالم** : كما ينصح ابن عبد البر النمري العالم بأن لا يصاحبه أو الوقوف عند بابه ، أما إذا كان عادلاً فاضلاً فمداخلته وعونه على الصلاح واجبة ، بل تعد من أفضل أعمال البر ويضرب أمثلة عن ذلك بقوله أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99- 101هـ/717- 720م)كان يصحبه العلماء ، وعدد الكثير من العلماء الذين كانوا يدخلون على السلطان منهم مثلاً الإمام مالك ، والأوزاعي والشافعي وغيرهم ، غير أنه لم يحبب أن يدخل العالم على السلطان إلا لحاجة فيها صلاح الأمة ، أو قول الخير والنصح له ، أو في العلم ، وكّره دون ذلك فهي –على حد تعبيره – مجالس الفتنة ، والسلامة ترك ما فيها [4].
- **احترام العلماء لبعضهم البعض** :وأورد ابن عبد البر الكثير من نصوص الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على وجوب احترام العلماء لبعضهم البعض، ونبذ الحسد والبغضاء ، وتجنب الغيبة بدافع الغيرة ، والغل والعداوة ، وذكر ابن عبد البر أنه من توجد فيه هذه الآفات فهو ليس بعالم ولا إمام في الدين والعلم حتى ذهب إلى أبعد من هذا عندما شكك في علمه وصحة حفظه ورواياته[5].

ولقد تحدث في هذا الإطار عما يعانيه أهل العلم والعلماء في عصره بالأندلس من تفشي البغضاء والذم وعدم احترامهم لبعضهم البعض في قوله : " والله لقد تجاوز الناس الحد في الغيبة والذم فلم يقنعوا بذم العامة دون الخاصة ولا بذم الجهال دون العلماء ، وهذا كله يحمل الجهل والحسد "[6] .

ب) – طرق التدريس ومظاهره : احتوت آراء ابن عبد البر التربوية والتعليمية على الأوجه التي يؤخذ بها العلم فقد عدد بعضها ومنها : الطلب والسماع من الشيوخ وزيارتهم في بيوتهم ومجالسهم في مساجدهم ، كما حث

---

[1] نفسه ، ص 149 .
[2] نفسه ، ص ص 150 – 151 .
[3] نفسه ، ص 151 وما بعدها .
[4] نفسه ، ص 194 .
[5] نفسه ، ص ص 385 – 386 .
[6] نفسه ، ص 397 .

على ضرورة تقيد الطالب بالمذاكرة والمراجعة مع زملائه ، وذكر أن العلم يُجمع ويُحفظ بالتحدث به والحرص عليه والرغبة فيه ، والتفرغ له ، وذكر أن المراتب والأوجه التي يؤخذ بها العلم هي : النية و الانصات ، الاستماع الفهم ، الحفظ العمل , ثم النشر[1] ، كما شدد على نقطة هامة وهي أن لا يدخر الطالب جهداً ولا مالاً في طلبه العلم، فعليه الإنفاق في العلم من خلال شراء الكتب ، وزيت المصباح للسهر في قراءة ومطالعة الكتب ودراستها ، والابكار في طلب العلم ، والحرص عليه[2] .

وأكد ابن عبد البر أن العلم لا يؤخذ جملة واحدة وإنما بالتدرج ، وأن يأخذ من كل علم الجزء اليسير والشيء بالشيء وهكذا ... ، كما حرص على طالب العلم بأن يُروِّح عن نفسه وأن يجعل فواصل للراحة من عناء الإرهاق ، فالنفوس تمل كما تمل الأبدان ، بقراءة طرائف الحكم ، وبعض الأشعار المفيدة والمواعظ ، وهذا مخافة السآمة فقد نقل ابن عبد البر قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود(ت32هـ/653م) أنه قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَخَوَّلُنَا بالموعظة مخافة السآمة علينا "[3]، وقال إبراهيم عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى : " عَلَى العَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَلاثُ سَاعَاتٍ : سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ، وَ سَاعَةٌ يُؤَدِّبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةٌ يُخْلِّي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّاتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَ يَجْمُلُ فَإِنَّ هَذِه السَّاعَةَ عَوْنٌ لَهُ عَلَى سَائِرِ السَّاعَاتِ "[4] ، ويُقال : "العالم النبيل الذي يكتب أحسن ما يسمع ، ويحفظ أحسن ما يكتب ، ويُحدث بأحسن ما يحفظ "[5].

وفي الحلقة العلمية أو الدرس يُقدم ابن عبد البر نموذجاً عن طريقة افتتاح المعلم – العالم بتعبيره- الدرس فعليه أن يبدأ بفائدة من الحكم والمواعظ ، ثم يسمح لتلاميذه بطرح أسئلتهم عليه ، ويحرص على أن يأخذ عنه تلاميذه ويبدأ كلامه في افتتاح درسه بالقول مثلاً : سلوني ، وفي هذا يحث ابن عبد البر للمتعلم بأن يكثر من الأسئلة على المشايخ في مثل هذه الحلقات حتى يزداد علماً ، ويقطع الكثير من الشكوك والتأويلات مثلاً في علوم القرآن وتفسير الآيات[6] ، ونبه أن لمجالس العلماء أخلاقيات ، وآداب على المتعلم التقيد بها منها مثلاً الالتزام بالصمت والوقار عند حديث العالم وفي حضرته[7] .

[1] نفسه ، ص ص 136 – 137 .

[2] نفسه ، ص 115 وما بعدها .

[3] ابن عبد البر النمري ، أدب المجالسة وحمد اللسان ، ص 107 .

[4] نفسه ، ص 108. ولقد أفرد ابن عبد البر باباً في كتابه " أدب المجالسة وحمد اللسان" سماه : باب ترويح القلوب وتنبيهها. نفسه ، ص 107 وما بعدها.

[5] نفسه ، ص ص 119 – 120 .

[6] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 130 .

[7] نفسه ، ص 134 .

وفي أثناء الدرس يستطيع العالم أن يأمر المتعلمين بحفظ ما ألقي عليهم من العلم ، وتكراره ، وكتابته ، كما يحثهم على الإلحاح في طلب الاستزادة أكثر من العلم إما بمطالعة الكتب أو حضور مجالس العلم لشيوخ آخرين غيره ، أو بالطريقتين معاً ، لهذا فابن عبد البر النمري يطلب من المتعلم أن يأخذ العلم على أكثر من شيخ بل ويُلِّح على ذلك[1] .

وقد يفتتح العالم حلقته العلمية بطرح سؤال بصيغة : هل تدري ما كذا ؟ وهذا من أجل معرفة واختبار الطلاب عما يعرفونه عن الموضوع المطروق ، ثم يبدأ العالم بالإجابة عن السؤال وتفصيل الموضوع ، وهذا اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يُعَلِّمُ أصحابه في أمور دينهم[2] .

ولم ينس ابن عبد البر أن يُنبه بأنه كما للمعلم والمتعلم آداب يجب أن يتحليا بها فللدرس والحلقة العلمية آداب وظروف يجب أن يتوفرا فيهما ، ومنها مثلاً : إذا كان الدرس ينعقد في المسجد فالواجب على الجميع احترام قدسيته وهيبته منها التزام السكينة والوقار واحترام أهل المجلس وتقدير فضلهم[3] ، ولقد طرح ابن عبد البر إشكالية مفادها : هل يجوز رفع الصوت في المسجد أثناء دراسة العلم ؟ وبعد أن عدد الآراء التي ناقشت هذا الموضوع ومنها رأي الإمام مالك الذي لم يجز ذلك سواء في العلم أو غيره ، ورأي أبي حنيفة الذي أجازه في العلم والفقه والمناظرة ، ثم قدم رأيه في الأخير بأن أجاز رفع الصوت في المسجد أثناء الدرس إذا لم يفهم طلاب العلم ما يُلقيه عليهم العالم من علم ، غير أنه كره أن يكرر العالم المسألة أو حديثه أكثر من ثلاث مرات ، وهذا اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا تكلم بكلمة لا يعيدها أكثر من ثلاث مرات[4] ، وأجاز ابن عبد البر بأن يُطرح السؤال على العالم خارج الدرس إما قائماً أو ماشيًّا إذا كان الأمر خفيفاً وليس للمسائل الطويلة التي تحتاج إلى وقت ونظر[5] .

ج) ماهية العلم وأصوله وأقسامه (أو ماهية العلم والتعليم عند ابن عبد البر) :

خصص ابن عبد البر النمري جزءاً معتبراً في مؤلفاته ومنها كتابه جامع بيان العلم وفضله للحديث فيه عما يتعلق بالعلم والتعليم فأفرد في ذلك أبوابًا وفصولًا ، فقد عرف العلم وبيّن منازله ، وأصوله ، وتقسيماته ، وأنواع العلوم ليس عند المسلمين فحسب وإنما عند جميع الديانات والملل والمذاهب ، وفي مجال التعليم تحدث عن المواد

---

[1] نفسه ، ص ص 134 – 135 .
[2] نفسه ، ص 137 .
[3] ابن عبد البر النمري ، أدب المجالسة وحمد اللسان ، ص 34 .
[4] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 161.
[5] نفسه ، ص 162 .

التي يجب أن تُطلب ، وتحدث عن المناظرات والجدال، والقياس، والفتوى ،والاجتهاد ، والإجازة ، ومواصفات المعلم وطالب العلم الجاد ، وغيرها من قضايا العلم والتعليم .

- **تعريف العلم وبيان حقيقته وأصوله:** ينقل ابن عبد البر في تعريف العلم وبيان حدوده من قول أحد العلماء بأنه " كل من استيقن شيئاً وتبينه فقد عَلِمه ، وعلى هذا من لم يستيقن الشيء وقال به تقليداً فلم يعلمه "[1].

وأما حقيقة العلم فهي – في نظره – بتتبع الأثر (الكتاب والسنة) ، ومعرفة الفقه وأبوابه خاصة منها اختلاف علماء الأمة[2] .

وأصول العلم هي : القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وفقه الفرائض ، والواجبات انطلاقاً واستناداً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله :" العِلْمُ ثَلاثَة فَمَا سِوى ذَلِكَ ، فَهُو: فَضْلُ آيَة مُحْكَمةُ ، وسُنّةُ قَائِمَةُ ، وَفَرِيضَةُ عَادِلَةُ "[3] ، وعلّق ابن عبد البر بأن الكتاب والسنة يتقدمان على العلوم الأخرى فهما بمثابة الضروريات ، ثم تأتي العلوم الأخرى ككماليات، ومنها مثلاً علم العربية والأنساب وغيرهما[4].

وبعد إيراده للأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الفقهاء والعلماء حول بيان أصول العلم ، ومصادره ، ومواده ، ينفرد ابن عبد البر في توضيح رأيه ، فيذكر أن أصول العلم هي[5]:

أ)القرآن الكريم : بدليل قوله تعالى : " اتَّبِعُواْ مَآ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَّبِّكُمْ "[6].

ب)السنة النبوية الشريفة : من خلال قوله تعالى : " أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ"[7] ، وقوله تعالى :"وَ مَآءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُواْ "[8] .

ج) الإجماع : وهذا في قوله تعالى : "وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الـمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً"[9]

---

[1] نفسه ، ص 248 .

[2] نفسه ، 246 – 248 .

[3] نفسه ، ص ص232 – 233 .

[4] نفسه .

[5] نفسه ، ص 236 .

[6] سورة الأعراف 07 / الآية رقم 02.

[7] سورة النساء 04 / الآية رقم 58 .

[8] سورة الحشر 59 / الآية رقم 07 .

[9] سورة النساء 04 / الآية رقم 114.

وقوله صلى الله عليه وسلم : " لا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلالَةٍ "[1]، وإجماع الصحابة لا يجوز خلافهم لأنه لا يجوز على جميعهم جهل التأويل ، والدليل على أن إجماع العلماء من أصول العلم قوله تعالى : " أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ " [2] فقد جاء تفسير هذه الآية في قوله تعالى : "وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ " حسب المحدث ابن عبد البر بمعنى أولي العلم والفقه[3] .

ويبدو أن ابن عبد البر لا يرى بأن الاجتهاد والرأي من أصول العلم، فلقد استند في ذلك على قول الإمام مالك :"فانظروا في رأيي فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وكلما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه "[4].

ومنه فابن عبد البر لا يعترف بالرأي كمصدر من مصادر العلم وأصوله و يصرح بشكل مباشر في ذلك فيقول : "لا أعلم بين متقدمي علماء هذه الأمة وسلفها خلافاً أن الرأي ليس بعلم حقيقة "[5] ، والسنة في رأيه تنقسم الى قسمين :

أحدهما : إجماع تنقله الكافة عن الكافة ، فهذا من الحجج القاطعة للأعذار، إذا لم يكن هناك خلاف ، ومن رد إجماعهم فقد رد نصًّا من نصوص الله يجب استتابته عليه –أي كأنه كفر أو ألحد – وإراقة دمه إن لم يتب لخروجه عما أجمع عليه المسلمون وسلوكه غير سبيل جميعهم [6] .

والضرب الثاني من السنة هو خبر الأحاد الثُقات الاثبات المتصل الإسناد ، فهذا يوجب العمل عند جماعة علماء الأمة الذين هم الحجة والقدوة [7].

وربما يقصد المحدث ابن عبد البر أن السنة تنقسم إلى : ما اتفق عليه الصحابة في رواياتهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم فتلك الأحاديث والسنن هي علم ، وتتضمن القضايا التي تختص بأحكام العبادات والمعاملات ، لهذا ذكر ضرورة استتابة من يَرُدَّ نصوص الإجماع ، ففرائضها واجبة على المسلمين كافة وليس لطلبة العلم فقط

---

[1] حديث ضعيف أخرجه الترمذي وورد حديث آخر مشابه له ، وهو الذي رواه عبد الله بن عمر(ت73هـ/692م) رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنَّ الله لا يَجْمَعُ أُمّتِي – أو قال : أُمَّة مُحَمّد – عَلَى ضَلالَة ، ويَدُ الله عَلَى الجَمَاعَةِ وَمنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ "،كما يوجد حديث آخر عن أنس بن مالك الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إِنَّ أُمَّتِي لَنْ تَجْتَمِع عَلَى ضَلالَةٍ فَإِذَا رَأَيْتُمْ اِخْتِلافاً فَعَلَيْكُم بِالسَّوادِ الأَعْظَمِ " ابن الأثير الجزري ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ج9، ص196. جلال الدين السيوطي ، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ، ج1 ، ص350 .

[2] سورة النساء 04 / الآية رقم 58 .

[3] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 239 .

[4] نفسه ، ص243 .

[5] نفسه ، ص 245 .

[6] نفسه .

[7] نفسه .

كمصدر شرعي وتشريع ثاني بعد القرآن الكريم ، أما القسم الثاني من السنة فهو ربما يقصد العلم في حد ذاته مما رواه بعض الصحابة الثقات ، واختص بتلك الروايات والأحاديث بعض علماء الأمة فيفسرونها ويبلغونها للناس عما بلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد أشكال التعليم ، فمن خلال تعليم الأمي والمتعلم في المساجد أو في بيوت العلم على حد سواء ، ومن خلال إيراده لبعض الأحاديث النبوية الشريفة يعتبر المحدث ابن عبد البر النمري أن العلم الذي يطلب هو الحديث النبوي الشريف ويراه بأنه هو الفقه المطلوب تعلماً وتعليماً[1].

ولكن ابن عبد البر قدم مواصفات ، وشروطاً لطالب علم الحديث أو الذي أراد التخصص فيه نوجزها في النقاط الآتية :

1) – أن يعرف الصحابة الرواة عن النبي صلى الله عليه وسلم وسيرهم وفضائلهم ، والطبقات التي من بعدهم الناقلين عنهم ، وأخبارهم وأيامهم وهذا حتى يعرف منهم العدول الثقات عن غيرهم ، ويذكر المحدث ابن عبد البر بأنه لا يستطيع كل طالب علم الحديث الإلمام بذلك إلا من إجتهد وصبر[2] .

2) – الأخذ عن أكثر من شيخ في حفظ السنن فإذا كان الأخذ عن شيخ واحد هو حد الكفاية فالإكثار من الشيوخ غنى وتوسع ، وينصح ابن عبد البر طالب علم الحديث أن يختار إمامه وشيخه من أهل العلم بالمدينة المنورة دار الهجرة ومعدن السنة – على تعبيره– وكأنه يرغب في الرحلة إلى المدينة المنورة[3].

أما من طلب الإمامة في الدين والإجازة في الفتوى فعليه : النظر ومعرفة أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الفقه في تفسير القرآن ، فإذا اقتصر على أقوال علماء الحجاز فقد اكتفى ، أما إذا أراد التوسع –إن استطاع — فعليه معرفة " مذاهب الفقهاء متقدميهم ومتأخريهم بالحجاز والعراق ، والوقوف على ما أخذوا وتركوا من السنن ، وما اختلفوا في تثبيته وتأويله من الكتاب والسنة "[4] ، ولكن عليه أن يفهم ويضبط ما علم ، وبهذا ينال الدرجة الرفيعة من العلم فيصبح من الراسخين في الفقه ، ولن يتأتى ذلك إلا بالصبر والاحتمال على مصاعب الدنيا من ضيق المعيشة ونحوها ، لأن تحقيق مراده يتطلب التفرغ التام ، وتحمل كل المصاعب خاصة منها المادية[5] .

- **تقسيم العلوم حسب طريقة البحث فيها عند ابن عبد البر** : يرى أن العلوم تنقسم الى قسمين ضروري ومكتسب .

---

[1] نفسه ، ص 237 .

[2] نفسه ، 406 .

[3] نفسه .

[4] نفسه .

[5] نفسه .

فأما الضروري : فهو العلم الذي لا شك فيه كالمسلمات والبديهيات ، ولا يحتاج فيه إلى دراسة أو برهان أي الذي يُعرف بلا تفكر ولا تدبر ، ويدرك من خلال الحس والعقل "كالعلم باستحالة كون الشيء متحركا ساكناً أو قائمًا قاعداً ، أو مريضًا صحيحًا في حال واحدة (...) وكذوق الشيء يعلم به المرارة والحرارة إذا سلمت الجارحة من آفة ، وكرواية الشيء يعلم بها الألوان والأجسام ، وكذلك السمع يدرك به الأصوات ..."[1] ، ومعرفة البلدان والأماكن والممالك " ومن الضروري –أيضا – علم الناس أن في الدنيا مكة والهند ومصر والصين ، وبلدان عرفوها وأنها قد خلت " .[2]

وأما المكتسب فهو العلم الذي يُستخدم فيه الاستدلال والحجج والبراهين والنظر ، وينقسم بدوره إلى فرعين : الخفي والجلي ، فما قرب من العلوم الضرورية كان أجلى ، وما بعد منها كان أخفى[3] .

أما المعرفة ونوعية المعلومات فيقسمها ابن عبد البر إلى قسمين : شاهد وغائب ، فالشاهد منها كل ما علم ضرورة ، والغائب منها ما علم بدلالة من الشاهد[4] .

- **أنواع العلوم ومراتبها** : يرى ابن عبد البر بأن مراتب العلوم عند جميع أهل الديانات والشرائع[5] تنقسم إلى ثلاثة : علم أعلى ، علم أسفل ، وعلم أوسط .

فالعلم الأعلى : هو الذي يختص بالدين ، و" الذي لا يجوز لأحد الكلام فيه بغير ما أوله الله في كتبه ، وعلى ألسنة أنبيائه ، صلوات الله عليهم نصًّا "[6] ، أما العلم الذي هو عند المسلمين " ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن ربِّه عز وجل وسنه لأمته من حكمته"[7] ، أي القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وعند اليهود في التوراة ، وعند النصارى في الإنجيل ، ويُعلق ابن عبد البر بأنه لا يثق في محتوى التوراة والإنجيل لأنهما تعرضا للتحريف والتزوير من طرف أحبارهم ورهبانهم ،واستند في هذا الحكم إلى قوله تعالى : "وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ "[8] .

---

[1] نفسه ، ص 249 . عبد البديع الخولي , المرجع السابق , ص 106 .

[2] ابن عبد البر النمري ، المصدر السابق ، ص 249 .

[3] نفسه .

[4] نفسه .

[5] ربما يقصد بهم : المسلمون ، والمسيحيون ، واليهود . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 107 .

[6] ابن عبد البر النمري ، المصدر السابق ، ص 249 .

[7] نفسه .

[8] سورة آل عمران 03 / الآية 77.

وعند المسلمين يرى ابن عبد البر بأنه يجب على المتعلم في العلم الأعلى- أي علم الدين – أن يتعلم علم اللغة العربية والنحو ، وهذا لمعرفة مقاصد ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في الأحاديث ، وقد صرح بذلك في قوله : " من الواجب على من لا يعرف اللسان الذي نزل به القرآن ، وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ من علم ذلك ما يكتفي به ، ولا يستغني عنه حتى يعرف تصاريف القول وفحواه وظاهره ومعناه وذلك قريب على من أحب علمه وتعلمه وهو عون له على **علم الدين الذي هو أرفع العلوم وأعلاها** : به يطاع الله ، ويعبد ، ويشكر ، ويحمد ، فمن **علم من القرآن** ما به الحاجة إليه ، **وعرف من السنة** ما يعول عليه **ووقف من مذاهب الفقهاء** على ما نزعوا به وانتزعوه من كتاب ربهم وسنة نبيهم **حصل على علم الديانة** "[1] أي أنه يرجع علوم الدين إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وإجماع الصحابة الفقهاء وفقاً للكتاب والسنة فقط وبهذا فهو ينكر القياس والتقليد والاستحسان والعرف وما إلى ذلك .

ولقد حث ابن عبد البر النمري علماء الأمة الإسلامية الالتزام بالأمانة والصدق في نقل العلم الشرعي ، والعمل به ، ونبذ شهوات الدنيا وملذاتها، والتقيد بهذا هو الالتزام بما جاء في العلم الأعلى الذي يحظى صاحبه بالثواب والسعادة في الدنيا والآخرة "[2] .

ويرى ابن عبد البر أن العلم الأعلى لدى المسلمين هدفه معرفة أمور الدين ، فهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :[3]

أ)- معرفة الاسلام والإيمان من خلال معرفة التوحيد والإخلاص ، وهذا بإتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى ، أي بسنته وما جاء في القرآن الكريم ، والإيمان بالله سبحانه تعالى، وملائكته ورسله ، وكتبه ، والقدر خيره وشره ، والإقرار بوحدانية المولى عز وجل [4] .

ب) – دراسة ومعرفة أصول الدين وشرائعه ، من خلال دراسة القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ومعرفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أخذوا عنه الكتاب العزيز والسنة الشريفة ، ومعرفة الرجال الذين جاؤوا من بعدهم الذين حملوا ذلك العلم وطبقاتهم ، ومعرفة الأحاديث النبوية الصحيحة[5] .

ج) – معرفة السنن الواجبة وآدابها وعلم الأحكام ، ويدخل في ذلك معرفة الأئمة العدول ، ومعرفة الفريضة من النافلة ، والحقوق والواجبات ، وتمييز إجماع الصحابة العلماء عن غيره ، وهذا هو وجه الفقه[6] .

---

[1] ابن عبد البر النمري ، المصدر السابق ، ص 250 .

[2] نفسه .

[3] نفسه ، ص 253 .

[4] نفسه .

[5] نفسه .

[6] نفسه .

ومما سبق ذكره فإن علم الدين لدى المسلمين ، وهو العلم الأعلى يشتمل على : معرفة الإسلام ، والإيمان والتوحيد ، ثم دراسة أصول الدين من الكتاب والسنة ، ومعرفة إجماع الصحابة رضي الله عنهم وما نُقل عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والإحاطة بفقه العبادات والمعاملات .
أما العلم الأوسط : فهو العلم الدنيوي ، من خلال "معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظيره ويستدل عليه بجنسه ونوعه كعلم الطب والهندسة "[1] ؛ أي أن هذا العلم يشتمل على العلوم الطبيعية والرياضية كالحساب والهندسة والطب وغيرها .

والعلم الأسفل فيشتمل " أحكام الصناعات وضروب الأعمال مثل السباحة والفروسية والزي والتزويق والخط وما أشبه ذلك من الأعمال التي هي أكثر من أن يجمعها كتاب أو يأتي عليها وصف ، وإنما تحصل بتدريب الجوارح فيها "[2] .

مما يُلاحظ في هذا التصنيف أن ابن عبد البر قد جمع كل الصنائع والحرف ضمن أواخر العلوم ، والتي لا تحتاج إلى الطلب وإنما تكتسب بتدريب الجوارح ومهارتها في تنفيذها ، وبذلك فهو ينظر إليها نظرة دونية ، وهو نفس الموقف الذي اتخذه معاصره وصديقه ابن حزم الظاهري ، وهذا راجع – ربما – إلى وضعية هذه الطبقة في المجتمع الأندلسي في عصرهما ، فقد كان ممارسي تلك الصنائع وأربابها من الموالي والعبيد[3] .

- **تصنيف العلوم عند الفلاسفة حسب ابن عبد البر النمري** : يقدم ابن عبد البر تصنيفاً للعلوم حسب ما هو معروف عند الفلاسفة ، فيقول بأنه نفس التقسيم عند أهل الديانات إلا أن العلم الأعلى عندهم هو علم القياس ضمن العلوم العلوية الأخرى " التي ترتفع عن الطبيعة والفلك مثل الكلام في حدوث العالم وزمانه والتشبيه ونفيه وأمور لا يدرك شيء منها بالمشاهدة ولا بالحواس قد أغنت عن الكلام فيها كتب الله الناطقة بالحق المنزلة بالصدق وما صح عن الأنبياء صلوات الله عليهم "[4] ، وربما المقصود من قوله هذا أن العلم الأعلى يختص عند الفلاسفة بالمواضيع التي تتحدث عن أصل خلق الكون وتاريخ نشأته ، ومواضيع ما وراء الطبيعة التي لا تدرك بالمشاهدة والحواس وإنما بالتدبر والتفكر ، واستخدام المنطق وقياس الشيء بالشيء وهكذا...

أما العلم الأوسط عند الفلاسفة فهو نفسه الذي عند أهل الديانات ، إلا أنه ينقسم عند الفلاسفة إلى أربعة أقسام بحسب طبيعة المواد ، أو كما يسميها ابن عبد البر برؤوس العلوم وهي : علم الحساب ، علم التنجيم، علم

[1] نفسه ، ص 250 .
[2] نفسه .
[3] عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 111 .
[4] ابن عبد البر النمري ، المصدر السابق ، ص 250 .

الطب ، وعلم الموسيقى الذي يُعرفه ابن عبد البر النمري بأنه " تأليف اللحون وتعديل الأصوات ووزن الأنقار وأحكام صنوف الملاهي ، وهو علم منبوذ عند جميع أهل الأديان "[1] .

وأما علم الحساب فهو معرفة العدد والضرب والقسمة وإخراج الجذور ومعرفة معنى الخط والدائرة والنقطة وإخراج الأشكال بعضها من بعض وما شابه ذلك ، ويرى ابن عبد البر أن علم الحساب مهم ، ولا يمكن الاستغناء عنه فالمسلمون مثلاً يحتاجونه لمعرفة حساب فرائض المواريث والوصايا ، وعمليات حساب أوقات الصلوات والحج ومقادير الزكاة ، وفي البيوع والشراء ، وحساب عدد السنين والأشهر وساعات الليل والنهار وغيرها [2] .

وعلم التنجيم فثمرته وفائدته عند جميع أهل الأديان – حسب تعبير ابن عبد البر – معرفة جريان وحركات ما في الفلك والمدارات ، ومعرفة تعاقب الليل والنهر في كل بلد وفي كل يوم ، وبُعد كل بلد من خط الاستواء ومن المجر الشمالي ، والأفق الشرقي والغربي ، وترقب الهلال وظهوره ، وحركات الكواكب ودورانها واستقامتها ، ومعرفة خطوط الطول والعرض ، وكسوف الشمس والقمر ، ووقته ، ومقداره في كل بلد ، ومعرفة السنوات الشمسية والقمرية ...الخ[3] ، ولابن عبد البر آراؤه الخاصة وبعض التحفظات من علم التنجيم ، فهو ينكر معرفة الغيب والاطلاع عليه ، وعلمه بالمستقبل ، لأن ذلك ما خصّه الله للأنبياء فقط ، و أما من يدعي بعلمه الغيب فما هو إلا " جاهل منقوص مغتر متخرص (...) والمتخرصون بالنجامة كالمتخرصين بالعيافة والزجر وخطوط الكف والنظر في الكتف وفي مواضع قرض الفار ، وفي الخيلان والعلاج بالفكر ، وملك الجن ، وما شاكله ذلك مما لا تقبله العقول ، ولا يقوم عليه برهان ، ولا يصح مع ذلك كله بشيء ، لأن ما يدركون منه يخطئون في مثله مع فساد أصله(...) ولا صحيح على الحقيقة إلا ما جاء في أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم . "[4]

ولقد أورد ابن عبد البر بعض الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة في تحريم التنجيم منها قوله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ تَعَلَّمَ بَاباً مِنَ النُّجومِ تَعَلَّمَ بَابًا مِنَ السِّحِرِ ، وَمَنْ زَادَ زَادَ "[5] وقوله صلى الله عليه وسلم :

---

[1] نفسه ، ص ص 250– 251 . ويختلف ابن عبد البر النمري مع ابن حزم الظاهري ، فهذا الأخير لا يصنف أصلاً الموسيقى كعلم من العلوم التي تُطلب . وحول المواد التي أقرها ابن حزم أنظر ص67 وما بعدها والجدول في ص ص 78–97 من هذا الفصل.

[2] ابن عبد البر النمري ، المصدر السابق ، ص 251 .

[3] نفسه .

[4] نفسه .

[5] ابن عبد البر النمري ، أدب المجالسة وحمد اللسان ، ص113. وفي رواية قوله عليه الصلاة والسلام: " مَنْ اِقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجومِ اِقْتَبَسَ شُعْبَةٌ مِنَ السِّحْرِ وَمَنْ زَادَ زَادَ "وإسناده قوي. ابن الأثير ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ج11 ، ص 576 .

"إِذَا ذُكِرَ القَدَر فَامْسِكُوا ، وَإِذَا ذُكِرَت الُنجُوم فَامْسِكُواْ ، وَإِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَامْسِكُواْ "[1]، والحديث الذي روي عن عمر قوله :"تَعَلَّمُوا مِنَ النُّجُومِ مَا تَهْتَدُونَ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ ثُمَّ امْسِكُواْ "[2] .

وأما علم الطب فهو يهدف إلى فهم " طبائع نبات الأرض وشجرها ومياها ومعادنها وجواهرها وطعومها وروائحها ، ومعرفة العناصر والأركان ، وخواص الحيوان والأبدان والغرائز والأعضاء والآفات العارضة ،وطبائع الأزمان والبلدان ، ومنافع الحركة والسكون ، وضروب المداواة والرفق والسياسة "[3] ، ومنه فعلم الطب هو معرفة ماهية وتركيب النبات والحيوان والإنسان ومكوناتهم ، وكذلك الأدوية التي تعالج الأمراض والآفات التي تصيبهم لهذا فالعلم الأوسط لدى الفلاسفة هو الذي يختص بعلم الأبدان[4] .

د)– رتب طلب العلم ودرجاته (المواد الدراسية والمستويات التعليمية): يرى ابن عبد البر بأن لطلب العلم رتب ودرجات على المتعلم أن لا يتجاوزها " فمن تعداها جُملةً فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله تعالى ، ومن تعدى سبيلهم متعمداً ضلّ أو من تعداه مجتهداً زلّ"[5] ، وعدد رتب العلم ودرجاته والتي هي بمثابة مواد دراسية على النحو التالي :

أ)–حفظ القرآن الكريم، فهو أول علم الذي يجب أن يطلب ، ولا يقتصر على الحفظ فقط بل من الواجب فهمه وطلب كل ما يعين على فهمه ، ومن أراد أن يكون عالماً فحفظه واجباً وليس فرضاً فقط استناداً إلى قوله تعالى: " كُونُواْ رَبَّانِّيِنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الكِتَابَ "[6] ،ويفسر ابن عبد البر هذه الآية أنه من تعلم القرآن يجب أن يكون

---

[1] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 252 . وفي كتاب أدب المجالسة قدَّم ذكر الصحابة على النجوم ، إذ أورد الحديث بصيغة: "إِذَا ذُكِرَ القَدَر فَامْسِكُوا ، وَإِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فامْسِكُواْ ، وَإِذَا ذُكِرَت النُّجُوم فَامْسِكُواْ ". ابن عبد البر النمري ، أدب المجالسة ص113. والحديث سنده صحيح . جلال الدين السيوطي ، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ، ج1 ، ص 104. أبو الفداء بن كثير ، **جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن** ،تحقيق عبد الملك بن عبد الله الدهيش ، دار خضر للنشر، ط2 ، بيروت ، 1998، ج1 ص 655. نبيل سعد الدين سليم جرار ، **الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء – زوائد الأمالي والفوائد والمعاجم والمشيخات على الكتب الستة والموطأ ومسند الإمام أحمد** ، أضواء السلف للنشر ، ط1 ، ج7 ، ص411 .

[2] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص251 . و هذا الحديث اسقاطاً لقوله تعالى: " وَهوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَ البَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " . سورة الأنعام 06 / الآية 98.

[3] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 253 .

[4] نفسه .

[5] نفسه ، ص 403 .

[6] سورة آل عمران 03 / الآية رقم 78 .

فقيهًا ، وربانيين بمعنى فقهاء أو علماء حلماء ، وبحسب تقديره فإن حفظ كتاب الله عز وجل يجب أن يكون قبل البلوغ[1].

ب)- تعلم اللغة العربية والنحو : ويتفرغ لهذين العلمين بعد حفظه للقرآن الكريم ، وتكمن أهمية مادتي اللغة العربية والنحو بأنهما مادتان مساعدتان لفهم القرآن الكريم من حيث معاني ألفاظه ومقاصده الشرعية[2] .

ولقد خصص باباً في كتابه " أدب المجالسة" سماه " تعليم الإعراب واجتناب اللحن[3] وذم الغريب في الخطاب " تحدث فيه عن ضرورة التفقه في السنة وتعلم العربية والنحو واجتناب الخطأ في الكلام واللحن ، فقد روى بأن الصحابي عبد الله بن عمر (ت73هـ/692م) رضي الله عنه كان يضرب ولده على اللحن ، ونقل ابن عبد البر قول أحد الحكماء : " مَثَلُ الذي يحفظ بل يتعلم الحديث ولا يتعلم النحو مثل السرير لا رأس له "[4] .

كما حث على تعلم البلاغة ، وعدَّدَ اختلاف الحكماء والأدباء في التعريف بها ليس بين العرب فقط وحتى بين اليونانيين وأهل الهند ، ونقل أبلغ ما قيل في البلاغة من قول أحد الحكماء لرجل كثر كلامه: " إن البلاغة ليست بكثرة الكلام ، ولا بخفة اللسان ، ولا بكثرة الهذيان ، ولكنها بإصابة المعنى ، والقصد إلى الحجة " [5].

ج)- دراسة ناسخ القرآن ومنسوخه وأحكامه : وهذا لا يكون إلا بالاستعانة بجملة من المواد والعلوم ، وهي المواد التي ذكرت سابقًا ، فعلى الطالب أن يكون حافظاً للقرآن ، فاهماً له، ومُلِّمًا ومتمكنًّا في علمي اللغة العربية والنحو، ويستعين كذلك بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيره ، ليعرف ويتمكن في علم الناسخ والمنسوخ وعليه النظر في اختلاف العلماء[6] ، واتفاقهم ، وتلك المواد أجمع يسميها ابن عبد البر بعلم أحكام القرآن[7].

د)- دراسة السنة النبوية الشريفة : نبه المحدث ابن عبد البر بأنه يجب على طالب هذا العلم الأخذ من الأحاديث النبوية المنقولة عن الأئمة الحفاظ الثقات ، وأن يعرف الناسخ والمنسوخ من السنن ، وقد قدم نماذج من العلماء

---

[1] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ص 403 – 404 .

[2] نفسه ، ص 404 .

[3] يقصد باللحن في هذا الموضع بمعنى الخطأ في القراءة ، و لَحَّنَـهُ أي خَطَّأَهُ ، واللَّحْنُ واللَّحَنُ واللَّحَانَةُ واللَّحَانِيةُ أي بمعنى ترك الصواب في القراءة والنشيد و نحو ذلك ، ويقال رجل لاحِنٌ ولَحَّانٌ أي يُخطِئ ، وألحن في كلامه بمعنى أخْطَأَ ، وللخليفة عمر بن الخطاب(ت23هـ/644م) رضي الله عنه حديثاً يذكر فيه اللحن بمعنى الخطأ فيقول: "تَعَلَّمُواْ اللَّحْنَ أي الخطأ في الكلام لتحترزوا منه "، واللحن ضد الإعراب في بعض المواضع من الكلام . ابن منظور ، المصدر السابق ، ج44 ، ص 4013. الفيروز آبادي ، المصدر السابق،ص 1134 .

[4] ابن عبد البر النمري ، أدب المجالسة وحمد اللسان ، ص59 .

[5] نفسه ، ص 67 .

[6] لمعرفة المقصود باختلاف العلماء عند ابن عبد البر النمري أنظر إلى ص 105 من هذا الفصل .

[7] ابن عبد البر النمري، جامع بيان العلم وفضله ، ص404 .

العدول الثقات كالإمام مالك بن أنس(ت179هـ/795م) " الذي قد اتفق المسلمون على صحة نقله ونقاوة حديثه وشدة توقيه وانتقاده ، ومن جرى مجراه من ثقات علماء الحجاز والعراق والشام "[1].

كما حدد ابن عبد البر أصحاب كتب الأحاديث الثقات المختصين في تدوين السنن الصحاح : كالبخاري ومسلم ، وابي داود ، والنسائي ، ثم الطبقة الثانية التي تليهم: كالعقيلي ، الترمذي ، وابن السكن ... و غيرهم [2].

ولفهم الحديث النبوي الشريف ومقاصده يُقِرُّ ابن عبد البر نفس المواد التي تساعد المتعلم على فهم مقاصد القرآن الكريم ، ونعني بها علم اللغة العربية والنحو فهو يقول :" علم لسان العرب ومواقع كلامها وسعة لغتها واستعارتها ومجازها وعموم لفظ مخاطبتها وخصوصه وسائر مذاهبها لمن قدر فهو شيء لا يستغنى عنه "[3] ، ولقد ألح ابن عبد البر على الاهتمام بالأحاديث النبوية الشريفة بعد القرآن الكريم لأنها تشرح مقاصد الشريعة الإسلامية وأحكامها وكذلك تفسير ما ورد في القرآن الكريم ، وأفرد باباً في كتابه جامع بيان العلم وفضله سماه " باب ذكر من ذم الإكثار من الحديث دون التفهم له والتفقه فيه "[4] حيث استشهد فيه ببعض الآيات منها قوله تعالى : "وَمَآ ءَاتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ "[5]، وذم ابن عبد البر الإكثار من حفظ الحديث دون التفقه ولا التدبر فيه ، وقال في هذا المعنى : " والمكثر لا يأمن مواقعة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لروايته عمن يؤمن وعمن لا يؤمن "[6] ، لهذا فقد انتقد ابن عبد البر بعض طلاب علم الحديث في عصره بأنهم يطلبونه دون التفقه فيه ولا التدبر لمعانيه وهذا ما صرح به في قوله : "وأما طلب الحديث على ما يطلبه كثير من أهل عصرنا اليوم دون تفقه فيه ولا تدبر لمعانيه فمكروه عند جماعة أهل العلم " [7].

ومما سبق ذكره في رتب طلب العلم ودرجاته أو بتعبير آخر المواد الدراسية التي يجب أن تُطلب يلاحظ أن المحدث ابن عبد البر :

أ)- اقتصر في تصنيفه هذا على مادتين رئيسيتين هما : حفظ وفهم القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، أما المواد الفرعية فهي علم اللغة العربية والنحو ، وناسخ القرآن الكريم ومنسوخه ، والناسخ والمنسوخ في السنن .

---

[1] نفسه .

[2] نفسه .

[3] نفسه ، ص 405 .

[4] نفسه ، ص348 .

[5] سورة الحشر 59 / الآية رقم 07 . ابن عبد البر النمري ، المصدر السابق ، ص 351 .

[6] نفسه ، ص 353 .

[7] نفسه ، ص 356 .

ب)–قسم كل مادة من المواد الدراسية الرئيسية (القرآن الكريم ، السنن النبوية الشريفة) إلى شقين :الأول يعتمد فيه الطالب على حفظ المادة سواء كانت القرآن أو السنة ، والشق الثاني هو فهم هذه المادة .

ج)– حدد مصادر كل مادة ، فإذا كان القرآن الكريم مصدره هو كتاب الله عز وجل وهو كتاب واحد ، فالسنة النبوية الشريفة تعددت مصادرها من خلال كتب الصحاح للأئمة الثقات العدول .

د)– خصص مواد بعينها ، وهي المواد الفرعية لفهم محتوى ومقاصد المواد الرئيسية ، فنبه على ضرورة الإلمام بعلم العربية ومعرفة غريبها وشروحها ، وكذلك النحو والإعراب والبلاغة ...وغيرهم ، ويستأنس ابن عبد البر بهذا الرأي بحديث الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (ت23هـ/644م) لما كتب إلى الآفاق :" أن يتعلموا السنة والفرائض واللحن –يعني النحو في هذا الموضع –كما يتعلم القرآن "[1].

هـ)– يلاحظ أنه من خلال ايراده بعض المواد الفرعية التي تساعد المتعلم في تحصيل المواد الأساسية كاللغة العربية والنحو مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وكأنه يعترف بتكامل المواد لبعضها البعض ، وهو نفس الموقف الذي أقره ابن حزم "[2] .

و) – يعترف بأنه لا يمكن الإلمام بكل المواد السالفة الذكر إلا إذا توفرت لدى طالب العلم القدرة على الاجتهاد في البحث ، وسرعة الاستيعاب في الفهم ، وهذا ما صرح به عند الحديث عن فهم الحديث النبوي عندما ختم كلامه بقوله :" لمن قدر "[3].

المطلب الثالث : مواقف وآراء ابن عبد البر من بعض قضايا العلم والتعليم :

أ) – موقفه من تأديب الطفل بالضرب : يحث ابن عبد البر المعلم استخدام الضرب في التأديب إن لزم الأمر واقتضت الضرورة لذلك ، ولقد أورد العديد من أقوال الحكماء التي تتكلم في هذا الشأن ، ومنها قول لقمان الحكيم : " ضرب الوالد للولد كالماء على الزرع "[4] ، ولقد أفرد باباً في كتابه أدب المجالسة وحمد اللسان سماه "باب الأدب" فكان يحث فيه على تأديب الأبناء منذ الصغر ، وأورد الأقوال التي تنصح بذلك منها قول الحسن البصري (ت110هـ/728م): " التعلم في الصغر كالنقش على الحجر"[5] .

---

[1] نفسه ، ص405 .

[2] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص ص 81 -82 .

[3] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 405 .

[4] ابن عبد البر النمري ، أدب المجالسة وحمد اللسان ، ص104 .

[5] نفسه ، ص 103 .

ب) – موقفه من ترجمة العلوم : أجاز المحدث ابن عبد البر ترجمة ما هو مفيد من علوم غير العرب إلى اللغة العربية ، وكذلك إطلاع المسلمين على تلك العلوم والمعارف وفهمها بما يفيد للناس وحدد بعض العلوم بعينها ككتب الطب والحساب والأدوية ، بل لم يكتف بجوازها ، وإنما استحسنها ، ورغب الطلب فيها[1] .

ج) – اختلاف العلماء وما يلزم للطالب النظر فيه : يُعرِّف ابن عبد البر علم الاختلاف بأنه ما اختلف فيه الصحابة رضوان الله عليهم ، والقياس على ضوء قول منهم ، والفرق بينه وبين الاستحسان بأن الأخير ما استحسنه عامة فقهاء المسلمين ، ويرى بأن العلماء أنكروا الاستحسان أكثر من القياس[2] .

والاختلاف على نوعين حسب ابن عبد البر : فما كان منصوصاً لم يحل فيه الاختلاف ، وهناك التأويل أو الذي يدرك قياساً ، وقد يخالف رأيه غيره من المجتهدين[3] .

وفي رأيه مما يلزم لطالب العلم النظر في اختلاف العلماء ، فيرى ابن عبد البر أن الفقهاء اختلفوا في عدة أقوال حول توجيه طالب العلم من هذا الاختلاف ، أي الأقوال التي يختارها المتعلم ، فذكر أنه إذا كان الاختلاف في مسألة ما ، وقعت بين العلماء من الصحابة ، أومن بعدهم من الأئمة ، فيجوز الأخذ بقول ما شاء منهم ما لم يخالف نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة أو إجماع الصحابة ، فالاختلاف بين العلماء سعة ورحمة على المؤمنين والعباد، واستدل بهذا الحكم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أَصْحَابِي كَالنُّجُوم فَبِأَيُّهُم اِقْتَدَيْتُم اِهْتَدَيْتُم "[4]، وقوله صلى الله عليه وسلم :" عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةَ الخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي فَعَضُّواْ عَلَيْهَا بِالنَّواجِدِ "[5] .

د) – رأيه في التقليد : يفرق ابن عبد البر بين التقليد والإتباع ، فالإتباع عنده هو" أن تتبع القائل على ما بان لك من فضل قوله وصحة مذهبه ، أما التقليد : أن تقول بقوله وأنت لا تعرفه ولا وجه القول ولا معناه ، وتأبى من سواه ، أو أن يتبين لك خطؤه فتتبعه مهابة خلافه وأنت قد بان لك فساد قوله ، وهذا محرم القول به في دين

---

[1] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 249 .

[2] نفسه ، ص 236 .

[3] نفسه ، ص 278 .

[4] نفسه ، ص 297 وما بعدها . حديث إسناده ضعيف . الترمذي (أبو عبد الله محمد بن علي) ، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم** ، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، ج3 ، ص 62 . ابن الأثير الجزري ، جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ج8 ، ص 556 .

[5] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 311 . حديث صحيح . ابن ماجة ، سنن ابن ماجة، ج1، ص 28 . أبوداود ، سنن أبي داود ، ج1 ، ص 339 . الطبري (سليمان بن أحمد) ، **المعجم الكبير** ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، ط2 القاهرة ، ج18 ، ص ص 248 – 249 . أبو بكر البيهقي (أحمد بن الحسين) ، **السنن الكبرى** ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط3 ، بيروت ، 2003 ، ج10 ، ص 195 .

الله سبحانه "[1] ، أي أن ابن عبد البر يجيز الإتباع من خلال أن المُتَّبِـعَ يعرف فضل وصحة قول المُتَّبَـع ، وأن وجه الإتباع قائم على أسس صحيحة من الكتاب أو السنة أو الإجماع ، أما التقليد فهو الأخذ برأي أحد الأئمة أو العلماء بدون علم على أي أساس قام به اجتهاده ، ولا حتى أن يعرف معناه ، وقد يُدرك المقلِّد خطأ المقلَّد ولا يأبى إلا تقليده ، وهذا هو التعصب بعينه الذي ينكره المحدث ابن عبد البر[2] .

د) – الرأي والاجتهاد والقياس وعلم الكلام :

يضع ابن عبد البر شروطاً للاجتهاد في الرأي إذا نزلت نازلة ولم يكن لها حلّا في النصوص من القرآن والسنة ومن شروط الاجتهاد الرئيسية : أن يكون عالماً بأصول الدين , عارفاً بالحلال والحرام , ومن أشكل عليه أمرًا في باب الاجتهاد فيلزمه الوقوف وأن لا يُفتي أو يحيل على الله قولاً لا وجود له في الأصل أو جاء بخلاف ما أجمع عليه الصحابة والعلماء لهذا فهو ينكر الاجتهاد إلا إذا ما وافق القرآن والسنة ولم يتعارض مع أحكام الحلال والحرام وما أجمع عليه علماء الأمة فقط [3].

ولقد أجاز ابن عبد البر الاجتهاد انطلاقاً من بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :"إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاِجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَان وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ"[4] ، فذكر أن للمجتهد المخطئ أجر الاجتهاد وليس أجر الخطأ نقلاً عن تفسير الشافعي للحديث الشريف ، بينما لا يحبب الإمام مالك الخطأ ولا يجد له مبرراً ولو كانت نيته الاجتهاد .[5]

---

[1] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 335 وما بعدها .

[2] ويتفق ابن عبد البر مع ابن حزم في ذم التقليد . ابن حزم الأندلسي ، الأخلاق والسير ،ص 204. ويبدوا أن ابن عبد البر ، وابن حزم أحدهما تأثر بأفكار الآخر فقد كانا صديقين ، وهما من شيوخ العلم وأساتذة عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، إذ ذكرهما الحميدي الميورقي ضمن شيوخه الذين روى عنهم ، وهو يترجم لقاضي الجماعة بقرطبة يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث المعروف بابن الصفار،كما يعد ابن عبد البر من شيوخ ابن حزم الذين روى عنهم ، ويُلاحظ كذلك أن تكوين ابن عبد البر العلمي وتدرجه الفقهي شبيه بتكوين ابن حزم أو العكس فقد كان ابن عبد البر يميل في الفقه إلى أقوال الإمام الشافعي رحمه الله وهو المذهب الذي كان يعمل به ابن حزم قبل اعتناقه للمذهب الظاهري وقد قال ابن حزم عن كتاب الحميدي الموسوم بـ " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" بأنه :"كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه " وهي إشارة صريحة على ريادته في علم فقه الحديث في عصره . الحميدي ، المصدر السابق ،ص ص384 – 385 . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 659 – 660 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 605 – 606 . وديع واصف مصطفى ، المرجع السابق ، ص ص 53 ، 84 .

[3] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 274 .

[4] حديث صحيح رواه أبا هريرة ، وعمرو بن العاص . الحميدي الميورقي (محمد بن فتوح الأزدي) ، **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم** تحقيق علي حسين البواب ، دار ابن حزم، ط2 ، بيروت ، 2002، ج3 ، ص 423. ابن الأثير الجزري ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ج10 ، ص171 . جلال الدين السيوطي ، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ، ج1 ، ص 96 .

[5] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 290 .

ولابن عبد البر رأي في اختلاف العلماء والمفسرين حول : هل المجتهد المخطئ يأثم أم لا ؟ فذكر بأنه لا يأثم إذا كانت نيته في الاجتهاد إظهار الحق والصواب ، فأجر الاجتهاد أو وزر الخطأ يتوقف على نية المجتهد ، وهذا ما صرح به في قوله : "إن المجتهد المخطئ **لا يأثم** إذا قصد الحق ، وكان ممن له **الاجتهاد** ، وأرجوا أن يكون له في قصده **الصواب** وأراد به له أجر واحد إذا صحت نيته في ذلك ، والله أعلم " [1].

ويجيز ابن عبد البر القياس في الفقه من خلال ما استنبطه من الآيات الشرعية والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الفقهاء ، ومنها قوله تعالى "فَجَزَآءُ مِثْلِ مَاْ قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ"[2] ، إذ يرى ابن عبد البر بأن هذا تمثيل الشيء بعدله ومثله وشبهه ونظيره ، وهو نفس القياس عند الفقهاء ، ولقد أورد الكثير من أوجه القياس في الآيات القرآنية كتحريم الصيد ، ورمي المحصنات ، والشهادات ، والربا ...الخ [3]، ويرى بأن القياس والتشبيه والتمثيل من لغة العرب الفصيحة التي نزل الله بها القرآن ، ومنها قوله :"كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالمَرْجَاْنُ "[4]، وحكمه للنظير بحكم النظير[5] .

ويفرق ابن عبد البر بين القياس في التوحيد والقياس في الأحكام ، فيرى أن القياس لا يجوز في التوحيد ، بينما يجوز في الأحكام ، ورأى أن فقهاء السنة وأهل الحديث أجمعوا على هذا الرأي ما عدا الظاهرية فقد نفوه في التوحيد والأحكام معا[6] .

أما الفرق الأخرى من أهل البدع – بحسب تعبير ابن عبد البر – فهم على قولين : فمنهم من يرى أن القياس في التوحيد والأحكام معاً ، ومنهم من يثبته في التوحيد وينفيه في الأحكام كالمعتزلة مثلاً [7].

وفي القياس وضع ابن عبد البر شروطاً لجوازه ، إذ يجب أن تتوفر هذه الشروط في صاحب البحث والاجتهاد في القياس ، وهذا استناداً لقول الشافعي بأنه لا يجوز إلا فيمن جمع شروطه منها مثلاً [8] :

1)- أن تكون له المعرفة والعلم بالأحكام من كتاب الله ، والاحاطة بفرضه ، وأدبه ، وناسخه ومنسوخه، وعامه وخاصه ، وإرشاده ، وندبه .

---

[1] نفسه ، ص 291 .

[2] سورة الأنعام 05 / الآية 97 .

[3] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 283 وما بعدها .

[4] سورة الرحمن 55 / الآية 57.

[5] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ص 280 ، 286 .

[6] يتضح الاختلاف هنا بين ابن عبد البر وابن حزم حول جواز أو عدم جواز الأخذ بالقياس ، فالأول يجيزه في الفقه والأحكام وينفيه في التوحيد أما الثاني فينفيه مطلقاً موافقا لمذهبه الظاهري .

[7] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ص 280 ، 292 .

[8] نفسه ، ص 278 .

2)- أن يعرف الاستدلال ، والتأويل بالسنة النبوية الشريفة .

3)- أن يعرف الاستدلال بإجماع المسلمين .

ومنه فالقياس يبدأ على كتاب الله ، وإن لم يكن فعلى السنة النبوية الشريفة ، وإن لم يكن فبقول عامة السلف الصالح وما اجتمعوا عليه ، ولا يجوز القياس إلا في هذه الأوجه[1] .

ويضيف ابن عبد البر على قول الشافعي بأن الناظر في القياس يجب أن يكون " عالماً بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب ، ويكون صحيح العقل حتى يفرق بين المشتبه ،ولا يعجل بالقول ، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه ، لأن له في ذلك تنبيهاً على غفلة ربما كانت منه أو تنبيهاً على فضل ما اتقد من الصواب ، وعليه بلوغ غاية جهده والانصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقوله "[2].

وفي رأيه عن الأخذ بعلم الكلام والرأي والظن والقياس على غير أصل شرعي ، فقد ذكر أن العلماء اختلفوا فيه فمنهم :

أ) – طائفة ترى أن الرأي المذموم هو البدع المخالفة للسنن في الاعتقاد، ومنهم مثلاً جهم بن صفوان(قُتل 128هـ/745م)[3] وسائر مذاهب أهل الكلام لأنهم استخدموا قياسهم وآراءهم في الأحاديث النبوية الشريفة[4] .

ب) – جماعة من أهل العلم يرون أن الرأي المذموم المعيب المهجور الذي لا يحل النظر فيه والاشتغال به هو الرأي المبتدع الذي لم ينص عليه لا في الكتاب ولا في السنة ولا في إجماع العلماء ، ولا قياس أهل العلم والبحث العدول الثقات ، وعموماً فهذا الرأي باطل مهما كان شكله في كلتا الطائفتين[5] .

ج) – وآخرون وهم جمهور أهل العلم فإن الرأي المذموم هو القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون فيستعمل الرأي قبل أن تنزل النازلة أو تقع ، أي أنه نفي الاستحسان كمصدر من مصادر التشريع الاسلامي وكذا الظن والتكلف والفتوى قبل وقوع النازلة [6].

---

[1] نفسه .

[2] نفسه .

[3] رأس الطائفة الجهمية وإليه تنسب ، يكنى بأبي محرز ، من موالي خراسان، وظهرت بدعة جهم بن صفوان بترمذ (مدينة بخراسان) وقتل بمرو في أواخر ملك بني أمية ، والجهمية هي فرقة من الجبرية التي تنسب أفعال البشر للباري تعالى وتقول بأن الانسان مجبر غير مخير ، وأن الجنة والنار تفنيان ، وأن الإيمان هو المعرفة فقط دون سائر الطاعات ...الخ .أبو الفتح الشهرستاني (محمد عبد الكريم بن أبي بكر)، **الملل والنحل** إشراف وتقديم صدقي جميل العطار، دار الفكر، ط2 ، بيروت ، 2002 ، ص 69 وما بعدها . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج2 ص141.

[4] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ص 369 .

[5] نفسه ، ص 370 .

[6] نفسه ، ص ص 370 , 373 .

ومع ذلك فابن عبد البر النمري ينتقد من أفرط في ذم أبي حنيفة إذا كانت حجته في ذلك بأنه يستخدم الرأي والقياس ، ووصف ابن عبد البر الإمام أبا حنيفة بأنه كان " يُحسد ويُنسب إليه ما ليس فيه ، ويختلق عليه ما لا يليق به ، وقد أثنى عليه جماعة من العلماء وفضلوه ..."[1] ، وتمنى الإمام ابن عبد البر أن يُؤلِّف كتابًا يجمع فيه فضائل الإمام أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، والثوري ، والأوزاعي ، وأخبار أئمة الأمصار أصحاب المذاهب والفروع [2].

ولكن يعيب ابن عبد البر – بما أنه من أهل الحديث – على الإمام أبي حنيفة بعبارة غير مباشرة ، كثرة استخدامه الرأي والقياس فقد قال فيه :"الذين رووا عن أبي حنيفة ووثقوه واثنوا عليه أكثر من الذين تكلموا فيه والذين تكلموا فيه من أهل الحديث أكثر ما عابوا عليه الاغراق في الرأي والقياس والارجاء ، وكان يقال :يستدل على نباهة الرجل من الماضين بتباين الناس فيه "[3].

وفي رأيه عن علم الكلام يقول ابن عبد البر أن أهل الفقه من جميع الأمصار أجمعوا أن " أهل الكلام بدع وزيغ ، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء "[4] ، ويرى أن العلماء الحقيقيين هم أهل الأثر والمتفقهون فيه الذين يتفاضلون بالإتقان وحسن الميز والفهم وهم السلف عند ابن عبد البر الذين يصفهم بأنهم كانوا أعمق الناس علماً ، وأوسعهم فهماً ، وأقلهم تكلفاً ، ولم يكن سكوتهم عن عي ، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر "[5] .

هـ)– فضائل المناظرة وأدبها : لخص المحدث والمربي ابن عبد البر فضائل المناظرة والتعلم في قول الخليل بن احمد الفراهيدي (ت170هـ/786م)[6] " اجعل تعليمك دراسة لك، واجعل مناظرة العلم تنبيهاً بما ليس عندك ، واكْثِر من العلم لتعلم ، واقلل منه لتحفظ "[7]، ومن أجل حصول الرياسة والتقدم في المناظرات ينصح ابن عبد البر طالب

---

[1] نفسه ، ص 381 .

[2] نفسه .

[3] نفسه ، ص383 .

[4] نفسه ، ص 319 .

[5] نفسه ، ص ص 319 – 320 .

[6] يكنى بأبي عبد الرحمن ، ويقال له كذلك الفرهودي ، ولد سنة 100هـ/718م بالبصرة وبها توفي ، كان فطناً ، ذكيًا ، إماماً في اللغة والأدب شاعراً ، وهو أول من وضع علم العروض وأخرجه إلى الوجود وأخذه من الموسيقى والايقاع ، عاش فقيراً ، ومن مؤلفاته : "كتاب العين " في اللغة " معاني الحروف" ، " الشواهد" ، "كتاب العروض" ... الخ . الزبيدي الأندلسي ، المصدر السابق ، ص47 وما بعدها . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج2، ص 244 وما بعدها . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 314 .

[7] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ص 150

العلم التخصص في علم واحد للتمكن فيه ، أما من فضائل الأخذ من كل علم بحظ فإنه يكون عالماً بحق، كما نصح بعدم مناظرة العالم الجاهل[1] .

ويضع ابن عبد البر حدوداً ، وخطوطاً حمراء في المناظرة والجدال ، فاستنادا إلى الأحاديث النبوية الشريفة نهى ابن عبد البر عن الجدال والمراء في القرآن الكريم[2]، كما نهى عن الجدال في ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وأسمائه[3] .

أما في الفقه فقد أجاز ابن عبد البر التناظر والجدال لأنه – حسبه - "علم يحتاج فيه إلى رد الفروع على الأصول للحاجة إلى ذلك ، وليس الاعتقادات كذلك ، لأنه الله عز وجل لا يوصف عند الجماعة أهل السنة إلا بما وصف به نفسه ، أو وصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أجمعت الأمة عليه ، وليس كمثله شيء ، فيدرك بقياس ، أو بإمعان نظر "[4] ، ولكن يُحمِّل ابن عبد البر العالم المسؤولية والأمانة بعدم السكوت إذا رأى باطلاً أو خشي ضلالة العامة عند الخوض في أمور العقيدة فيضطر للتدخل من أجل تصحيح الأخطاء والبدع [5].

وفي إثباته بالأدلة والحجج عن صحة وإثبات جواز المناظرة والجدال ، فقد أورد ابن عبد البر الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، وكذلك بعض الوقائع التي حدثت وكلها بينت بوجود الكثير من المناظرات ومجالس الجدال بين بعض الصحابة أو بينهم وآخرين ، ومنها التي جرت بين عمر بن الخطاب (ت23هـ/644م)وبعض اليهود في قضية المفاضلة بين الملكين جبريل وميكائيل حتى أنزل الله تعالى الآية الكريمة :" قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرى لِلْمُومِنِينَ (96) مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلكَافِرِينَ (97)" [6].

ونقل ابن عبد البر قول أحد العلماء :"كل مجادل عالم ، وليس كل عالم مجادلا"[7] ،ويُفسر هذا بقوله :" أنه ليس كل عالم يتأتى له الحجة ويحضره الجواب ، ويسرع إليه الفهم بمقطع الحجة ، ومن كانت هذه خصاله فهو

[1] نفسه ، ص ص 150 ، 169 .
[2] يقصد بالمراء في هذا الموضع بمعنى الجحود والشك في آيات الله . نفسه ، ص 314 .
[3] نفسه ، ص ص 314 – 315 .
[4] نفسه ، ص 314 .
[5] نفسه ، ص 317 .
[6] سورة البقرة 02 / الآيات 96 – 97 . ابن عبد البر النمري ، المصدر السابق ، ص ص 325 – 326 .
[7] نفسه ، 332 .

أرفع العلماء وأنفعهم مجالسة ومذاكرة "[1]، أي أن أرقى مراتب العلماء ذلك المجادل سريع البديهة المتمكن في فهم المسائل وطرح الجواب بالحجة والدليل القاطع ، وهو – في نظره – أنفع للمتعلمين وأهل العلم مذاكرةً وفائدةً .

ونوَّهَ ابن عبد البر بأن هناك الكثير من المناظرات ومجالس الجدال المفيدة التي جرت بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء والتي لا يمكن إحصاؤها أو حصرها إذا قال :"وأما تناظر العلماء وتجادلهم في مسائل الأحكام من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، أكثر من أن تحصى "[2] .

و)– الإجازة ومدى صحتها : يعرف ابن عبد البر أحد أنواع الإجازة وهي ما تعرف بالإجازة بالمناولة وهي في نظره : من يروي عن كتاب أحد الشيوخ ، ويجيزه الشيخ المروى عنه بعدما يعلم أن محتوى ذلك الكتاب من قوله هو ويعرف هذا الكتاب بعينه ، كما يعرف ثقة الراوي وصدقه ولولم يُملي الشيخ على طالب الإجازة هذا الكتاب أو لم يقرأه عليه ، لهذا فيشترط في الاجازة بالمناولة – حسب ابن عبد البر — أن يكون العلم الذي يروى عنه هو منقول عنه ولو لم يقرأه الراوي عن الشيخ صاحب الرواية ، أو أن الكتاب الذي سيروى يعرفه بعينه فيعرف أن محتواه صحيح ، والشرط الثاني في شخص الراوي أنه يجب أن يكون من الثقات ، وهذا استنادًا للحديث الذي رواه ابن عبد البر عن عبد الله بن عمر أنه قال :كنت أرى الزهري يأتيه الرجل بالكتاب لم يقرأه عليه ، ولم يقرأ عليه ، فيقال له أرويه عنك ؟ قال :نعم . ويعقب ابن عبد البر بأن هذا دليل على" أنه كان يعرف الكتاب بعينه ويعرف ثقة صاحبه ، ويعرف أنه من حديثه وهذه هي المناولة ، وفي معناها الإجازة إذا صح تناول ذلك "[3] .

ويُقر ابن عبد البر أن العلماء اختلفوا في مدى صحة وجواز الإجازة ، فمنهم من أجازها ومنهم من كره ذلك فأما الذين أجازوها فقد اشترطوا أن يكون الشيء الذي أجيز معيناً أو معلوماً محفوظاً مضبوطاً ، والذي يتناول هذا الشيء عالمًا بطرق أخذ الإجازة ، وإلا فإنها تبطل صحة الاجازة[4] .

وأوجه فساد الإجازة كأن يكون الحديث المروي ليس من حديث الشيخ المروى عنه ، أو ينقص من إسناد الرواية الرجل أو الرجلين ، ولقد كان هذا الوجه من الإجازات الفاسدة شائعاً ومنتشراً في الاندلس في عهد ابن عبد البر فقد صرح يقول :" فقد رأيت قوماً وقعوا في مثل هذا وما أظن الذين كرهوا الإجازة كرهوها إلا لهذا ، والله اعلم "[5] .

---

[1] نفسه .
[2] نفسه ، ص 333 .
[3] نفسه ، ص 417 .
[4] نفسه ، ص 419 .
[5] نفسه .

لهذا يرى ابن عبد البر أن الإجازة " لا تجوز إلا لماهر بالصناعة حاذقاً بها ، يعرف كيف يتناولها ؟ ويكون في شيء معروف ، لا يشكل إسناده ، فهذا هو الصحيح من القول في ذلك ، والله اعلم "[1] .

ز)– رأيه في مطالعة كتب أهل الكتاب والرواية عنهم : أورد ابن عبد البر في هذه المسالة حديثاً واحداً ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم يجيز فيه ذلك حيث قال صلى الله عليه وسلم : "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة ، وَحَدِّثُوا عَنِّي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَج"[2] ، ثم أفرد العديد من الأحاديث النبوية التي لا تحبب ذلك ، ومنها ما روى عن أحد الصحابة قوله :" أُتيَّ النَّبِي صَلَّى الله عليه وسلم بكتاب في كتف فقال :"كَفَى بِقَومٍ حَمْقًا أَوْ ضَلالَة أَنْ يَرْغَبُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِّيهُمْ إِلَى نَبِّي غَيْرَ نَبِيُّهُمْ أَوْ كِتَابٌ غَيْرَ كِتَابَهُمْ " فأنزل الله عز وجل :" أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنْزَلْنَاْ عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ "[3].

وأورد حديثًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر أو ينهي فيه عن قراءة كتب أهل الكتاب فبعد أن أتاه رجل من اليهود سأله فقال له : يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" اللهُ أَعْلَمُ ، فقال اليهودي : أنا أشهد أنها تتكلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الكِتَاب فَلا تُصَدِّقُوهُمْ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، فَإِنْ كَانَ حَقًّاْ لَمْ تُكَذِّبُوهُمْ ، وَإِنْ كَانَ بَاْطِلاً لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ "[4].

من خلال ما ورد من الأحاديث السابقة وحتى وإن لم يبدِ ابن عبد البر أي موقف أو رأي تجاه هذه المسألة ، إلا أنه يوحي ضمنيًّا وكأنه يوصي طالب العلم أو العالم على حد سواء بعدم طلب هذه الكتب إن وقع منها في يده فعليه أن لا يصدقها ، كما عليه أن لا يكذب محتواها أي أن يتحفظ منها ، ويكفيه القرآن الكريم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم من ذلك كله .

ح)– الفقيه أو العالم ومن يجوز له الإفتاء : صفة الفقهاء عند ابن عبد البر لخصها في ما جاء من الحوار الذي دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ،إذ ذكر هذا الأخير في بعض رواياته أن رسول الله قال له :" يَاْ عَبْدَ اللهِ بن مَسْعُود ،قلت :لبيك يا رسول الله .فقال:" أَتَدْرِيْ أَيُّ الْنَّاسِ أَفْضَلْ ؟"، قلت :الله ورسوله أعلم، قال:" بِأَنَّ أَفْضَلَ النَّاْسِ أَفْضَلُهُمُ عَمَلاً إِذَاْ فَقَهُواْ فِي دِيْنِهِم"، قال :"يَاْ

[1] نفسه ، ص ص 419 – 420 .

[2] حديث صحيح أخرجه البخاري والترمذي . الحميدي الميورقي ، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ، ج3 ، ص440 . ابن الأثير الجزري جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله وسلم ، ج8 ، ص 19 . جلال الدين السيوطي ، الفتح الكبير ، ج2 ، ص9 . ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 254 .

[3] سورة العنكبوت 29 / الآية رقم 51 .

[4] أخرجه أبو داود .ابن الأثير الجزري ، جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ،ج10 ، ص197 . جلال الدين السيوطي الفتح الكبير ،ج3 ، ص 85 .

عَبْدَ اللهِ بن مَسْعُود " ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال :" أَتَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ " قلت: الله ورسوله أعلم قال :" أَعْلَمُ النَّاسِ أَبْصَرَهُمْ بِالحَقِّ إِذَاْ اِخْتَلَفَ الْنَّاسُ وَإِنْ كَاْنَ مُقَصِّرًا فِي العَمَلِ ، وَإِنْ كَاْنَ يَزْحَفُ عَلَى إستهِ " .[1]

ولقد نقل ابن عبد البر النمري أن الفقيه عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ/852م) ذكر سماعاً من أحد شيوخه قوله : "كانوا يقولون : لا يكون إماماً في الفقه من لم يكن إماماً في القرآن والآثار ، ولا يكون إماماً في الآثار من لم يكن إماماً في الفقه " [2].

أما صفة العلماء فقد روى ابن عبد البر عن قول أحدهم:"من لم يعرف الاختلاف لم يشم رائحة الفقه بأنفه " وقول آخر :"من لم يسمع الاختلاف فلا تعدوه عالمًا " ، وبهذا يرى أن العالم هو الذي علِم بفقه الاختلاف[3] .

و فيمن تجوز له الفُتيا أومن يتصدر مجالس الافتاء ، فقد نقل ابن عبد البر عن أحد العلماء قوله :"لا ينبغي لأحد أن يُفتي الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس ، فإنه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه "[4]. وكذلك قول الإمام مالك لما سُئل لمن تجوز الفتوى ؟ فقال :لا تجوز الفتوى إلا لمن علم ما اختلف الناس فيه ، قيل له : اختلاف أهل الرأي ؟ قال : لا ، اختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وعلِم الناسخ والمنسوخ من القرآن ، ومن حديث الرسول عليه السلام وكذا يفتي "[5].

ونبَّه ابن عبد البر إلى إحدى أهم الخصال التي يجب أن تكون في شخصية العالم وهي التواضع والإقرار بعدم درايته لموضوع ما إذا سُئل وهو لا يعلم له حلاً أو لا يعرف عنه شيء ، فقد ذكر أنه إذا سُئل العالم عما لا يدريه يجوز له أن يقول له :لا أدري أو إتباع ما قام به الصحابة في هذه الحالات إذا طرحت على الصحابي والخليفة أبي بكر الصديق مسألة فلم يجد لها جوابا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية الشريفة فقال : هذا رأيي ، فإن كان صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني ، واستغفر الله "[6]، وفي هذا المعنى يقول عبد الله بن مسعود :"إن من العلم أن تقول عما لا تعلم :الله أعلم "[7] .

[1] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص ص 256 – 257 .
[2] نفسه ، ص ص 261 – 262 .
[3] نفسه ، ص 260 .
[4] نفسه ، ص 261 .
[5] نفسه .
[6] نفسه ، ص 266 .
[7] نفسه ، ص 267 .

ط)– انتقادات ابن عبد البر لطلاب العلم في عصره :

قدم المحدث والمربي بعض الصور عن أوضاع وحالة التعليم وطلبة العلم بالأندلس في عصره ، وهو ينتقد تلك المظاهر السلبية ، ويحاول أن يصححها أو يوجه من يقرأ عليه من طلبة العلم أن يتفاداها ، فقد رأى أن بعض طلبة العلم قد حادوا عن منهج سلفهم من العلماء ، وسلكوا سبلًا ابتدعوها لم يسلكها العلماء وشيوخهم من قبل من خلال جهلهم أو تقصيرهم وعدم التزامهم بمراتب العلم وآدابه فنصبوا أنفسهم علماء زمانهم ، وقدم نماذج عن هؤلاء فقسمهم إلى أصناف وهي :

– طائفة منهم تروي الحديث وتسمعه ، واقتصرت على جمع الحديث دون فهمه ، " فجمعوا الصحيح والسقيم والحق والكذب في كتاب واحد وربما في ورقة واحدة(...) قد شغلوا أنفسهم بالاستكثار عن التدبر والاعتبار فألسنتهم تروي العلم وقلوبهم قد خلت من الفهم ، غاية أحدهم معرفة الكتب الغريبة والاسم الغريب، أو الحديث المنكر ، وتجده قد جهل مالا يكاد يسع أحداً جهله من علم صلاته وحجه وصيامه وزكاته ..."[1] .

– وطائفة أخرى كالأولى أو أشد جهلاً منها فأصحابها لم يعنوا بحفظ السنة ، ولم يعرفوا معانيها ولا اعتنوا بكتاب الله ، ولا عرفوا أسباب نزوله وأقوال العلماء في تأويله وأحكامه ، ولم يقفوا على حلاله وحرامه ، وزهدوا في علم السنن والآثار ، ولم يميزوا إجماع العلماء من اختلافهم ، واكتفوا بحفظ الرأي والاستحسان الذي هو آخر مراتب العلم ومن أدنى مراتب مصادر التشريع الإسلامي ، أو حتى لم تكن فيهم أخلاق العلماء من قبلهم كالتقوى والورع والزهد والخوف من الله الوقوع في الخطأ في فتاويهم واجتهاداتهم[2]، فتراهم ينقلون فتاوى سابقيهم في النوازل ويتقدمون في مجالس الإفتاء فيجيبون الناس في مسائلهم دون الاحتكام إلى أصول الاجتهاد وقواعده " فهم يقيسون ما حفظوا من تلك المسائل ويفرضون الأحكام فيها ، ويستدلون منها ، ويتركون طريق الاستدلال من حيث استدل الأئمة وعلماء الأمة ، فجعلوا ما يحتاج أن يستدل عليه دليلاً على غيره ولو علموا أصول الدين وطرق الأحكام وحفظوا السنن كان ذلك قوة لهم على ما ينزل بهم ، ولكنهم جهلوا ذلك فعادوه وعادوا صاحبه "[3].

ومما يلاحظ مما سبق ذكره أن المحدث والمربي ابن عبد البر كان متذمراً وساخطاً على بعض ممن ينتسبون إلى العلم ظلماً سواء من الطلبة أو ممن يتصدرون مجالس العلم ، وهو نفس الموقف الذي اتخذه ابن حزم الظاهري فقد اتفقا على رسم صورة سوداوية لحال بعض مجالس العلم في العصر الذي عاشا فيه بالأندلس ، وهو عصر

[1] نفسه ، ص 407 .

[2] نفسه .

[3] نفسه . لقراءة المزيد عن وصف وانتقادات ابن عبد البر لحال العلم والتعليم في الأندلس أنظر إلى الملحق رقم 06 .

ملوك الطوائف ، ولهذا السبب قد أفرد المحدث ابن عبد البر باباً سماه "باب حال العلم إذا كان عند الفساق والأرذال" في كتابه جامع بيان العلم وفضله ، ذكر فيه الأحاديث النبوية التي كانت تنبئ وتحذر من تلك الفئات التي تتصدر مجالس العلم والتعليم[1] .

ي) انتقاده لبعض متصدري المناظرات في الأندلس والمغرب : انتقد ابن عبد البر بعض المناظرات التي كانت تعقد في الأندلس في وقته إذ رأى أنها تخرج عن بعض الأدبيات ، ونفس الحال ينطبق على ما هو في المغرب الاقصى فهم —حسبه- في مناظراتهم يقدمون حججهم على سبيل أنها قالها فلان أو حسب رواية فلان دون أن يقدموا لها تأصيلاً من الكتاب والسنة (أي انهم يقلدون فقط) ، ومن يخالف الراوية عن مقلديهم التي لا أصل لها ولا بيان لصحتها فكأنه قد خالف الكتاب والسنة ،وعلى الرغم من أنهم يزعمون — حسب تعبير ابن عبد البر — من أتباع الإمام مالك إلا أنهم يخالفونه في الكثير من المسائل .[2]

كما انتقد ابن عبد البر العداوة والتعصب التي يبديها بعض مالكية أهل المغرب ضد المنتسبين للمذاهب الأخرى من الحنفية والشافعية والظاهرية وغيرها ، ولم يبيحوا حتى النظر في كتب من خالف الإمام مالك ودليل اختلافه معه وقول مالك في ذلك وهذا " جهلاً منهم وقلة نصح وخوفاً من أن يطلع الطالب على ما هم فيه من النقص والتقصير فيزهد فيهم وهم(...) يعيبون من خالفهم ، ويعاتبونه ، ويتجاوزون القصد في ذمه ليوهموا السامع أنهم على حق وأنهم أولى باسم العلم "[3] .

ك)- نصائح أخرى لابن عبد البر خاصة بالمتعلم : فأما التي تتعلق بالمواد التي يجب طلبها فيذكر :

أ)- أن يحفظ المتعلم طرق الآثار والأصول (الكتاب والسنة) ، والوقوف على معانيها ، وما قال الفقهاء فيها والمُفَرِّطُ فيها كالذي لم يحمل العلم أو "كالقانع بالشم من المطعم " [4].

ب) — التحذير من التقليد ، وعليه الاقتداء بما سبقه من العلماء ، من خلال حفظ السنن والتدبر فيها وصرح بذلك في قوله:" واقتدي بهم في كيفية البحث والتفهم والنظر ، وشكر لهم سعيهم فيما أفادوه ونبهوا عليه وحمدهم على صوابهم الذي هو أكثر أقوالهم ، ولم يبرئهم من الزلل كما لم يبرئوا أنفسهم منه ، **فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح** (...) ومن أعف نفسه من النظر (...) وعارض السنن برأيه ورام أن يردها إلى مبلغ نظره فهو ضال مضل ، ومن جهل ذلك كله أيضاً وتقحم في الفتوى بلا علم فهو أشد عمي وأضل

---

[1] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 181 وما بعدها . وحول انتقادات ابن حزم لتلك الفئة ينظر إلى ابن حزم الأندلسي الأخلاق والسير ، ص 122 . عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص ص 21 ، 23

[2] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 408 .

[3] نفسه ، ص 409 .

[4] نفسه ، ص 408 .

سبيلاً "[1] ، ويرى ابن عبد البر النمري أن القرآن الكريم والسنة الشريفة هما أصلا الرأي ، ومن جهل الأصل لا يمكنه الوصول إلى الفرع[2] .

ويُلاحظ أن ابن عبد البر النمري يُشدد على طالب العلم بضرورة التقيد بالسنة والاقتصار عليها ، فبها يُفسر بعض آيات القرآن الكريم وتُأَوَّل ، ويرى ابن عبد البر بأنه لا يجوز لمن جهل السنة أن يُؤِّلَ القرآن الكريم ، كما حذر من هذا لأنه من خصال أهل البدع الذين أضربوا عن السنن وتأولوا الكتاب على غير ما بينته السنة فضلوا وأضلوا من اتبعهم حسب قوله[3] .

ب)- تحذيره للمتعلم بأن الالمام بعلم الفروع مستحيل ، وأن الاعتماد على الاستنباط هو إحدى وسائل علم الرأي ، وبه قد يحيد عن أصول العلم ، لهذا عليه أن لا يجهل علم الأصول ، وهو أولى من علم الفروع [4] .

ج) – وفيما يخص أوجه وأساليب التعلم :

1) – يحثه على ضرورة حضور المناظرات ففيها فوائد جمة ،ومنها معرفة وجه الصواب ، وأصل الآراء وحججها وعللها .

2)- حرص ابن عبد البر على طالب العلم بأن يلتزم بمطالعة الكتب والعناية بها ، ولقد دعم نصيحته هذه بالعديد من أقوال العلماء والحكماء في فضل العناية بالمطالعة والاستفادة من علوم وخبرات السابقين وحِكمهم وتجاربهم وأخبارهم وتواريخهم ، وأفرد مقتطفات للكثير من الأبيات المأخوذة من أشعار وقصائد الحكماء منها الأبيات التي أنشدها من قصيدة مطولة للوزير عبد الملك بن ادريس الجزيري(ت394هـ/1004م)[5] يقول فيها :

وَاعْلَم بِأَن العِلْـــمَ أَرْفَــعُ رُتْبَةٍ ... وَأَجَـــلُ مُكْتَسَبٍ وَأَنْسَى مَفْخَرِ

فَاسْلُكْ سَبِيلَ المُقْتَنِينَ لَهُ تَسُدْ ... إِنَّ السِّيـــادَةَ تُقْتَـــنَي بِالدَّفْتَـــرِ

وَالعَالِمُ المَدُعـــوُّ حَبْـرًا إِنَّمَا ... سَمَّاهُ بِاسْمِ الحِبْرِ حَمْلُ المِحْبَرِ

وَبِضَمْرِ الأَقْلامِ يَبْلُغُ أَهْلُهَا ... مَاْ لَيْسَ يَبْلُغُ بِالجِيادِ الضُمُـــرِ[6]

---

[1] نفسه ، ص 410 .
[2] نفسه .
[3] نفسه ، ص 434 .
[4] نفسه ، ص 408 .
[5] يكنى بأبي مروان ، وزير وكاتب أندلسي في عهد الدولة العامرية ، قرطبي ، وهو أديب ، وشاعر ، من كبار البلغاء ، توفي معتقلاً في إحدى أبراج طرطوشة . الحميدي ، جذوة المقتبس ،ص ص 280 – 281 . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 488 – 489 . خير الدين الزركلي المرجع السابق ، ج 4 ، ص 156 .
[6] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 448 .

ومما سبق ذكره حول آراء ابن عبد البر في مجال التربية والتعليم يُلاحظ بأنها تنوعت بمعالجة مختلف جوانب موضوع التنشئة العلمية ، بل وتطرقت إلى أخلاق وآداب المسلم بصفة عامة وليس المتعلم فقط ، وتطرق إلى هذه الأمور في كتاب " أدب المجالسة وحمد اللسان "، وخصص جزءًا معتبرًا منه زيادة على كل محتوى كتابه "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله" لطالب العلم والعالم وكل ما له شأن أو علاقة بالعلم ، حيث تطرق فيهما إلى أخلاق وآداب أهل العلم من المتعلمين والمعلمين على حد سواء ، وعرّف العلم وبيّن أصوله وحقيقته وأقسامه ليس عند المسلمين فقط ولكن عند أهل الملل الأخرى ولدى الفلاسفة والمتكلمين كذلك ، كما طرح في هذا المؤلف العديد من القضايا التربوية ، فعالج قضية الإجازة والمناظرة مثلاً ، وأعطى لنا صورة عن بعض أوضاع التعليم والتعلم لدى الأندلسيين في عصر ملوك الطوائف الذي عاش فيه .

وعلى الرغم من أن آراءه ركزت على المتعلم الكبير ، إلا أنه لم يغفل عن المتعلم في مرحلة الصغر ، فقد ذكر المواد الدراسية التي يجب أن تُطلب في مرحلة الصبي قبل البلوغ منها بأنه لابد أن يحفظ فيها القرآن الكريم ،كما عالج قضية التأديب بالضرب الذي أجازه إن تطلب الأمر لذلك .

وختاماً لما ذكر عن النظريات والآراء التربوية الأندلسية بين عصري الإمارة وملوك الطوائف ، يذكر أن ما ورد سابقاً من عرض لتلك النظريات ماهي إلا نماذج متنوعة تعبر عن مختلف أشكال النظريات والمواقف التي ظهرت بالأندلس في الفترة محل الدراسة ، فالرسالة التي بعثها الفقيه والمربي عبد الملك بن حبيب السلمي إلى معلم ولده هي نموذج للتعليم في مرحلة الكتاتيب ، وآراء ابن حزم ونظريته التعليمية تعبر عن سياسة التعليم من الصغر إلى الكبر أي أنها تشمل كل حياة المتعلم ، أما آراء ومواقف ابن عبد البر فهي تعالج بالأخص تعليم الكبار بعد أن يتعدى المتعلم مرحلة الصغر والكتاتيب ، ويبدأ التخصص في العلوم الشرعية وعلم الحديث بالأخص ، وهذه الآراء والنظريات والمواقف ما هي إلا عينات فقط ، فهناك آراء ووصايا أخرى لبعض شيوخ العلم والمربين لطلبة العلم وأبنائهم المتعلمين منها على سبيل المثال لا الحصر وصية الفقيه المالكي أبو الوليد الباجي(ت474هـ /1081م)[1] لولديه التي ضمن فيها العديد من القضايا والمسائل التعليمية وهو يوصي ولديه ، فقد عالج فيها مثلاً أسباب اعتناق الأندلسيين المذهب المالكي ، وشرح السياسة التعليمية التي يجب على طالب العلم تتبعها حيث ركز على وجوب التقيد بأصول الدين من القرآن والسنة النبوية الشريفة الصحيحة ،كما حذر ابنيه من بعض علوم الأوائل كالفلسفة ،والمنطق والتنجيم إلا في الحدود التي رسمها الدين[2] ، ووصية الشيخ الفقيه أبي عبد

[1] حققها جودة عبد الرحمن هلال ، ونشرها في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد . جودة عبد الرحمن هلال ، **مقدمة لوصية القاضي أبي الوليد الباجي لولديه** ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، العدد03 ، 1955، م1 ، ص17 وما بعدها .

[2] جودة عبد الرحمن هلال ، المرجع السابق ، ص 17 وما بعدها . أنظر إلى الملحق رقم 08 .

الله محمد بن موسى الشهير بابن عمار الكُلاعي الميورقي(كان حيًّا 485هـ/1092م)[1] لابنه ، ولقد جاءت هذه الوصية على شكل قصيدة نونية طويلة ، ضمن فيها الحكم والمواعظ ، يحث ابنه على التقيد والالتزام بها [2].

[1] أصله من ميورقة, رحل إلى مصر ، وبجاية ، ويبدوا أنه استقر بهذه الأخيرة ، فقد كان أحد شيوخ الحافظ القاضي أبي بكر بن العربي (ت543هـ/1148م) في رحلته إلى المشرق من خلال ما أورده المقري التلمساني وهو يترجم للقاضي أبي بكر بن العربي .المقري التلمساني، نفح الطيب ، ج2 ، ص 200 . أنظر إلى ابن عمار الكلاعي الميورقي (محمد بن موسى) ، **وصية محمد بن موسى الشهير بابن عمار الكلاعي الميورقي لابنه ،** تحقيق وتصحيح وضبط أبي أويس محمد بوخبزة الحسني التطواني ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 2003 ، ص 71 . وابن عمار الكلاعي الميورقي هذا غير ابن عمار محمد أبوبكر الشلبي ذي الوزارتين (ت 477هـ/ 1084م) وزير وشاعر المعتمد بن عباد(461-484هـ/1069-1091م) صاحب اشبيلية ، وهو أمير مرسية بعد أن خرج على ابن عباد . ابن خلكان ، المصدر السابق ، م4 ص 425 وما بعدها . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص ص 310 – 311 .

[2] وعلى الرغم من الفوائد التي تضمنتها هذه القصيدة ، إذ تطرق فيها إلى بعض جوانب التربية والتعليم ،كأهمية التزين بمكارم الأخلاق والتمسك بالدين والتقيد بأحكامه ، كما تناولت وصيته أهم العلوم التي يجب أن تطلب كحفظ القرآن الكريم ، وحفظ الحديث الشريف وغيرهما ، إلا أن الطالب يتحفظ على بعض ما أورده من أبيات يتهجم فيها على بعض كبار شيوخ العلم الأندلسيين كابن حزم الأندلسي الذي اتهمه بالضلال والكفر بسبب كثرة مناظراته ، وجداله ، وتوظيف الفلسفة ، والمنطق فيهما ، وقال فيه :

وَقَدْ كَانَ اِبْنُ حَزْمٍ فِي ضَلالٍ   يَقُولُ بِقَوْلِهُم وَ يَدِين دينَا

مُـتَـابَعة لِفـلْسَفَـةٍ وَكُـفْـرٍ   وَرَدًّا لِلْشَـرائِـعِ أَجْـمَعِيْنَـا

ابن عمار الكلاعي الميورقي ، المصدر السابق ، ص 86 . وللاطلاع على مقتطفات من هذه القصيدة أنظر إلى الملحق رقم 09 .

الفصل الثاني

مقومات وأساسيات العملية التربوية التعليمية

المبحث الأول : التعليم ومناهجه :

يصرح المؤرخ صاعد الأندلسي(ت462هـ/1069م)[1] في كتابه طبقات الأمم أن اهتمام الأندلسيين بالحركة التعليمية بدأ فعلياً منذ عصر الإمارة ,لكن الاهتمام كان منصباً على العلوم الدينية الشرعية ، وعلوم اللغة دون غيرهما من العلوم الأخرى ، ويقدم تاريخاً مضبوطاً فيحدده ابتداء من منتصف القرن الثالث للهجرة التاسع للميلاد ، وذلك في فترة حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم إلى غاية منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وفي هذه الفترة بين القرنين شاع علم الحساب ، والفلك[2].

ويعد القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي قمة الحضارة التي وصلت إليها الأندلس ،حيث شهدت فيه نهضة علمية نافست بها العواصم العلمية المنتشرة آنذاك ، في مختلف العلوم والاختصاصات ، وبرزت أهمية هذه الريادة في العطاء والإنتاج الفكري الذي ستعرفه الأندلس فيما بعد ، ويقصد بذلك في عصر ملوك الطوائف الذي يعد أخصب مرحلة مرت بها الأندلس من حيث ازدهار حركة التأليف والإنتاج الفكري والاهتمام بالكتب والنفائس وكل ما يتعلق بالعلم بصفة عامة[3].

وفي هذا المقام يقول المؤرخ عبدالرحمن علي الحجي : " كان العلم منتشراً في الأندلس انتشارا تفتقره كثير من البلدان المعاصرة لنا ، ولها حظ في التعليم كبير والعلم والمعرفة بكل أوجهها (الدرس والتدريس والتعلم والتأليف) كانت مزدهرة وعامة ، مصدر فخر وعوامل تقدير (...) ، و خير ما يقدم عصر الطوائف إلى جانب صفحات الجهاد المشرقة التي ذكرت بعضها إنتاجاً غزيراً وفيراً ومشرقاً مبدعاً في مختلف الميادين ، فهو زاخر بالمؤلفات الأمهات والأصول الضخمة التي وصلنا بعضها . قسم كبير من هذا ما يزال مخطوطا "[4] .

وللحديث عن التعليم في الحضارة الأندلسية من عصر الإمارة عصر ملوك الطوائف فلابد الإشارة إلى أنه لم يُذكر بأنه قامت مؤسسات رسمية خاصة بالتعليم -كالمدارس مثلاً أو معاهد أو جامعات كما هو الحال في

---

[1] صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي ، فقيه وقاضي طليطلة وبها توفي ، أصله من قرطبة ,ولد بالمرية سنة 420 هـ/ 1029م، يكنى بأبي القاسم ، استقضاه المأمون يحي بن ذي النون صاحب طليطلة ، اشتهر بالذكاء والمعرفة وعلو كعبه في علم الرواية والدراية . الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص417. ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج 1، ص 370 .

[2] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 63 – 64 .

[3] يوسف علي بن إبراهيم العريني ، **الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين** ، مطبوعات الملك عبد العزيز العامة ، الرياض، 1995 ط1 ، ص 14 .

[4] عبد الرحمن علي الحجي ، المرجع السابق ، ص ص 411-412 .

عصرنا الحالي – تعتني الدولة أو السلطة الحاكمة بتسييرها والإشراف والانفاق عليها ، بل كان التعليم والتحصيل العلمي آنذاك باجتهاد شخصي لكل طالب علم[1] .

ويتدرج المتعلم في حياته التعليمية على ثلاث مراحل ، وهذا التقسيم قائم على أساس السن ، ومكان التعليم والمادة التعليمية[2] .

المطلب الأول المناهج التعليمية :

للحديث عن المناهج التي اعتمدها الأندلسيون في التعلم ، تجدر الإشارة إلى أن للتعليم مراحل ، لكل مرحلة منهجها الخاص بها في التحصيل حسب عمر المتعلم وقدرته في الاستيعاب ، فتوجد المرحلة الأولى : وهي مرحلة الصغر، والتي تهتم بهذا الكتاتيب أو الكتاب ، وتشمل أطفال عامة الناس وخاصتهم ، ثم المرحلة الثانية تبدأ عند نهاية المرحلة الأولى ، ثم المرحلة الثالثة وهي مرحلة التخصص بلغة العصر الحالي .

أ)– المرحلة الأولى : مرحلة الكتاتيب أو الكتّاب :

وهي أولى مراحل التعلم خارج المنزل ، والتي تختص بتعليم الصبيان ، حيث اعتنى الأندلسيون بتعليم أنفسهم وأبنائهم وحرصوا على مكافحة الجهل ، والتخلف ، يقول المقري في هذا: " وأما حال أهل الأندلس في فنون العلم فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز ، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ..." [3] ، و قامت الكتاتيب أو الكتّاب ، أو ما يعرف بالمكاتب بالدور الجليل المنوط بها ، وهو تعليم الصبيان في المرحلة الأولى ، وقد قام الخليفة الحكم المستنصر[4] (350-366هـ/ 961- 976م) بفتح سبعة وعشرين مكتباً في مدينة قرطبة لوحدها ، منها ثلاثة مكاتب حول المسجد الجامع ، والباقي تتوزع في كل أرباض المدينة ، وعين المؤدبين فيها لتعليم الفقراء والمساكين[5] ، وكان من المعلمين الكتاب المشهورين آنذاك

---

[1] السيد عبد العزيز سالم ، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1985، ص283 .

[2] محمد عبد الحميد عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص 211 .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص181 .

[4] الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله ، الخليفة الأموي الأندلسي ، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 350 هـ/961م ،كان حسن السيرة ، عادلاً ، شغوفاً بالعلم والأدب والتاريخ والأنساب ، شاعراً ، جماعاً للكتب .الحميدي ، المصدر السابق، ص 13 وما بعدها . الضبي المصدر السابق ، ج1 ، ص 40 وما بعدها .ابن الأبار القضاعي ، المصدر السابق ، ص 116 وما بعدها .خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ج2، ص267.

[5] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 240 .

حبيب بن أحمد بن إبراهيم المعلم[1] (ت337هـ/948م)،وإبراهيم بن أحمد بن محمد بن خلف الانصاري الطرطوشي[2] من بلنسية (Valencia) .

و من المعلوم أن نظام التعليم لدى المسلمين عامة في العصور الوسطى يقوم على تحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ولقد أولى الأندلسيون هذا الجانب أهمية بالغة في مراحل تعليمهم ، لذا كان القرآن الكريم بالأخص ، زيادة على تعليم اللغة العربية ، ومن خلال نصين لعالمين أندلسيين أحدهما متقدم والأخر متأخر يقدمان المناهج التعليمية المتبعة آنذاك في تعليم الصبيان ، فالنص الأول يتمثل في رسالة عبد الملك بن حبيب (ت238هـ /852م) التي وردت سابقاً ، والنص الثاني للفقيه والمؤرخ وعالم الأندلس أبو بكر بن العربي (ت543هـ/ 1148م)[3]، حيث وضع ابن حبيب منهجاً لتعليم ولده يقوم على تعليم كتاب الله اقتداء بما هو معمول به لدى أهل الأندلس ، ويورد في الرسالة التي قدمها أن من فضائل البدء بتعليم القرآن وتحفيظه في بداية التعليم عند الصبيان أنه يرسخ الإيمان في قلوب الصبيان ، فالقرآن أصل التعليم عند الأندلسيين ، ثم تعليم الهجاء والخط والنطق به نطقاً سليماً صحيحاً ، وطريقة تعليم القرآن عند الكتاب أو الكتاتيب تهتم بكتابة الصبي الآيات المراد حفظها في اللوح، ثم يحفظها ، وعند حفظه ، يمحيها من اللوح بواسطة الماء في مكان طاهر ، وهكذا بهذه الطريقة حتى يحفظ ما استطاع من القرآن[4] .

ويوضح الفقيه ابن العربي أن المنهج التعليمي الذي سار عليه اثناء تعلمه في الصغر وهو النظام التعليمي الذي وضعه له والده ، حيث ابتدأ بدراسة القرآن الكريم وحفظه وتم له ذلك وهو في سن التاسعة ، ثم عين له والده

---

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 227 – 228 .

[2] ابن الأبار (محمد بن عبد الله) ،المصدر السابق ، ص 206 .

[3] هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري ، العالم المالكي ، والحافظ للحديث ، والقاضي الاشبيلي المشهور ، ولد سنة 468هـ/1076م بإشبيلية رحل إلى المشرق مع أبيه سنة 485هـ/1092م ، ودخل الشام ، وبغداد ، والحجاز للحج سنة 489هـ/1095م ، ثم عاد إلى بغداد وصحب جماعة من العلماء منهم أبي حامد الغزالي (ت505هـ/ 1111م) ، ورحل إلى مصر وحل بالإسكندرية وكتب عن علمائها ، ثم عاد إلى الأندلس سنة 493هـ/1099م فحلَّ بإشبيلية وعين على القضاء فيها ، ثم صرف عنه ، فأقبل على نشر العلم وبثه ، وبرع في الأدب ،توفي بالقرب من فاس ، صنف كتباً في الحديث ، والفقه ، والأصول ، والتفسير ،والأدب ، والتاريخ ، قال فيه معاصره ابن بشكوال: " الإمام ، العالم ، الحافظ المستبحر ، ختام علماء الأندلس ، وآخر أئمتها وحفاظها " ، وقال فيه ابن خلكان : " قدم بعلم كثير لم يدخله أحد من قبله " ،ومن مؤلفاته : العواصم من القواصم ، قانون التأويل ، أحكام القرآن ، القبس في شرح موطأ ابن أنس ، الناسخ والمنسوخ ، أعيان الأعيان ، كتاب المتكلمين ...الخ . ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج3 ،ص 855. ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 296 – 297 . المقري التلمساني المصدر السابق ، ج2 ، ص199. سعيد اعراب ، **مع القاضي أبي بكربن العربي** ، دار الغرب الإسلامي، ط1 ،1987 ، ص 09 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص 230 .

[4] سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص 61 .

ثلاثة معلمين : الأول لتدريسه القراءات[1]، والثاني للغة العربية ، والمعلم الثالث لتعليمه الحساب والعدد وكل ماله علاقة بعلم الفلك ، ويشير ابن العربي أنه في سن السادسة عشر أتقن عشرة من أحرف القرآن ، وتجويده ، وتمكن في اللغة العربية ، وفهم الكثير من مسائل الحساب الفرائض ، وكذلك كتاب إقليدس ، وبعض من علم الفلك ويقول ابن العربي : أن هؤلاء المعلمين تعاقبوا عليه في التدريس في اليوم بداية من صلاة الصبح حتى صلاة العصر[2].

ويحث الفقيه والعالم ابن حبيب في وصية لمعلم ولده أنه بالإضافة إلى تعليم القرآن الكريم ، كذلك عليه تعليم الشعر ، ثم الحديث الشريف خصوصاً الصحيح منه [3].

ويلاحظ أن المنهج التعليمي الذي سار عليه عموم الأندلسيين في هذه المرحلة يعتمد على القرآن الكريم ، إذ هو أصل العملية التعليمية ، ثم يأتي تعليم اللغة العربية ،والأدب ، والشعر ، بالإضافة إلى العناية بالخط والكتابة[4] ويقدم ابن خلدون ملخصاً لمنهج الأندلسيين في تعليم الصبيان إذ يقول:" وأما أهل الأندلس ، فمذهبهم في تعلم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم إلا أنه لما كان في القرآن أصل ذلك ، وأسه ومنبع الدين والعلوم ، جعلوه أصلاً في التعليم فلا يقتصرون عليه ، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل ، وأخذهم بقوانين العربية ، وحفظها ، وتجويد الخط والكتاب ولا تختص عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها ، إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى عمر الشبيبة "[5] .

ولقد انتقد القاضي ابن العربي هذه الطريقة بعد بلوغه ، ورحلاته العلمية لمختلف الأقطار ، فقد نبه إلى أن تعليم الصبي القرآن الكريم في بداية التعليم خطأ إذ أنه يقرأ ما لا يفهم ، وبذلك رأى بضرورة تقديم تعليم اللغة العربية والشعر أولاً على سائر العلوم الأخرى , ثم تعليم الحساب ومسائله , ثم من هنا يبدأ بتعلم وقراءة ودراسة

---

[1] علم القراءات : اصطلاحاً له تعريفات متعددة ، منها بأنه علم " يدرس اختلاف ألفاظ الوحي ، وكيفيتها من تخفيف ، وتثقيل" ، ويقول ابن خلدون(ت808هـ/1405م): "هو اختلاف روايات القراء في قراءة القرآن ، ومنها القراءات السبع المشهورة التي صارت أصولاً للقراءة " ، كما يوجد قدم تعريف آخر حيث يقول : "علم بكيفية أداء كلمات القرآن و اختلافها ..." ، وتصدر هذا العلم قائمة العلوم الشرعية . ابن خلدون ، المقدمة ،ج3 ، ص931 . نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل ، **علم القراءات** ، مكتبة الملك فهد الوطنية،ط2 ، الرياض ، 2002 ص ص 26 ، 28 . محمد المختار ولد اباه ، **تاريخ القراءات في المشرق والمغرب** ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو ، سلا ، 2001 ، ص5 وما بعدها .

[2] سعد بن عبدالله البشري ، **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (422 – 488 هـ/1030 – 1095م)** ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط1 ، الرياض ، 1993 ، ص 211 .

[3] سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص ص 60 – 62 .

[4] سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 210 .

[5] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1116 .

القرآن الكريم ، وبهذا يبدأ الصبي في فهم القرآن ومقاصده ، ثم ينتقل الى تعلم ودراسة أصول الفقه ، ثم الجدل فالحديث وعلومه [1].

ووافق ابن خلدون على ما تقدم به أبي بكر بن العربي ، غير أنه رأى من الصعب تطبيق هذا المنهج لأن عادة الأندلسيين تقديم وتفضيل تعليم القرآن على سائر العلوم الأخرى ، ومخافة أن يحدث للصبي في حال ما أخرَّ دراسة القرآن من المعيقات ما تحول به عن مواصلة التعليم ، فتفوته المثوبة والبركة في حفظ القرآن الكريم وتعلمه[2] .

ويقول الفقيه أبو الحسن علي بن القابسي(ت403هـ/1012م) عالم المغرب الاسلامي أن المنهج التعليمي عمومًا ينقسم الى قسمين : إجباري ، واختياري ، حيث رأى في القسم الإجباري وجوب وإلزامية تعليم الصبي القران الكريم ، والصلاة ، إذ أن الصلاة لا تتم إلا بتلاوة القرآن ، وغرس مكارم الأخلاق ، فالدين والأخلاق حقيقتان متلازمتان، وتعلم النحو والعربية ، والقراءة والكتابة ، أما الاختياري فهو تعلم الحساب ، وما بقي من النحو، والشعر ، والتاريخ [3].

من خلال ما تقدم يتضح في الأخير تشابه -إن لم يكن إجماع – النصوص السابقة على اختلاف مصادرها على وحدة المناهج في المرحلة الأولى من التعليم ، رغم الاختلاف البسيط في تقديم مادة عن أخرى كتقديم اللغة العربية عن الشعر أو العكس ، إلا أنه من المتفق عليه أن الأندلسيين حرصوا كل الحرص على الاهتمام بدراسة القرآن الكريم أولاً قبل أي علم ، بل اعتمدوه الأساس في التربية والتعليم ككل في بداية الحياة العلمية للمتعلم وربما هذا ما يفسر ثراء الدراسات الدينية وعلوم الشريعة والمتخصصين فيها أكثر من غيرها .

ب)– المرحلة الثانية : المرحلة المتوسطة

ولقد اطلق عليها ابن خلدون مرحلة التعليم الثاني[4] ، وهي المرحلة التي يدرس فيها التلميذ العلم بشكل أوسع من المرحلة السابقة ، حيث يتعلم شروح القرآن وقراءاته ، وكذلك شروح الحديث الشريف ، وكل ما يتعلق بالفقه وبعض العلوم الانسانية والعقلية [5].

---

[1] ابن المواز (أحمد بن عبد الواحد بن محمد) ، **خطوة الأقلام في التعليم والتربية في الإسلام** ، تقديم وتحقيق أحمد طالبي ، مطبعة كرافيك أصالة ط1 ، 2004 ، ص 68 . سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص ص 211 – 212.

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1118 . و يعد الفقيه أبو الوليد الباجي (ت474 هـ/1081م)من العلماء الذين أيدوا بضرورة تقديم تعلم القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأضاف إلى ما سبق ضرورة تعلم الصبي أصول الفقه ، وفن المناقشة ، وأدبيات النقد السليم لمسائل العلم . سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 212 .

[3] أحمد حمايمو ، **التربية والتعليم عند القابسي**، المعهد التربوي الوطني ، جامعة محمد الخامس ، العدد6 ، الرباط ، ديسمبر 1982 ، ص 12.

[4] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1110 .

[5] سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 213 .

تتميز هذه المرحلة بأن طالب العلم يختار معلمه بنفسه أو عدد من المعلمين حسب ما يراه أنفع فالمنصور بن أبي عامر مثلاً (326 – 392 هـ/938 -1002م)[1] دخل إلى قرطبة ، وهو شاب من أجل طلب العلم والأدب والحديث على شيوخ قرطبة بعد أن تجاوز مرحلة الكتاب[2] ، وروى ابن بشكوال (ت578هـ / 1183 م) أن العالم المحدث محمد بن عبدالله بن غلبون الخولاني(ت448هـ/1056م) مثلاً روى في هذه المرحلة عن " أبيه عبد الله وعن أبي بكر محمد بن عبد الرحمن ، وعن أبي عمر أحمد بن هشام بن بكير ، وأحمد بن قاسم التاهرتي وأبي عمر الجسور ، وأبي عمر الباجي ، وأبي عمر الطلمنكي ، وأبي القاسم أحمد بن منظور ...، وأبي الوليد بن الفرضي ...، وصاعد اللغوي ...الخ "[3].

وتختلف النصوص في الحديث عن السن التي ينتقل فيها الصبي من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية ، إذ يرجع ذلك إلى الصبي نفسه من حيث ذكائه ، وقدراته ، وربما تتدخل الظروف المحيطة به ، فإذا كان المنصور بن أبي عامر كما ورد سالفًا قد تدرج إلى المرحلة الثانية وهو شاب ، فالقاضي أبو بكر بن العربي(ت543هـ/1148م) قد دخل هذه المرحلة مبكراً ، فقد حفظ القرآن ، وهو ابن تسع سنين ، ولم يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى أتقن القراءات العشر ، وجمع فنوناً من العربية ، وتمرن على الأدب والشعر ، وكان يقول: "لم أرحل من الأندلس حتى أحكمت كتاب سيبويه" [4] .

وإذا كانت هذه المرحلة هي في الحقيقة استمرار لمرحلة الكتاب ومكملة لها ، فالاختلاف يكمن في كمية المواد التي تقدم في مستوى سن المتعلم ، ومن الصعب التفرقة بين المرحلة الأولى وهذه المرحلة ، فمعظم الدراسات تتفق على أن التعليم في الأندلس يتميز بثلاث مراحل : المرحلة الأولى المذكورة سالفاً ، المرحلة العليا أو مرحلة التخصص ، ومرحلة فاصلة بين المرحلتين السابقتين ، والتي أطلق عليها مصطلح المرحلة الثانية أو المتوسطة [5].

---

[1] محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد بن أبي عامر ، أمير ، والمتغلب على الحكم بالأندلس في دولة هشام المؤيد الأولى (366-399هـ/976-1009م) ، أصله من الجزيرة الخضراء ، عرف بالهيبة ، والدهاء ، والذكاء ، والكرم ، عهد بوكالة هشام المؤيد لما كان صغيراً بعد وفاة أبيه ،وكانت مقاليد الحكم فعلياً في يده ، وصارت خلافة هشام المؤيد في عهده شكلية فقط. ابن الأبار، الحلة السيراء ، ص 153ومابعدها . ابن بسام الشنتريني ، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1997 ، م1 ، ص195 .

[2] ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص 153 .

[3] ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج3 ، ص 787 .

[4] الضبي، المصدر السابق، ج1 ، ص 126 . سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص 11.

[5] ومن أصحاب هذا التقسيم : الأستاذ محمد الأمين بلغيث ، والأستاذ سعد بن عبد الله البشري . محمد الأمين بلغيث ، **دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم** ، دار الوعي ، ط1 ، الجزائر ، 2009 ، ص 71. سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ص 213 . ويرى الأستاذ محمد عادل عبدالعزيز أن المراحل التعليمية تقسم إلى دورين ، الأول وهو ما يعرف بالتعليم العام ، والثاني الذي يعرف بتعليم الصنائع أو التعليم الصناعي ، وفي التعليم الأول (التعليم العام) ينقسم بدوره إلى مرحلتين: الأولى وهي مرحلة الكتاب أي مرحلة التعليم=

ج)- المرحلة الثالثة :المرحلة العليا (مرحلة التخصص[1]):

تشبه هذه المرحلة التعليم العالي في العصر الحالي[2] ، وليس من السهل تحديد بداية هذه المرحلة ونهايتها والفاصل الذي بينها وبين المرحلة السابقة لها ، لكن المعروف أن في هذه المرحلة يقدم المتعلم بالرحلة في طلب العلم ، والانتقال من مكان إلى آخر بهدف التركيز والتخصص في علم من العلوم ،كما أنه يدرس ويتعمق في العلوم الدينية ، واللسانية ، والعقلية[3] ، ورغم أن هذا الطور -إن صح التعبير- هو مرحلة التخصص في مادة من المواد التعليمية إلا أن طلاب العلم في هذه الفترة لا يدرسون مواد منفردة بذاتها ، فقد يجمع الطالب أحياناً في الوقت نفسه بين أكثر من مادة ، ومثال ذلك فقد يدرس القرآن والحساب ، أو المنطق والطب ، لكن وفقاً للمنهج الذي يتميز في هذه المرحلة ، فإن الدراسات الدينية كان لها السبق أكثر من غيرها ثم التعمق في دراسة النحو ثم تأتى مادة التخصص[4] .

ومن أمثلة طلاب هذه المرحلة ، الطبيب، والمؤرخ ابن جلجل القرطبي سليمان بن حسان(332-377هـ/ 943 -987 م)[5] ، حيث " سمع الحديث وهو ابن عشر سنين(...) وعني بالطب أتم عناية وهو ابن أربع عشرة سنة ، وأفتى فيه وهو ابن أربع وعشرين ، وصنف فيه كتباً جليلة ..."[6] ، وكذلك الشيخ الزاهد محمد بن أحمد القيسي المعروف بابن الخلاص (ت364هـ/974م) الذي تخصص في الحديث والقرآن والتاريخ [7] .

=الابتدائي بلغة عصرنا ، وتبدأ من سن الخامسة أو السادسة من العمر إلى غاية السن الثالثة عشر أو الرابعة عشر ، والمرحلة الثانية فهي التي تشمل المرحلتين المتوسطة والعليا ، وتبدأ من سن المراهقة أو قبلها حسب استطاعة المتعلم ونجابته ، أما التعليم الصناعي فكان يكتسب بالممارسة عن طريق التدريب والخبرة بلغة العصر الحالي. محمد عادل عبد العزيز ، **التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية** الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987 ، ص ص 8 - 9 .

[1] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص74 .

[2] خوليان ريبيرا ، **التربية الإسلامية في الأندلسية أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية** ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف، ط2 ، القاهرة 1994 ، ص 41 . محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص 211.

[3] نفسه ، ص 212 .

[4] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 41 .

[5] أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي ، المعروف بابن جلجل ، طبيب ومؤرخ أندلسي من قرطبة ، تعلم الطب ، وسمع الحديث ، وقرأ كتاب سيبويه ، من أهم آثاره طبقات الأطباء والحكماء وهو مطبوع. ابن اصيبعة ، المصدر السابق ، ص81. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ،ج3 ص123 .

[6] المراكشي (أبو عبد الله محمد الأنصاري الأوسي) ، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** ، تحقيق محمد بن شريفة ، إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، السفر الرابع ، م10 ، ص 62 .

[7] هو محمد بن أحمد بن محمد المكنى بأبي عبد الله ، أصله من بجانة ، وهو من شيوخ ابن الفرضي عالم الأندلس(ت403هـ/1012م). ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 795.

ومن مظاهر التعلم في هذه المرحلة أن بعض الطلاب كانوا يبحثون في بعض المسائل العلمية التي لم تكن في متناول العامة في علم الفلسفة ، أو بمذهب فقهي ما غير منتشر بكثرة ، أو الاهتمام بعلم الفلك الذي كان محظوراً إلا في بعض المسائل المتعلقة بتحديد اتجاه قبلات المساجد ، وتعيين مواقيت الليل والنهار لمعرفة أوقات الصلوات ومواعيد الأهلة ، وإذا تجاوز طالب العلم هذه الحدود فقد وقع في المحظور[1]، وكان هذا الوضع سائداً إلى غاية تولي عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-961م)[2] السلطة ، وممن عانى من هذا الواقع المفروض الفيلسوف ابن مسرة(ت319هـ/931م)[3] الذي يرجع إليه الفضل في ترغيب الأندلسيين في مسائل الفلسفة.

والجدير بالذكر أن هذه المرحلة لا يتعداها طالب العلم إلا بعد أن يتمكن من علوم المرحلة السابقة ، والمعلم لا يجيز لطلبته الانتقال إلى المرحلة العليا ودراسة العلوم الأخرى غير الدينية إلا بعد الإلمام والتمكن بالعلوم الشرعية أولاً ، وهذه المرحلة لا تتهيأ إلا بعد أن يقطع الطالب أشواطاً طويلة في المرحلة الثانية وهذا حسب تمكن الطالب وذكائه ، وسنه ، ومدى استعداداته ، وامكانياته ، واجتهاده [4].

المطلب الثاني : طرق التدريس :

اعتمد الأندلسيون طرقاً عديدة للتدريس منها :الإسماع (التلقين) ،الإملاء ، الحوار، والحفظ ، والمناظرة وغيرها[5]، واختلاف هذه الطرق يعود بالأساس إلى المربي أو المعلم أو الأستاذ ، إذ لكل منهم طريقته الخاصة في

---

[1] أنخل جنثالث بالنثيا ، **تاريخ الفكرالأندلسي** ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص 447 .

[2] يكنى بأبي المطرف ، ولد سنة 277هـ/890م ، ولي بقرطبة بعد وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/888-912م) ، أول من تلقب بالخلافة وأمير المؤمنين في الأندلس بعد ضعف الدولة العباسية أيام أبو الفضل جعفر المقتدر بالله (295- 320هـ/908-932م) وظهور الشيعة بالقيروان . يعد المؤسس الفعلي للبحرية الأندلسية من خلال انتصاراته ضد الفاطميين والنورمان ، ونظم الجيش حتى صار من أعظم جيوش عصره ، وكان محباً للعلم وتخليد الآثار ، توفي بقرطبة . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 31 . الضبي، المصدر السابق ،ج1 ص39 .ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله) ، **تاريخ إسبانية الإسلامية أو أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** ، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف، ط2 ، بيروت ، 1956 ، ص 29 . جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر)، **تاريخ الخلفاء** ، تحقيق أحمد إبراهيم زهوة ، سعيد بن أحمد العيدروسي ، دار الكتاب العربي، ط4 ، بيروت ، 2003 , ص399 . رينهرت دوزي ، **المسلمون في الأندلس** ،ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994 ، ج2 ، ص 57 .

[3] محمد بن عبدالله الجبلي المعروف بابن مسرة ، فيلسوف أندلسي ، من الزهاد والعباد ، قيل أنه تأثر بآراء المعتزلة ، واعتزل بجبل في قرطبة قبل وبعد رحلته الحجية ، اتهم هو وتلاميذه بالزندقة والإلحاد فابتلي بحرق كتبه وضاعت معظمها ولم يبق منها سوى كتابين وهما : "التبصرة " و"الحروف " . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 39 - 40 . الحميدي ، المصدر السابق ، ص 63 . الضبي، المصدر السابق ج1، ص 120. المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج 4، ص329 . أنجل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 326 .

[4] ابراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 181

[5] الصمدي خالد ، **مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري** ، مجلة الحضارة الإسلامية ، معهد الحضارة الإسلامية ، وهران عدد خاص حول المراكز الثقافية بالمغرب الإسلامي ، 1993 ، ص 147 نقلاً عن خميسي بولعراس ، **الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس=**

التدريس ، وهذا حسب تجربته وخبرته الشخصية ، وتكوينه العلمي، كما يرجع إلى مستوى طلابه ، وكذا المواد الدراسية التي يلقنها ، ويراعي المدرسون فيها بصفة عامة المبادئ الأساسية التربوية والمعروفة لدى علماء التربية والتعليم ، كالتي ذكرها ابن خلدون في المقدمة ، ومن بين هذه المبادئ التدرج في التعليم من البسيط إلى المعقد وتبسيط المعلومات ، وتسهيلها ليفهمها المتعلمون ، وكذلك محاولة المعلمين تحبيب الطلاب للدرس بطرق مختلفة منها الاستطرادات والحكايات ، فتصبح بعض حلقات الدروس نزهة للسامعين على حد تعبير المؤرخ المغربي اسكان الحسين ، كما كان المعلمون ينشطون بعض الحلقات وذلك بإذكاء المنافسة بين الطلاب وهذا لدفع الملل والارهاق منهم[1]، وفيما يلي يأتي الحديث عن كل طريقة ، وكيفية تطبيقها .

أ)- الطرق المعتمدة أثناء سرد الدرس :

1. **الإسماع أو التلقين :**

وهذا بالسماع من لفظ المعلم, وميزة هذه الطريقة أنها مؤمنة من الخطأ ، ويعد الإسماع من أهم الطرق شائعة الاستخدام في التعليم ، وبالأخص في ميدان العلوم الدينية والأدبية وهو ينقسم إلى إملاء ، وحديث من خلال حفظ المعلم ، أومن كتاب معين يقرئه ، أو يكلف أنجب الطلاب في الحلقة بتلاوة النص وهو المعروف بقارئ المجلس ، وبقية الطلبة يكتبون ، وفي أثناء القراءة يقوم المعلم بالتصحيح والشرح [2].

ولقد اعتمد التعليم الإسلامي في العصور الوسطى بصفة عامة على طريقة الرواية نظراً لطبيعة العقل العربي وقدرته الفائقة على الحفظ ، إذ يروى أن العلامة أحمد بن عثمان بن سعيد الداني(ت471هـ/1079م) أقرأ الناس القرآن بالروايات[3]، وإذ يتوقف المرء متعجباً في هذه القدرة والنعمة التي أمتاز بها الحفاظ من طلبة العلم وأمثلة النوابغ كثيرة في هذا المجال ، فقد قرئ على العلامة أبي محمد عبد الله بن سعيد بن لباج الأموي الشنتجيالي القرطبي (ت436هـ/1044م) صحيح مسلم بين جمعتين بجامع قرطبة في موعدين الغداة والعشية[4] .

=**في عصر ملوك الطوائف400 – 479 هـ/1009– 1086 م** "مذكرة ماجستير" ، قسم التاريخ ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الموسم الجامعي2006–2007 ، ص 146 .و يقول أبو العباس أحمد بن الشيخ عبد الواحد بن محمد بن المواز الحسيني السليماني ، وهو كاتب ومثقف مغربي أن مراتب (طرق) التعليم خمسة ، الأولى بالسماع ، والثانية بالقراءة ، والثالثة بالكتابة المقترنة بالإجازة ، والرابعة بالمناولة أي أن يناول الشيخ تلميذه صحيفة العلم ، والخامسة بالإجازة كأن يقول الشيخ أجزت لك أن تروي عني هذا الحديث ، أو هذا الكتاب...الخ . ابن المواز ، المرجع السابق ، ص ص 67 – 68 .

[1] الحسين اسكان ، **تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1 – 9 هـ /7 – 15 م)**، مركز الدراسات التاريخية والبيئية ، (ضمن سلسلة الدراسات والأطروحات رقم 02) ، الرباط ، 2004 ، ص ص 111 – 112 .

[2] ولقد أصبح مصطلح القراءة مرادفاً لمدلول الدراسة في المغرب الوسيط . نفسه ، ص 112 .

[3] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 114 .

[4] نفسه ، ج2 ، ص 417 .

2. الإملاء :

وهو أن يتخذ المعلم مجلساً يضم طلبة العلم ، ثم يملي عليهم من ذاكرته بما يحفظ من علم ، وطلبته يكتبون ذلك في أوراقهم[1] ، إذا فالإملاء نفس أسلوب الإسماع وإنما الاختلاف في حالة المتلقي، ففي الحالة الأولى يسمع ويحفظ أما في حالة الإملاء يقيد الطالب كل كلمة يسمعها من معلمه [2].

ويبدأ المعلم درسه بالبسملة ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقرر الدرس ، وإذا فرغ منه يختم الحلقة بقراءة الفاتحة ، ثم يعين لطلابه موضوع الدرس القادم[3] .

وقد تستخدم في بعض المواضيع طريقتا الإملاء والتلقين معاً ، وهذا لعدم توفر الكتب المدرسية ،كما هو في الوقت الحالي ، وفي الغالب لم يكن في ذلك الوقت من الكتاب إلا نسخة واحدة ، وهي التي بيد المعلم ، لهذا يضطر أن يملي على طلبته ما جاء في ذلك الكتاب[4] .

ومن أشهر من جمع بين طريقتي الإقراء والإملاء المربي والمعلم عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي الطليطلي المعروف بابن العسال(ت487هـ/1094م) العالم بالحديث ، والتفسير ، والأدب ، إذ كان له مجلس يقرأ عليه التفسير ، ويتناوله بالشرح ، والتوضيح ، ويدعم أقواله بالأحاديث النبوية الشريفة[5] .

ومن مجالس الإملاء المعروفة مجلس الحافظ المحدث عبد الرحمن بن محمد بن عيسى فطين بن أصبغ بن فطيس (ت 402هـ/1011م)[6] الذي كان يملي الحديث الشريف على طلابه .

---

[1] يجلس الأستاذ على الأرض كالطلبة في وسط الحلقة ، ويلتف حوله الطلبة ، ويسند ظهره على جدار أو عمود ، ويكون الطلبة على أتم الاستعداد لكتابة ما يملى عليهم في كراسات مخصصة لهذا الغرض يسندونها على ركبهم ,و محابرهم أمامهم فيها القلم والدواة , أو يتابعون القراءة في كتب يحملونها . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 110 . ويقول حاجي خليفة : " واعلم أن جميع المعلومات تعرف بالدلالة عليها بأحد الأمور الثلاثة الإشارة ، اللفظ ، والخط ، والإشارة تتوقف على المشاهدة ، واللفظ يتوقف على حضور المخاطب وسماعه ، وأما الخط فلا يتوقف على شيء فهو أعمها نفعاً وأشرفها. حاجي خليفة ، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م،1 ص 52 .

[2] ابراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 128 .

[3] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 14 .

[4] ابراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 128 .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 435 . سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 213 .

[6] قاضي الجماعة بقرطبة ، عالم بالتفسير والحديث والتراجم ، ولد بقرطبة سنة 348هـ/ 960م ، تولى القضاء والمظالم سنة 394هـ/1003م ثم اعتزل سنة 395هـ/1004م ،جماعاً للكتب ، كان يكاتب علماء المشرق ويكاتبونه ، وهو من كبار المحدثين والعلماء ، عارفاً بالجرح والتعديل جمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من عصره في الأندلس ، مع سعة الرواية والحفظ والدراية ، كان له ستة وراقين ينسخون له الكتب مقابل رواتب معينة ، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياع منه ، وبالغ في ثمنه وإلا نسخه ورده لصاحبه . ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 466 وما بعدها . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج3، ص 325 .

3. القراءة :

تتميز هذه الطريقة بأنواع فرعية مختلفة من حيث التلقين ، ومنها :

- أن يقرأ المعلم من كتاب ، والطالب يسمع منه .
- وقد يقرأ المعلم من حفظه .

وتشبه الحالتان طريقة الإسماع السالفة الذكر ، أو قد يقرأ الطالب على المعلم كتاباً ، ويسمى هذا التعلم عرضا ويشترط فيه أن يكون المعلم أو الشيخ حافظاً عالماً لما يقرؤه التلميذ عليه ، وإذا أخطأ التلميذ أو حرف في عرضه للشيخ رده عليه [1] .

ولا يقتصر استخدام هذه الطريقة في المرحلة الأولى من التعليم بل في مرحلة التخصص كذلك ، وقد كانت القراءة على الأستاذ في هذه المرحلة من أكثر الأساليب شهرة ، وفي هذا نميز نوعين من القراءة لدى التلميذ ومنها القراءة على الشيخ ، والقراءة الذاتية[2] ، وممن اشتهر بالإقراء محمد بن أحمد بن سعيد المعافري (ت469هـ /1076م) [3] ، وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان[4] .

4. المناقشة (الأسئلة والأجوبة) :

ويقصد بالمناقشة ما يدور من حوار ، ويكون هذا بأسئلة الطلاب وأجوبة المعلم ، أو يطرح العالم مسألة من مسائل العلم ، أو حديثاً من الأحاديث ، ثم يتلقى الأسئلة حول الموضوع[5] .

ويذكر أنخل جنثالث بالنثيا بأن صاعد البغدادي (ت447هـ/1026م) أدخل طريقة جديدة إلى الأندلس في درس الشعر الجاهلي ، من خلال قراءة الطالب القصيدة ، ثم يسأله الأستاذ عن معاني الألفاظ ، فيقوم بالشرح معتمداً في ذلك على المعاجم العربية[6] .

---

[1] ابن المواز ، المرجع السابق ، ص 67 .

[2] عباس محجوب ، **التربية والتعليم في كتب التراث** ، جدارا للكتاب العالمي ، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان ، أربد ، 2007، ص114.

[3] المعروف بابن الفراء ، من أهل جيان ، يكنى بأبي عبد الله ، اختص في القراءات ، له رحلة إلى المشرق ، توفي بمكة. ابن بشكوال، المصدر السابق ، ج3 ، ص 925 .

[4] إمام عصره في الإقراء ، وهو محدث ، وأديب ، يعرف بابن الصيرفي ، تصدر للقراءات وألف فيها وفي طبقات رجالها ، بلغت مصنفاته نحو مائة مؤلف . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 538 .

[5] سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 214 . وتعد الطريقة الاستجوابية من أهم طرق التعليم التطبيقية ، وتستخدم الأسئلة لهدف تقويم المعارف أو اكتشاف الحقائق من طرف المتعلمين ، ومحاسن هذه الطريقة كثيرة ، فهي تثبت المعلومات ، وتنمي القدرة على التعبير ، وترسخ عادة التفكير التحليلي ، وتبقي الانتباه متيقظاً ، وتقتصد من الوقت ...الخ . غي بالماد ، **مناهج التربية** ، ترجمة جوزف عبود كبه ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1970 ، ص ص 53 – 54 .

[6] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 66 .

وتنقل النصوص جانبًا من تواضع الأساتذة في بعض حلقات الدروس عندما تطرح عليهم أسئلة لا يفقهون جوابها ، فروي أن طالبًا سأل أستاذه ابن سكرة السرقسطي (ت514هـ /1120م)[1] عن كلمة لم يفهمها في كتاب كانوا يقرؤون فيه ، فأجابه الأستاذ بأنه لا يملك جواباً لسؤاله ، ووعده بأن يبحث عن الجواب على مهل ويجيبه فيما بعد رغم أن هذا المربي كان من أشهر علماء عصره [2].

ب)- التعلم بالمناظرات :

لم يقتصر التعليم في الأندلس على الطرق السابقة ، إذ أن بعض النصوص أثبتت أن أساليب التعليم تنوعت وكان من ميزات التربية الأندلسية الحرية في التعلم مع إعطاء الأهمية للمناظرة التي تعد أفضل من طريقة التلقين ومن بين مزاياها بناء شخصية المتعلم الذي يكون واثقاً من نفسه ، قوي الحجة فيما يعرفه ، قادراً على نقد نفسه وهي أحد مظاهر التجديد الأندلسي في جانب التربية والتعليم ، وليس الهدف من النقاش الفضول الفكري ، بل القدرة على الإبداع والتوضيح ، وهو الشكل الذي يخرج عن تلقين الأستاذ إلى محاولة المتعلم اختبار النفس من حيث المعلومات التي استقاها من شيوخه ، وقدرته على الحوار والاقناع[3].

ولفظ المناظرة يتردد كثيراً في المصادر والنصوص ، فبعض المواضع يوحي معناها إلى طريقة السؤال والجواب السابقة الذكر[4]، ثم طرح المسائل ، كما تذكر المصادر عن العلامة أبي محمد عبد الله بن أحمد بن عثمان الطليطلي المعروف بابن القشاوى(ت417هـ/1026م) [5] ،وفي مواضع أخرى يعتقد أنه يعني المناظرة بين الأساتذة فيما بينهم [6] ، وفي مواضع غير التي سبقت توحي إلى النظر والتعمق في المسائل ، والتفقه أكثر، والأمثلة على ذلك كثيرة ، إذ يرد المقري أن قاسم بن سيار(ت278هـ/891م) لزم أستاذًا يدعى ابن عبد الحكيم للتفقه والمناظرة[7] وكذلك يحي بن زكريا بن سليمان القرطبي(ت315 هـ/927م) : " كان فقيها في المسائل (...) ،وكان مشاوراً مع محمد بن عمر بن لبابه ونظرائه(...) ،وكان يجتمع إليه للسماع منه والمناظرة عنده ..." [8]، ويذكر ابن أبي

---

[1] حسين بن محمد بن فيره بن حيون ، يكنى بأبي علي ، قاضي ، ومحدث . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج 1، ص235. خير الدين الزركلي المرجع السابق ، ج2 ، ص 255 .

[2] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 114 .

[3] عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص67 .

[4] سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 214 .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 404 .

[6] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 133 . محمد عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص18 .

[7] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 218 .

[8] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 913 – 914 .

اصيبعة عن عمه رشيد الدين علي بن خليفة :" أنه شرع في تعلم صناعة الطب والنظر فيه(...)ثم باحث الأطباء"[1].

وفيما يخص نوع المناظرات بين الأساتذة فهي لا تتقيد بحلقات العلم أو مجالس الدرس في المساجد ،وإنما هي مناظرات علمية حرة، ومن أشهرها تلك التي كانت بين الفقيه الظاهري ابن حزم الظاهري(ت456هـ/1063م) والفقيه المالكي الحافظ أبي الوليد سليمان الباجي(ت474هـ/1081م)[2]، ووصف ابن حزم بأنه كان شديد الوطأة في مناظراته العلمية ، حاد اللسان في جدله ونقاشه ، وقد عانى لوقوف فقهاء المالكية ضده إلى درجة أن كتبه أُحرقت ، وطُرد من مدينة الى أخرى بعد انهيار الدولة الأموية وبداية حروب الطوائف[3] .

وكان العلماء المتناظرون يتمتعون بقدر كبير من الاهتمام والإكرام من طرف الأمراء والحكام، كبني عباد في اشبيلية الذين اعتنوا بالأدب والشعر ، وبنو الأفطس في بطليوس(Badajoz) ، وغيرهم .

والمناظرة بصفة عامة تستخدم في المرحلتين الأولى والثانية كإحدى طرق التعليم من أجل طرح المسائل ومناقشاتها ، إما من كتاب يدرس ,أو يطرحها المعلم لأهداف تربوية تعليمية ، وهذا من أجل أن يتعلم التلميذ الدفاع عن وجهة نظره ، وقد يصبح المتعلم عالماً في المرحلة الثالثة وهي مرحلة التخصص ، فيقوم بتنشيط المناظرات مع نظرائه من العلماء الكبار .

المطلب الثالث : الإجازات العلمية كشهادة تحصيل :

تعني الإجازة – اصطلاحاً في هذا البحث – تلك الشهادة التي يمنحها المعلم للطالب ، تعبر تلك الشهادة عما تلقاه الطالب على يدي معلمه في علم من العلوم ، وهي تشبه الشهادات التي تمنحها المدارس العليا والجامعات في الوقت الحاضر للطلبة المتخرجين ، غير ان الإجازات تختلف عنها من حيث الشكل ومن حيث طريقة الحصول عليها[4].

ولقد كان الطالب إذا ما انتهى من دراسة كتاب على أحد الشيوخ يحصل على إذنٍ منه بتدريسه وروايته واصطلح على هذا الإذن بالإجازة ، وكان يقول الشيخ : أجزت لك أن تروي عني هذا الحديث ، أو هذا

---

[1] عباس محجوب ، المرجع السابق ، ص 114 .

[2] سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي المالكي ، الحافظ ، من أهل قرطبة ، له رحلة إلى المشرق، فأقام بمكة ثم رحل إلى بغداد والموصل ، كان يحضر مجلسه نحو ثلاثة آلاف رجل للسماع منه ، وقيل أربعون ألفا رجل . ابن بشكوال ، المصدر السابق، ج1 ، ص 317 وما بعدها .

[3] ومعلوم أن العالم ، والمؤرخ ، والمربي أبي بكر بن العربي (ت 543هـ /1148م)قد ناظر العديد من علماء عصره منهم الفقيه عبد الرحمن بن قاسم (ت499هـ/1106م) قاضي مالقة الذي كان من علماء الفقه ومسائله ، هذه المناظرات أبهرت الفقهاء ، وأثارت فيهم العجب لتمكن هؤلاء العلماء في العلم والمعرفة وذكائهم في الرد على بعضهم البعض . سعد عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 216 .

[4] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 36 .

الكتاب[1]، وقد يكتفي الطالب بالقليل من العلم أو يجمع منه الكثير حسب ظروفه الخاصة ، ويجاز على ما تحصل عليه ، والإجازة بشكل عام هي انتقال الطالب من مجلس التعلم الى مجلس التعليم[2] .

ولقد أُستخدمت الاجازة في أول الأمر في رواية الحديث الذي كان يروى شفهيًّا ، ثم ظهر علم نقد الإسناد لضبط ، ومعرفة مدى صحة الراوي والسند ، ويروي الإمام البخاري(ت256هـ/870م) أن من بين ست مئة ألف حديث رويت عن الرسول صلى الله علية وسلم سبعة آلاف ونيف هي الصحيحة فحسب ، لهذا يطلب في تدوين الإجازة ذكر اسم الأستاذ والتلاميذ ، والوسيلة التي تلقى بها الرواية سماعاً ، أو قراءة وإلى المادة نفسها[3] .

لهذا عرّف بعض العلماء الإجازة :" بأنها ذلك الكلام الصادر عن المجيز على إنشائه الإذن في رواية الحديث عنه بعد إخباره إجمالاً بمروياته ، ويطلق شائعاً على كتابة هذا الإذن المشتملة على ذكر الكتب والمصنفات التي صدر الإذن في روايتها عن المجيز إجمالاً وتفصيلاً ، وعلى ذكر المشايخ كل واحد من هؤلاء طبقة بعد طبقة إلى أن تنتهي الأسانيد ..."[4] .

وأركان الإجازة أربعة وهي : المجيز ، والمجاز له ، ولفظ الإجازة ، والمجاز به[5] ، ولتحصيلها لابد من توفر شروط أجملها الإمام مالك بن أنس (ت 179هـ/ 795م) [6] فيما يلي :

1/ أن يكون الفرع مطابقا للأصل ، حتى كأنه هو.

2/ أن يكون المجيز عالماً بما يخبر به ، ثقة في دينه ، وروايته .

3/ أن يكون المستجيز من أهل العلم ، ومتسماً بسمته ، حتى لا يضيع العلم عند غير أهله [7].

وتمنح الإجازة للطالب بطريقتين مختلفتين الأولى شفوية ، والثانية تحريرية ، والإجازة الشفوية أقدم استخداماً من التحريرية ، واستخدمت الإجازة في أول الأمر عند المحدثين كما سبق ذكره لأنهم أول من اهتموا بتدوين العلم في

---

[1] ابن المواز ، المرجع السابق ، ص 68

[2] كان لمجلس التعليم رهبة كبيرة بالنسبة للمجازين حديثي العهد ، وهذا بسبب كثرة الأسئلة وصعوبتها ، و التي يختبر بها الطلبة مدى تمكن الأساتذة الجدد – إن صح التعبير- في الرد والإجابة . أحمد شلبي ، **التربية والتعليم في الفكر الإسلامي**، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،ط8 1987 ، ص263 .

[3] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 118 .

[4] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 150 .

[5] نفسه .

[6] الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري ، يكنى بأبي عبد الله ، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة من أهل السنة وإليه تنسب المالكية ، ولد بالمدينة ، وبها توفي .القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج1، ص 102 وما بعدها .خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج5 ، ص ص 257- 258 .

[7] سعد عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 218. خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 121 .

الإسلام ، ثم استخدمت في باقي العلوم الأخرى[1]، وقد يعطي الشيخ للطالب عدة إجازات، وقد يجاز الطالب من عدة شيوخ ، وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة عن كيفية تحصيل الإجازة وهي تعبر في مجملها عن أنواع الإجازات:

1/ **إجازة معين لمعين في معين:** اذ يحدد في هذا النوع الشيخ المجيز ويكون معروفا ما يريد اجازته، وكذلك الشخص المجاز له ، وكذلك لفظ الاجازة [2].

2/**إجازة معين لمعين في غير معين** : ومعناه إجازة شيخ معين معروف لطالب معين معروف في مواضيع لم يحددها الشيخ ، وتركها في العموم ، ومثال ذلك ما ذكره ابن الفرضي عن أبي عمر أحمد بن عبد الله بن عبد البصير الجذامي القرطبي (ت388هـ/998م) إذ قال:" أجاز لي ولأبي مصعب جميع ما رواه"[3] .

3/ **إجازة معين لغير معين:** وتسمى الإجازة العامة[4]، وذلك كأن يقول الشيخ المجيز:" أجزت للمسلمين أو لمن دخل قرطبة أن يروي كذا ، وقد لا يحدد المجاز به ، ومثل ذلك كقوله :" اجزت لمن بقرطبة من الطلبة [5].

4/ **الإجازة للمعدوم** كقول : أجزت لفلان وولده ، وكل ولد يولد له ، أو لعقبه وعقب عقبه ، ولقد اختلف العلماء في جوازها وقبولها للطفل الصغير [6].

5/ **الإجازة بالمناولة**[7] : وهي أن يتناول الشيخ تلميذه صحيفة العلم ،ويقول هذا سماعي، فيعرضه على الشيخ ثم يرد الشيخ إليه، ويقول هذا من مروياتي فلترويه عني[8]، ومثال ذلك ما روي عن محمد بن عبد الرحمن القيسي الشاطبي (ت561هـ/1165م) أنه لقي أبا بكر فناوله و أجاز له[9] .

6/ **الاجازة بالمراسلة** : كقول ابن الزبير (ت 708هـ/1308م): " ...وأجاز له من غير لقاء..."[10].

---

[1] سعد عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 218 .

[2] ابراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 151 .

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 119 .

[4] يوجد نوعان من الإجازة العامة : واحدة عامة في المادة العلمية ، وخاصة للأشخاص الذين تمنح لهم ، وقد استخدمها ابن الأبار في كتابه التكملة ، والنوع الآخر عامة في الأشخاص وفي المادة في آن واحد وهو المقصود في هذا الموضع. خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 122 .

[5] ومثال ذلك ما نقله ابن الأبار :" ...وحدث عن السلفي بإجازته لمن بقرطبة من الطلبة في حياته بسؤال أبي مروان عبد الملك المرجوني" ابن الأبار ، التكملة ، ص 116 .

[6] ابن خلدون ، المقدمة ، ج3 ، ص 938 .سعد عبد الله البشري، المرجع السابق ، ص 218.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق ،ج3 ، ص 938 .

[8] ابن المواز ، المرجع السابق ، ص68.

[9] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 153 .

[10] ابن الزبير (أبوجعفر أحمد بن إبراهيم)، **صلة الصلة** ، تحقيق عبد السلام الهراس ، سعيد اعراب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية القسم الرابع ، 1995 ، ص 17 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص153.

7/ **الإجازة بالتبادل** : كأن يلتقي اثنان ، فيأخذ كل منهما عن الآخر، ويجيز بعضهما البعض كقول:"...أجزت له جميع روايتي ، وأجاز لي جميع روايته ..." [1].

إن طريقة الحصول على الإجازات واشتداد التنافس عليها أفقدها مع مرور الوقت قيمتها والغاية السامية منها إذ عمت الفوضى في طرق تحصيلها ، ومثال ذلك ما ورد سالفاً إذ كيف يجيز الشيخ لمن لم يولد بعد ،كما هو في إجازة المعدوم ؟ وكيف يجيز العالم أو الشيخ لطلاب لم يرهم أبداً أو إجازة عامة المسلمين كما هو الحال في الإجازة العامة ، وأصبحت المجاملات في بعض المناسبات هي الأساس في منح بعض الإجازات ، دون أن يكون حاملها محصلاً للعلم وأهلاً لها إلى درجة أن العالم المحدث أبا ذر الهروي (ت 434هـ/1043م) قال كلمته المشهورة : " لو صحت الإجازة لبطلت الرحلة "[2] .

ولقد ألف العديد من العلماء والمشايخ الكتب يحتجون فيها على مثل هذه الإجازات فقد كتب أبو العباس وليد بن بكر بن مخلد الغمري السرقسطي(ت392هـ/1001م) [3]مؤلفاً سماه "الوجازة في صحة القول بالإجازة " وقد أشار في كتابه هذا إلى بعض الإجازات الفاسدة التي لا يعترف بها [4].كما أن العالم عثمان بن سعيد بن عثمان الداني المقرئ(ت444هـ/1052م) كان متشدداً في منح الإجازات ، إذ طلبت منه إحدى تلميذاته الاجازة فقرأت عليه "وَقَالُوا لَا تَنْفِرُواْ فِي الحَرِّ"[5] ، فقال لها اكسري الحاء فقالت لا تنفروا في الحوار فقال : أنا لا أجيز مثل هذه والله لا برحت أو اكتب لها ، فكتب إجازتها في ذلك الموضع [6] .

- **المبحث الثاني : أماكن التعليم**

من المتفق عليه أن المدارس النظامية (الرسمية) أو الخاصة لم تظهر في الأندلس إلا في وقت متأخر من تاريخ الأندلس وبالضبط أيام حكم بني الأحمر في مملكة غرناطة[7]، ولهذا فقد كان أخذ العلم وتحصيله يتم في أماكن مختلفة ومتنوعة وفي بعض الأحيان متفرقة ، وهذا حسب تواجد الشيخ أو الأستاذ ، إما في الكتّاب أو المسجد أو

[1] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص794 .

[2] نفسه ، ج1 ، 319 .

[3] أبو العباس وليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد الغمري ، عالم ومؤدب .نفسه ، ج3، ص925. المقري التلمساني ، المصدر السابق، ج3 ص11.

[4] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 645 –646 .خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 120 .

[5] سورة التوبة 9 / الآية رقم 82 .

[6] الضبي ، المصدر السابق ، ج2، ص538 .

[7] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص109. وتشير الدراسة التي قام بها سعد عبد الله البشري أن المدارس ظهرت بشكل واضح ابتداءً من القرنين السابع والثامن الهجريين /الثالث عشر والرابع عشر ميلاديين ، ويضرب أمثلة لتلك المدارس كمدرسة صحن البرتقال بمالقة ، ومدرسة العلامة الصوفي محمد بن محمد بن عبد الرحيم (ت 754هـ/1353م). سعد عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 221 .

المنزل ...الخ ، لهذا فوالد الصبي هو الذي يختار معلمه في المراحل التعليمية الأولى كما فعل الفقيه عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/ 853م) مع ولده ، وهو نفس الحال مع الأسر الخاصة سواء الحاكمة أو أسر العلماء كأسرة عبد الله بن جحاف البلنسي الملقب بحيدرة(ت418هـ/ 1027م)[1] ، وأسرة بني مفوز العافرية الشاطبية, ومنهم عبد الله بن مفوز بن أحمد(ت475هـ /1082م)[2].

وقد يختار التلميذ بعد أن يتجاوز المرحلة الأولى معلمه بنفسه بحسب ما يريد أو تميل إليه نفسه ، فيختار ما يراه الأنفع والأكفأ ، ويلجأ إلى التنقل بين عدد من المعلمين ، لهذا فقد تعددت أماكن التعليم ، ويمكن ذكر أهمها فيما يلي :

المطلب الأول : أماكن العامة :

أ) – المنـــازل :

يعد المنزل المؤسسة الأولى للتربية ، أي أن الأسرة هي التي تتكفل ببناء الأرضية الأولى – بتعبير المهندسين – لتربية وتعليم الناشئة ، فدور الأسرة في العملية التربوية والتعليمية له جانب كبير من الأهمية ، بحيث يتدرب الطفل ويتربى على نمط من السلوك حسب الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها[3].

والجدير بالذكر أن الحديث عن دور المنزل في التربية والتعليم يحتم علينا أن نميز في هذا الدور بين نمطين :

النمط الأول : ويشمل مرحلة ما قبل دخول الصبي إلى الكتاتيب ، والمساجد ، بحيث تتكفل أسرة المنزل في هذه المرحلة بتربية وتعليم الصبي مهما كان وضعها الاجتماعي .

النمط الثاني : ويتضمن مرحلة البلوغ وما بعدها ، وهذا بعد تحصيل التلميذ في المسجد ، حيث يبدأ في قصد بيوت المعلمين و العلماء للاستزادة والتخصص و التعمق أكثر .

ولقد عرفت الكثير من البيوت حلقات علمية و دراسية نشطها أصحابها العلماء ، فقد كان الطلاب يقصدون المعلم في داره إما لشهرته ، أو لمرض ألزمه بيته كما هو الحال للعالم أصبغ بن سفيان القرطبي الذي كان يدرس بالسماع في بيته لمرض أصابه ، وكان إبراهيم بن محمد بن باز (274هـ/887م) أحد طلبته[4] ، وكذلك الأمر للعالم النحوي أبو عبدالله محمد بن يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز(ت 369هـ/979م) الذي أقعد في

---

[1] قاضي بلنسية ، يكنى بأبي عبد الرحمن ، عالم جليل ، قال فيه أبو محمد بن حزم : هو أفضل قاض رأيته ديناً وعقلاً وتصوناً مع حظه الوافر من العلم . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 405 .

[2] نفسه ، ج2 ، ص 432 . سحر السيد عبد العزيز سالم ، **شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي ، التاريخ السياسي والحضاري** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1995، ص238 .

[3] عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 57 .

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج1 ،ص ص 80 ، 251 .

آخر عمره ولزم داره نحو سبعة أعوام وسمع منه الناس كثيراً إلى غاية وفاته وكان العالم ابن الفرضي(ت403هـ/1012م) صاحب كتاب تاريخ علماء الأندلس أحد طلبته[1]، ولقد شهدت العديد من بيوت العلماء نشاطاً وحلقات علمية ومنها بيت أبي داوود المقرئ [2]الذي قرأ فيه العلامة طاهر بن خلف بن خيرة [3].

ويخصص المعلم غرفة لتدريس الطلبة ، وهو ما يشبه اليوم بالدروس الخصوصية ، كما كانت سطوح المنازل أماكن مفضلة للتدريس خاصة إذا كان الجو والظروف المناخية ملائمة [4].

ويجتهد بعض العلماء على أن يقدم مختلف وسائل الراحة لطلبته ، وكان من أشهرهم على سبيل المثال ما روي عن عبد الله بن سعيد بن أبي عوف الرباحي[5](ت432هـ/1040م) عن أستاذه العلامة الطليطلي أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري(ت403 هـ/1012م) [6] لما كان يأتي إليه من قلعة رباح(Calatrava) وغيره من الطلبة وكان عددهم ما يزيد على الأربعين طالباً في الدرس ، ويذكر كيف كان يهيئ من أجلهم الأفرشة المصنوعة من الصوف وكانت في وسط حجرة الدرس مدفئة في طولها كقامة الإنسان مملوءة بالفحم ليدفئ كل من كان في المجلس ، وكان إذا فرغ من الدرس يقدم لطلبته موائد عليها ثرائد بلحوم الخرافي بالزيت العذب وفي بعض الأحيان ثرائد اللبن بالسمن أو بالزبد، وبهذا الحال وصفه ابن بشكوال بأنه لم يسبقه أحد من علماء وفقهاء طليطلة بهذا الكرم والجود[7] كما سخّر الكثير من العلماء بيوتاً كأوقاف لطلبة العلم، مثل ما قام به العالم أبو الحسن فرج بن أبي الحكم بن عبد الرحمن اليحصبي(ت448هـ/1056م) الذي حبس داره لطلبة السنة [8].

ومهما يكن من الأمر فإن المنزل رغم صغر حجمه إلا أنه ساهم في العملية التربوية والتعليمية ، بل الأكثر من ذلك يعد بحق المؤسسة التعليمية الأولى في حياة الإنسان بصفة عامة ، والمتعلم بصفة خاصة ، ولا يمكن إهمال تأثيره الكبير ودوره في الاندماج الاجتماعي والثقافي في حياة الناشئة .

---

[1] نفسه ، ج2 ، ص ص 752 – 753 .

[2] من المدرسين بالسماع في مدينة دانية بالأندلس . المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج2 ، ص ص 290, 300 .

[3] سعد عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 225 .

[4] محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص ص 264 – 265 .

[5] أصله من قلعة رباح استوطن طليطلة ،كان فقيها فاضلاً ، ديناً ورعاً. ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 412.

[6] يكنى بأبي عمر ،كان فقيهاً ، سخياً وكريماً مع طلبته ، قيل أنه قتل مسموماً وهو معتقل بشنترين غربي الأندلس . نفسه ، ج1 ، ص ص 72 – 73 .

[7] نفسه .

[8] نفسه ، ج2 ، ص ص 672. شكيب أرسلان ، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ، المكتبة التجارية الكبرى ،ط1 ، فاس 1936، ج2 ، ص21 . سعد بن عبد البشري ، المرجع السابق ، ص224 .

ب)– الكتاتيب : وهو جمع لفظ كتّاب ، وقد جاء في شرح مصطلح المكتب بأنه موضع الكتاب ، ولفظ المكتب أو الكتاب بمعنى موضع تعليم الكِتاب أي تعليم كتاب الله عز وجل ، أما المُكْتِب فهو المعلم و الكتّابُ هم الصبيّان[1]، والجمع هو الكتاتيب أو المكاتِبٌ ، ويقال لصبيان المُكْتَب الفرقان[2]، والكتاتيب هي الأماكن التي يتعلم فيها صبية المسلمين مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وهي إما أن تكون حجرة مجاورة للمسجد أو دكاناً ، أو غرفة في منزل مفروشة بالحصر ...الخ[3].

وظهرت الكتاتيب بالأندلس في وقت مبكر فالزبيدي(ت379/989م) مثلاً يذكر أن الغازي بن قيس(ت199هـ/814م)كان يمارس مهنة التأديب بقرطبة منذ دخول عبد الرحمن بن معاوية(138- 172/ 756-788م) إلى الأندلس[4] ، وعرفت دُور الكتاتيب في الأندلس عناية مميزة في هندستها عن باقي الأمصار الأخرى [5].

وتتجلى أهمية الكتاتيب في أنها تمثل مرحلة تهيئة الصبي قبل دخوله المسجد ، لهذا فالكتاب يجسد مهمة تأديب الطفل وتعليمه بعض المعارف التي لا يمكن أن يتعلمها في المسجد كاللغة العربية ، والأدب والخط فضلاً عن الاهتمام في حفظ المسجد مما قد يحدثه الصبية من نجاسة ، ونميز بين نوعين : المكتب والكتاب ، فالمكتب يدخله التلميذ في سن ما بين الخامسة والسابعة من عمره ، أما الكتاب ، فيدخله في سن العاشرة وهذا حسب ظروف الأهل ، وتقدير ولي الصبي [6].

ولقد أمر الخليفة الحكم المستنصر(350-366هـ/961- 977م) بتشييد سبعة وعشرين مكتباً ، منها ثلاثة تابعة للمسجد الجامع بقرطبة ، والباقي وزعت على أرياض المدينة ، وعين لها المعلمين والمؤدبين[7] ، وأورد الأمير عبد الله بن بلقين (ت بعد487هـ/1094م) نصاً فريداً في مقدمة مذكراته يبين فيه الدور الذي يقوم به المكتب في المرحلة الأولى من التعليم إذ يقول عن جده باديس المظفر الصنهاجي(ت465هـ/1073م) : "كنت ممن وفقه الله لبره والانصياع لوصيته ، فأمر بإخراجي من المَكْتَب إلى التصرف بين يديه ، وقال لي – نظر الله

[1] ابن منظور الافريقي ، المصدر السابق ، م1 ، ص699.
[2] نفسه .
[3] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 39 .
[4] الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص254.
[5] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 77 .
[6] نفسه .
[7] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص240 .

وجهه : معك من الكتابة وتلاوة القرآن ما يكفيك ، وهذا أولى ما تتعلم ..."[1] ، ومما يلاحظ أن بعض البيوت الخاصة يكون تعليم أبنائهم من حيث المواد المدروسة بحسب ذوق الأستاذ واجتهاده [2].

وأطلق الأندلسيون مصطلح آخر للكتاب ألا وهو المحضرة أو الحضّار أو المسيد ، ولفظ الحضّار كناية على ضرورة حضور التلميذ إلى الكتاب، ولأنه كذلك يقوم بدور تحضيرهم وتهيئتهم للمستويات التعليمية الأخرى ومازال لفظا المحظرة و المسيد شائعي الاستخدام إلى يومنا هذا في بعض المدن و الأقطار العربية الإسلامية فاللفظ الأول معروف في المغرب الأقصى ، واللفظ الثاني في قسنطينة والجزائر العاصمة [3].

ولقد ترددت في مناسبات عدة ومواضع كثيرة من كتب التراجم الأندلسية عبارات المعلم والمؤدب كقول أحدهم : " كان فلان معلم كتاب " ، أو " معلم صبيان " ، أو " صبيان المكاتب" ، ويقول ابن الفرضي (ت403هـ/1013م) عندما يترجم لأبي سليمان حبيب بن أحمد بن إبراهيم المعلم القرطبي(ت377هـ /987م) بأنه : "معلم كتاب" [4]، وفي مصدر آخر:" وإبراهيم بن أحمد بن محمد بن خلف الأنصاري الطرطوشي البلنسي : "كان معلم كتاب " [5].

وفيما يخص كيفية توزيع الصبية والمعلم في الكتاب وأثاثه فعادة ما تتوسط الحصيرة الأرض بحيث تكون موضع جلوس الأستاذ وحلقة تلاميذه [6] .

ج) – **المساجد** : يعد المسجد المدرسة الأولى لتقويم سلوك الفرد المسلم بعد المنزل والكتاتيب ، وكذلك تلقي العلوم والمعارف على أيدي الشيوخ والعلماء[7]، ولقد اعتمد الأندلسيون في حياتهم العلمية عليه ، ماعدا بطبيعة

---

[1] الأمير عبد الله بن بلكين ، **كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة** ، تحرير علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 القاهرة ، 2006 ، ص ص 24 – 25. سعد عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 224 .

[2] خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 110 .

[3] ولفظ المسيد بمعنى كتّاب ريفي ، وظهر في أول الأمر بالأندلس ، ويستخدم لتعليم الصبية مبادئ القراءة والعربية والشعر ،كما يستخدم أحياناً كمصلى في حالة عدم وجود مسجد . محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص ص 77-78 .

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 227 – 228 .

[5] ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ص 206 .

[6] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 110 .

[7] بما أن المسجد هو المدرسة الأولى لدى العامة الذي يتعلم فيه أبناءهم ، فإن أقدم المعلمين في الإسلام كانوا هم القراء الذين يدرسون في حلقاتهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وكان الخليفة الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبعث هؤلاء المعلمين إلى مختلف جهات =الدولة الإسلامية ليدرسوا الناس في يوم الجمعة من كل أسبوع في المساجد. محمد فوزي العنتيل ،المرجع السابق، ص16. محسن جابر الموسوي بثينة خالدي ، **الوافي في تراث العرب الثقافي في الأندلس والمشرق العربي منذ سقوط الخلافة العباسية** ، مطابقة وتدقيق ماهر مهدي هلال ، المركز الثقافي العربي ،ط1 ، الدار البيضاء ، 2010 ، ص629 .

الحال الأقلية المسيحية واليهودية اللتين كانتا منتظمتين في مؤسساتهم الخاصة بهما[1]، وكان الأندلسيون المسلمون يقرؤون جميع العلوم فيه ، فيتعلمون من أجل العلم لا من أجل الوظيفة[2] ولم تقتصر مهمة المسجد على العبادة وإقامة الصلاة فقط ، بل تعدى ذلك بكثير، ففيه يجتمع المسلمون للتشاور في الأمور السياسية ,والقضايا المهمة وتقام فيه مهمات أخرى كالقضاء ، والتعليم ، وتكمن أهميته كونه يوفر مكاناً متسعاً ومهيأ للطلبة عندما يتزايد عددهم [3] ، ويمكن التمييز بين نوعين من المساجد هما :

أ) **المساجد الكبيرة الجامعة** : وهي التي تنشئها الدولة وترعاها السلطة الحاكمة بحيث ترتب لها الأئمة وتتولى الإنفاق عليها ، ويقوم الأمير أو الخليفة أو الملك بأمرها أو يفوض ذلك للقاضي الذي يتولى تنصيب الإمام[4] ولقد قام الأمراء والخلفاء والملوك ببنائها في كل حاضرة ، وتنافسوا في هندستها واستقطابها للعلماء لها وكذا الطلاب على حد سواء [5] .

ب) **المساجد الصغيرة** : وهي ليست تابعة للحكومة ، ولا تتدخل في إدارتها ، ويتولاها أهالي الأحياء التي تقع بها ، وهم الذين ينفقون عليها ، ويرتبون الأئمة للصلاة فيها [6] .

وتجدر الإشارة إلى أن كلا النوعين سواء المساجد الكبيرة أو الصغيرة اشتغلتا بالتعليم ، وفي المسجد الجامع كانت تعقد الحلقات العلمية المتنوعة وفي كل المستويات ، وكانت في بعضها تجمع أكثر من معلم يقوم بالتدريس فيها ، وهذا التعليم يأخذ أشكالاً عديدة ومتنوعة ، إما لتحفيظ الصبية القرآن الكريم أو لتدريس علوم أعلى مستوى أي في مرحلة التخصص[7] ، ووصفت تلك الحلقات بأنها بمثابة المعهد المفتوح لكل راغب في الاستزادة من العلم على حد وصف الأستاذ محمد الأمين بلغيث ، ويحضرها الطالب وقت ما شاء للتعلم ، ويستمع إلى المناظرات التي تجرى ما بين العلماء ، وجاء في تقاليد أهل الأندلس أن كبار شيوخ الفقه هم مدار الطلبة بجامع قرطبة مثلاً في المدارسة ، والتفقه ،والمناظرة [8] .

[1] خميسي بولعراس ، المرجع السابق ، ص131 .
[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 181 .
[3] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 109 .
[4] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 49 .
[5] محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص 268 .
[6] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 49 .
[7] خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 109 .
[8] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص ص 82-83 .

ويعد الجامع الكبير بقرطبة [1] من أشهر جوامع الأندلس، ثم جامع اشبيلية ، فطليطلة ، ثم غرناطة ، وقبل حلول منتصف القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي تحولت هذه الجوامع الكبرى إلى ما يشبه في العصر الحالي الجامعات وبهذا تعد جامعة قرطبة أولى هذه الجامعات ، بل الأكثر من ذلك صنفت كأكبر جامعة في العالم ، واشتهرت أكثر في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-961م) [2]، ووفد إليها بعض علماء المشرق للتدريس فيها كأبي علي القالي(ت356هـ/967م) كما درس فيه من أهل الأندلس على سبيل المثال ابن القوطية (ت367هـ/977م) [3]، وابن حزم الظاهري(ت456هـ/1064م) وغيرهم ، ولم يقتصر هذا على الأساتذة بل كذلك على الطلبة إذ تهافت على الأندلس من جميع أنحاء العالم الإسلامي و المسيحي [4]، ودرس فيها الراهب جيربرت Gerbert والذي أصبح فيما بعد بابا روما ابتداء من عام287هـ /999 م إلى 394هـ /1003م [5].

وتَصف النصوص لبعض الحلقات العلمية في المسجد الجامع بقرطبة منها ما ذكره المقري التلمساني عن حبيب بن الوليد بن حبيب القرطبي(ت بعد200 هـ/815م) [6] أنه كانت له حلقة بجامع قرطبة يسمع عنه الناس

---

[1] وتذكر الدراسة التي قام بها السيد عبد العزيز سالم أن بعض التابعين ومنهم حنش بن عبد الصنعاني ، وأبا عبد الرحمن الحبلي كان لهم الفضل في تأسيس هذا الجامع بعد فتح الأندلس وكان هذا البناء في جزء من الكنيسة المعروفة بسنت بنجيت St.vincent ، وبمجيء عبد الرحمن بن معاوية الداخل ضم الجزء الآخر المتبقي من الكنيسة إلى المسجد الجامع ، وقام بتوسعته وبنا أسواره سنة 170هـ/784م ، وساهم الأمراء من بعده بالإضافة والتجديد عبر ست مراحل والتي كان آخرها في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر. السيد عبد العزيز سالم ، **المساجد والقصور في الأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1986 ،ص09 وما بعدها .

[2] يشير عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي بأن جامعة قرطبة هي أسبق وجوداً من الجامع الأزهر الذي بدأ كمؤسسة تعليمية سنة 365هـ/975م وكذلك أسبق من المدرسة النظامية الرسمية التي تأسست سنة 459هـ/1066م. عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي، المرجع السابق ، ص 60 .

[3] العالم الفقيه والمؤرخ والزاهد والشاعر والحافظ لأخبار الأندلس أبو بكر محمد محمد بن عمر بن عبد العزيز ، قرطبي المولد والوفاة ، أصله من اشبيلية ، لا يوجد تاريخ محدد لمولده ، لكن يرجح أنه في الربع الأخير من القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي ، عالم بالنحو واللغة لا يشق له غبار ، كما يعد مؤرخاً حافظاً لأخبار الأندلس ، وهو صاحب الموسوعة التاريخية "تاريخ افتتاح الأندلس" .ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص7 وما بعدها (ترجمة المحقق). ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 748 .

[4] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 81 . .

[5] قال عنه جوزيف رينو : " قصد الأندلس طلباً للعلوم الطبيعية والرياضية فحصل من تلك العلوم , واعتبرته عامة فرنسا أنه ساحر". جوزيف رينو **الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلاد** ، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي ، دار الحداثة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، لبنان ، الجزائر، ط1 ، 1984 ، ص252.

[6] قرطبي ،كان فقيهاً ، أديبًا ، شاعراً ، رحل الى المشرق في عهد عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط)، وكانت له حلقة بجامع قرطبة للتدريس . المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج3 ، ص ص116- 117.

فيها[1] كما أن ابنه بِشر كانت له حلقة بنفس الجامع إلى أن نهاه الأمير عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-852م) عن ذلك [2].

ولقد تعلم أجيال من الطلبة في هذا الجامع ، وتصدر للإقراء فيه العالم يحي بن عبد الله بن يحي بن يحي الليثي (ت367هـ/ 977م)، وكذلك أحمد بن علي بن أحمد الربعي الياغاني(ت401 هـ/1010م)[3] ،وأحمد بن أيوب بن أبي الربيع الواعظ الألبيري(ت 432هـ/1040م) الذي كان له مجلس بالمسجد الجامع بقرطبة يعظ الناس، وكان الطلبة يبكرون إليه ويزدحمون عنده [4]، وكذلك المقرئ عبد الرحمن بن الحسن بن سعيد الخزرجي (ت 446هـ /1054م) [5].

وممن اشتهرت حلقاتهم العلمية بجامع قرطبة مجلس الإملاء للعلامة الأديب أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله السعدي التميمي(ت457هـ/1061م)[6] الذي كان يزدحم المئات من الطلبة وحتى العلماء لأخذ العلم عنه وروي أنه لما رأى كثرتهم وهم يحملون أقلامهم ومحابرهم ويتشوقون إلى دروسه بعد عودته من الحج أنشد يقول :

إِنِّي إِذَا اِحْـتَوشَتَنِي أَلف مِحْبَـرَة   يَكْتُبْـنَ حَدَّثَنِــي طُورًا وَأَخْبَرَنِي

نَادَتْ بَعَقْوتي الأَقْـلَام مُـعْلَنَةً   هَذِهِ المَفَاخِر لا قُعْبَان مِن لَبَنٍ [7] (البحر البسيط)

ولم يكن في قرطبة المسجد الجامع وحده الذي يحصل فيه العلم ، بل فتحت مساجد أخرى أبوابها لهذا الهدف فكانت فيها حلقات السماع والمواعظ سواء للعامة أو الطلاب، ومن هذه المساجد على سبيل المثال لا الحصر : مسجد ابن طوريل بالربض الغربي بقرطبة [8]، وكذلك مسجد طروب ، ومسجد الشفاء ، ومسجد فجر، ومسجد الظافر ...الخ [9].

---

[1] نفسه ، ج3 ، ص 117 .

[2] ابن سعيد المغربي ، **المغرب في حلي المغرب** ، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، دار المعارف ، ط3 ، القاهرة ، 1978، ج1 ، ص ص 62 - 63. المقري ، نفسه .

[3] مالكي المذهب ، استأدبه المنصور بن أبي عامر لابنه عبد الرحمن ثم أقصاه فيما بعد ، وعينه هشام المؤيد بالله في خطة الشورى بقرطبة في دولته الثانية (400- 403هـ/1009-1012م)، كان عالماً ،حافظاً ، ذكياً حتى وصف بأنه بحر من بحور العلم لا نظير له في علم القرآن قراءةً وإعراباً وأحكاماً . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 142 .

[4] نفسه ، ج1 ، ص ص 89 - 90 .

[5] نفسه ، ج2 ، ص ص 493 – 494 .

[6]قرطبي ، إمام ، محدث ، ومؤرخ من بيت علم ونباهة ، أصله من طبنة الإفريقية .نفسه, ج2 ، ص 528 وما بعدها .

[7] العقوة هي الموضع المتسع أمام الدار(ساحة الدار). ابن بشكوال ، المصدر نفسه ، ص 529 . الحميدي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص450 .

[8] نفسه ، ج1 ، ص 39 .

[9] الأوسي المراكشي ، المصدر السابق ، السفر الرابع ، ص 12 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 273 -274 .أحمد مختار العبادي ، **في التاريخ العباسي والأندلسي** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص ص 358 – 359 .

ولقد انتشرت المساجد انتشاراً كبيراً في الأندلس خاصة في عصر ملوك الطوائف ، حيث ازدهرت المساجد الجامعة ، فزيادة على المسجد الجامع بقرطبة السابق الذكر كان كذلك المسجد الجامع بإشبيلية ، والمسجد الجامع بطليطلة ،وغيرهم[1]، وأصبح لكل حاضرة من الحواضر الكبرى مسجدها الجامع ، وقام بعض الأغنياء والعلماء ببناء مساجد خاصة بهم [2] ، ويعود سبب كثرة بناء المساجد وتشييدها إلى عدة عوامل أهمها :

* احتدام المنافسة بين الأمراء والملوك في بنائها والتفنن في هندستها ، واستقطاب العلماء والطلاب إليها.

* انتقال الكثير من علماء قرطبة إلى الحواضر الأخرى بعد سقوط الخلافة الأموية وانتشار الفوضى بها .

* ازدهار الحركة العلمية التي عرفتها الأندلس خاصة في أيام الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله (300-350هـ/912- 961م) وخلفه الحكم المستنصر بالله (350- 366هـ/961- 976 م) .

ولقد قامت المساجد الجامعة بدور جليل في الحركة العلمية والفكرية في الأندلس ، حيث كان المسجد الجامع بطليطلة بمثابة الجسر الذي به انتقلت النهضة الأندلسية إلى أوروبا عن طريق طلابه من مسيحيي الشمال الإسباني وأوروبا بصفة عامة [3] .

أما في اشبيلية اشتهر العالم الفقيه أبو محمد الباجي وهو من أشهر محاضري اشبيلية في القرن الخامس للهجري / الحادي عشر للميلاد، كما شجع المظفر عبد الملك بن أبي عامر(ت458هـ/1066م)[4] التعليم في مساجد الزاهرة ، إذ عين المقرئ ابن أبي طاهر (ت437هـ/1046م) بجامع الزاهرة وهو الذي تنقل فيما بعد إلى المسجد الجامع بقرطبة [5].

ولم يقتصر دور هذه المساجد في الجانب العلمي فقط بل تعداه إلى الجانب السياسي إذ كان بصفة غير مباشرة بمثابة المؤسسة التي ينطوي على عاتقها تعليم وتكوين – بلغة عصرنا- العمال والموظفين الذي سيشتغلون في تسيير شؤون الدولة فيما بعد .

---

[1] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 60 ، 66 .

[2] محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص 268 .

[3] بعد سقوط طليطلة في يد نصارى الشمال سنة 478هـ / 1085 حوّل أحد الأساقفة وهو المعروف بريموند المسجد الجامع إلى مدرسة للمترجمين ، تجمع علماء الديانات السماوية الثلاث ، وهذا لهدف ترجمة كتب الرياضيات والطب والفلك من العربية إلى اللاتينية. الطاهر أحمد مكي، **الدراسات العربية في إسبانيا** ، مجلة الثقافة العربية ، طرابلس، نوفمبر 1974 ، ص 38 نقلاً عن عبد البديع الخولي، المرجع السابق ، ص 61 .

[4] عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الرحمن من أسرة بني عامر وأحد ملوك الدولة العامرية في الأندلس ، لقب بنظام الدولة ، ملك بلنسية في عصر ملوك الطوائف ، دامت فترة حكمه أربعين سنة ، قبض عليه صهره يحي بن ذي النون صاحب طليطلة ونفاه إلى شنت برية وأقام بها إلى أن توفي. ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ،ج3 ، ص ص 165 – 166 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص ص 132 – 133 .

[5] خميسي بولعراس ، المرجع السابق ، ص ص 132 – 133 .

كما لم يكن مستوى التعليم بين المساجد الجامعة متوافقاً تماماً في الدرجة العلمية سواء من جانب المعلمين أو الطلاب ، فقد كانت مشيخة [1] قرطبة أعلى مستوى من نظيراتها في طليطلة وغيرها ، كما أن المستوى يختلف بين مساجد المدن الكبرى والمدن الصغرى ، فالتباين كان واضحاً ، وكان التعليم في المسجد الجامع يشمل المرحلتين الوسطى والعليا ثم يتحصل المتعلم بعد نهاية تعليمه على الإجازة التي يستطيع بها التدريس أو الاشتغال بإحدى وظائف الدولة [2].

بناءً على ما تقدم فإن المسجد ظل يحافظ على مكانته السامية نظراً لقيمته الروحية كمكان للصلاة والعبادة فضلاً على دوره الفعّال في تنشيط الحركة العلمية ونقل المعارف من العلماء والشيوخ إلى المتعلمين والطلبة.

وإذا كان التعليم في المرحلة الثانية والثالثة – الوسطى والعليا – في العلوم الدينية يتكفل به المسجد ،إلا أن ذلك لم يمنع الطلبة لقصد المعلمين والشيوخ في أي مكان كانوا ، ومثال ذلك أن طلبة الطب تلقوا دراساتهم وتجاربهم في أماكن غير المساجد ، ونفس الشيء بالنسبة لدراسة الفلسفة ، إذ أن قراءة كتبها ومناقشة مسائلها كانت حلقاتها الدراسية تتم في أماكن خارج المسجد ، وكذلك العلوم التطبيقية كالفلك والرياضيات ، والكيمياء وغيرها ، وهذا حسب طبيعة مواد الدراسة لهذه التخصصات التي تحتاج إلى بعض التجارب العلمية ، وبعض الأنشطة التي لا يتلاءم إنجازها في المسجد نظراً لمكانته وقدسيته[3] ، ولقد ذكر القاضي ابن سهل الأندلسي(ت486هـ/1073م) عن الفقيه محمد بن أحمد العتبي(ت255هـ/869م) عن شيخ المالكية في المغرب الإسلامي الفقيه سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي(ت240هـ/854م) أنه كتب إلى أحد القضاة يشير عليه ألا يعلم الصبية في المساجد وهذا خوفاً من قلة تحفظ الصبيان من النجاسة[4] .

---

[1] المشيخة : جمع شيخ ، ولغة بمعنى من استبان فيه السن ، ويطلق الشيخ مجازاً على المعلم أو الأستاذ كتعظيمه وتقديرا له ، أما المشيخة اصطلاحاً فلها معاني ومقاصد كثيرة منها بأنها وثيقة يدوّن عليها الطالب المرتحل نشاط العلماء الذين درس عندهم ، توضح التوجهات العلمية أو ما يسمى المقررات الدراسية ، وكذا المؤلفات المرتبطة بها ، وتعد هذه الوثيقة من الوثائق التي تصور نشاط العلماء وطرقهم في التدريس والتعليم ، وكذا كتبهم التي يتداولونها ، وفنون المعرفة التي يطرقونها وآدابهم عند التلقي وتفاوت مراتبهم في درجات العلم وحرصهم على الإسناد ، ولكن في هذا الموضع فيقصد بها طبقة علماء الشريعة بالمساجد الجامعة . الترغي(عبد الله المرابط)، **فهارس علماء المغرب من النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها–تطورها–قيمتها العلمية** ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد الملك السعدي ، ط1، تطوان (سلسلة الأطروحات رقم02) ، 1999، ص ص39 – 40 .قاسم الحسيني ، المرجع السابق، ص133.عبد البديع الخولي، المرجع السابق ، ص61.

[2] نفسه ، ص ص 61 – 62 .

[3] سعد عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 224 .

[4] ابن سهل الأندلسي(أبو الأصبغ عيسى)، **ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام** ، تحقيق يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة ، 2007 ، ص623.

لقد أدى المسجد دوره الريادي كمركز تعبدي ومنارة علمية وتعليمية ، ومصدر إشعاع ثقافي وحضاري ، إذ ساهم ولفترات طويلة ليست بالهينة في إثراء وتنمية الوعي الديني والثقافي ، ومؤسسة لتقويم سلوك الفرد والجماعة في آن واحد .

المطلب الثاني : أماكن الخاصة

أ) **– القصور**[1] : إذا كان المنزل هو المؤسسة الأولى للتربية وتعليم الصبي بالنسبة للعامة ، فإن القصور كذلك ولكن للخاصة فقط أي أبناء الأمراء و الحكام والخلفاء وذوي الثراء ، ومن الأمثلة التي عرفت هذا النوع ما روي أن عثمان المصحفي[2] أدب الحكم المستنصر في صباه ، وكذلك أبو الأصبغ عيسى بن عبد الملك بن قزمان [3] أدب هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر[4](ت403هـ/1013م)، وممن اشتهروا بتأديب أبناء الخلفاء أيوب بن منصور بن عبد الملك الأنصاري[5]، وبكر بن عبد الله الكلاعي[6]، وأبو عبد الملك عثمان بن المثنى القيسي القرطبي (ت273هـ/886م) [7]وغيرهم ، وممن اشتهر من تعلم في القصور الإمام الظاهري الفقيه ابن حزم(ت456هـ/ 1063م) الذي حضي برعاية أبيه واهتمامه به ، إذ كان حريصاً على تنشئته ، وغرس فيه مكارم الأخلاق وفضائلها ، وكانت جواري أبيه يعلمنه في صباه القراءة والكتابة والقرآن والشعر والخط[8].

---

[1] شيد الأمراء والخلفاء قصورهم بجوار المساجد الجامعة ، وأطلقوا عليها اسم :" دور الإمارة " ، أما قصور الراحة واللهو فكانت بعيدة عن المدن. السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 51 .

[2] صاحب الشرطة في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، ثم تقلد خطة الوزارة في عهد الحكم المستنصر. ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق،ج2 ص 256.

[3] محدث ، شاعر ، وأديب . الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص ص 526 – 527 .

[4] بويع بالخلافة سنة 366هـ/976م وهو ابن تسع أو إحدى عشرة سنة ، ولد سنة 355هـ/966م، يكنى بأبي الوليد ، استأثر بتدبير دولته الوزير الحاجب محمد بن عبد الله الملقب بالمنصور ثم ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر، ثم ابنه الثاني عبد الرحمن الملقب بالناصر ، ولقد خُلع هشام سنة 399هـ/1008م، ثم أعيد مبايعته سنة 400هـ/1009م ، وكانت الفوضى والثورات تعم البلاد ، قتل بقرطبة ، واشتهر بأنه كان ضعيفاً مهملاً. ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص53. لسان الدين بن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ص43 وما بعدها . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص208 وما بعدها. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج8 ، ص 85 .

[5] قرطبي ، يكنى بأبي سليمان ، نحوي ،كان عالماً في الإعراب . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 87 .

[6] قرطبي ،كان إماماً في النحو والشعر . نفسه ، ق1 ، ص 94 .

[7] لغوي ، شاعر ، شجاعاً ،كثير الغزو مع الأندلسيين في الثغور ، أدب أبناء عبد الرحمن الأوسط ، وهو أحد الأئمة النحويين . ابن سعيد المغربي المصدر السابق ، ج1 ، ص ص112 - 113 .

[8] ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد)، **طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة والألاف** ، دراسة ،وتحقيق عبد الحق التركماني، مراجعة عبد العزيز بن علي الحربي ، دار ابن حزم ، ط2، بيروت، 2013 ، ص ص 195 ، 209 ، 255. ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ،ج1 ،ص167 وما بعدها. حسان محمد حسان، ابن حزم الأندلسي ، ص40 وما بعدها . عبد الحليم عويس ، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ، ص59 وما بعدها. وديع واصف مصطفى، ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق ، ص 28 وما بعدها .

وفي عصر ملوك الطوائف اشتهر في بلاط دانية أبو العباس الجريري الذي أدب جعفر بن أحمد بن أبي عامر ابن غرسية ، وفي المرية (Almeria)كان بشار الأعمى النحوي [1] يؤدب الوزير أبا جعفر بن عباس[2]، وكذلك أحمد بن كوثر النحوي (توفي بعد 440هـ/1048م) الذي أدب وزراء وحكام بنو هود بسرقسطة[3] ، وفي بلاط بني الأفطس اشتهر محمد بن يونس الحجاري (ت462هـ/1069م) الذي استأدبه المظفر بن الأفطس(ت 460هـ / 1067م)[4] لنفسه ولأبنائه[5] .

وإذا كان بعض المربين يتفرغون للتعليم في القصور ، فالبعض الآخر كان يقوم بالإضافة إلى ذلك بالتدريس في حلقات الجوامع، ويُختار من المؤدبين ممن يُتصف بالعفة والنزاهة والاتزان وحب الحق لما كان لكل ذلك من تأثير في تربية الأبناء[6]، ومما يلاحظ أن معلمي القصور كانوا أكثر حظاً ممن سواهم من حيث الأجرة والأرزاق التي يكتسبونها أو من حيث الشهرة ، ومن هؤلاء مثلاً أبو بكر بن أبي الدوس الذي اشتهر بالإقراء وخص بذلك الأمراء فقط[7]، وكذلك أبو العباس وليد بن عيسى بن حارث بن سالم بن موسى (ت 352هـ/963م) الذي كان يتنافس عليه الملوك لتأديب أبنائهم [8].

مما سبق ذكره فإن التعليم في القصور ساهم به الحكام والأغنياء أكثر من غيرهم في إثراء الحركة التربوية والتعليمية ، وهذا بتشجيع خيرة المؤدبين والمعلمين وتوظيفهم ، وبسط الأرزاق لهم نظير تأديب وتنشئة أبناءهم مماساهم في بروز أسماء كانت لها الأثر والتأثير الواضح في الحركة الفكرية في الأندلس أمثال العلامة الظاهري ابن حزم ، وغيره ممن ترعرعوا في هذا الجو التربوي العلمي المتميز .

---

[1] أديب ، كفيف ،كان أستاذاً في العربية وهو من رجال بلاط مجاهد العامري(412-436هـ/1021-1044م) صاحب الجزيرة الخضراء ودانية. ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ص 271 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص351 .

[2] ابن الأبار ، نفسه .

[3] نفسه ، ص 53 .

[4] محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الأفطس ، صاحب بطليوس بالثغر الشمالي من الأندلس ، ولي بعد أبيه ، من ملوك الطوائف كما يعد من العلماء إذ هو مؤرخ ، وأديب ، وشاعر ، ومن المحاربين الشجعان ، اشتهر بحروبه مع بني عباد أصحاب اشبيلية ، وبنو ذو النون ، له تأليف جليل يسمى " المظفري" يقع في نحو خمسين مجلداً يجمع ما بين الأدب والأخبار . ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص ص 183 – 184 .خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6 ، ص 228 .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 801 .

[6] عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص ص 57 - 58.

[7] ابن خاقان(الفتح بن محمد)، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس** ، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة دار عمار، مؤسسة الرسالة، ط1 ، 1983 ،ص 300. إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 171 .

[8] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 873 .

ب) – مجالس الأمراء والخلفاء والملوك والأعيان :

ويُقصد بها المجالس التي كانت تنعقد في قصور وبلاطات الحكام بصفة عامة ، يضاف إليها قصور الأغنياء ومجالس بيوت العلماء ، وعرف هذا النوع انتشاراً أكثر وأوسع في عهد ملوك الطوائف لتنافسهم في استقطاب العلماء, ولقد ساهمت هذه المجالس في ازدهار الحركة التعليمية والحياة الفكرية والثقافية ، وكان من يقوم بتنشيط هذه المجالس يعرف مسبقاً ما سيدور حوله من نقاش ، وفي بعض الأحيان لا يعرف ، كما أن مستويات هذه المجالس مختلفة ومتنوعة ، حيث تنقسم إلى نوعين من حيث الذي يتولى رعايتها ، فهناك مجالس يرعاها الحكام والنوع الآخر يرعاه الشعراء والأدباء والعلماء [1] .

فأما مجالس الأمراء والحكام فكان أصحابها يقربون الشعراء والأدباء إلى قصورهم فيلقون الترحيب[2] وكانت هذه المجالس تمثل كذلك كمنابر لإظهار الإنتاج الشعري أو مناقشة قضية من القضايا ، وفي عصر الإمارة الأموية كان مثلاً مجلس الأمير عبد الرحمن الثاني بن الحكم(206-238هـ/822-854م)[3] يضم نخبة من العلماء و الشعراء إذ كانت لهذا الأمير الهمة في التميز الثقافي والعلمي ، فقد واصل حركة البناء الحضاري التي بدأها آباؤه وأجداده والتي وصفت بتعبير أحد المؤرخين بالمسيرة العلمية السلمية المزدهرة [4].

[3]عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص63 .

[2] H.Terrasse ,**Les Fortesse de L'Espagne musulmane**, Mdrid,1954,p.81

[3] رابع أمراء بني أمية في الأندلس ، ولد سنة 176هـ/792م بطليطلة ، عرف بحسن سيرته والكرم ، لقبت الأندلس في عهده بأيام العروس لكثرة الخيرات ، نجح في صد الغارات الخارجية كغزو النورمان لأول مرة على الأندلس سنة 229هـ/844م ، له إنجازات حضارية معتبرة منها مثلاً بناء المسجد الجامع لإشبيلية ، ومسجد جيان ، وتدعيم البحرية الأندلسية...الخ. مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ،ج1، 1989، ص122. ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله)، **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية ، تونس، 1898، ص41 .حسن إبراهيم حسن **تاريخ الإسلام** ، دار الجيل، ط14، بيروت، 1996،ج4 ،ص193. أبو عمران سامية ، **أوربا في المسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري** تحقيق وترجمة إلى الفرنسية مع دراسة وتحليل ، " أطروحة دكتوراه" ، جامعة السربون ، باريس، 1993 ، ص310 .عبد العزيز فيلالي، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص94.

[4] ريسلر جاك ، **الحضارة العربية** ، تعريب أحمد خليل أحمد، منشورات عويدات،ط1 ، بيروت، باريس، 1993، ص152. سليمان أحمد السعيد ، **تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة** ، دار المعرفة ،مصر، ج1، ص25.

lèvi-Provençal (E), **Abdelrahmen** , E . I , 2 e èd , E. J.brill, Paris,1975,tI,p.85.

واهتم بجلب العلماء إلى إمارته ولا سـيما علماء العاصمة العباسية بغداد وترغيبهم في الهجرة إلى الأندلس للمساهمة في ازدهار الحركة العلمية والثقافية وهذا بإغرائهم بالمال[1]، ولقد قرب العلماء والشيوخ وكان منهم مثلاً الفقـيه المالكي يحيى بن يحيى الليثي (ت 234هـ/848م)[2] الذي وصـلت مكانتـه لـدى الأمير عبد الرحمن الثاني إلى درجة أنه لا يولي رجلاً إلا برأيه ، واشتهر في بلاطه الشاعر يحيى بن الحكم الغزال(ت250هـ /864م)[3]، وكذلك الموسيقي زرياب(ت238هـ/854م)[4] الذي أحدث ثورة اجتماعية ارستقراطية منذ وصوله إلى الأندلس، حيث أسس مدرسة للغناء والموسيقى ، ونقل إليها طرق اللباس ، وتصفيف الشعر ، وطرق الزينة والطبخ ، وأدبيات المجالسة ، والمحادثة حتى لقب ببترون(Petrone) العربي[5].

---

[1] السيد محمود ، **تاريخ العرب في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2002 ، ص34. عبدالرؤوف عصام الدين الفقي **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 89.

Arié(Rachel), **Espana musulmana (Siglos VIII – XV)**, éd. Laboe,s.d , p.21.

[2] يُعرف بأبي محمد ، فقيه ومحدث وقاضي القضاة و عالم الأندلس في عصره أصله من بربر مصمودة بالمغرب ، وله باع في علم الحساب والنجوم والنحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والأخبار والجدل ، سماه الإمام مالك بن أنس بعاقل الأندلس، كان يتولى تعيين القضاة والوزراء في عهد عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط). مؤلف مجهول، المصدر السابق ، ج1 ، ص 125 .ابن الفرضي، المصدر السابق ،ق2، ص 179. الخشني القروي قضاة قرطبة ، ص ص 30-31. ابن قنفذ (أحمد بن حسين)، **الوفيات**، تحقيق عادل نويهض ، ذخائر التراث العربي،ط1 ، بيروت ،1971 ص172. عمر فروخ ، **تاريخ الأدب العربي** ، دار العلم للملايين، ط3، بيروت ، 1996 ، ج4 ، ص98 .

[3] هو أبو زكريا يحيى بن الحكم البكري الجـياني ، شاعر وحكيم ، لقب بالغزال لجماله وأناقته ، عمل ضمن كتّاب البلاط مستشاراً للأمير الأموي عبد الرحمن الثاني بن الحكم. الحميدي ، المصدر السابق ،ص ص 374 – 375. الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 673 – 674 ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، ص 57 .. المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 380 وما بعدها .البنداق محمد صالح ، **يحيى بن الحكم** ، منشورات دار الافاق الجديدة ، ط1 ، بيروت ، 1979، ص17 وما بعدها . عنان محمد عبد الله ، **تراجم إسلاميـة شرقيـة وأندلسية** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1970، ص 158 وما بعدها .

[4] هو الحسن بن علي بن نافع ، وزرياب كلمة فارسية تطلق على طائر أسود حسن التغريد (الصوت) ، وهذه الصفات تنطبق على الحسن بن علي، فقد كان أسود اللون وفصيح اللسان ، كان تلميذ للمغني والموسيقي إسحاق الموصلي (ت235هـ/850م) ، واشتهر زرياب وبلغ درجة جعلت الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) يطلبه من أستاذه إسحاق ، وخاف هذا الأخير على مكانته لدى الخليفة لذا هدده بالقتل أو المغادرة ، فرحل زرياب إلى الأندلس ودخلها في عهد عبد الرحمن الثاني (الأوسط) إذ رحب به وأكرمه. ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص62 . المقري التلمساني ، المصدر نفسه ،ج3 ، ص 384. أحمد الحنفي **زرياب أبو الحسن علي بن نافع موسيقار الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (د.ت) ، ص107. عتيق عبد العزيز ، **الأدب العربي في الأندلس** ، دار النهضة العربية ، بيروت، ط2 ، 1976 ، ص 58 .الحنفي أحمد محمود ، **إسحاق الموصلي** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، (د.ت) ، ص62 وما بعدها .

Berge Marc **, Les Arabes** , éd. Lidis, Paris , 1983 , pp.457 -458 .

Pérès Henri , **La poéandalouse** ,librairie d'Amérique et d'Orient ,Paris,1937,p.302.

[1] كاتب لاتيني ، تميز بأناقته ، ألف كتاب (Sataricon) الذي يعد وثيـقة دقيقة لدراسة العادات الرومانية في القرن الأول الميلادي اشتهرت كتاباته بالسخرية ، اشترك في مؤامرة فاشلة فانتحر بقطع شرايينه سنة 66م . ليفي بروفنسال . أ ، **الحضارة العربية في اسبانيا**، دار المعارف ،ط2، القاهرة ،1985، ص69 .

وكان الأمير عبد الرحمن الثاني في حد ذاته شاعراً ، أديباً ، إذ يقول فيه المؤرخ ابن حيان القرطبي(ت469هـ /1076م) صاحب المقتبس ما يلي: " كان الأمير عبد الرحمن مقدم الطبقة في البلاغة ، مطبوعاً في الكتابة مقتدراً على ما حاول من سني البيان المنثور والمنظور، مؤثراً لمن يحسنهما ، مقرباً بوسيلتهما ، وكان له التوقيع الوجيز ، والقريض المستحسن ..."[1].

وفي عصر الخلافة اشتهر في بلاط الحكم المستنصر بالله(350-366هـ/961-976م) الأديب الشاعر أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت328هـ/940م)صاحب العقد الفريد، والذي قدم للمستنصر ما جمعه من شعر ومدائح كثيرة ومحصها ، ولم يبق منها إلا قصائد المواعظ والزهد سماها الممحّصات [2].

وعرفت معظم قصور ملوك الطوائف مثل هذه المجالس ،إذ لم يقتصر تشجيع هؤلاء الملوك على الجانب المادي لها فقط بل تعدى ذلك إلى المشاركة في هذه الحلقات العلمية والأدبية ، فكان المعتصم بالله محمد بن صمادح (429-484هـ/1038-1091م)[3] أمير المرية ، وبجانة(Pechina) يعقد المجالس بقصره للمذاكرة ، وكان ينظم يوم الجمعة من كل أسبوع جلسة للفقهاء للتـــناظر بين يديه حول كتب التفسير والفقه[4] ، واهتم كذلك أحمد بن رشيق (ت442هـ/105م)[5] أمير ميورقة(Mallorca) بالفقه والحديث ، فقد كان يجمع الفقهاء والمحدثين ويفضلهم على غيرهم[6].

[1] ابن حيان القرطبي (أبومروان حيان بن خلف)، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس** ، تحقيق وتقديم وتعليق محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1973 ، ص89 .

[2] ابن دحية الكلبي (أبو الخطاب عمر) ، **المطرب من أشعار أهل المغرب** ، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون ، دار العلم للجميع ، 1955 ص 154 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ،ج1 ، ص207 .

[3] يعرف بأبي يحي التجيبي ، صاحب المرية وبجانة ، ولي بعد أبيه سنة 443هـ/1051م وسمى نفسه معز الدولة ثم المعتصم بالله الواثق بفضل الله عرف بحسن السيرة ، كريماً ، حليماً ، من أهل الأدب والشعر والأخبار ، دام حكمه مدة طويلة بلغت إحدى وأربعين سنة . ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 167 – 168. ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص 218 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ، ج7 ، ص 106 .

[4] ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص 220 .

[5] المعروف بالكاتب ، يكنى بأبي العباس ، كان أبوه من الموالي ، نشأ بمرسية ، وانتقل إلى قرطبة لدراسة الأدب والفقه والحديث ، واختص عند الأمير الموفق أبو الجيش مجاهد العامري دون غيره من رجال الدولة لثقته ، وأمانته ، ونزاهته ، وولاه جزيرة ميورقة. الضبي ، المصدر السابق،ج1 ص ص 224 – 225 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 125 .

[6] الضبي ، المصدر السابق ،ج1، ص224 .

واشتهر كذلك مجلس مجاهد العامري(412- 436هـ/1021 1044م)[1] أمير دانية(Denia) والجزائر الشرقية(Islas Baleares) الذي جالس العلماء ، وكان مجلسه يثرى بالمناقشة والمناظرة ، وذكره العلماء في مقدمات كتبهم منوهين برعايته لهم كما شجع الحركة العلمية في مملكته فأصبحت مقصداً للعلماء ، زيادة على شهرة هذه المملكة بالأمن والحرية واهتمت مجالسه بعلوم القرآن، الحديث، علم اللسان، والعروض ، وكانت مكتبته تحوي كتباً جمة ، حتى أطلق عليه لقب أديب ملوك عصره[2]، وقال في فضله المؤرخ ابن عذارى المراكشي : " ...كان ذا نباهة ورياسة زاد على نظرائه من ملوك طوائف الأندلس بالأنباء البديعة منها العلم والمعرفة والأدب (...)،وكان مجاهد هذا من أهل العفاف والعلم ، فقصده العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب ، وألفوا له تواليف مفيدة في سائر العلوم فأجزل صلاتهم على ذلك بآلاف الدنانير ومضى على ذلك طول عمره إلى أن حانت وفاته بمدينة دانية ..."[3].

ونتيجة لاهتمام مجاهد العامري بالعلماء فقد ألف ابن سيده المُرْسي(ت458هـ/1066م)[4]العالم اللغوي كتابيه " المحكم" ، و"المخصص" في رعايته ، وخصصت دار للشعراء عرفت بهذا الاسم في اشبيلية [5] للتنافس والتناظر بين الشعراء ، واشتهرت كذلك الأديبة الشاعرة ولادة بنت المستكفي (ت 484هـ/1091م) حيث كانت تناظر الشعراء ، والأدباء في مجلسها بقرطبة [6].

---

[1] أبو الجيش موفق ، مولى عبد الرحمن الناصر بن المنصور محمد بن أبي عامر ، أمير ، أديب ، شجاع ، ومحباً للعلوم هاجر بعد الفتنة القرطبية وسقوط الدولة العامرية 399هـ /1008م إلى الجزائر الشرقية فتغلب عليها ، وافتتح سردينيا ثم دانية ودانت له هذه الأخيرة واستقر فيها ، كان كريماً مع العلماء يستميلهم ، وهو الذي قدم لأبي غالب تمام بن غالب اللغوي(ت 436هـ/1044م) على أن يزيد في ترجمة كتابه الذي ألفه في اللغة المقطع التالي : " مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد" ، فرد تمام الدنانير وأبى فعل ذلك ، وقال : والله لو بذلت لي الدنيا ما فعلت ولا استجزت الكذب، فإني لم أجمعه له خاصة ، لكن لكل طالب عامة ، فأعجب لهمة هذا العالم ونزاهته وصدقه. الحميدي ، المصدر السابق ج2، ص ص 565 -566 . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 632-633.

[2] عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 64. عصام سالم سيسالم ، **جزر الأندلس المنسية – التاريخ الإسلامي لجزر البليار –** ، دار العلم للملايين ،ط1، 1984 ، ص 467 وما بعدها .

[3] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 155 -156 .

[4] هو أبو الحسن علي بن أحمد بن سيده ، من علماء الأندلس في الأدب واللغة ، ولد سنة 398هـ/1007م بمرسية ، وانتقل إلى دانية وبها توفي وهو كفيف بن كفيف ، له قدرة كبيرة في الحفظ ، توفي وقد بلغ الستين من عمره ، له مؤلفات كثيرة منها " المخصص" في اللغة ، و"المحكم والمحيط الأعظم ".الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 545-546 . ابن خلكان ، المصدر السابق ،ج3 ، ص ص 330- 331 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 18 ، 182 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4، ص ص 263 – 264 .

[5] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص31 ، 397 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 64.

[6] ابن دحية الكلبي ، المصدر السابق ، ص ص 7 ، 8 .

وإلى جانب مجالس الملوك توجد – كما ذكر سالفاً – مجالس العلماء والشعراء كذلك ، حيث يتناوب هؤلاء لعقدها في بيوتهم ، وتختلف أهداف هذا النوع من المجالس ، فمنها من كان يتخذها للدعاية لنفسه ولعلمه[1]، أو لهدف الدراسة و المناقشة ، وكان عبد الرحمن بن أحمد بن غرسية (ت422هـ/ 1031م)[2] يعقد مجلساً يضم كبار العلماء وهذا للتشاور في مسائل معينة فيختلفون معه ويخالفونه الرأي فيستظهر عليهم بالروايات والكتب حتى يقولون برأيه[3]، وتتميز هذه المجالس بنوعيها سواء التي تعقد في قصور الحكام والأمراء أو التي تنظم في بيوت العلماء بحرية النقاش والجدال ، واشـتداد المنافسة بين العلماء ، وكذلك تنـوع المواضيع ، وعرفت بعض المجالس نوع من التخصص كمجالس ابن حزم ، وفقهاء المالكـية ، والميزة الأخرى التي تضاف إلى ما سبق هي أنـها تجمع أصحاب القرار في الدولـة وأصحاب الفكر وذوي البـاع في الثقافة الأندلسية بصفة عامة، لاسيما تأثير هذا الحراك الثقـافي في ازدهار وتنشـيط حركة التعليم والتأليف في الأندلس[4] .

و اعتماداً على ما سبق يتبين مدى مساهمة تلك المجالس في حركة التعليم بالأندلس ، فهي تمثل مرحلتين هامتين من المراحل التعليمية بالنسبة للمتعلم ، ونقصد بذلك الوسطى والعليا[5] ، خاصة في الميادين الأدبية(كالشعر مثلاً) والعلوم الشرعية(كالفقه والأحكام) ، وساهمت تلك السجالات ، والمناظرات ، والندوات في دفع ، وازدهار حركة الإنتاج الفكري ، ونظم الشعر فأثرت تلك إيجابا في الحياة العلمية للأندلس بصفة عامة رغم ما عرفته من تمزق سياسي ، وحروب داخلية ، وتطاحن خاصة في عهد ملوك الطوائف .

المطلب الثالث : أماكن أخرى :

أ) – **الدكاكين** : من المعروف أن الدكان هو مكان مخصص للبيع والتجـارة ، ورغم هذا إلا أنه تميز في الأندلس بوظيـفة أخـرى وهي التعـليم والتثقيف ، فبما أنه مكان للبيع والشراء فهو مكان للتجمع وتبادل الحديث ، بل تجرى فيه بعض النقاشات ذات البعد التثقيفي التعليمي ، إذ يروي الفقيه ابن حزم عن مجلس علم حضره في دكان طبيب اسرائيلي اسمه اسماعيل بن يونس سنة 404هـ/1013م عندما كان مقيماً في المرية[6]، مع

[1] عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 64 .

[2] قاضي الجماعة ، يكنى بأبي المطرف ، ويعرف بابن الحصّار . ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج2 ، ص485 وما بعدها .

[3] نفسه ، ص 486 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 64 .

[4] نفسه ، ص 65 .

[5] نفسه .

[6] مدينة محدثة بالأندلس ، وهي إسلامية البناء لم تكن تذكر قبل الفتح الإسلامي ، أسسها الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله الذي أمر ببنائها سنة 344هـ / 955 م ، فيها أشهر مراسي الأندلس ، وكانت هي وبجانة بابي الشرق بالنسبة للأندلس ، واشتهرت بصناعة الديباج والوشي. الحميري ، المصدر السابق ، ص ص537 – 538 . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج5، ص 119.السيد عبد العزيز سالم ، **تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس** ، دار النهضة العربية ، ط1 ، بيروت 1969 ، ص 17 وما بعدها .

نفر من أتباعه [1].

كما كان الدكان بمثابة دار للعبادة وإقامة الصلاة مهيأ بالأفرشة لهذا الغرض، وهذا ما نجده في ثنايا بعض الفتاوى لشيوخ الأندلس في كتب النوازل والفتاوى كجواب ابن سهل(ت486هـ/1073م) عن سؤال حول جواز أو عدم جواز الصلاة في الدكاكين ، وقد أفتى بعدم جوازها إلا لعذر كالبعد مثلاً ، وقد نبه على الاختلاف في مسألة صحتها وجوزاها أو من عدمها[2], وسمع الأديب محمد بن خليد(عاش ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين) مقامات الحريري (ت516هـ /1122م)[3] بالمرية في دكان يوجد بباب الزياتين ، وهو أحد أحياء المدينة[4].

ب)– البساتين والحقول :

زيادة على منزل المعلم هناك مواضع قد يضطر الطلبة مرافقة معلميهم إليها للأخذ من العلم عنهم فيها ، ومنها الحقول والبساتين ، فقد روي أن العلامة بن باز (ت274هـ/887م) كان يقرأ عليه في منيته ، وهو يزرع والقُفَيْفَةُ في ذراعه ، وكذلك العلامة علي بن محمد بن هذيل البلنسي (عاش في عصر ملوك الطوائف)الذي كانت له رحلة نحو المشرق وبها توفي ، وكان هذا العالم يخرج لتفقد ضيعته ، فيصحبه إليها الكثير من طلبة العلم للقراءة والسماع وقد عرف عنه طول الصبر على طلبته رغم ملازمتهم له ليلاً نهاراً [5].

ج) – الرباطات :

جاء لفظ الرباط في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، فقد قال تعالى في إحداها : " يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُواْ اِصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[6] ، والرباط في هذه الآية بمعنى الصبر عن الدنيا وهوى النفس ، وجاء

---

[1] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 17 .

[2] ابن سهل الأندلسي، **تسع وثائق في شؤون الحسبة على المساجد في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى** ، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، العدد 22 ، جامعة الكويت ، 1984 ، م5 ، ص 22 .خميسي بولعراس المرجع السابق ، 135.

[3] تنسب إلى الأديب البصري القاسم بن علي الحريري. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق،ج5، ص ص177– 178. الشرشي (أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن) ، **شرح المقامات الحريرية** ، المطبعة الكبرى الميرية ، ط2 ، القاهرة ، 1300هـ ، ج1 ، ص2 وما بعدها .

[4] سعد عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 225 .

[5] الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الأول ، ص 370 . سعد عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 225.

[6] سورة آل عمران 30 / الآية 200 .

في موضع آخر قوله عز وجل : " وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اَسْتَطَعْتُم مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ "[1] وتفسير الرباط هنا بمعنى ربط الخيل وإعدادها للجهاد وحماية البلاد من هجمات الأعداء[2] ، ومن معانيها كذلك الزاهد ، العابد ، الحصن المحرس[3] ، والرباط هو كذلك العصب (أحد عضلات جسم الإنسان الرئيسية)[4] .

أما اصطلاحاً فالمقصود بالرباط هو مؤسسة أو زاوية إسلامية محصنة يجتمع فيها الفرسان للتأهب من أجل القيام بحملة ما[5] ، ولقد انتشرت حركة الربط في الأندلس على طول الساحل الشرقي ، وهي ما أطلق عليها مصطلح البلاد البحرية[6] ، ومن أشهر هذه الربط رباط بجانة[7] .

ولم يقتصر دور الربط في الاتجاه الحربي ، بل كانت كذلك بمثابة البيوت التي ينقطع فيها المعلم ومريدوه عن حياة العامة من أجل العلم والعبادة والتصوف ، إذ كانت غالبية أصحاب هذا الاتجاه من المتصوفة والزهاد الذين طلقوا حياة الترف والملذات وطلب الدنيا ، واعتكفوا لطلب العلم والزهد[8] ، وعرف الأندلسيون قيمة الربط والاهتمام بها كضرورة حربية تحصينية بالدرجة الأولى بعد هجمات النورمان[9] على الأندلس سنة 229هـ/844م في عصر الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني الملقب بالأوسط الذي حكم مابين 206-238هـ/822-854م

---

[1] سورة الأنفال 08 / الآية 61.

[2] محمد الأمين بلغيث،**الربط بالمغرب الإسلامي**"رسالة ماجستير"، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، الموسم الجامعي 1986 – 1987، ص35.

[3] منطقة محصنة ، تضم حامية أو برج مراقبة . محمد الأمين بلغيث ، نفسه .

[4] البستاني بطرس ، **دائرة المعارف** ، ج8 ، ص 515 (مادة الرباط) .

[5] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 108 .

[6] العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله) ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، معهد العلوم العربية والإسلامية ، جامعة فرانكفورت ألمانيا ، 1988 ، السفر الثاني ، ص 44 .

[7] تعرف كذلك بمرية بجانة ، واسم المرية في الأصل بمعنى مرأى أي محرس المدينة ، ويطلق عليها باب الشرق ، تشتهر بصناعة الديباج . العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله) ، **وصف افريقية والمغرب والأندلس (مقتبس من كتاب مسالك الأبصار)** ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، العدد11، مجلة البدر ، جامعة الزيتونة ، تونس،(د.ت) ص40 . أحمد رمضان أحمد ، **تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط** وزارة الثقافة المصرية ،القاهرة ،(د.ت) ، ص25 .

[8] محمد الأمين بلغيث ، دولة المرابطين بالأندلس ، ص85 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص ص 65 – 66 .

[9] أو ما يعرفون بالفيكينغ في المراجع الأجنبية ، أو المجوس أو الأردمانيون في المصادر العربية ، وكلها مصطلحات لمعنى واحد والمقصود به السكان الشماليين الذي يقطنون شبه الجزيرة الاسكندنافية في الطرف الجغرافي الشمالي الغربي من القارة الأوروبية ، ويرجح أن أصل هذا الشعب جرماني أو التيتوني (سكان الخلجان) ، ولقد سمي هؤلاء بالمجوس بسب ممارسة طقوسهم التي تشبه أصحاب الديانات القديمة في بلاد الفرس ، ويطلق عليهم ابن الأثير لفظ المشركين. ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج5 ، ص272 . ابن حيان (أبو مروان بن خلف) ، **المقتبس** ،القطعة التي حققها عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة ، بيروت ، 1965 ، ج7 ، ص 249 . ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ،ج1 ، ص49 .عاشور سعيد عبد الفتاح ، **أوربا في العصور الوسطى (التاريخ السياسي)** ، المكتبة الأنجلو مصرية ، ط10، القاهرة ، 1986، ج1 ، ص218 .

Durard(F.), **les Vikings**,éd.PUF ,Paris,1994,p.5.

إذ كانت تلك الهجمات سبباً في اهتمامه ببناء وتدشين الربط لتحصين الأندلس خاصة على مستوى السواحل غير المحصنة كالجنوبية والغربية[1] .

وفي الجانب الثقافي والتعليمي فقد كانت للأربطة مساهمة لا يستهان بها في العملية التربوية والتعليمية ، ولقد تأثر الأندلسيون بدور هذه المؤسسة الفاعلة والفعالة في المشرق أثناء رحلاتهم العلمية ، فظهرت نماذج لتلك المؤسسات في الأندلس رغم محدودية عددها في فترة محل هذا البحث ، ففي عصر ملوك الطوائف اشتهر مثلاً العلامة عبد الله بن سعيد بن لباج الأموي (ت436هـ/1044م) بأنه كان يروي الحديث في رباط الريحانة القريب من مدينة شلب(Silves)[2]، كما روي أن أبا محمد عبد الله بن موسى بن سعيد الأنصاري الطليطلي(ت456هـ /1064م) عرف بالشارقي نسبة إلى شارقة وهو حصن في الأندلس من أعمال بلنسية[3] ، كان ممن رفض الدنيا ،وتجرد لأعمال الآخرة زاهداً ، ويعلم الناس أمر وضوئهم وصلاتهم وما افترض عليهم [4] .

د) – السجون :

لم يقتصر نشر العلم على المساجد والأماكن السالفة الذكر فقط ، بل قد يستغرب المتتبع لهذا الموضوع إذا ذُكر بأن السجن كان من بين المؤسسات التي ساهمت في تنشيط حركة التعليم في الأندلس ، زيادة على دوره الوظيفي التربوي القائم على إعادة تقويم سلوك الإنسان ، وفي المجال التعليمي فقد ذكرت المصادر بأنه لما سجن أحمد بن محمد بن فرج (ت 366هـ/976م)[5] في عهد عبد الرحمن الناصر ، كان طلبة العلم يرتادون إليه في السجن ، ويقرؤون عليه علوم اللغة وغيرها ، وروي أن الأديب والشاعر مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد

---

[1] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 87. السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 235. العبادي أحمد مختار ، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة ،(د.ت) ، ص 262. الصوفي خالد ، **تاريخ العرب في الأندلس** منشورات الجامعة الليبية ،(د.ت)، ص185 .

Garcia-Gomez(E.), **Historia de Espana**, Espasa-alpe S.A.Tomo.4,Madrid,s.d p.146.

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 416 و ما بعدها. عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص66 .

[3] ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، م3 ، ص307 .

[4] بن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 423 وما بعدها .

[5] من أهل جيان، يكنى بأبي عمر ، كان عالم باللغة والشعر ، من مؤلفاته كتاب الحدائق ، توفي بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر .نفسه ،ج1 ص30 .سعد بن عبد الله البشري ، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316-422هـ/928-1030م)**، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1997 ، ص 142 .

الرحمن الناصر الـمعروف بالطليق (توفـي بعد 400هـ/ 1010م) [1] لما سجن في عهد المنصور بن أبي عامر كان يأخذ العلم مع بعض الجماعات المسجونة من بعض أساتذة الأدب ، واستمر في طلبه هذا حتى على شأنه وسما ذكره ؛ إذ كان معظم شعره وهو في السجن [2].

المبحث الثالث : الكتاب والرحلة العلمية ودورهما في التعليم :

المطلب الأول : مساهمة الكتب والمكتبات في التعليم (أهمية الكتاب في نشر العلم)

تتمثل قيمة الكتاب وأهميته في أنه خلاصة الإنتاج الفكري الإنساني، فهو وسيلة من وسائل التواصل والاتصال المعرفي وقيمة مادية ومعنوية هامة للمؤلف والقارئ على حد سواء ، إذ هو إنتاج المؤلف في عصره ، أو نتيجة سماع طالب من أستاذه ، لهذا تختلف قيمته حسب فائدته العلمية وأهمية محتواه سواء للمتعلم ، أو المثقف ، أو العالم أو القارئ بصفة عامة .

وانطلاقاً من مكانة الكتاب في حلقات العلم كأهم الموارد والوسائل الأساسية لتحصيل العلم والمعرفة على الإطلاق ، ولا مناص من وصفه كونه أحد أهم أدوات التدريس والتعليم بالنسبة للمعلم ، وهو يعبر في مرحلة من مراحل إنتاجه كخلاصة ونتاج الإملاء والإسماع ، وتكمن أهمية الكتاب أساساً في مدى استفادة العالم و المتعلم في أبحاثهم و دراساتهم .

أ)–حركة التأليف في الأندلس و أغراضها :

ولقد اهتم الأندلسيون بالكتاب والمؤلفات بصفة عامة مثلهم مثل الأمم الأخرى ، وحرص هؤلاء على تزويد مكتباتهم بكل ما يقع بين أيديهم من كتب ، ولقد تنوعت وتعددت موارد الكتب الأندلسية ، وكيفية انتقائها وانتشارها ، ويمكن إجمال أهم هذه الأساليب في طريقتين اثنتين :

– الأولى: وهي جلب الكتب من المشرق عن طريق الرحلة الحجية ، أو عن طريق العلماء ، أو التجار[3].

– الثانية : تتمثل في حركة التأليف التي عرفتها الأندلس ، والتي بلغت ذروتها في عصر ملوك الطوائف .

---

[1] يكنى بأبي عبد الملك ، من بني أمية ، سجن وهو ابن ست عشرة سنة ، ومكث فيه ستة عشرة سنة ، وعاش بعد إطلاق سراحه من السجن ستة عشرة سنة ، وبهذا سمي بالطليق . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 613- 614 ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ص 127 – 128 .خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج7 ، ص 208 .

[2] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص 564 .

[3] محمد بن زين العابدين رستم ، **الكتب المشرقية والأصول النادرة في الأندلس** ، دار ابن حزم ، ط1 ، بيروت ، 2009 ، ص 18 وما بعدها .

ويضاف إلى ما سبق حركة الترجمة ، واشتهرت في هذا الميدان الحاضرة طليطلة ، والتي كانت بمثابة جسر الحضارة الذي ربط بين الأندلس ودول أوروبا وقد استمر إشعاعها زهاء قرنين[1].

وفيما يخص الطريقة الأولى التي تعني الرحلة ودورها في جلب كتب المشرق ، وأثرها في الحركة التعليمية بصفة عامة فستفرد في مطلب لاحق من هذه الدراسة ، وسيولى التركيز في هذا الموضع على الطريقة الثانية .

لقد اعتنى الأندلسيون بتأليف الكتب ،وجمعها ،ونسخها ، وتجليدها ، وكذا تجارتها بيعاً ، وشراء ، وبالأندلس تكاثرت المكتبات حتى ذاع صيت بعضها ، كمكتبة الحكم المستنصر بالأندلس التي اشتهرت بأنها من أهم خزائن الكتب في العالم الإسلامي كخزانة بيت الحكمة ببغداد ، وخزانة جامع الزيتونة بتونس ، وخزانة جامع القرويين بفاس ، واشتهر أهل قرطبة أكثر من غيرهم من الحواضر الأخرى بحبهم لاقتناء الكتب وإنشاء المكتبات بالأندلس[2] ، وبلغت الدرجة بهم أن أصبح في كل حي بقرطبة دار للكتب تحتوي على مئات الآلاف من الكتب التي جعلوها في متناول الجميع[3].

ولم يقتصر الشغف بجمع الكتب لدى العلماء والطلبة فقط ، بل بلغ كذلك الأمراء والحكام ، فقد حرص هؤلاء على جلب الكتب من المشرق ، ومنهم مثلاً عبد الرحمن الأوسط(206-238هـ/822 – 854م) الذي بعث رسله إلى العراق لالتماس الكتب القديمة والنادرة ، وكان من بينها كتاب السندهند[4] الذي دخلت معه الأرقام الهندية إلى الأندلس والتي انتقلت منها إلى أوروبا[5]، ومن الكتب القديمة التي دخلت الأندلس كتاب

---

[1] حامد الشافعي دياب ، **الكتب والمكتبات في الأندلس**، دار قباء،ط1 ، القاهرة ، 1998، ص31. عبد الرحمن علي الحجي ، **المكتبات في الأندلس** ، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ، المجمع الثقافي ، ط1 ، 2007 ، ص 201 .

[2] و بعد الفتنة البربرية (399- 401هـ/1008-1010م) بيعت كتب الحكم بأرخص الأثمان ، ولقد ذكر شيخ الظاهرية في الأندلس الفقيه ابن حزم عن أحد موالي الحكم المستنصر أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أي عناوين الكتب فقط قد بلغت أربع وأربعين فهرسة ، وفي كل فهرسة عشرون ورقة ، ليس فيها إلا ذكر الدواوين فقط ، وكانت تحتوي على ما يقارب أربع مائة ألف مخطوط ، وكانت هذه المكتبة في بادئ الأمر تقتصر على العلماء والدارسين فقط ثم فتحت للجميع في عهد ملوك الطوائف والمرابطين . محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص92.

[3] زيغريد هونكه ، **شمس العرب تسطع على الغرب وأثرها على الحضارة العربية في أوروبا** ، نقله عن الألمانية فاروق بيضون ، كمال دسوقي راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري ، دار الآفاق الجديدة ، ط6 ، بيروت ، 1981 ، ص500 .

[4] هو من أقدم الكتب التي ترجمت من الهندية إلى العربية ، وقد تعلم منه العرب الحساب والأعداد الهندية المعروفة ، وقيل بأن سبب تأليفه أن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور(136-158هـ/754-775م) أمر بأن يؤلف كتاب منه تتخذه العرب أصلاً في حركات الكواكب فتولى ذلك العالم الفلكي محمد بن إبراهيم الفزاري(ت نحو180هـ/796م) وعمل منه كتاباً سماه المنجمون بسد هانتا أو السندهند الكبير ومعناه باللغة الهندية الدهر الداهر. ويعد هذا الكتاب دائرة معارف في علمي الفلك والمثلثات ،ولقد قام أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي (ت232هـ/846م) باختصار هذا الكتاب .صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، ص ص 49 – 50 . ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ج1 ، ص45. عبد الواحد ذنون طه ، **دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها** ، دار المدار الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2004 ، ص47 .

[5] سعد عبد الله البشري ، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس ، ص 117 .

هورشيش الذي يتناول التاريخ ، وكتاب ديسقوريدس الذي يتكلم عن النباتات الطبية ، وهذان الكتابان الأخيران أهداهما الإمبراطور البيزنطي ارمانوس السابع للخليفة عبد الرحمن الناصر[1] .

ولم يكتف الأندلسيون بجلب الكتب من المشرق بل كانت لهم المشاركة في التأليف ، ولقد اشتهر الفقيه العلامة عيسى بن دينار(ت212هـ/827م)[2] بتأليفه كتاب البيوع ، وكذلك عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ /852م) الذي ألف في الفقه والتاريخ وغيرهما من العلوم ، وأبو علي القالي الذي ألف كتاب الأمالي المشهور به[3] وكذلك العلامة الظاهري الفقيه ابن حزم (ت456هـ/1063م) والذي تذكر المصادر بأن مؤلفاته بلغت الأربعمائة مجلد[4] .

ولم يقتصر الاهتمام بالكتب على المسلمين فقط بل شمل كذلك المسيحيين ، إذ قال مطران قرطبة الفارو الذي عاش في القرن الثالث الهجري / التاسع ميلادي : " إن جميع المسيحيين المميزين بالذكاء كانوا يعرفون لغة العرب وآدابهم ، ويقرؤون ويطالعون كتب العرب بولع ، ويجمعون مكتبات كبيرة من تلك الكتب بنفقات باهظة "[5].

والملاحظ أن الكتب في الأندلس تميزت بنوعين من حيث أسباب التأليف ، فالنوع الأول هو ما ألف باسم أحد الأمراء أو الخلفاء أو الملوك ، والنوع الثاني ما ألف بإرادة العلماء أنفسهم .

فأما النوع الأول فنجد الأمثلة عنه كثيرة ، منها مثلاً عندما كلف الحكم المستنصر بالله العالم عبد الله بن محمد بن مغيث(ت352هـ/963م)[6] تأليف كتاب في أشعار الخلفاء الأمويين بالمشرق والأندلس وكان له ذلك ، وألف صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي(ت417هـ/1026م)[7] المعروف بأبي العلاء للمنصور بن أبي عامر

---

[1] نفسه .

[2] أصله من طليطلة وبها توفي ، سكن قرطبة ، قال عنه ابن الفرضي هو أفقه من يحيى بن يحيى الليثي ، لهذا يقال فقيه الأندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب ، وعاقلها يحيى بن يحيى ، له رحلة إلى المشرق سمع فيها من الامام مالك. ابن الفرضي، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 556 – 557. القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 20.

[3] نفسه ، ج2 ، ص 239 .

[4] نفسه . عبد الواحد المراكشي (محيي الدين أبي محمد بن علي) ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1881 ، ص 33 .

[5] سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 115 .

[6] يكنى بأبي محمد ، يعرف بابن الصفار ، اشتهر بالعلم والأدب .الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص ص 431-432. إبراهيم علي العكش المرجع السابق ، ص ص 84 – 85.

[7] عالم بالأدب واللغة والأخبار ، شاعر ، له معرفة بالموسيقى والغناء ، يكنى بأبي العلاء ، ولد بالموصل ، ونشأ ببغداد ، وانتقل إلى الأندلس سنة 380هـ /990م فأكرمه المنصور بن أبي عامر ، خرج من الأندلس بعد الفتنة والفوضى أواخر عصر الخلافة فقصد صقلية وبها توفي ، واختلف المؤرخون في ضبط تاريخ وفاته فيذكر المقري سنة 410هـ/1019م ، أما ابن بشكوال سنة 417هـ/1026م. ابن بشكوال ، المصدر السابق ج1 ، ص372 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 362. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ، ج3 ، ص ص 186 – 187 .

كتابين الأول بعنوان الفصوص في الآداب والأشعار والأخبار سنة 385هـ/995م والثاني تحت عنوان الحواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه غفراء، وألف الحصري الشاعر للمعتمد بن عباد كتاب المستحسن من الأشعار[1].

وأما النوع الثاني فهو ما ذكره ابن بشكوال عن ابن تمام بن غالب (ت436هـ/1044م)[2] الذي ألف كتاباً في اللغة لم يصنف أحد مثله في المختصرات ، وعَلِم الأمير أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري فأرسل إلى غالب ألف دينار أندلسية على أن يزيد ترجمة له – أي لأبي الجيش – فرد الدنانير له ورفض وقال :" والله لو بذلت لي الدنيا على ذلك ما فعلت ، ولا استجزت الكذب ، فاني لم أجمعه له خاصة ولكن لكل طالب عامة "[3].

واتجهت حركة تأليف الكتب في مجالات العلم والمعرفة سواء النقلية منها أو العقلية في طريقها من المؤلف إلى القارئ باتجاهين مختلفين :

الأول : عن طريق التأليف ، وهذا عندما يقوم المؤلف بجمع مادته المعرفية ، ثم يراجعها ، ويهذبها ، وينقحها إلى غاية إخراج الصورة النهائية للكتاب .

والثاني: عن طريق الأمالي ، وهو نتاج مجالس الإملاء التي انتشرت في الحواضر الإسلامية في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين إلى درجة الاعتقاد بأن الإملاء كان هو الطريقة الغالبة والسبب في التأليف .

ب)–دور طبقة الوراقين في نشر الكتاب : يرجع اهتمام الأندلسيين بالكتب والتنافس عليها إلى توفر العديد من العوامل يمكن إجمال أهمها فيما يلي :

أ – اختراع الورق وانتشاره كمادة أولية وأساسية للكتابة عليه ، وهذا الاختراع الذي ساهم في إزالة الصعوبات التي عانى منها المسلمون في صدر الإسلام عند تدوين العلوم بواسطة استخدام الرق والحجارة والعظام والتكاليف الباهظة الثمن في استخدام ورق البردي، الأمر الذي أدى إلى الاستعانة بالصينيين في مجال صناعة الورق ، والذي عرف انتشاره في الغرب الإسلامي بواسطة التبادل التجاري الذي عرف بين الصينيين والأندلسيين عن طريق الحواضر المشرقية الإسلامية في العراق ، والحجاز ، ومصر في عهد حكم العباسيين[4].

---

[1] حامد دياب الشافعي ، المرجع السابق ، ص 75 .

[2] أديب ولغوي ، من أهل مرسية ، توفي بالمرية .الحميدي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 283 .

[3] الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 565-566 .ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، 200 – 201 .

[4] حامد دياب الشافعي ، المرجع السابق ، ص 58 وما بعدها .

ولقد اشتهرت في الأندلس مصانع رائدة في صناعة الورق ، حيث كانت شاطبة(Jativa)[1] مهد هذه الحرفة في الأندلس وعرفت بمصانع للورق الذي يصدر منها إلى باقي المدن الأندلسية وكذلك إلى أوروبا وإلى المشرق[2].

ب – ظهور طبقة الوراقين والنسّاخ ، وانتشارها في الأندلس ، ومعلوم أن حركة تأليف الكتب لا يمكن أن تقوم بدون ذلك الدور الهام الذي قام به فئة من الوراقين والنساخين وما أظهره هؤلاء النساخ من منافسة فيما بينهم لإخراج الكتب في أحسن حلة من نسخ جيد وخط ممتاز وتجليد أنيق ، والمقصود بالوراقة هو العناية بنشر الكتب بالمفهوم المعاصر أي الاعتناء بالكتب نسخاً وتصحيحاً وتجليداً[3] ، والوراقة هي مهنة محترمة اشتغل بها علماء أجلة وأشهرهم ابن النديم(ت438هـ/1047م)[4] صاحب كتاب الفهرست الذي ألفه سنة 377 هـ/987م[5]، وكانت هذه المهنة يشتغل بها من كان خطه واضح وأنيق وله القدرة على الترتيب وتنظيم وتزيين الكتاب ، وتجارتها رابحة وهذا لإقبال الناس على الكتب الصحيحة والمضبوطة والأنيقة .

ج – حب الأندلسيين للقراءة والكتابة ، إذ كان معظم السكان متعلمون ، لهذا نجد أن الأمية قليلة جداً في هذا المجتمع ، وهذا الاهتمام بالقراءة هو الذي أدى إلى دفع عجلة التأليف ورواج الكتب والمكتبات معاً [6].

ولقد ظهرت فئتين من الذين يشتغلون بالنسخ :

– الفئة الأولى وهي التي تشتغل لحسابها الخاص ، تنتشر هذه الفئة في معظم المدن الأندلسية ويمثل هذه الفئة على سبيل المثال لا الحصر مالك بن غانم بن الحسن الرعيني القرطبي (ت305هـ/917م) إذ كان يورق ويعلم [7].

– الفئة الثانية وهي التي تقوم بهذه الوظيفة لصالح فئة معينة مقابل أجر معين ، كمن يعملون لحساب الأمير أو الخليفة ، ومثال ذلك النسّاخ الذين كانوا ينسخون للحكم المستنصر (350-366هـ/ 961-976م)، وكان هؤلاء يستدعون لتنفيذ هذه المهام وقت الحاجة لذلك ، ومن أشهرهم النحوي محمد بن يحيى بن عبد السلام

---

[1] مدينة تقع في شرق قرطبة ، وهي قريبة من جزيرة شقر, يقال أن أسمها مشتقة من الشطبة وهي السعفة الخضراء الرطبة ، وهي مدينة يوجد بها مادة القصاب الذي يصنع به الكاغد يضرب به المثل في الحسن والمنعة (الجودة والقوة) ليس مثله في الأندلس، بل لا نظير له في المعمورة في ذلك العصر، ويحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس .الشريف الإدريسي(محمد بن عبد العزيز) ، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1863، ص 196 .الحميري عبد المنعم ، المصدر السابق ، ص337 .ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، م3 ، ص309 .

[2] الشريف الإدريسي ، المصدر السابق ، ص196 .

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 889 .

[4] محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق ، وهو بغدادي ، كان معتزلياً ، متشيعاً. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ،ج6 ، ص29 .

[5] محمد ماهر حمادة ، **المكتبات في الإسلام ، نشأتها ، وتطورها ، ومصائرها** ، مؤسسة الرسالة ، ط7 ، بيروت ، 1996 ، ص77 .

[6] حامد الشافعي دياب ، المرجع السابق ، ص ص 31 ، 59 .

[7] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 62 .

الأزدي القرطبي(ت358هـ/968م)[1]، ومنهم كذلك محمد بن حارث الخشني القيرواني (ت361هـ/971م) الذي كلفه الحكم المستنصر بخطة الوراقة وتركيب الأصباغ والادهان ، وبوفاة الحكم فتح الخشني دكاناً بقرطبة لبيع الورق الرفيع، وتحضير عقاقير الكتابة ، واشتهر قبله كذلك بهذه الوظيفة محمد بن يوسف الوراق (ت362هـ /973م)التي مارسها لدى الحكم المستنصر ، إذ كان يدون له كتب الجغرافيا عن مسالك وممالك وأخبار مدن المغرب إلى غاية وفاته[2] ، وعباس بن عمرو بن هارون الكناني الوراق(ت379 هـ/989م)[3]، وشهد مجلس القاضي ابن فطيس أبو المطرف(ت402هـ/ 1012م) وهو يملي الحديث على الناس وله ستة وراقين ينسخون له دائماً مقابل رواتب معينة [4].

كما كان للمرأة الأندلسية دور في هذه المهنة ، فقد ذكرت بعض المصادر نماذج ممن اشتغلن بها ، إذ ذكر المؤرخ عبد الواحد المراكشي مثلاً بأنه:" كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة يشتغلن بكتابة المصاحف بالخط الكوفي ، هذا في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها "[5] ، و اشتهرت امرأة أخرى تدعى مزنة كاتبة الخليفة عبد الرحمن الناصر (300- 350هـ) إذ كانت أديبة حسنة الخط ، وكذلك لبنى كاتبة الحكم المستنصر المشهورة بأنها حاذقة بالكتابة وحسنة الخط[6]، ومثال آخر أورده المقري في كتابه نفح الطيب حيث قال أن عائشة بنت أحمد القرطبية (ت400هـ/1009م) : "لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها علماً ، وفهماً وأدباً ، وشعراً ، وفصاحةً ،(...) ، وكانت حسنة الخط ، تكتب المصاحف... "[7] .

ومهما يكن من الأمر فقد يسر ظهور الورق أو الكاغد ، ورواج صناعته ، وكذلك عمليات النسخ والتجليد حركة التأليف في كل بلد من الأندلس انتقلت إليه هذه المادة [8] .

---

[1] إمام ، وفقيه ، يُعرف بالرباحي ، من أهل قرطبة ، وأصله من جيان ، سمع بقرطبة ، كان عالماً باللغة ، ودرّس الناس الإعراب ، أدب عند الملوك إذ استأدبه الخليفة الناصر لابنه المغيرة ، ثم اشتغل عند المستنصر بالله في جمع الكتب ومقابلتها ونسخها. ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج2 ص736 .

[2] الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 182 –183 . محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 165 .

[3] أصله من صقلية ، دخل الأندلس سنة 336هـ/947م في عهد الحكم المستنصر بالله ، واستقر بها حتى وفاته . ابن الفرضي ، المصدر السابق ج2 ، ص299 .

[4] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 467 .

[5] عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص270 . محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 165 .

[6] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، 65 .

[7] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 208 .

[8] محمد ماهر حمادة ، المرجع السابق ، ص 74 .

ج)- هواة جمع الكتب :

لم يقتصر الشغف باقتناء الكتب على طالبي العلم والعلماء والأمراء والخلفاء والملوك فقط ، بل شمل حتى الفضوليين من محبي وهواة جمع الكتب ، ومن الطبقة الأرستقراطية بمفهومنا المعاصر وهذا لغرض التباهي فقط إذ يروي المقري عن الحضرمي الحادثة التي جرت مع هذا الأخير في قرطبة إذ قال: " أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة ، أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء ، إلى أن وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح ففرحت به أشد الفرح ، فجعلت أزيد في ثمنه ، فيرجع إليّ المنادي بالزيادة عليّ إلى أن بلغ فوق حده ، فقلت له: يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوي ، قال: فأراني شخصاً عليه لباس رياسة ، فدنوت منه وقلت له: أعز الله سيدنا الفقيه إن كان له غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده ، قال فقال لي: لست بفقيه ، ولا أدري ما فيه ، ولكن أقمت خزانة كتب ، واحتفلت فيها ، لأتجمل بها بين أعيان البلد ، وبقي موضع يسع هذا الكتاب ، فلما رأيته حسن الخط ،جيد التجليد استحسنته ، ولم أبال بما أزيد فيه ، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير ، قال الحضرمي : فأحرجني ، وحملني على أن قلت له: نعم لا يكون الرزق كثيراً إلا عند مثلك يعطي الجوز من لا له أسنان ، وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلاً ، وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه"[1]، ومن هذا النص نستنتج عدة فوائد منها:

- أنه كان تقام سوقٌ خاصة أو جزءٌ منها لبيع الكتب .
- أن الكتب كانت تباع بطريقة ما يناظر في عصرنا الحالي البيع بالمزاد العلني .
- ولـع الأندلسيين باقـتناء الكتب من العامة والخاصة على حد سواء ، مما يـدل على المستوى الثقافي الراقي الذي تميز به المجتمع الأندلسي .

ويروى عن ابن سعيد المغربي عن أبيه : " أن قرطبة أكثر بلاد الأندلس كتباً ، وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب إذ صارت هذه الظاهرة من سمات التعيين والرياسة ، حتى أن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل أن تكون في بيته خزانة كتب لكي يقال أن فلان عنده خزانة كتب ، والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره ،والكتاب الذي هو بخط فلان عنده وظفر به ..."[2] .

وفيما يخص دور قرطبة الريادي من زاوية توفر الكتب فيها وانتشارها ، ومدى حب وتعلق أهلها باقتنائها يمكن سرد تلك القصة الطريفة عن الحوار الذي جرى بين ابن رشد الفيلسوف القرطبي ، وابن زهر الطبيب الاشبيلي حول أي المدينتين أفضل قرطبة أم اشبيلية فقال ابن رشد لابن زهر مقولته الشهيرة انتهى بها الحوار لصالحه ، وهذه

---

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص8 – 9 .

[2] نفسه ، ج2 ، ص8 .

العبارة هي:" ما أدري ما تقول ، غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حُملت إلى قرطبة حتى تباع فيها وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى اشبيلية "[1] ، إذا من خلال هذا المقطع من الحوار يتبين مدى أهمية الحاضرة العلمية قرطبة ودور أهلها الحضاري في رواج الكتب وانتشارها ليس بقرطبة فقط ، وإنما في باقي أنحاء الأندلس .

ولم يقتصر دور حلقات بيع الكتب في الأسواق بالجانب التجاري فقط ، بل كانت كذلك مسرحاً للثقافة والحوار العلمي ، ومكاناً لاجتماع العلماء والأدباء ، وهو ما يشبه معارض الكتب في العصر الحالي ، إذ تقام الندوات الفكرية والمحاضرات والأمسيات الشعرية ، وتبقى الإشارة إلى أن تحديد سعر الكتاب في مثل هذه الأسواق يخضع لمجموعة من العوامل أهمها : جودة خط الكتاب ، وشهرة الخطاط ، ونسبة المخطوط إلى شخص ذا سلطة ومعروف ، كخليفة أو أمير أو وزير ، وهو ما يسمى بكتاب العظماء ، وكذلك شهرة مؤلف الكتاب[2] .

أما فيما يتعلق بعدد الكتب التي كانت متوفرة ومنتشرة في الأندلس في المجال الزمني لهذه الدراسة ، فإنه من الصعب إحصاؤها أو إعطاء رقم محدد لها ، وهذا لعدم توفر المعلومات الدقيقة لذلك ، وتبقى الإشارة إلى محاولة المستشرق الإسباني خوليان ريبيرا بتقديم عدد الكتب التي كانت تنتج وتنتشر في قرطبة لوحدها إذ قال بأنها تراوحت في حدود ما بين الستين والثمانين ألف كتاب سنوياً ، وهذا الرقم هو في الأصل مجرد تخمين فقط لصاحبه بعد إجرائه عملية حسابية راعى فيها عدد الطلبة الذين كانوا يترددون على مجالس العلم للدراسة والإملاء بقرطبة ، وكذلك النساء العاملات في ميدان النسخ والوراقة ، زيادة على المكتبات الخاصة التي تنتج لحسابها الخاص الكتب والمؤلفات [3] .

ومن بين الأمثلة التي ذكرت في كيفية الاستفادة من الكتب في التعليم بالاستعانة بتراجم بعض العلماء ، فقد كان بعضهم يوقفون كتبهم أو مكتباتهم بأكملها لطلبة العلم ، فقد ذكر ابن الفرضي أن قاسم بن سعدان (ت347هـ/ 958م) أوصى بوقف مكتبته على الطلبة بعد وفاته[4]، وكان الحكم المستنصر مولعاً بالقراءة وتثقيف نفسه ، ومطالعة كل ما هو جديد في عالم الكتب[5]، وقيل بأن اللغوي محمد بن مفرج المعافري المعروف بالفني

[1] نفسه ، ج1 ، ص 136 .

[2] حامد دياب الشافعي ، المرجع السابق ، ص 68 وما بعدها .

[3] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ص 172 – 173 .

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص367 .

[5] لسان الدين بن الخطيب ، تاريخ اسبانية الاسلامية أو أعمال الأعلام ، ص 125.

(ت371هـ/981م)[1] هو أول من أدخل إلى الأندلس كتب الأديب والمفسر المصري أبا جعفر أحمد بن محمد النحاس(ت338هـ/950م)[2] في إعراب القرآن ، وشرح المعاني ، والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك من الكتب روايةً[3] ، أما كتاب التيسير للحافظ المقرئ أبي عمرو الداني(ت444هـ/1052م) فقد كان من الكتب التي تدرس في حلقات الذكر والعلم[4]، أما الحافظ والمؤرخ الحميدي الأندلسي(ت488هـ/1095م) فقد أوقف كتبه على أهل العلم[5] ،كما كان حفظ محتوى الكتاب من أسباب الحصول على الاجازة ، وهذا ما نستشفه من خلال ما أورده ابن الفرضي في إحدى التراجم " قال إبراهيم بن المنذر الجذامي: أتاني صاحبكم الأندلسي عبد الملك بن حبيب بغرارة مملوءة كتباً، فقال لي: هذا علمك تخيره لي؟ فقلت له: نعم ، ما قرأ علي منه حرفاً ولا قرأته عليه"[6] .

وعلى الرغم من أنه أجازه من غير قراءته عليه الكتاب ، إلا أن هذا النص يبين أن حفظ محتوى كتاب ما ، في تخصص ما ، كان من أسباب وأشكال الحصول على الاجازات وهي إحدى أهداف بعض المتعلمين .

مما سبق ذكره فإن ظاهرة اقتناء الأندلسيين للكتب والاهتمام بها تأليفاً ، ونسخاً ، وتجليداً ، وجمعاً ، وبيعاً وشراءً ، وقراءةً ، وإملاءً , كان بهدف طلب العلم بالدرجة الأولى ، أو للتباهي بدرجة أقل لدى بعضهم كما أسلفنا سابقاً ، وكانت هذه الظاهرة أندلسية بامتياز ، وكل ما ورد ذكره سابقاً فإن دلّ على شيء فإنما يدل على مدى الوعي الفكري والرقي الحضاري الذي بلغه المجتمع الأندلسي آنذاك بسبب التزام كل فرد منه وحرصه على التعلم وطلب الاستزادة من العلم والمعرفة .

د)-المكتبات في الأندلس :

يُعتقد أن وجود المكتبات في المجتمع الإسلامي كان نتاج حاجة المسلمين للتزود بالمعرفة والعلم , ومنه فالنهضة العلمية التي عرفها العالم الإسلامي ومنه الأندلس بالأخص هي السبب في اهتمام المسلمين بالكتب

---

[1] يكنى بأبي عبد الله ، من أهل قرطبة ، سمع ببلده ، رحل إلى المشرق فسمع بمكة ، وبمصر ، وقيل بأنه كان قليل العلم ، حدث وسُمع منه . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 81 – 82 .

[2] ولد وتوفي بمصر ، له رحلة إلى العراق ، ومن مؤلفاته : " تفسير القرآن "، " إعراب القرآن" ، "معاني القرآن" ، "ناسخ القرآن ومنسوخه" "تفسير أبيات سيبويه "، " أدب الكتاب" ،"شرح المعلقات السبع" . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج1 ،ص ص99-100. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 208 .

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص82 .

[4] حسن الوراكلي ، **المشيخة العلمية في المغرب والأندلس خلال القرن الثامن الهجري** ، مجلة أبحاث أندلسية ، المطابع المغربية والدولية ط1 ، طنجة ، 1990 ، ص 75 .

[5] المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج2 ، ص267. عبد الرحمن علي الحجي ، الكتب والمكتبات في الأندلس ، ص 148.

[6] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 460 .

والمكتبات ، إذ يعد الكتاب – في بعض الأدبيات –وعاء المعرفة[1] ، ولقد ارتبط ظهور المكتبات ونشأتها وتطورها ارتباطا وثيقاً بالإنتاج الفكري من حيث الكم والنوع ، هذا الإنتاج الذي يرتبط بدوره ارتباطاً لا يقل شأناً عن سابقه بالحياة العلمية والفكرية في البلاد[2] .

لقد جاء فيما سبق أن الأندلسيين اشتهروا بحبهم وشغفهم بجمع الكتب ، وما قصة الفقيه الحضرمي الواردة سابقاً لخير دليل على ذلك ، هذا الشغف الذي لم ينحصر على العلماء وطلاب العلم بل شمل العامة كذلك وكانت هذه الهواية كعامل أول ، زيادة على رواج صناعة الورق ، ونسخ الكتب ، ورواج تجارتها كعامل ثان ساهما في إنشاء وتكوين المكتبات ، إما للقراءة والاستفادة من ذخائر الكتب ، أو للتباهي والتفاخر بين الناس كما هو الحال بالنسبة للطبقة الأرستقراطية[3] .

1- أنواع المكتبات : يصعب على الباحث في موضوع المكتبات تقديم إحصائية دقيقة وافية لعدد المكتبات التي كانت موجودة في الأندلس في فترة محل الدراسة ، فقد ظهرت بعض الإشارات غير الدقيقة في متون بعض الكتب فدائرة معارف القرن العشرين مثلاً تذكر أنه كان في الأندلس سبعون مكتبة عامة ، وقد بلغ عدد الكتب الموجودة بمكتبة قرطبة لوحدها أربع مائة ألف (400000)مجلد[4]، وكذلك إشارات المؤرخ حامد الشافعي دياب الذي ذكر بأنه كان في قرطبة لوحدها عشرون (20) مكتبة [5] .

وبعيداً عن الأرقام والإحصائيات ، فالظاهر أن المكتبات في الأندلس تميزت بأشكال ، وأنواع عدة يمكن إجمال أهمها فيما يلي :

أ) مكتبات المساجد : التي تعد أول نوع ظهر في الإسلام وليس في الأندلس فقط ، ويضم هذا النوع من المكتبات عادةً مجموعة من كتب القرآن الكريم والكتب الدينية ، وهي التي تُستغل مقتنياتها في حلقات الدرس بالمسجد ، ومن أشهر مكتبات المساجد في الأندلس مكتبة جامع قرطبة ، ومكتبة جامع طليطلة التي اشتهرت بالوفرة والتنوع [6] .

ب) المكتبات الخاصة : ويقصد بها المكتبات التي أُنشأت من طرف أشخاص معينين على نفقتهم الخاصة ولفائدتهم الشخصية ، وتميز بها العلماء بالأخص ، ومن أمثلة الذين أسسوا لمثل هذه المكتبات قاسم بن

---

[1] محمد ماهر حمادة ، المرجع السابق ، ص 27 .

[2] حامد الشافعي دياب ، المرجع السابق ، ص 93 .

[3] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص66 .

[4] محمد فريد وجدي ، المرجع السابق ، م8 ، ص 62 . (مادة كتب).

[5] حامد دياب الشافعي ، المرجع السابق ، ص98 .

[6] نفسه ، ص ص 100 – 101 .

سعدان(ت347هـ/958م)[1] الذي عرف بحبه لاقتناء الكتب، إذ كان ضابطاً لها ، واشتغل في نسخها ،ومقابلتها إلى أن توفي[2]، واشتهر عبد الله بن محمد الجهني الطليطلي(ت383هـ/993م) الذي كان شديد التحفظ في إعارة الكتب للآخرين إلا إذا تيقن من أمانته[3] .

كما كان لبعض البسطاء و ذوي الأجرة الضعيفة مساهمة في الاهتمام بإنشاء مثل هذه المكتبات وكان منهم مثلاً معلم الصبيان حزم ، إذ كان يدخر أجره القليل في معظمه لشراء الكتب ، يشتغل في نسخها إلى درجة أن حسده بعض أدباء قرطبة على روعة ودقة مخطوطاته ، وحصوله على بعض المخطوطات النادرة ، ولقد ورثه ابنه محمد (عاش في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) هذا الشغف والهواية أصبح بفضلهما راوية في الأدب[4] واشتهرت كذلك عائشة بنت أحمد القرطبية(ت400هـ/1009م)[5] فقد كانت تجمع الكتب ولها خزانة كتب كبيرة[6] ، وكذلك الشأن لأبي حفص الزهراوي عمر بن عبيد الله الذهلي (ت454هـ/1062م) الذي نهب البربر ثمانية أحمال من كتبه عندما هم بإخراجها من بيته إلى مكان آخر [7].

وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الأعلام لم تكن همتهم تقتصر على جمع الكتب فقط ، بل كان منهم من يعتني بها ويتأكد من محتوياتها ، وإفادتها لمن أراد التزود بالمعرفة والعلم ، إذ كان أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الأموي الطليطلي(ت400هـ/1009م)على سبيل المثال يصحح ما في الكتب من أخطاء أو خلل أو نقصان وكانت جلها بخط يده وهي من أصح الكتب بطليطلة ضبطاً وتصحيحاً [8].

---

[1] قاسم بن سعدان بن عبد الوارث ، من أهل رية ، سكن قرطبة ، يكنى بأبي محمد ، حسن الخط ، جيد الضبط ، عالماً بالحديث ، بصيراً بالنحو شاعراً ، اشتغل في نسخ الكتب ومقابلتها إلى أن توفي ، حبس كتبه ، واستفاد منها طلبة العلم . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 614 – 615 .

[2] نفسه .

[3] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 383 وما بعدها .

[4] خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 165 .

[5] ووُصف في فضلها بأنها "لم يكن في حرائر الأندلس في زمانها من يعدلها فهمًا ، وعلمًا ، وأدبًا ، وشعرًا ، وفصاحةً ، وعفةً وجزالةً"، وكانت تمدح ملوك الأندلس وتخاطبهم ، وكانت حسنة الخط وتكتب المصاحف والدفاتر .ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 992 – 993 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 208.

[6] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 992 - 993 .

[7] نفسه ، ج2 ، ص 583 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص69 .

[8] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص51 وما بعدها . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 70 .

ويمكن أن نضيف لهذا الصنف مجموعة الوراقين والنسّاخ الذين كانت في بيوتهم ودكاكينهم العدد الكبير من الكتب إما للتجارة ، أو الاستفادة منها علميًّا .

ج) مكتبات القصور: يرجع إنشاء مثل هذه المكتبات في الأندلس إلى عصر محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (238-273هـ /852-886م)، فقد اشتهر الأمويون في الأندلس باهتمامهم بالتعليم ، والتي كانت الكتب إحدى وسائله، وظهر في عصر هذا الأمير المذكور ما عرفت في الأدبيات التاريخية ما يصطلح عليه بالمكتبة الملكية والتي وصفت بأنها الأحسن ما في مدينة قرطبة [1] .

ولقد أظهر الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله (300-350هـ/912-961م) حبه وعنايته للعلم والكتب ، وقد بلغ ذلك مسامع الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع[2] الذي أهدى إليه كتاب ديسقوريدس في الطب والنبات ، وقد زُين برسومات جميلة للنباتات المذكورة في الكتاب [3].

ولقد أدى اهتمام الخليفة الحكم المستنصر(350-365هـ/961-975م) وشغفه بالكتب إلى الحرص بتزويد مكتبة القصر من الكتب في مختلف العلوم والفنون ، واشتهر بحبه للعلم والمشاركة فيه حتى قبل أن يعتلي سدة الحكم ، ولقد جلب بواسطة أعيانه أو العلماء أو التجار من المشرق المؤلفات الجليلة والمصنفات النادرة في شتى مجالات العلم والمعرفة ، واجتمعت في خزائن كتبه ما لم تُجمع لأحد من قبله حتى أن صاعد الأندلسي(ت462هـ /1069م) ذهب إلى حد القول بأنه : " جمع الكتب منذ أبيه ومدة حكمه ما كاد يضاهي ما جمعته ملوك بني العباس "[4]، ولقد قدم المقري رقماً عن عدد الكتب التي تحتويه مكتبته إذ قدرها بأنها بلغت الأربعمائة ألف مجلد وأن الأندلسيين لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها[5].

وإذا قيل مكتبة الحكم فإنه المقصود بها مكتبة قرطبة وهي الشهرة المذكورة في المصادر ، تلك المكتبة التي احتلت المرتبة الأولى في ذلك العصر ليس في الأندلس فقط ، وإنما على مستوى كل مكتبات العالم الإسلامي من حيث

[1] حامد الشافعي ، المرجع السابق ، ص 108 .

[2] يدعى بورفيروجنيتوس Porphyrogenitus أي لابس الأرجوان الذي حكم بيزنطا في فترتين (914-919م) وَ(945- 959م). قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية** ، عرض وتحليل وتعليق محمود سعيد عمران ، دار النهضة العربية ، بيروت 1980 ، ص ص 5 ، 10، 16 .

[3] وديسقوريدس هو طبيب يوناني عاش في القرن الأول للميلاد. ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص26، 494. أنخل جنثالث بالنثيا المرجع السابق ، ص ص 462 – 463 .ويُنسب ابن أبي اصيبعة أن هذه الهدية كانت من الإمبراطور رومانوس القيصر الذي حكم بيزنطا بين 920-944م وليس من قسطنطين السابع. نفسه ، ص 493 .

[4] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 66.

[5] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 307 .

مكانتها وضخامة عدد كتبها ومصنفاتها ، وكذلك من حيث تنوعها في مختلف مجالات العلوم، والمعرفة، والفنون[1] ويصفها المقري مُختصِراً في ذلك بقوله:" أنه جمع من الكتب – أي الحكم المستنصر- ما لا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة"[2]، ولقد تكونت مكتبة الحكم وبلغت هذا الشأن بسب اجتماع ثلاث مكتبات وهي[3] :

- مكتبة القصر التي اشتملت على ما جمعه أسلافه من الأمراء ، وأبيه الخليفة الناصر .
- مكتبة أخيه عبد الله بن عبد الرحمن (قُتل 339هـ/951م)التي ورثها بعد مقتله.
- مكتبته الخاصة ، والتي جمع كتبها من ماله الخاص ، وجهده .

وأصبحت مكتبة الحكم مقصداً لطلاب العلم والعلماء على حد سواء ، إذ كانت تسهل مطالعة كتبها من خلال تسخير خدمة الفهارس لمرتاديها ، فقد بلغ عددها أربعة وأربعين فهرسة ، وفي كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها ذكر إلا الدواوين لا غير [4].

واشتهرت في مثل هذا النوع من المكتبات في عصر ملوك الطوائف مكتبة المظفر بن الأفطس صاحب مملكة بطليوس(436-453هـ/1045- 1062م) المعروف بحبه لأهل العلم ، وتوقيره لهم ، ويعد هو في حد ذاته من علماء عصره ، وله شغف شديد بجمع كتب العلم ، وبلغ أن الأعداد الضخمة من الكتب والمجلدات التي كانت تحتويها مكتبته قد اجتمع أهل قرطبة في جمعها ونقلها مدة عام كامل[5] ، وعرف عن مجاهد العامري حاكم مملكة دانية (412-436هـ/1021-1044م) حبه لجمع الكتب ، حيث كانت له خزائن جمة من الكتب [6].

والملاحظ أن هذه المكتبات ، وعلى الرغم من أنها أُسست بحساب المجهود الشخصي للأفراد أو الخلفاء والحكام ، إلا أنها كانت مفتوحة لجميع القراء والمهتمين بالدراسة ، والمطالعة ، والتثقيف[7].

د) المكتبات العامة : تميز هذا النوع بالكثرة ، الأمر الذي ساهم في ازدهار الحركة الفكرية في الأندلس[8] وقد قام من خلال تمويل السلطة ، لكنه لا يرقى من حيث الرصيد ، ونوعية الكتب التي يحتويها إلى مصاف الكتب الخاصة ، لقلته من الكتب النفيسة التي تتطلب رصد أموال ضخمة لاقتنائها[9] .

[1] حامد الشافعي دياب ، المرجع السابق ، ص108 .

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 307.

[3] ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ص 117 ، 120. حامد الشافعي دياب ، المرجع السابق ، ص 111 .

[4] ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ص100 .ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص118.

[5] ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 123 ، 377 .

[6] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق3 ، م1 ، ص23 .

[7] حامد دياب الشافعي ، المرجع السابق ، ص103 .

[8] نفسه ، ص 104 .

[9] خميسي بولعراس ، المرجع السابق ، ص 141 .

وتتألف بعض المكتبات الأندلسية من مجموعة أقسام رئيسية ، وهي المسؤولة عن كيفية إعداد الكتب وإنتاجها ، وترتيبها ، وتنظيمها ، ويمكن ذكر أهم هذه الأقسام فيما يلي:

د-1)قسم للتأليف: كالذي كان موجوداً في مكتبة الحكم المستنصر، والتي لم تكن مجرد مكتبة للاطلاع بل بمثابة مركز للبحث والدراسات والتأليف والترجمة ، وفي هذا القسم يتم تكليف علماء معنيين بتأليف الكتب في تخصصات معينة ، ومثال ذلك عندما كُلف الفقيه محمد بن الحارث الخشني(ت361هـ/971م)[1] بتأليف كتب فألف كتاب تاريخ قضاة الأندلس ، الذي ارتبط هذا العنوان باسمه ، وكان هذا التكليف بأمر من الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ثم ابنه الحكم المستنصر ، وهذا بهدف دعم المذهب المالكي – المذهب الرسمي المعتمد- في الأندلس ضد دعاة المذهب الشيعي الإسماعيلي من الفاطميين الذين حاولوا نشره في الأندلس [2] .

د- 2) قسم الترجمة : الذي اهتم بترجمة أهم الكتب من اللغات الأجنبية كاليونانية ، واللاتينية ، والهندية إلى اللغة العربية خاصة في مجالات معينة كالطب والهندسة والفلك ، وممن اشتغل في هذا الميدان محمد بن سعيد الوراق (ت 361هـ أو 362هـ/971م/أو 972م)[3] ، وغيره .

د -3) قسم التدقيق ، ومراجعة الكتب ، وتصحيحها ، وتهذيبها : ويقوم بهذه المهمة علماء أجلة منهم مثلاً محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي النحوي (ت 358هـ/ 968م)، وغيره.

د – 4) قسم النسخ : و يتمثل دوره في رواج الكتب وتوفرها ، إذ كان بمثابة عملية النشر في عصرنا المعاصر وكان في مكتبة الحكم المستنصر مثلاً قسم خاص بهذه الوظيفة ؛ فكان فيه جيش من النساخ المتخصصين والمتمرسين ، الذين يجيدون النسخ ، ويتميزون بجودة الخط وأمانتهم في النقل كل حسب تخصصه فضلاً عن مهاراتهم في فن التجليد ، والزخرفة لإخراج الكتب في أحسن حال[4].

د – 5) قسم الإعداد الفني للكتاب : من خلال وضع الفهارس ، وتصنيفها لتسهيل تناولها وتداولها بين القراء ونبقى على مثال مكتبة الحكم المستنصر، والتي كانت فيها فهارس عناوين الكتب والدواوين تضم ما يعادل أو

---

[1] يكنى ، بأبي عبد الله ، فقيه ،شاعر ، وله معرفة بالكيمياء ، تفقه بالقيروان ، وسكن بقرطبة ، عينه المستنصر على المواريث ببجانة ، ثم الشورى بقرطبة ، له العديد من المؤلفات منها الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك ، التحاصر والمغالاة في الفتيا ، تاريخ علماء الأندلس ، وتاريخ قضاة الأندلس . القاضي عياض ، المصدر السابق ، ص ص 531 – 532 .

[2] حامد دياب الشافعي ، المرجع السابق ، ص 118 .

[3] من أهل استجة ، سكن قرطبة ، كان معتنيا بالكتب ، متصرفاً بالآداب. ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 742.

[4] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ص 156، 173. حامد الشافعي دياب ، المرجع السابق ، ص 120 .

يزيد عن أربعة وأربعين فهرساً ، وفي كل فهرس عشرون ورقة حسب رواية المقري ، وقيل بلغت الخمسين ورقة في رواية ابن حزم[1] .

وقد كان لابن النديم(ت377هـ/987م) صاحب الفهرست الفضل في وضع خطة لترتيب ، وتنظيم الكتب على الشكل ما هو معروف بالفهرسة الوصفية التي تتضمن معلومات حول موضوع الكتاب وصاحبه وقسم ابن النديم فهارس المكتبات إلى عشرة أقسام سمّاها المقالات وهي : القرآن – النحو – التاريخ – الشعر – العقائد – الفقه –الفلسفة – السمر– الأديان – علم الصنعة ، وربما هذا التقسيم هو المعمول به في المكتبات الأندلسية الكبرى كمكتبة الخليفة الحكم المستنصر[2].

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأقسام لا توجد في كل المكتبات الأندلسية إلا المكتبات الكبرى كمكتبة الحكم المستنصر بالله مثلاً ، وربما تكتفي بعض المكتبات بقسمين أو ثلاثة على الأكثر ،كالاكتفاء بتوفير قسم خاص بالاطلاع ، و آخر خاص بالإعداد الفني ووضع الكتب على الرفوف ، وثالث للتأليف والنسخ والترجمة وما يتعلق بذلك [3].

ولقد تعددت أهداف إنشاء المكتبات والغرض منها ، إما لأهداف تربوية وتعليمية ، وهو الذي يهم موضوع هذا البحث ، إذ كانت المكتبات ولا تزال تمثل مركزًا للتربية والتعليم من خلال مساعدة المتعلم والمعلم في تدعيم المناهج التعليمية بالدروس والمواضيع ذات الصلة في شتى مجالات العلم والتخصصات ، زيادة على أهداف دينية واجتماعية ، ومعرفية ، وتثقيفية ، وحضارية [4].

وفيما يخص نظام الإعارة وكيفيات الاستفادة من الكتب ، فقد كان ارتياد معظم هذه المكتبات للاطلاع الداخلي متاحاً للجميع ماعدا مكتبة الحَكَم التي كانت مقتصرة على النخبة في عصر الخلافة ثم فتحت للجميع في عصر ملوك الطوائف وما بعده[5]، وكانت الإعارة الخارجية جد صعبة تتأرجح بين المنع والإباحة وهذا حسب قيمة الكتاب وندرته وحسب مكانة المستعير العلمية والاجتماعية خوفاً من الضياع ، وفي بعض المكتبات لا يسمح بإعارة الكتب خارجياً إلا للأشخاص الموثوق فيهم من العلماء وعلية القوم[6] .

---

[1] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص100. المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 300.
[2] حامد الشافعي دياب ، المرجع السابق ، ص 126 .
[3] نفسه ، ص117 .
[4] نفسه ، ص 127 وما بعدها .
[5] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص92. خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 127 .
[6] حامد الشافعي دياب ، المرجع السابق ، ص 132.

وشاع نظام الإعارة فيما بين المكتبات في إطار ما يصطلح عليه الإعارة الداخلية بين المكتبات ، وكذلك الشأن بين العلماء ، إذ جرت العادة أن يستعير هؤلاء من بعضهم البعض الكتب خاصة منها المصادر النفيسة[1] .

ومما سبق ذكره في جزئية الكتب والمكتبات وأثرهما في الحركة التعليمية والعلمية والفكرية بصفة عامة ؛ فإن الهدف منها هو بيان مدى المكانة التي وصل إليها المجتمع الأندلسي من رقيٍّ حضاري آنذاك ، حيث كثر عدد المتعلمين والعلماء والفقهاء والأدباء مما انعكس إيجاباً على حياة الأندلسيين العلمية وحتى العملية ، وبهذا الحال صارت الأندلس أحد الجسور الثلاثة التي اشتهرت بنقل الحضارة الإنسانية الإسلامية من بلاد الإسلام إلى أوروبا بعد القسطنطينية ، وصقلية ، وهذا بفضل عناية واهتمام أهل الأندلس بالكتاب والمكتبات ذلك الموروث المادي الثقافي النفيس .

المطلب الثاني : الرحلة العلمية ودورها في الحركة التعليمية

جاء مصطلح الرحلة مشتق من لفظ رحل أي سار فمضى[2] ، ويقال أن الترحيل والإرحال أي الإزعاج وهذا اللفظ يعبر عن الخوف والقسوة ، فقد كان القدامى لشدة الرحلة يخصصون لها النياق الأشد والأقوى على السير ويقال ناقة رحيلة ، بمعنى شديدة قوية على السير ، وكذلك يقال جمال رحيل ذو رحلة أي ذو قوة على السير ثم جرى ذلك على المنطق حتى قيل ارتحل قوم عن المكان ارتحالاً ، ويقال رجل رحول وقوم رحل أي يرتحلون كثيراً والترحال والارتحال بمعنى الانتقال ، والرحلة اسم للارتحال للمسير ، ويقال دنت رحلتنا ورحل فلان وارتحل وترحل[3] .

ويشار أن الرحلة الأندلسية من أهم مميزاتها تعدد أنواعها فهناك ما يعرف بالرحلة السفارية (وهي سياسية دبلوماسية) كرحلة السفير يحيى الغزال(ت250هـ/864م) مبعوث الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) إلى ملك النورمان ، والرحلة الحجازية ، وكذا الرحلة الاستطلاعية والاستكشافية ، والرحلة العلمية[4] ، وهذا النوع الأخير هو المقصود في بحثنا.

لقد كانت الرحلة في طلب العلم ، أو ما يعرف اختصاراً بالرحلة العلمية حاجة كل طالب أو عالم في العصر الوسيط ، لذلك كان اكتساب العلم مرادف وملازم لمعنى السفر في القرون الأولى للهجرة ، ولقد اعتاد العلماء الأندلسيون على الرحلة من أجل الاستزادة بالعلم منذ العصر الأول للفتح ، فكان طلب العلم مظهراً من

[1] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 165 .

[2] ابن منظور الإفريقي، المصدر السابق ،م11 ، ص 278 .

[3] نفسه ، م11 ، ص 276 وما بعدها.

[4] توجد دراسة خاصة لهذه الأنواع بالتفصيل ، أنظر إلى أحمد بوغلا ، **الرحلة الأندلسية (الأنواع والخصائص)** ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ط1 ، الرباط ، 2008 ، ص16 وما بعدها .

مظاهر التعبير عن ارتباطهم بالمشرق روحياً وعلمياً ، ونتج عن ذلك عدد لا يُقدر ولا يُحصى من الرحلات ، والتي لم يدون منها إلا القليل[1].

ولقد لازمت الرحلة العلمية بتحقيق غرضين هامين هما :

- هدف ديني ، وهو تأدية فريضة الحج .
- هدف علمي من أجل لقاء العلماء الموجودين هناك سواء علماء مكة والحجاز أو المشرق أو غيرهم من البقاع الأخرى ، وهذا لتلقي العلم والتحصيل أو تبادل المعارف و المناظرة وغيرها من أشكال التعليم ، ولا يتم كل ذلك إلا بعد أداء مناسك الحج[2].

وتجدر الإشارة إلى ضرورة التمييز بين استفادة الطلبة الأندلسيين في رحلاتهم العلمية إلى المشرق ، وبين لقاءاتهم مع العلماء المشارقة الوافدين إلى الأندلس ، وكذلك احتكاكهم ببعض الأوروبيين الذين حلوا بقرطبة وطليطلة لنفس الغرض ، إذ كانت الأندلس في العصر الوسيط خاصة في العصر الأموي مقصداً وقبلةً لهؤلاء نظراً للتطور والرقي الحضاري الذي بلغته[3].

و كانت للرحلة العلمية التي يقوم بها طالب العلم الأندلسي دوراً هاماً بعد رجوعه إلى وطنه في تكوين شخصيته العلمية هذا على المستوى الشخصي ، أما على مستوى أهله ومحيطه فهو يقوم بنشر العلم الذي حصله في رحلته بين الطلبة الأندلسيين الذين لم يحالفهم الحظ في الارتحال ، والملاحظ أن هذه الرحلات كانت تتم بشكل فردي حسب الإمكانيات الفردية للطالب[4].

ولقد قام الطلبة العائدون من رحلاتهم العلمية بالإضافة إلى علماء المشرق الوافدين إلى الأندلس بتدعيم الحركة الأدبية والعلمية في مجالي التدريس والتأليف، ومن هؤلاء الطلبة العلماء مثلاً الفقيه قاضي القضاة الأندلسي يحيى بن يحيى الليثي(ت234هـ/848م) فبعد أن قرأ الموطأ بقرطبة عن زياد بن عبد الرحمن اللخمي(ت 183هـ/799م)[5] ، انتقل إلى المشرق وهو في سن الثامنة و العشرين من عمره ، واتجه نحو الحجاز

---

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 183 وما بعدها . ج3 ، ص 3 . أحمد بوغلا ، المرجع السابق ، ص 235 .

[2] التليسي بشير رمضان، **الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي** ، دار المدار الإسلامي ، ط1 بيروت 2003 ، ص 237 .

[3] زيغريد هونكه ، المرجع السابق ، ص 500.

[4] عبد القادر بوباية ، **إسهام التاهرتيين في الحركة العلمية بالأندلس** ، مجلة الخلدونية ، جامعة ابن خلدون ، تيارت ، عدد خاص ، أكتوبر 2009 ، ص 174 .

[5] فقيه قرطبي ، يكنى بأبي عبد الله ، يلقب بشبطون ، ويلقب كذلك بفقيه الأندلس ، من تلاميذ الإمام مالك بن أنس ، وهو أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس متفقهاً بالسماع ، عُرض عليه القضاء في عهد الأمير هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل (172-180هـ/788-796م) فرفض. ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ،ص ص154- 155. القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 349 وما بعدها .

وسمع من مالك بن أنس ، وأُعجب به وسماه "عاقل الأندلس" ، وعاد الفقيه يحي بن يحي الليثي إلى قرطبة وصارت له الصدارة في الفقه والقضاء ، ونال مكانة سياسية رفيعة في البلاط الأموي منذ عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل ، والتي تأثرت سلباً في عهد الأمير الحكم بن هشام (180 – 206هـ/796- 822م) بسبب حادثة الربض 202هـ/817م[1]، إلا أنه تعزز نفوذه أكثر في عهد عبد الرحمن بن الحكم الأوسط (206 –238هـ/ 822- 852م) حيث أصبح قاضي الجماعة ، بل ويتدخل في شؤون الحكم ، ويفرض رأيه على الأمير عبد الرحمن الأوسط[2].

وخصص المقري التلمساني(ت1041هـ/1631م)الباب الخامس من القسم الأول في كتابه نفح الطيب بذكر بعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق ، أما الباب السادس فذكر فيه بعض العلماء الوافدين إلى الأندلس من أهل المشرق، والذين كانت لهم مساهمة فعالة في تنشيط الحركة العلمية بالأندلس ، وتزويد طلبة العلم بالمعارف، وقد استفاد الطلبة الأندلسيون من هؤلاء العلماء في مختلف التخصصات خاصة منها الدينية ، والأدبية واللغوية .

والجدير بالذكر أن المقصود بالرحلة العلمية الأندلسية في موضوع دراستنا هذه هو استهداف الفئة الأولى التي ذكرها المقري في الباب الخامس السالف الذكر، وقد ذكرهم كذلك ابن الفرضي(ت 403هـ /1012م) في كتابه تاريخ علماء الأندلس ، وابن بشكوال (ت578هـ/1183م)في كتابه الصلة ، والأكيد أنه مهما خصصت من المجلدات فإنها لا تتسع لحصر وإحصاء كل هؤلاء الطلبة الذين رحلوا إلى المشرق بقصد التعلم أو الحج أو التعلم والحج معاً، من خلال لقاء علماء المشرق وأخذ العلم عنهم ، وكذلك تبادل التشاور في أمور العلم [3] .

---

[1] الربض هو حي من أحياء قرطبة ، يقع على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير ، ويمتد من ضفة النهر حتى بلدة شقندة المجاورة ، وهذا الحي قريب من مسجد قرطبة ، وقصر الامارة ، والسوق الرئيسي ، ويسكن فيه الفقهاء ، والطلاب الذين يدرسون في المسجد ، وعمال القصر ،وصغار التجار ، وأهل الحرف من المولدين والمستعربين ، وارتبط هذا الاسم بالأمير الحكم فأصبح يُطلق عليه الحكم الربضي ، وقد حدثت هذه الواقعة يوم الأربعاء 13 رمضان من سنة 202هـ/817م، وقَتَلَ الحكم من أهل الربض نحو الثلاثمائة ،وتتبع الباقي مدة ثلاثة أيام ، ومن الهاربين من استولوا على جزيرة ايقريطش (كريت)وأصبحت قاعدة الأندلسيين الشرقية في بحر الشام ومركز تهديد ضد البيزنطيين . ابن خلدون ، **تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**،دار الكتاب اللبناني ،بيروت،1968،م4،ص 274. السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 222 وما بعدها محمد سهيل طقوش ، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 187. خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص145 . وأنظر إلى بعض تفاصيل أحداث الربض في الفصل الرابع من هذه الدراسة ص402 وما بعدها .

[2] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص89 . فروخ عمر ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 99 .

[3] التليسي بشير رمضان ، المرجع السابق ، ص 237 .

والملاحظ أن الطالب الأندلسي الذي يرتحل إلى المشرق لهدف علمي في بعض الأحيان هو في حد ذاته عالم ومن علية القوم ، وأثناء تنقله هذا فهو حامل لإرث علمي نتاج المراحل الأولى من طلب العلم في وطنه الأم لذا كان يحظى بقدر كبير من الاحترام حتى لدى أهل المشرق [1] .

ولعرض نماذج من هؤلاء الطلبة العلماء الذين خرجوا من الأندلس للاستزادة من العلم ، فتجدر الإشارة إلى أنه لا يقتصر الحديث والتخصيص للطلبة الذين قصدوا المشرق الإسلامي إلى مصر ،والحجاز، والشام ،والعراق فقط ، وإنما كذلك بعض الحواضر المغربية كالقيروان ، وفاس، وغيرهما ، فالرحلة العلمية تعني كذلك زيارة و قصد طالب العلم كل مركز ديني أو علمي كالمسجد مثلاً أو دور العلم كبيوت العلماء أو غيرهما في أي حاضرة ثقافية كانت سواء في الأندلس أو خارجها ، أي كلما اتجه الطالب صوب الشرق أو جنوب الأندلس –مدن المغرب – فابن الفرضي(ت403هـ/1012م) مثلاً صنف القيروان ضمن حواضر المشرق وهو بصدد الترجمة للفقيه محمد بن وضاح الصدفي (توفي في عهد عبد الرحمن الناصر) لما قال: " ...ورحل إلى المشرق ، فروى بالقيروان تفسير القرآن ..."[2]، وذكر القيروان فقط في هذه الترجمة دون غيرها من الحواضر، كما أنه لم تقترن الرحلة العلمية بالحج دائمًا وإلزامًا، فقد قصد بعض العلماء الأندلسيين بعض الحواضر بعينها ثم رجعوا إلى الأندلس دون إقامة فريضة الحج في هذه الرحلة ،ومثال ذلك ما ذكره المقري ،وهو يترجم للعالم يوسف بن يحيى بن يوسف الأندلسي الأزدي المعروف بالمغامي(ت288هـ/900م) فبعد أن سمع من علماء الأندلس، رحل إلى مصر للسماع من علمائها، ثم عاد إلى الأندلس فأقام بقرطبة أعواماً ، ثم عاد إلى مصر ثانية ، وأقام بها ، وسمع الناس منه ، وعظمت شهرته في المشرق ، ثم انتقل إلى القيروان حيث أقام بها إلى أن توفي[3]، و فيما يلي عرض لأبرز هؤلاء الطلبة كنماذج لعدد كبير من الذين ارتحلوا طلباً للعلم ومن هؤلاء نذكر في عصر الإمارة مثلاً الفقيه يحي بن يحي الليثي (ت234هـ/848م) المذكور سالفاً ، والعالم الفقيه بقي بن مخلد (ت276هـ/889م)[4]، فبعد أن أخذ عن علماء

---

[1] عباس الجراري ، **الرحلة العلمية بين الأندلس والمشرق** ، كراسات أندلسية ، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات ، ط1 ، الرباط 2006 ، ص ص 110 – 111 .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص30.

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 129 .

[4] فقيه ، محدث ، حافظ ، ومفسر ، ومحقق ، وإمام قرطبي ، يكنى بأبي عبد الرحمن ، كان ورعاً ، فاضلاً ، زاهداً ، له رحلة إلى المشرق سمع من عدد كبير من المحدثين ، ومن مؤلفاته تفسير القرآن قيل بأنه لم يؤلف مثله في الإسلام ، مسند النبي صلى الله عليه وسلم ...الخ .ابن الفرضي المصدر السابق ، ق1 ، ص 91 وما بعدها . ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج1، ص 195 وما بعدها . المقري التلمساني ، المصدر السابق ج3 ، ص 129 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 60 .

الأندلس رحل إلى المشرق ، فسمع من علماء الحجاز ، ومصر ، ودمشق ، وبغداد ، وسمع من أحمد بن حنبل (ت241هـ/855م)[1] ، وسمع بالكوفة ، والبصرة ، وبلغ عدد شيوخه مائتين وأربعة وثلاثين رجلاً[2].

وفي عصر الخلافة كان الحافظ القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى(ت339هـ/1008م)[3]، وهو أحد أحفاد الفقيه يحيى بن يحيى الليثي ، وقد رحل أبوعبد الله محمد من قرطبة إلى المشرق سنة 312هـ/ 924م ، فدخل مصر، وحج ، وسمع بمكة ، ولما رجع إلى الأندلس سنة 314 هـ/ 926م ولاه عبد الرحمن الناصر قضاء جيان(Jaen)، ثم البيرة ، ثم بجانة ، ثم طليطلة ، ثم قاضي الجماعة بقرطبة سنة 324هـ/935م ، وكان كثير الخروج إلى الثغور حيث توفي في أحد حصون طليطلة[4]، وكذلــك الفقيه القاضي منذر بن سعيد البلوطي(ت355هـ/966م)[5] فبعد أن سمع من بعض علماء الأندلس رحل حاجاً سنة 308هـ/920م، وبلغت شهرته وفضائله آفاق المشرق " فقد سمع من علماء مكة [6]، وروى عن علماء مصر ومما وصف به الفقيه القاضي البلوطي أنه كان متفنناً في مختلف العلوم من فقه، وتفسير، ونحو، وأدب، وجدل ومنطق ، خطيباً فصيحاً ، وقد غلب عليه التفقه بالمذهب الظاهري ، والبحث فيه والاحتجاج به لنفسه وأصحابه أما في القضاء فقد كان يحكم بين الناس بالمذهب المالكي ، وهو المذهب الرسمي المعتمد لدى الدولة الأموية في الأندلس آنذاك[7]، وقد أقام البلوطي في رحلته أربعين شهراً ، ولم يكتف بأخذ العلم عن علماء المشرق ، بل كانت

---

[1] إمام المذهب الحنبلي الذي ينسب إليه ،نشأ منكباً على طلب العلم فسافر من أجله إلى أماكن عديدة منها الكوفة ،البصرة ، الشام ،المغرب اليمن ، وخراسان ، له مؤلفات كثيرة منها المسند الذي يحتوي على ثلاثين ألف حديث ، وكتاب التاريخ ،والناسخ والمنسوخ وغيره. السلماني(يحي بن ابراهيم)، **منازل الأئمة الأربعة** ،تحقيق محمود بن عبد الرحمن قدح ، الجامعة الإسلامية ، ط1 ، المدينة المنورة، 2002 ، ص234 وما بعدها. الشيرازي الشافعي، المصدر السابق ، ص91وما بعدها. الفراء البغدادي(محمد بن أبي يعلى) ، **طبقات الحنابلة** ،تحقيق وتقديم وتعليق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1999 ، ج1 ، ص 08ومابعدها. المقدسي الحنبلي(أبا عبد الله محمد بن أحمد) **مناقب الأئمة الأربعة** ، تحقيق سليمان سلم الحرش ، دار المؤيد ، (د.ت) ، ص127 وما بعدها.

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 127 – 128 .

[3] قاضي الجماعة بقرطبة ، له عناية بعلم الإعراب ومعاني الشعر . ابن الفرضي ، المصدر السابق ،ق2 ، ص 59 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص188وما بعدها .الخشني ، المصدر السابق ،م6 ، ص233 وما بعدها.

[5] قاضي الجماعة بالأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ثم ابنه الحكم المستنصر إلى أن توفي هو ، له مؤلفات في القرآن ، والفقه ، والسنة والرد على أهل الأهواء .النباهي المالقي ، المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، ص66 وما بعدها . محمد الشريف قاهر ، **منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي خاطباً قاضياً شاعراً** ، مجلة الدراسات الإسلامية ، المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، العدد02 ، ديسمبر 2002، ق2 ص128 وما بعدها .

[6] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 144. المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 195 .

[7] نفسه ،ج2 ، ص 195 .

له مساهمة جليلة في التدريس ، وعلا شأنه ومقامه ، إذ كان يعقد حلقات علمية ، فسمع منه علماء في مكة ومصر[1] .

أما في عصر ملوك الطوائف نذكر من هؤلاء الطلبة العلماء أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبد السلام الأنصاري(ت455هـ/1063م) ، فبعد أن سمع من علماء طليطلة رحل إلى مكة حاجاً ، ثم سمع من علمائها ، وسمع من علماء مصر ، وهو في طريق العودة إلى بلاده[2] .

وكذلك العلامة القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي(ت474هـ/1081م) الذي حج أربع مرات كانت منها رحلته التي قام بها سنة(426هـ/1034م) فحل بمصر وسمع بها، وأقام ثلاثة أعوام ملازماً للعالم الفقيه أبي ذر الهروي(ت435هـ/1043م)[3]، ورحـل إلى بغداد ، ودمشق ، ولقي العلماء في تلك الرحلات وقد اشتهر بين طلبة وعلماء بغداد ، حيث مكث بهذه الأخيرة ثلاثة أعوام يدرس الفقه ، ويقرأ الحديث ، وأقام بالموصل مدة سنة ، يأخذ علم الكلام ، فبرع في تلك الفترة في " علم الحديث وعلله ورجاله ...وفي الفقه وغوامضه وخلافه ، وفي الكلام ومضايقه ..."[4]، ولما رجع إلى الأندلس بعد ثلاث عشرة سنة من رحلته العلمية البحثية ، وجدها ممزقة بين ملوك الطوائف ، وحاول أن يصلح بينهم ، فكانوا يستثقلونه بهذا المطلب ، وقد ولي القضاء ببعض المناطق من الأندلس[5] .

ومن العلماء الذين رحلوا إلى المشرق أبو حفص عمر بن حسن الهوزاني (قُتل 460هـ/1067م) الذي استأذن المعتضد بن عباد(433–461هـ/1041–1069م)[6] صاحب اشبيلية للحج سنة 444هـ/1052م

---

[1] نفسه . قاسم الحسيني ، المرجع السابق ، ص 127 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 792 – 793 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 220 .

[3] اسمه الأصلي هو عبد أو عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الأنصاري المالكي ، المعروف بابن السماك ، سمع بهراة التي تقع بالحجاز، البصرة ، بغداد ، دمشق ، مصر ، وجاور بمكة ، ألف معجماً لشيوخه ، كان يحج كل عام ويحدث ثم يرجع ، ثقة ، ضابطاً ، زاهداً وصار من كبار علماء ومشايخ الحرم المكي ، يشار إليه في التصوف ، اختص في تخريج صحاح الأحاديث النبوية الشريفة خصوصاً صحيح البخاري . نفسه ، ج2 ، ص ص 233 – 234 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص234.

[5] نفسه ، ص238 .الضبي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص385-386. ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص317 وما بعدها .

[6] أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي ، تلقب بالحاجب وأبقى الخطبة في اشبيلية والمناطق التابعة لها باسم هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر ثم أعلن عن وفاة الخليفة هشام المؤيد وأخذ البيعة لنفسه ، كان صارماً شجاعاً شُبه بالخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في همته طمح إلى الاستيلاء على جزيرة الأندلس فدان له أكثر ملوكها ، فقد استولى على غربها ، له ديوان شعر يقع في نحو ستين ورقة ، توفي بإشبيلية . ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ،ج3، ص204 وما بعدها . عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص66 وما بعدها . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص ص 257 – 258 .

فرحل إلى مصر فمكة ، وسمع في طريقه كتاب صحيح البخاري ، وهو أول من أسمعه لأهل الأندلس ، ولما عاد إلى الأندلس سكن بإشبيلية حيث قتله المعتضد بسبب سابقة بينهما لم تذكر المصادر أسبابها[1] .

ولم يكتف العلماء أثناء رحلاتهم العلمية بالأخذ من علماء المشرق ، بل تعدى إلى الإنتاج ،والتلقين والمشاركة في الحلقات العلمية ، والأكثر من ذلك كانوا يدرسون الطلبة ، ومارسوا التعليم في بعض الحواضر التي كانت تصادفهم في طريق الرحلة ، ومن هؤلاء مثلاً الوليد بن هشام بن المغيرة بن عبد الرحمن الداخل (ت399هـ/ 1008م)، إذ خرج من الأندلس ، ووصل برقة حيث اشتغل بتعليم الصبيان وتلقين القرآن الكريم[2] كما أورد المقري التلمساني أن العالم المعلم أبا علي الحسن بن خلف بن يحيى بن إبراهيم بن محمد الأموي (ت نحو500هـ/1106م)[3] بعد أن سمع في رحلته من بعض علماء مكة وبيت المقدس سنة 465هـ/1072م وبعسقلان[4] حيث تخصص في الأوقاف كان يقدم دروسه للناس في الإسكندرية سنة 469هـ/1076م، ثم دخل الأندلس فحل بدانية[5] سنة 472هـ/ 1079م للتدريس بها بطريقة الإسماع[6].

وعموماً فالغالب على الرحلات العلمية السالفة الذكر أن الهدف الشخصي منها هو البحث عن الإجازات ، والمشيخة دون إغفال المساهمة ، والمشاركة في التعليم[7] ، فيما يشبه في عصرنا الحالي بتبادل المعارف والخبرات بين علماء الأندلس ، ونظرائهم من تلك الأمصار ، وقد كانت رحلة البحث عن شيوخ العلم هي الأساس الأول ، وكذا الهدف ، والمنال في آن واحد ، هذا فيما يخص الهدف الشخصي الفردي لكل طالب .

أما الهدف الأسمى ونستطيع أن نسميه الهدف العام ، والذي يمس الحركة العلمية الأندلسية ككل فهو يتبلور في تقوية العلاقات الثقافية والعلمية بين علماء الأندلس ، والمشرق الإسلامي المركز الأم ، فقد بدأ الطلب العلمي الأندلسي في القرون الأولى من الوجود الإسلامي في الأندلس بكثافة من خلال تلك الرحلات العلمية التي قام بها الطلبة من الأندلس إلى المشرق ، وهي الأكثر شيوعاً ، وهذا لأن المشرق كان بمثابة المركز نظراً للمكانة المقدسة

---

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 251 – 252 .

[2] نفسه ، ج3 ، ص 247 .

[3] من أهل دانية ، يُعرف بابن برنجال ، كان فقيهاً ، ولي الأحكام ببلده . نفسه ، ج3 ، ص160 .

[4] تُلقب بعروس الشام ، ويقال عسقلان أي أعلى الرأس أي أن هذه المدينة تقع أعلى الشام ، وهي من أعمال فلسطين على ساحل الشرقي المطل على بحر الشام . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، م4 ، ص 122 .

[5] مدينة بشرق الأندلس على البحر ، مشهورة بكثرة شجر التين والكروم ، وكانت قاعدة لبناء الأساطيل البحرية ، ومنها تخرج للغزو، ويقع في جنوبها جبل عظيم مستدير. الحميري ، المصدر السابق ، ص ص 131 – 132 .

[6] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 120 .

[7] نفسه ، ص 131 .

لكل من الحاضرتين الشريفتين المدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، واستقطابهما للعلماء من العالم الإسلامي ، وكذلك وجود بعض العلماء والمشايخ من مختلف الحواضر العلمية المشهورة آنذاك في مصر، والعراق ، والشام ...الخ .

وبهذا عملت حركة الرحلات العلمية على توثيق الصلات والعلاقات بين الطرفين ، ونتج عن هذا ازدهار الحياة العلمية الأندلسية ، وبالتالي انتقل العلماء في الأندلس من مقلدين لعلماء المشرق إلى علماء منافسين ومتفوقين أحياناً[1]، ومثال ذلك ما ورد عن تلك المناظرة التي تفوق فيها الشاعر الأندلسي أبو مروان الجزيري (ت394هـ/1004م)على اللغوي الخطيب صاعد البغدادي(ت 475هـ/ 1082م) في مجلس المنصور بن أبي عامر، والتي انتهت بقول الحاجب المنصور : " لله درك يا أبا مروان قسناك بأهل بغداد – يعني صاعدا– ففضلتهم فبمن نقيسك بعد؟ "[2] ، هذا مثال عن فوائد ، وثمرات تلك الرحلات العلمية .

وتجلت أهمية الرحلة العلمية الأندلسية كذلك في تحقيق هدف اجتماعي ، وثقافي في آن واحد ، وهو توثيق الاتصال المادي ، والروحي بين الأندلس والمشرق ، فضلاً عن نقل علوم المشرق إلى الأندلس ، والعكس صحيح ؛ فقد ورد في موضع سابق من هذه الدراسة أن بعض الأندلسيين ممن تنقلوا إلى المشرق ، مارسوا وساهموا بفعالية في حقل التدريس والتعليم في بعض بلدان المشرق ، كما ساهموا في توفير بعض الخدمات كالطب مثلاً فالطبيب محمد بن عبدون الجبلي رحل إلى المشرق ، ودرس الطب حتى أتقنه هناك ، وفي أثناء عودته ساهم بعلمه وخبرته في خدمته الطبية بمارستان الفسطاط بمصر[3].

أ)–الحواضر والمراكز العلمية في طريق رحلة الطالب الأندلسي نحو المشرق :

لقد سلك الأندلسيون عامة ، وطلبة العلم خاصة في رحلاتهم نحو المشرق طرقاً مختلفة ، وربما الطريق الذي كان أكثر شيوعاً واستعمالاً هو ذلك الذي يمر بشمال المغرب الإسلامي ، ومصر ، وبلاد الشام ، ثم الاتجاه إلى العراق ، فبلاد الحجاز ، وهذا هو الطريق البري ، وهناك من سلك طريق البحر بالركوب إلى مصر ، ومنها إلى بلاد الشام عبر سيناء أو بلاد الحجاز بعد اجتياز بحر القلزم ، وهو ما يعرف بالطريق البحري ، ويلاحظ أن الفترة الزمنية لهذه الرحلات كانت تبلغ عدة أشهر ، وتمر على حواضر الأمصار الإسلامية المشهورة آنذاك كالقيروان والإسكندرية ، وبغداد ، والبصرة ، والكوفة ، ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، ويعرج بعض الطلبة إلى الحاضرة صنعاء في اليمن.

---

[1] عبد الواحد ذنون طه ، **دراسات أندلسية** ، دار المدار الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2004 ، ص191.

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 359- 360.

[3] ابن جلجل ، المصدر السابق ، ص115. عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 198 .

وفيما يلي عرض لأهم الحواضر ، ومراكز العلم التي قصدها الطلبة الأندلسيون للاستزادة بالعلم ، والمعرفة والتكوين — إن صح التعبير- ، وربما هذه الحواضر إما قصدها الطلبة بعينها ، أو مروا عليها في طريق الرحلة العلمية نحو المشرق ، وفي كلتا الحالتين فهم قد استفادوا من علماء تلك الحواضر واستزادوا منهم ، وقبل الخوض في عرض لأهم الحواضر التي كانت من أهم المراكز العلمية لتلقي طالب العلم المرتحل ، لابد من الإشارة إلى أنه كانت حواضر أندلسية قصدها الطلبة الأندلسيون، وكانت بمثابة منارات للعلم والمعرفة ، وفيها شيوخ علماء يشد إليهم الرحال ، لهذا نميز وجهين للرحلة العلمية الأندلسية وهما :

- الوجه الأول : يتمثل في الرحلة الداخلية ؛ أي انتقال طلبة العلم الأندلسيين بين الحواضر ، والمدن العلمية الأندلسية المعروفة كقرطبة ، اشبيلية ، طليطلة ، غرناطة ، والمرية...الخ .
- الوجه الثاني: وهو الرحلة الخارجية من خلال انتقال طالب العلم خارج الأندلس أي نحو المغرب أو المشرق.

* **الحواضر العلمية الأندلسية** : ومن أشهر الحواضر التي قصدها طلبة العلم داخل الأندلس :

1 – قرطبة[1] :

اشتهرت قرطبة كأهم حاضرة من الحواضر الأندلسية التي قصدها طلبة العلم ليس من الأندلس فقط ، وإنما من خارجها كذلك ، ويرجع دورها الحضاري الريادي منذ أن اتخذها الأمير عبدالرحمن الداخل عاصمة له ، واتبعه في ذلك خلفه من الأمويين بعده ، كما تدين قرطبة لجامعها الأعظم بالفضل في شهرتها ، هذا المسجد الجامع الذي أعاد بناءه عبد الرحمن الداخل سنة 169هـ/785م بعد أن ضم إليه كنيسة قديمة ، ولقد أتم هذه الزيادة خليفته هشام من بعده ، ثم زاد فيه من تبعهما إلى غاية أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي وقد وصف بأنه من أعظم مساجد الأندلس.[2]

وأصبحت قرطبة موطناً للفقهاء ، والأدباء ، والشعراء ، والفلاسفة ، والعلماء من مختلف ميادين المعرفة إذ ذكر المقري التلمساني نقلاً عن الحجاري صاحب المسهب قوله : "كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الإسلام ومجتمع علماء الأنام الأعلام (...) وإليها كانت الرحلة في رواية الشعر والشعراء ، إذ كانت مركز الكرماء ومعدن

---

[1] قاعدة الأندلس وأهم مدنها ، ومستقر وعاصمة خلافة الأمويين بها ، تقع على سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس.الحميري (محمد بن عبد المنعم) ، المصدر السابق ، ص 456 . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 324 .

[2] المقري التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1940 ص193.حسن عبد الحميد جبر المالكي ، **أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها** ، دار لكتاب الحديث، ط2 ، الكويت، 1999 ص215. إسماعيل سامعي ، **معالم الحضارة العربية الإسلامية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983، ص302. محمد محمد زيتون **المسلمون في المغرب والأندلس** ، دار الكتب ،(د.ب)، 1990 ، ص268. شوقي ضيف ، **من المشرق والمغرب بحوث في الأدب** الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، القاهرة ، 1998 ، ص164 .

العلماء ، ولم تزل تملأ الصدور منها والحقائب ، ويباري فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتائب..."[1] ، واشتهرت الحاضرة قرطبة ضمن أكثر مدن أوروبا سكاناً ، إذ بلغ عدد سكانها لوحدها في أزهى عصورها- عهد عبد الرحمن الناصر- نحو نصف مليون نسمة[2] ، وذاع صيتها في كل الأرجاء في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ونشطت الحركة العلمية فيها حتى أصبح اسمها يرتبط بالعلم ، والذي أصبح من معالمها البارزة التي يتفاخر بها أبناؤها[3].

كما وفد علماء من المشرق في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) إلى قرطبة ، إذ حلّ سنة 330هـ/941م اللغوي أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي(ت356هـ/967م) ، ولقد عهد إليه الخليفة الناصر بتأديب ولده وولي عهده الحَكَم ، وأهدى القالي كتابه الأمالي إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر[4] وبوفود القالي إلى قرطبة ازدهرت حركة الدراسات اللغوية والأدبية أكثر ، فعليه تتلمذ نخبة من طلبة العلم ومنهم أبوبكر الزبيدي(ت376هـ/989م)، وابن العريف الحسين بن الوليد (ت390هـ /1000م) وغيرهم [5].

وعرفت قرطبة في عهد الحكم المستنصر(350-366هـ/961-977م) نهضة علمية واسعة نتيجة الرخاء والثراء ، واشتهر الحكم باهتمامه ، وحبه للعلم ، وتوقير العلماء ، وشغفه للكتب جمعاً وقراءةً ، وفي بعض الأحيان تذييلها بتعليقاته وإضافاته ، بل وُصف بأنه كان خليفةً وعالماً مشاركاً في علوم عصره ، واشتهر بإتقانه لعلوم الشريعة حتى قيل أنه سمع منه الحديث بعض الشيوخ وأجازهم ما روى لهم ، وأجازوه ما رووا له[6]، إذ سمع من قاسم بن أصبغ (ت 340هـ/951م)، وأحمد بن دحيم ، وغيرهما [7] .

---

[1] المقري التلمساني، المصدر السابق ،ج2 ،ص7.السيد عبد العزيز سالم ، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية ، عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997 ،ج2 ، ص160.

[2] رينهرت دوزي ، المسلمون في الأندلس ،ج2 ، ص 56.

[3] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص159.عبد العزيز الثعالبي، **تاريخ شمال افريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية** تحقيق أحمد بن ميلاد ، محمد إدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1987 ، ص 99 .

[4] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص173.

[5] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 164 .

[6] حسين مؤنس ، **معالم تاريخ المغرب والأندلس** ، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية ،(د.ب) ،2004 ، ص 383.

[7] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1، ص 307. السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 163 .

وشجع الخليفة الحكم العلماء في نشر مؤلفاتهم حتى يستفيد منها الناس في مجالات العلوم الرياضية والفلك والطب والصيدلة ، ونتج عن هذا ظهور مدرسة أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي(ت427هـ/1036م)في الطب، وأبي الحسن علي بن سليمان الزهراوي(عاش في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد)في الهندسة[1].

ولم يقتصر على تشجيع العلماء المسلمين فقط بل كذلك غير المسلمين ، وهذا لمكانة جامع قرطبة الذي يعد من الوجهة العلمية أكبر جامعة إسلامية تدرس فيها علوم الدين واللغة للمسلمين والمسيحيين على حد سواء من أجل الدراسة والتحصيل ، ومن العلماء المسيحيين الذين برزوا في هذا العصر أسقف النصارى ريثموندو الألبيري المشهور باسم ربيع بن زيد الذي كان متمكناً في مجال الآداب العربية واللاتينية ، واشتغل بوظيفة المترجم الرسمي أو ما يعرف بكبير المترجمين للخليفة الحكم المستنصر[2] .

أما في عصر ملوك الطوائف فقد ازدهرت الحركة العلمية بقرطبة أيام حكم الوزير الأديب أبي حزم بن جهور(ت435هـ/1043م) فظهر علماء أجلة في مختلف المجالات والاختصاصات كالفقيه الظاهري ابن حزم (ت456هـ/1063م)، والوزير الشاعر ابن زيدون (ت463هـ/1071م) وغيرهم .

مما سبق ذكره يتضح أن قرطبة عرفت ازدهاراً عظيماً في مختلف العلوم والآداب والفنون جعلها بحق من أعظم الحواضر العلمية والثقافية في الغرب الإسلامي ككل ، فكانت قبلة ومقصداً لطلبة العلم .

والملفت للانتباه أن الحركة العلمية بقرطبة لم تصل إلى ذروتها إلا في عصر الخلافة ، وبالأخص في ظل حُكم الحكم المستنصر ، ولولا العلم لما وصل المنصور محمد بن أبي عامر إلى السلطة بعد أن قصد قرطبة طالباً للعلم فقط .

2 – اشبيلية [3] : التي ازدهرت بها الحركة العلمية مثلها مثل باقي الحواضر الأندلسية حتى أنه كثر فيها الشعراء والأدباء وأهل الفن والموسيقى ، فعُرفت بمدينة الأدب والطرب, واشتهر أهلها بحبهم للهو، وضرب بهم المثل في الخلاعة ، وانتهاز فرصة الزمن ساعة بساعة على حد وصف المقري[4]، ويرجع شغفهم بالغناء ربما لتأثرهم بشخصية زرياب(ت238هـ/852م) مغني الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط(206– 238هـ/

---

[1] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 70 .المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4، ص20. السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ص 165 .

[2] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 389 . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 307 .

[3] تعرف بالمدينة المنبسطة ، تقع غرب قرطبة ، تشتهر بالألبان ، وبزراعة وتجارة القطن ، وقصب السكر . العذري (أحمد بن عمر بن أنس) **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار** ، تحقيق عبد العزيز الأهواني ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، (د.ت) ،ص ص 95 – 96 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 172 .

822–854 م)[1] كما انتشرت بها المكتبات العامة انتشاراً واسعاً ، وعرفت هذه الحاضرة نهضة أدبية بلغت ذروتها في عصر ملوك الطوائف أثناء حكم بني عباد[2].

ولقد اشتهر في اشبيلية العديد من العلماء الذين قصدهم طلبة العلم من باقي حواضر الأندلس وخارجها فكان منهم على سبيل المثال الأديب محمد بن حسن بن عبد الله الزبيدي(ت379هـ/989م) الذي يعد وحيد عصره في علم النحو واللغة، وقد استأدبه الحكم المستنصر لابنه هشام المؤيد تعليمه علم الحساب والعربية[3] وكذلك إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الاشبيلي (ت420هـ/1029م) الذي كان بصيراً بالعلوم الرياضية ، وهو أحد المتكلمين الأندلسيين ،كما كانت له مشاركة في مختلف تخصصات المعارف والعلوم[4] .

3 – طليطلة [5]: فقد اشتهرت كأحد أهم المراكز الثقافية في الأندلس ، وانتشرت بها المكتبات العامة والخاصة وساعد في شهرتها ، وتميزها صناعة الورق ووفرته بها الذي لا مثيل من حيث الجودة[6]، وكذلك مسجدها الجامع ومسجد الباب المردوم الذي على الرغم من صغر مساحته إلا أنه يعد أهم مسجد في الأندلس بعد جامع قرطبة من حيث الجانب الفني المعماري[7] .

وبرز الدور الحضاري لمدينة طليطلة أكثر في عصر ملوك الطوائف تحت حُكم أسرة بني ذي النون البربرية[8] وعاشت هذه الأسرة حياة الترف والبذخ ، ومما يُحسب لملوكها أنهم شجعوا الأدباء والشعراء على إقامة مجالس الشعر والطرب ، وبهذا كانت طليطلة من أكبر حواضر الأندلس الثقافية في مجال الأدب والشعر والموسيقى[9] .

---

[1] سامية مصطفى مسعد ، **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300–399هـ/ 912– 1008م** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،ط1، 2000 ، ص 200 .شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص ص 147 – 152 .
Berge Marc , op – cit. , pp.457 -458 .

[2] سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص ص 198 – 199 .

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 89–90 .سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص199 .

[4] كرد علي ، **غابر الأندلس وحاضرها** ، المكتبة الأهلية ، ط1 ، 1923 ، ص 61 .

[5] عاصمة الثغر الأدنى ، وقد قيل أن المقصود بطيطلة بمعنى أنت فارح أو فرح ساكنها لحصانتها ومنعتها ، وتسمى كذلك مدينة الأملاك حيث قيل كذلك أنه ملكها اثنان وسبعون إنسانا عند المقري ، ولساناً عند الحموي ، ومدينة عاصمة القوط قبل الفتح الإسلامي ، تشتهر بإنتاج نبات الزعفران ، والصمغ. أبو عبيد البكري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 907. ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 8 . ياقوت الحموي المصدر السابق ، ج4 ، ص ص39–40 .المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 140 .

[6] سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 200 .

[7] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص402 .

[8] من بربر هوارة ، واستقروا في عهد الإمارة ببلدة شنتمرية بالقرب من طليطلة . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص418 .

[9] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص340. السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ص 105.

ومن العلماء الذين اشتهروا بطليطلة وانتسبوا إليها الفقيه العلامة عيسى بن دينار بن واقد الغافقي (ت212هـ /827م)[1] الذي كانت الفتيا تدور عليه لا يتقدمه في وقته أحد حتى قيل أنه كان أفقه من يحي بن يحيى الليثي (ت234هـ/848م)[2]، وكذلك الفقيه والمحدث محمد بن عبد الله بن عيشون(ت341هـ/952م)[3].

وتجدر الإشارة على أن الإشعاع العلمي والفكري لم يقتصر على الحواضر الأندلسية الثلاث السالفة الذكر وإنما قدمناها كنماذج فقط على سبيل المثال لا الحصر، فلا يتسع المجال والحال لذكرها كلها ، إذ لا يمكن الإغفال على أن معظم حواضر الأندلس كانت بمثابة منارات للعلم ومحط اهتمام طلابه، وقد تميزت كل حاضرة بخاصية وميزة معينة تنفرد بها عن غيرها أو تشترك معها خاصة في عصر ملوك الطوائف الذي تسابق فيه ملوك الطوائف لاحتضان العلماء ، فقد كان بعضهم يحسبون ضمن نخبة الأدباء ، والشعراء ، والعلماء أمثال بنو عباد في اشبيلية في مجال الأدب والشعر، وبنو هود في سرقسطة في مجال الفلك .

- **الحواضر العلمية خارج الأندلس** : وهي المدن والمنارات العلمية التي قصدها الطلبة الأندلسيون ، أو التي جاءت في طريق رحلتهم العلمية إلى المشرق ومنها على سبيل المثال :

1/ الحواضر المغربية : لقد اجتمعت عوامل كثيرة جعلت مدن العدوة المغربية هي أولى محطات طالب العلم في رحلته العلمية نحو المشرق من خارج الأندلس ، والأكيد أن أهم هذه العوامل هو القرب الجغرافي ، إذ لا يفصل بين العدوتين إلا مضيق يسهل العبور منه ، لهذا كان هذا المضيق من أهم قنوات الاتصال بين الضفتين[4] ،كما أن بعض الأحداث السياسية لبعض المدن الأندلسية والمغربية فرضت هجرات لعدد كبير من العلماء بين العدوتين سواء اختياراً أو اضطراراً.

1 – 1/ فاس[5] :

تشير بعض المصادر مثل المسالك والممالك للبكري ، وبعض الدراسات مثل ما قدمه السيد عبد العزيز سالم أن أولى الرحلات الجماعية الأندلسية التي وفدت إلى مدينة فاس استقرت في جزء من هذه المدينة ، وأطلق

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1، ص 331.

[2] نفسه . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ج4 ، ص49 .

[3] يكنى بأبي عبد الله ، سمع بطليطلة ، وبقرطبة ، ثم رحل إلى المشرق، وسمع من المحدثين ، ولما عاد الى الأندلس اشتهر بالعلم فأُخذ عنه ، توفي بطليطلة . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 61.

[4] سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 175 .

[5] تأسست على يد ادريس الثاني (177-213هـ/793 -828م) في سنة 192هـ/726م.ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 31 ، 38 .

على هذا الجزء عدوة الأندلسيين ابتداءً من سنة 192هـ/807م[1]، وبلغ عدد هؤلاء الذين فروا من الأندلس بعد حادثة الربض سنة 189هـ/804م حوالي ثمانية الاف بيت حسب رواية ابن أبي زرع [2].

وربما أسباب حيوية ، ونشاط حركة التنقل بين قرطبة ، وفاس تعود إلى حفاوة استقبال إدريس بن إدريس(ت213هـ/828م) مؤسس فاس للأندلسيين ، وتقريبهم ، ودليل ذلك أنه عين من هؤلاء العلماء الأندلسيين الوافدين عمير بن مصعب الأزدي (ت نحو225هـ/840م)[3] في منصب الوزارة ، وعامر بن محمد بن سعيد القيسي في القضاء ، وربما هذا التوقير والاحترام شجع العلماء الأندلسيين على الهجرة نحو فاس خاصة أتباع مذهب الإمام مالك [4] .

ولقد كان الكثير من أمراء فاس الأدارسة من محبي طلب العلم ،ومجالسة العلماء ، منهم مثلاً أحمد بن إبراهيم بن محمد (عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد)[5]، وكذلك يحيى بن إدريس بن عمر(ت332هـ/943م)[6] الذي كان يشهد مجلسه الكثير من العلماء والشعراء ، وينسخ له عدد من الوراقين [7].

ومما لا شك فيه أن عدداً كبيراً من أهل مدينة فاس كانوا من الأندلسيين الذين استقروا بها خاصة خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، حيث سيطر الأمويون الأندلسيون على بعض المدن المغربية الشمالية الساحلية لهذا ، فازدهار الحركة العلمية ،ونشاط العلماء كان مواكباً للوجود الأموي في الأجزاء المغربية السابقة الذكر ، علماً أن بعض الباحثين، ومنهم مثلاً الأستاذ عبد القادر بوباية وصفوا بأن عصر الخلافة الأموية بمثابة ذروة الحضارة الإسلامية في الأندلس[8]، وبالتالي لا مناص أن ينتقل هذا الإشعاع الحضاري إلى العدوة المغربية أينما وجد العلماء الأندلسيون بها .

---

[1] البكري أبو عبيد ، **المسالك والممالك** ، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفن ، أندري فيري ، بيت الحكمة ، قرطاج ، 1992 ،ج2 ،ص795 وما بعدها .السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ،ص224 .

[2] ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص47 . بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 240 .

[3] تنسب اليه عين عمير التي تقع على رسخين من مدينة فاس. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج5 ، 89.

[4] بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 240 .

[5] من العلماء الأدارسة الأجلاء ، كان يحفظ السير والتواريخ ، كما كان نسابة ، ويعرف بأحمد الفاضل ، واشتهر بميله وتعاطفه الشديد لبني أمية الأندلسيين حيث استأذنهم في دخول الأندلس للجهاد سنة332هـ/943م. البكري أبو عبيد ، المصدر السابق ، ص 130 . بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 242 .

[6] تولى الحكم سنة 292هـ/904م الى غاية نفيه من قبل الشيعة 309هـ/921م، اشتهر بالعدل والكرم ، واحترام العامة له ، وكان فقيهاً ،حافظاً للحديث ، فصيحاً ، ديّناً ، ورعاً . ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص ص 80-81.

[7] بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 242 .

[8] عبد القادر بوباية ، المرجع السابق ، ص 178 .

ومهما يكن من الأمر ، فالذي يهم بالحاضرة فاس بالنسبة لموضوعنا أنه كان لها دور إيجابي في التكوين العلمي والمعرفي للطالب الأندلسي القاصد إليها ، أو التي جاءت في طريق رحلته نحو المشرق ، إذ لابد من الإشارة إلى أهمية ، ودور جامع الأندلسيين بفاس ، الذي كان يضم خليطًا من المغاربة وعرب المشرق والأندلسيين ، إذ كانت تعقد فيه المناظرات العلمية ،والمجادلات الفقهية ، وكذلك في جامع القرويين ، ولقد ساهمت هذه الأجواء والمنافسات العلمية ، والمناقشات في التحصيل العلمي للطالب الأندلسي المرتحل، والتقرب من علماء هذه الحاضرة كما ساهمت كذلك في الإبداع الفكري والثقافي من خلال تأليف الكتب والمصنفات ، مما يؤدي إلى تزايد عدد المكتبات التي ساهمت المساجد في ظهورها في البدء باعتبار أن المسجد كان بمثابة المركز الذي يرعى هذه المناقشات الفكرية[1] ، هذه المكتبات وما تحتويه من ذخائر الكتب هي بدورها يستفيد منها الطالب الأندلسي في بحثه ، ورحلته العلمية .

1 – 2/ تاهرت[2] :

تعد مدينة تاهرت من أهم المراكز الثقافية في المغرب الأوسط ، فقد عمل أئمة وحكام الدولة الرستمية على تشجيع الحركة العلمية والثقافية[3]، وساهموا في نشر العلم ، وتوقير العلماء حتى أصبحت تاهرت قبلة لطلاب العلم ، وقصد بعضهم علماء الإباضية ، وتتلمذوا عندهم في العلوم العقلية من رياضيات وطب وكيمياء وغيرها[4] ولقد عرفت عاصمة الرستميين تاهرت ، وبعض مدن الأندلس كقرطبة مثلًا تبادل الهجرات العلمية [5].

---

[1] بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 245 .

[2] اسم لمدينتين متقابلتين في المغرب الأوسط يقال لإحداها تاهرت القديمة وقد اندثرت ، وعلى خمسة أميال منها تقع تاهرت المحدثة أو تاهرت السفلى ، وهي مدينة مسورة لها أربعة أبواب باب الصفاء أو الغزا ، باب المنازل ، باب الأندلس ، باب المطاحن تقع على سفح جبل يقال له جزول ، ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة ، اشتهر موقعها بشدة البرد وكثرة الغيوم والأمطار والثلوج ، كما اشتهرت بإنتاج مختلف أنواع الثمار. البكري أبو عبيد ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص733-734. ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، م2 ، ص17. الحميري المصدر السابق ، ص ص 126-127. وهناك من يرى أن المقصود بتاهرت بمعنى محطة أو إقامة باعتبار أن موقعها كان محطة لتوقف القوافل التجارية القادمة من مختلف الاتجاهات من الشرق (القيروان) ومن الغرب (فاس وسجلماسة) ومن الجنوب (الصحراء والسودان الغربي) ، ومنهم من يرى بأن المصطلحين هما في الأصل من اللهجة الزناتية البربرية بمعنى اللبؤة. جودت عبد الكريم يوسف ، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية** المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 2007 ،ص 284. أحمد بوزيان ، **تيارت عاصمة الدولة في عهد الرستميين** ، دار الهدى ، الجزائر 2004 ، ص 12 .

[3] عبد العزيز فيلالي، **المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس،** دار المعارف للطباعة والنشر ،تونس ،1991 ،ص97.مارمول كرباخال، **إفريقيا** ، ترجمة محمد حجي وآخرون ، دار المعرفة ، الرباط ، 1988 ،ج3 ، ص97 .

[4] عصام عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 156.

[5] سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 193 .

ولقد كان الكثير من العلماء الأندلسيين يمرون على تاهرت في طريقهم من وإلى الأندلس في رحلاتهم العلمية ، ونذكر منهم مثلاً الفقيه النحوي الغازي بن قيس(ت199هـ/814م)[1]، وحفيده محمد بن عبد الله (ت بعد 296هـ/908م) ، وفي المقابل عرفت الأندلس توافد الكثير من العلماء الرستميين بما يشبه التبادل العلمي والثقافي بين البلدين ، وكان من العلماء التاهرتيين الوافدين إلى الأندلس أبو زيد عبد الرحمن بن بكر بن حماد (ت 295هـ/907م)[2]، وكذلك أبو الفضل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله التميمي البزاز(ت395هـ/ 1005م)[3].

وعن طريق بني رستم نجح أمراء بني أمية في الأندلس بواسطة رسلهم وعلمائهم في الحصول على ما يحتاجون إليه من كنوز، ومؤلفات المشرق ، وأصبح علماء تاهرت بمثابة ذلك الوسيط الثقافي بين المشرق والأندلس[4]، دون التقليل من جهد علماء الأندلس الذي وصلوا إلى حواضر المشرق الأخرى ، ونقلوا ما نقلوا منها وعادوا بها إلى الأندلس .

وقد نتج عن هذا الدور الثقافي للرستميين نحو الأندلس أن ظهر تأثير إباضي تاهرتي في الأندلس ، وذلك في مناطق الالتقاء والتبادل التجاري بين الرستميين والأمويين ، وتجسد في منطقة قرية بلفين التابعة لمدينة المرية الأندلسية ، والتي كان أهلها على المذهب الإباضي ، وكذلك جزيرة يابسة(Ibiza) التي أشار إليها الباحث محمد عيسى الحريري بأنها كانت إباضية إلى غاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد [5] .

واشتهرت تاهرت باحتضانها مكتبة ضخمة عرفت باسم المعصومة[6] ، والتي كانت تحوي نحو ثلاثمئة ألف كتاب في مختلف العلوم ، ويرجح أنه استفاد منها طلبة العلم الأندلسيين الذين توافدوا على تاهرت أو الذين مروا عليها

---

[1] غازي أو الغازِ بن قيس الأندلسي، من الموالي ، يكنى بأبي محمد ، كان مؤدباً بقرطبة ، روى عن الإمام مالك كتاب الموطأ من حفظه ، وهو أول من أدخله إلى الأندلس ، وكان يحظى باحترام وتقدير الخليفة عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، وعرض عليه القضاء فرفض. الضبي ، المصدر السابق ج2 ، ص 575. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج5 ، ص 113.

[2] أصله من القيروان ، ولد وتعلم ونشأ بتاهرت ، ثم رحل إلى الأندلس ، وجلس للتدريس والتفسير والحديث بقرطبة وبها توفي . ابن الفرضي المصدر السابق ، ق1 ، ص 268. عبد القادر بوباية ، المرجع السابق ، ص176 .

[3] ولد بتاهرت سنة 309هـ/921م ،وحل مع أبيه بقرطبة وهو ابن ثاني سنين ، وسكن بها بالقرب من مسجد مسرور وكان أبوه محدثاً ، ووصف بأنه كان شيخاً صالحاً زاهداً ، منقبضاً عن الناس. ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 140 . عبد القادر بوباية ، المرجع السابق ، ص 176.

[4] نفسه ، ص 175 .

[5] نفسه . الحريري محمد عيسى ، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاته الخارجية بالمغرب والأندلس 160 – 296هـ** دار القلم للنشر والتوزيع ، ط3 ، الكويت ، 1987 ، ص 221 .

[6] وهو اسم لقصبة مشرفة على السوق بتاهرت . البكري أبو عبيد ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 733. ياقوت الحموي ، المصدر السابق م2 ، ص17 . الحميري ، المصدر السابق ، ص ص 126.

أثناء رحلاتهم ، والمؤسف أن هذه المكتبة الجليلة قد أحرقت من طرف الشيعة ، وهذا للقضاء على آثار وتراث الفكر الإباضي المعادي لهم [1].

1 – 3/ القيروان[2] :

لقد حظيت مدينة القيروان بمكانة هامة لدى المؤرخين كمنارة ومصدر إشعاع علمي وفكري باعتبارها أعظم الحواضر الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي على الإطلاق فهي أول حاضرة بنيت في الإسلام بإفريقية[3].

ولقد كانت الرحلة ما بين الأندلس والقيروان معروفة منذ القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي، وإذا كانت هذه الأخيرة بمثابة محطة عبور للأندلسيين نحو المشرق لأداء فريضة الحج أو طلباً للعلم أو للهدفين معاً ، فان بعض العلماء الأندلسيين كانوا ينتهزون الفرصة لمقابلة علمائها ، وكان الكثير من علماء قرطبة يتوقفون بها باعتبارها عاصمة فكرية لها مكانتها في الحضارة بالغرب الإسلامي [4].

وباعتبار أن القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي عرف انتشار المذهب المالكي في المغرب والأندلس مما ساهم في زيادة وكثافة الرحلات التي كانت تعقد من قرطبة إلى القيروان وهذا لوجود كبار علماء المالكية في هذه الأخيرة كالبهلول بن راشد (ت183هـ/799م)، وعلي بن زياد (ت183هـ/799م) ، وأسد بن الفرات(ت213هـ / 828م) ، وسحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي (ت 240هـ /854م) وغيرهم[5].

---

[1] الحريري محمد عيسى ، المرجع السابق ، ص 220. سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 194.

[2] مدينة اختطها الصحابي الفاتح عقبة بن نافع (ت63هـ/683م)بإفريقية سنة51هـ/671م ، تقع على أرض منبسطة فسيحة ، أرضها خصبة خاصة منها الجانب الغربي المعروف بفحص الدرارة حيث يزرع فيه الحبوب ، الغنية بموارد المياه العذبة والسقاية. البكري أبو عبيد ، المصدر السابق ج2 ، ص ص675- 693. ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص19 وما بعدها .موسى لقبال ، **المغرب الإسلامي** ، دار هومة الجزائر ، 2002 ، ص35.

[3] قيل افريقية بمعنى صاحبة السماء ، وقال آخرون انها سميت نسبة إلى افريقش بن أبرهة بن الرائش الذي غزا المغرب ، وقيل أنها سميت بافريق بن إبراهيم عليه السلام من زوجته الثانية قطورى ، ورواية أخرى تقول أن الأفارقة وبلدهم افريقية نسبة لفارق بن مصريم ، وهناك من يُرجع اسم افريقية بانها لغة ليبية قديمة سميت ببنت يافوه بن يونش الذي بنى منفيش المدينة المصرية القديمة ، وهي التي ملكت افريقية فسميت بها ، وحدود افريقية تمتد طولا من مدينة برقة شرقا الى مدينة طنجة غربا وعرضا من البحر إلى الصحراء التي هي أول بلاد السودان ، وفي هذه المنطقة يصطاد حيوان الفنك الجيد ، وتتميز بشدة البرد . البكري أبو عبيد ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 671-672 .

[4] سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 188. محمد طه الحاجري ، **دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية بالمغرب العربي** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت ، 1983 ، ص 39 .

[5] بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 246 .

ومما يزيد من أهمية حاضرة القيروان العلمية والدينية توافد علماء وفقهاء المالكية من المدينة المنورة للتدريس بها كالفقيه عبد العزيز بن يحيى الهاشمي وذلك سنة225هـ/839م ، وفي السنة نفسها حل بالقيروان من مصر الفقيه أبو يحيى زكرياء بن يحيى الوقار (ت254هـ/868م)[1].

ولقد شهد القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد نشاطاً مكثفاً للرحلات ما بين قرطبة والقيروان خاصة في موسم الحج ، ومن العلماء الأندلسيين الذين قدموا إلى القيروان أبو هارون الأندلسي(ت291هـ/903م)[2] الذي نزل في ضيافة حماس بن مروان بن سماك (ت303هـ/915م)، وكان عدد من الأندلسيين قد حضروا للسماع من أبي الحسن القابسي (ت403هـ/ 1012م)[3].

ولم تقتصر الرحلة بين الأندلس والقيروان على طلبة العلم فقط ، بل شملت القضاة كذلك ، وهذا ربما لدافع طلب المزيد من العلم ، والاستفادة من الخبرة والتجربة في مجال عمل القضاء ، وهو ما حدث مع القاضي أسلم بن عبد العزيز(ت317هـ/929م) الذي تولى قضاء قرطبة سنة300هـ/912م إلى غاية 309هـ/ 921م ثم رحل إلى القيروان ، وسمع من شيوخها كقاضي الجماعة محمد بن عبد الله بن عيسى(ت339هـ/ 950م) وغيرهما[4] .

وتجدر الإشارة إلى أن العلاقات ما بين فقهاء القيروان ونظرائهم في قرطبة كانت متينة وهذا راجع ربما لوحدة المذهب – المالكي – فقد كان يشترط من يتصدر الفتيا في الأحكام والشرائع بالأندلس أن يكون حافظاً لموطأ الإمام مالك ، ومدونة سحنون بن سعيد التنوخي ، وغيرهما[5] ، وترجع أهمية القيروان العلمية كذلك إلى وجود ما يشبه في عصرنا الحالي معهد لدراسة الطب والصيدلة وترجمة الكتب اللاتينية وهو ما عرف ببيت الحكمة والذي كان مقصداً لطلبة العلم من المغرب ، والأندلس[6] ،واشتهرت هذه الحاضرة العريقة بعالمها المربي الطبيب ابن الجزار (ت369هـ/980م) الذي وفد إليه بعض الأطباء الأندلسيين طلباً للاستزادة من العلم والمعرفة والخبرة في ميدان الطب والصيدلة ، وكان منهم على سبيل المثال عمر بن حفص بن برتق الذي أخذ عنه الطب ، ولزمه ستة أشهر

[1] علياء هاشم ذنون محمد المشهداني ، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد** ، " أطروحة دكتوراه" ،كلية التربية ، جامعة الموصل ، 2003 ، ص 56.

[2] الفقيه ، العابد ، الزاهد ، توفي بالمدينة المنورة ، ودفن بمقبرة البقيع . المالكي ، رياض النفوس ، ص 516وما بعدها.

[3] بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 248 .

[4] الضبي ، المصدر السابق ، ج1، ص ص 294-295. سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 187 .

[5] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص79. بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 248.

[6] رابح بونار ، **المغرب العربي تاريخه وثقافته** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1968 ، ص 51. حسين مؤنس ، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر** ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت ، 1992،ج1، ص 133 .

وعاد إلى الأندلس ، وأدخل معه كتاب زاد المسافر ، وخدم الطب الخليفة عبد الرحمن الناصر[1]، وزيادة على ما سبق فقد كان المسجد الجامع بالقيروان من أقدم المساجد ومصدر الإشعاع العلمي والفكري الأول في تاريخ الغرب الإسلامي ، بالإضافة إلى جامع الزيتونة بتونس الذي يعد كذلك من أقدم الجامعات في العصور الوسطى حيث كانت تدرس فيه علوم اللغة ، والتاريخ ، والفقه[2].

2/ الحواضر المصرية :

لقد جاء ذكر مصر كمحطة في طريق الطالب الأندلسي أثناء رحلته العلمية أو الحاج الأندلسي في رحلته الحجية سواء على الطريق البري أو البحري ، والملاحظ أن المصادر وكتب الطبقات كالخشني في كتابه قضاة قرطبة وابن الفرضي مثلاً في كتابه تاريخ علماء الأندلس ، والضبي في البغية ، وابن بشكوال في كتابه الصلة ، إذا أراد أصحابها التعريف بعالم ما وسرد رحلته إلى المشرق تذكر لفظ " مصر" فقط دون الإفصاح عن أي حاضرة مقصودة في الترجمة ، وهذه الملاحظة يُستشفها في معظم التراجم الأندلسية ، إلا بعض الإشارات القليلة كالتي ذكرها ابن الفرضي عندما ترجم لإبراهيم بن عبد الله بن مسرة الذي قال أنه توفي بالإسكندرية ولم يحدد تاريخ وفاته[3]، ولما ترجم كذلك لمحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار مولى الوليد بن عبد الملك (ت327هـ/ 938م)[4] ، إذ قال أنه سمع بدمياط من جماعة ، وبالإسكندرية التي تعد أول مدينة مصرية أنشئت فيها المدارس في العصر الإسلامي[5].

ولقد أزالت بعض الدراسات كالتي قام بها عبد السلام بن المختار شقور ، وعواطف محمد يونس نواب وحسين مؤنس بعض الغموض بأن ذكرت أهـم الـحواضر العلمية الـمقصودة أو التي جاءت في طريق الرحلة وهي: الإسكندرية، والقاهرة ، والفسطاط التي تعد إحدى أكبر العواصم الإسلامية في المجال العلمي والفكري[6].

---

[1] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، 79. ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 490 – 491.

[2] البكري أبو عبيد ، **المغرب في ذكر افريقية والمغرب** ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ص 22. ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج4 ص421. زيغريد هونكه ، المرجع السابق ، ص 396.

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 14 – 15 .

[4] قرطبي ، يكنى بأبي عبد الله ، فقيه ، كان أول مستشار عينه الخليفة عبد الرحمن الناصر ، سمع منه الكثير من الناس ، وكان ثقة وصدوقاً استشهد في إحدى الغزوات ، وهي غزوة الخندق ، ودفن بقرطبة . نفسه ، ق2 ، ص ص 46 - 47.

[5] جمال الدين الشيال ، **تاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الاسلامي** ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 45.

[6] عبد السلام بن المختار شقور ، **المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية** ، " بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الاسلامية 1426هـ " ، ص 111 . عواطف محمد يونس نواب ، **الرحلات المغربية والأندلسية ، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين** "دراسة تحليلية مقارنة " ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1996 ، ص 72 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص181 .

ولقد أخذ الأندلسيون عن علماء وشيوخ مصر في القراءات والتفسير وممن درس بمصر نذكر على سبيل المثال القاضي محمد بن بشير المعافري (ت 198هـ/ 813م)[1]، الذي دخل مصر طالباً للعلم[2] ، والفقيه أحمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمي(ت205هـ/820م) الذي توفي بها[3]، وكذلك عبد الله بن محمد بن قاسم (ت بعد 350هـ/961م) الذي رحل إلى المشرق ، وأقام بمصر إلى أن توفي بها [4] ، وإبراهيم بن حارث بن عبد الملك بن مروان الأنطي المقري(ت391هـ /1000م)، الذي سمع بمصر من بعض شيوخها[5]، وكذلك الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن ذنين بن عاصم الصدفي الطليطلي(ت424هـ/ 1032م) إلى المشرق ، ولقي بعض علماء مصر[6].

واشتهر العديد من علماء مصر الذين كانوا مقصداً لطلاب العلم , فكان منهم الفقيه المتخصص في القراءات المقرئ عثمان بن سعيد المعروف بورش(ت197هـ/ 812م)، وإليه تنسب قراءة ورش[7] ، ويقال أنه انتهت إليه رياسة الإقراء بمصر[8] ، وعُرف في مدينة الفسطاط صاحب السيرة ، وعالم الأخبار والتاريخ عبد الملك بن هشام(ت213هـ/ 828م)[9].

ومن أهم المراكز الدينية والثقافية المعروفة بمصر المسجد الجامع عمرو بن العاص الذي كان يعقد فيه الإمام الشافعي (ت 204هـ/819م) حلقاته العلمية[10]، وجامع القاهرة [11] الذي أسس سنة 359هـ/970م وكذلك

---

[1] قاضي الجماعة بقرطبة ، أصله من باجة ، حج ولقي الإمام مالك بن أنس وجالسه وسمع منه ، ولما عاد إلى الأندلس استقضاه الأمير الحكم الربضي بن هشام بقرطبة . الضبي ، المصدر السابق ، ج1، ص ص 88 – 89 .خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص 52 .

[2] الخشني ، المصدر السابق ، ص 73.

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 23.

[4] من أهل وشقة ، يعرف بابن ملول ، يكنى بأبي محمد ، كان شاعراً ، وفصيحاً .نفسه ، ق1 ، ص ص 230– 231 .

[5] نفسه ، ق1 ، ص 20 .

[6] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 407 .

[7] عثمان بن سعيد بن عدي المصري القبطي ، من كبار القراء , لقب بورش لشدة بياضه ، أصله من القيروان ، ولد وتوفي بمصر. ياقوت الحموي معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ج4 ، ص1601وما بعدها. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص205 .

[8] أحمد مختار العبادي ، **في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية** ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، (د.ت) ، ص30.

[9] يكنى بأبي محمد ، مؤرخ وعالم بالأنساب واللغة والأخبار ، ولد ونشأ في البصرة ، وتوفي بمصر ، وهو مؤلف كتاب السيرة النبوية والمشهور بسيرة ابن هشام . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج7، ص177.خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص166 . أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 36 .

[10] محمود محمد الحويري ، **مصر في العصور الوسطى " من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني "** ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، ط2 القاهرة ، 2002 ، ص 92 .

[11] ثم غُيرت هذه التسمية بجامع الأزهر من قبل الفاطميين في عصر أبي منصور نزار الملقب بالعزيز بالله(365– 386هـ /975– 996م)نسبة للسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت الرسول صلى الله عليه وسلم .حسن خضيري أحمد ، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362–567هـ /973–1171م)** ، مكتبة مدبولي ، ط1 ، القاهرة ، ص160.

دار العلم التي أنشأها الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور الفاطمي(386-411هـ/996-1021م) في سنة 395هـ/ 1005م ، وغيرها من القصور والمكتبات[1].

ولم يكتف الطلبة الأندلسيون بالأخذ عن علماء وشيوخ مصر ، بل تعدى ذلك إلى المساهمة في تنشيط حلقات العلم وممارسة التدريس ، ونتج عن هذا الاحتكاك العلمي والثقافي بين الأندلسيين والمصريين ظهور مدارس بمصر عرفت باسم شيوخ أندلسيين كما هو الحال مع مدرسة أبي بكر الطرطوشي (ت525 أو527هـ/1130أو1132م)[2] لعلوم الدين بالإسكندرية ، حيث خصص الطابق الأرضي كمدرسة ، والطابق العلوي مسكناً خاصاً به ، وقعد للتدريس بها إلى أن توفي[3] .

3/ حواضر الحجاز :

3 – 1/ مكـــة المكـرمـــة :

تعقد معظم الرحلات العلمية الأندلسية لهدف الحج أو لطلب العلم أو لكليهما كما جاء ذكره في موضع سابق ، ومن المعروف بأن الحرمين الشريفين سواء المكي أو المدني كانا هما المقصدين ، والهدف المنشود لهؤلاء الأندلسيين ، وغيرهم من مختلف بقاع العالم الإسلامي في مثل هذه الرحلات .

وكان لحلقات العلم[4] التي تقام في المسجد الحرام الأثر البارز في تكوين الرصيد العلمي والمعرفي لطلبة العلم وإثراء الحركة العلمية في بلاد الحجاز بصفة عامة ، وقام المسجد بتجسيد هذا الدور الحضاري الفعال منذ فجر الإسلام أي من عهد الرسول والنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم ومن بعده ، وظل المسجد الحرام يزدحم

---

[1] نفسه ، ص 155 وما بعدها .

[2] محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري، يكنى بأبي بكر ، ولد سنة 450هـ/1058م فقيه مالكي له معرفة في اختلاف المذاهب ، نشأ بالأندلس ، له رحلة الى المشرق ، فحج ، ودخل بغداد والبصرة وبيت المقدس ودّرس بالإسكندرية . ابن فرحون (إبراهيم بن نور الدين) ، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ، دراسة وتحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت 1996 ، ص 371 وما بعدها .الضبي ، المصدر السابق، ج1، ص 175 وما بعدها . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 838-839 .

[3] الضبي ، المصدر السابق ، ج1، ص ص 177-178 .أيمن شاهين سلام ، **المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني** ، " أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي" ، قسم التاريخ ، جامعة طنطا ، مصر ، إشراف أحمد عبد الحميد خفاجي، 1999 ص60وما بعدها.

[4] المقصود بحلقات العلم ذلك النظام التعليمي القائم على إحاطة الطلاب بشيخهم ، ويرجع هذا النظام إلى العصر النبوي ، واستمر إلى غاية ظهور المدارس الإسلامية ، وتشبه الحلقة بالقسم الدراسي ذات عدد غير محدود من الطلبة الذي قد يبلغ 53 أو 54 طالب علم . طرفة عبد العزيز العبيكان ، **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة بين القرنين السابع والثامن للهجرة** ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1996، ص ص 53 – 54 .

برجال الحديث والقراء وأصحاب الفتاوى ، وأخذت الحلقات العلمية في اتساع أكثر خاصة في موسم الحج[1] ، إذ كانت مكة تشهد في هذا الموسم كثرة الوافدين فزيادة على الحجاج كذلك طلبة العلم والعلماء ، وكانت بعض المجالس تعقد في بيوت الفقهاء علاوة على حلقاتهم في المساجد[2].

وتتجلى أهمية المشرق عامة ، ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة خاصة بالنسبة للأندلسيين في أنه يعد منبع رسالة الإسلام وفيه نشأت العلوم الإسلامية المختلفة من علوم القرآن وفقه وتفسير وعلوم الحديث وغيره [3].

ولقد عبر الباحث المغربي بن عيسى أحمد بويوزان عن أثر الرحلة الحجية على الرحلة العلمية الأندلسية إلى درجة أنه استنتج بأن كل نهضة علمية في الغرب الإسلامي في أي عصر من العصور إلا وارتبطت برحلات الحج التي يقوم بها الأندلسيون ، من خلال استغلال هذه الفرصة للقاء العلماء والمشايخ في المراكز العلمية المختلفة [4].

وقد يبقى بعض من هؤلاء الطلبة شهوراً أو سنوات في تلك البقاع الطاهرة لتحقيق هذا الهدف كما هو الحال لعبد الله بن وهب الطليطلي(ت301 أو 302هـ/913 أو 914م) الذي مكث بمكة إحدى عشرة سنة[5] ، ويبدأ طلبة العلم الأندلسيون السماع وأخذ العلم من علماء الحجاز أولاً بعد أداء فريضة الحج، ثم يأتي السماع من علماء الأمصار الأخرى التي تأتي في طريق العودة من الحج[6] ، والتي ذكر بعضها سابقاً ، والبعض الآخر سيذكر لاحقاً .

ولقد عرفت بعض الحلقات في الحرم المكي تنوعاً في أصحاب المذاهب من حنفية ، ومالكية ، وشافعية وحنبلية ، وكان لكل مذهب ركن خاص به ، والدراسة لم تكن لها منهجاً مقرراً ومحدداً ، وإنما كان المدرس أو الشيخ هو الذي يقرر ما يريد تدريسه ، وهو الذي يختار المنهاج الملائم لهم ، ويُعقد الدرس يومياً ، ولا تقتصر حلقات العلم على التدريس والتلقين فقط بل تتعدى إلى مناظرة العلماء فيما بينهم أي بين العلماء المجاورين لبيت

---

[1] نفسه ، ص 53 .

[2] السباعي أحمد ، **تاريخ مكــة** ، دار مكة للطباعة والنشر ، ط1 ، 1979 ، ج1 ، ص ص 152 – 153 نقلاً عن طرفة عبد العزيز العبيكان المرجع السابق ، ص 55 .

[3] بن عيسى أحمد بويوزان ، **فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين** ، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ، 1426هـ ، ص 246 .

[4] نفسه ، ص ص 247 – 248 .

[5] أخذ علم الرواية عن علماء مكة ومصر ، وقيل أنه بعد رجوعه إلى الأندلس من رحلته التي مكث فيها طويلاً بمكة مال إلى الدنيا ، فأمسك الناس الأخذ عنه . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 221 .

[6] بن عيسى أحمد بويوزان ، المرجع السابق ، ص 249 .

الله الحرام والعلماء الوافدين إليهم من مختلف أقطار العالم الإسلامي ، تتناول هذه الحلقات مختلف العلوم النقلية وحتى العقلية[1] .

ولم يقتصر دور الحرم المكي العلمي على الحلقات العلمية المنعقدة بين زواياه ، بل اشتهرت مكتبته التي يوجد بها خزائن للكتب والمصاحف ومنها مصحف كريم بخط يد الصحابي الجليل زيد بن ثابت (ت45هـ/ 665م) منسوخ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بثمانية عشرة سنة [2].

وتجدر الإشارة إلى أن أماكن التعليم ومؤسساته لم تقتصر على المسجد الحرام فقط ، بل كانت مساجد أخرى ، وهي أقل درجة من حيث كثافة النشاط الديني التعليمي من المسجد الحرام وكذلك الرُبط التي كانت بمكة والحجاز ، وقد اقترنت بالحجاج الوافدين لأداء مناسك الحج ويرجع الفضل في إنشائها وانتشارها إلى أهل الخير والصدقات وقفاً لضيوف الرحمن وطلبة العلم الوافدين من أجل توفير الراحة لهم خاصة أثناء موسم الحج ، إذ يُؤمن لهم المسكن والمأكل ، بل الأكثر من ذلك أن بعض الرُبط يوجد بها عدد غير قليل من الكتب ، مما أتاح لنزلائها الاطلاع عليها والاستفادة منها ، وارتبط اسم بعض الرُبط باسم المغرب كرباط المغاربة مثلاً[3].

وكل ما سبق ذكره ما هو في الحقيقة إلا محاولة مختصرة جداً عن الدور التعليمي والتكويني ، والمكانة الشريفة للحاضرة المقدسة مكة المكرمة لدى علماء الأندلس الذين رحلوا إليها دون الإغفال عن الدور الديني التعبدي ، والملاحظ أن أغلب كتب الطبقات والتراجم الأندلسية أشارت وهي بصدد الترجمة لشخصية ما له رحلة إلى المشرق إلا وذُكرت الحاضرة الشريفة مكة والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها ما ذكره ابن الفرضي وهو بصدد التعريف بإبراهيم بن حارث بن عبد الملك بن مروان الأنطي المقري (ت 391هـ/ 1000م) أنه :" سمع بمكة من ..."[4]، وكذلك ابن بشكوال لما ترجم لعبد الله بن عبد الرحمن بن ذنين بن عاصم الصدفي الطليطلي(ت424هـ/ 1032م) إذ قال فيه : " رحل إلى المشرق مع أبيه سنة 381هـ/991م فحج ، ولقي بمكة أبا القاسم عبيد الله بن محمد السقطي البغدادي ، وأبا الطاهر العجيفي وأجاز له ما رواه ..."[5] ، وكذلك لما ترجم لعبد الله بن سعيد بن لباج الأموي الشنتجالي طويل الجوار بمكة المكرمة (ت436هـ/947م) الذي قال عنه بأنه :" رحل إلى المشرق

---

[1] طرفة عبد العزيز العبيكان ، المرجع السابق ، ص 55 وما بعدها .
[2] نفسه ، ص ص 81 – 82 .
[3] نفسه ، ص ص 65 – 66 .
[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 20 .
[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 407 .

سنة 391 هـ/1000م فسمع بمكة من أبي القاسم السقطي (...) وصحب بها أبا ذَرٍ عبد بن أحمد الهروي الحافظ ، واختص به وأكثر عنه "[1].

3 – 2/المدينـة الـمـنـورة :

تتجلى أهمية الحاضرة الشريفة المدينة المنورة العلمية والدينية في المسجد النبوي الشريف ، الذي جعل منه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مدرسة يلتقي فيه صحابته رضي الله عنهم ،ويعلمهم ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم ، و بقيت مكانته السامية وأهميته البالغة على مر السنين والعصور من بعده صلى الله عليه وسلم[2] .

ولقد اشتهر العديد من علماء المدينة المنورة ، الذين تعددت تخصصاتهم بين العلوم الدينية والأدبية واشتهر منهم على سبيل المثال لا الحصر الفقيه الحافظ صاحب الفتوى في المدينة العلامة ربيعة الرأي بن فروخ التيمي(ت136هـ/753م)[3]، وهو شيخ الإمام مالك بن أنس(ت176هـ/792م) في الفقه ، وكذلك الفقيه المفسر زيد بن أسلم العدوي العمري (ت136هـ /754م)الذي كانت له حلقة بالمسجد النبوي الشريف[4] ، كما كان يُدرس بالمدينة المنورة الإمام مالك بن أنس والذي سمي بإمام دار الهجرة أو إمام المدينة وإليه ينسب المذهب المالكي ، وقد قيل في حقه :" لا يفتى ومالك في المدينة"[5].

ولقد حرص الأندلسيون على الأخذ من مشايخ الحرمين الشريفين سواء في مكة المكرمة أو المدينة المنورة قبل أداء المناسك أو بعدها ، واختار الكثير منهم مذهب الإمام مالك رحمة الله عليه ربما لكثرة ترددهم على المدينة المنورة سواء في حياته ، والأخذ عنه أو عن تلاميذه من بعده[6]، وهذا ما أكده ابن خلدون لما قال : "وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس ، وإن كان يوجد في غيرهم ، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل ، لما أن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم ، والمدينة يومئذ دار العلم ، ولم يكن

---

[1] نفسه ،ج2 ، ص 416 .

[2] عاصم حمدان علي حمدان، **المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ** ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ،ط1 ،1991 ، ص132.

[3] يكنى بأبي عثمان ، مدني تابعي ثقة ، وإمام ، فقيه ، حافظاً للحديث ، لقب بربيعة الرأي لأنه من أصحاب الرأي عند أهل الحديث .الخطيب البغدادي (أحمد بن علي) ، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها (تاريخ بغداد)** ، تحقيق وضبط وتعليق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2001 ،م9 ، ص 414 وما بعدها . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ج3 ، ص17.

[4] عبد السلام هاشم حافظ ، **المدينة المنورة في التاريخ "دراسة شاملة"** ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ط3 ، 1982 ، ص150.

[5] نفسه ، ص 151 .

[6] بن عيسى أحمد بويوزان ، المرجع السابق ، ص267 .

العراق في طريقهم ، فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده ، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته ..."[1] .

ومن العلماء الذين لقوا الإمام مالك بن أنس بالمدينة المنورة وأخذوا عنه عبد الرحمن بن موسى الهواري (عاش في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد) ، فقد رحل إلى المشرق في بداية إمارة عبد الرحمن بن معاوية الداخل(138-172هـ/756-788م) هذا الحافظ ، الفقيه ، الأديب ، المفسر والعالم بالقراءات الذي قال في حقه ابن الفرضي:" كان أبو موسى إذا قدم قرطبة ، لم يفتِ يحيى (يقصد الفقيه يحيى بن يحيى الليثي) ، ولا عيسى (بن دينار) ، ولا سعيد بن حسان ، حتى يرحل عنها ..."[2].

ومن الأندلسيين الذين طلبوا العلم في المدينة المنورة كذلك عبد الرحمن بن دينار بن واقد الغافقي (ت201هـ /816م)[3] الذي كانت له رحلات عديدة ، واستوطن في إحداها بالمدينة المنورة ، فسمع من علمائها ، وعاد إلى الأندلس حيث أدخل معه الكتب المعروفة بالمدينة ، فسمعها منه أخيه الفقيه عيسى بن دينار(ت212هـ/ 827م) والذي بدوره كانت له رحلة إلى المشرق[4]، وكذلك محمد بن موسى بن مصباح بن عيسى المؤذن (ت381هـ/991م)[5] وغيرهم .

وما يمكن ملاحظته في كتب الطبقات على غرار كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي(ت403هـ/ 1012م) والذي يغطي جزءًا كبيرًا من الفترة الزمنية لموضوع البحث أي علماء عصري الامارة ، والخلافة ، وبعض العلماء الذين عايشهم ، وكذلك كتاب الصلة لابن بشكوال(ت578هـ/1183م) الذي ترجم فيه للعلماء الذين لم يذكرهم ابن الفرضي ، كما ترجم للكثير من علماء فترة ملوك الطوائف وغيرهم ، فأنها تقل في تلك الكتب الإشارات أو ذكر الحاضرة المدينة المنورة هكذا بصريح العبارة إلا بعضها اليسير في بعض التراجم كالتي ذُكرت أعلاه ، وتفسير ذلك يرجع ربما في اعتقادنا أن كل عالم لما يُذكر بأن له رحلة إلى المشرق فحج ، وأخذ عن علماء مكة فهو بالضرورة مرّ على المدينة المنورة في الذهاب أو الإياب وأخذ العلم عن شيوخها .

---

[1] ابن خلدون ، المقدمة ، ج3 ، ص 954 .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 257- 258 .

[3] فقيه قرطبي ، يكنى بأبي زيد . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص257.

[4] نفسه .

[5] قرطبي ، يكنى بأبي بكر ، سمع منه الأندلسيين كابن الفرضي مثلاً وغيره ، له رحلة إلى المشرق ، وسمع بمكة كذلك ، وهو مؤذن بالمسجد الجامع بقرطبة . نفسه ، ق2 ، ص 95 .

4/ حواضر العراق :

شهدت العديد من الحواضر العراقية إقبال الطلبة الأندلسيين عليها أثناء رحلاتهم الحجية أو العلمية وكانت أهمية هذه الحواضر والسفر إليها تأتي في المقام الثاني بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ومعنى هذا أنه ليس بالضرورة كل حاج أندلسي قد مر على هذه الحواضر العراقية خاصة في الرحلة الحجية ، بل في الغالب يكتفي صاحب الرحلة الأندلسي بزيارة حاضرتي الحرمين الشريفين دون المرور إلى العراق باستثناء بعض العلماء الذين سيرد ذكرهم فيما يأتي، وهذا بالرغم من شهرة علماء بغداد ، والموصل ، والبصرة[1] .

ولم تخلوا كتب التراجم والطبقات من ذكر بعض العلماء الأندلسيين الذين مَرُّوا على بعض حواضر العراق للاستزادة بالعلم ، فقد ذكر ابن الفرضي على سبيل المثال أن إبراهيم بن نصر الجهني(ت287هـ/899م)[2]، دخل العراق ، وسمع من علمائها ، وكذلك مستشار الخليفة عبد الرحمن الناصر الفقيه محمد بن سيار القرطبي (ت 327هـ/938م)[3] الذي رحل إلى المشرق سنة 294هـ/906م ، وأقام في رحلته أربعة أعوام وأربعة أشهر ، ومن الأمصار التي زارها كانت العراق ، فسمع من علماء البصرة ، الكوفة ، وبغداد ، ومر كذلك على مدن مصر كدمياط ، والإسكندرية ، ثم طرابلس الغرب ، والقيروان وغيرها[4] ، وذكر ابن الفرضي مدينة الموصل التي سمع بها إبراهيم بن بكر بن عمران بن عبد العزيز اللخمي(ت385هـ/ 995م)[5].

ولم تقتصر الرحلة إلى العراق على العلماء الأندلسيين الرجال فقط ، بل تعدتهم إلى النساء العالمات خاصة الأديبات منهن ، فقد وصلت أندلسية تدعى قلم إلى بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193هـ /786- 808م) الذي أنشأ داراً سميت بدار المدنيات خاصة بالأديبات والشاعرات القادمات من المدينة المنورة وكانت منهن هذه الفتاة الأندلسية التي دخلت المدينة المنورة وهي صغيرة السن ، فتعلمت بهذه الحاضرة الشريفة الأدب والشعر[6] .

---

[1] بن عيسى أحمد بويوزان ، المرجع السابق ، ص 267 .

[2] قرطبي الأصل ، يكنى بأبي إسحاق ، يعرف بابن أبرول ، انتقل هو وأبوه إلى سرقسطة ، من علماء الحديث . ابن الفرضي ، المصدر السابق ق1 ، ص 12.

[3] فقيه ، ومتخصص في علم التوثيق ، سمع منه الناس كثيراً ، وكان ذا ثقة وصدق. نفسه ، ق2 ، ص ص46- 47.

[4] نفسه ، ق2 ، ص 47 .

[5] يكنى بأبي إسحاق ، من أهل البيرة ، قدم الأندلس بعد رحلته إلى المشرق ، فاضطرب في إقامته وسكناه بين بجانة ، وإلبيرة ، ثم استقر بإشبيلية إلى أن توفي بها . نفسه ، ق1 ، ص23.

[6] عبد السلام هاشم حافظ ، المرجع السابق ، ص 139 .

5/ أماكن مشرقية أخرى (اليمن ، بيت المقدس ...الخ) :

وردت أسماء لبعض الحواضر الأخرى التي قصدها الأندلسيون بحثاً وطلباً واستزادة للعلم ، والتي يمكن إجمال بعضها بالاستعانة بالترجمة التي خصصها ابن الفرضي للعالم المحدث محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج (ت380هـ/990م) ، إذ ذكر المدن التي زارها في رحلته العلمية ، ومنها التي ذكرت سابقاً ، وأسماء مدن أخرى لم تُذكر من قبل ، ومما يلي ترجمة لهذه الشخصية ، وفيها أسماء بعض تلك المدن ، حيث قال ابن الفرضي: " رحل إلى المشرق سنة 337هـ فسمع بمكة ...،وسمع بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ...، وبجدة ...، وسمع في اليمن ...بصنعاء ...، وبعدن ...، وسمع بمصر ...، ودخل الشام فسمع ببيت المقدس ...، وبغزة ...،وبعسقلان ... ،وبطبرية[1]...، وبدمشق ... ،وسمع بطرابلس الشام ... ،وسمع ببيروت ... ،وبصيدا ... وبصور ... ،وبقيسارية[2]... ، وسمع بالرملة[3]... ،وسمع بالفَرَمَا[4]... ،وبالإسكندرية ."[5] ، ولقد عاد هذا العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى إلى الأندلس سنة 345هـ/956م بعد أن سمع من مائتي شيخاً وشيخ من جميع الأمصار التي زارها بما فيها حواضر الأندلس[6] ، وذكر الضبي (ت599هـ /1202م) بلاد اليمن لما ترجم للفقيه والمحدث منتنيل بن عفيف المرادي (ت317هـ/929م) وقال بأنه رحل إلى مكة ، واليمن[7] .

والذي سبق ذكره عن الرحلة العلمية ما هو إلا نبذة أو مسح عام مختصر جداً عن أهم الحواضر الأندلسية والمشرقية التي قصدها طلبة العلم وعلماء الأندلس لغرض البحث والتكوين العلمي ، والسماع من العلماء مباشرةً أو من تلاميذهم ، وهذه المرحلة تعبر عن تخطي الطالب الأندلسي المرحلة الأولى من مراحل التعليم ، التي كان

---

[1] اسم أعجمي ، وطبر بمعنى قفز واختبأ ، مدينة من أعمال الأردن بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت المقدس ، وهي بلدة مطلة على بحيرة وتقع على طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها ، تشتهر بكثرة الحمامات بها ، ووصفت بأنها من عجائب الدنيا ، وقيل بناها ملك من الروم يدعى طبارا فسميت باسمه ، وافتتحها المسلمون صلحاً سنة 13هـ/634م. ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص ص 17- 18 .

[2] بلد على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين ، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام ، وهي مدينة واسعة ، كثيرة الخيرات وقيل أيضاً أنه توجد مدينة أخرى عظيمة من بلاد الروم بهذا الاسم هي دار مُلك السلاجقة .نفسه ، م4 ، ص 421 .

[3] مدينة عظيمة بفلسطين ، وكانت قصبتها ، وخُربت فيما بعد ، وهي أحد أربطة المسلمين ، ويوجد موضع آخر بهذا الاسم على شاطئ دجلة بالعاصمة بغداد ، والرملة كذلك اسم لقرية بالبحرين . نفسه ، م3 ، ص 69 .

[4] اسم أعجمي لمدينة تقع على الساحل بمصر ، وهي مدينة قديمة تقع بين العريش والفسطاط افتتحها عمرو بن العاص عنوة سنة 18هـ/639م وبظاهر المدينة توجد فلاحة النخيل التي تنتج التمر الحسن والذي يُجهز إلى كل بلد ، ولقد خربت ولم يبق لها اثر ، وقيل الفرما هو اسم لحصن على ضفة البحر ، يحيط به السباخ ليس به زرع ولا ماء شرب إلا ماء المطر الذي يخزن ، ويجلبون أهل هذا الموضع الماء من نهر النيل يقطنه الكثير من الأقباط وكذلك العرب ، تشتهر أسواقه بتجارة الشعير والعلف ، إذ هو محطة لتوقف القوافل . نفسه ، م4 ، ص ص 255- 256 .

[5] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص91 – 92 .

[6] نفسه ، ق2 ، ص 92 .

[7] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 635 .

يقتصر التعلم فيها على الكتاتيب والمساجد ، وفي بعض الأحيان المرحلة الثانية التي يضاف إلى أماكن التعليم السابقة بيوت العلماء ، فكان لابد للطالب البحث عن المشايخ والعلماء من خارج نطاق الحاضرة التي يقطن فيها المتعلم إلى حواضر أندلسية أخرى ، أو خارج الأندلس، فكان المقصد حواضر المشرق الإسلامي خاصة منها حاضرتي الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وما جاء من حواضر في طريقهما سواء في الذهاب أو الإياب ، بل الأكثر من ذلك شد الرحال إلى ما وراء تلك الحاضرتين ،كحواضر اليمن والعراق والشام .

ب)- الرحلة ودورها في انتشار الكتب بالأندلس :

بما أن الرحلة إلى المشرق قد بدأت منذ عهد مبكر خاصة مع قيام دولة بني أمية في الأندلس فقد حرص هؤلاء الرحالة على جلب وإحضار الكتب المشرقية وإدخالها إلى الأندلس وكذلك العكس ، إذ نقل هؤلاء الكتب الأندلسية إلى المشرق في مختلف المواضيع و المجالات سواء الدينية أو اللغوية أو العلمية[1].

وما يمكن ملاحظته في حركة نقل الكتب المشرقية إلى الأندلس في البدايات الأولى بعد الفتح الإسلامي وقيام الدولة الأموية أنها كانت ترتكز أكثر على الاهتمام بكتب العلوم الدينية بالدرجة الأولى ، ثم كتب الأدب المشرقية الشهيرة في المقام الثاني، ثم الكتب العلمية في مجال الرياضيات والفلك والفلسفة ...وغيرها[2].

وعلى سبيل المثال لا الحصر فمن بعض الرحلات التي أدخل أصحابها العديد من الكتب إلى الأندلس نجد الفقيه عبد الرحمن بن دينار الواقدي (ت 212هـ /827م) الذي أدخل كتب الفقه المالكي والكتب المعروفة بالمدينة المنورة إلى الأندلس [3].

ورحل الفقيه والمحدث والأديب والشاعر قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي (ت302هـ/ 914م) هو وأبوه إلى المشرق ، ورجعا بعلم كثير حتى قيل أنهما أول من أدخل إلى الأندلس كتاب العين في اللغة والعروض للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت170هـ/ 786م) [4].

كما رحل أبو عبد الملك عثمان بن المثنى القرطبي(ت273هـ/886م) إلى المشرق وقرأ على حبيب بن أوس المعروف بأبي تمام(ت273هـ/886م)ديوان شعره وأدخله إلى الأندلس روايةً عنه[5] ، وعاد محمد بن عبد الله

[1] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص58 .

[2] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 150 .

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 257 .

[4] نفسه ، ق 1 ، ص 361 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص217.

[5] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 302 .خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 151 .

ابن الغازي بن قيس(ت296هـ/908م) القرطبي من المشرق فأدخل إلى الأندلس علماً كثيراً من الشعر وغريبه وعنه أخذ الأندلسيون الأشعار المشروحة روايةً[1] .

وروى ابن بشكوال أن الحافظ المحدث سلمة بن سعيد بن سلمة الشافعي المذهب (ت406هـ/ 1015م) رحل إلى المشرق وحج وأقام بالمشرق ثلاثاً وعشرين سنة يجمع في الكتب ، وأدب في بعض الحواضر وفي طريق عودته إلى الأندلس ساق نحو ثمانية عشر حملاً مشدودة من الكتب في مختلف مجالات العلوم ، ولم يتم له ذلك إلا بمال كثير حمله معه إلى المشرق [2] .

كما أن بعض رجال الأسر الحاكمة في الأندلس كانت لهم مشاركة في جلب بعض الكتب المشرقية ، فقد ورد أن حبيب بن الوليد الملقب بدحون(ت بعد200هـ/815م) رحل إلى المشرق ولقي بعض علماء الحديث وكتب عنهم ورجع إلى الأندلس بعلم كثير[3]، وكذلك ابن الأحمر محمد بن معاوية (ت365هـ/975م) الذي يُنسب إليه أنه أول من أدخل إلى الأندلس مصنف النسائي (ت303هـ /915م) في السنن ، وقد حدّث به في الأندلس[4].

ولم تقتصر المساهمة في رواج الكتب بالأندلس على العلماء العائدين من المشرق والحكام ورسلهم وأعوانهم بل كان للتجار دور في هذا الشأن ، وقد كان قصدهم في هذا النشاط التجارة والربح ، أو الإهداء لطلبة العلم والمتعلمين كما جرى الحال مع أبي بكر أحمد بن الفضل الدينوري (ت349هـ /960م)[5]، وكذلك أحمد بن خالد بن قبيل بن يبقى الجذامي القرطبي التاجر(ت378/988م) الذي أدخل إلى الأندلس" كتباً غريبة تفرد بروايتها فسمعها الناس منه ولم يكن له فهم (...)ولا كان يقيم الهجاء إذا كتب، غير أنه كان رجلاً صالحاً صدوقاً "[6] وكان محمد بن عبيد الله بن أيوب الدباج(ت317هـ /929م) لاشتغاله بعمل الديباج والذي كانت كتبه بخط الوراقين وهو ثقة سمع منه الناس في القيروان والأندلس [7] .

وساهم الغرباء الوافدون إلى الأندلس في إدخال بعض العلوم روايةً فكان منهم على سبيل المثال علي بن بندار بن إسماعيل البرمكي(كان حيّا337هـ/ 948م) وهو من أهل بغداد ، وقد قدم إلى الأندلس تاجراً وأدخل

---

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 22 – 23 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 351 .

[3] نفسه . خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 152 .

[4] الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 166 .

[5] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1، ص ص 61–62. خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 152 .

[6] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 55 – 56 .خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص ص 152 – 153.

[7] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 37 –38 . خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 153 .

كتابي" الموضح" ، " والمنجح" في الفقه لأبي الحسن عبد الله بن أحمد المغلس الداودي الظاهري (ت324هـ/ 935م)[1]، وجاء أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال(ت311هـ/923م) إلى الأندلس حيث أدخل معه بعض كتب أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت276هـ/889م) روايةً ، وبعض كتب عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ /869م) روايةً كذلك ورجع إلى المشرق بعد أن تردد أعواماً في الأندلس[2] .

ولقد ساهمت الرحلة في رواج وانتشار بعض الكتب ورسائل الفقهاء التي لها علاقة أو تناولت موضوع التربية والتعليم ، ومثال ذلك الرسالة التي بعثها الفقيه القيرواني أبو محمد عبد الله بن أبي زيد النفزي(ت386هـ/ 978م) إلى علماء ومربي ومعلمي الأندلس ، ووصلت نسخة منها إلى العالم الأندلسي أبي بكر محمد بن زرب القرطبي(ت381هـ /991م) ، وتتكلم هذه الرسالة عن تعليم أبناء المسلمين مبادئ عقيدتهم[3].

والجدير بالذكر أن الأندلسيين لم يتقبلوا كل ما ألفه علماء المشرق الوافدون إلى الأندلس أو محتوى تلك الكتب القادمة من المشرق ، بل لقيت بعض الكتب الحذر ، وفي بعض الأحيان الرفض ، وهو ما جرى عندما طعن أدباء الأندلس في محتوى كتاب الفصوص في الأدب، والأشعار ، والأخبار للأديب اللغوي صاعد بن الحسن البغدادي (ت410 أو417هـ/1019 أو 1026م) حتى أنهم رموه في النهر، وسبب ذلك أن المنصور بن أبي عامر طلب من صاعد أن يُؤلف له كتاباً في اللغة لم يؤلفه أحد من قبله ، وهو يقتفي بذلك أثر أبا علي البغدادي حينما ألف كتاب الأمالي للخليفة الحكم المستنصر، ويرجع رفض علماء وأدباء المنصور كتاب الفصوص لقلة علمه وعدم الثقة في ما تضمنه من مادة مشكوك في صحتها[4]، ورغم ذلك فقد أثابه المنصور بخمسة آلاف دينار وأمر بأن يسمعه للناس في المسجد الجامع بالزاهرة وهذا بعد سنة 385هـ /995م[5] .

---

[1] الصفدي صلاح الدين (خليل بن أيبك) ، **الوافي بالوفيات** ، تحقيق أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي ، ط1، بيروت 2000 ، ج17 ، ص25. المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 337 .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 61 . خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 151 .

[3] الدباغ (عبد الرحمن بن محمد) ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ، أكمله وعلق عليه أبي الفضل أبي القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي ، تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي، مصر ، 1968 ،ج3، ص 113.بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص 252.

[4] نفسه ، ج3 ، ص 345 .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 371 .

ورحل أيوب بن سليمان بن حكم بن بلكايش بن إليان القوطي (ت326هـ/937م)[1] إلى المشرق فجلب معه الكثير من كتب العراقيين ، ولكن أعرض الناس عن كتبه لأنها كانت في موضع الشك فلم يحدث بها أحد إلا ابنه [2] .

كما ثار بعض الأندلسيين على كتب الاختلاف ، وغرائب الحديث لصاحبها المحدث بقي بن مخلد (ت276هـ/889م) ، ومن الكتب التي انفرد بها هذا الفقيه والمحدث ولم يدخلها سواه إلى الأندلس كتاب الفقه للإمام الشافعي(ت204هـ/820م) ، ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة (ت235هـ/849م) ، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط(ت 240هـ/854م) ، وغيرها[3].

مما سبق ذكره عن دور الرحلة العلمية في حركة التعليم ، يمكن الجزم بأنها إحدى أهم الوسائل من أجل التعلم والأخذ عن العلماء من خارج موطن المتعلم ، كما يكمن دورها في أنها ساهمت في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية في الأندلس من خلال إدخال وانتشار الكتب المشرقية التي جلبها الأندلسيون من رحلاتهم المتعددة والمتنوعة ، فأصبحت أهم الكتب وأنفسها التي يتم تأليفها في بلاد المشرق توجد نسخ منها في الأندلس ، من خلال شرائها من طرف الأمراء ، والخلفاء ، والملوك برسلهم ، ووسائطهم التجاريين ، وسفرائهم[4] ، أو تلك التي يؤلفها العلماء من سماعهم مباشرة من مشايخ وعلماء المشرق ، أو التي ينسخونها من الكتب فتنتج عنها نسخ كثيرة[5] .

كما ساهمت الرحلة العلمية في تنشيط حركة تبادل الأفكار والآراء والمعارف بين علماء الأندلس ، ونظرائهم في المشرق ، مما أثر في حيوية ونشاط التعليم بالأندلس والإنتاج العلمي من خلال تلك المناظرات والمناقشات ونشاط مجالس العلماء من إقراء وسماع ، وهذا ما أدى إلى التنوع في قنوات وطرق الاستزادة من العلوم والمعارف .

---

[1] قرطبي ، يكنى بأبي سليمان ، سمع من بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) وصحبه ، كانت له وجاهة بعلمه .ابن الفرضي ، المصدر السابق ق1 ، ص ص 86 – 87.

[2] نفسه . خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 152 .

[3] نفسه ، ق1 ، ص 92.

[4] استطاع بعض حكام الأندلس في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أن يجندوا كُتاباً لهم في المشرق يعملون لحسابهم الخاص ، فيؤلفون لهم الكتب ويرسلونها إليهم ، ومثال ذلك ما قام به أبي الفرج الأصفهاني (ت356هـ/967م) من تأليف العديد من الكتب لحساب بني أمية في الأندلس. عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 199 .

[5] بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص249 .

ومارس بعض العلماء الأندلسيين في رحلتهم العلمية أو الحجية التأديب والتدريس في بعض البلدان المشرقية كما كان لعلماء آخرين نصيب من الاهتمام من طرف علماء المشرق عند الاستشارة ، والمناقشة في بعض القضايا لغرض الاستفادة من علمهم وخبرتهم في البحث والتقصي خاصة في مجال علوم الحديث الشريف[1] .

كما كان للرحلة دور في بث روح النقد عند الأندلسيين ، فقد كانوا يعتبرون أن كل ما هو قادم من المشرق شيء مقدس لا جدال ولا نقاش فيه ، ومن خلال احتكاك علماء الأندلس بعلماء المشرق في رحلاتهم العلمية أدى ذلك إلى اهتمام الأندلسيين بالبحث والتحري في بعض معلوماتهم التي درسوها سابقاً في الأندلس وفحصها ونقدها نقداً علمياً , وبهذا انتقل الأندلسيون من مرحلة التقليد والاقتباس من فكر أهل المشرق إلى مرحلة بناء ونضج الشخصية العلمية الأندلسية ، حتى إلى درجة أنه استطاع بعض العلماء الأندلسيين تصحيح بعض أخطاء علماء المشرق المشهورين ، ومثال ذلك أن الفقيه الأندلسي قاضي الجماعة بقرطبة منذر بن سعيد البلوطي (ت355هـ/965م)، صحح في مجلس الإملاء بمصر للنحوي جعفر بن أحمد بن محمد بن النحاس المصري الخطأ الذي وقع فيه أثناء إملائه لبعض الأبيات الشعرية[2] ، وكذلك الحال عندما انتقد عالم الأندلس اللغوي ابن رفاعة الألبيري اللغوي البغدادي أبا علي القالي(ت356هـ/966م) في خطأه بعدم معرفته لإقامة وزن أحد الأبيات من الشعر [3].

إن الإلمام بموضوع الرحلة العلمية الأندلسية نحو المشرق بالكفاية المطلوبة والكمال التام هو ضرب من المستحيل ، وهذا راجع إلى كثرة الأندلسيين الذين قاموا بها ، فلا يمكن ضبط عددهم بدقة ، رغم المحاولة التي قام بها الأستاذ الدكتور عبد الواحد ذنون طه في كتابه دراسات أندلسية ، إذ قدر عدد هؤلاء العلماء بنحو ستة وعشرين ومائتين شخصاً بالنسبة لعصر الإمارة الأموية لوحده ، يضاف إلى هذا العدد تسعة وعشرون شخصاً تكررت أسماؤهم في أكثر من موضع ، وهذا لقيامهم بزيارة أكثر من مكان واحد ، ويرى أن هذا العدد ما هو إلا للذين جاء ذكرهم في كتب الطبقات والتراجم ، وهو رقم غير منطقي ، ودليل ذلك أن تلك المصنفات ركزت على أسماء العلماء البارزين فقط ، وأهملت بعض الأسماء المغمورة[4] ، وزيادة على ذلك فالمجال الزمني لموضوع هذه الدراسة ، والذي يشمل ثلاثة عصور – الإمارة ، الخلافة ، وملوك الطوائف– لا يمكن أن يحصى فيه عددهم بدقة وهي فترات زمنية ليست بالقصيرة .

---

[1] عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 198 .

[2] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 621 .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص199 .

[4] عبد الواحد ذنون طه ، دراسات أندلسية ، ص ص 199 – 200 .

وختاماً لما سبق ذكره يقول ابن خلدون في فضل الرحلة : " فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال .." [1]، وبهذا فقد فضل الأندلسيون في مختلف مراحل تعلمهم وتحصيلهم منهج الأخذ عن المشايخ والعلماء مباشرة ، لهذا لم يكتفوا بقراءة الكتب والمصنفات ، وإنما انتهجوا البحث والارتحال لنيل الإجازات من مشارب وأقلام العلماء المشهورين مباشرة مهما كلف الأمر من جهد ومال ومخاطر ، وفي الأخير بعد العرض السابق ألا يصح أن يغير المصطلح الشائع بالرحلة العلمية إلى مصطلح آخر وهو الرحلة التعلمية أو التعليمية ؟ كتعبير دقيق لهذا النشاط باعتبار أن الهدف من عقد مثل هذه الرحلات لم يكن إلا من أجل التعلم والاستزادة من المعارف ، والعلوم .

[1] ابن خلدون ، المقدمة ، ج3 ، ص 1120 .

الفصل الثالث

مواد الدراسة ودورها في الابداع والإنتاج العلمي

تمهيد :

قبل الخوض في تفاصيل المواد التي يدرسها المتعلم ، يجب التمييز بين ما يدرسه المتعلم من مواد في ثلاث مراحل ، وهي :

- المرحلة الابتدائية أو مرحلة الكتاتيب .
- المرحلة المتوسطة .
- المرحلة العليا .

وهذه المراحل تختلف عن بعضها البعض من حيث المواد التي يدرسها المتعلم من جانب التعمق و التخصص، ومن حيث سن المتعلم ، وحتى من حيث مكان التعلم ، فالمقصود بمواد الدراسة المعنون به هذا الفصل ؛ نعني به مواد الدراسة في المرحلة المتوسطة والمرحلة العليا ، والفرق بينهما هو سن المتعلم ، وما يحصله من أجل التبحر في التخصص الذي يرغب فيه ويميل إليه أو الذي يتمكن فيه ، وغالباً لا يمكن التمييز بينهما ولكن الأكيد أنهما يختلفان تماماً عن مرحلة الكتاتيب في كل النواحي(السن ، مواد الدراسة ، أماكن التعليم مستوى المعلمين...الخ).

ولابد من الحديث في البداية عن المرحلة الأساسية للتعلم ، وهي مرحلة الكتاتيب ، وعن المبادئ أو المواد الأولية التي ينبغي على المتعلم تحصيلها كمدخل لهذا الفصل قبل الحديث عن المواد التي يدرسها المتعلم في المرحلة المتوسطة ، والمرحلة العليا التي تعد مرحلة التخصص .

- **مواد الدراسة في مرحلة الكتاب** : يطلق عادة على المرحلة الأولى لبداية الطفل في التعلم سواء عند الأسرة أو خارجها عند المعلمين بالمرحلة الابتدائية أو بمرحلة الكتاب أو الكتاتيب .

ومرحلة الكتاتيب التي تبدأ في العموم من سن السادسة أو السابعة من عمر المتعلم إلى غاية بلوغه[1]،و يدرس فيها مجموعة من المواد هي في معظمها مبادئ أولية لكل علم ، ويوافق وصف ابن خلدون للتعليم عند الأندلسيين في بداية مراحله مع ما ذكره الفقيه والمربي أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي (ت543هـ/1148م) الذي عاش قريبا من الفترة المطروقة ، والذي يُفترض أن هذا النظام التعليمي في الأندلس للمرحلة الابتدائية قد وجده معمولاً به من قبل (أي أنه كان معمولاً به فيما قبل عصر ابن العربي ، إذ يرى أن المنهج التربوي التعليمي للمرحلة الابتدائية في الأندلس يقوم على :

1)- تقديم تعليم اللغة العربية على سائر العلوم .

2)- تعليم الحساب .

[1] عن سن التعلم أنظر إلى الفصل الرابع ، ص 317 وما بعدها .

3)-تعليم القرآن الكريم .

4)- تعليم أصول الدين .

5)- تعليم أصول الفقه .

6)- الجدل .

7)-الحديث وعلومه.

وقد قُدم تعليم اللغة العربية لكي يكون بوسع المتعلم إدراك معاني ما يقرأ من القران الكريم ، وهذا اما انتقده صراحة ابن خلدون من تعليم في بعض الأمصار الاسلامية كالمغرب مثلاً إذ كيف يحمل الصبي على قراءة وحفظ القرآن الكريم ، وهو لا يفهم معاني ألفاظه[1] ، وعموماً فإن أهم المواد التي كانت تدرس في مرحلة الكتاب هي : تعليم القراءة والكتابة (تعليم الهجاء) أولاً ، وحفظ القرآن الكريم ثانيًا ، ورواية بعض الشعر ثالثًا ، والإلمام بالقواعد الأساسية في النحو واللغة والحساب رابعًا.

أ)– تعليم القراءة والكتابة (الهجاء) :

قال أحمد بن عبد الملك بن شهيد(ت426هـ/1034م)[2]: " كنت أيام كُتَّاب الهجاء ، أحن إلى الأدباء وأصبوا إلى تأليف الكلام ، فاتبعت الدواوين ، وجلست إلى الأساتيذ ..."[3].

ويذكر أن أهل الأندلس على الرغم من أنهم جعلوا القرآن الكريم أصلاً في التعليم فإنهم لم يقتصروا عليه بل أضافوا إليه رواية الشعر والترسل والنحو وتحسين الخط ، ولهذه المادة الأخيرة الحصة الأكبر من حصص باقي المواد لذلك كان التلميذ الأندلسي لا يكاد ينتهي من طور الشباب حتى يكون قد تضلع ولو نسبيًّا في اللغة والشعر وبرز في الخط وحصلت له الرغبة في العلم حيث يقول ابن خلدون : " وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم . إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك ، وأسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلا في التعليم. فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر

---

[1] ابن خلدون ، المقدمة ، ج3 ، ص 1118 . محمد الأمري المصمودي ، المرجع السابق ، ص ص 30 – 31 . مروان سليم أبو حويج ،**أصالة التثقيف التربوي الإسلامي في الفكر الأندلسي** ، الدار الجامعية ، (د.ب) ، 1987 ، ص ص 304 - 305 .

[2] الوزير الكاتب الملقب بذي الوزارتين ، يكنى بأبي عامر ، ولد سنة 382هـ/992م بقرطبة وبها توفي كذلك ، من كبار الأندلسيين أدباً وعلماً يقول النثر والشعر على البديهة له ديوان شعر ، ومن مؤلفاته "كشف الدك وإيضاح الشك " ، " حانوت عطار" ، " التوابع والزوابع " كانت بينه وبين صديقه ابن حزم مراسلات ومكاتبات ، وله رسائل في الفكاهة والهزل . الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ص 131- 132. الضبي المصدر السابق ، ج1 ، ص 237 . ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص191 وما بعدها . ابن خلكان ، المصدر السابق ج1 ، ص 116 وما بعدها .خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 163 .

[3] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص 246 .

في الغالب والتراسل وأخذهم بقوانين العربية ، وحفظها وتجويد الخط والكتاب ، ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ الى عمر الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما ، وبرّز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة ..."[1] .

ومن خلال ما سبق نستنتج أن تعليم الهجاء كان في الكتاتيب ، وقد تكون كتاتيب خاصة بتعليم الهجاء فقط ، أو ربما الكتاتيب المعروفة بتدريس القرآن الكريم ، ويعد تعليم الهجاء هو بداية التعليم [2].

ب)– تعليم القرآن الكريم واللغة العربية والشعر :

لقد ذكر ابن خلدون (ت808هـ/1405م)أن البلاد الاسلامية بما فيها الأندلس تجعل تعلم القرآن الكريم هو أساس منظومة التعليم لأنه الأصل الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات على حد تعبيره ، وقد قُدِّم تعليم القرآن في سن الطفولة ، وهذا مخافة أن ينقطع المتعلم عن الدراسة فيذهب خاليًّا من حفظ القرآن الكريم ويعلل ذلك بقوله : " أن تعليم الصغر أشد رسوخًا وهو أصل لما بعده ، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات ، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه "[3]

ومنه فمرحلة الكتاب يتعلم فيها الصبي أولاً الهجاء من خلال قراءة وكتابة الأحرف رسماً ونُطقاً ، وبمرور الزمن يتدرج إلى قراءة وكتابة القرآن الكريم ، ثم حفظه ، زيادة على دراسة اللغة العربية وقواعدها ، وحفظ شيء من الشعر ، وقراءة الأدب ، وقد يدرس التلميذ في هذه المرحلة شيئًا من الفقه[4] .

المبحث الأول : العلوم الدينية ,والأدبية, والفنون

المطلب الأول : العلوم الدينية

العلوم الدينية هي التي يصطلح عليها بالعلوم النقلية ، حيث يقول العلامة ابن خلدون أن هذه العلوم التعليمية أصلها هو " الشرعيات (علوم الشريعة) من الكتاب والسنة مشروعة لنا من الله ورسوله(...) وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة ، لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق ..." [5] ، ثم يعدد ما المقصود بالعلوم النقلية بقوله: "... فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولاً وهذا هو علم التفسير ، ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله ، واختلاف روايات القراء في قراءته

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1116 .
[2] إبراهيم علي العكش، المرجع السابق ، ص ص 164 – 165 .
[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 1115 – 1116 .
[4] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 166 .
[5] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 931 .

وهذا هو علم القراءات ، ثم بإسناد السنة إلى صاحبها ، والكلام في الرواة الناقلين لها ، ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك ، وهذه هي علوم الحديث ، ثم لابد في استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط، وهذا هو علم أصول الفقه ، وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين ، وهذا هو الفقه ، ثم إن التكاليف منها بدني ، ومنها قلبي وهو المختص بالإيمان ، وما يجب أن يعتقد مما لا يعتقد ، وهذه هي العقائد الإيمانية في الذات والصفات ، وأمور الحشر ، والنعيم ، والعذاب ، والقدر ، والحِجاج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام ، ثم النظر في القرآن والحديث لابد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها ، وهي أصناف فمنها علم اللغة ، وعلم النحو ، وعلم الأدب ..."[1] .

أ)- علوم القران الكريم[2]:

أ)- 1 - علم القراءات :

كما جاء في موضع سابق أن مصطلح القراءات أخذ تعريفات متعددة [3] ، ولقد لخصها ابن خلدون في عبارة بقوله: "هو اختلاف روايات القراء في قراءة القرآن ، ومنها القراءات السبع المشهورة التي صارت أصولاً للقراءة "[4] ، والاختلاف يكمن في رسم المصاحف ، إما اختلاف النقط والمعنى واحد ، أو اختلاف بعدم اجتماعهما في معنى واحد [5] .

والمقصود بالقراءات السبع ما رواه الإمامان البخاري(ت256هـ/870م)، ومسلم(ت261هـ/875م) في صحيحهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَى حَرْفٍ ، فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ "[6] .

---

[1] نفسه .

[2] يقصد بهذا المصطلح تلك العلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم من حيث النزول وأسبابه ، والجمع والترتيب ، والتدوين ، ومعرفة المكي منه والمدني والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك من الأبحاث الكثيرة التي تتعلق بالقرآن العظيم ، أو لها صلة به ، والهدف من هذه الأبحاث فهم كلام الله عز وجل على ضوء ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم من توضيح وبيان ، وما نقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، والمشهور من تلك العلوم علمي القراءات والتفسير . محمد علي الصابوني ، **التبيان في علوم القرآن** ، مكتبة رحاب ، ط3 ، الجزائر ، 1986 ، ص 06 .

[3] لقراءة نماذج من هذه التعريفات المتعددة ينظر إلى الفصل الثاني ، ص 123 ، الهامش1.

[4] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، 931 .

[5] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص ص 121-122.

[6] حديث أخرجه البخاري ومسلم . الإمام البخاري ، الجامع المسند الصحيح ، ج6 ، ص 184 . الإمام مسلم ،**المسند الصحيح المختصر** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج1 ، ص 561 .

ولقد أدرك الإمام عثمان بن عفان(ت35هـ/656م) رضي الله عنه وقع هذا الخلاف على الأمة فأمر بجمع القرآن الكريم ، وضبط رسمه في مصحف واحد معتمد فيما عرف به اصطلاحًا بالمصحف الإمام فأصبح حجة للقارئين والمقرئين ، واشتهر المغرب الاسلامي باعتماد قراءة نافع بن أبي نعيم (ت169هـ/785م).

واهتم الأندلسيون بعلم القراءات واشتغلوا به بعد دخول قراءة نافع في عصر الإمارة ،وهو أحد القراء السبعة ، ومن العلماء الأوائل الذين أدخلوا هذه القراءة الغازي بن قيس(ت199هـ/ 785م) ، حيث قرأ القرآن على نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة ، فكان يُقرأ عليه في الأندلس[1].

ولقد اتبع الأندلسيون القراءة الوافدة من المشرق عن نافع بن أبي نعيم ، وكان لمدرسة القيروان في هذا التخصص فضل على الأندلسيين الذين أخذوا علم القراءات على بعض علماء القيروان ، وكان من أبرزهم في هذا المجال أبومحمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت437هـ/1045م)الذي وفد إلى الأندلس ، وسكن قرطبة سنة 393هـ/1002م ، وفيها ألقى أبو محمد دروسه ، وتصدر للتعليم في علم القراءات [2].

وفي عصر ملوك الطوائف برز مجاهد العامري (412- 436هـ/1021 1044م) صاحب دانية والجزائر الشرقية الذي كان معتنيًّا بهذا بالعلم لما أخذ به مولاه المنصور بن أبي عامر(326 – 392 هـ /938 – 1002م) واجتهد في تعليمه وتبجيل أهله ، واشتهرت هذه المملكة (دانية والجزائر الشرقية) بهذا العلم وكثرة علمائه فيها ، ونتيجة لهذه الرعاية ، ظهر من هؤلاء العلماء أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت444هـ/ 1052م) الذي بلغ الغاية فيه ، وكان من الأئمة الذين انتهى إليهم علم قراءة القرآن الكريم ، وطرقه ورواياته ، وتفسير معانيه ، وإعرابه ، ولم يكن في عصره من يضاهيه[3]، وتعددت مؤلفاته في هذا العلم ، وكان من أشهر كتبه في هذا المجال كتاب التيسير في القراءات السبع ، وجامع البيان ، وأسس مع أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ما يشبه بمدارس للقراءات في الغرب الاسلامي [4].

ومن العلماء الذين ألفوا في علم القراءات سواء منهم الأندلسيون أو الوافدون إليها من المغرب والمشرق نذكر على سبيل المثال لا الحصر أبا عمر أحمد بن عبد الله الطلمنكي(ت429هـ/1035م) الذي كان أحد

---

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق 1 ، 345 .

[2] وهو كذلك عالم بالتفسير واللغة العربية ، ولد بالقيروان سنة 355هـ/966م ، وتوفي بقرطبة ، ولقد ألف كتباً كثيرة في القراءات من بينها "التبصرة في القراءات السبع" ، " الموجز في القراءات" ، " الإبانة في القراءات" ، "مشكل إعراب القرآن "وهو الذي ألفه أثناء رحلته في المشرق وقيل أن مجموع مؤلفاته قد بلغت خمسة وثمانون كتاباً .الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 627. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج7 ص 286 .

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 933. أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص ص 405 -406 .

[4] محمد المختار ولد أباه ، المرجع السابق ، ص 197 وما بعدها .

الأئمة في علم القرآن العظيم قراءته ، وإعرابه ، وأحكامه ، وناسخه ، ومنسوخه ، ومعانيه ، ويعد أول من أدخل علم القراءات إلى الأندلس ، وقد ألف في هذا كتابه الروضة ، وسكن قرطبة ، وأقرأ الناس بها محتسباً واسمعهم الحديث ، وانتفع الناس بعلمه[1] ، وكذلك أبا عمر أحمد بن محمد الكلاعي القرطبي(ت432هـ/ 1041م)[2] الذي كان عالماً بالقراءات ضابطاً لها وألف فيها كتباً كثيرة ، وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الأنصاري(ت462هـ/1069م) الذي كان من جلة المقرئين ، ومن الخطباء الحفاظ المجودين ، عارفًا بالقراءات وطرقها ، وكانت الرحلة في وقته تعقد إليه[3] ، وفائق مولى أحمد بن سعيد بن حزم الذي أخذ علومه وحدث عنه أبو عمرو بن عبد البر النمري(ت463هـ/1070م) في كتاب البيان عن تلاوة القرآن[4] ، كما اشتهر ببلنسية سليمان بن أبي القاسم نجاح مولى هشام المؤيد بالله (ت 496هـ/ 1102م) الذي كان عالماً بالقراءات ورواياتها وطرقها ، وله مصنفات كثيرة في معاني القرآن العظيم[5] .

كما استفاد الأندلسيون كثيراً من العلماء الوافدين إلى الأندلس ممن اشتهروا باهتمامهم وتخصصهم في علم القراءات ونذكر منهم مثلاً أحمد بن علي بن أحمد الربعي الباغائي نزيل قرطبة(ت345هـ /956م) الذي قال في حقه ابن بشكوال بأنه لم يكن له نظير في علم القرآن قراءته ، وإعرابه ، وأحكامه ، وناسخه ، ومنسوخه وله كتاب في أحكام القرآن[6] ، وكذلك أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي المقرئ الذي وفد إلى الأندلس سنة 430هـ/1038م أو نحوها إذ كان عالماً مختصاً في القراءات ، وأخذ عنه طلبة العلم الأندلسيين من مالقة وغيرها[7] ، ووفد إلى الأندلس نزيل المرية أستاذ علم القراءات سليمان بن أحمد الطنجي(ت قبل440هـ/ 1048م)[8] الذي قرئ عليه ، وانتفع منه الطلبة ، وتدريس القراءات يهدف الى تحقيق أمرين هما :

- الأول :كتابة القرآن في ألواح مع وضع علامات خاصة للإشارة إلى مواضع الوقف والفصل ، وما يجب منها ، وما يجوز أو يمنع ، إلى جانب الملاحظات الأخرى الخاصة بالتجويد .

---

[1] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 83 -84 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 205 .محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 122 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 88 – 89 .

[3] نفسه ، ج2 ، ص556 .

[4] نفسه ، ج2 ، ص 681 .

[5] نفسه ، ج1 ، ص ص 322 – 323 .

[6] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 142 .

[7] نفسه ، ج 1 ، ص 144 .

[8] نفسه ، ج1 ، ص ص 324 – 325 .

– أما الثاني : القراءة نفسها ، حيث يبدأ المدرس عادة في القراءة ليقدم مثالاً للطالب ، ثم يحاول الطالب نفسه أن يقلده فيما فعل معلمه ، فإذا حقق الطالب شيئاً من التدريب بدأ يرتل وحده ، والمدرس يتبعه ويصلح له الأخطاء إذا وقع فيها ، وكان القراء الذين يتميزون بالأصوات الرخيمة والدقة في القراءة ، وممن يتحلون بالورع ، والخشوع ، والتقوى ، مطلوبون كثيراً من عامة الناس للقراءة في المساجد[1] .

أ) **– 2– علم التفسير**: التفسير لغة: مشتق من فعل فسر والفَسْرُ بمعنى البيان ، وكشف المغطى ، ويقال فَسَرَ الشَّيْءَ يَفْسِرُهُ أو يَفْسُرُهُ فَسْرًا وفَسَّرَهُ بمعنى أبانه ، والتفسير مثله ، والتفسير والتأويل بمعنى واحد ، قال تعالى:" وَ لا يَاتُونَكَ بِمثَـلٍ اِلَّا جِئنَاكَ بِالحَقِّ وَأَحسَنَ تَفْسِيراً "[2] ، ويقال : فسَّر بمعنى بيَّن ووضَّحَ [3] .

أما اصطلاحاً فهو علم يقوم على فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه ، كما يُعرَّف بأنه علم يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[4] ، ويقصد بالتفسير باختصار ودقة العلم الذي يُشرح به كلام الله[5] .

ولقد نشأ علم التفسير منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم الذي يعد أول مفسر للقرآن الكريم[6] ، ثم اهتم المسلمون من بعده بتفسير القرآن الكريم ، وفهم معانيه وشرحه سواء من الناحية اللفظية اللغوية أو من ناحية المقاصد ، لهذا فقد قسم العلامة ابن خلدون علم التفسير إلى صنفين :

– تفسير نقلي : مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف ، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ...الخ .

– والصنف الآخر: يرجع إلى اللسان من خلال معرفة اللغة والإعراب والبلاغة لفهم المعنى بحسب المقاصد والأساليب[7].

ولقد مر علم التفسير عند المسلمين باتجاهين اثنين تطابقاً مع ما صنفه ابن خلدون لهذا العلم ، فهناك من المفسرين من فسر القرآن بالمأثور أي بما عرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة ، وهناك

---

[1] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص53 .

[2] سورة الفرقان 25 / الآية رقم 33 .

[3] ابن منظور ، المصدر السابق ، ج 37 ، ص 3412 . الفيروز آبادي ، المصدر السابق ، ص 425 .

[4] محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، ص ص 61 –62 .

[5] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 126 .

[6] بشار قويدر ، **مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه** ، دار الوعي ، ط1 ، الجزائر ، 1993 ، ص 68 .

[7] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 935 – 936 .

اتجاه ثاني قائم على الرأي وأصحابه اعتمدوا على العقل والفلسفة ، فظهر ما يعرف بالفرق الكلامية كالمعتزلة[1] والباطنية[2] .

ولقد ساد في الأندلس استخدام الاتجاه الأول القائم على التفسير النقلي[3] ، فكان الأندلسيون يعتمدون في مجال التفسير على ما يصلهم من كتب المشرق أو على الطلاب الأندلسيين الذين أخذوا علم التفسير عن المشرق ، وعادوا لتدريسه[4] .

ويعد العلامة بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) أول مدرسة أندلسية في هذا العلم ، ومن أكبر المفسرين الأندلسيين الذي أخذ عنه طلبة العلم ، وقد ألف كتاباً في تفسير القرآن الذي قال فيه ابن حزم : " فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا استثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره"[5].

ومن المفسرين الأندلسيين أبو اسحاق إبراهيم بن حسين بن خالد القرطبي (ت249هـ/863م) الذي ألف كتاباً في تفسير القرآن الكريم[6] ، وعرف عن إبراهيم بن إسحاق بن أبي زود (ت382هـ/992م) أنه كان

---

[1] فرقة إسلامية تسمى كذلك بأصحاب العدل والتوحيد ، وبالقدرية والعدلية ، وأصول مذهبهم هي :التوحيد ، العدل ، الوعد والوعيد ، المنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقبوا بالمعتزلة لأنهم انفصلوا عن أهل السنة والجماعة ، وقيل أن واصل بن عطاء (ت131هـ /748م) وهو رأس المعتزلة كان يحضر درس الحسن البصري(ت110هـ/728م) ، فلما قالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر ، وقال أهل السنة والجماعة بأن مرتكب الكبائر مؤمن غير كافر وإن كان فاسقاً ، خرج واصل عن الفريقين وقال بأن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر ، واعتزل مجلس الحسن البصري ، وتبعه بعضهم فعرفوا بالمعتزلة . الشهرستاني ، المصدر السابق ، ص 34 . عبد المنعم الحفني ، المرجع السابق ، ص 358 وما بعدها . خير الدين الزركلي, المرجع السابق , ج8, ص ص 108 -109.

[2] هي عدة فرق ، وسموا بذلك لأنهم يدعون بأن لظواهر القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر وقيل الباطنية هم الذين أولوا بأن أصول الدين على الشرك ، فقالوا بإلهين على طريقة المجوس الثنوية ، وأنكروا الرسل والشرائع ، واستباحة ما يميل إليه الطبع ، ومن الذين أسسوا هذه الدعوة ميمون بن ديصان المشهور بالقداح (ت نحو170هـ/786م) ، وتوجد فرقة من الإسماعيلية الشيعية تنسب إليه تسمى بالميمونية . عبد المنعم الحفني ، المرجع السابق ، ص 96 وما بعدها . خير الدين الزركلي، المرجع السابق ، ج7 ، ص 341.

[3] محمد عبد الحميد عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص 284 .

[4] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 54 .

[5] ابن حزم الأندلسي ، **رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها (ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي 384- 456هـ)** ، تحقيق إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، بيروت ، 1987 ، ج2 ، ص 178 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 301 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 15 -16 . خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 54.

[6] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص08 .

حافظاً للتفسير[1]، وبرز كذلك ابن محامس عثمان بن محمد (ت356هـ/966م)[2] ، ومنهم محمد بن وضاح الصدفي الشذوني (توفي في صدر أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر)الذي روى عنه طلبة العلم تفسير القرآن[3].

واشتهر في بلنسية سليمان بن أبي القاسم نجاح (ت496هـ/ 1102م) الذي صنف كتباً كثيرة في معاني القرآن العظيم ، وروى عنه الكثير من طلبة العلم [4].

ب) الفـقــه :

الفقه لغة :العلم بشيء والفهم له[5] ، وورد هذا اللفظ في عدة مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى:" قَالُواْ يَاشُعَيْبُ مَاْ نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّاْ تَقُولُ"[6]، وقوله تعالى :" فَمَاْ هَـؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَاْ يَكَاْدُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيْثًا "[7] وغلب على علوم الدين لسيادته ، وشرفه ، وفضله على سائر أنواع العلوم ، ويقال: أوتي فلان فِقهًا في الدين أي فهمًا فيه ، وقال الله عز وجل : " لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ "[8] أي ليكونوا علماء به ، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال:" اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينَ وعَلِّمْهُ التَأْوِيْلِ"[9] أي فَهِّمْهُ تأويله ومعناه ، فاستجاب الله دعاءه ، وكان من أعلم الناس في زمانه بكتاب الله تعالى[10] .

أما اصطلاحاً : فقد عرفه ابن خلدون بقوله : " الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة ، والاباحة ، وهي مستنبطة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها

---

[1] نفسه ، ق1 ، ص 19 .

[2] نفسه ، ق 1 ، ص 305 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 409 .

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 30 .

[4] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 321 .

[5] ابن منظور الإفريقي ، المصدر السابق ، ج37 ، ص 3450 . الفيروز آبادي ، المصدر السابق ، ص 1151 .

[6] سورة هود 11 / الآية رقم 91 .

[7] سورة النساء 04/ الآية رقم 77.

[8] سور ة التوبة 09/ الآية رقم 123.

[9] رواه أحمد بن حنبل والإمام البخاري . أحمد بن حنبل ، المسند ، ج3 ، ص ص 95 ، 272. الإمام البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر ،ج1 ، ص 41 .

[10] ابن منظور الإفريقي ، المصدر السابق ، ج37 ، ص 3450 . عبد الكريم زيدان ، **الوجيز في أصول الفقه** ، مؤسسة الرسالة ، ط7 ،بيروت 1998 ، ص08 .

من الأدلة ، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"[1] ، وهو باختصار العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسبة من أدلتها التفصيلية ، أو هو الأحكام نفسها[2].

ولقد أقبل الأندلسيون على دراسة الفقه أكثر من المواد الأخرى[3]، وأخذ مكانة سامية في قلوب الأندلسيين بدليل كثرة المقبلين على طلبه واتساع طبقة الفقهاء مقارنة مع طبقات غيرها من العلماء في تخصصات أخرى وكانت سمة الفقيه عندهم فهي عظيمة وجليلة ، والفقيه عندهم معظم عند العامة والخاصة على حد سواء ونتيجة لهذه المكانة أدت بشريحة كبيرة من طلبة العلم الأندلسيين إلى الاقبال على هذا التخصص لما رأوا ما يتمتع به الفقيه من مكانة علمية واجتماعية وسياسية مرموقة ، فملوك الأندلس كانوا يتواضعون للفقهاء ويرفعون بقدرهم ، ولا يقدمون وزيراً ولا مشاوراً ما لم يكن عالماً[4]، وكان من يريد تولي المناصب والوظائف سواء الدينية منها أو المدنية كمنصب القاضي أو الكاتب أو خطيب المسجد أو غيرها فعليه دراسة الفقه إلى جانب بعض المواد الأدبية ، والعلوم الأخرى غير الفلسفة والفلك والتنجيم[5] .

والملاحظ أن الأندلسيين في حياتهم الدراسية كانوا يخلطون في طلبهم العلم مجموعة من العلوم ، فنجد في شخص الفقيه مثلاً بأنه في نفس الوقت محدث ، أو مفسر، أو لغوي ، أو مؤرخ كابن القوطية أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز(ت367هـ/977م) مثلاً فإلى جانب اهتمامه بالتاريخ كان معتنياً بالفقه ، والحديث وعلومه فكان يُسمع عليه فيهما على المعنى لا اللفظ [6] .

وكان أهل الأندلس يتميزون بحبهم وشغفهم بطلب العلم ، فكانت الحلقات العلمية تعقد في المساجد وهذا ما أكده المقري بقوله: "وليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم ، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة"[7].

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 947 .

[2] عبد الكريم زيدان ى، المرجع السابق ، ص ص 08 – 09. عبد الله بن يوسف الجديع ، **تيسير علم أصول الفقه** ، مؤسسة الريان ، ط4 بيروت ، 2006 ، ص 11 .

[3] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 54 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 181 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 195.

[5] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 181. خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص54.

[6] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 76 .

[7] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 181.

وساد في الأندلس المذهب الأوزاعي ، وأول من أدخله صعصعة بن سلام (ت192هـ/808م) لما انتقل إلى الأندلس ، وبتولي الأمير هشام الأول بن عبد الرحمن الداخل(172–180هـ/788-796م) الحكم غلب على الإمارة الأندلسية المذهب المالكي[1]، وهذا لعدة عوامل أهمها :

1) – وفود الطبقة الأولى ممن لقوا الإمام مالك إلى الأندلس ، وتتضمن تلك الطبقة الفقيه زياد بن عبد الرحمن اللخمي(ت183هـ/799م)، والغازي بن قيس(ت199هـ/814م) ، وقرعوس بن العباس(ت220هـ /835م)[2]، فنشروا مذهب الإمام مالك[3]، ويذكر الحميدي ، والمقري بأن زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون هو أول من أدخل موطأ الإمام مالك إلى الأندلس مكملاً متقناً ، فأخذ عنه يحي بن يحيى الليثي(ت234هـ /848م) ثم أشار زياد على يحي بالرحيل إلى مالك والسماع منه مباشرة ، فرحل وأخذ عنه ، وكان انتشار المذهب به ، وبزياد ، وبعيسى بن دينار(ت212هـ/827م)[4]، وغيرهم ممن ذكروا سابقاً .

2) – شخصية الأمير هشام عبد الرحمن بن معاوية في حد ذاتها ، إذ عرف أنه كان رجلاً متدينًا شديد التقى يشبه بالخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز(99-101هـ/717-720م) في عدله وورعه ، كما تشابهت أخلاقه بأخلاق الفقهاء إلى درجة أنه سمي بالأمير الفقيه ، ولما وصف الفقيه الأندلسي زياد بن عبد الرحمن فضائل الأمير هشام لدى الإمام مالك بن أنس دعا الإمام مالك بدعائه المشهور:" نسأل الله تعالى أن يزين موسمنا بمثل هذا" ، اعجابًا لعدل الأمير وسيرته ، ولما بلغ قول مالك إلى مسامع الأمير هشام ، حمل هذا الأخير الناس على مذهب الإمام مالك ، وترك المذهب الأوزاعي [5].

وكان لفقهاء المالكية دور في تثبيت ملك هشام بن عبد الرحمن الداخل بوقوفهم معه ضد أخيه سليمان(ت 184هـ/ 800م) بعد وفاة أبيهما عبد الرحمن الداخل ، واجتمعت كلمة الفقهاء عليه لعلو كعبه في العلم

---

[1] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 55 . أحمد تيمور باشا ، **المذاهب الفقهية الأربعة (الحنفي – المالكي – الشافعي – الحنبلي) وانتشارها عند جمهور المسلمين** ، تقديم محمد أبو زهرة ، دار القادري ، ط1 ، بيروت ، 1990 ، ص64 .

[2] قرطبي ، يكنى بأبي الفضل ، أو بأبي محمد ، له رحلة إلى المشرق سمع فيها من الإمام مالك وغيره من العلماء ، واختص بعلم المسائل على مذهب الإمام مالك ، روى عنه بعض فقهاء الأندلس منهم عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) ، وغيره. ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 372 – 373. الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 595 .

[3] الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص218-219. الضبي، المصدر السابق ،ج2 ، ص 372 . أحمد تيمور باشا ، المرجع السابق ، ص 64.

[4] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 218 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 215 .

[5] نفسه ، ج1 ، ص 263 . حسين مؤنس ، **شيوخ العصر في الأندلس** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.ب) ، ص 9 .أحمد تيمور باشا المرجع السابق ، ص 66 .

والأدب وحسن السيرة عكس أخيه سليمان الذي كان بطبعه رجل حرب أكثر منه رجل علم ، فمال عنه الشيوخ ، وصوروه في صورة رجل جاهل [1] .

3)- السبب الآخر لانتشار المذهب المالكي في الأندلس ما قدمه ابن خلدون من تبرير بذكر أن هدف العلماء الأندلسيين في رحلاتهم العلمية كانت المدينة المنورة وهي منتهى سفرهم ، وهي دار العلم ، ولم يكن العراق في طريقهم ، فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة ، وكان شيخهم يومئذ الإمام مالك فقلدوه دون غيره هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ربط عامل آخر له علاقة بانتشار المذهب وهو عامل البداوة الذي حسبه يغلب على أهل المغرب والأندلس ، ولم يكونوا يعنون بالحضارة التي هي بأرض العراق ، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل من خلال مظهر البداوة[2] ، وربما يقصد ابن خلدون بالبداوة العصبية والبساطة وضعف التأثير اللغوي ، وكأنه أراد القول بأن عادات وتقاليد أهل الأندلس متشابهة مع ما هو عند أهل الحجاز، وهو ما أدى بالأندلسيين إلى الأخذ بمذهب الإمام مالك إمام أهل المدينة والحجاز[3].

و نجد أن ابن خلدون قد تحامل على الأندلسيين بذكر العاملين السابقين ، ففي الوجه الأول هناك من العلماء الأندلسيين من دخلوا مصر ، والعراق ، والشام في رحلاتهم العلمية ، وأخذوا من أتباع المذاهب غير المالكية كالشافعية ، والظاهرية ، وسيرد أمثلة عن هؤلاء في موضع لاحق ، ولم يؤثر ذلك على سيادة وانتشار المذهب المالكي في الأندلس .

أما المبرر الثاني الذي يتعلق بالبداوة والحضارة ، فقد بلغت شهرة بعض الحواضر العلمية الأندلسية كقرطبة واشبيلية ، وطليطلة مراتب الحواضر المشرقية الكبرى في مصر ، والعراق ، والشام ، إلى درجة أنه قامت بقرطبة مدرسة فقهية رائدة أنشأها كبار الفقهاء الأندلسيين من أمثال عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852م) وغيره ، هذه المدرسة الأندلسية كانت من بين ثلاث مدارس فقهية مشهورة في العالم الاسلامي في ذلك العصر ، والتي تشمل مدرسة القيروان ، ومن أشهر علمائها الفقهاء سحنون بن سعيد التنوخي (ت240هـ/854م) مؤلف المدونة ، ومدرسة العراق القائمة على الرأي ، والقياس[4] .

ويرجح آخرون أن سبب سيادة المذهب المالكي ، وانتشاره في الأندلس إلى العقلية الأندلسية في حد ذاتها من خلال ذلك التوافق بين مذهب الإمام مالك الذي يعتمد على الحديث ، وعلى إجماع أهل المدينة أكثر مما

---

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 215 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ص 7- 8 .

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 954 . أحمد تيمور باشا ، المرجع السابق ، ص ص 66 -67 .

[3] خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 54 .

[4] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 55 .

يعتمد على القياس والرأي ، وربط هذا مع ميل أهل الأندلس إلى علم الحديث أكثر من العلوم الأخرى ،وقد يرجح هذا الجانب أكثر من التخمينات السابقة باعتباره أحد أهم العوامل التي جعلت الأندلسيين يتبنون المذهب المالكي ، ويتعصبون له[1] .

وبما أن المذهب المالكي هو السائد في الأندلس بداية من عصر الإمارة ، فمعظم الدراسات الفقهية كانت تتجه في إطار وحدود هذا المذهب ، لهذا صب الأندلسيون اهتماماتهم حول دراسته ، فقد اعتمد فقهاء المالكية في الأندلس على تدريس كتاب الموطأ في حلقاتهم العلمية ، وكان بمثابة المرجع الرئيسي في تدريس الفقه في المساجد ، وبيوت العلم ، ويستخدم موارده نصاً للدراسة سواء في جامع قرطبة أو في أي مسجد آخر وكان محور الدراسات من حيث تفسير مضمون الكتاب ، وشرحه ، وبيان الأحكام المستخدمة منه ومقاصده أو التعليق على بعض الشروحات أو اختصارها أو شرح غريبها ....الخ [2].

ولقد ألف الفقهاء في الأندلس العديد من المؤلفات التي كانت هي الأخرى مدار الدراسة والتدريس إما بواسطة الإملاء ، أو بالإقراء ، وكما نعلم أن الكتب كانت من أهم موارد الحلقات العلمية ، فقد أُلف عن زياد بن عبد الرحمن (ت204هـ/819م) كتاب عرف بسماع زياد ، وهو حصيلة سماعه الموطأ من مالك[3] وكان للفقيه عيسى بن دينار الغافقي(ت212هـ/827م) كتاب البيوع ألفه من سماعه ، وألف الفقيه عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852م) كُتب في الفقه ، منها كتاب في تفسير الموطأ ، وكتاب آخر في طبقات الفقهاء والتابعين ، وكتاب مصابيح الهدى ، وغيرها من الكتب في التراجم ، والأخبار[4].

واشتهر في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر الفقيه محمد بن عبد الله بن عشيون الطلطيلي(ت341هـ/ 952م) الذي ألف كتابًا مختصراً في الفقه ، وكتابًا آخر في توجيه حديث الموطأ[5] .

وفي أيام الحكم المستنصر بالله كان الفقيه أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة (ت352هـ/963م) "حافظاً للفقه على مذهب مالك ، وأصحابه ، متقدماً فيه ، وكان مشاورًا في الأحكام صدرًا في الفتيا ، وكان يُناظر عليه في الفقه ، ولقد حدث ، وسمع منه جماعة من الناس ، وكان وقورًا مهيبًا "[6].

[1] خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 57 .

[2] نفسه . محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص ص 296 – 297 .

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق 1 ، ص 155 .

[4] نفسه ، ق1 ، ص 270 .

[5] نفسه ، ق2 ، ص 61 .

[6] نفسه ، ق1 ، ص72 .

وفي عصر ملوك الطوائف ظهر الكثير من العلماء الفقهاء الذين لا يقل شأنهم عن سابقيهم وعلو كعبهم علمًا وفقهًا وكثرة مؤلفاتهم وشهرة مجالسهم العلمية ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر العالم الفقيه أبا عمرو يوسف بن عبد البر النمري(ت463هـ/1073م) الذي ألف كتبًا قيمة في الفقه ، وقد قال فيه ابن بشكوال: " دأب أبو عمر في طلب العلم وافتن فيه ، وبرع براعة فاق بها من تقدمه من رجال الأندلس ، وألف في الموطأ كتبا مفيدة منها :"كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ورتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم ، وهو كتاب لم يتقدمه أحد إلى مثله ، وهو سبعون جزءًا (...) وله كتاب جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله وغير ذلك من تواليفه "[1]، وألف الكافي في الفقه على مذهب مالك وأصحابه في خمسة عشر كتابًا اختصر فيه ما يحتاجه المفتي من أحكام وبوبه وصار يُغْنِي صاحب البحث عن المؤلفات الطوال في هذا الميدان [2] ، وفي غرناطة اشتهر في عهد بني زيري أبو العباس أحمد بن بشير الفرضي الذي ألف كتابا في أصول الدين وعلم الفرائض [3].

ولم يقتصر التعليم في الفقه على المذهب المالكي فقط بالرغم من سيادته ، بل كان نصيب لبعض المذاهب الأخرى من طلب الأندلسيين كالمذهب الأوزاعي الذي كان معروفاً في الأندلس قبل دخول المذهب المالكي وأول من أدخله صعصعة بن سلام الشامي(ت192هـ/807م) ، وكانت تدور عليه الفتيا بالأندلس أيام عبد الرحمن بن معاوية ، وصدرًا من أيام هشام بن عبد الرحمن ، وعلى هذا المذهب كانت تقوم الدراسات الفقهية والمعاملات والتشريعات المختلفة[4]، وكان صعصعة بمثابة إمام وشيخ الأوزاعية في الأندلس ، وانتفع من علمه وتتلمذ على يده طلبة العلم ، وروى عنه الكثير[5].

ومن الذين تفقهوا بالمذهب الأوزاعي بالأندلس على سبيل المثال لا الحصر أسد بن عبد الرحمن السبئي (كان حيًّا 150هـ/767م) الذي روى عن الأوزاعي حتى قيل بأنه أول من أدخل المذهب إلى الأندلس[6] وزهير بن مالك البلوي(ت قبل250هـ/ 864م)[7].

---

[1] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 974 .

[2] ابن حزم الأندلسي ، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ، ص 180 .

[3] ابن الأبار القضاعي ، التكملة لكتاب الصلة ، ص 28 .

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 203 – 204 .

[5] نفسه ، ص 204 .

[6] من أهل إلبيرة ،وولي قضائها. ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 74 . خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 32 .

[7] قرطبي الأصل، يكنى بأبي كنانة . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 153 . الحميدي ، المصدر السابق ، ص 221 .

ومن الذين تفقهوا بالمذهب الشافعي قاسم بن سيار(ت277هـ/890م) ، الذي رحل إلى المشرق في أواسط القرن الثالث الهجري /التاسع ميلادي ، وأخذ عن كبار علماء الشافعية فلما عاد إلى الأندلس أخذ بنشر المذهب الشافعي عن طريق التدريس والتأليف ، وتحلق به الطلبة ، كما لقي التشجيع من الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط(238-273هـ/852-886م) ، وعهد إليه منصب تحرير الوثائق وشروطه [1] واشتهر كذلك من فقهاء الشافعية بقي بن مخلد (ت276هـ/889م) الذي انتصر له الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط في وجه فقهاء المالكية لما تحالفوا ضده للحد من نشر علمه القائم على المذهب الشافعي وعاتبوه على ما أدخله إلى الأندلس من كتب الاختلاف وغرائب الحديث ، وأيده الأمير محمد ، وسمح له بنشر علمه ، وتتلمذ على يده طلبة العلم في دراسة المذهب الشافعي، وكان من بينهم مثلاً صاحبه هارون بن النصر القرطبي (ت302هـ/914-915م)، وأسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد (ت319/934م)[2] وغيرهما ، وكان ممن انفرد به بقي بن مخلد ولم يدخله سواه إلى الأندلس من المصنفات كتاب الفقه الكبير لمحمد بن إدريس الشافعي(ت204هـ/820م)[3]، وكتاب مصنف أبي بكر بن أبي شيبة(ت235هـ/849م)[4] بتمامه وكماله ، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط(ت240هـ/854م)[5]، وكتابه في الطبقات ، وكتاب سير عمر

---

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق 1 ، ص 355 وما بعدها . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 431 .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق 1 ، ص ص 92 – 93 . خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 27 .أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ص 433 وما بعدها .

[3] يكنى بأبي عبد الله ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ولد سنة 150هـ/ 767م بغزة ، وقيل بعسقلان بفلسطين ، وقيل باليمن ، وانتقل إلى مكة وهو ابن سنتين حيث نشأ بها وقرأ القرآن الكريم وبالمدينة المنورة ، ثم رحل إلى بغداد مرتين ، ثم إلى مصر وبها توفي ، وإليه تنسب الشافعية وكان مع ذلك شاعراً ، عالماً بالقراءات واللغة وأيام العرب ، ذكيا ، أفتى وهو ابن عشرين سنة ، وقال ابن حنبل في حقه ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي ومن مؤلفاته كتاب الأم في الفقه ، والمسند في الحديث ، وأحكام القرآن ، والرسالة في أصول الفقه ، وغيرهم. الفراء البغدادي ، طبقات الحنابلة ،ج2 ، ص263 وما بعدها .تاج الدين السبكي (أبو نصر عبد الوهاب بن علي) ، **طبقات الشافعية الكبرى** تحقيق محمود محمد الطناحي ، عبد الفتاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1976 . عبد الرحيم الأسنوي (جمال الدين) **طبقات الشافعية** ، تقديم كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1987 ،ج1 ، ص 18 وما بعدها . ابن خلكان المصدر السابق ، ج4 ، ص 163 وما بعدها . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص ص 26 – 27 .

[4] هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي مولاهم الكوفي ، يكنى بأبي بكر ، محدث ثقة وصفه ابن حنبل بالصدوق ، وكتابه هذا في الحديث والآثار يقع في خمسة أجزاء ، وله كتب أخرى منها المسند في الحديث ، الإيمان ، وكتاب الزكاة . شمس الدين الذهبي (محمد بن أحمد) ، **تذكرة الحفاظ** ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1998 ، ج2 ، ص 16 . صلاح الدين الصفدي ، المصدر السابق ، ج17 ص ص 237 – 238 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص ص 117 – 118 .

[5] العُصْفُري البصري ، يكنى بأبي عمرو ، ويعرف بِشَبَاب ، محدث ، مؤرخ ، ونسابة ، ومن مؤلفاته كتاب التاريخ في خمسة أجزاء ، وكتاب الطبقات المذكور أعلاه في ثمانية أجزاء . شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق، ج 2 ، ص 19 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج2 ص 312.

بن عبد العزيز رحمه الله للدورقي (ت252هـ/866م)[1] ، ولبقي بن مخلد كتب منها في تفسير القرآن ، وكتابه المسند لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم[2] .

ولقد وصلت الشافعية في عصر الخلافة إلى بيت الخليفة في حد ذاته ، فقد اشتهر الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الناصر(قُتل339هـ/951م)[3] بأنه كان فقيهًا شافعي المذهب[4]، وكان قد لقي حتفه على يد أبيه بعد أن اتهمه بالتآمر عليه والتدبير لخلعه ، وأثرت هذه الحادثة سلبيًّا على انتشار المذهب الشافعي في الأندلس إذ توقف نشاطه حتى أيام الحكم المستنصر، فقد كان بعض الفقهاء الشافعيين من جلسائه ، والمقابلين له في الكتب كابن صَلّى الله أحمد بن عبد الوهاب بن يونس(ت399هـ /1008م)[5]، وعمومًا فقد بقي انتشار المذهب الشافعي في الأندلس محدودًا [6] .

كما اهتم طلاب العلم بدراسة المذهب الظاهري ، وأول من أدخله إلى الأندلس الفقيه القرطبي عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال(ت272هـ/885م) الذي رحل إلى العراق ، وتتلمذ على يد داود الأصفهاني(270هـ/883م) منشئ المذهب ، وكتب عنه كتبه ، وأقبل بها إلى الأندلس ، وكان قبل ذلك مالكيًّا ، لكنه مال إلى المذهب الظاهري[7] ، وممن أخذ عنه من الأندلسيين تلميذه الفقيه محمد بن عبد الملك

---

[1] هو يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح العبدي ، يكنى بأبي يوسف ، حافظ الحديث ، ثقة ، وصف بأنه محدث العراق في عصره والدورقي نسبة إلى لبس الدورقية ، وهي قلانس طوال كان يلبسها المتنسكون في عصره ، ومن مؤلفاته كتابه المسند . شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 69 . الفراء البغدادي ، طبقات الحنابلة ،ج2، ص552 وما بعدها . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج8 ، ص 194.

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 92 .خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 25 .

[3] أمير من نجباء أبناء الخلفاء ،يكنى بأبي محمد ،كان فقيها ، شاعراً ، إخباريًّا ، محبا للعلم والعلماء ، له مؤلفات من بينها " العليل والقتيل" في تاريخ وأخبار العباسيين ، " المسكتة " في فضائل المحدث بقي بن مخلد . ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ص 120 –121 . خير الدين الزركلي المرجع السابق ، ج4 ، ص 96 .

[4] الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 262 – 263 .الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 449. ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص 120 . تاج الدين السبكي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 309 – 310.

[5] قرطبي ، يكنى بأبي عمر ، كان حافظاً للفقه ، عالماً بالاختلاف ، ذكيا ، له حظ من العربية واللغة . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ص 47. أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 436 .

[6] خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 81 .

[7] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص219 .

بن أيمن(ت333هـ/944م) الذي ألف كتاباً في السنن على تصنيف داود الأصفهاني ، أخذ الناس عنه[1] ومحمد بن قاسم (ت340هـ /951م)[2] .

ولم يلق المذهب الظاهري قبولاً كبيرًا لدى الأندلسيين ، وهذا لغلبة وسيادة المذهب المالكي المطلقة خاصة في عصري الإمارة والخلافة[3] ، لهذا نجد أن فقهاء هذا المذهب في الأندلس قليلون ، ومن أشهر الذين انتسبوا إليه الفقيه ، والقاضي منذر بن سعيد البلوطي(273-355هـ/887-966م) الذي كان عالماً باختلاف العلماء ، وله كتب في علوم القرآن ، والفقه ، والسنة ، والورع ، والرد على أهل الأهواء ، والبدع أخذها الناس عنه ، وقرؤها عليه[4] .

ورغم أنه ظاهري المذهب إلا أنه في القضاء لا يحكم إلا بمذهب الإمام مالك ، وهو الذي عليه العمل بالأندلس ، وله مؤلفات كثيرة من بينها كتاب أحكام القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وغيرهما[5].

وممن اشتهروا بالظاهرية ، وكان قطبًا لها ، وأحد أبرز شيوخها في الأندلس الإمام العالم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم(ت456هـ/1063م) الذي وصفه ابن بشكوال: " بأنه أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة ، مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة ، والشعر ، والمعرفة بالسير والأخبار"[6] ، و كان في بداية فقهه شافعيُّ المذهب ، ولكنه ما لبث أن تمذهب بالظاهري ، ولقد وقف الفقهاء ضده ، وحرضوا حكام الأندلس في ذلك العصر عليه إلا أنه كان له أتباع ، وطلبة يأخذون العلم عنه يعرفون بالحزمية ، فقد حل بجزيرة ميورقة ، وتبعه بعض أهلها ، وقامت مناظرات بينه ، وبين الفقيه المالكي أبي الوليد الباجي في هذه الجزيرة ، قيل بأنه انتصر فيها الباجي على ابن حزم[7] .

---

[1] يرى أنخل جنثالث بالنثيا بأنه تخصص في الحديث أكثر ، بينما يذكر ابن الفرضي بأنه عالم فقيه بالدرجة الأولى ، إذ يقول فيه : "كان فقيهاً عالماً ، حافظاً للمسائل والأقضية ...." ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 51 .أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 439 .

[2] قرطبي ، يكنى بأبي محمد ، ويعرف بالبياني ، محدث ، عالم بالأنساب ، والنحو ، والغريب ، والشعر ، ولد سنة 244هـ/858م ، رحل إلى المشرق سنة 274هـ/887م فسمع من علماء مكة ، والعراق ، ومصر ، والقيروان ، وتاهرت ، وعاد إلى الأندلس بعلم كثير ، وكانت إليه الرياسة في الإملاء لكتب التاريخ ، وسمع منه في التاريخ من الكتب عبد الرحمن بن محمد الناصر قبل توليه الخلافة ، ثم سمع منه ابنه وولي عهده الحكم المستنصر وإخوته ، وسمع منه الكثير من الأندلسيين ، إذ كانت الرحلة إليه في الأندلس. ابن الفرضي ، المصدر السابق ،ق1، ص 364 وما بعدها .

[3] خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 82 .

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 144 – 145 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 290 .

[5] نفسه ، ج2 ، ص ص 195 – 196 .

[6] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 605 .

[7] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 231 .

ولقد اشتهر ابن حزم على أنه من علماء الحديث أكثر مما يحسب من الفقهاء على حد قول ابن بشكوال[1] وكان من تلامذته أبو عبد الله الحميدي(ت488/1095م) حيث أخذ عنه العلم ، وأكثر عنه الرواية [2] .

أما المذهب الحنفي مثلًا الذي لم يكتب له الانتشار في الاندلس بالمقارنة مع المذاهب السالفة الذكر فربما يرجع هذا لدور السلطة السياسية في اعتماد مذهب معين كالمالكي مثلاً دون غيره من المذاهب الأخرى وربما يعود إلى أسباب أخرى اجتماعية ، وفكرية ، وهذه الجزئية لا تهم بحثنا هذا بقدر ما يهم طلبة العلم في هذا المذهب ، وتوجد بعض الاشارات القليلة والنادرة لهؤلاء نظراً لقلة الاقبال على طلب فقه هذا المذهب أو ممن اعتنقوا المذهب الحنفي ، ومنها ما نقله المؤرخ خليل إبراهيم الكبيسي عن ابن الفرضي لما ترجم لزيد بن بشير الأندلسي ، إذ قال :" فقيه على مذهب الكوفيين "[3] .

ولقد ذكر المقري التلمساني وهو يترجم للفقيه يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/848م) بأن مذهبين " انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان: مذهب أبي حنيفة ، فانه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى الشرق إلى أقصى عمل افريقية ، فكان لا يولي إلا أصحابه والمنتسبين لمذهبه ، ومذهب مالك عندنا بالأندلس"[4].

ومن نص المقري يتضح أن أقصى انتشار للمذهب الحنفي في الغرب الإسلامي وصل إلى افريقية أيام دولة الأغالبة(184- 296هـ/800-908م)[5]، ولم يطأ الأندلس إلا من خلال القلة القليلة من طلبة العلم الذين ارتحلوا إلى المشرق وأخذوا من فقهاء الكوفة الحنفيين ، أو من أهل المشرق الذين دخلوا الأندلس ومعهم كتب وعلم هذا المذهب .

وفي موضوع الفقه بصفة عامة فالجدير بالذكر بأنه ارتبطت بعض الوظائف المدنية بهذا العلم ، ومنها مثلًا وظيفة تحرير العقود والوثائق والفرائض ، والتي تعتبر تطبيقًا عمليًّا لمبادئ المذهب الفقهي ، ويقوم بتطبيق هذه المهنة عادة فقهاء متخصصون ، ولها موادها ، وقواعدها الخاصة بها ، وهذه المهنة هي ما يقابلها في عصرنا الحالي بمهنة الموثق[6] .

---

[1] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 605 .

[2] الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 309 – 310 .

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 156 . خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 85 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 187.

[5] خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 85 .

[6] خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 56 .

وانتشرت بعض الكتب التي تدرس مادة تحرير العقود التوثيقية ، ومن أراد الاشتغال بهذه المهنة من الفقهاء فلا غنى له عنه عن الاعتماد عليها ، وعادة ما ينقسم مضمون هذه الكتب إلى قسمين رئيسيين هما[1]: الأول نظري ، يتناول فيه شروط العقد ، وأركانه ، وما يتطلب فيه .

أما الثاني : فهو عملي يتمثل في مجموعة من النماذج المختلفة لأنواع العقود حسب كل حالة أو قضية والملاحظ أن الجزء العملي للكتاب ما هو إلا تطبيق للجزء النظري ، وفقًا للأسلوب الشرعي ، إما طوعًا بين المتعاقدين ، أو عند الاختلاف واللجوء إلى القاضي .

وقام الكثير من الأندلسيين بالتأليف في مثل هذا النوع من الكتب ، والتي تختص بالعقود وصيغها وطرق تحريرها ومن أقدم هذه المؤلفات بإجماع المستشرقين خوليان ريبرا ، وأنخل جنثالث بالنثيا[2] ديوان ابن الهندي لأحمد بن سعيد الهمداني القرطبي المكنى بأبي عمر(عاش ما بين320-399هـ/933- 1008م)[3] وقد كتب ابن بشكوال في صاحب الديوان:" كان حافظًا للفقه ، وحافظًا لأخبار أهل الأندلس، بصيرًا بعقد الوثائق ، وله فيها ديوان كبير ، نفع الله المسلمين به"[4] ، ولقد وصف ابن مفرج أحد الطلاب الذين قرئوا على ابن الهندي ديوانه بقوله :"قرأت على أبي عمر ديوانه في الوثائق ثلاث مرات ، وأخذته عنه على نحو تأليفه له فإنه ألف أولاً ديوانًا مختصرًا من ستة أجزاء ، فقرأتها عليه ، ثم ضاعفه ، وزاد فيه شروطًا وفصولاً وتنبيهًا فقرأت ذلك عليه أيضًا ، ثم ألفه ثالثة ، واحتفل فيه وشحنه بالخبر والحكم ، والأمثال ، والنوادر، والشعر والفوائد ، والحجج فأتى الديوان كبيرًا ، واخترع في علم الوثائق فنونًا ، وألفاظًا ، وفصولًا ، وأصولًا ، وعقدًا عجيبة ، فكتبت ذلك كله ، وقرأته عليه"[5]، واختصر تلميذه ابن ذنيل أبو القاسم أحمد بن سعيد (ت 435هـ /1043م)[6] هذا الديوان لتسهيل دراسته ، وقد وقع في خمسة عشر جزءًا .

---

[1] نفسه ، ص 57 .

[2] نفسه . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 442 .

[3] ربما اقتبس مصطلح الديوان من الدواوين التي تعد لدى المالكية من أجل كتب المذهب ، إذ هي بمثابة أمهات المؤلفات ، منها على سبيل المثال: الواضحة لعبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/ 852م) ، والمدونة لسحنون التنوخي(ت240هـ/854م) ، والعتبية لمحمد بن أحمد العتبي(ت254هـ/ 868م) ،والموازية لمحمد بن إبراهيم المواز(ت281هـ/894م) ،...الخ . مريم محمد صالح الظفيري ، **مصطلحات المذاهب الفقهية وأسرار الفقه المرموز في الأعلام والكتب والآراء والترجيحات** ، دار ابن حزم ، ط1 ، بيروت ، 2002 ، ص 164 .

[4] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 42 .

[5] نفسه .

[6] قرطبي ، ولد سنة 347هـ/958م ، سمع النسخة الكبرى لديوان ابن الهندي من صاحبها مرات ، له رحلة إلى المشرق ، فأدى الفريضة ، وسمع من علماء القيروان مختصر المدونة ، وصف بأنه كان رجلاً صالحاً ، ثقة ، حليماً ، اختص بالرواية . نفسه ، ج1 ، ص 90 .

كما كانت مؤلفات أخرى لها علاقة بالفقه في فروع أخرى منه لها جانب كبير من الأهمية ، إذ تمثل الوجه العملي لتطبيق أحكام التشريع ، والفقه الإسلامي ، ويقصد بذلك ما تعلق بقسم المواريث ، والذي يعد تطبيقه غاية في الصعوبة والتعقيد ، نظرًا لاختلاف حصص الورثة لما تركه المتوفي ، واختلاف الحالات من ورثة إلى آخرين حسب تكوين كل أسرة[1] .

وأدى هذا الأمر إلى أن أصبحت مادة المواريث مستقلة في الدراسة ، وهي تتألف من التشريع الإسلامي المنصوص عليه في الكتاب والسنة ، والفقه ، والحساب ، واختص بهذه المادة الفقهاء أكثر من غيرهم ، إذ كان مجال هذه الدراسة واسعًا ، وازدهر هذا التخصص ولقي إقبالاً من طلبة العلم اليه ، مما أدى إلى ظهور مؤلفات تعني بهذا الجانب ، وهو ما سمي بعلم الفرائض (قسم المواريث) الذي يقوم أساسًا على معرفة أصول الشريعة ، ومصادرها زيادة على الحساب ، ومن أهم الكتب وأشهرها في هذا التخصص كتاب ابن ثابت ، ومختصر القاضي ابن القاسم الحوفي ثم الجعدي ، وكانت هذه الكتب تدرس في الأندلس[2].

مما سبق ذكره يتجلى لنا أن الفقهاء عظم شأنهم في الأندلس سواء لدى الحكام ، أو لدى العامة ، وهو ما انعكس على الكثير من طلبة العلم في اختيار هذا التخصص أكثر من غيره ، وهذا لما يتمتع به الفقيه من مزايا ومكانة علمية واجتماعية ، فمن خلال ما سبق فطالب الفقه بعد إجازته يستطيع تقلد العديد من المناصب الدينية والعامة إما إمامًا ، أو قاضيًّا ، أو مكلفًا بتحرير العقود والشروط ، أو وزيراً...الخ ، فملوك الأندلس كانوا لا يقدمون وزيرًا ولا مشاورًا ما لم يكن عالما ، والعالم يقصد به في هذا الموضع الفقيه[3] .

وللوقوف على مدى ضخامة عدد الطلاب الذين أقبلوا على علم الفقه أكثر من طلبة العلم في المواد الأخرى فقد قدم المقري نصًّا يبن لنا فيه هذا عدد هؤلاء – تقديريًّا – في قرطبة لوحدها والقرى المتصلة بها بقوله : " وعدد أرباضها واحد وعشرون ، في كل ربض منها من المساجد والأسواق والحمامات ما يقوم بأهله ، ولا يحتاجون إلى غيره ، وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية ، في كل واحدة منبر وفقيه مقلص[4] تكون الفتيا في الأحكام والشرائع له ، وكان لا يجعل القالص عندهم على رأسه إلا من حفظ الموطأ ، وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ المدونة ، وكان هؤلاء المقلصون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ، ويسلمون عليه ، ويطالعونه بأحوال بلدهم "[5] .

---

[1] خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص58 .
[2] نفسه .
[3] إبراهيم على العكش ، المرجع السابق ، ص 195.
[4] المقلص أو المقلس ، الذي يلبس القلنسوة ، وهي ملابس الرؤوس . ابن منظور الإفريقي ، المصدر السابق ، ج 39 ، ص 3720 .
[5] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 5 .

ج)– الحديث النبوي الشريف وعلومه :

علوم الحديث كثيرة ومتنوعة ، فمنها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه الذي يعد أحد أهم العلوم وأصعبها ،إذ يأخذ العلماء في هذا الجانب الجهد الكبير لمعرفة ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه في حالة ما إذا تعارض الخبران بالنفي والإثبات ، وتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل وعُلم تقدم أحدهما فتعين أن المتأخر ناسخ[1] .

ومن علوم الحديث كذلك النظر في الأسانيد ، ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط " فيُجتهد في معرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط ، ويثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعديلهم ، وبراءتهم من الجرح والغفلة ، ويكون لنا ذلك دليل على القبول أو الترك "[2].

ولقد كتبت الأحاديث النبوية الشريفة وجمعت في مجاميع منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي واشتهرت دواوين السُّنة الستة الجامعة لأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم الصحيحة وهي: الجامع المسند الصحيح للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد البخاري(ت256هـ/870م)، والمسند الصحيح للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم (ت261هـ /875م) ، كتاب السنن للإمام أبي عبد الله محمد بن ماجة (ت273هـ/887م) ، وكتاب السنن للإمام الحافظ أبي داود(ت275هـ/889م) ، والجامع المختصر من السنن للحافظ أبي عيسى محمد الترمذي (ت279هـ/892م) ، والمجتبى من السنن للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد النسائي(ت303هـ/915م)[3].

ولقد اعتنى الأندلسيون منذ زمن مبكر بدراسة الحديث وعلومه ، واهتم العلماء بالبحث عن كتب الحديث وطلبها من خلال رحلاتهم إلى المشرق ثم تدريسها ، وتلقينها لطلابهم ، لهذا فقد أدخلوا إلى الأندلس الكثير من المصنفات ، والنفائس مثل كتب الصحيحين (البخاري ومسلم) ، وموطأ الإمام مالك(الذي هو كتاب فقه وحديث في آن واحد) ومسند ابن أبي شيبة وغيرها ، وعلى هذه المصنفات تتلمذ طلاب الحديث[4]، وكان العالم الواحد منهم يطوف بالبلدان من أجل سماع أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو التأكد من صحة أو عدم صحة بعض الأحاديث وربما حديث واحد ، لهذا لا يمكن إنكار فضل الرحلة العلمية على الأندلسيين إلى المشرق في نهضة علوم الدين عامة في الأندلس وعلم الحديث والفقه خاصة.

---

[1] ابن خلدون ، المقدمة ، ج3 ، ص 937 .

[2] نفسه .

[3] صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، **موسوعة الحديث الشريف** ، دار السلام ، الرياض ، ص1 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص ص 393 - 394 .

[4] إبراهيم على العكش ، المرجع السابق ، ص 193 .

وإذا كان في هذا الموضع لا يمكن احصاء وحصر جميع العلماء الذين اشتغلوا بالحديث ، إلا أنه يمكن سرد نماذج لبعضهم وأشهرهم ، ومنهم بقي بن مخلد (ت246هـ/860م) الذي كانت له رحلة إلى المشرق ،فسمع من أئمة الحديث الشريف ، وكبار المسندين كإبراهيم بن محمد الشافعي ، ومن أصحاب الإمام مالك ، وعبد الله بن أبي شيبة ، ومن أحمد بن محمد بن حنبل ، وسمع بإفريقية عن سحنون بن سعيد التنوخي، وغيرهم وقيل بأن عدد الرجال الذين أخذ عنهم ، وسمع منهم وصل إلى مائتي وأربعة وثمانون رجلاً حتى أصبح يلقب بالمكنسة لأنه كلما حل ببلد إلا وأخذ عن علمائه[1] .

ويعد بقي بن مخلد فقيه ومحدث في آن واحد ، إلا أن الحديث غلب عليه أكثر ، وقد قال ابن الفرضي في حقه "بقي بن مخلد ملأ الأندلس حديثًا وروايةً"[2] ، لكن أنكر عليه أصحابه من العلماء الأندلسيين ما أدخله من كتب الاختلاف وغرائب الحديث ككتاب مصنف بن أبي شيبة ، وألبوا ضده الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن الأموي (238 – 273هـ/ 852 – 886م) فلما استدعاه الأمير للنظر في كتاب(مصنف بن أبي شيبة) ، وتصفحه جزءًا جزءاً حتى أتى على آخره ، قال لخازن كتبه :" هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر في نسخه لنا ، وقال لبقي : انشر علمك وارْوِ ما عندك ، ونهاهم أن يتعرضوا له "[3].

وقام الإمام بقي بن مخلد بتدريس الحديث ، وقرأ الناس روايته فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس ، وكان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأي الإمام مالك وأصحابه ، واشتهر بقي بن مخلد بثقته ، وضبطه ، واتقانه في رواية الحديث النبوي الشريف[4] ، ولقد استفاد من علمه الكثير من الأندلسيين[5].

ومن الذين تخصصوا في علم الحديث العالم المحدث محمد بن وضاح بن بزيغ القرطبي(ت287هـ/900م) الذي تعلم عند أهل بلده ، ثم رحل إلى المشرق مرتين إحداها في سنة 218هـ/833م ، ولقي بعض العلماء كالإمام أحمد بن حنبل ، وغيره ، وكانت رحلته هذه قبل رحلة بقي بن مخلد ، ولقد اشتركا في الأخذ من العلماء ، ولم يكن هدفه في هذه الرحلة طلب علم الحديث بل الزهد ، والتعبد ، ولو أنه سمع في رحلته هذه لكان أرفع أهل زمانه درجة وأعلاهم اسناداً[6] ، ولما عاد إلى بلده أدرك حاجته إلى علم أوسع فعقد رحلته الثانية ، فسمع فيها من عدد لا يستهان به من العلماء المحدثين ، وكأنه خصص هذه الرحلة الثانية للحديث

---

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 91 – 92 .
[2] نفسه ، ص 92 .
[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 128 .
[4] نفسه .
[5] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص93 .
[6] نفسه ، ق2 ، ص 15 –16 .

وحده ، فقد بلغ عدد من سمع منهم مائة وخمسة وسبعين (175) رجلاً[1] ، ولقد كان محمد بن وضاح " عالماً بالحديث ، بصيراً بطرقه ، متكلماً على علله (...) صابراً على الإسماع ، محتسباً في نشر علمه ، سمع منه الناس كثيراً ، ونفع الله به أهل الأندلس"[2] ، وما ينكر عليه كثرة رده في الكثير من الأحاديث، فكان يقول : ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ثابت من كلامه صلى الله عليه وسلم ، ويرى ابن الفرضي أنه يغلط في بعض الأشياء ، ورغم ذلك يصحفها ، وكان لا علم عنده بالفقه ، ولا بالعربية[3].

وبالعالمين المحدثين محمد بن وضاح وبقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث ؛ أي أنهما أسسا مدرسة الحديث بالأندلس[4] ، وهذا لا يعني بأنه لم يكن هناك محدث قبلهما ، بل كتب التراجم والطبقات حافلة بالكثير ممن اشتغلوا في علم الحديث ، لكن هؤلاء كانوا يقتصرون في علمهم على ما جادت به رحلاتهم العلمية من المشرق من كتب وسماع ؛ أي أن الأندلس كانت تابعة قبل ابن وضاح وابن مخلد في علم الحديث لكل ما يأتي من المشرق ، فكان علمهم تقليدًا لعلماء المشرق وعلى رأسهم الإمام مالك بن أنس[5] .

ومن الأمثلة عن المحدثين قبل بن مخلد و ابن وضاح نذكر داود بن جعفر بن أبي صغير القرطبي الذي سمع من مالك بن أنس ، وروى عنه ابن وضاح ، وقيل في شأن داود بن جعفر بأنه كتب عنه أحد تلاميذه –وهو مطرف بن قيس(ت282هـ/895م) – نحو ثلاثة آلاف حديث أو أكثر[6] ، وكذلك حبيب بن الوليد القرطبي (توفي بعد 200هـ/815م) المشهور باسم دحون ، والذي رحل إلى المشرق أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط(206-238هـ /822-852م) ولقي أهل الحديث ، فكتب عنهم ، وقدم بعلم كثير ، وكانت له حلقة بجامع قرطبة سمع الناس فيها عنه ، وهو يلبس الوشي الشامي إلى أن أوصاه الأمير عبد الرحمن بترك ذلك فتركه ، وجلب حبيب بن الوليد من رحلته جارية من رقيق المدينة المنورة فتزوجها ، وقيل بأنها كانت تروي عن مالك بن أنس ، وغيره من علماء المدينة ، وكانت تحفظ عشرة آلاف حديث ، وانجبت منه ابنًا سمي بشرا الذي يعد كذلك من محدثي الأندلس[7].

[1] نفسه . محمد بن زين العابدين رستم ، **بيوتات العلم والحديث في الأندلس** ، دار ابن حزم ، ط1 ، بيروت ، 2009 ، ص 33 .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 16 – 17 .

[3] نفسه ، ق2 ، ص 17 .

[4] نفسه ، ق2 ، ص 16 .

[5] حسين مؤنس ، شيوخ العصر في الأندلس ، ص 54 .

[6] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 142 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 366 .

[7] المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج3، ص ص 116 – 117، 396 .حسين مؤنس ،شيوخ العصر في الأندلس ، ص47.

والملاحظ أن الميزة العامة لهؤلاء المحدثين قبل قيام مدرسة الحديث المذكورة سالفًا أنهم: أولًا، مالكيين وثانيًا، ينظرون إلى الموطأ على أنه مسند ،وإلى الإمام مالك على أنه محدث ، وبهذا فكانت دراستهم للحديث بحسب ما قرأوا أو ما سمعوا أو ما روي عن الإمام مالك ، على عكس أصحاب ومؤسسي مدرسة الحديث الأندلسية الذين لم يكتفوا بقراءة ودراسة نصوص الأحاديث الموجودة في الموطأ على أنها صحيحة لا شك فيها ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك من خلال البحث والتدقيق في أسانيدها ، ومصادرها ، والسماع من المحدثين المعاصرين لهم بأنفسهم لا قراءة فقط من كتبهم والسماع إلى نقدهم لأسانيد الأحاديث ، وآرائهم في رجالها ، وحكمهم عليها في صحتها أو ضعفها[1] .

ومن بين العبارات التي نجدها كثيرًا في كتب الطبقات والتراجم ، والتي تدل ضمنيًّا على قيام مدرسة الحديث الأندلسية عبارتين مشهورتين يقصد في توظيفهما قيام مشيخة الحديث في الأندلس وهي: "وإليه تعقد الرحلة في الأندلس "، وكذلك عبارة " وطال عمره فسمع منه ..." ، وتلك العبارتان تتكرر ابتداءً من ترجمة العالم المحدث قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء (244-340هـ/ 861-951هـ) وهو الذي يعد من نتاج ، وأحد خريجي ، وتلاميذ مدرسة الحديث التي أسسها بقي بن مخلد ، ومحمد بن وضاح ، ومن هنا يبدأ ظهور مصطلح مشيخة الحديث بحق ، وهؤلاء يعدون شيوخ العصر في الأندلس وهم في الأصل تلاميذ بن وضاح ، وبن مخلد ، وتلاميذهما[2] .

ويعد المحدث قاسم بن أصبغ[3]، من أشهر هؤلاء التلاميذ ، وأحد شيوخ الأندلس في علم الحديث ، وقد كانت الرحلة في الأندلس تعقد إليه ، وطال عمره – أكثر من اثنين وتسعين سنة– فسمع منه الشيوخ والكهول والأحداث ، ولحق الصغار الكبار في الأخذ عنه ، وكان قد أدخل كتب ابن قتيبة(ت276هـ /889م)، وكتاب تاريخ أحمد بن زهير(ت279هـ/892م) وكانت الموردة عليه في هذه الكتب ، وقد سمع منه الأمير عبد الرحمن بن محمد الناصر قبل تلقبه بالخلافة ، وكذلك ابنه وولي عهده الخليفة الحكم المستنصر واخوته ، وكان قاسم بن أصبغ بصيراً بالحديث والرجال ، ولقد ضاعت الكتب التي ألفها ، ومن بينها كتابه في حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ [4] .

[1] نفسه ، ص 45 وما بعدها .

[2] نفسه .

[3] قرطبي يعرف بالبياني ، وكانت له مشاركة في علم النحو والغريب ، وكذلك الشعر. ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 366 – 367 .

[4] نفسه . أنخل جنثالث بالنثيا , المرجع السابق , ص ص 394 – 395 .

وعُرف كذلك محمد بن إبراهيم بن حيون(ت305هـ/917م)[1]، بأنه" كان إمامًا في الحديث ، عالمًا به حافظًا لعلله بصيرًا بطرقه ، لم يكن بالأندلس قبله أبصر بالحديث منه ، ضابط متفنن ، حسن التوجيه له صدوق"[2] .

كما اشتهر عالمٌ لا يقل أهمية عن الشيخ قاسم بن أصبغ ، وكان هو كذلك قطبًا من أقطاب الحديث بالأندلس ألا وهو ابن الأحمر محمد بن معاوية القرشي(ت358هـ/968م) سليل وأحد أحفاد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان(105-125هـ/724- 743م) ، وسمع ابن الأحمر من علماء الأندلس ، ثم رحل إلى المشرق ، فسمع بمصر ، مكة ، والكوفة وغيرها ، ودخل إلى الهند تاجرًا ، و نجا من الغرق في طريق عودته ، ورجع إلى الأندلس سنة 325هـ/936م ، وبدأ الناس بالقراءة عليه ابتداءً من سنة336هـ/947م وكان شيخًا حليمًا ، ثقةً فيما روى ، وقد سمع منه الشيوخ ، وطلبة العلم ، وطال عمره فكثر أخذ الناس عنه وعلا قدره في الإسناد[3] .

وجاء من بعده المحدث أبو القاسم يعيش بن سعيد بن محمد الوراق القرطبي(ت394هـ/1003م) المعروف بابن الحجام الذي ألف مسند حديث ابن الاحمر – شيخه محمد بن معاوية – وهو نتاج سماعه منه ، وكان هذا التأليف بأمر من الحكم المستنصر ، وكان قد حدث ، وكتب عنه [4].

ولابن حزم على بن أحمد بن سعيد (ت456هـ/ 1063م) باع طويل وتبحر في علم الحديث وفقهه مستنبطًا للأحكام من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله الكريم ، وهو العالم الموسوعي ، فكان أجمع أهل الأندلس في مختلف علوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة ، وله مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم خاصة منها ما تعلق في علم الحديث[5] ، فقد ألف في فقه الحديث كتابًا كبيرًا سماه كتاب " الايصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام ، على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع " أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه ، والحجة لكل طائفة

---

[1] يكنى : أبا عبد الله ,من أهل واد الحجارة, سمع في الأندلس , وكانت له رحلة إلى المشرق ,وتردد فيه لمدة خمسة عشر سنة ,حيث حل بصنعاء ومكة وبغداد , وبمصر, والقيروان, وزيادة على تخصصه في الحديث فهو يعد شاعرًا .ابن الفرضي , المصدر السابق , ق 2 , ص ص 26 – 27.

[2] نفسه .

[3] نفسه , ق2 , ص ص 67 – 68 .

[4] نفسه , ق2 , ص 199 . يذكر الضبي بأنه يكنى بأبي عثمان . الضبي , المصدر السابق , ج2 , ص 691 .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 605 .

والأحاديث الواردة في ذلك من الصحيح والسقيم بالأسانيد ، وبيان ذلك كله وتحقيق القول فيه " ، وله كتاب " الإحكام لأصول الأحكام " ، وغيرها من المؤلفات [1] .

ومن العلماء الأندلسيين المحدثين البارزين قاضي الجماعة بقرطبة ، والوزير ، والإمام الخطيب أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس(348- 402هـ/959- 1011م) الذي روى وسمع عن علماء الأندلس ، وكتب إليه علماء من المشرق ، والقيروان ، وسمع الحديث من الذين رحلوا إلى الأندلس ، وحدث عنهم ، ووصفه ابن بشكوال بأنه من "جهابذة المحدثين ، وكبار العلماء والمسندين ، حافظًا للحديث ، وعلله منسوبًا إلى فهمه وإتقانه وعارفًا بأسماء رجاله "[2] ، وكان له اهتمام وعناية بتقييد السنن والأحاديث المشهورة والحكايات المسندة ، جامعًا لها ، مجتهدًا في سماعها وروايتها"[3] ، وكانت له حلقة في مسجده يملي الحديث من حفظه والناس يكتبون عنه ، وقد حدث عنه كبار علماء الأندلس الذي يُشهد لهم بعلو كعبهم من أمثال ابن عبد البر النمري(ت463هـ/1070م)، وغيره[4] ، كما كان من محبي جمع الكتب فقد احتفلت مكتبته بشتى أنواع كتب العلوم والمعارف ، ومنها كتب الحديث خاصة ، وطبقاته ، ورجاله ككتاب الاخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم " أربعون جزءًا" ، وأعلام النبوة ، ودلالات الرسالة "عشرة أسفار" ومسند محمد بن فطيس "خمسون جزءًا " ، ومسند قاسم بن أصبغ العوالي "ستون جزءًا " ، وغيره [5].

ومن فضائله صبره على الاجتهاد والاحتساب في طلب الحديث ، فقد رحل إلى بعض كور الأندلس من أجل التحقق من رواية حديث حتى سمع من الشيخ الذي رواه ثم انصرف ، وقد أفنى عمره كله في علم الحديث روايةً ، ودرايةً ، وكتابةً ، وإملاءً[6] .

واشتهر كذلك في الحديث أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري(ت463هـ/ 1072م) المتقدم ذكره ، والذي عُدَّ إمام عصره في علم الحديث في الأندلس ، وأوسع العلماء علمًا ،وأكثرهم معرفة ، والذي طاف بكثير من المدن والكور الأندلسية ، وكان برحلته تلك ، أن استفاد طلبة العلم وسمعوا منه ، وتسابق الناس إلى مجالسه وحلقاته ، وكان ظاهري المذهب من أصحاب مدرسة ابن حزم ، ثم تمذهب

---

[1] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 543 – 544 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 466- 467 .

[3] نفسه ، ج2 ، ص467 .

[4] نفسه ، ج2 ، ص ص 467 – 468 .

[5] نفسه ، ج2 ، ص ص 468 – 469 .

[6] نفسه ، ج2 ، ص 469 .

بالمالكية ، ثم مال في الفقه إلى قول الشافعي رحمه الله[1]، وروى عنه الكثير من الأئمة حتى لقبه الضبي بكبير الشيوخ ، ولقد ألف في الموطأ كتابه " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" ، ورتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم " في سبعين جزءًا " ، وهو كتاب لم يتقدم أحد إلى مثله ، وله كتاب في المذاهب الدينية المذكورة في الموطأ بعنوان "الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار" ، وكتاب "الاستيعاب في أسماء الصحابة" ، وكتاب "جامع بيان العلم وفضله" ، وكتاب" التقصي لما في الموطأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] ، ولقد قال ابن حزم في فضله وهو معاصره وصديقه : " لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً ، فكيف أحسن منه "[3].

وجمع أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي المالكي(ت474هـ/ 1081م) ما بين الفقه والحديث حيث روى عن علماء قرطبة قبل رحلته إلى المشرق التي كانت في سنة 426هـ/1034م) ، وأقام بمكة ثلاثة أعوام ، ثم رحل إلى بغداد وبقي فيها ثلاثة أعوام أخرى يسمع ويدرس الفقه ، ويكتب الحديث ، وسمع من أصحاب الشافعي، وأئمة الحنفية ، وقد بلغت مدة إقامته بالمشرق نحو ثلاثة عشر عامًا سمع فيها من شيوخ الحديث ، وقد عاد إلى الأندلس بعلم وافر ، وكان مجلسه حافلاً بالعدد الكبير من طلبة العلم الذين يأخذون عنه ، وقد ذكر ابن بشكوال أنه قد بلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف رجل وقيل أربعين ألف رجل ، وكانت له عناية واهتمام بالإسناد في رواية الحديث ، ولقد وصف مجلسه ، وطريقة تدريسه للحديث بقوله :"كان يحضر مجلس سليمان بن خلف رحمه الله ، ثلاثة آلاف رجل للسماع منه ، وكان له مُسْتَمْلٍ كان صوته أخفض من الرعد ، فقيل له : ارفع صوتك لأنا لا نسمع ، فقال سليمان بن خلف: إن علو الإسناد لمن زينة الحياة الدنيا وابتدأ يحدث ..."[4] ، ولقد تتلمذ على يديه من سيصبحون بعده كبار الأئمة الأندلسيين ، وكان من أبرزهم أبوداود سليمان بن نجاح (ت496هـ/1103م) مولى هشام بن الحكم المؤيد بالله ، والحافظ أبوبكر الطرطوشي(ت520هـ/1126م) ، وغيرهما[5].

من خلال ما سبق ذكره يمكن الخروج بمجموعة من الاستنتاجات، وأبرزها ما يلي :

1- اهتم الأندلسيون بجلب كتب الحديث المشرقية .

---

[1] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 660- 661 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 397.

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 973 – 974 . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 660 . ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 467 .

[3] ابن حزم الأندلسي ، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ، ص 179 .

[4] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 319 .

[5] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 386 .

2-الاعتكاف على دراستها ، وشرحها ، وتصنيفها ، وتدريسها ، وعلى رأس هذه الكتب صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وكتب السنن ، والشروحات الأخرى كوسيلة للتفقه في علم الحديث ، ومن الملاحظ أن بعض العلماء المحدثين الأندلسيين كانت لهم اسهامات في تأليف كتب الحديث التي تتعلق بتلك المصنفات ، وكذلك شرح المؤتلف منها والمختلف في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما ركز بعض المحدثين المالكيين على رواية الأحاديث النبوية الشريفة ، والتي لا تخرج عن فقه الإمام مالك وكتابه الموطأ ، والعناية بها بالشرح والترتيب والتصنيف إلى غاية قيام مدرسة الحديث الأندلسية بفضل العالمين المحدثين بقي بن مخلد ، ومحمد بن وضاح ، والذي بهما ومن تلاهما من تلاميذهما سواء سماعاً منهم ، أو قراءة عن كتبهما فانتقل علم الحديث إلى مرحلة أخرى ، لم يكتفِ فيها الأندلسيون بما هو موجود في كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس ، بل البحث عن الحديث من مصادر أخرى وغربلتها وإعادة البحث والتدقيق في أسانيدها ، ومصادرها .

3- إن معظم المحدثين هم علماء موسوعيون ، فلم يكتفوا بعلم الحديث وحده بل نبغوا في شتى العلوم والتخصصات كالفقه ، والأدب ، والتاريخ ، وألفوا في كل ميدان الكثير من المصنفات ، وهذا ما جاء ذكره وتكراره في الكثير من المرات في كتب التراجم والطبقات أثناء الترجمة ، والتعريف بهؤلاء العلماء المحدثين .

د)- علم الكلام :

يعرف ابن خلدون علم الكلام بقوله :" هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة ، وسر هذه العقائد الايمانية هو التوحيد "[1].

إذًا فعلم الكلام عمومًا نشأ لحاجة المسلمين للرد على أهل البدع ، والأهواء بالحجة ، والبرهان العقلي الذي يكشف عن التوحيد[2] ، ودراسة هذا العلم يؤدي إلى البحث في ماهية الأشياء والمسببات ، ويقود إلى مسبب الأسباب ومنه يؤدي إلى الخوض في أمور الغيب مما يجدر بصاحبه توظيف الاستدلال بالبرهان العقلي كما هو الشأن لدى المعتزلة وبهذا أصبح علم الكلام مستقلًا عن الدراسات الفقهية[3] .

ولقد لقي هذا العلم معارضة من قبل الأندلسيين خاصة عند الفقهاء والمحدثين الملتزمين بظاهر النصوص الشرعية بحجة أن هذا العلم بدعة ومن الواجب محاربته والتنكيل بأتباعه ، فقد كان لفقهاء المالكية مثلًا نفوذ

[1] ابن خلدون ، المقدمة ، ج3 ، ص 966 .

[2] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 146 .

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 966 . محمد الأمين بلغيث ، الحياة الفكرية في الأندلس ، ص146 .

قوي لدى البلاط الأموي ، وكانوا يتخوفون من كل حامل لفكرة جديدة ، أو كل مجتهد من المذاهب الأخرى في الاعتقاد كالاعتزال مثلًا[1] .

وبلغ الأمر بأنه حتى الطلبة الذين يرحلون إلى المشرق لطلب العلم كانوا يتجنب بعضهم المجالس العلمية التي تضم المتكلمين سواء من المسلمين ، أو تلك التي تضم ذوي العقائد الأخرى ، ولقد سئل أحد الأندلسيين بعد عودته إلى الأندلس من رحلته العلمية ما إذا كان قد زار أحد مجالس العلم ببغداد ، وقد أجاب بما يلي: "لقد قمت مرتين بزيارة مجلسهم ، لكنني ترددت أن أكرر الزيارة مرة ثالثة ، لماذا؟ ، تصوروا في المجلس الأول لم يكونوا مسلمين من كل الطوائف السنية والمخالفة وحسب ، بل حضر أيضا عبدة النار والدهرية واليهود والمسيحيون ، وباختصار الكفار من كل جنس ، وكان لكل طائفة ناطق باسمها عليه أن يدافع عن وجهة نظرها ، وحين يدخل أحد قادة هذه الأحزاب القاعة يقف الجميع ولا يجلس أحد قبل أن يأخذ ممثل الفريق مكانه ، وحين أصبحت القاعة شبه مليئة أخذ أحد الكفرة الكلمة وقال :" لقد اجتمعنا هنا لنتناقش ، وأنتم جميعًا تعرفون شروط المناظرة الأولية ، عليكم أيها المسلمون أن لا تحاجوا ببراهين مأخوذة من كتابكم أو بأقوال تنسب إلى نبيكم . ذلك أننا لا نؤمن بهذا النبي ، ولا بهذا الكتاب ، وعلى جميع الحاضرين الاستناد إلى علل تستند إلى العقل فقط . لقد لاقت هذه العبارات قبولًا عامًا ، ولكم أن تتصوروا أنه بعد سماعي لهذه الأقاويل لم أعد أجد أية رغبة في العودة إلى مثل هذا المجلس . ومع ذلك فقد نصحت بزيارة مجلس آخر، وقد فعلت لكن الفضيحة كانت مماثلة "[2] ، إذًا من هذا النص يتضح لنا جليًّا موقف الأندلسيين من علم الكلام والمتكلمين ، فلم تقتصر هذه المقاطعة داخل الأندلس وفقط ، بل تعداه إلى ما هو في المشرق أثناء رحلاتهم في طلب العلم .

أما بعض الأندلسيين الذين شذوا عن هذه القاعدة ، وحاولوا طرق هذا العلم فقد لاقوا المضايقات والاضطهاد ، وتشدد الحكام الأندلسيين ضدهم ، باستثناء الحكم المستنصر الذي كان مولعًا بالعلم والمعرفة ويشجع العلماء في مختلف التخصصات ويوقرهم[3] ، ولم تكتف المضايقات إلى حد متابعة المشتغلين بهذا العلم بل تعدت إلى مصنفاتهم وكتبهم ، والتي تعرضت إلى المصادرة ، أو الحرق ، أو الكف عن استنساخها فضاعت أغلبها ، ولم يبق منها إلا أسماءها في متون كتب التراجم[4] .

---

[1] محمد زنيبر ، **دراسات في الحضارة الإسلامية وثقافة الغرب الإسلامي** ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس اكدال ، ط1 ، الرباط ، 2010 ، ص 379 .

[2] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص ص 146 - 147 .

[3] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 65 – 66 .

[4] محمد زنيبر ، المرجع السابق ، ص 378 .

هذا الموقف السلبي لبعض الأندلسيين من نفور لكل من ينتسب إلى علم الكلام ، وأهله صرح به المحدث الفقيه ابن عبد البر النمري ، وهو يعبر عن رأي الفقهاء بقوله: " أجمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء (...) فكل متكلم هو من أهل الأهواء والبدع "[1]، لهذا السبب كانت الأندلس بعيدة عن تعدد المذاهب ، وصراع الفرق ، والتيارات الكلامية كما هو الحال في المشرق ، مما أدى بالأندلسيين صرف النظر ، وعدم الاشتغال بهذا العلم ، وهذا الحال وصفه ابن حزم في قوله :"وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ، ولا اختلفت فيها النحل فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب ..."[2] .

وعلى الرغم من هذه المعارضة والمضايقات من طرف الفقهاء ، والسلطة السياسية ، إلا أنه في المقابل استطاع بعض الأندلسيين تحدي هذه الأوضاع مستغلين ظروف العصر من نهاية القرن الثالث إلى بداية الرابع الهجري / التاسع والعاشر للميلاد مع ظهور مدرسة الحديث ، والتي انتقلت الأندلس من التبعية الفقهية للإمام مالك وكتابه الموطأ ، إلى دراسة كتب أخرى كالمدونة ، والمستخرجة وكذا الرجوع إلى الأصول نفسها من كتب الحديث النبوي الشريف[3] .

وحتى وإن لم يكن في الأندلس مثل تلك الفرق الكلامية ، كما هو في المشرق كالجبرية[4] ، والمرجئة [5]،فالحاجة إلى علم الكلام كان من أجل أن يحسن طالب العلم البرهنة بالحجج العقلية على عقائد السنة ، وهذا ما صرح به

---

[1] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 319 .

[2] ابن حزم الأندلسي ، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ، ص 186 .

[3] سالم يفوت ، **المناخ الفكري بالأندلس ودور المالكية في تشكيله** ، أعمال ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي بمراكش ، تنسيق علي الإدريسي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس أكدال ، الرباط ، ط1 ، 2005 ، ص 81 .

[4] وهي تيار من الفرق الكلامية ، يستمد أدلته من القرآن الكريم ، ويرى أصحابه أن كل حركة تقع في الإنسان أو في الكون إنما هي من قضاء الله ولا اعتراض للبشر على قضاء الله ، وهو الذي يوجه أعمالهم إلى الخير أو إلى الشر ، والجبرية تنقسم إلى أصناف ، فهناك الجبرية الخالصة التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً ، وهناك الجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً . الشهرستاني ، المصدر السابق ، ص 69 . محمد الأمين بلغيث ، **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي** ، دار التنوير ، 2006 ، ص 92 .

[5] وهي كذلك تيار من المتكلمين ، وأختلف في المقصود بالإرجاء ، وقيل بأن له عدة معان فمنها التأخير عملاً بقوله تعالى في الآية رقم 111 من سورة الأعراف : "قَالُواْ أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ " أي أمهله وأخره ، والمعنى الثاني أي إعطاء الرجاء ، وأطلق اسم المرجئة على المعنى الأول فهم كانوا يؤخرون العمل على النية والعقد ، وهناك من يقول بأنهم الذين يؤلون قوله سبحانه وتعالى في الآية 107 من سورة التوبة :" وَ ءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " ، ومن أقوالهم بأنه ليس من حق الحكم على أحدهم بأنه ظالم أو مظلوم ، لأن مثل هذا القول هو شرك بالله وادعاء بالألوهية ، وتدخل في مشيئة الله لأنه سبحانه وتعالى هو الحاكم ، والمرجئة أصناف ، فهناك مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة ...الخ . الشهرستاني ، المصدر السابق ، ص 112 . محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ص ص 91 – 92 .

ابن خلدون بقوله : " لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة ، إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها ...."[1] .

ثم إن معظم المتكلمين الأندلسيين لم يتبنوا علم الكلام إلا بعد قيامهم برحلاتهم العلمية إلى المشرق ، إذ كان للرحلة دور كبير في تطلع أهل العلم الأندلسيين إلى قراءة ودراسة علم الكلام ، والاتصال بأعلامها وحضور مجالسهم في المشرق ، ثم يعودون إلى الأندلس بتلك الأفكار ، وربما بمعتقدات تلك المذاهب فيقومون ببثها ونشرها بين طلبة العلم الأندلسيين الذين لم يرتحلوا .

والملاحظ أن إسهامات العلماء الأندلسيين ، وإنتاجهم الفكري من مؤلفات في علم الكلام ، قد آلت إلى الضياع ، وإلا كيف نفسر إهمال ذكرها في كتب التراجم والطبقات ، والترجمة لأصحابها كابن الفرضي والحميدي ، وابن بشكوال ، والضبي ، وغيرهم ماعدا بعض الإشارات القليلة التي سيأتي ذكرها في مواضعها لاحقًا ، وهذا ما يزيد من صعوبة البحث والتقصي وتتبع ميلاد وتطور علم الكلام والجدل في الأندلس خلال فترة موضوع البحث المدروسة .

ومن القلائل الذين ورد ذكرهم في كتب التراجم ممن اشتغلوا في علم الكلام خليل بن عبد الملك بن كليب المعروف بخليل الفضلة(عاش في القرن3هـ/9م)، وكان محمد بن وضاح المحدث صديقًا له ، ولما تبين له أنه من المتكلمة هجره[2]، وله حادثة مع الفقيه المحدث بقي بن مخلد ، إذ نهاه عن حضور مجلسه بعد حوار دار بينهما، فقد طرح عليه أسئلة وكانت إجابته لا تعجب بقي بن مخلد ونص هذا الحوار يورده لنا ابن الفرضي نقلاً عن ممن شهد هذا المجلس بقوله: " حضرت الشيخ يعني بقيًّا وقد أتاه خليل فقال له بقي : أسالك عن أربع : فقال : ماهي ؟ قال : ما تقول في الميزان ؟ قال : عدل الله ، ونفى أن تكون له كفتان : فقال له : ما تقول في الصراط ؟ فقال :الطريق . يريد الإسلام فمن استقام عليه نجا ، فقال له : ما تقول في القرآن ؟ فلجلج ولم يقل شيئًا ، وكأنه ذهب إلى أنه مخلوق (فقال له): فما تقول في القدر ؟ فقال : أقول : إن الخير من عند الله والشر من عند الرجل . فقال له بقي : والله لولا حالة لأشرت بسفك دمك ، ولكن قم فلا أراك في مجلسي بعد هذا الوقت "، ولما توفي خليل بن عبد الملك اجتمع الفقهاء وأخرجوا كتبه ، وأحرقت إلا تلك التي تتعلق بموضوعات المسائل والفرائض[3] .

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 977 . عبد الصمد تمورو ، **تجديد الكلام في علم الكلام** ، أعمال ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي بمراكش ، ص 31 .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 139 .

[3] نفسه .

وكذلك يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة القرطبي (ت315هـ/927م)[1] فقد تأثر بعلم الكلام والجدل بعد رحلته إلى المشرق فمال إلى كتب المتكلمين و مذاهبهم وطلب علم الحساب ، وبعد عودته إلى الأندلس أصابه المرض ، فلزم داره يدرس فيه طلبة العلم يأخذون عنه ، وقيل بأنه كان معتزلي المذهب [2] .

ومحمد بن عبد الله بن مسرة (ت319هـ/ 931م) الذي اتهم بالزندقة وخرج فاراً إلى المشرق في عهد الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/888- 912م) فتردد على أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة المشارقة ، وبعد عودته إلى الأندلس أظهر الورع والتقوى فاغتر به بعضهم وتبعته طائفة من الأندلسيين ، وكان ابن مسرة يحرف التأويل في كثير من ألفاظ القرآن الكريم ، ويدعي التكلم على تصحيح الأعمال ، ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق ، واستطاع ابن مسرة أن يجد أتباعًا له في الأندلس، وتأسيس مذهب في الاعتزال إذ انضمت إليه جماعة يكثر عددهم ، واعتبروه إماماً في العلم والزهد[3]، بينما اتهمه البعض بالبدعة والزندقة واحرقت مصنفاته ، لما فيها من مقالات واستنباطات وإشارات غامضة واعتبروها ضالة وملحدة[4] .

وممن قوبلت مؤلفاتهم بالقبول في هذا العلم ما ألفه موسى بن محمد بن حدير الحاجب عهد عبد الرحمن الناصر ، وأخوه أحمد الوزير صاحب المظالم من كتب في علم الكلام والاعتزال وأصوله[5] .

كما برز أبو عمر أحمد بن يحيى بن عيسى الألبيري الأصولي (ت428هـ/1036م) في مملكة غرناطة الذي وصفه ابن بشكوال بأنه كان من المتكلمة ، دقيق النظر، عارفًا بالاعتقادات على مذهب أهل السنة ، وكان يُعرف بابن المحتسب ثم عُرف بابن عيسى[6] .

وقامت مناظرات كلامية في الأندلس بين مذاهب أهل السنة والجماعة ، ومنها تلك التي اشتهرت بين قطبي الظاهرية والمالكية ، ومثَّلَ كل مذهب الفقيه ابن حزم الظاهري ، ويناظره الباجي المالكي ، ولم تقتصر تلك المناظرات بين المسلمين فقط ، بل حتى بين المسلمين وغيرهم ممن ينتحلون الديانات الأخرى كاليهودية و المسيحية[7] .

---

[1] كان متصرفًا في مختلف فنون العلم ، في الآداب ورواية الأخبار ، وله مشاركة في الفقه ، والرواية ، زيادة على شرح معاني الشعر ، وعلم العروض والتنجيم ، والطب . نفسه ، ق2 ، ص 188 .

[2] نفسه . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 178 .

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 40 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج4 ، ص 22 .

[4] نفسه ، ج4 ، ص 329 .

[5] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 603 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 21 .

[6] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 83 .

[7] حسن الميمي ، **أهل الذمة في الحضارة الإسلامية** ، تقديم الشاذلي القليبي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1998 ، ص 111 نقلاً عن خميسي بولعراس ، المرجع السابق ، ص 162 .

وعلى الرغم من هذه المحاولات إلا أن الأندلسيين في العموم نبذوا هذا العلم ، ولم ترد دلائل واضحة تشير إلى عقد مجالس علمية لتلقين أصول علم الكلام ، وتدريسه على الطلبة ، ومناقشة أهم القضايا والمسائل الكلامية من طرف شيوخ العلم ، فلم يرض الفقهاء أن يجدوا في مجالس أهل الكلام حضور مختلف الاتجاهات والمعتقدات ، ويتعاملون معهم على قدم المساواة ، ووجدوا في هذا ذهاب لحرمة الإسلام ، فامتنعوا عن حضور هذه المجالس[1] .

ولم يكتف الأندلسيون بهذا ، بل إن بعض الفقهاء أوصى لبنيه وتلامذته بتجنبها ومقاطعة مثل هذه المجالس ، وهو ما صرح به الفقيه المالكي أبو الوليد الباجي أحد أبرز شيوخ عصر ملوك الطوائف في وصية لولديه وهو يقول: " وإياكما وقراءة شيء من المنطق وكلام الفلاسفة ، فإن ذلك مبني على الكفر والالحاد والبعد عن الشريعة ، وأحذركما من قراءتها ما لم تقرآ من كلام العلماء ما تقويان به على فهم فساده ، وضعف شبهه ، وقلة تحقيقه "[2] .

مما سبق ذكره يتجلى بوضوح مدى ارتباط وتعلق الأندلسيين بالدراسات الدينية في مختلف العصور الزمنية محل الدراسة ونتج عن هذا ازدهار حركة التأليف في الفقه ، الحديث ، علم القراءات ، والتفسير ، ومرد هذا ارتباط تلك العلوم بحياة المسلمين وعقيدتهم ، كما برز دور فقهاء وعلماء الأندلس في تنشيط المجالس العلمية وحلقاتها ، ونتج عن ذلك النشاط أن أصبحت للأندلس مدارس معنوية في بعض التخصصات التي نبغوا فيها ومنها مدرسة فقه الحديث التي أسسها بقي بن مخلد(ت246هـ/860م) ، ومحمد بن وضاح (ت287هـ/900م).

المطلب الثاني : العلوم اللغوية والأدبية

أ) – العلوم اللغوية (النحو ، والصرف)

يختص علم اللغة ببيان الموضوعات اللغوية ، وُيعْرَفُ به أبنية الكلام[3] ، وظهر هذا العلم لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة بالإعراب ، فاستنبطت القوانين لحفظها ، واستمر هذا الفساد بمخالطة العجم حتى شمل معاني الألفاظ ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه فيه هجنة المعربين في استعمال مصطلحات مخالفة للأصل اللغوي ، وهذا ما أدى إلى تأسيس علم يحفظ الموضوعات اللغوية بتأليف

[1] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص ص 46 .

[2] جودة عبد الرحمن هلال ، مقدمة لوصية القاضي أبي الوليد الباجي لولديه ، ص34 .

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص1131 .

وتدوين الكتب التي تختص في ذلك المجال ، وكان السبب الرئيسي في ظهور هذا العلم هو خشية ما يمس هذه الملابسات والمفسدات ويحرف معاني القرآن الكريم ، والحديث الشريف بالتأويل المعنوي الخاطئ[1] .

و تتعدد فوائده لتشمل ضرورة الإحاطة بها لمخاطبة أهل اللسان ، والتمكن من إنشاء الخطب والرسائل ويتألف علم اللغة إلى عدة علوم فرعية وهي: علم التصريف ، علم النحو ، علم البديع ، علم العروض ، علم قرض الشعر ، وعلم القوافي ، وعلم إنشاء النثر ، وهذه العلوم كلها هي الضروريات ، التي لابد لكل عالم أو طالب علم أن يدرسها فقد كانت علوم اللغة خاصة النحو من المواد التي تدرس في السنوات الأولى من التعلم[2] .

ولقد اهتم الأندلسيون بعلوم اللغة بقدر اهتمامهم بالعلوم الدينية ، والعالم عندهم لا يكون عالمًا ما لم يكن متمكنًا في علم النحو ، وإلا فلا يستحق التمييز ولا هو سالم من الازدراء[3] .

وكانت اللغة في الأندلس على ثلاثة مستويات[4] :

أ)- لغة عربية فصحى : وهي اللغة الرسمية ، أي لغة الإدارة ، والجامعة لكل العناصر الأندلسية .

ب)- لغة السكان الأصليين : وهي التي يطلق عليها اللطينية ، أو لغة العامة التي امتزجت بين اللغة العربية الفصحى واللغة الأعجمية ، فظهرت لغة من خليط عربي ولا طيني ، وسميت بعجمية أهل الأندلس .

ج)- لغة البربر: التي ظهرت في عصر ملوك الطوائف ، وقد اجتهد أغلبهم في التعرب الذي كان نتيجة المصاهرات بأمهات أندلسيات ، ثم أخذوا من أمهاتهم لغة الحديث العامة .

ودرس الأندلسيون اللغة وعلومها عن طريق قراءة النصوص الأدبية من الكتب عامة دون استعمال كتب خاصة في النحو ، فيتعلم الطلبة قواعد اللغة والنحو من النصوص نفسها ، ثم عرفوا من بعد ذلك كتب النحو الوافدة من المشرق ، وأول الكتب والمصنفات في هذا المجال التي ذاع صيتها في الأندلس كتاب سيبويه (ت180هـ/796م) الذي أصبح عليه مدار الدراسة ، والشرح حتى أنهم أعابوا على النحاة الذين لم يقرؤوه[5] وهو الذي كان عليه الأساس في درس النحو[6] ، وكما أُدخل كتاب عالم الكوفة النحوي الكسائي علي بن

---

[1] نفسه .

[2] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 165 .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 182 .

[4] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 165 .

[5] نفسه ، ص 166 .

[6] نفسه .

حمزة(ت189هـ/805م)[1]، وتذكر بعض كتب التراجم أن أول من أدخله إلى الأندلس هو جودي بن عثمان المورووي النحوي (ت198هـ)/813م) الذي ألف هو بدوره كتابًا في النحو بعنوان منبه الحجارة في النحو[2] .

ويعد قاسم بن ثابت بن حزم(ت302هـ/915م)[3] أول من أدخل كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ/786م) واعتنى قاسم بجمع الحديث واللغة ، وأدخل هو وأبوه بعد رحلتهما إلى المشرق علمًا كثيرًا [4].

ولقد كانت الأندلس مهيأة لأن تتم فيها مثل هذه الدراسات ، لأن الصبيان كانوا يتلقون مبادئ النحو في المرحلة الأولى إلى جانب قصائد من الشعر ، ونصوص أدبية أخرى تؤهلهم جيداً لدراسة مواد المرحلة العليا وهذا ما يمكنهم في سن مبكرة جدًا من القدرة اللغوية عمليًّا[5] ، حتى أن الفقيه الظاهري الأندلسي ابن حزم اعتبر أن دراسة النحو فرض كفاية ومن لم يدرس النحو واللغة ، لم يعلم اللسان الذي بين الله به ديننا وخاطبنا به ، ومن لم يعلم النحو لم يعلم دينه ، ولو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن ، وفهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو سقط لسقط الإسلام ، وذهب ابن حزم إلى أبعد من ذلك عندما حرَّم على الفقيه بأن يُفتي في دين الله بكلمة واحدة وهو جاهل للنحو واللغة ، كما حرم على المسلمين أن يستفتوه[6] .

وفي تدريس الإعراب اشتهر الفقيه محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي النحوي الذي كان يدرس الناس الإعراب وأدب المغيرة بن الخليفة عبد الرحمن الناصر [7] .

[1] من أهل الكوفة ، ولد في إحدى قراها وتعلم بها ، إمام في اللغة والنحو ، والقراءة ، قرأ النحو بعد الكبر ، سكن بغداد ، وتوفي بالري ، وهو مؤدب أبناء الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) كان يعلمهم الأدب ، ولقبه معلمه حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت158هـ/374م) بالكسائي لأنه كان يرتدي كساء جيد في إحدى حلقاته وبهذا أصبح يطلق عليه هذا اللقب ، ومن مؤلفاته مختصر في النحو معاني القرآن ، المصادر الحروف ، القراءات النوادر ...الخ . أبوبكر الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 127 وما بعدها . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ، ص295 وما بعدها .خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 283 .

[2] خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 59 .

[3] يكنى بأبي محمد ، من أهل سرقسطة ، ولد سنة 255هـ/869م ، رحل مع أبيه إلى مكة ومصر ، وأريد على القضاء بسرقسطة فامتنع ، توفي بسرقسطة ومن مؤلفاته الدلائل على معاني الحديث بالشاهد والمثل ، وتوفي قبل إتمامه فأكمله أبوه الذي عاش بعده . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 361 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج5 ، ص 174 .

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 361 .

[5] نفسه ، ص 60 .

[6] ابن حزم الأندلسي ، رسالة التلخيص لوجوه التخليص ، ص ص 161 – 162 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 201 .

[7] ابن الفرضي ، المصدر السابق ،ج 2 ، ص 763

واجتمعت عوامل عدة ساعدت في ازدهار الحركة اللغوية النحوية في الأندلس ، والتي يمكن اجمال أهمها في النقاط التالية:

– رحلة الأندلسيين إلى المشرق ، واستفادتهم من اللغويين المشهورين ، ثم عودتهم إلى الأندلس ومعهم مؤلفات لغوية مشروحة .

–حلقات التدريس المنتشرة في مختلف حواضر الأندلس .

–تعدد المراكز الثقافية في عصر ملوك الطوائف بظهور حواضر جديدة استقطبت العلماء والأدباء كإشبيلية بطليوس، طليطلة ، المرية ...الخ .

– حركة التأليف اللغوي من العصر الأموي إلى عصر ملوك الطوائف وما بعدها ، التي تميزت بالوفرة والجودة. ونتج عن هذا ظهور اتجاهين في التأليف : اتجاه شرح اللغة ، واتجاه إلى التأليف المعجمي .

–الخصب اللغوي الذي أوجده أبو علي القالي(ت356هـ/967م) وتلاميذه وهو ما أثر ايجابيا في أهل اللغة في عصره ، وعصر ملوك الطوائف[1] .

ولقد ظهر الكثير من المؤلفين الذين أثروا الساحة اللغوية بإنتاجهم ومؤلفاتهم ، ومنهم على سبيل المثال أبو علي القالي(ت356هـ/966م) الذي ألف رسالة عن " المقصور والممدود" ، ورسالة أخرى عن الأفعال بعنوان "فعلت و أفعلت" ، وكتاب "البارع في اللغة" الذي يعد موسوعة لغوية رتب فصوله بحسب الحروف الهجائية ، وكان يحتوي على خمسة آلاف ورقة[2] ، وكذلك أبوبكر بن القوطية(ت367هـ/977م) الذي ألف كتاب الأفعال في اللغة، فقام تلاميذه بتنقيحه وإكماله ،وعلق عليه ابن طريف مولى بني عبيد(ت399هـ /1009م)الذي كان أحد المدرسين في اللغة والنحو فقد سمع منه الناس [3] .

و ألف الزبيدي الإشبيلي أبوبكر محمد بن الحسن مؤدب الخليفة هشام المؤيد في صباه كتابه في النحو مختصر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، الذي أصبح مرجعًا لكل علماء وطلاب الأندلس في علم النحو ، وإلى جانب ذلك قام بمراجعة الكتب الأدبية آنذاك محاولًا تنقيتها من الألفاظ العامية ، ويرشد

---

[1] ألبير حبيب مطلق ، **الحركة اللغوية في الأندلس من الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف** ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1997 ، ص ص 258 – 259 . خميسي بولعراس ، المرجع السابق ، ص 178 .

[2] الزبيدي الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 121 . ابن الفرضي ، المصدر السابق ،ق1، ص 121. الحميدي ، المصدر السابق، ص 164 وما بعدها. الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 282 وما بعدها . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 226 وما بعدها .ابن خير الاشبيلي المصدر السابق ، ج2 ، ص 460 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 59 . أنخل جنثالث بالننثيا ، المرجع السابق ، ص 185 .

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 748 . ابن خير الاشبيلي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 462 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ص 60 .

الأندلسيين إلى ما ينبغي لهم من الألفاظ والعبارات العربية الصحيحة[1]، وبه بدأت تظهر كبرى المعاجم والمصنفات في علم النحو ، إذ ذهب بعض الأندلسيين إلى أبعد من التأليف من خلال شرح الشعر الذي هو في كتاب سيبويه ونقد نحوه ، وهو ما قام به أبو الحجاج يوسف بن عيسى(ت475هـ/1083م)[2] .

وللصدفة فقد حفلت كتب التراجم بأسماء متشابهة لأساتذة ومؤلفين كلها يُشهد لها بتمكنها ، وعلو كعبها في مجال تأليف المعاجم اللغوية ، وحسن دراستها لعلم النحو ، ويُقصد بذلك على التوالي : ابن سيد ، وابن السيد ، وابن سيدة .

فالأول هو ابن سيد اللخمي(ت382هـ/992م)[3] الذي كان إماماً في اللغة والعربية وله الكتاب المعروف بالعالم يقع في نحو مائة مجلد مرتب بحسب الأجناس بدأ بالفلك وختم بالذرة ، وله في العربية كتاب العالم والمتعلم على المسألة والجواب [4].

أما الثاني فهو ابن السيد عبد العزيز بن أحمد بن المغلس القنيسي البلنسي الأندلسي(ت427هـ/1035م) الذي " كان من أهل العلم باللغة والعربية ، مشاراً إليه فيهما"[5] ، كما اشتهر آخر بنفس الاسم هو ابن السيد البطليوسي(ت521هـ/1127م)[6] ، كان شيخ الأدباء في وقته ، وإمام عصره في علم النحو واللغات ، وغيرهما من الفنون الأدبية ، ووصفه ابن بشكوال قائلًا : " كان عالمًا بالآداب واللغات ، متبحر فيهما مقدمًا في معرفتهما وإتقانهما ، يجتمع الناس إليه ويقرؤون عليه ، ويقتبسون منه ، وكان حسن التعليم

---

[1] نفسه . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 186 .

[2] من أهل شنتمرية الغرب ، ولد سنة 410هـ/1019م ، يعرف بالأعلم ، رحل إلى قرطبة سنة 433هـ/1041م وأقام بها مدة ، وتوفي باشبيلية كان عالماً باللغات ، والعربية ، ومعاني الشعر ، أخذ الناس عنه ، وكانت الرحلة إليه في وقته ، كف بصره في آخر عمره . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 976 – 977 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 186 .

[3] أحمد بن أبان ، يكنى بأبي القاسم ، ويعرف بصاحب الشرطة ، وهو عالم أندلسي ، اشتهر في عصر الخليفة الحكم المستنصر ،كان معتنيًا بالأدب واللغات وروايتهما ، مقدماً في معرفتهما واتقانهما ، ومن مؤلفاته كتاب " العالم "في اللغة ، أما مؤلفاته المتبقية فهي في حكم المفقود كلها. الحميدي ، المصدر السابق ، ص 118. الضبي ، المصدر السابق ، ج1، ص 215. ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 34 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص84 .

[4] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 719 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 189 .

[5] يكنى بأبي محمد ، رحل من الأندلس ، وسكن بمصر واستوطنها وبها توفي . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص282.

[6] هو عبد الله بن محمد ، يكنى بأبي محمد ، ولد 444هـ/1052م ببطليوس ونشأ بها ، ثم انتقل إلى بلنسية فسكنها وتوفي بها ، ومن مؤلفاته "الاقتضاب في شرح أدب الكاتب" ، " المسائل والأجوبة" . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 436 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ص ص 443 – 444 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 123 . محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص171 .

جيد التلقين ، ثقة ضابطًا "[1] ، وألف ابن السيد مصنفات كثيرة منها كتابه في النحو المعنون بالمثلث في اللغة في مجلدين الذي قيل فيه بأنه أتى فيه بالعجائب ، ودل على إطلاع عظيم[2] .

والاسم الرابع هو ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل المُرسي الضرير(ت458هـ/1066م) الذي كاد أن يكون أكبر أصحاب المعاجم الأندلسيين– بتعبير خوليان ريبيرا– وكانت له مؤلفات كثيرة منها معجمان في اللغة وهما: " المخصص" في اللغة وصف بأنه من أثمن كنوز العربية ، ورتب ألفاظه بحسب الموضوعات المتقاربة والثاني كتابه "المحكم والمحيط الأعظم " ، وهو معجم أبجدي رتبه على منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ/786م) في معجمه[3] .

وازدهرت الدراسات اللغوية والنحوية في عصر ملوك الطوائف في بعض الممالك ، وكانت دانية أبرزها على عهد مجاهد العامري(412-436هـ/1021- 1044م)الذي يرجع إليه الفضل في تشجيع الحركة العلمية بمملكته ، مما ساهم في هجرة العلماء إليها ، ونتج عن ذلك زيادة النشاط العلمي وحركة التأليف ، وبرزت المرأة الأندلسية في هذا المجال ، واشتهرت بعضهن كالنحوية العروضية إشراق التي فاقت أساتذتها في المعرفة والاستيعاب[4] .

ونتيجة لهذه الظروف المتاحة في هذه المملكة ظهر – بحسب ابن حزم - أحسن كتاب أُلف في اللغة والنحو ، وأوفرها مادة ، وأصحها نصوصًا ، وهو الكتاب الذي ألفه ابن التياني أبو غالب تمام بن غالب(ت 436هـ/1044م) الذي برع في اللغة ، وانتقل من قرطبة إلى مرسية(Murcia) ، حيث تفرغ للتدريس ونشر علمه ، ثم عكف على التأليف ، وكان يشهد له بالأنفة ، والاعتزاز ، والصدق ، وإخلاصه للعلم فقد رفض طلب مجاهد العامري حاكم دانية الذي أرسل إليه ألف دينار أندلسية وكسوة على أن يزيد في مقدمة كتابه أنه صنف باسمه ، فرد الدنانير وأبى ذلك ، ولم يفتح في ذلك بابًا البتة ، وقال قولته المشهورة : "والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب ، لأني لم أجمعه له خاصة ، بل لكل طالب عامة "[5].

---

[1] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 443 .

[2] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 60 .

[3] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 545-546 . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 330- 331 . المقري التلمساني المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 18 ، 182 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 63 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص ص 263 – 264 .

[4] عصام سالم سيسالم ، المرجع السابق ، ص 521 . خميسي بولعراس ، المرجع السابق ، ص 179 .

[5] ابن حزم الأندلسي ، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ، ص 182 .خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 62 .

والملاحظ أن فن تصنيف المعاجم تطور في الأندلس جنبًا إلى جنب مع دراسة النحو ، وكانت بدايات تأليف الأندلسيين في هذا المجال تقتصر على المختصرات لمعاجم مشرقية ككتاب نوادر اللغة الذي ألفه أبو علي القالي(ت356هـ/966م)، كما وضع الزبيدي(ت379هـ/989م)مختصرًا لكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ /786م) ، وقد بوبه بحسب مخارج الحروف، إذ بدأ بالحروف الحلقية بداية بحرف العين وانتهى بالحروف الشفوية والمقفلة ، وقد اشتهر هذا المختصر وأصبح معتمد الناس في الدراسة بالأندلس[1] .

وبرز في مملكة غرناطة في عهد بني زيري أبو محمد غانم بن وليد بن عمر المالقي المخزومي(ت470هـ/1077م) الذي قال فيه ابن بسام:" قد بذ وقته أهل ذلك الإقليم في أنواع التعاليم ، فَرْدَ عصره ، ونسيج وحده"[2]، واشتهر في طليطلة هشام بن أحمد بن خالد بن هشام الكناني المعروف بالوقشي(ت489هـ/1095م)[3] ، ويقول فيه ابن بشكوال:" أبو الوليد الوقشي أحد رجال الكمال في وقته باحتوائه على فنون المعارف ، وجمعه لكليات العلوم ، هو أعلم الناس بالنحو واللغة ومعاني الشعر والعروض، وصناعة البلاغة "[4].

كما استفاد الأندلسيون من اللغويين من أهل المشرق الوافدين إلى الأندلس فبالإضافة إلى إسهامات أبي علي القالي(ت356هـ/966م) في ذلك ، كان لأبي العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي اللغوي (ت417هـ/1026م) مساهمة في تعليم الأندلسيين اللغة والنحو ، فقد جلس في المسجد الجامع في مدينة الزاهرة بعد سنة385هـ/995م يُملي كتابه "الفصوص" في الآداب والأشعار والأخبار[5]، وتخرج على يديه نخبة من لغويي الأندلس الذين سيشتهرون من بعده ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن المغلس القنيسي البلنسي الأندلسي (ت427هـ/ 1035م)[6].

---

[1] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 189 .

[2] ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، م1 ، ق1 ، ص 853 .

[3] يكنى بأبي الوليد ، وهو فضلًا عن تخصصه في اللغة والعربية والنحو فقد كان شاعرًا ، حافظًا للسنن وأسماء نقلة الأخبار ، بصيرًا بأصول الفقه وفتاوى فقهاء الأمصار ، له مشاركة في علم الشروط ، والفرائض ، والحساب ، والهندسة ، وآراء الحكماء . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ص 939 .

[4] نفسه .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 371 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص346 .

[6] نفسه ، ج2 ، ص282.

ب)العلوم الأدبية : (النثر ، الشعر ، الموشحات ، الأزجال):

يقصد بالعلوم الأدبية تلك التي تعني بالإجادة في فني المنظوم (الشعر) والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم ، زيادة على شعر، وسجع ، وتقيد بقوانين اللغة العربية من إجادة في النحو وحسن توظيف اللغة وسلامة الاعراب[1] .

وكان في الأندلس من له اهتمام وعناية بهما ، وكمواد للدراسة والتعليم فأهمية هذه الدراسات الأدبية لا تقل عن الدراسات الدينية فقد أقبل الأندلسيون عليها حسب هدف كل طالب لها ، فإما للتثقيف ، أو لكسب العيش من خلال ممارسة وظيفة التعليم أو الحصول على عمل في مناصب الدولة سواء في الكتابة في ديوان الرسائل ، أو في القضاء ، أوفي الوزارة ، أو في الحجابة ، أو حتى في قيادة الجيش هذا بالنسبة للعامة أما الأمراء والخلفاء والملوك الأندلسيون فقد كانوا في معظمهم أدباء علماء حسب ما ذكرته كتب التراجم والطبقات وسترد أمثلة عن هؤلاء كل في موضعه .

ب)- 1- النثر : يعد النثر من أهم الأغراض الأدبية ، ويتفرع إلى فنون منها السجع الذي يعتمد قافية واحدة ، والمرسل الذي لا يتقيد الكلام فيه بالقافية الواحدة وهو المستعمل في الخطابة والأدعية ، وأصول هذا الفن ، وأركانه أربعة وهي: كتاب البيان والتبيين للجاحظ عمرو بن بحر الكناني الليثي(ت255هـ/869م)[2] وكتاب أدب الكاتب لابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري(ت276هـ/889م)[3]، وكتاب الكامل للمبرد محمد بن يزيد الأزدي(ت286هـ/ 899م)[4]، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي (ت356هـ/966م)

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص1138- 1139 (بتصرف) .

[2] يكنى بأبي عثمان ، ولد بالبصرة سنة 163هـ/780م وبها توفي ، كبير أئمة الأدب العربي ، فلج في آخر عمره ، ومن مؤلفاته الحيوان ، أخلاق الملوك ، البخلاء ، العرجان والبرصان والقرعان ، والبيان والتبيين ،وغيرها .ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ، ص470 وما بعدها . ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج5 ، ص 2101 وما بعدها .جلال الدين السيوطي ، بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحويين، ج2 ، ص228 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج5 ، ص 74 .

[3] يكنى بأبي محمد ، ولد ببغداد سنة 213هـ/828م وبها توفي ، سكن الكوفة ، تولى قضاء الدينور فنسب إليها ، وأقرأ كتبه ببغداد إلى حين وفاته ومنها تأويل مختلف الحديث المعارف ، عيون الأخبار ، الإمامة والسياسة ، وكتابه هذا أدب الكاتب الذي قال فيه ابن خلكان : " خطبة بلا كتاب (...) قد حوى من كل شيء وهو مفَنَّن " ، وغيرها من الكتب. الزبيدي الأندلسي، المصدر السابق ، ص183 .ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 42 – 43 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 137 .

[4] يكنى بأبي العباس ، ولد بالبصرة سنة 210هـ/826م ، وانتقل إلى بغداد وبها توفي ، كان إمامًا في النحو واللغة ببغداد في عصره ، وأحد أئمة الأدب والأخبار ، من مؤلفاته الكامل ، المذكر والمؤنث ، المقتضب ، التعزي والمراثي ، إعراب القرآن ، طبقات النحاة البصريين ، وغيرهم . الزبيدي الأندلسي ، المصدر السابق ، ص101 وما بعدها .ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 313 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج7 ، ص 144.

وما سوى هذه الأربع فتبع لها ، وفروع عنها[1] .

وتعد الكتابة أبرز الفنون النثرية المعروفة بالأندلس ، ولا يشتغل فيها إلا المتمكن في اللغة العربية والنحو، وقد يقال للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنه عندهم أرفع السمات[2] .

ولقد استفاد الأندلسيون من الكتب الأدبية المشرقية كدواوين أبي تمام(231هـ/846م)، المتنبي(ت354هـ/965م) ، والمعري(ت449هـ/1057م) وغيرهم ، وأمهات الكتب ككتاب الكامل للمبرد(ت286هـ/899م) وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي (ت356هـ/966م) ، وكانت محط اهتمام وعناية الأندلسيين بها ، إذ كانت عليها مدار الدراسة من طرف الأساتذة فشرحوها ، وفسروها ، وألفوا في موضوعاتها[3] .

مما سبق ذكره فقد كانت دراسة الأدب تؤدي بصاحبها إلى تبوء المناصب الادارية العليا في الدولة ، وكان من أبرز تلك الوظائف منصب الكاتب ، إما في ديوان القضاء ، أو الولاية ، أو الوزارة ، أو حتى البلاط الحاكم ، لهذا كان الحرص على أن من يتولى هذه المرتبة أن يكون على قدر مستوى عالي في تحكمه للغة العربية الفصيحة ويحسن توظيف التراكيب التي تتميز بالسجع عادة ، مبدعًا في التعابير وأحكام النحو ، وزيادة على ذلك أن يكون ذا بلاغة ، حسن الألفاظ ،كتومًا ، حافظًا لأسرار الدولة ، وهذه هي المعايير التي بها عين الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط(206-238هـ/822-852م) محمد بن سعيد الأصمعي الزجالي (ت232هـ / 846م)كاتبًا أمينًا له ، إذ وجد فيه تلك الشروط حسب ما ترويه المصادر كابن حيان القرطبي في كتابه المقتبس[4] .

ويستخدم السجع في كتابة الرسائل ، والخطب الدينية ، أو في حفلات البلاط ، وكذلك في الكتب الأدبية والتاريخية ، والسجع صعب الكتابة ، ويحتاج كاتبه إلى خبرة ومراس وتفنن في استخدام الألفاظ ، ومعرفة في اللغة ومن يعرف كيف يوظف السجع فهو دليل على ذكائه ، وسعة ثقافته ، ولأهميته فقد أدرج كمادة تعليمية يدرسه طلاب العلم[5] .

ويُدرج ضمن النثر تلك الرسائل التي ألفها العلماء ، والتي تختلف بحسب أهداف إنشائها ، وموضوعاتها حيث تنقسم إلى نوعين :

- رسائل ذات طابع فكري ، وهدفها معالجة موضوع أو مشكلة ما .

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1139 .

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 181 .

[3] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 64 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 197 .

[4] ابن حيان القرطبي ، المصدر السابق ، ص 34 .

[5] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 63 .

- رسائل على شكل مناظرات كالتي كانت متبادلة بين ابن حزم(ت456هـ/1063م)، وابن النغريلة(قتل459هـ /1066م)[1] .

كما يوجد نثر تأليفي ، وممن ألف في هذا النوع ابن عبد ربه أحمد بن محمد(ت328هـ/860م)[2] شاعر بلاط الخليفة عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-961م) ، اشتهر بكتابه المعروف بالعقد الفريد الذي يضم خمسة وعشرين كتابًا ، ينقسم كل منها إلى قسمين ، وقد وضع لكل باب من أبواب كتابه اسم جوهرة فبدأ بكتاب اللؤلؤة في السلطان ، ويقصد بها السياسة ، فيتحدث عن السلطان وعلاقته برعيته ، ثم يأتي الكتاب الثاني وعنْونَه بكتاب الفريدة في الحرب ومدارها ....الخ[3] .

وقيمة هذا الكتاب تكمن في أنه يقدم لنا صورة عن الحضارة الإسلامية الأندلسية في عصره ، ويتحدث ابن عبد ربه في كتابه هذا عما ينبغي للمتحضر المتعلم أن يحيط به من معارف ، وجاءت هذه الوصايا على شكل مواعظ ، ونصائح ، وحكم[4] .

كما ألف ابن حزم (ت456هـ/1063م)ضمن هذا النوع كتابه طوق الحمامة الذي قسمه على ثلاثين بابًا وعالج فيه صفة الحب ، ومعانيه ، وأسبابه ، وأعراضه ، وما يقع فيه وله ، والآفات الداخلة عليه ، وختمه بالكلام في قبح المعصية ، وفضل التعفف[5] .

---

[1] يرجح أن ابن النغريلة المقصود – حسب المحقق إحسان عباس – هو يوسف بن إسماعيل ، وهو يهودي ، خلف أبيه على وزارة جباية الأموال في مملكة غرناطة أيام باديس بن حبوس (428- 465هـ/1037-1073م) ، ولقد اعتنى أبوه بتأديبه في صغره ، وتعليمه ، وحمله على مطالعة الكتب ، وجمع له المعلمين لتحقيق هدفه بأن يخلفه في مقامه وتحقق له ذلك ، غير أن يوسف هذا دبر مكيدة قتل باديس صاحب المملكة وتمكين اليهود في تحقيق دولتهم في هذه المملكة ، وهو ما تفطن له أهل المملكة ، فثاروا ضده ، وضد كل اليهود بالمملكة ، وأحرقت ممتلكاتهم وبيوتهم ، وتتبعته العامة إلى أن قتلته في قصره . الأمير عبد الله بن بلكين كتاب التبيان ، ص 69. ابن حزم الأندلسي ، **رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي** ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي 384-456هـ ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط2 ، بيروت 1987 ، ج3 ، ص 13 (تعليق المحقق) . ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص 766 وما بعدها .

[2] قرطبي ، يكنى بأبي عمر ، شاعر ، وأديب ، ولد سنة 246هـ/940م ، اشتهر بالأدب بفضل كتابه العقد ، أخذ الناس عنه ، ومن مؤلفاته غير العقد ديوان شعر يعرف بالممحصات نقض به شعره في الغزل أيام صباه ، وهو الذي أثرى بأدبه بعد فقر .ابن الفرضي ، المصدر السابق ص38. الحميدي ، المصدر السابق ، ص 101 وما بعدها . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 191 وما بعدها . خير الدين الزركلي المرجع السابق ، ج1 ، ص207 .

[3] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 170 .

[4] ابن عبد ربه الأندلسي (أحمد بن محمد) ، **العقد الفريد** ، تحقيق مفيد محمد قمحة ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، ج1 ، ص 9 وما بعدها . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 172 .

[5] ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة والألاف ، ص 146 وما بعدها .

مما سبق ذكره فالنثر كغرض أدبي يعد أحد أهم الميادين العلمية الذي أبدع فيه الأندلسيون سواء بالعناية به للتدريس ، أو التأليف والإنتاج الفكري ، فقد تنوع بين الكتابة التي لا يصل إليها إلا من قطع مراحل وأشواط في مسيرته التعليمية ، ثم يتبوأ ذلك المنصب كتتويج ، واعترافًا بكفاءته اللغوية ، والنحوية ، وبلاغته من قبل السلطة السياسية سواء كان كاتبًا للوزير ، أو للقاضي ، أو للوالي ، أو للحاكم ،كما أن تأليف الرسائل فقد تنوعت هي الأخرى بين الديوانية التي تدخل في إطار وظائف الكاتب ، أو الرسائل المتبادلة بين العلماء لتبادل المعارف والآراء وهو ما ساهم في زيادة الانتاج والتأليف في هذا الفن .

كما هناك نوع ثالث من النثر وهو المتعلق بالإنتاج الأدبي النثري التأليفي المحض الذي يعالج موضوع أدبي ما والذي يتخذ الوصايا والحكم والمواعظ والتجارب الحياتية موضوعًا له .

ب)– 2 – الشعر العربي الفصيح : لقي الشعر عناية واهتمام الأندلسيين ، وربما يعد الميدان الأكثر من غيره الذي أبدع فيه العالم والمتعلم ، وحتى ذلك الفلاح في حقله تغنى بالشعر[1] .

فقد ساعدت بيئة الأندلس ، ومناظرها الطبيعية الخلابة على ازدهار نظم الشعر ، وظهور الكثير من الشعراء الذين تغنوا بها ، وبأمجادهم ، فأصبحت مُلكة إنشاء الشعر جارية على لسانهم [2].

ولقد اعتمد الأندلسيون في اهتمامهم بالشعر بداية على قصائد العرب الجاهلية ، ونظموا أشعارًا كنماذج تشبهها أو على منوالها كقصائد أصحاب المعلقات مثل امرئ القيس(ت80ق.هـ/545م)، والنابغة الذبياني(ت نحو 18ق.هـ/604م) ، وزهير بن أبي سلمى(ت13ق.هـ/609م) ، وغيرهم[3] .

ومن خلال تتبع حركة الشعر في الأندلس يمكن الملاحظة بأن الأندلسيين في بادئ أمرهم كانوا متأثرين بشعراء المشرق ، معجبين ببراعة نظمهم ، ولم يأتوا بالجديد من ناحية الإبداع في التفكير[4] ، لكن مع مرور الوقت نما وازدهر الشعر الأندلسي في عصر الإمارة ليبلغ الذروة في عصر الخلافة ، وملوك الطوائف من حيث نوعية ،وجودة الشعر، وتنوع مواضيعه ، وأغراضه ، ومن حيث الكم ، والعدد الهائل من الشعراء[5] ، ولقد اجتمعت العديد من العوامل التي أثرت ايجابيًّا في الحركة الشعرية بالأندلس ، ولخصوبة موضوع الشعر والشعراء ، وتشعبه ، سيقتصر الاهتمام ، والتركيز على نماذج من الشعراء في كل عصر خاصة فيما يتعلق بشعراء مجالس الندماء سواء في البلاط أو غيره ، وكذلك محاولة استقراء طريقة تدريس الشعر .

---

[1] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 63 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 78– 79 .

[2] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 197 .

[3] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 31 – 32 .

[4] نفسه ، ص 42 .

[5] خميسي بولعراس ، المرجع السابق ، ص 163 .

لقد اختلف الهدف لكل من يطرق الشعر ، ويسعى إلى التميز فيه ، فأما بالنسبة لأهل الطبقة العليا من الأمراء والخلفاء ، والملوك ، والذين كانوا في معظمهم مثقفين ، وعلماء فيلجؤون إلى الشعر لإظهار علو كعبهم ،وثقافتهم وعلمهم لدى الخاصة من علماء البلاد حتى لا يقل شأنهم أمام شعراء البلاط ، فهم يسعون إلى ذلك التقدير والاحترام ، والإعجاب ، وهذا تلبية لرغبة ذاتية ، والمتتبع في كتب طبقات الشعراء يجد أن معظم حكام الأندلس كانوا شعراء حتى أن الوسط المحيط بالحاكم في قصره يزخر بتلك الجواري اللائي تتغنى بأعذب الألحان ، ومن شعراء ، ومؤدبين ، زيادة على وجود الشعراء في البلاط ، وكان هذان الوجهان يمثلان ترف الشعر لدى الطبقة السياسية الحاكمة ، ومتعة مجالس الحكام[1] .

كما يختلف الهدف مع الطبقات الاجتماعية الأخرى الأقل درجة من طبقة الحكام ، فقد كان الشاعر يحظى بالاحترام لدى المجتمع ، فالشعر هو مطية للكسب المادي كذلك ، وسعى الشعراء للتميز من أجل الوصول إلى مرتبة شعراء البلاط ، أو على الأقل أن يكونوا موضع تقدير لدى العامة[2] .

وربما يوجد من الشعراء الأندلسيين من كان هدفه لا هذا ولا ذاك وإنما رغبة ، وذوق فني ذاتي للاستمتاع والتعبير عن الأحاسيس ، والأفكار فقط دون تحديد هدف مادي أو معنوي معين للوصول إليه بالشعر[3] .

ويتطلب تدريس الشعر في الأندلس أولًا دراسة الطالب بعض الكتب ، والمؤلفات المشرقية خاصة منها الدواوين الشعرية سواء تلك التي ألفت في الجاهلية أو بعد الإسلام كديوان المتنبي(ت354هـ/965م) مثلًا بالإضافة إلى بعض الكتب الأدبية ككتاب الكامل للمبرد(ت286هـ/899م) ، ونوادر القالي(ت356هـ/966م) وغيرهما ، وكذلك دراسة المؤلفات الأندلسية ، ويضيف خوليان ريبيرا بأن الأندلسيين كانوا يدرسون

---

[1] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 198 .

[2] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 64.

[3] نفسه .

كذلك الأساطير الأندلسية التاريخية القديمة ، وهي كثيرة حسب قوله ، ومثال ذلك قصة سارة القوطية[1] التي نظمت في الشعر على بحر الرجز ، وكذلك دراسة كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه(ت 328هـ/940م)[2] .

ونظم شعراء الأندلس في كل الأغراض خاصة الحماسة ، المدح ، الرثاء ، الوصف ، والغزل الذي تنوع بين الحب العذري ، الذي اشتهر به ابن حزم في كتابه طوق الحمامة ، وشعر الخمريات[3] ، الذي يتعارض مع الدين والأخلاق ، وكانت تنشئ منه الأغاني الشعبية ، ورغم ما تضمنه من كلمات بذيئة وقبيحة إلا أنها وجدت إقبالًا لدى العامة في حفظها ، وفي بعض الأحيان كان بعض الأمراء يشجعون هذا التوجه ربما لأهداف سياسية وهو ما عبر عنه المؤرخ الأندلسي أبو بكر بن القوطية(ت367هـ/977م) عن أمية بن عيسى (كان حيًّا 260هـ/874م)[4] وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (238- 273هـ/ 852- 886م) أنه بينما كان ماراً بدار الرهائن المجاورة لباب القنطرة بقرطبة ، ورهائن بني قسي ينشدون شعر عنترة ، فأمر أعوانه بأن يأتوا إليه بالمؤدب فقال له : "لولا أني اعذرك بالجهل لأدبتك تعمد إلى شياطين قد شجى الخلفاء بهم ، فترويهم الشعر الذي يزيدهم بصيرة في الشجاعة ، كف عن هذا ، ولا ترويهم إلا خمريات الحسن بن هاني ، وشبهها من الأهزال "[5].

وفعلًا فقد اشتهرت الخمريات بين الأندلسيين ، وأصبحت أكثر فنون الشعر شيوعًا بين شعراء الأندلس ، ولم تكن مجالسه مجرد اجتماعات لشرب الخمر ، والكلام الماجن ، بل اجتماعات أدبية شعرية ، وكان المجلس ينقضي بين تقارض الشعر وارتجاله[6] .

---

[1] سارة بنت ألمند ، لم تذكر المصادر والمراجع الكثير من أخبارها ، ما عدا الإشارة بأنها سافرت من الأندلس في عهد الولاة إلى الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) بدمشق تشكوا له اغتصاب ابن عمها ضياع وأراضي أبيها الذي توفي ، فأنصفها الخليفة وأمر عامله بالأندلس أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي (125-128هـ/743-746م) باسترداد حقها وأملاك أبيها ، وزوجها الخليفة بعيسى بن مزاحم (ت138هـ/ 755م)في الشام ،ورُزق له معها بولدين إبراهيم وإسحاق ، ثم عادت مع زوجها إلى الأندلس ، ولقيت حظوة عند الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل(138-172هـ/756-788م) وأكرمها ، وأذن لها بالدخول متى شاءت إلى قصره بقرطبة ، وبعد وفاة عيسى زوجها عبد الرحمن الداخل بعمير بن سعيد ، وإليها ينسب المؤرخ أبوبكر بن القوطية (ت367هـ/977م). المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 213 – 214 . محمد عبد الله عنان ، **دولة الإسلام في الأندلس** ، مكتبة الخانجي ، ط5 ، القاهرة ، ج1 ، ص 61.

[2] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 65 .

[3] للاطلاع على أمثلة عن أغراض الشعر ، وأهم الشعراء الذين أنشدوا في كل غرض أنظر إلى أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 43 وما بعدها .

[4] يعد من خيرة وزراء الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط الذين امتازوا بحسن السيرة ، وجودة الرأي ، وهو أحد قادة جيشه ،كُلف بولاية المدينة – حفظ الأمن بالعاصمة قرطبة- وصف بأنه كان عادلاً في أحكامه . أبو بكر بن القوطية ، المصدر السابق ، ص ص 98 – 99 . ابن حيان القرطبي ، المصدر السابق ، ص ص 141، 171 ، 540 .

[5] أبو بكر بن القوطية ، المصدر السابق ، ص 106 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 65 .

[6] أنخل جنثالث بالنثيا ، المصدر السابق ، ص 44 .

وأما طريقة تدريس الشعر ، فالأسلوب المتبع عادةً هو الإملاء ، فإذا كانت قصائد الشعر ألفاظها واضحة ومفهومة فهي لا تحتاج إلى شرح ، أما قصائد الشعر الجاهلي فتتطلب التوضيح ، وشرح الألفاظ ، ولقد اتبع الأندلسيون في دراستهم للشعر أيام المنصور بن أبي عامر(326–392ه/938–1002م) منهج الشاعر صاعد البغدادي(ت417ه/1026م) الذي أدخله إلى الأندلس ، وهذا بأن يقوم الطالب بقراءة الشعر، ثم يسأله الأستاذ عن معاني الكلمات فيشرحها التلميذ بعد أن كان قد بحث عن معانيها في المعاجم ، وأعد قائمة بها[1].

وازدهر الشعر الأندلسي لعدة عوامل ، من بينها جهود طبقة المؤدبين – أي المدرسين– في تسهيل وتقريب هذه المادة لطلاب علم الأدب العربي ، والذي ارتحل أكثرهم إلى المشرق ، وبعد عودتهم إلى الأندلس ، يتفرغ هؤلاء للتدريس وكان أهم معلم من المعالم التربوية والتعليمية جامع قرطبة ، حيث كانت الكتب الآتية من المشرق هي مدار الدراسة ، والتدريس ، ومن بين الذين ساهموا في ذلك محمد بن عبد الله الغازي(كان حيًّا 295ه /907م) الذي عاد بعلم كثير ، وأخذ عنه أهل الأندلس كتب الأشعار المشروحة روايةً[2],ولما عاد عباس بن ناصح الثقفي[3] إلى الأندلس روى شعر أبي نواس الحسن بن هانئ(ت198ه/ 814م)[4]، كما ظهر بعض المؤدبين في الأندلس الذين أقرأوا شعر أبي تمام حبيب بن أوس(ت231ه / 846م) بعد رحلتهم إلى المشرق روايةً عنه ومنهم مثلاً عثمان بن المثنى النحوي(ت273ه/886م) وهو أول من أدخل شعره إلى الأندلس، ومؤمن بن سعيد ، وأخذ من بعدهم المؤدبون ديوان أبي تمام كالمرجع الذي تقوم عليه حلقات تدريس الشعر، وقاموا بشرحه لهذا كلف الخليفة عبد الرحمن الناصر بعض الأدباء بنسخ شعر حبيب له [5].

---

[1] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ص 65 – 66 .

[2] وهو قرطبي ، يكنى بأبي عبد الله ، سمع من أبيه ، ورحل إلى المشرق ، فدخل البصرة وأخذ عن علمائها الحديث والأخبار والأشعار واللغة والمعاني ، ورجع إلى الأندلس وأدخل معه علمًا كثيرًا من الشعر ، والغريب ، والخبر ، وخرج من الأندلس للحج في آخر عمره ، فوافته المنية بطنجة وترك كتبه عند أهلها .ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 22 – 23 .

[3] من أهل الجزيرة الخضراء ، يكنى بأبي العلاء ، رحل به أبوه صغيرًا ، فنشأ بمصر ، ثم رحل به إلى العراق ، فلقي علماء البصرة والكوفة ، وكان قد تردد إلى علماء الحجاز لطلب علم اللغة ، ورجع إلى الأندلس ، ثم رحل ثانية إلى العراق للسماع من الشعراء ، ولما عاد إلى الأندلس أخذ عنه الطلاب ، وصار في خدمة الأمير الحكم بن هشام (180-206ه/796-822م) حيث عينه على قضاء شذونة ، والجزيرة ، وهو شاعر من أهل العلم باللغة والعربية ، وله حظ في الفقه والرواية . الزبيدي ، المصدر السابق ، ص ص 262- 263 . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ص ص 296 – 297 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 56 . إحسان عباس ، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين** ، دار الثقافة ط5 ، بيروت ، 1978 ، ج1 ، ص49 .

[5] نفسه ، ص 50 .

ولقد ظهرت في تاريخ الشعر بالأندلس مدرستان ، الأولى تعنى بالشعراء الأوائل من المشرق ، أي من المهتمين بشعر جرير(ت110هـ/728م) ، والفرزدق(ت110هـ/728م) ، والبحتري(ت284هـ/898م) ، وغيرهم[1] والثانية متعصبة للشعر المحدث الذي كان أبو تمام(ت231هـ/846م) مرجعًا، وحجةً فيه[2] ، وكان المؤدبون يميلون إلى النمط الثاني لأنه يعبر عما يشبه نوع من استقلالية الثقافة الأدبية الشعرية الأندلسية ، ومواكبة التجديد الشعري في المشرق على يد بشار بن برد(ت167هـ/784م) ، وأبي نواس(ت198هـ/ 814م)[3] .

ولم تكتف مجالس المؤدبين بتلقين الشعر وتدريسه ، وإنما ارتقى إلى نقد بعض الأشعار ، فبعد أن يشرح المؤدب الشعر، ومعانيه لطلبته ويضرب بها الأمثال ، ينتقل إلى إظهار وتوضيح مآخذ صاحب الشعر اللغوية والنحوية ومن هؤلاء المؤدبين الذين تبنوا هذا المنهج عباس بن ناصح الثقفي الجزيري ، والذي هو من أتباع شعر الأوائل فكان له مجلس في جامع قرطبة يقرأ على طلبته ما نظمه من شعر ، وقد حَدَثَ في إحدى حلقاته أن اعترضه الشاعر يحيى بن الحكم الغزال(ت250هـ/864م) ، وهو حدث لم يبلغ بعد ، على عدم صحة بيان ، ونحو أحد الأبيات من القصيدة التي أنشدها :

لَعَمْرُكَ مَا البَلْوَى بعارٍ وَلا العدم   إذا المريء لم يعدم تُقَي إِليهِ والكَرَم

إِلَى قوله :

تَجَافَ عَنِ الدُّنْيا فَمَا لمعجِّزٍ   ولَا حَازِمٍ إِلَّا الذِي خُــطَّ بِالقَــلَمِ

فاعترضه يحيى الغزال ، وقال : وما الذي يصنع مُفَعِّل مع فاعل ؟ فقال له :كيف تقول أنت ؟ فقال : كنت أقول: فليس لعاجز ولا حازم ، فاستحسن عباس ذاك وقال: والله يا بني لقد طلبها عمك فما وجدها [4].

وعلى الرغم من هذا المستوى التعليمي الجيد الذي بلغه الأندلسيون إلى درجة أن يُصحح التلميذ خطأ مؤدبه فيتقبل المؤدب هذا التصويب ، إلا أنه يرى بعض المؤرخين كإحسان عباس نقلًا عن الزبيدي أن الكثير من هؤلاء المؤدبين كانوا سطحيين في ميدان اللغة والنحو ، لأنهم لا يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق اللغة العربية ، و لا ينظرون في إمالة ولا إدغام ولا تصريف ولا أبنية ، وهذا إلى غاية منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[5] .

---

[1] ابن حزم الأندلسي ، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ، ص187 . إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص44 .

[2] ربما الفرق بين اللونين هو أن شعر الأوائل أكثر جريانًا على الطبيعة والعفوية ، أما شعر المحدثين فيعتمد كثيرًا على الاستعارات والتشبيه ، وفي بعض الأحيان التكلف والاصطناع . نفسه ، ص 48 .

[3] نفسه ، ص ص 44 ، 47 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 386 . إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص 51 .

[5] نفسه ، ص 52 .

ولقد ساهم بعض أهل المشرق في توجيه نمط شعر الأندلس بحسب طريقة المحدثين ، ومن هؤلاء مثلًا إبراهيم بن سليمان الشامي الذي دخل الأندلس في أواخر أيام الحكم بن هشام (180-206هـ/796-822م) الذي سمع من كبار شعراء المشرق كأبي نواس(ت198هـ/814م) ، وأبي العتاهية (ت211هـ/826م)، وغيره[1] .

كما وفد الشاعر أبو الفتوح الجرجاني(ت421هـ/1030) من المشرق ودخل الأندلس سنة 406هـ/1015م وزار بعض ممالك الأندلس كدانية، وسرقسطة، ليستقر به المقام بغرناطة حيث كان يلقي دروسًا في الشعر القديم[2].

و كدليل على نبوغ الأندلسيين في الشعر ، فقد برز الشاعر أبو الوليد أحمد بن زيدون المخزومي(ت463هـ/1070م) بقرطبة ، والذي بدأ ينظم الشعر وهو في سن العشرين من عمره ،كما اشتهر ابن زيدون بتنظيمه ما يعرف بتخميسين ، وهو لون من الشعر يتكون من فقرات كل منها خمسة مصاريع ، الأربعة منها على قافية واحدة ،والخامس على قافية أخرى يلتزمها الشاعر في المصراع الخامس من كل فقرة في قصيدته كلها[3]،كما اشتهر ابن زيدون بتعلقه بولادة بنت المستكفي بالله(ت484هـ/1091م) ، والتي كانت هي بدورها شاعرة ، وتحسب ضمن طبقة الأدباء ، والعلماء ، وكان لها مجلس بقرطبة للمهتمين بالنظم (الشعر) ، والنثر بالهجاء[4] .

ب-3 - الموشحات : وهي جمع موشحة أي نوع من الشعر تكون فيه القوافي اثنتين اثنتين ، وبانتظام هاتين القافيتين تسمى العقد ، والموشحة تتألف من فقرات تسمى الأبيات ، كل فقرة تتألف من عدد معين من أشطار الأبيات في قافية واحدة ، وبعد كل فقرة يأتي بيت لكن بقافية أخرى ، ويسمى هذا البيت بخرجة ، وأما الأبيات الأولى فتسمى الأغصان ، ويلتزم صاحب الموشحة بقافية هذه الخرجة في كل خرجات موشحته ، وقد تتغير قافية الأغصان لكن بشرط أن يُلتزم ببحر واحد[5] .

فمثلًا ينظم الوشاح أربعة أبيات الأولى بقافية واحدة ، ثم يكون البيت الخامس بقافية أخرى ، ثم أربعة أبيات أخرى بنفس قافية الأربعة أبيات الأولى ثم البيت العاشر ، وهو الخرجة تكون قافيته بنفس قافية البيت الخامس وهكذا ، وعادة ما تنتهي هذه النظم إلى أربعة أبيات على الأكثر[6] .

---

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 381 . إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص ص 52- 53 .

[2] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص ص 107 – 108 .

[3] نفسه ، ص 86 .

[4] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص 429 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 80 .

[5] نفسه ، ص 143 .

[6] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص1190 .

ويعد الأندلسيون أول من ابتدعوا الموشح ، فلما كثر الشعر عندهم ، واختلفت أغراضه ، وتنوعت مواضيعه استحدثوا هذا الفن ، وبلغ صيتهم ، وشهرتهم في هذا الفن إلى المشرق ، فاستحسنوه ، وقلدوهم في نظمه [1] .

و صرح ابن بسام الشنتريني(ت542هـ/1147م) بأن أول من ابتكره هو محمد بن محمود القَبْري الضرير[2] أو ابن عبد ربه أحمد بن محمد(ت328هـ/940م) صاحب العقد ، ثم جاء من بعدهم يوسف بن هارون الكندي الرمادي (ت403هـ/ 1012م)[3] لينظمه أكثر[4]، غير أن ابن خلدون(ت808هـ/1405م) يقول أن الفضل في ظهور الموشح يرجع إلى مقدم بن معافي القبري[5]، ويتفق معه المستشرق الإسباني أنخل جنثالث بالنثيا في ذلك[6] ومقدم المذكور سالفًا هذا هو الذي أخذ عنه أحمد بن عبد ربه[7]، وما يؤاخذه على مقدم بن معافي بأن شعره في الموشح غير منظم ، ولا يلتزم بقواعده ، ويخلط اللغة العربية الفصيحة باللهجة الأعجمية [8] .

وممن اشتهروا في نظم الموشحات في عصر ملوك الطوائف –وهو العصر الذهبي لفن الموشح – أبوبكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء الأنصاري(ت419هـ/1028م)[9]، وإليه يرجع الفضل في تأسيس وتأصيل قواعد الموشح

---

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 04 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1189 .

[2] شاعر ، وأديب أندلسي ، لم تورد المصادر الكثير عنه . الحميدي ، المصدر السابق ، ص93 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 171- 172 .

[3] قرطبي ، يكنى بأبي عمر ، شاعر أندلسي ، أصله من ماردة – إحدى قرى شلب– كان يُلقب بأبي جَنِيش ثم الرمادي ، له كتاب الطير معظمه في الشعر ألفه في السجن ، وكان قد سجنه الحكم المستنصر لتنظيمه شعر يهجوه فيه ، ولما أطلق سراحه صار يمتدح بعض الوزراء وحكام الأندلس كالمنصور بن أبي عامر ، توفي فقيرًا معدومًا . الحميدي ، المصدر السابق ، ص 369 وما بعدها . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 664 وما بعدها .ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 969. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج8 ، ص 255 .

[4] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص 469 .

[5] يقول المؤرخ الحميدي (ت488هـ/1095م) بأنه شاعر اشتهر في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر (300–350هـ/912–961م) ، وينقل عنه الضبي (ت599هـ/1203م) ذلك ، بينما يقول ابن خلدون (ت 808هـ/ 1405) بأنه كان من شعراء الأمير عبد الله بن محمد (275–300هـ/888–912م) .الحميدي ، المصدر السابق ، ص 355 . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، 635 . ابن خلدون ، المصدر السابق ج3 ، ص 1190 .

[6] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 153 .

[7] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1190 .

[8] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص 469 .

[9] من أهل قرطبة ، عميد شعراء الدولة العامرية ، كما خدم بشعره الحموديين بقرطبة سنوات ملوك الطوائف ، من مؤلفاته كتاب " أخبار شعراء الأندلس" ، توفي بمالقة. الحميدي ، المصدر السابق ، ص 293 . ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ،م1 ، ص468. الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 517 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 655. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 258 .

أوزانه ، وشروطه التي يجب التقيد بها فيه[1] ، ثم تلت من بعده طبقات الموشحين ، فقد أخذ عنه أبو محمد غانم بن وليد المالقي(ت470هـ/1077م) وغيره [2].

وممن ذاع صيته في هذا الشأن الشاعر أبو عبد الله محمد بن عبادة القزاز[3] ، والذي مدح في موشحاته المعتصم بن صمادح (443-484هـ/1051-1091م) صاحب المرية وبجانة ، ويصنف ابن عبادة ضمن الطبقة الأولى من الوشاحين في الأندلس ، حتى قيل في حقه : "كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز "[4].

ولقي الموشح إقبالًا واسعًا من طرف الأندلسيين سواء الخاصة منهم أو العامة ، وهذا لسهولة تناوله وتأليفه[5] .

ب) – 4– الأزجـال:

بعد أن شاعت الموشحات وأخذ بها الناس ، بدأ العامة على منوال الموشح يصنعون النظم من كلامهم في الموشح باللغة العامية الخليطة بين العربية الفصحى واللغات الأعجمية من غير الالتزام بقواعد الإعراب ، فظهر ما يُعرف بفن الزجل[6]، وهو شعر ينظم في فقرات تسمى أبياتًا ، ويبدأ مثلًا ببيتين يُعرفا بالمركز أو السمط ، ثم يأتي بعد ذلك ما يطلق عليها الأغصان ، وهي ليست كالأبيات الشعرية في الشعر الفصيح التي تتألف من صدر وعجز ، وإنما الغصن الواحد يتألف من شطر واحد فقط ، وهذه الأغصان ذات قافية واحدة ووزن واحد ، ثم يأتي بيت(صدر وعجز) في نفس وزن المركز المبتدئ به الزجل ونفس القافية ، وهكذا ...[7] .

---

[1] نفسه. ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1190. خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 153 .

[2] وغانم بن وليد هو أديب مالقة في عصره ، شاعر ، وله علم بالفقه ، الحديث ، الطب ، علم الكلام . وصفه الحميدي (ت488هـ/ 1095م) بقوله : " فقيه مدرس وأستاذ في الآداب مجود ، مع فضل وحسن طريقة " . الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 325 – 326 . الضبي المصدر السابق ، ج2 ، ص 579. ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، م2 ، ق1 ، ص853 ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 655 ، 669. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج5 ، ص 116 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 154 .

[3] من مشاهير الأدباء الشعراء في عصر ملوك الطوائف ، اختص بالمعتصم بن صمادح وولي عهده يحي ، ويطلق عليه ابن خلدون اسم عبادة القزاز. ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م2 ، ص801. صلاح الدين الصفدي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 189. ابن خلدون المصدر السابق ، ج3 ، ص 1190. المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 208 – 209 .

[4] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1190.

[5] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 155 .

[6] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1200 .

[7] نفسه ، ص 143 .

والفرق بين الموشحة والزجل ، أن الموشحة لا تكون إلا باللغة العربية الفصيحة ، وتكون ألفاظها مهذبة وينظم فيها بأسلوب أرفع من الزجل ، أما هذا الأخير فهو لا يكون إلا باللهجة الدارجة العامية ، وكلاهما نوعان من الشعر ، ونظم قصائدهما أسهل مقارنة من نظم الشعر الفصيح [1] .

واشتهر الأندلسيون بإبداعهم في فن الزجل ، الذي يعتبر أقل شأنًا ، وأسهل الأغراض الشعرية الأخرى – وهو ما يشبه الشعر الشعبي أو العامي في العصر الحالي – لكنه كان محط اهتمام ، وعناية فئة عريضة من المجتمع الأندلسي ، فكان لهذا النوع كغيره من الأنواع والفنون الشعرية الأخرى أساتذته المختصين فيه ، وكذا تلاميذه[2] ومن أوائل الشعراء الذين عرفوا بنظم الأزجال سعيد بن عبد ربه(ت342هـ/953م)[3] .

وكذلك يوسف هارون الرمادي(ت412هـ/1022م)شاعر المنصور بن أبي عامر(326 – 392هـ/938 – 1002م)، الذي اجتهد في تهذيب الأزجال ، وهو المسمى بأبي جنيس ، وكان متهم بالزندقة لكثرة اتصاله بالنصارى ، وهو أول من أكثر استخدام التضمين[4] في المراكز – الأبيات الأولى في الزجل– وأخذ عنه شعراء عصره هذا المنهج في أزجالهم[5] .

وممن ألفوا في الزجل كذلك الشاعر عبادة بن ماء السماء(ت419هـ/1028م) ، وجاء من بعده الشعراء الذين تفننوا ، وأبدعوا في نظم الأزجال ليبلغ هذا الفن ذروته في عصر المرابطين(479-541هـ/1086-1146م) بظهور أسماء لشعراء تصدروا لهذا الفن ، وكان من أشهرهم على سبيل المثال ابن قزمان الأصغر أبوبكر محمد بن عبد الملك (554هـ/1160) الذي أُطلق عليه لقب إمام الزجالين في الأندلس[6] .

---

[1] نفسه .

[2] نفسه .

[3] يكنى بأبي عثمان ، فقيه مفتي ، طبيب ، شاعر، وله دراية بعلم الفلك ، وهو ابن أخي صاحب العقد الفريد ، كان منقبضًا عن الملوك ، ومن مؤلفاته في الطب كتاب " الأقراباذين" ، وله أرجوزة في الطب . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 170 . الحميدي ، المصدر السابق ص 229 . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 392 . ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 489 –490 .خير الدين الزركلي المرجع السابق ، ج3 ، ص 97 .

[4] يُقصد بالتضمين اصطلاحا أن يُشرب العرب الفصحاء لفظًا معنى لفظ آخر ، فتنعقد بذلك المشابهة بين هذين اللفظين ، فيأخذ اللفظ المشربُ حكم اللفظ الآخر ومعناه ، سواء أكان اللفظان فعلين – وهو الأكثر شيوعًا– أم اسمين ، أم حرفين ، أم مختلفين ، علمًا بأن اللفظ المضمن يتجرد من حكمه الأصلي ليأخذ حكم اللفظ الذي استعمل مكانه . للاستزادة في شرح هذا المصطلح أنظر محمد إبراهيم خليفة الشوشتري **ظاهرة التضمين** ، مجلة العلوم الإنسانية للجمهورية الاسلامية الإيرانية ، العدد 09 ، مركز الدراسات العلمية ، طهران 1423هـ ، ص 01 .

[5] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 156 .

[6] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1201 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 158 .

المطلب الثالث : الفـنــون

أ– الموسيقى والغناء : تعد الموسيقى والغناء وحتى الرقص في الأندلس أكثر وسائل اللهو شيوعًا وتفشيًّا في المجتمع ، فقد حملت مجالس الأنس والسمر لكبار رجال الدولة والأعيان هذا النوع من الفنون ، إما سماع غناء على نغم عود أو مزمار مع ذكر بعض الأشعار ، وغيرها من تلك المظاهر[1] .

ويُلاحظ أن الغالب من موسيقيي الأندلس ومغنييها إما من الجواري ، أو العامة ، أو من الوافدين إلى الأندلس[2]، ولقي هذا الفن تقبلًا وإقبالًا من طرف الأندلسيين منذ فجر عصر الإمارة ،كما قام الأمراء والحكام برعاية وتشجيع هذا الفن ، فقد اشترى عبد الرحمن الداخل(138-172هـ/756-929م) جارية تسمى العجفاء التي كانت تغني بأحد بيوت الموالي بالمدينة المنورة[3]، أما الحكم الربضي(180-206هـ/796-822م) فقد ولع بالغناء ربما أكثر من غيره من الأمراء فكانت لديه العديد من الجواري المغنيات منهن عزيز ، فاتن ،وبهجة أو مهجة التي أكثر منهن إجادة ، وكان هو في حد ذاته من يقترح لهن الأشعار ، ثم يقمن بغنائها ، ولم يكتف الأمير الحكم بالجواري المغنيات في الأندلس ، بل أرسل في طلب الكتب المشرقية خاصة منها الدواوين الشعرية لغرض تلحين ، وغناء بعض القصائد ، خاصة منها القديمة أي أشعار العرب الأوائل من الجاهلية إلى فطاحل الشعراء المسلمين الأوائل كجرير(ت110هـ/728م) وغيره ، وكان الحكم يقدم العطايا والجوائز لكل من نبغ في الغناء[4] .

وهاجر بعض المغنيين من أهل المشرق إلى الأندلس في عهد الحكم الربضي بن هشام (180-206هـ/ 796-822م)كحلون ، وزرقون اللذان يعدان أول من دخل الأندلس من المغنيين ، ولقد أنفق عليهما الأمير الحكم ، وأجاز لهما العطاء[5] ، وأرسل الأمير الحكم في طلب الموسيقي والمغني العراقي زرياب الحسن بن علي بن نافع(ت238هـ/ 854م) بكتاب يدعوه فيه إلى دخول الأندلس ، فأقبل زرياب بأهله ، لكن بنزوله الجزيرة الخضراء بلغه وفاة الأمير الحكم بن هشام فهم بالرجوع والعودة ، إلا أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم الملقب

---

[1] السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج2 ، ص 78 .

[2] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 74 .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 397 وما بعدها .

[4] إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص53 وما بعدها .

[5] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 388 . إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص53

بالأوسط (206 -238هـ/822-852م) أرسل إليه بكتاب يرغبه بالقدوم إليه والنزول عنده ، فاستقبله بقرطبة وأكرمه[1].

وبقدوم زرياب إلى الأندلس يبدأ عهد جديد لتعليم الموسيقى والغناء في الأندلس ، حيث أحدث ثورة في هذا المجال ، بل أسس منهاجًا في كيفية تدريس هذه المادة يختلف عن سابقيه ، فقد كان الأساتذة الفنانون قبله يغنون وكأنهم في حفلة موسيقية ، ويكتفي التلاميذ بتقليدهم ، وبالتكرار ، والتعود فقط إلى أن يصبح مغنيًّا أو موسيقيًّا أما المنهج الذي تميز به زرياب فهو من خلال تقسيم مدة تعلم الموسيقى إلى ثلاث مراحل[2] :

-المرحلة الأولى : ترتكز على تعليم الايقاع ، فيبدأ بالنشيد بأي نقر كان .

-المرحلة الثانية : تعليم الايقاع باختيار النقر البسيط .

المرحلة الثالثة : بإضافة المحركات ، والأهزاج .

أي أن هذا المنهج في التعليم يبدأ بالبسيط ثم يتدرج إلى أن يُضاف إليه التراكيب ، والوسائل الموسيقية .

وعن طريقة تلقين الموسيقى للتلاميذ يقدم المؤرخ المقري التلمساني هذا النص الفريد عن مجلس تعليم الموسيقى وشروط قبول المتعلمين في فن الموسيقى عند زرياب ، فكان يأمر التلميذ "بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة ، وأن يشد صوته جدًا إذا كان قوي الصوت ، فإن كان لَيِّنَهُ أمره أن يشد على بطنه عمامة ، فإن ذلك مما يقوي الصوت ، ولا يجد متسعًا في الجوف عند الخروج على الفم ، فإن كان ألص الأضراس[3] لا يقدر على أن يفتح فاه ، أو كانت عادته زمّ أسنانه[4] عند النطق ، راضه بأن يُدخل في فيه قطعة خشب عرضها ثلاثة أصابع يبيتها في فمه ليالي حتى ينفرج فكَّاه ، وكان إذا أراد أن يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أَمَرَهُ أن يصيح بأقوى صوته: يا حَجَّام ، أو يصيح :آه ، ويمدُّ بها صوته ، فإن سمع صوته بهما صافيًّا نديًّا قويًّا مؤديًّا لا يعتريه غُنَّة ولا حبسة ولا ضيق نَفَس عرف أنه سوف ينجب ، وأشار بتعليمه ، وإن وجده خلاف ذلك أبعده"[5].

---

[1] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 62. المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 384 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ص 74 – 75 .
Berge Marc , op – cit., pp.457 -458.
Pérès Henri , op-cit., p.302 .

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 387 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص77 .

[3] أي إذا كانت أضراسه متقاربة ، ويقال أَلَصْتُه إذا أَرَغْتَه ، أو حركته لتنتزعه ، كما يقال أَلَصْتُه عن كذا وكذا أي راوَدْتُه عنه . الفيروز آبادي المصدر السابق ، ص582 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 387 ، الهامش (2) .

[4] ويقال زَمَّه فانْزَمَّ أي شَدَّهُ . الفيروز آبادي ، المصدر السابق ، ص1031 .

[5] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 387 .

ولقد أثمرت هذه الطريقة في التعليم بنتائجها على المستقبل القريب والبعيد في هذا المجال ، فقد استطاع زرياب بهذا المنهج أولًا تكوين فرقة له تضم أجمل المغنيين أصواتًا بلغ عددهم بحسب تقدير خوليان ريبيرا عشرة آلاف كما أرسل المغنيين علون ، وزرقون للبحث عن الموسيقيين ، والمغنيين في المشرق أو في الممالك النصرانية الشمالية[1] فقدمت إلى الأندلس الجواري المغنيات كفضل ، علم ، وقلم ، فأما فضل، وعلم فقد كانتا إحدى جواري بنات هارون الرشيد(170-193هـ/786-809م)، والجارية فضل نشأت ، وتعلمت ببغداد ، ثم انتقلت إلى المدينة المنورة فاشتهرت هناك بالغناء ، ثم اشتريت للأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط(206-238هـ/822-852م) هي وصاحبتها المغنية علم وغيرهما من المدنيات ، واشتهر ركن من قصر الأمير سمي بدار المدنيات ، وكان الأمير يفضلهن لجودة غنائهن ، ونصاعة ظرفهن ، ورقة أدبهن[2] .

وأما الجارية قلم فقد كانت لها الحظوة عند الأمير عبد الرحمن الأوسط كذلك ، وهي الثالثة من حيث التفضيل بعد فضل ، وعلم ، فقد جاءت من سبي البشكنس ، رومية العرق ، وأصبحت أندلسية ، ولقد حُملت إلى المشرق نحو المدينة المنورة ، وتعلمت بها الغناء ، فأتقنته ، وهي في نفس الوقت أديبة ، راوية للشعر ، حافظة للأخبار[3] .

واستمر زرياب في تعليم الموسيقى خاصة للجواري ، فقد كانت له جارية تسمى متعة التي أدبها وعلمها أحسن أغانيه ، وتصرفت بين يدي الأمير عبد الرحمن الاوسط تغني له ، فأعجب بها لحسن غنائها ، وجمالها ، فأهداها زرياب له [4].

ومما يروى عنه أنه ادعى أن الجن تعلمه كل ليلة ما بين نوبة إلى صوت واحد ، فقد كان يستيقظ من نومه سريعًا فيدعوا بجاريتيه غزلان ، وهنيدة ، فتأخذان عوديهما ، ويأخذ هو عوده فيعلمهن في ليلته تلك ، ثم يكتب الشعر ، ثم يعود عاجلًا إلى مضجعه [5].

وفي أسرته كان له من الذكور ثمانية ، ومن الإناث اثنتان ، وكلهم مغنيين ومغنيات ، فكان أعلاهم عبيد الله ثم يليه عبد الرحمن ، واشتهرت ابنته حمدونة ، وهي حسنة الغناء متقدمة على أختها علية التي طال عمرها فحمل الناس عنها ، وكانت مرجعًا لمتعلمي الغناء[6] .

---

[1] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص77 .

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 396 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص77 .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 397 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص78 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 389 .

[5] نفسه ، ج3 ، ص 384 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 53 . ليفي بروفنسال .أ ، الحضارة العربية في اسبانيا ، ص69 .

[6] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص387 ، 389 .

ولم تتوقف انجازات زرياب بتعليم ، وتلقين الموسيقى فقط ، بل تعدى إلى إحداث تعديلات ، وتغييرات في الآلات الموسيقية في حد ذاتها ، فقد أضاف وترًا خامسًا إلى أوتار العود الأربعة ، وهي المعتادة مع الموسيقيين الأوائل ، كما اخترع بالأندلس مضراب العود من قوادم النسرة لا على الخشب كما جرت عليه العادة ، وهذا ليكون ألطف على العود ، وخفيف على الأصابع مع حفظ ، وسلامة الوتر[1] ، كما يعد زرياب عالمًا بالنجوم وقسمة الأقاليم السبعة ، ومعرفة الاختلاف بينهما ، وتشعب بحارها مما سمح له بفك ألغاز ، ورموز كتاب الموسيقى للعالم اليوناني القديم بطليموس ، وترجمته ، كما استطاع حفظ عشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها ومما يحسب لزرياب أنه أحدث ثورة اجتماعية أرستوقراطية بأتم معنى الكلمة ، حيث علم الأندلسيين حتى طريقة تصفيف الشعر ، وكيفية استحضار الأعشاب الطيبة للتجميل والعطور وتعليمهم فنون الطبخ ، وآداب الأكل وكيفية استغلال التحف المنزلية –الديكور في عصرنا – والعناية بالهندام ، وآداب المجالس ، وطيب المحادثة حتى اتخذه الأندلسيون قدوة فيما سنه لهم من آداب[2] .

ولم تعرف الأندلس الألحان والأشعار المشرقية فقط ، بل وفدت كذلك أغاني النصارى ، وهو ما ذهب إليه إحسان عباس نقلًا عن الجغرافي ابن فضل الله العمري(ت749هـ/1349م) صاحب كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار بأن أحد موالي المغيرة بن الحكم(قُتل 366هـ/976م) يدعى سليمًا أخذ الطرب عن رسل أتوه من قبل النصارى ، ثم أتى بجارية عراقية ، وكانت تطارحه الغناء حتى برع ، وجمع الغناء العراقي ما جمع ، وهو ما يستنتج إن صح هذا النص أن الأندلس عرفت تأثيرًا أجنبيًّا قبل وفود زرياب إليها[3] .

ومن الأساتذة الذين اشتهروا بتدريس الموسيقى والمؤلفين لها عباس بن فرناس(ت274هـ/887م)[4] الذي يعد أول من درس كتبًا في هذه المادة ، إذ ظل الأندلسيون يدرسون كتب الفارابي(ت339هـ/950م) في الموسيقى[5] إلى أن ألف ابن باجة أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ السرقسطي(ت533هـ/1139م) رسالته في الموسيقى[6] .

---

[1] نفسه ، ج3 ، ص ص 384 – 385 .

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 385 وما بعدها . ليفي بروفنسال .أ ، المرجع السابق ، ص69 .

[3] إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص 60 .

[4] يكنى بأبي القاسم ، من أهل قرطبة ، أديب ، شاعر ، فيلسوف ، عالم في الفلك ، مخترع ومن اختراعاته صناعة الزجاج من الحجارة ، كما صنع الميقاتة لمعرفة الأوقات ، وجعل في بيته كهيئة السماء بنجومها وغيومها وبروقها ورعودها ، وحاول أن يطير في الجو فكسا جسمه بالريش ، وجعل جناحين ، وطار مسافة بعيدة ثم سقط بعد ذلك لأنه لم يعمل ذنبًا ، فقد نسي أو لم يعلم بأن الطائر إنما يقع على زمكه ، ويعد بن فرناس أول طيار اخترق الجو . الحميدي ، المصدر السابق ، ص 318. ابن حيان ، المصدر السابق ، ص 282 وما بعدها . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ص 561 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 177 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 264 .

[5] من مؤلفاته في الموسيقى كتاب " المدخل إلى صناعة الموسيقى" ، و" الموسيقى الكبير " . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج7 ، ص 20 .

[6] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 78 .

ولقد لاقت الموسيقى اهتمام الخاصة سواء في عصر الإمارة ، أو الخلافة ، أو ملوك الطوائف كأداة من أدوات السمر واللهو ، فقد كان الأمير عبد الرحمن الأوسط(206-238هـ/822-852م) يجتمع مع ندمائه من الشعراء ، حيث كان يستدعي أهل الغناء في حضرته ، فيُجلب له آلات الموسيقى ، وقد برع حفيده أبو القاسم المطرف بن الأمير محمد (238-273هـ/852-886م) الذي كان عالما بالغناء[1]، وهو الذي اشتهر باسم أمه إذ كان يُعرف بابن غزلان ، وكانت هي في حد ذاتها مغنية بديعة محسنة عوادة ، وأديبة كذلك [2] .

كما بعث الخليفة عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/ 912 – 916م) سنة344هـ/955م سفينة إلى المشرق لشراء عدد من الجواري المغنيات من الإسكندرية ، وعادت السفينة بهن[3]، ونبغ في بلاطه الموسيقي النكوري الزامر[4]، وشهد مجلسه الخاص بالأنس والطرب أحد الزمارين الذي يدعى الرام ، والذي كان لا يستغني عنه في الحفلات والأعراس ، ومن زيه أنه يلبس قلنسوة ، وشيئًا من ثوب الخز[5]، وبرع في فن الغناء الأمير أبو الأصبغ عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر[6] .

وأما الخليفة الحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م) فقد تحفظ على ما يتعلق بالموسيقى والغناء وكان موقفه مثل موقف فقهاء وقضاة عصره ، الذين يعتبرونها أمرًا منحطًّا لا يليق إلا بالموالي ، والاماء ، وذوي السمعة السيئة ، ولم يكونوا يقبلون شهادة المغني أو المغنية أو النادبة ، كما لم يسمحوا ببيع كتب الموسيقى والأناشيد علنًا ، وكان القضاة يأمرون بكسر آلات الموسيقى التي توجد مع المغنيين في الطرقات[7] .

---

[1] وهو كذلك شاعر ، فقد نبغ فيه وهو ابن عشرين سنة ، وتوفي في حياة أبيه الأمير محمد ، وهو ابن أربع وعشرين سنة ، ويعد من أشعر وآدب أبناء الأمير محمد . ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص79 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 74. أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 55 .

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 349 .

[3] نفسه ، ج2 ، ص94 .

[4] نفسه ، ج2 ، ص 95 . إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص 57 .

[5] نفسه .

[6] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ج2 ، ص95 .

[7] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 55 . ويعقب إحسان عباس على صاحب هذه المعلومة فيقول بأنه من الصعب إيجاد دليل على معارضة الفقهاء ، القضاة للغناء والموسيقى ، أو أنهم كانوا متشددين لأهله ، لهذا فهو يعلق ويتساءل عن مصدر معلومات أنخل جنثالث بالنثيا في هذا الحُكم . إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص 57 .

ولقد ألف أسلم بن أحمد بن سعيد[1] كتابًا في أغاني زرياب(ت238هـ/854م) الذي أصبح مرجعًا يتناول فيه طرائق غناء زرياب يتناقلها الناس فيما بينهم[2].

كما أمر المنصور محمد بن أبي عامر(326–392هـ/938-1002م) يومًا بإحضار الوزراء والندماء في مجلس الأنس واللهو, وقضى الجميع في يوم لم يُشهد مثله في اللهو وحفاوة الطرب ، فأمرهم بالرقص جميعًا حتى بوزيره أحمد بن عبد الملك بن شهيد(ت426هـ/1034م) الذي رقص رغم أنه كان يعاني من مرض النقرس في رجله[3] وكذلك ولادة بنت المستكفي(ت484هـ / 1091م) التي كانت تجيد الغناء[4] .

ولم تقتصر العناية والاهتمام بالموسيقى في قرطبة وحدها ، بل انتقلت الريادة منها إلى اشبيلية بعد سقوط الدولة الأموية وبداية عصر ملوك الطوائف من خلال كثرة إقبال أهلها على اللهو والغناء ، فقد ذكر الفيلسوف ابن رشد الحفيد(ت595هـ/1198م) مقولته المشهورة أنه :"إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى اشبيلية "[5]، وكان لمدرسة الغناء التي أسسها زرياب (ت238هـ/854م) ، وتلاميذه ، وتلامذة تلاميذه دور في شهرة مدينة اشبيلية في هذا المجال ، ولقد أقر ابن خلدون بهذا فقال : " فأورث – أي زرياب- بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف ،وطما منها بإشبيلية بحر زاخر "[6] .

ولقد ارتبط الغناء بالخلاعة واللهو في اشبيلية ، وأصبحت عاصمة الأدب واللهو والطرب [7]، وفي عهد المعتمد بن عباد(461-484هـ/1069-1091م) زادت مناظر الطبيعة الأندلسية في خلق نظم الشعر مع تجويده بالغناء والموسيقى والطرب لوصف تلك المناظر الخلابة، فقد اجتمع في مناسبة ثلاثة وزراء للمعتمد بن عباد وهم

---

[1] يكنى بأبي الحسن ، أديب ، وشاعر ، من بيت علم وجاه . الحميدي ، المصدر السابق ، ص 172 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 294 .

[2] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 172 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 294 . السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ج2 ص82 . إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص 56 .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 85 – 86 . السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ج2 ، ص95 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 136 . السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ج2 ، ص95 .

[5] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 136 . إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص 59 .

[6] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2 ، ص897 .

[7] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ج2 ، ص100 .

أبو مسلم بن خلدون(ت449هـ /1057م)[1]، والوليد بن زيدون(ت463هـ/1070م)، وأبو بكر بن عمار (ت477هـ/1084م)، لوصف موضع يقال له لقنت(Alicante)[2]، به مروج الأنهار في وقت الربيع في حلة من الأزهار وعقدوا إلا الانفراد للهو ، والطرب[3] .

و كان المعتمد بن عباد يميل إلى الاستكثار من الجواري ، والمغنيات[4] لهذا أصبحت اشبيلية قبلة ومجمع الفنانين والأدباء ، ومن المغنيين الذين تميزوا بإشبيلية أبو بكر الاشبيلي ، وكذا المغني السوسي ، والرشيد عبيد الله بن محمد الرشيد بن المعتمد بن عباد الذي كان يجيد ضرب العود[5] .

و شهدت قصور بني هود في مملكة سرقسطة الاحتفال بجمال هندستها ومعمارها في مجالس الأغاني والطرب والموسيقى ، مع تمتع هذه المملكة من جمال الطبيعة ، فقد شهد قصر الذهب الذي بناه أبو جعفر أحمد المقتدر بالله(438-475هـ/1046-1082م) تنظيم مجالس للأنس والطرب والموسيقى[6]، وخرج المستعين أحمد بن المؤتمن (478- 503هـ/1085-1110م) في رحلة صيد على نهر جار، وكان معه وزيره أبو الفضل بن حسداي (كان حيًّا 478هـ/1085م)[7] فأخذ هذا الأخير ينشد أبياتًا شعرية مع الطرب ، وهو الوزير الذي كان له علم بصناعة الموسيقى[8].

---

[1] هو عمر بن أحمد بن تقي بن عبد الله الحضرمي ، من أشراف أهل اشبيلية ، ولد وتوفي فيها ، طبيب ، فيلسوف ، وعالمًا في الهندسة ، وعلم النجوم . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 71 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 485 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ج4 ، ص 178 .خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج5 ، ص 40 .

[2] مدينة صغيرة من بلاد الأندلس ، بينها وبين دانية على الساحل سبعون ميلًا ، أرضها خصبة فلاحية بامتياز حيث تنتج الكثير من أنواع الفواكه والبقول ، لها قصبة منيعة لا يصل إليها إلا بمشقة وتعب ، كما تشتهر كقاعدة لصناعة المراكب والسفن سواء منها السفارية أو الحربية . عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص 511 .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 70- 71 .

[4] كاعتماد الرميكية التي كانت جارية تاجر من اشبيلية اسمه رميك فنسبت إليه ، ولقد صادفها المعتمد في إحدى نزهاته ،وسمعها تنشد الشعر فأعجب بسرعة بديهتها ، واشتراها من صاحبها وتزوجها . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص ص 42 ، 138. أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص95 .

[5] ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص 212 . السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ج2 ، ص104 .

[6] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ج2 ، ص108 .

[7] هو حسداي بن يوسف ، وزير ، وكاتب ، كان يهوديًّا فأسلم ، من بيت أشراف اليهود في الأندلس ، اعتنى بمختلف العلوم ، فقد نبغ في اللغة العربية ، والشعر ، والبلاغة ، كما برع في علم العدد ، والهندسة ، وعلم النجوم ، والفلسفة ، والمنطق ، والموسيقى . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 153. ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق ، ق3 ، ص457 وما بعدها. أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص499 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص113 .

[8] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 493 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 90 .

ويعتبر المستعين بالله المذكور سالفًا راعي الموسيقى والأغنية الأندلسية -إن صح التعبير – فقد كان يعقد مجالس الطرب والأنس والشراب ، وفي أواخر دولة بني هود ظهر أبو بكر محمد بن باجة التُّجيبي(ت 533هـ/ 1139م)[1] الذي كان موسيقيًّا بارعًا ، وكان يتقن صناعة الموسيقى ، ويجيد اللعب بالعود[2] .

أما في طليطلة فقد اشتهر في مجلس المأمون بن ذي النون (435-467هـ/1043-1075) المغني ذي الاسرائيلي الذي كان في حسن صوته ، وأدائه ، أن أكرمه المأمون في أحد مجالس الطرب والأنس بثوب مطرز بالذهب ، ووصله بمائتي دينار ذهب ، ثم أغدق بالعطايا ، والأموال لطبقة المغنيين في ذلك المجلس ، وتناوب المغنون في تلك الليلة الغناء بالشعر[3] ، وشاع انتشار ألات الموسيقى ، والغناء في حفلات هذه المملكة ، فقد عقد المأمون بقصره بطليطلة مجلسًا للأنس ، وأحضر فيه جميع ألات الطرب[4] .

ومما سبق ذكره فقد عرفت الموسيقى والغناء رواجًا كبيرًا في الأندلس، ولقد ارتبطا ارتباطًا وثيقًا مع ازدهار وتطور الفنون الأدبية خاصة في مجال الشعر ، فيعد الغناء من الأسباب التي أدت إلى ظهور فن الموشحات والأزجال ، وهذان الغرضان يتلاءمان في تراكيبهما ،ونسقهما مع اللحن والطرب لتلائم نقرات الدفوف ،وضربات الطبول ، وحركات الأيدي في التصفيق والأرجل في الرقص[5] ، ويرجع الفضل في شيوع الغناء والموسيقى بالأندلس بلا منازع إلى شخصية زرياب(ت238هـ/854م) الذي أسس مدرسة كان لها أتباعها ، وتلاميذها الذين أخذوا هذه المادة ، وساهموا في انتشارها في معظم آفاق الأندلس ومدنها ، وبلغ إشعاعها إلى عصر ملوك الطوائف الذي شاع فيه الغناء والموسيقى حتى أصبح يطلق عليه عصر مجون ، وترف ملوك الأندلس ، وهذا نتيجة البذخ الذي عاشوا فيه في تلك الفترة ، ولم يقتصر هذا على الطبقة الحاكمة فقط ، بل كذلك العامة التي عرفت المرح ورواج الموسيقى والغناء .

ب– الخط العربي : قبل الحديث عن تدريس الخط العربي وفنونه ، تجب الاشارة هنا إلى التفريق بين تدريس الخط العربي في المرحلة الأولى الابتدائية للصبي ، والذي كان الهدف منه تدريبه ، وتعليمه الخط العربي لغرض

[1] هو محمد بن يحيى ، المعروف بابن الصائغ ، وزير ، وفيلسوف ، وشاعر ،ومترجم لآثار الفلاسفة اليونانيين القدماء ، عالمًا في الفلك ، والطب والعربية ، والأدب ، حافظاً للقرآن ، ولد في سرقسطة ، رحل إلى فاس واتهم فيها بالإلحاد ، وبها توفي شابًّا ، وكانت كتبه متداولة بين الأندلسيين ومن مصنفاته "رسالة الوداع" ، " اتصال العقل بالإنسان" ، " النفس" ، "النبات" ، وغيرهم . الفتح بن خاقان ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس ص 397. ابن خلكان ، المصدر السابق ،ج4 ، ص 429 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 515 وما بعدها .خير الدين الزركلي المرجع السابق ، ج7 ، ص137 .

[2] ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 515 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 122 .

[3] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ج2 ، ص106 .

[4] نفسه ، ص 80 .

[5] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 222 .

الكتابة والقراءة فقط ، وهو ليس المقصود في هذا الموضع ، وإنما المراد هنا هو إجادة فن كتابة ورسم الخط العربي وحسب سن من أجاد بهذا الفن فإنه يطابق سن المتعلم في المرحلة العليا ، أو أواخر المرحلة المتوسطة على الأقل .

والمقصود بالخط العربي كل ما تعلق بفنون الكتابة التي بها يخرج الكتاب إلى حلته النهائية ، فهي تعني بأسلوب الخط ، وكذلك الزخارف التي تزين صفحات الكتاب ، وغلافه ، والصور التي توضح مضمونه ، ولقد جاءت الحاجة إلى الخطاطين الذين يتقنون إجادة هذه الصناعة لأن فن الطباعة لم يكن معروفًا في ذلك الوقت فكان لزامًا أن تظهر تلك الفئة التي تعني بالخط العربي لحاجة المسلمين ، ومنهم الأندلسيين للقراءة والكتابة خاصة ما تعلق بها بضرورة توفر المصاحف الشريفة والكتب ، فالمصحف الشريف مطلوب لكل بيت مسلم ولكل المساجد ، وكل طالب علم[1] ، وهو أكثر الكتب نسخًا ، ورواجًا في العالم الاسلامي ككل ، وعادة ما تضبط مخطوطاته بالشكل الكامل ، فيكتب بأجمل الخطوط ، ويجلّد في أحسن الأغلفة ، وأغلاها ، كما يتخصص بعض الخطاطين لكتابة المصاحف فقط ، إمّا وقفًا لوجه الله تعالى في هذا المجهود ، أو بغرض الربح والتجارة[2] .

وممن اشتهر بكتابة المصاحف محمد بن وضاح(ت363هـ/973م)[3]، ومحمد بن إسماعيل بن أبي الفوارس الذي يعد من أكتب الناس للمصاحف على أيام الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م) ، حيث كان يكتب المصحف الشريف في جمعتين[4] ، وأما خلف بن سليمان(ت367هـ/977م) المعروف بابن الحجام فقد تخصص في كتابة المصاحف ، ونقطها لأنه اشتهر بالدقة في هذا المجال[5] .

وممن جمعوا بين الإقراء ، ونسخ المصحف الشريف إبراهيم بن مبشر بن شريف البكري(ت395هـ/1004م) إذ كان يقرئ في دكانه قرب المسجد الجامع بقرطبة وينقط المصاحف[6] ، وكذلك نصر المصحفي الملقب بالنقاط لأنه كان يقرئ القرآن ، وينقط المصاحف[7] .

ولم تقتصر كتابة المصحف على الرجال فقط ، بل كانت للمرأة الأندلسية المساهمة والمشاركة في ذلك ، ومنهن على سبيل المثال عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم(ت400هـ/1009م) التي اشتهرت بخطها الجميل [8] .

[1] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 202 .

[2] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 167 .

[3] يكنى بأبي عبد الله ، من أهل شذونة . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 742 .

[4] واسمه كذلك حبيش، من أهل قرطبة ، ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة** ، دار الفكر، بيروت ، 1995 ، ج1 ، ص299 .

[5] وهو قرطبي ، يكنى بأبي القاسم ، قرأ القرآن الكريم ، وأتقن الروايتين ، وأقرأ الناس بهما . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص258 .

[6] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 147 .

[7] ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص 211 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 168 .

[8] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 992 – 993 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 208 .

وشاع أن عدد النساء اللواتي كن ينسخن المصاحف في أحد أرباض قرطبة فقط قد بلغ مئة وسبعين امرأة هذا دون احتساب عدد النساخ المنتشرين في الأندلس سواء كانوا رجالًا أم نساءً [1].

كما لم يقتصر فن الخط والكتابة الجميلة مقتصرة على نسخ المصاحف فقط ، بل شملت كذلك كتب الدراسة في مختلف العلوم ، وكان الطالب والمعلم على حد سواء يضطران لاقتنائها إما بالشراء ، أو بالاستعارة لأجل نسخها ، كما جرى الحال مع عبد الله بن عبد الرحمن بن ذنين الصدفي الطلطيلي(ت424هـ/1032م) الذي نسخ جل كتبه بيده[2] .

ولم يجرِ على الأندلسيين تقليد أنواع الخطوط المشرقية التي انتقلت إليهم عن طريق التجارة والحج ومختلف مظاهر الاتصالات المتبادلة الأخرى ، بل أصبح لهم باع وتميز ، حتى صار الخط الأندلسي من أجود وأحسن الخطوط العربية ، وهذا منذ حكم الأمويين بالأندلس إلى سقوطها في يد النصارى الشماليين ، وهجرة الأندلسيين إلى مختلف مناطق ومدن العدوة المغربية ، حيث اتحفوا معمار تلك الأمصار بخطهم الأنيق[3] ، ويصف المقري التلمساني الخط الأندلسي نقلًا عن ابن سعيد ، وتميزه عن الخط المشرقي بقوله: " أما أصول الخط المشرقي ، وما تجد له في القلب واللحظ من القبول فمسلم به ، لكن خط الأندلس الذي رأيته في مصاحف ابن غَطُّوس[4] الذي كان بشرق الأندلس ، وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسن فائق ، ورونق آخذ بالعقل ، وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر ، والتجويد "[5] .

ومن الخط الأندلسي اشتهرت أنواع كثيرة منها، وهذا بحسب الحواضر التي كانت تقام وتُعنى فيها هذه الصناعة ومنها مثًلا الخط الإشبيلي على عهد بني عباد فإنه يشبه الخط الكوفي ، إذ تميز بخطوط منحنية ، والتي تشكل ذيولًا مستطيلة تهبط حتى تلامس الخطوط التي في السطر[6] .

---

[1] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 202 .

[2] يعرف بابن ذُنين ، روى عن علماء بلده ، ثم رحل مع أبيه إلى المشرق سنة 381هـ/991م ، فحج ، وأخذ عن علماء مكة المكرمة ، وفي طريق العودة أخذ عن علماء مصر والقيروان، وكان عالمًا أخذ عنه علماء طليطلة ، وإليه كانت الرحلة في الأندلس. الضبي، المصدر السابق ، ج2 ص 448 .ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 406 وما بعدها .

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 884- 885 .

[4] هو محمد بن عبد الله الأنصاري ، يكنى بأبي عبد الله ، من أهل بلنسية ، ناسخ ، اشتهر في وقته بالبراعة والإمامة في كتابة المصاحف خطًّا وضبطًا ، ولقد ورث هذه الصناعة من أبيه وأخيه ، ويقال أنه كتب ألف مصحف تنافس فيها الملوك والأعيان ، كما يقال بأنه عهد بأن لا يكتب حرفًا إلا من القرآن الكريم توفي سنة 610هـ/ 1213م . ابن الأبار ، المصدر السابق، ج2 ، ص105 .صلاح الدين الصفدي، المصدر السابق ج3 ، ص 280 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص 231

[5] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 4 .

[6] خميسي بولعراس ، المرجع السابق ، ص ص 199 – 200 .

ومن التحف والكتابات الموجودة في القصور يُستكشف أنواع الخطوط المنتشرة في الأندلس في عهد ملوك الطوائف كقصر الجعفرية بسرقسطة ، وقصور بني ذي النون في طليطلة ، وبنو صمادح في المرية ، إذ تميزت باستخدام الخط الكوفي الأنيق على أعمدة ، وجدران القصور ، وعلى القبور ، والنقود ، وقد تأسست مدارس خاصة بهذا الخط[1] .

وعن طريقة تدريس فن إجادة كتابة ، ورسم الخط العربي في الأندلس ، فابن خلدون يعيب على المعلم أن يعلم التلميذ بكتابة الحرف بانفراد ، بل يرى أن يتعلم محاكاة الخط من خلال كتابة الكلمات جملة واحدة ؛ أي ليس حرفًا حرفًا وإنما كلمة كلمة ، أو جملة جملة ، ثم يبدأ المعلم يطالع التلميذ ، ويقدم له التوجيهات الواجب اتباعها لتحسين خطه إلى أن تحصل الإجادة ، ثم ينتقل إلى مرحلة التمكن في بناء الجمل ، والعبارات ، فتحصل الملكة وبهذا يصبح التلميذ مجيدًا ، ومجازًا في رسم الخط[2] .

لقد ساهم فن تجويد رسم الخط العربي في انتشار الكتب بالأندلس ، هذا الكتاب الذي يعد المورد الأساسي في العملية التربوية التعليمية ، وبه ظهرت طريقة السماع في التدريس وكذلك الإملاء ، ومنه فقد ساهم الخطاطون والنساخون في شيوع الكتب ، وازدهار المكتبات ، وبالتالي ساهموا في دفع حركة التعليم قدمًا نحو انتشار مختلف العلوم ، والآداب لدى الأندلسيين عامة ، وطلاب العلم خاصةً .

المبحث الثاني : العلوم الاجتماعية والطبيعية

المطلب الأول : العلوم الاجتماعية

1)– التاريخ : حظي التاريخ بمكانة محترمة في نفوس طلبة العلم الأندلسيين، واحتل مرتبة لا يستهان بها من بين العلوم الأخرى، فقد كان في معظم الأحيان ملازمًا لبعض الدراسات الدينية والأدبية ، لهذا نجد في تراجم المؤرخين الأندلسيين أنهم في أغلبهم فقهاء ، أو محدثين ، أو أدباء ، أو كلهم مجتمعين في شخصية واحدة .

وتميز منهج التعليم في الأندلس بسيادة فقه الإمام مالك ، وقد كان اشتغالهم بالفقه والحديث يقودهم إلى ترجمة رجال الحديث ، ثم إلى ترجمة رجال العلم والأدب ، ومن هنا بدأ يظهر مؤرخو الأندلس من طبقة الفقهاء والمحدثين ، فهم فقهاء مؤرخون ، ومنها بدأ يظهر تاريخ تراجم الرجال ، وسيرهم ، وكتب الطبقات[3] .

وتجدر الإشارة بوجوب التمييز بين فروع التأريخ ، فهناك من يؤرخ للتاريخ العام ، كالذي يتناول فيه تاريخ افتتاح الأندلس ، وما صاحبها ، وتبعها من أحداث ،كما يوجد من يؤرخ لتاريخ الرجال ، والمؤلفين ، والعلماء

[1] نفسه ، ص 200 .

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 879 – 880 .

[3] محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص 191 .

أي التراجم ، والطبقات ، وهناك من يؤرخ لتاريخ العلوم خاصة تاريخ الأدب العربي ، وهناك من يؤرخ لتاريخ المدن والنواحي .

وممن جلس لإقراء وإملاء التاريخ الفقيه المؤرخ عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) ، إذ يعد من أوائل المؤرخين الذين اشتهروا في الأندلس وخارجها ، فقد ألف كتابًا يتناول فيه تاريخ الأندلس ، ونُشر له نص خاص بفتح الأندلس[1] ، واشتهر عبد الملك بن حبيب بالتدريس في مسجد قرطبة ، إذ كان يُقسم طلبته إلى مجموعات لا يُسمعهم إلا كتبه ، وكتاب الموطأ ، وقد ألف عدد من الكتب في العلوم السالفة الذكر ، وأشهرها كتاب الواضحة التي تعتبر أحسن شرح على موطأ الامام مالك ، وقد ضاعت معظم كتبه ، ولم يبقى إلا كتابه في التاريخ ، وعنوانه الكامل هو " كتاب في ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها من ابتداء خلق السماوات وخلق البحار والجبال والجنة والنار ، وخلق آدم وحواء وما كان من شأنهما مع ابليس ، وعدة الأنبياء نبيًّا نبيًّا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وعليهم أجمعين ، وعدة الكتب المنزلة ، وعدة الخلفاء إلى حين استفتاح الأندلس وما وجد فيها من الذهب والفضة والجوهر والياقوت والزمرد والأمتعة وما أخرج منها ، وعدة ملوكها ومن وليها ومن يليها وذكر شيء من الحدثان وما يعلم منها في بعض البلدان ، وكم عمر الدنيا وما مضى منها وما بقي إلى أن تقوم الساعة ، تأليف الفقيه عبد الملك بن حبيب رضي الله عنه ، وفيه ذكر القضاة – قضاة قرطبة – لابن حارث "[2].

ويرجح المستشرق الإسباني أنخل جنثالث بالنثيا أن عبد الملك بن حبيب لم يكتب هذا الكتاب بنفسه ، أو على الأقل لم يكتب إلا جزءًا منه ، أو أن الكتاب ربما هو نتيجة سماع التلميذ ابن أبي الرقاع عن أستاذه[3] ، الذي أضاف إليه أشياء من عنده ، فأكمل تاريخه إلى تاريخ فترة حكم الأمير عبد الله أي إلى سنة 274هـ/888م أي بعد وفاة عبد الملك بن حبيب بما يزيد عن خمس وثلاثين سنة [4] .

[1] وتوجد طبعة لهذا الكتاب صدرت عن دار الكتب العلمية ببيروت سنة 1999 ، ولقد تم الاعتماد على هذه الطبعة في مواضع من هذه الدراسة .

[2] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 194 .

[3] ويظهر أن الكتاب فعلًا كان نتيجة إملاء عبد الملك بن حبيب لتلميذه أو تلاميذه ، فهو يبدأ بالعبارة التالية : " حدثنا عبد الملك بن حبيب ". عبد الملك بن حبيب ، كتاب التاريخ ، ص5.

[4] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 195 . ومعلوم أن عبد الملك بن حبيب توفي في سنة 238هـ/852م أي نفس السنة التي توفي فيها الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ/ 822- 852م) ، كما أن سنة 274هـ/888م التي انتهى بها كتاب التاريخ لابن حبيب تدخل في فترة حكم الأمير المنذر بن محمد(273-275هـ/ 886-888م) ، وليس كما قال أنخل جنثالث بالنثيا أنها في فترة حكم الأمير عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م) . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ،ص 6 . الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 11- 12. الضبي المصدر السابق ، ج1 ، ص 36 وما بعدها . محمد سهيل طقوش ، تاريخ المسلمين في الأندلس ، ص 638 .

ومما يؤاخذ على هذا الكتاب أنه ملئ بالأساطير والخرافات لما يتحدث فيه صاحبه عما صاحب افتتاح الأندلس من روايات ،كأن يذكر محاصرة المسلمين الفاتحين مواضع يعمرها الجن ، والكنوز التي في طليطلة[1] ، والتي يبدو –حسب تعبير المستشرق أنخل جنثالث بالنثيا – أخذها من أساتذته ، وشيوخه المصريين[2]، إذ كان الأندلسيون في رحلاتهم إلى المشرق للدراسة يأخذون بأقوال أساتذتهم من المشرق عن افتتاح الأندلس ، لهذا اعتقد هؤلاء الشيوخ بأن الأندلس مجمع الأعاجيب ، وبأن هذا البلد وجد في بحر الظلمات ، وتسكنه الجن ، ويتحدثون عن القلاع المسحورة ، والأصنام التي تتحرك من تلقاء نفسها ...الخ[3] ، ومنه فكتاب التاريخ لابن عبد الملك بن حبيب هو نتيجة إملائه ، وإسماعه لطلبته ، وهما من أشهر طرق التدريس المعروفة في الأندلس .

واشتهرت بيوتات وعائلات لها باع ومشاركة في علم التاريخ كما هو الشأن لأسرة الرازي ، والتي كان على رأسها محمد بن موسى(ت277هـ/980م) الذي يعود أصله إلى مدينة الري[4] ، وقد وفد إلى الأندلس سنة 249هـ/864م كتاجر بضاعة نالت إعجاب الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/852-886م) فقربه الأمير ، وأجزل له العطاء[5] ، كما قربه الأمير المنذر بن محمد(273-275/886-889م) ، وأصبح من جلسائه ، ومشاوريه[6] ، وعلى الرغم من أن شهرة محمد بن موسى الرازي تأرجحت بين كونه تاجر ، وكمشاور للأمراء الأمويين إلا أنه يعد في نظر بعض المؤرخين كالمستشرق الإسباني أنخل جنثالث بالنثيا ، وغيره مشاركًا في كتابة تاريخ الأندلس ، فقد ألف كتاب الرايات الذي تناول فيه ، دخول موسى بن نصير (ت98 أو99هـ/716 أو717م) إلى الأندلس ، وخططه في فتحها مع القبائل العربية التي كانت تتخذ كل منها راية لها في الجيش الاسلامي الفاتح ، كما احتوى هذا المصدر على معلومات مهمة عن كيفية تقسيم الأراضي الأندلسية من قبل الفاتح موسى بن نصير ، وطريقة تعيين الأخماس ، ووضعية السكان المحليين أثناء الفتح وبعده ، والمؤسف أن هذا الكتاب القيم في حكم المفقود [7] .

---

[1] منها مثلًا أن موسى بن نصير(ت 98 أو99هـ/716 أو717م) لما حاصر حصن من نحاس حاول مرارًا فتح هذا الحصن إلى أن نادته الجن وقالوا له : " أيها الملك ، لسنا بغيتك ولا نحن ممن تريد ، نحن قوم من الجن فانصرف عنا ". عبد الملك بن حبيب ، المصدر السابق ، ص 131 .

[2] ولقد صرح بذلك عند قوله : " قال ابن حبيب : وحدثنا بعض مشايخ أهل مصر ..." . نفسه ، ص 130 .

[3] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص ص 195 – 196 .

[4] مدينة مشهورة من مدن بلاد فارس ، ويُقصد الري بالفارسية بمعنى العجلة . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 116 .

[5] وكان الأمير محمد مهتمًا باستجلاب غرائب الحيوانات من بلاد العدوة المغربية إلى الأندلس. ابن حيان ، المصدر السابق ،ص 265 وما بعدها.

[6] عبد الواحد ذنون طه ، **تراث وشخصيات من الأندلس** ، دار المدار الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2009 ، ص ص 69 – 70 .

[7] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 196 . عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص ص 70 – 71 . لكن بالعودة إلى بعض المصادر كابن الفرضي فلا يصنفه ضمن المؤرخين فيعرفه بأنه من أهل اللسان والخطابة فقط . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 42 .

وأنجب محمد بن موسى ابنه أحمد(ت344هـ/955هـ) ، الذي وصفه ابن الفرضي بأنه كان حافظًا للأخبار، وله مؤلفات كثيرة في أخبار الأندلس، وتواريخ دول الملوك فيها[1]، وكان قد سمع من أحمد بن خالد(ت322هـ/933م) وقاسم بن أصبغ الجياني(ت334هـ/951م) هذا الأخير الذي استفاد منه في علم الرواية والأنساب من خلال مادته الغزيرة في هذا المجال في كتابه الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس[2]، كما قام بالاشتراك مع الوليد بن حيزون[3] بترجمة كتاب التاريخ لهروشيش(باولوس أوروسيوسPaulus Horosius)[4]، ولم تقتصر استفادته من هذا الكتاب على مادته التاريخية فحسب وإنما بمنهجه المتبع في السرد التاريخي ، فطبقه في كتبه التاريخية ،وصار منهجًا متبعًا لدى مؤرخي عصره وما بعده ؛ هذا المنهج الذي يقوم على وضع مقدمة جغرافية قبل البدء بالتأريخ من خلال وصف مكان الموضوع المستهدف قبل ذكر الأحداث والوقائع التاريخية التي تتصل به ، فأصبح مؤرخو ذلك العصر يتميزون بأنهم جغرافيون ، ومؤرخون في نفس الوقت[5] .

ولكثرة اشتغال أحمد بن محمد الرازي (ت344هـ/955هـ) بتدوين التاريخ لقب بالتاريخي[6]، فقد ألف العديد من الكتب في هذا الميدان ، وغطى تاريخ الأندلس إلى العصر الذي عاش فيه ، وكتب عن جغرافية قرطبة وحدودها ، وصفتها ، ومعالمها ، ومن كتب الرازي في التاريخ " أخبار ملوك الأندلس" ، "صفة قرطبة ، وخططها ومنازل الأعيان بها"، "الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس" في خمسة مجلدات ، "مسالك الأندلس ومراسيها ، وأمهات أعيان مدنها ، وأجنادها الستة" ، " أعيان الموالي بالأندلس" ، زيادة على كتب أخرى متفرقة[7] والمؤسف أن معظم هذه الكتب هي أيضًا في حكم المفقود شأنها شأن مؤلفات والده ، إلا أنه يوجد بعض القطع

---

[1] وهو قرطبي ، يكنى بأبي بكر ، ولد سنة 274هـ/888م . نفسه .

[2] نفسه . عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص ص 74 – 75 .

[3] قاضي النصارى بقرطبة في عهد الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م) والترجمان الخاص به عند نزول الوفود ، والسفراء والملوك الأجانب عنده. المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 303-304 .

[4] مؤرخ ، ورحالة إغريقي ، عاش في القرن العاشر قبل الميلاد ، قيل بأنه أول من صور الشعوب واختلاف عاداتهم وتقاليديهم ، والفوارق التي بينهم من حيث النواحي السلالية ، والثقافية ، واللغوية ، والدينية ، لذلك يعد الأنثروبولوجي الأول في التاريخ ، كما أرَّخ لتاريخ مصر القديمة وهو صاحب مقولة " مصر هبة النيل" ، وهو الذي وضع منهجًا خاصًا لعلم الأنثروبولوجيا (علم الشعوب) يقوم على وصف ثقافات الشعوب وحياتهم ، وبعض نظمهم الاجتماعية .عباس عباس ، **موسوعة الحضارات** ، دار البدر ، الجزائر ، 2010 ، ص ص 8-9 .

[5] عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 75 .

[6] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 11 .

[7] ابن حزم الأندلسي ، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ، ج2 ، ص 183 . الحميدي ، المصدر السابق ، ص 104. الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص194 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 11 ، 19 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 197. عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص ص 77 – 78 .

المتناثرة من كتبه ككتابه أخبار ملوك الأندلس الذي عُدَّ كمصدر نفيس استفاد منه المؤلفون المجهولون لكتب فتح الأندلس ، أخبار مجموعة ، ذكر بلاد الأندلس[1] .

وثالث مؤرخ عرفته أسرة الرازي هو عيسى بن أحمد بن محمد ين موسى (ت379هـ/989م) الذي عاش في بيت علم ، وأدب ، وقد سار على خطى أبيه ، وجده ، وكانت مساهمته متميزة في كتابة التاريخ ، فقد ألف كتابين ، الأول للحكم المستنصر بالله (350-366هـ/961-976م) سماه "تاريخ الأندلس" فيه معلومات قيمة عن عصر الولاة ، وعن الأمير عبد الرحمن الداخل ، وكذلك الممالك النصرانية في شمال الأندلس[2]،والكتاب الآخر للحاجب المنصور بن أبي عامر(326 – 392 هـ/938 -1002م) عنوانه "كتاب الحجاب للخلفاء بالأندلس" ، وهو نفسه المسمى" الوزراء و الوزارة في الأندلس" المنسوب إليه ، ويتكلم عن الحجاب ، والكتاب والوزراء في عهدي الإمارة ، والخلافة الأموية ، وقد اتبع في تأليفه للتاريخ طريقة الحوليات ، وسار في عرضه للأحداث بحسب السنوات الهجرية[3] .

ومن المؤرخين الأندلسيين المشهورين أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية(ت367هـ / 977م) صاحب كتاب تاريخ افتتاح الأندلس ، فزيادة على أنه يحسب من طبقة النحويين ، إلا أنه يعد ضمن طبقة كبار المؤرخين في الأندلس ،حافظًا لأخبارها ، عالمًا بسير أمرائها ، وأحوال فقهائها ، وشعرائها ، إذ كان يُملي على طلبته أخبارهم ، فكان يحفظها عن ظهر قلب ، وهو من الأساتذة الشيوخ الذين طالت أعمارهم لهذا فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة سواء في التاريخ ، أو النحو ، أو اللغة ، أو في الأدب بصفة عامة [4] .

وأما كتابه تاريخ افتتاح الأندلس فإنه يتبين من خلال عنوانه أنه يتكلم عن تاريخ الأندلس منذ الفتح الاسلامي إلى سنة 299هـ/920م) أي أواخر حكم الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/888-912م) ، ويرجح أن هذا الكتاب نتيجة سماع أو إملاء دوَّنَهُ أحد تلامذته من كان يحضر حلقات دروسه في الأخبار والتاريخ والدليل على ذلك أن الكتاب استفتح في عرضه للتاريخ بعبارة: " أخبرنا أبوبكر محمد بن عمر بن عبد العزيز "[5] .

---

[1] نفسه ، ص 76 وما بعدها .

[2] ابن حيان ، المصدر السابق ، ص 265 .

[3] عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 92 وما بعدها .

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 76 – 77 .

[5] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 29 . أنظر كذلك إلى تعليق المحقق في الصفحتين 22 – 23 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 203. عبد الواحد ذنون طه ، **دراسات في التاريخ الأندلسي** ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2004 ، ص 103 .

أما المؤرخ عريب بن سعد (ت369هـ/979م)[1]، فقد قربه الخليفة الناصر عبد الرحمن بن محمد(300-350هـ/912-1031م) ، وعينه عاملا على أُشُونَة[2] سنة 331هـ/942 م ،كما عمل كاتبًا للحكم المستنصر بالله (350-366هـ/961 – 976م) ، وقربه كذلك الحاجب المنصور بن أبي عامر (326 – 392 هـ/938 -1002م) وسماه "خازن السلاح"[3].

وألف المؤرخ عريب بن سعد كتابًا مختصرًا لتاريخ محمد بن جرير الطبري (310هـ/922م) المسمى تاريخ الرسل والملوك فيما يتصل بأخبار المشرق من سنة289هـ/901م إلى319هـ/931م) ، وأضاف إليه أخبار افريقية والأندلس فسمي "صلة تاريخ الطبري"[4] .

وتعد الإضافة التي تتحدث عن تاريخ المغرب والأندلس من الكتب النادرة التي كانت يتباها بها الطلبة الأندلسيون ، ويعتز بها كل من اقتناها بعد عصر المؤلف ، ويبدوا أن كلًا من المؤرخين ابن حيان القرطبي (ت469هـ/1079م)[5] ، وابن عذارى المراكشي(كان حيًّا سنة 712هـ/1312م) قد استفاد منها في تاريخها للمغرب ، والأندلس [6].

---

[1] وهو قرطبي من أصل نصراني ، أسلم أجداده ، واستعربوا ، وقيل بأنه ينتمي الى بيت من بيوت الموالي يعرفون ببني التركي ،وهو مؤرخ ، أديب شاعر ، لغوي ، وطبيب ، ويعد من العلماء الموسوعيين الأندلسيين ، فقد تلقى رعايةً واهتمامًا من أسرته فحسن تعلمه ، وإلى جانب اهتمامه بالتاريخ كان شديد العناية بكتب الطب ، ونقل عنه ابن حيان صاحب المقتبس الكثير من الأخبار والتواريخ .ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ج4 ، ص 35 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 206. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 227 .

[2] من كور استجة بالأندلس بينهما نصف يوم ، حصنها ممدن ومقابل لمدينة قرطبة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج1، ص 202 . عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص 60

[3] الأوسي المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد) ، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول و الصلة** ، تحقيق وتعليق إحسان عباس ، محمد بن شريفة بشار عواد معروف ، دار الغربي الإسلامي ، ط1 ، تونس ، ط1 ، م3 (س5) ، ص 119 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 227 .

[4] الأوسي المراكشي ، المصدر السابق ، م3(س5) ، ص 118 .أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 206. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 227 .

[5] هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان ، ولد سنة377هـ/987م ، من كتاب الحاجب المنصور بن أبي عامر (326 – 392 هـ/938 – 1002م) ، أخذ العلم عن أبيه ، وعن علماء الذين ببلده ، ومنهم الذين وفدوا من المشرق إلى الأندلس كصاعد البغدادي (ت417هـ/ 1026م) الذي أخذ عنه كتابه المسمى "الفصوص " ، وتفقه وأخذ الآداب ، ثم اشتغل في وظائف الدولة ، فزيادة على ممارسته كتابة الرسائل العامرية ، عمل كذلك في وظيفة صاحب الشرطة أو صاحب المدينة في قرطبة ، ولقد وُصف بأنه : "كان عالي السن ، قوي المعرفة ، مستبصرًا في الآداب ، بارعًا فيها ". الحميدي ، المصدر السابق ، ص200. الضبي ، المصدر السابق ،ج1، ص342 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ص 248 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 208 .

[6] عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 89 .

وأما عن أبي مروان بن حيان القرطبي (ت469هـ/1079م) فهو يعد من أعظم مؤرخي الإسلام عامة والأندلس خاصة في ميدان تراجم الأمراء ، والخلفاء ، والعلماء ، والحجاب ، والوزراء ، وخير دليل على ذلك كتابه المتميز الموسوعة التاريخية "المقتبس من أنباء أهل الأندلس" الذي لا يعد كتابًا للتعريف برجال الأندلس فحسب ، وإنما تضمن كتابات لتاريخ الأندلس السياسي منذ الفتح الإسلامي إلى عصر المؤلف تقريبًا[1] ، ووصف ابن حزم هذا الكتاب بأنه من أجل كتاب ألف في هذا الفن ، ونعته بالكتاب الكبير[2].

وكان ابن حيان(ت469هـ/1079م) يلقب بصاحب لواء التاريخ بالأندلس[3] ، ولقد جاء فيما سبق أن العالم إذا عُمِّر طويلًا يكثر منه السماع من الطلبة ، ولهذا يرجح أنه كذلك خاصة في ميدان التاريخ ، وألف العديد من المؤلفات في التاريخ منها مثلًا المآثر العامرية ، تاريخ فقهاء قرطبة ، المتين ، والمقتبس الذي يتألف من عشرة أسفار[4] ، وضاع معظمه ، ولم يتبق منه إلا بعض القطع التي استفاد منها بعض المستشرقين والمؤرخين العرب ، فقد حقق المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال القطعة التي تتناول عصر الأمير الحكم بن هشام (180-206هـ/796-822م) ، وبعض الفترات من حكم الأمير عبد الرحمن الاوسط (206-238هـ/822-852م) ، وقام المؤرخ محمود علي مكي بتحقيق القطعة الثانية التي تتناول السنوات الأخيرة من حكم عبد الرحمن الأوسط ، والقطعة الثالثة قام بنشرها المستشرق بدرو شالميتا وآخرون ، والتي تتطرق إلى حكم الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر(300-350هـ/912-961م) في الثلاثين سنة الأولى ، وهي معنونة بـالجزء الخامس من مقبس ابن حيان ، أما القطعة الرابعة والأخيرة فهي جزء صغير مقارنة بالقطع السابقة الذكر ، وتتناول هذه القطعة فترة خمس سنوات من عصر الحكم المستنصر بالله أي من سنة 360هـ/970م إلى سنة 364هـ/974م والتي قام بتحقيقها ، ونشرها المؤرخ عبد الرحمن علي الحجي[5].

وكتابه الثاني المعنون بالمتين الذي يحتوي على ستين مجلد لم يبق منه إلا بعض الأجزاء ، أو الفقرات على حد قول المستشرق أنخل جنثالث بالنثيا ، فقد استعان ، واستشهد بها كل من المؤرخين ابن بسام الشنتريني(ت542هـ /1147م) ، ولسان الدين بن الخطيب(ت776هـ/1374م) في كتبهما ، وقد احتوى على معلومات قيمة تبرز

---

[1] محمد عبد الحميد عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص 340 .

[2] وعن هذا الوصف أخذ عنه الحميدي ، والضبي .ابن حزم الأندلسي ، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ، ج2 ،ص 184. الحميدي المصدر السابق ، ص ص 200 .الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 342 .

[3] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 248 .

[4] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 184

[5] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 208. محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص 441 .

مكانة ، وأهمية ما تضمنه الكتاب من مادة معرفية تاريخية[1] ، وتميزت كتابات ابن حيان بصفة عامة بالصدق فيما رواه من أحداث تاريخية ، كما كان فصيحًا بليغًا في أسلوبه ، ولغته[2] .

والملاحظ أن مؤرخي هذا العصر قد استفادوا من بعضهم البعض ، فقد استقى ابن حيان معلوماته التاريخية زيادة على المؤرخين الذين سبقوه كابن عبد ربه(ت328هـ/860م)، وابن القوطية(ت367هـ/977م)، وصاحب التراجم ابن الفرضي(ت403هـ/1013) ، هذا الأخير الذي قال في حقه ابن حيان نقلًا عن ابن بشكوال: "لم يُرى مثله بقرطبة من سعة الرواية ، وحفظ الحديث ، ومعرفة الرجال ، والافتنان في العلوم إلى الأدب البارع والفصاحة المطبوعة ..." .[3]

ويعد ابن حيان من الأندلسيين القلائل الذين تخصصوا في التاريخ أكثر من غيره ، يشار إليه بالبنان في هذا الميدان ، فمعظم المؤرخين الأندلسيين الآخرين كانوا موسوعيين ؛ أي نجدهم كذلك في تخصصات أخرى غير التاريخ ، كأن نجده في نفس الوقت فقيهًا ، محدثًا ، أديبًا ، طبيبًا ...الخ .

ومن العلماء المؤرخين البارزين كذلك محمد بن عيسى بن مُزين (كان حيًّا سنة 471هـ/1078م) الفقيه الأديب ، والمؤرخ الذي ألف كتابًا في تاريخ الأندلس بعدما استفاد من طلاعه على خزائن مكتبات قصر اشبيلية على عهد المعتمد بن عباد (461-484هـ/1069-1091م) ، فقد تحدث في كتابه هذا عن الوجود العربي الاسلامي منذ الفتح إلى عصره ، واستفاد من كتاب الرايات لمحمد بن موسى الرازي(ت277هـ/980م) عميد المؤرخين من آل الرازي ، ونقل ابن مُزين عن هذا الكتاب الرايات التي دخلت مع الفاتح موسى بن نصير(ت 98 أو99هـ / 716 أو717م) ، وكم راية دخلت الأندلس معه من قريش ، والعرب فقد حصرها ، وأحصاها في نيف وعشرين راية ، وباستعانته بهذا الكتاب ، واثبات نسبته لمحمد بن موسى الرازي قد وضع حدًّا للجدل القائم حول مدى مساهمة محمد بن موسى الرازي في التدوين التاريخي ، وأكد بأنه فعلًا يعد عميدًا لأسرة الرازي في علمي التاريخ ، والنسب معًا[4] .

وتتجلى اسهامات بن مزين في مادة التاريخ بأن كتابه هذا قد استفاد منه المؤرخون الكبار الذين جاءوا من بعده كابن عذارى المراكشي(كان حيًّا سنة 712هـ/1312م) الذي أخذ عنه نصًّا يتعلق بهزيمة باديس بن حبوس(428-465هـ/ 1036-1073م) صاحب غرناطة لإسماعيل بن محمد بن عباد بن صاحب اشبيلية

[1] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 210 .
[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 248 .
[3] نفسه ، ج1 ، ص393 . عبد الواحد ذنون طه ، تراث وشخصيات من الأندلس ، ص 97 .
[4] نفسه ، ص 107 .

سنة 431هـ/1039م خارج قرطبة[1] ، وتظهر أهمية الكتابات التاريخية لابن مزين بأنها تعد المصدر الرئيسي للأحداث التي عاشها في عصر ملوك الطوائف ، وبالذات في اشبيلية أيام حكم محمد المعتمد بن عباد(461-484هـ-1069-1091م) ، واهتمامه كذلك بتدوين أحداث ممالك الطوائف التي عاصرها ، كما قدم فصلًا عن توزيع الملكية العقارية في الأندلس بعد الفتح العربي الاسلامي[2] .

أما أشهر شخصية علمية جمعت في مختلف العلوم ، ومنها التاريخ الامام الظاهري ابن حزم علي بن أحمد (ت456هـ/ 1063م) ، الذي درس كتب التاريخ ومن ضمنها كتاب تاريخ الطبري ، واشتهر العديد من التلاميذ الذين أخذوا عنه ، وممن كان يحضر مجلسه أبا عبد الله محمد بن يحيى بن محمد الحسين المعروف بابن الطبني وأخاه[3] ، وممن أخذ عنه كذلك المؤرخ والمحدث أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي(ت488هـ/ 1095م)[4] الذي كان شيخه وصاحبه في نفس الوقت[5] .

ولقد ساهمت قدراته الفطرية التي عرف بها ابن حزم ، إذ تميز بالذكاء ، وسرعة الحفظ زيادة على الامكانيات المكتسبة التي وجدها في البيئة التي نشأ فيها في تكوين شخصية العلمية ، وألف في مختلف العلوم والمعارف ومن مصنفاته في التاريخ كتابه "نقط العروس" الذي يتحدث فيه عن خلفاء المشرق ، والأندلس وحكامها ، رتبه بحسب الفصول[6] ، وكتابه "جمهرة أنساب العرب" الذي يعد أوسع كتب النسب ، وأدقها ، كما يتحدث فيه عن تاريخ الاسلام في المشرق ، والأندلس[7].

---

[1] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 202 .

[2] عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 212 .

[3] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 213 .

[4] من أهل جزيرة ميورقة ، ولد بها قبل 420هـ/1029م ، وأصله من قرطبة من ربض الرصافة ، عالم فقيه ، حافظ محدث ، راوية مؤرخ ، وكان يُحمل على الأكتاف للسماع منذ سنة 425هـ/1033م ، روى بالأندلس ، ثم رحل إلى المشرق سنة 448هـ/1056م ، فسمع بإفريقية ، ومصر وبغداد ، ودمشق ، ومكة المكرمة ، واستقر في الأخير ببغداد ، وبها توفي ، ومن مؤلفاته الجمع بين الصحيحين ، جذوة المقتبس ، وغيرهما . الضبي المصدر السابق ، ج1 ، ص161. ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 818 – 819 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ص 266 وما بعدها .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 818 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 237.

[6] ومن هذه الفصول مثلًا فصل "من ولي الخلافة بتشاور" ، " من ولى الخلافة وأخوه أسن منه "، " أكثر الخلفاء عُمرًا"...الخ . ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد) ، **رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء** ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي (384-356) ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، بيروت ، 1987 ، ص ص55 ، 58 وما بعدها . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص220 .

[7] ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ص ص 13 – 14 (مقدمة المحقق) . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 220 .

وألف كتاب" الامامة والخلافة في سير الخلفاء ، ومراتبها ، والندب ، والواجب منها" ، وكذلك كتاب "اظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والانجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك ، مما لا يحتمل التأويل ، وهو كتاب قيل بأنه لم يسبق إليه أحد في تأليفه في هذا الجانب[1] ، وفي تاريخ الأديان ألف موسوعته" الفصل في الملل والأهواء والنحل" ، وهومن أعظم كتبه انتهج فيه أسلوب التحليل والنقد التاريخي[2] ، وهو كتاب يحتوي على مادة هامة يعرض فيها مختلف الأديان سواء السماوية أو الملحدة ، وما يتفرع منهما من مذاهب وفرق ،كما يقدم الأقطار التي يسود فيها كل مذهب[3]، منذ بدء الخليقة إلى عصره ، وهو كتاب حجة يحتج به في مثل هذه المواضيع وفي الفرق الاسلامية ، والمذاهب ألف كتابه " الصادع والرادع على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد "[4].

واشتهر كذلك المؤرخ ابن أبي الفياض أحمد بن سعيد (ت459هـ/1066م)[5]، بكتابه العبر ، وهو كتاب تاريخي في حكم المفقود ، وميزة هذا الكتاب أنه لا يؤرخ للأندلس فقط ، وإنما كذلك للمغرب ، واعتمد في تأريخه هذا على ما شاهده وعاصره من أحداث ، زيادة على بعض الرواة ممن نقلوا الأخبار كابن حزم الظاهري (ت456هـ/ 1063م)[6]

كما اهتم الأندلسيون كذلك بتاريخ الرجال من خلال تأليف معاجم الأعلام والتراجم ، مما يدل على ما بلغه الأندلسيون من مستوى علمي عالي ، وتتجلى أهمية تلك المصنفات بأنها تحتوي على مادة تاريخية هامة عن بعض الأحداث ، وصُنَّاعِها من الرجال .

---

[1] الحميدي ، المصدر السابق ، ص309. الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص543-544 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ص ص239- 240 .

[2] الحميدي ، المصدر السابق ، ص309. الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص543 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص239- 240 .

[3] ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد) ، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، صححه وذيله بالهوامش عبد الرحمن خليفة ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ط1، مصر ، 1347هـ ، ج1 ، ص9 وما بعدها . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص221 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 240 .

[5] يكنى بأبي بكر ، أصله من استجة ، سكن المرية .ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص107 .

[6] نفسه . عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 101 وما بعدها .

ومن المؤرخين الذين تخصصوا في تأليف كتب التراجم أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي المعروف بابن الفرضي(ت403هـ/1013)[1] ، فبعد عودته إلى الأندلس من رحلته العلمية ، وقد جمع فيها علمًا كثيرًا في مختلف العلوم ومنها التاريخ مثلًا حيث صنف كتابه تاريخ علماء الأندلس ، كما ألف كتابًا في أخبار شعراء الأندلس وغيرهما من المؤلفات[2] ، أخذ عنه تلاميذ الأندلس الذين سيكون لهم شأنٌ عظيمٌ مثل الحافظ المحدث أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري(ت463هـ/1070م) ، الذي اعترف بأنه أوسع منه علمًا ، وأدرك شيوخًا لم يدركهم هو[3] ، وكذلك أخذ عنه الفقيه الظاهري ، والمؤرخ ، والأديب ابن حزم (ت456هـ/1063م) .

وميزة كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي أنه كان الأساس لسلسلة التراجم الأندلسية التي جاءت موصولة به ككتاب الصلة لابن بشكوال(ت578هـ/1183م) ، وكتاب التكملة للكتاب الصلة لابن الابار (ت658هـ/1260م)،ثم الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي(ت713هـ /1304) وسارت تلك الكتب على نفس المنهج الذي اتبعه ابن الفرضي في ترجمته للأعلام والعلماء ، فقد كان كتاب تاريخ علماء الأندلس المصدر الأول من حيث المنهج المتبع ، وكذلك من حيث المعلومات لبعض التراجم التي نجدها مكررة خاصة في كتاب الصلة لابن بشكوال ، والتكملة لابن الأبار، ويمكن القول بأن ابن الفرضي أسس منهجية تعليمية في أدب التراجم ، فكان بكتابه تاريخ علماء الأندلس المصدر الأول لتلك الكتب التي جاءت من بعده.

وقد ذكر فيما سبق أن علماء هذا العصر كانوا يأخذون عن بعضهم البعض ، فقد استفاد ابن الفرضي من مؤلفات أحمد بن محمد بن عبد البر (ت338هـ/949م)[4] من كتابه عن فقهاء قرطبة في الترجمة لبعض الفقهاء .

---

[1] قرطبي ، فقيه ، عالم في الحديث ، مؤرخ ، وأديب ، ولد سنة 351هـ/962م ، وتتلمذ على شيوخ الأندلس ، ثم رحل الى المشرق سنة 482هـ/1089م ، فسمع بالقيروان ، ومصر ، ومكة ، وكان جماعًا للكتب ، تقلد قراءة الكتب للدولة العامرية ، وتولى قضاء كورة بلنسية ، ثم قضاء استجة بالقرب من قرطبة ، وبسقوط الدولة العامرية رجع إلى قرطبة ، فقُتل فيها في الفتنة البربرية سنة 403هـ/1013م .الحميدي ، المصدر السابق ، ص 254 وما بعدها. الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص433وما بعدها . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 391 وما بعدها . عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 97 –98 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ،ج4، ص 121 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 392 .

[3] نفسه . عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 97 .

[4] ذكره ابن الفرضي في أكثر من ترجمة ونعته بصاحب التاريخ ، وهو غير يوسف بن عبد البر المحدث تلميذ ابن الفرضي ، وأحمد بن محمد بن عبد البر هو محدث، فقيه ، ومؤرخ قرطبي ، من موالي بني أمية ، يكنى بأبي عبد الملك ، سمع من علماء بلده ، توفي في السجن بسبب مسألة بينه ،وبين الأمير عبد الله بن الخليفة عبد الرحمن الناصر (ت339هـ/951م). ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص38– 39 ، 158. أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص267.

كما استفاد الأندلسيون من معاجم الرجال التي ألفها الوافدون إلى الأندلس ، ومنهم على سبيل المثال الخشني أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد(ت361هـ/971م) الذي وفد إلى الأندلس سنة 312هـ/924م ، فسمع من علماء قرطبة ، واستقر بها ، وألف للحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م) كتبًا كثيرة ، حتى قيل بأنه ألف له مائة ديوان ، إذ كان شاعرًا بليغًا[1] ، ومن مؤلفاته في تاريخ التراجم كتابه عن قضاة الأندلس من الفتح الاسلامي إلى سنة 357هـ/968م ، وكان قد ألفه بطلب من الحكم المستنصر لما كان وليًا للعهد ، وقد أملاه الخشني على طلبته[2] ، كما استفاد منه مؤلفو كتب الطبقات والتراجم ومنهم ابن الفرضي في التراجم لبعض الأعلام[3] ، وقيمة هذا الكتاب أنه بالإضافة إلى تطرقه للترجمة عن قضاة الأندلس ، ونظام القضاء فيها ؛ فهو يعد مصدرًا مهمًا عن تاريخ قرطبة خاصة في عصر الإمارة سياسيًا ، كما تحدث عن الحياة الاجتماعية منذ الفتح إلى عصر الحكم المستنصر[4] .

ومما سبق ذكره فإن مادة التاريخ خاصة فيما يتعلق منه بالتراجم ومعاجم الأعلام قد حضي بنصيب وافر من اهتمام ، وعناية الأندلسيين ، وكانت مادته تدرس إما إملاءً أو إسماعًا كما جرى الحال مع عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ /852م)في مسجد قرطبة ، ونتج عن هذا الاهتمام ظهور المؤلفات ، وكتب التاريخ التي كانت نتيجة لهذه الطريقة ، وهي سماع الطلبة من مشايخهم عن بعض الأخبار والأحداث ، ونفس الحُكم ينطبق على ابن القوطية(ت367هـ/977م).

كما يلاحظ أن رواج الكتب والمؤلفات في ميدان التاريخ ، وكثرة العلماء والمشتغلين به ، يدل على مكانة هذا العلم بين مختلف العلوم الأخرى ، فطلب علم التاريخ كان دائمًا ملازمًا للعلوم الدينية كالفقه ، أو الحديث لتشابهما في توظيف آلية الاسناد ، والتوثيق ، وكذلك للعلوم الأدبية ، إذ يعد التاريخ فرعًا من تلك العلوم ، مثلما صرح به المستشرق الاسباني خوليان ريبيرا وهو بصدد توضيح طريقة تدريس الأدب العربي ، فقد أدرج مادة التاريخ ضمن فروعه[5] .

ولم يقتصر الاهتمام بالتاريخ على علماء أفراد ، بل تعدى ذلك لتشتهر أسر وبيوتات تخصصت في هذا العلم لا يشق لها غبار مثل أسرة آل الرازي ، فكان منهم الجد (محمد بن موسى) ، والأب (أحمد) ، والحفيد (عيسى) كلهم لهم باع في حركة تدريس التاريخ ، والاشغال به .

---

[1] نفسه ، ق2 ، ص ص 112 – 113 .

[2] الخشني بن الحارث ، قضاة قرطبة ، ص ص 18 – 19 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 267 .

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 113 .

[4] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص ص 267 -268 .

[5] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 64 .

والملاحظة الأخرى في هذا الجانب أن مؤرخي عصر ملوك الطوائف قد أخذوا عن بعضهم البعض في سرد بعض الأحداث التاريخية والأخبار ، فقد استفاد ابن حيان(ت469هـ/1079م) من مؤلفات معاصره أبي الوليد ابن الفرضي(ت403هـ/1013م) ، وصرح بذلك في أكثر من موضع في كتابه المقتبس ، وهو دليل على تواضع العلماء في ذلك العصر ليس في المستوى ، وإنما في جانب عظمة أخلاقهم ، واعترافهم بفضل بعضهم عليهم .

2)- الجغرافيا : تميز علم الجغرافيا لدى الأندلسيين بارتباطه ارتباطًا وثيقًا بعلم التاريخ ، فنجد أن الجغرافيا مُزجت بالتاريخ في مؤلفات الأندلسيين ، لاعتبارها أنها علم متمم لعلم التاريخ ، وأول من وضع هذا المنهج أحمد بن محمد الرازي(ت344هـ955م) ، متأثرًا بما تميزت به الجغرافيا في المشرق ، فقد كان الرواد الجغرافيون فيها مؤرخين كذلك أمثال هشام بن محمد السائب الكلبي (ت204هـ/819م أو 206هـ/821م) وابن قتيبة (ت276هـ/889م) وغيرهما[1].

واستفاد أحمد بن الرازي من هذا المنهج بفضل أستاذه وشيخه قاسم بن أصبغ (ت340هـ/951) عندما قام بترجمة كتاب هيروشيش بالاشتراك مع الوليد بن حيزون قاضي النصارى في قرطبة ، ووجه استفادة أحمد بن محمد الرازي في ترجمة هذا الكتاب تكمن في وضعه لمقدمة جغرافية في كتاباته التاريخية ، كما فعل هيروشيش في تاريخه[2] وأصبحت هذه المنهجية قاعدة سار عليها مؤرخو وجغرافيو الأندلس ، لهذا السبب توجد صعوبة في حصر الذين اهتموا ، واشتغلوا في الجغرافيا كميدان تخصص لوحده .

والجغرافية التي ساهم بها أحمد بن محمد الرازي هو تناوله في مقدمة كتابه " أخبار ملوك الأندلس" بالحديث عن جغرافية الأندلس من خلال التطرق إلى تحديد موقع شبه الجزيرة الايبيرية من الأقاليم السبعة في العالم ، فذكر أنها تقع في الإقليم الرابع ، ثم تحدث عن هيئة ، وشكل خريطة شبه الجزيرة ، ثم الحديث عن مناخها ، وحدودها وأنهارها ،وجبالها هذا فيما يخص بالجغرافيا الطبيعية للأندلس، ثم ينتقل إلى الجغرافيا السياسية ، والبشرية ،فيتحدث عن تقسيم الأندلس من كور، ومدن ، وأقاليم ....وهكذا[3] ، ويقول المؤرخ المقري التلمساني أن أحمد بن محمد الرازي قد ألف كتباً جمة منها كتاب ضخم تحدث فيه عن مسالك الأندلس ، ومراسيها ، وأمهات مدنها (...)

---

[1] حسين مؤنس ، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس** ، مكتبة مدبولي ، ط2 ، 1986 ، ص ص 1 ،59 . حضباك شاكر، **الجغرافيا عند العرب** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، بيروت ، 1986 ، ص 18 .

[2] ومن كتبه في هذا المجال "كتب التاريخ السبعة في الرد على الوثنيين " ، ويتناول هذا الكتاب تاريخ الروم وأخبار ملوكهم الأوائل ، وهو من جملة الكتب التي أهداها قسطنطين السابع المعروف ببورفيروجينيتوس(914-919م) وَ(945- 959م) امبراطور بيزنطا إلى الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر (300 – 350هـ/912 -961م) في سفارة بعثها إلى الأندلس إما الأولى في سنة 336هـ/947م ، أو الثانية في سنة 338هـ/948م . مع هدايا أخرى .حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ص 34 – 35 .

[3] نفسه ، ص 59 وما بعدها .

وخواص كل بلد منها ، وما فيه مما ليس في غيره ، وقد وصف هذا الكتاب بأنه مريح مليح[1]، ويُعتقد بأن هذا الكتاب هو نفسه المعنون بأخبار ملوك الأندلس .

ولقد تأثر الدارسون للجغرافيا ، والمشتغلون بها من الأندلسيين منذ العصر الأموي بما ورد في كتاب هيروشيش من معلومات حول جغرافية الأندلس ، وأضافوا إليها ما اكتسبوه من معارف ، ومعلومات تحصلوا عليها من تجاربهم ، ورحلاتهم ، ومشاهداتهم[2] .

والباحث في كتب التراجم والطبقات لرصد واحصاء أهم العلماء الجغرافيين الأندلسيين في عصر الامارة يصطدم بحقيقة مفادها قلة أو ندرة –ان صح التعبير والحُكم – الجغرافيين في هذه الفترة ، فالأندلس في هذا العصر المبكر افتقدت إلى جغرافيين بارزين يمكن الاشارة إليهم ، وهذا لاهتمام أصحاب كتب التراجم ومعاجم الرجال والشيوخ ، للعلماء المختصين في العلوم الدينية والأدبية ، ولم يبد الأندلسيون الاهتمام بالجغرافيا ، والتأليف فيها بوجه مستقل إلا بداية من عصر الخلافة[3] .

ويُعتقد بأن الأندلسيين في هذه الفترة اكتفوا بالكتب الوافدة إلى الأندلس من المشرق لسد هذا الفراغ ، خاصة إذا عُلم بأن بعض الأمراء الأندلسيين ، ومنهم مثلًا الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ/822-852م) قد كلف بعض وسطائه بجلب أهم نفائس الكتب من المشرق في مختلف العلوم والفنون ، وكذا الآثار الثمينة من بغداد[4] .

وفي عصر الخلافة الأموية صُنف أبو عبد الله محمد بن يوسف الوارق الملقب بالتاريخي(عاش بين291-362هـ /903-972م)[5] كعميد للجغرافيين في الأندلس والمغرب، والذي ألف للحكم المستنصر(350-366هـ/ 961-976م) كتابًا ضخمًا في مسالك افريقية وممالكها ، وألف كذلك في أخبار تيهرت، وهران ، تنس سجلماسة ، نكور ، والبصرة[6] ، وغيرهم[7] .

---

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 11 .

[2] خميسي بولعراس ، المرجع السابق ، ص183 .

[3] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 309 .

[4] جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص230. محمد سهيل طقوش ، التاريخ الاسلامي الوجيز ، ص 163 .

[5] أصله من وادي الحجارة ، ونشأ بالقيروان ، رحل إلى قرطبة وبها توفي ودفن . الحميدي ، المصدر السابق ، ص 97.الضبي ، المصدر السابق ج1 ، ص ص 182 – 183 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج7 ، ص 148 .

[6] يقصد بها بصرة المغرب ، تقع بين طنجة وفاس ، تعد أكثر النواحي من حيث المراعي ، ولكثرة ألبانها اشتهرت ببصرة الذِبَّان ، وتعرف أيضًا ببصرة الكتان ، كما اشتهرت بالحمراء لأنها حمراء التربة ، وهي مدينة محدثة بناها المسلمون .البكري ، المسالك والممالك ، ج2 , ص ص 788- 789 .

[7] الحميدي ، المصدر السابق ، ص97 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج7 ، ص 148.

ويبدو أن محمد بن يوسف الوراق اعتمد في تأليفه لكتاب مسالك افريقية وممالكها على الرحلة ، إذ كان مقيمًا بالقيروان ، وقد كتب هذا المصنف وهو في الأندلس ، لهذا وظف خبرته الشخصية ، وعلى سماعه خاصة من شيخيه أبي بكر أحمد بن مخلوف الفاسي ,ومحمد بن قاسم(ت340هـ/951م)[1] .

والملاحظ في الكتابات الجغرافية الأندلسية أن وصف المسالك والممالك تمتزج بذكر تواريخ المدن ، ونشأتها كما هو الحال عند الوراق عندما عرف المدن المغربية ، وإذا كان السؤال يُطرح حول ما فائدة وصف الوراق ممالك ومسالك افريقية للأندلسيين ؛ فالمؤرخ حسين مؤنس يجيب بأن الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)كان هدفه من تكليف الوراق بهذا العمل والتأليف فيه هو معرفة شؤون المغرب ، ومحاولة فهم وادراك مغزى أطماع الفاطميين للسيطرة ، وبسط نفوذهم عليه ، ولم يجد في ذلك الوقت أفضل من القيرواني القرطبي الوراق بتاريخ المغرب ، ومعرفة مسالكه[2] .

وتكمن أهمية ما كتبه محمد بن يوسف الوراق في ميدان الجغرافيا أنه المصدر الأساسي من حيث المعلومات الجغرافية للعديد من الجغرافيين سواء في الأندلس ، أو في المغرب على حد سواء الذين سيأتون من بعده ، وأبرز هؤلاء أبو عبيد البكري(ت487هـ/1094م)في كتابه المسالك والممالك ، وكذلك استفاد منه ابن عذارى المراكشي(كان حيًّا سنة 712هـ/ 1312م) في كتابه البيان المغرب في نقله لأخبار العبيديين ، ومسيرهم إلى سجلماسة ، والتعريف بهذه المدينة ، والتعريف بمدينة نكور ...الخ[3] .

وتصدر في عصر ملوك الطوائف من الجغرافيين الأوائل أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي[4] (ت476 أو 478هـ/1083أو 1085م) وقد ترجم له ابن بشكوال وصنفه على أنه محدث أكثر منه تاريخي أو جغرافي[5] ، لكن الحميدي يضيف على ابن بشكوال في ترجمته عبارة ملفتة للانتباه حول مساهمة هذه الشخصية في ميدان الجغرافية والتاريخ ، فهو لما يتطرق إلى رحلته إلى المشرق يقول بأنه لما حل بمكة للسماع من شيوخها والوافدين إليها : "كتب هناك قطعة كبيرة من المصنفات والتواريخ ، وسمعنا منه بالأندلس"[6].

---

[1] عبد الواحد ذنون طه ، تراث وشخصيات من الأندلس ، ص 83 .

[2] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 73.

[3] نفسه ، ص 73 وما بعدها .

[4] نسبة إلى دلاية وهي قرية قريبة من المرية وتابعة لها من سواحل الأندلس . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص460 . عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص 236 .

[5] وهو من أهل المرية ، يكنى بأبي العباس ، ولد سنة 393هـ/1002م ، رحل إلى المشرق مع أبيه سنة407هـ/1016م ، وسمع بالحجاز ، سمع الناس منه كثيرًا ، وحُدث عنه . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 116 – 117 .

[6] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 137 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 243 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 81.

ومن مؤلفات العذري في الجغرافيا التي نسبت إليه كتابه " نظام المرجان في المسالك والممالك" ، الذي نُقلت عنه بعض المواد في كتاب المسالك والممالك للبكري ، ونزهة المشتاق للادريسي ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي[1] ، ومما يؤسف له أن معظم كتب العذري سواء في الحديث ، أو في التاريخ ، أو في الجغرافيا قد ضاعت ولم يبق منها إلا كتابه ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك وهذا الكتاب لا يمثل إلا عُشر الكتاب الأصلي الذي ضاع معظمه .[2]

وتطرق العذري في كتابه هذا إلى وصف المدن ، وذكر تواريخها ، واعتمد في تاريخه على ما كتبه أحمد بن محمد الرازي (ت344هـ/955هـ) ، وابنه عيسى(ت379هـ/989م) ثم يصل تلك الأخبار بأحداث عصره ، ولقد أسهب العذري في تعريفه للأماكن ، واتخذ منهجًا خاصًا في ذلك يختلف عن سابقيه من الجغرافيين ، فقد قسم العذري كتابه إلى ما يشبه الفصول ، وفي كل فصل يتحدث عن كورة من كور الأندلس ، ثم الحديث عن الطرق التي تربط تلك الكور ببعضها البعض ، ثم المدن التابعة لكل كورة ، وكذلك الحديث عن أقاليم الكور كل على حدى[3] .

ومن الجغرافيين المشهورين الأندلسيين في ذلك العصر عبد الله بن عبد العزيز بن محمد المشهور بأبي عبيد البكري (ت487هـ/ 1094م)[4]، والذي يمكن القول في حقه بأنه أول جغرافي أندلسي مختص، وأبو عبيد البكري هو من تلاميذ الجغرافي أبي العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري المتقدم ذكره ، ويصنف ضمن العلماء الموسوعيين ، إذ كان يورد ضمن أهل الأدب واللغة ، ومعاني الشعر، وعلم الأنساب ، والأخبار فضلًا عن تبحره في علم الجغرافيا[5] .

---

[1] ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ج2، ص 460 .أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 315 . عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ص 83 .

[2] وقد قام بتحقيقه عبد العزيز الأهواني سنة 1965 بمدريد .نفسه ، ص 111 .

[3] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 84 وما بعدها .

[4] وهو من عائلة جاه وشرف ، ولد بشلطيش (غرب اشبيلية) ، ثم رحل إلى بقرطبة ، وأقام بها ، وأجازه الحافظ أبو عمر بن عبد البر النمري (ت463هـ/ 1070م) ، وأخذ عن المؤرخ أبي مروان بن حيان(ت469هـ/1079م) وغيره ، تنقل بين مدن الأندلس ، فمن قرطبة انتقل إلى المرية في عهد المعتصم محمد بن معن بن صمادح (443-484هـ/1051-1091م) , ثم إلى اشبيلية في عهد المعتمد بن عباد (461-484هـ/1069-1091م) ، ورجع إلى قرطبة بعد دخول المرابطين إليها ، وكان يحب الكتب حبًا جمًا فقد كان يحفظها في قماش غال. ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق2 ، م1 ، ص ص 233 – 234 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص437 . ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ص 269 – 270 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 98 . أحمد رمضان أحمد ، **الرحلة والرحالة المسلمون** دار البيان العربي ، جدة ، (د.ت) ، ص 148 .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص437 .

ومن الكتب التي ألفها في الجغرافيا واشتهر بها البكري : كتاب "المسالك والممالك " ، وكذلك مصنفه المعنون بـ"معجم ما استعجم من البقاع والأماكن" وهو قاموس لغوي وجغرافي ، رتبه بحسب الحروف الهجائية[1]، وإذا كان من المعلوم بأن البكري لم تكن له رحلة خارج الأندلس ، فمؤلفاته تلك هي حصيلة جمع ، وتصنيف مؤلفات غيره ممن سبقوه ، فقد أخذ عن مؤلفات بطليموس في الجغرافيا عند حديثه عن محيط الأرض ، وقطرها وما إلى ذلك وأخذ عن كتاب هيروشيش في حديثه عن مسالك أوروبا ، والتعريف بالروم ، كما أخذ عن مؤلفات أستاذه أحمد بن عمر العذري[2] .

ويتميز التأليف الجغرافي للبكري بالدقة من حيث ذكر الأعلام ، وحرصه على التثبت من أسماء الأماكن من مدن وجزر وغيرهما ، وكذلك قدرته على تنظيم المادة الجغرافية وتصنيفها ، فمثلًا في كتابه معجم ما استعجم رتب مواده في التعريف بالمدن والأماكن بحسب ترتيب الحروف الهجائية (ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ....الخ)[3] .

مما سبق ذكره نستنتج أن الجغرافي الأندلسي كان في نفس الوقت مؤرخ ، فقد امتزجت المادة المعرفية الجغرافية مع سرد الأحداث التاريخية في كثير من المصنفات الجغرافية السالفة الذكر كالتي ألفها آل الرازي ، والوراق التاريخي ، والعذري ، والبكري ، وهي ميزة الكتابة ، والتدوين الجغرافي للعصر محل الدراسة ، زيادة على ذلك فقد استفاد الجغرافيون الأندلسيون من ترجمة الكتب والمصنفات اللاتينية ككتاب هيروشيش ، وتأثروا حتى بمنهجية مؤلفاتهم في هذا التخصص كما رأينا عندما نقل البكري في مقدمة كتابه المسالك والممالك المعطيات التي قدمها بطليموس حول أبعاد محيط الارض وقطرها وغيرها من المعلومات .

3)– الفلسفة : كان هذا العلم في الأندلس ممقوتًا سواء لدى العامة أو لدى الخاصة من الحكام أو الفقهاء، لأنه كان يُعتقد بأن مواضيع الفلسفة ، ومناهجها في البحث تؤدي إلى استنتاج أفكار مخالفة للدين ، ولا يجوز الخوض فيها فهي محضورة وتنافي العقيدة الاسلامية بحسب رأي الفقهاء انطلاقًا من موقفهم من بعض المذاهب الفلسفية كالمعتزلة ، القدرية ، والجيرية ، وغيرها خاصة من طرف فقهاء المالكية ، لهذا يعد من هذا المنظور كل من يشتغل بهذا العلم زنديقًا خارجًا عن الاسلام[4] ، فقد وجد الفلاسفة أو على الأقل طلابها معارضة شديدة من طرف

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 26 .

[2] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص ص 310– 311 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ،ص ص 134 – 236 . عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 83 . زكي محمد حسن ، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى** ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981، ص45 .

[3] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 310 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ص 126 ، 138 .

[4] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 66 .

السلطة الحاكمة بتأليب من طبقة الفقهاء ، وكذلك سخرية واحتقار العامة ، لهذا لم تكن الفلسفة موضع تقدير لدى العامة والخاصة ، وقد تؤدي بطالبها إذا افتضح أمره إلى حد القتل من طرف الحاكم[1] .

وعلى الرغم من ذلك إلا أنه وُجد في الأندلس بعض من اهتموا ، واشتغلوا بهذا العلم من بعض العلماء والمفكرين ابتداءً من العصر الأموي[2] ، فقد شهد إقبال الأندلسيين إلى مختلف العلوم غير الدينية ، والأدبية ، ومن ضمن تلك العلوم كان علم الفلسفة ، لكن هذا الإقبال كان محدودًا وحذرًا ، إذ لم يستطع بعض المشتغلين بالفلسفة إظهار أفكارهم ، وآرائهم ، ونظرياتهم الفلسفية للعلن مخافة التتبع ، لهذا كانت مصنفاتهم تخفى ويتبادلها طلاب هذا العلم بسرية[3] .

وعلى أساس ما سبق من تتبع ومضايقة للفلاسفة ، كان تدريس مادة الفلسفة غير متاح للجميع ، وإنما لطبقة خاصة في مرحلة دراسية معينة ، وعند توفر شروط محددة للطالب المتلقي لهذه المادة ، ولا يدرك توافر هذه المعطيات جُملةً إلا الأستاذ الفيلسوف ، ودليل ذلك هذا النص الذي أفرده المستشرق خوليان نقلًا عن بعض المصادر التي لم يصرح بها يتحدث فيه عن أحد مجالس التدريس ، وهو يعبر بذلك عن توقيت المرحلة التي تتوافر فيها كل هذه الشروط ، إذ يقول في هذا النص :" أن شخصًا من أسرة بني زهر الشهيرة رأى ذات يوم كتابًا في المنطق بين يدي أحد طلابه الذين يترددون على بيته لدراسة الطب ، فأخذ الأستاذ الكتاب ، وألقى به في جانب من القاعة ، وجرى وراء الطلاب في عبوس غاضب ، وقرر أن يعاقبهم ، وتسلل الطلاب (...) واحدًا وراء آخر وغابوا عن الدرس عدة أيام ، ثم استجمعوا شجاعتهم أخيرًا ، وذهبوا إلى الأستاذ ، واعتذروا له بأفضل الطرق عن جرأتهم في إحضار كتاب ممنوع ، وتظاهر ابن زهر بتصديقهم ، وتابع إلقاء دروسه في الطب ، وخصص لهم بعض الوقت لدراسة علوم القرآن ، والسنة ، وطلب منهم أن يعنوا بالمحافظة على شعائر الدين بخاصة ، وأن يتعمقوا في الاحاطة بالمفاهيم الاسلامية ، واستجاب الطلاب لنصائح أستاذهم راضين ، فلما اقتنع بأنهم أصبحوا مهيئين

---

[1] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 70 . وكان يرادف مصطلح الفلسفة ثلاث ألفاظ كلها تشترك في نفس المعنى المقصود ، وكذا المشتغلين بمواضيعها ، فزيادة على الفلسفة كان مصطلح المنطق ، وهو المنهج الذي يتبناه الفلاسفة في تحليلاتهم ، وبه تميز الحق عن الباطل في نظرهم وكذلك هناك مصطلح "علوم الأوائل" الذي وُظف في الكثير من المصادر أثناء التعريف بأحد المشتغلين بالفلسفة في العصور القديمة ، وهي لا تقتصر على الفلسفة فقط ، وإنما كذلك الرياضيات ، علم الفلك ، والطب ، وغيرهم . ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص1080. محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص ص 204-205 .

[2] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 62 ، 64 .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 27 .

تمامًا ، أحضر نسخة من كتاب المنطق الذي سبق أن منعهم من قراءته ، وقال لهم :" الآن وقد أصبحتم مستعدين ، لا أرى مانعًا من شرحه لكم " ، وبدأ يشرح لهم ذلك الكتاب "[1] .

ومن خلال النص السابق يتضح أن دراسة المنطق ، وهو أحد أدوات ، وفروع الفلسفة كان محظورًا حتى على طلبة الطب ، وهم أولئك الذين يدرسون في مرحلة التخصص ؛ أي تجاوزوا المرحلة الاولى الابتدائية والوسطى وبلغوا عمر الشباب هذا أولًا ، وفي هذه نقطة يُلاحظ المرحلة الدراسية المطلوبة ، وكذلك سن الطالب ، وثانيًّا لدراسة المنطق أخذ الشيخ ابن زهر في الحسبان ضرورة إدراك المتعلم علوم القرآن ، وأحكام السنة ، ثم المحافظة على العقيدة ، والالتزام بشعائر الدين ، ثم ثالثًا الاحاطة والتعمق في المفاهيم والمصطلحات الاسلامية ، ثم في خطوة رابعة تأتي دراسة المنطق ، إذا يُلاحظ ثلاث مراحل وشروط احتياطية كان قد قام بها الشيخ لتدريس مادة المنطق ، وهو منهج الفلسفة ، وكل هذا الاحتياط يُفسر بأن الشيخ كان يخاف على تلاميذه الخروج عن العقيدة الاسلامية الذي يؤدي إلى الزندقة والالحاد في حال سوء أو عدم فهم مواضيع الفلسفة ، خاصة تلك التي تتعارض مع العقيدة ، والتوحيد ، والصفات الالهية ، وغيرها .

وعلى الرغم من أن النص السابق قد يعبر عن فترة زمنية متأخرة عن نطاق هذه الدراسة أو يتجاوزها ، فعائلة بنو زهر قد اشتهرت تقريبًا من الربع الأول من عصر ملوك الطوائف إلى عصر الموحدين ، أي بداية من جدهم الفقيه الأديب محمد بن مروان بن زهر(ت422هـ/ 1030م) مرورًا بأبي العلاء زهر بن عبد الملك(ت525هـ/ 1130م) الفيلسوف ، وحكيم عصره في الطب – وربما هو المقصود في النص السابق بحكم التخصص – إلى الشيخ الوزير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر(ت595هـ/1198م) ، إلا أن قيمة النص تعبر عن طريقة وظروف ، ومراحل تدريس مادة الفلسفة في ذلك العصر ، وهو غير بعيد عن نطاق والمجال الزمني للدراسة على الأقل بالنسبة لعصر ملوك الطوائف .

ومن المحاولات المبكرة لدراسة الفلسفة في عصر الامارة(138-315هـ/756-927م) خاصة من طرف العلماء الذين ارتحلوا إلى المشرق سواء للحج أو لطلب العلم ، وقد اتصل هؤلاء ببعض علماء المشرق سواء الفقهاء أو الأدباء وكذلك الفلاسفة أقطاب النحل ، والمذاهب الفلسفية كالباطنية وغيرها ، ما ذكره المستشرق أنخل جنثالث بالنثيا في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي بأن أول أندلسي تكلم في الاعتزال هو طبيب وأديب قرطبي مجهول الاسم كان قد رحل إلى المشرق في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وحضر بعض مجالس الدروس في العراق ، ولما عاد إلى الأندلس بدأ بنشر كتب الجاحظ (ت255هـ/869م) ، ومعلوم أن هذا الأخير كان معتزلي

[1] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 70 .

وله أتباع ، وقد اشتهرت فرقة من المعتزلة باسمه وهي الفرقة الجاحظية[1] وكان هو في حد ذاته عالمًا في الجدل والفلسفة ، وعلم الكلام ، وطالع كتب الفلاسفة[2] .

ولقد وُجد في الأندلس بعض أتباع الجاحظية ، ونذكر منهم على سبيل المثال أحد فقهاء الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ/822-852م) ، وهو أبو وهب عبد الأعلى بن وهب القرطبي(ت261هـ أو262هـ /874 أو875م)[3] الذي أُتهم بقوله أن الأرواح تموت كما تموت الأبدان ، لهذا ألب الفقيه يحي بن يحي الليثي (ت 234هـ/848م) عليه الأمير عبد الرحمن الاوسط ، واتهمه بالزندقة ، وبأنه من أتباع المعتزلة القدرية[4] ، وكان لا يعتد في بعض الأحيان بفتواه[5] ، وأحمد بن عبد الله الحبِيبي (ت333هـ/ 944م)[6].

وممن اشتهروا كذلك بالاعتزال خليل بن عبد الملك بن كليب المعروف بخليل الفضلة(عاش في القرن الثالث الهجري/ التاسع الهجري)[7]، الذي كان يقول بالاستطاعة والقدرية ،وهو صديق المحدث الأندلسي محمد بن وضاح بن بزيغ (ت287هـ/900م) ، ولما علم هذا الأخير بأفكاره في الاعتزال ، هجره وقاطعه ، ولقد استطاع خليل بن عبد الملك أن يجد له أتباع وتلاميذ في مذهبه ، وكان منهم مثلًا أبو بكر يحيى بن يحيى بن السمينة(ت315هـ/ 927م) ، ولما توفي خليل قام الفقهاء بإخراج كتبه ، وإحراقها إلا تلك التي تتعلق بالفقه والمسائل[8] .

---

[1] ومن أقواله في الاعتزال أن المعارف كلها ضرورية في الطباع ، وليس شئ من ذلك في أفعال العباد ، وقوله في أهل النار بأنهم لا يخلدون عذابًا بل يصيرون إلى طبيعة النار ، وأن الايمان بالله موجود في طبائع البشر بدون استثناء ...الخ . الشهرستاني ، المصدر السابق ، ص ص 59- 60 . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 470 . عمر رضا كحالة ، **معجم المؤلفين** ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، بيروت ،ج4 ، 1993 ص582 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج5 ، ص74 .

[2] ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج5 ،ص 2102 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 325 . عبد المنعم الحفني ، المرجع السابق ص 131 .

[3] قرطبي ، رحل إلى المشرق فسمع بالمدينة المنورة ، ومصر ، والقيروان ، وعاد إلى الأندلس مفتيًا ، فقيهًا ، وكان مشاورًا في الأحكام مع مجموعة من فقهاء عصره وله باع في علم النحو واللغة , سمع منه الكثير من العلماء الأجلاء الأندلسيين منهم المحدث محمد بن وضاح (ت287هـ/ 900م)،وغيره . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 280 وما بعدها .

[4] و يطلق عليهم أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية والعدلية ، وهم الذين نسبوا التقدير إلى أنفسهم لا إلى الصانع المولى عز وجل ، إذ قال أصحابها أن الله ليست له قدرة ، ولا إرادة ، وإن أفعال العبادة مخلوقة لهم . الشهرستاني ، المصدر السابق ، ص 34 . عبد المنعم الحفني المرجع السابق ، ص315.

[5] نفسه ، ق1 ، ص ص 281 – 282 .

[6] قرطبي ، يكنى بأبي القاسم ، سمع من بقي بن مخلد (ت276هـ/889م) ، وابن وضاح(ت287هـ/900م ، والخشني(ت361هـ/971م) وحدث عنه أبو الوليد الباجي(ت474هـ /1081م) ، وغيره . نفسه ، ق1 ، ص 34 .

[7] ويُسميه أنخل جنثالث بالنثيا بخليل الغفلة . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 325 . وهو قرطبي ، له رحلة إلى المشرق . ابن الفرضي المصدر السابق ، ق1 ، ص 139 .

[8] نفسه . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 325 .

والملاحظ أن الفلسفة لم تنتشر في الأندلس كمادة علمية صريحة ، وإنما كانت تدرس ضمن العلوم الطبيعية والرياضية جملة كالفلك ، والطب ، والحساب ، لهذا يلاحظ في تراجم العلماء المشتغلين في هذه العلوم بأن لهم مشاركة كذلك في صناعة المنطق ، كما أن الدور السياسي كانت له بصمة أو حتى يد في نشر بعض المذاهب الفلسفية ، فقد ساعد انتشار المذهب الباطني بالمغرب الاسلامي في منتصف القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي بفضل تشجيع العبيديين الشيعة ، مما ساعد على وجود بعض المشتغلين بهذا المذهب من الأندلسيين الذين ارتحلوا إلى المغرب ، ثم عادوا وقاموا بنشره في الأندلس ، فقد ذُكر بأنه كان شيخ مجهول من شرق الأندلس أمر عبد الرحمن الأوسط بصلبه سنة 237هـ/851م لأنه تكلم بآراء الباطنية في بعض مواضيع الدين ، فقد ادعى النبوة ، وتأول القرآن على غير تأويله ، فاتبعه بعض الغوغاء[1] .

واشتهر كذلك بالأندلس أسرة اعتنت بالفلسفة وهي آل مسرة ، فكان أحد أساتذتها المعروف بعبد الله بن مسرة(ت286هـ/899م) والذي تكرر اسمه في الكثير من تراجم العلماء الذين أخذوا عنه في كتب الطبقات والتراجم وعلى الرغم من أن شهرته كقطب من أقطاب العلم بعد رحلته الأولى مع أخيه التاجر إبراهيم إلى المشرق حيث سمع بالبصرة وسكن بها مدة ، وسمع بمكة ، وكانت شهرته بها واسعة ، وبها توفي في رحلته الثانية ، إلا أنه أُتهم بالقدرية[2] .

ولقد أنجب عبد الله ابنه محمد(ت319هـ/931م) الذي ذاع صيته بالأندلس ، وكان أحد مؤسسي المدرسة الافلاطونية بها ، ولقد أخذ محمد المتقدم ذكره عن أبيه علوم الدين والفلسفة ،ومن محمد بن وضاح وغيرهما ،وقد أُتهم بالزندقة فخرج فارًا من الأندلس إلى المشرق أواخر أيام الأمير عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م) والتقى بأهل المعتزلة ، وعلم الكلام ، ولما عاد إلى الأندلس أظهر نفسه على طريقة من الزهد والعبادة فاغتر به بعض الأندلسيين ، وكان بليغًا ، واستطاع أن يجد له أتباعًا وتلاميذ ، وقد حدث عنه الأندلسيون[3] ، ومما يؤخذ على محمد بن مسرة أنه يؤمن بالاستطاعة ، وتحريف تفسير الكثير من مواضع القرآن الكريم ، وقد رد عليه بعض العلماء في زيف هذا المعتقد ، ومنهم على سبيل المثال الفقيه والمحدث أحمد بن خالد المعروف بالحباب (ت322هـ/ 933م)[4] الذي كتب في حقه صحيفة للرد على محمد بن مسرة وبطلان معتقده وآرائه[5] .

---

[1] نفسه ، ص 326 .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 217 – 218 .

[3] نفسه ، ق2 ، ص ص 39 – 40 . الحميدي ، المصدر السابق ، ص 63 . الضبي ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 120.

[4] من أهل قرطبة ، جياني الأصل ، يكنى بأبي عمر ، ولد سنة 246هـ/860م ، سمع من علماء بلده ، ثم رحل إلى المشرق ، فسمع بمكة وصنعاء ، ثم قدم الأندلس ، فكان إمام وقته في الفقه ، والحديث ، توفي بقرطبة . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 31 .

[5] نفسه ، ق2 ، ص 40. أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 327 .

وفي عصر الخلافة كان حظ الفلسفة أوفر من العصر الذي سبقه ، وهذا راجع لطبيعة شخصية الخليفتين عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-961م)، والحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م) الذين كانا أكثر انفتاحًا من الأمراء السابقين، ففي عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر اشتهر القرطبي يحيى بن يحيى بن السمينة (ت315هـ/927م) الذي كان عالمًا موسوعيًّا في مختلف العلوم من فلسفة ، وفقه ، وحديث ، وتاريخ ، وشعر ونحو ، ولغة ، وكذلك في الطب ، وعلوم النجوم ...الخ ، وقيل أنه كان معتزلي المذهب[1] ، واشتهر في فترة حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر من الفلاسفة مثلًا محمد بن اسماعيل المعروف بالحكيم (ت331هـ/942م) فقد كان عالمًا بالمنطق والحساب[2]، كما كانت للفقيه والقاضي منذر بن سعيد البلوطي(ت355هـ/965م) مشاركة في الفلسفة فقد كان معتزلي ، وله تلاميذ يقولون بقول ابن مسرة ، وكان ابنه الحكم(ت410هـ/1019م) رأس المعتزلة في الأندلس[3] .

و قام الحكم المستنصر في خلافة أبيه عبد الرحمن الناصر بانتداب من يجلب له نفائس الكتب في مختلف العلوم ، وشجع العلماء والحركة العلمية بالأندلس سواء في ظل حكم أبيه أو في فترة توليه هو ، لهذا اشتغل بعض الأندلسيين في هذه الظروف من خلال الاقبال على علوم الأوائل ومن ضمنها علم الفلسفة ، وممن اشتغل بهذا العلم محمد بن مفرِّج المعافري المعروف بالفَنِي (ت371هـ/981م) ، وأحمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجة الأنصاري(ت376هـ/ 986م)[4]، وأبان بن عثمان بن سعيد بن المبشر اللخمي (ت377هـ/987م)[5]، وعبد العزيز بن حكم بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (ت387/997م)[6]، وهؤلاء جملة وغيرهم يمثلون مدرسة ابن مسرة الجبلي في عصر الحكم المستنصر ، واشتهروا بالتشريق لأنهم لا يولون وجوههم في الصلاة باتجاه القبلة ، وإنما نحو الشرق الفلكي ، ووجد هؤلاء معارضة شديدة من قبل الفقهاء بعد أن تغلب المنصور بن أبي عامر(326 – 392 هـ/938 –1002م) ، وقام هذا الأخير بإحراق معظم مكتبة الحكم المستنصر خاصة منها كتب الفلسفة والمنطق, وعلوم الأوائل, ماعدا كتب الطب, والحساب, وبطبيعة الحال كتب اللغة، النحو

---

[1] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 65. المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج4 ، ص 178 .

[2] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص65 .

[3] من أهل قرطبة ، يكنى بأبي العاصي ، روى عن أبيه وغيره ، رحل إلى المشرق فأخذ بمكة ، وهو أديب ، سكن طليطلة ، وتوفي بمدينة سالم . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 239-240 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 331 .

[4] من أهل بجانة ، يكنى بأبي عمر، ويعرف بابن أخت عبدون ، له رحلة إلى المشرق ، فسمع بمصر. ابن الفرضي، المصدر السابق ، ق1 ،ص53.

[5] من أهل شذونة ، يكنى بأبي الوليد ، وكان أيضا نحويًّا ، لغويًّا ، شاعرًا ، توفي بقرطبة. نفسه ، ق1 ، ص22. الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ص 292 .

[6] من أهل قرطبة ، يكنى بأبي الأصبغ ، ولد سنة 310هـ/922م ، وكان كذلك أديبًا ، عالما في النحو ، والغريب ، شاعرًا ، متكلمًا .ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص279 .

والأشعار ، التاريخ ، الفقه ، والحديث ، ورمى بعضها في آبار القصر وقبرها بالتراب والحجارة ، وما فعل هذا إلا ليكسب رضى الفقهاء والعامة [1] ، وتتبع تلاميذ وأصحاب مدرسة ابن مسرة الفلسفية ، وكان من هؤلاء على سبيل المثال سعيد بن فتحون بن مكرم سعيد بن فتحون المعروف بالحمار السرقسطي[2] ، الذي ألف مجموعة من الرسائل الفلسفية دلت على تمكنه في هذا العلم ، منها مدخلًا إلى الفلسفة سماه " شجرة الحكمة "[3]، فقد سجن ، وبعد إطلاق سراحه خرج عن الأندلس ، وقصد صقلية ، وبها توفي ، وكذلك محمد بن أبي جمعة ، الذي قطع المنصور لسانه ، وصلبه ، وعبد العزيز بن الخطيب الذي عزله من طبقة خاصته ، وأمر بضربه خمسمائة سوط ، ثم سجنه ونفاه من الأندلس[4] .

وعلى الرغم من هذه الظروف إلا أنه استطاع الفيلسوف والطبيب مسلمة بن أحمد المجريطي(ت398هـ/ 1008م)[5] أن يدخل بعض الكتب الفلسفية إلى الأندلس ، كما ألف في الفلسفة بعض المصنفات ، فقد قيل بأنه هو من ألف رسائل إخوان الصفا الفلسفية على منهج كتابهم " تحفة إخوان الصفا "[6] .

---

[1] نفسه ، ق1، ص53 .صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 66-67 . ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص392 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص181 .خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ص 198 – 199 .

[2] يكنى بأبي عثمان ، كان إماماً في علم النحو ، واللغة ، وتصرف في المنطق ، وله تأليف في الموسيقى ، ورسالة في تعديل العلوم ، وألف شعر في ذم الناس للمنطق .ابن حزم الأندلسي ، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ، ص 185 . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 68-69 . الحميدي ، المصدر السابق ، ص 233 الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص399 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج4 ، ص 20 .

[3] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص68 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 331 .

[4] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص393 .

[5] من أهل قرطبة ، يكنى بأبي القاسم ، ولد وتوفي بمجريط ، فيلسوف ، رياضي ، وفلكي ، عالما بالفرائض ، وصف بأنه إمام الرياضيين بالأندلس وأوسعهم إحاطة بعلم الفلك وحركات النجوم ، ومن مؤلفاته : " رتبة الحكيم " ، " غاية الحكيم" ، "ثمار العدد المعروف بالمعاملات" ، " اختصار تعديل الكواكب" ...الخ . صاعد ، المصدر السابق ، ص 69 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص899. ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 482-483. المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص20 ،ج8 ، ص ص 28-29. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج7 ، ص 224 .

[6] نفسه .وهذه الجماعة التي تسمى إخوان الصفا وخلان الوفا ، هم من الفلاسفة الذي اعتنقوا الباطنية الاسماعيلية الشيعية ، ظهرت هذا الجماعة في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، ألفوا اثنان وخمسون(52) رسالة سموها " تحف إخوان الصفا " أو "رسائل إخوان الصفا" جمعوا فيها أفكارهم وآرائهم في الالهيات ، والنفسيات ، والأخلاقيات ، كما تحدثوا فيها على الأساليب والوسائل المتبعة لنشر دعوتهم بين الناس، ونادى هؤلاء بالتوفيق بين علوم الشريعة وبعض الأفكار الفلسفية الوثنية ، وزعموا أن لنصوص الشريعة معانِيَ ظاهرةً وباطنةً ، وأن تلك المعاني الباطنة لا يَعقِلها إلا كبار الفلاسفة ، الذين توازي منزلتُهم منزلةَ الأنبياء .جبور عبد النور ، **إخوان الصفا** ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، 1983،ص25.

وبعد الفتنة البربرية التي حدثت في الأندلس (399-403هـ/1008-1012م)أصاب كتب الفلسفة ما أصاب مختلف كتب العلوم الأخرى ، فقد نهبت معظم خزائن الكتب ، وأحرقت ، وأتلفت محتوياتها ، وتعرضت للسرقة ، فضاع رصيد كبير منها[1] .

وبدخول عصر ملوك الطوائف برز بعض أساتذة الفلسفة ، ومنهم على سبيل المثال أبو عبد الله محمد بن الحسن المذحجي(ت قريبًا420هـ/1030م)[2]شيخ ابن حزم الأندلسي(ت456هـ/1063م) ونعته هذا الأخير بالأستاذ ، فقد ألف رسائل في الفلسفة ، وذكرها ابن حزم ، وقال بأنها كانت مشهورة ، ومتداولة بين الأندلسيين ووصفها بقوله :" تامة الحسن ، فائقة الجودة ، عظيمة الفائدة"[3] .

وكان لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت456هـ1064) باع ومشاركة متميزة في الفلسفة ، وهو الذي وصف بالعالم الموسوعي ، فقد برع في صناعة المنطق كمادة فرعية من مواد الفلسفة ، وألف فيه كتابًا بعنوان :" التقريب لحد المنطق ، والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية " ، حيث بسَّط ، وأوضح فيه طرق المعارف والتحصيل لما يوافق الفقه والشريعة الاسلامية طبقًا ووفقًا لمذهبه الظاهري[4] ، ولقد زاد تبحره في مختلف العلوم والمعارف خاصة منها في علم اللسان ، وتمكنه في البلاغة ، والسيِّر ، والأخبار ، واطلاعه على علوم الأوائل بأن يكون قطب من أقطاب المنطق والفلسفة بالأندلس .

ولقد ساهم ابن حزم في ميدان الفلسفة الأخلاقية والمنطق[5] ، وكانت له أبحاث في مشروعه لتجديد الفكر الاسلامي بإثراء إشكالية سبب الوجود الانساني ، واستثمار حقيقة معنى الحياة ، فيرى أن الفلسفة والمنطق لا

---

[1] عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 310 .

[2] من أهل قرطبة ، ويعرف بابن الكتاني ، طبيب وعالم بالنجوم والفلسفة ، ومشاركة في الأدب ،الشعر ، والمنطق ، وانتقل بعد الفتنة البربرية بقرطبة إلى سرقسطة ، ومن مؤلفاته كتاب " محمد وسُعدى" ، "كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس" . الحميدي ، المصدر السابق ، ص49 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص94 . ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ،ج1 ، ص309 . خير الدين الزركلي، المرجع السابق ، ج6 ص 82 .

[3] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 185 .

[4] أنظر : ابن حزم الأندلسي ، التقريب لحد المنطق ضمن رسائل ابن حزم ، ج4 ، ص 93 وما بعدها .

[5] وألف في هذا الميدان عدة كتب ومنها طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة والألاف ، الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، فصل في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها ، وغيرها . ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة والألاف ، ص143 . ابن حزم الأندلسي الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، ص 105 وما بعدها . ابن حزم الأندلسي ، **فصل في معرفة النفس بغيرها وجهلها ضمن رسائل ابن حزم 384-456هـ** ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، بيروت 1987 ، ج3 ، ص36 وما بعدها .

تتناول الكفر والالحاد كما شاع لدى الأندلسيين في عصره ، وإنما هي وسيلة لتمييز الحقائق ، وليس كل إنسان له العقل الذكي ، وقدرة الفهم الذي يستطيع تمييز هذه الحقائق في دينه ، وعلمه ، وحياته بصفة عامة[1] .

وساهم في هذا العصر بعض الأندلسيين في نشر علم الفلسفة وكتبه ، ومنهم على سبيل المثال أبي مسلم بن خلدون(ت449هـ/1057م) ، الذي اشتهر بإشبيلية بتمكنه في علوم الفلسفة ، وتخرج على يديه بعض الأندلسيين[2] ، وعلى الرغم من أن القرطبي أبا الحكم عمر بن عبد الرحمن الكرماني(ت458هـ/ 1065م)[3] لم يكن من فلاسفة الأندلس ، إلا أن المؤرخ صاعد الأندلسي(ت462هـ/1069م) يقول بأنه هو أول من أدخل رسائل إخوان الصفا ، وقام بنشرها بالأندلس بعد عودته من المشرق[4] .

ومما يلاحظ في عصر ملوك الطوائف أنه قلت فيه المضايقات ، والتشدد على أهل الفلسفة ، وطلابها مقارنة مع عصر الامارة ، وسنوات تغلب العامريين ، وربما كان للعامل السياسي الدور المؤثر في ذلك[5] ، لانشغال ملوك الطوائف بالحروب والتوسع على حساب بعضهم البعض ، وكذلك سياستهم في تقريب العلماء واستقطابهم لممالكهم وتنافسهم في ذلك ، لهذا ساد في الأندلس نوع من التسامح للدارسين والمشتغلين بالفلسفة ، وأصحاب بعض الآراء الكلامية.

وبرزت في عصر ملوك الطوائف ظاهرة متميزة تتمثل في شهرة كل مملكة من تلك الممالك بفيلسوف أو أكثر فقد اشتهر في سرقسطة اشتهر ملكها المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود الجذامي (438-475هـ/1046-1082م) بأنه كان عالـمًا مهتمًا بدراسة الفلسفة[6] ، وفي طليطلة أبو الحسن علي بن خلف بن أحمر[7] ، وأبو

---

[1] وديع واصف مصطفى ، ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق ، ص 192 .

[2] ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص485.

[3] رياضي ، وطبيب جراح ، رحل إلى المشرق فقصد الحاضرة حران ، وأخذ علم العدد ، الهندسة ، الطب ، ثم رجع إلى الأندلس ، واستقر بسرقسطة ، وبها توفي . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 70- 71 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 484-485 .

[4] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص71 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 178 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ص 333.

[5] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص67 .

[6] نفسه ، ص75 . محمد سهيل طقوش ، تاريخ المسلمين في الأندلس ، ص 453.

[7] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص75 .

إسحاق إبراهيم بن يحيى التجيبي النقاش المعروف بولد الزرقيال أو بابن الزُّرقالَّة(ت 493هـ/ 1100م)[1]، وفي بلنسية برز أبو زيد عبد الرحمن بن سيد[2].

وكان لأهل الذمة خاصة اليهود منهم دور في البحث، والإثراء ،ومعالجة مواضيع فلسفية هامة ،كقضية التوفيق بين الدين والعقل ، ومن هؤلاء على سبيل المثال ابن حسداي ابو الفضل(كان حيًّا 478هـ/1085م)[3] ،كما ساهموا في إثراء بعض المناظرات العلمية الفلسفية ، كتلك المناظرة التي قامت بين ابن حزم الظاهري(ت456هـ/ 1063م) ويوسف بن النغريلة اليهودي(قتل 459هـ/ 1066م) التي تمحورت حول المسائل ، ودلالات الألفاظ الواردة في التوراة ، ورد ابن حزم على اليهودي في تطاوله على القرآن الكريم ، وألفاظه ، ومعانيه[4] .

مما سبق ذكره يلاحظ أنه على الرغم من المضايقات ، والظروف المفروضة على طلاب علم الفلسفة من طرف الخاصة والعامة ، إلا أنه وجد الكثير منهم برز فيه ، وأثرى الحركة العلمية بمؤلفاته في هذا الميدان كابن حزم الظاهري ، وغيره كما لا يمكن إغفال دور العامل السياسي في مدى انتشار هذا العلم ، والاشتغال به ، ورواج كتبه ، وكثرة طلابه ، وحلقاته العلمية ، والمناظرات في هذا الميدان متوقفة بحسب ثقافة ، ومستوى الحاكم صاحب السلطة ، ومدى تسامحه بتوفير حرية الطلب ، والفكر ، كما هي متوقفة بحسب ظروف العصر ، فقد كان المنصور بن أبي عامر مثقفًا وأديبًا ، لكن رغبة في كسب ود الفقهاء قام بتتبع الفلاسفة والمتكلمين ، وإحراق كتب الفلسفة الموجودة في مكتبة الحكم المستنصر بعد وفاته .

4- التصوف : لمصطلح التصوف الكثير من الدلالات ، ومنها مثلًا أنها مشتقة من الصفا أو الصفة[5] ، كما يقال بأنها مشتقة من الصوف،إذ يغلب على المتصوفة لبسهم الصوف لمخالفة الناس في لبس الفاخر من اللباس[6].

وعمومًا فالتصوف اصطلاحًا هو مذهب الهدف منه تصفية القلب من غير الله ، والصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص العبودية للخالق ، والتجرد عما سواه ، والأصل فيه هو الاعتكاف بالعبادة والانقطاع عن طلب الدنيا ، والزهد عما يقبل عليه الناس من لذة كسب المال ، والبحث عن الجاه ، ومقاطعة الخلق في خلوة

---

[1] من أهل طليطلة ، ويحسب من العلماء المختصين في علم الفلك ، والرياضيات ، انتقل إلى قرطبة ، واستوطنها ، من مؤلفاته " التدبير" في الفلك ، " العمل بالصفيحة الزيجية " ، " المدخل إلى علم النجوم" ...الخ . نفسه ، ص75 .ابن الأبار ، المصدر السابق ، ج1 ، ص120. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 79 .

[2] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص75 .

[3] نفسه ، ص 76 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص113 .

[4] ابن حزم الأندلسي ، رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي ، ج3 ، ص ص 19 ، 41 .

[5] محمد فريد وجدي ، المرجع سابق ، م5 ، ص589 .

[6] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص989 .

للعبادة وشاع هذا الاتجاه في مختلف الديانات ، والأمم السابقة للإسلام في الهند ، والصين ، وغيرهما ، أما في الإسلام فقد شاع ابتداء من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي من خلال إقبال بعضهم على العبادة دون غيرها وهجر العامة ، واتخاذ الخلوة ، فأطلق على هؤلاء اسم الصوفية أو المتصوفة[1] .

وللتصوف بداية ونهاية ومقامات ، فأوله التوفيق والتنبه من سنة الغفلة ، وترك مألوفات النفس ، وهجران أهل السوء ، ومفارقة المكان الذي يُخالف فيه أمر الله تعالى ، والرجوع بالنفس إلى طرق أهل الصلاح[2] ، ولا يمكن الفصل بين التصوف النظري والفلسفة ، لهذا نجد بأن بعض المتصوفة هم فلاسفة في الوقت نفسه ، وهذا ما سيتضح في موضع لاحق ، ونحن بصدد ذكر نماذج لبعضهم .

إن تحديد وضبط بداية ظهور التصوف في الأندلس بدقة يعد ضربًا من المستحيل ، ومن الصعب تحقيقه فقد كانت هذه الظاهرة في عصر الامارة الأموية على شكل فردي شأنها شأن الفلسفة ، ولم تتخذ أي اتجاه أو تيار معين أو طريقة لها أتباع إلى غاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، حيث ظهرت الفرقة المسرية ، وهم أتباع محمد بن عبد الله بن مسرة (ت319هـ/931م) ، والتي اشتهرت كطريقة صوفية أندلسية خالصة[3] .

وعلى مستوى الأفراد ، فمن متصوفة عصر الإمارة على سبيل المثال محمد بن سلمة بن حبيب بن قاسم الصدفي[4] ، وسعدون بن إسماعيل(ت295هـ/907م)[5] ، وعبد الله بن نصر القرطبي (315هـ/927م) الذي كان يؤدب في مسجد أبي علاقة بقرطبة ، وكان ممن يكثر الصوم والصلاة[6].

وفي عصر الخلافة كان محمد بن يحيى الزهري الزاهد المعروف بالإشبيلي(ت325هـ/936م)[7] يجتمع إليه أهل الحسبة ، والمعلمون يقرؤون عليه ، وأبو عبد الله محمد بن أصبغ بن لبيب(ت327هـ/938م أو

---

[1] نفسه ، محمد فريد وجدي ، المرجع السابق ، م5 ، ص 588 .

[2] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 223 .

[3] محمد بركات البيلي ، **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1993 ص 177 .

[4] من أهل تطيلة ، يكنى بأبي عبد الله ، استقضاه الأمير محمد (238-273هـ/852-886م) ببلده ، وأبقاه الأمير المنذر (273-275هـ/886-888م) على ذلك المنصب ، وكذلك الأمير عبد الله (275-300هـ/888-912م) ، له رحلة إلى المشرق سمع فيها ، ثم رجع إلى الأندلس فسمع بقرطبة ، وكان يخاطب الأمراء في وقته . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 12 .

[5] من أهل رية ، يكنى بأبي عثمان ، عالم بالفرائض ، اللغة ، والشعر ، سمع بالأندلس . نفسه ، ق1 ، ص 183 . الحميدي ، المصدر السابق ص235. الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 404 .

[6] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 223 .

[7] من أهل قرطبة ، يكنى بأبي عبد الله ، كان معلم كتاب ، ويدخل على الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر ، ويقبل هداياه .ابن الفرضي المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 44-45 .

328هـ/939م)[1] ممن تكلم في مذاهب العلم الباطني[2] ، وأحمد بن سعيد بن سليمان الصوفي (ت397هـ/ 1006م) الذي حدث عنه طلاب الأندلس[3] ، وكذلك القرطبي أبو أيوب سليمان بن عبد الغافر بن بنج مال الأموي القريشي(ت400هـ/ 1009م) وهو أحد المتصوفة الأندلسيين المشهورين ، حتى أن ابن بشكوال وصفه بأنه خاتمة الزهاد والصلحاء ، ومن أهل الاجتهاد ، والورع[4] ، وكان يلبس الصوف ، ويمشي حافيًّا ، وفقد بصره لكثرة بكائه من خشية الله ، وكان كثير التذكير للموت[5].

وفي عصر ملوك الطوائف اشتهر مثلًا الفقيه ، والمحدث ، وقاضي الجماعة بقرطبة ، وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث (429هـ/1037م)[6] ، الذي كان متصوفًا ، وله اهتمام بأخبار الزهاد ، وصنف مؤلفات في تراجمهم ، وفضائلهم ، ومن مصنفاته في التصوف ، ورجاله "فضائل المنقطعين "إلى الله عز وجل ، و"التسلي عن الدنيا بتأميل خير الآخرة" ، و" فضائل المتهجدين" ، و"التسبيب والتيسير أو التقريب" ، و" الابتهاج بمحبة الله" ، و" المستصرخين بالله عند نزول البلاء" ، وغيرها ، وهو شيخ جيل العلماء الذين أتوا من بعده من أمثال أبي محمد مكي بن أبي طالب المقرئ(ت437هـ/1045م) ، وأبي محمد علي ابن حزم الظاهري(ت456هـ/1063م) ، وأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت463هـ/1070م) ، وأبي الوليد سليمان الباجي (ت474هـ/ 1081م) ، وغيرهم[7] .

ولقد ساعدت عدة عوامل في ظهور الصوفية بالأندلس منها على سبيل المثال لا الحصر[8] :

1)- رحلات بعض الأندلسيين إلى المشرق ، ولقائهم لبعض المتصوفة في المشرق ، مما أدى إلى تسرب ظاهرة التصوف إلى الأندلس بعد عودة هؤلاء المرتحلين ، ومن هؤلاء الأندلسيين الذين تأثروا بالمشارقة ، نذكر على سبيل

---

[1] من أهل استجة ، يكنى بأبي عبد الله ، سمع باستجة ، وقرطبة ، ورحل إلى المشرق فسمع بمكة ، ولما رجع إلى الأندلس لزم الزهد والعبادة وكان عالمًا في الفرائض ، الحساب ، والنحو ، والغريب ، ومعاني الشعر . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 48- 49 .

[2] نفسه ، ق2 ، ص 49 .

[3] وهو قرطبي ، يكنى بأبي بكر ، رحل إلى قرطبة مجاهداً . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 49 -50 .

[4] نفسه ، ج1 ، ص ص 311- 312 .

[5] نفسه . محمد بركات البيلي ، المرجع السابق ، ص ص192- 193 .

[6] يكنى بأبي الوليد ، ويعرف بابن الصفار ،كان من أعيان أهل العلم في الحديث ، والفقه ، وله حظ في اللغة والعربية ، قائلًا للشعر في الزهد والحكمة ، بليغًا في خطابه . الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 384 – 385 . الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 688. ابن بشكوال المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 981-982 .

[7] نفسه ، ج3 ، ص 982 .

[8] نفسه ، ص 174 وما بعدها .

المثال القرطبي أبا عثمان سعيد بن عمران بن مشرف (عاش في صدر عهد الأمير عبد الله) ، وهو من أسرة غنية تصدق بأكثر ماله وخرج حاجًّا ، ودخل العراق ، وأخذ عن علمائها ، وتأثر بعض المتصوفة به[1].

2)- دور بعض المشارقة الوافدين إلى الأندلس خاصة ممن اشتهروا ، أو لهم علاقة بالتصوف ، فقد كان دورهم في بث وانتشار التصوف بالأندلس ، ومن هؤلاء مثلًا طاهر بن محمد بن عبد الله بن حوسي بن إبراهيم المعروف بابن المهند(ت390هـ/999م)[2] وصل الأندلس سنة 340هـ/951م، وله رسائل ومقالات في معاني الزهد على مذاهب المتصوفة ، ولزم ضيعته فكان قليل الاختلاط بالناس في قرطبة[3] ، ومن صقلية دخل إلى الأندلس أبو الحسن علي بن حمزة قبل سنة 440هـ/ 1048م الذي كان يتحدث في الأندلس عن علوم وفنون منها التصوف[4] كما كان أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن الفتح الدمياطي الواعظ يبث الصوفية ، ويدرسها عن شيوخه من المتصوفة ، فقد حدث بحاضرتي طليطلة ، وبطليوس سنة 473هـ/1080م[5] .

3)- دور بعض القضاة المتصوفة –ربما- لاقتناع هؤلاء بأن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وتطبيق حكم الله هو روح التصوف ، فكانت حركتهم صوفية في إطارها الايجابي لا السلبي الانطوائي، ويمثل هذا الاتجاه من العلماء – كما سبق الترجمة له- قاضي الجماعة بقرطبة يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الأنصاري المعروف بابن الصفار (ت429هـ/1037م) ، وقد استقضى قبل ذلك ببطليوس ، وبقي قاضيًا إلى أن توفي[6] .

4)- دور العامل السياسي في هذا الجانب ، فقد أدى تردي الظروف السياسية بالأندلس من تقلبات وفوضى في بعض الفترات من أجل السلطة وحب التملك ، إذ كانت أبرزها تلك التي حدثت بعد منتصف عهد الإمارة الأموية بوفاة الأمير عبد الرحمن الأوسط(206-238هـ/822-852م)، فقد أطلق المؤرخ السيد عبد العزيز سالم على هذه الفترة الممتدة إلى بداية عصر الخلافة أي من سنة 238هـ/822م إلى سنة 316هـ/ 929م

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 161 .

[2] وهو بغدادي الأصل ، يكنى بأبي العباس ، كان شاعرًا ، مدح الخلفاء ، وكسب المال بالأدب ، ولما رحل إلى الأندلس استقر بقرطبة وبها توفي . نفسه ، ق1 ، ص ص 207-208 .

[3] نفسه .

[4] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 313 . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص549- 550 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ص625 .

[5] نفسه ، ج1 ، ص 238 .

[6] الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 384 – 385 . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 688. ابن بشكوال , المصدر السابق ، ج3 ص ص 981-982 .

بعصر الاضمحلال الأول أو دويلات الطوائف الأولى[1]، وكذلك الفتنة البربرية بقرطبة (399-403هـ/ 1008-1012م) التي أدت إلى زوال حكم الأمويين ، ثم دخول الأندلس عصر التفكك والانقسام وهو عصر ملوك الطوائف(422-479هـ/1030-1086م)، وتنافس هؤلاء على حياة البذخ ، والترف ، وصراعهم من أجل التوسع على حساب الآخر ، وتخاذلهم في محاربة وصد تقدم النصارى شمالًا.

إذًا فقد أدت تلك الظروف والأحداث السياسية السالفة الذكر وغيرها ببعض الأندلسيين إلى القنوط واليأس والانزواء في أماكن للتعبد ، ومقاطعة الخاصة والعامة على حد سواء ، والخلوة ، وبالتالي إلى التصوف ، وهو ما يُفسر أن الظروف السياسية التي عاشتها الأندلس في عهد الأمير عبد الله(275-300هـ/888-912م) التي تميزت بالاضطراب أدت إلى نشوء حركة محمد بن عبد الله بن مسرة (ت319هـ/931م) وأتباعه والتي تغاضى عنها الأمير عبد الله لطبيعة تلك الظروف ، وخوفه من تردي الأوضاع أكثر فأكثر إذا تعقبه هو وأتباعه ، وقد اتخذ محمد بن مسرة وأتباعه موضع جبل بقرطبة يقال له جبل العروس ، وقد اتخذت الجماعة بادئ الأمر طابع السرية لخطورة الدروس ، والتعاليم التي كان يلقنها لهم ابن مسرة ، وتجنبًا لمعارضة الفقهاء ، وتأليب الأمير ضدهم كما كان يلقنهم كتبه التي ألفها ، ومنها كتاب التبصرة ، وعاش هؤلاء حياتهم الخاصة البعيدة عن العامة ، فقد كانوا يعيشون طريقة صوفية حسبما قررها لهم بن مسرة [2].

ولقد انقسم الأندلسيون في أمر محمد بن مسرة إلى فئتين ، فئة تبلغ به إلى درجة الإمامة في العلم ، والزهد ويمثل هؤلاء أتباعه ، وتلاميذه ، وفئة أخرى معارضة له ، وتطعن فيه ، وتراه من أهل البدع ، والضلال ، وتتهمه وأتباعه بالزندقة[3] .

وحول طبيعة حركة محمد بن مسرة وأتباعه الفكرية ، فمذهبه كان مزيج من أقوال بعض شيوخه الصوفية الذين أخذ عنهم في المشرق ، وبعض كلام المعتزلة ، والفلاسفة في القول بالاستطاعة ، والقدرية ، ففئة صنفته كتيار

[1] فقد ظهرت في هذه الفترة الكثير من الحركات الانفصالية عن الحكم المركزي بقرطبة ، كما تقلص نفوذ الأمراء الأمويين ، وأصبحوا لا يحكمون إلا العاصمة قرطبة وضواحيها ، واستقل البربر بزعامة موسى بن ذي النون(ت295هـ/907م)بجيان ، والمستعربون بقيادة عمر بن حفصون(ت305هـ/918م) في ببشتر ، والمولدون وعلى رأسهم عبد الرحمن بن مروان الجليقي في بطليوس وماردة ، والعرب وقائدهم إبراهيم بن حجاج في اشبيلية وقرمونة . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 243 .

[2] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 328 .محمد بركات البيلي ، المرجع السابق ، ص 181 .

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 40 . الضبي ، المصدر السابق ،ج1 ، ص12. أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص ص 328 -329 .

واتجاه صوفي ، وفئة أخرى راعت الجانب الثاني ، وصنفته كمذهب فلسفي اعتزالي ، وربما الرأي الراجح هو الجمع بين القولين ، وتصنيف حركته كمذهب من مذاهب التصوف الفلسفي[1].

ولم تلبث هذه الجماعة حتى بعد وفاة ابن مسرة سنة 319هـ/931م أن أصبحت صاحبة دعوة لها أئمتها ودعاتها ، وأتباعها ، وبلغ خطرها بعد أن لقيت قبولًا ، ودخول قطاع واسع من المجتمع الأندلسي فيها ،فأصبحت مصدر قلق وتهديد لنفوذ السلطة المركزية بقرطبة ، فأرسل الخليفة عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-961م) بكتبه إلى عماله في مختلف الكور الأندلسية يأمرهم فيه بضرورة تتبع دعاة المسرية ، وأتباعها ، والقضاء على هذه الحركة ، وأوكل هذه المهمة إلى وزيره صاحب المدينة عبد الله بن بدر بداية من سنة 340هـ/ 951م[2] وأصبح بعد ذلك كل من يتكلم بالاعتزال يتهم بالزندقة فيُنسب إلى مذهب ابن مسرة المحظور ، ومن العلماء الذين امتحنوا في هذا أبو عاصم عبد الوهاب بن منذر القرطبي (ت436هـ/1044م) الذي اتهمه فقهاء المالكية بالاعتزال ، وبأنه من أتباع مذهب ابن مسرة الجبلي[3] .

مما سبق ذكره فالتصوف عند الأندلسيين في فترة محل الدراسة كان في بادئ الأمر حركة زهد ، وورع تخص بعض الأفراد فقط دون أن يكون لها أي أثر أو تأثير على الحياة السياسية أو في المجتمع الأندلسي ، وقد تظافرت عدة عوامل ساهمت في ظهور حركة التصوف بالأندلس ، فخرج من الحالة الفردية الشخصية إلى حركة دعوية جماعية لها رأسها وإمامها وهو ابن مسرة الجبلي ، وأتباع عاصروه ، وتلاميذ أتوا من بعده ، تأثروا بفكره ، وبطريقته الصوفية الفلسفية الاعتزالية ، وفي نفس الوقت بقي بعض المتصوفة الأفراد الذين لم ينخرطوا في دعوة ابن مسرة وأتباعه في حالة تجمع بين الزهد والتصوف دون الخوض في السياسة أو مواضيع الفلسفة أو مخالطة العامة .

المطلب الثاني: العلوم الطبيعية والرياضية :

1)- **الطب والصيدلة** : لم تلق دراسة الطب في الأندلس قبل عصر الإمارة اهتمامًا بالغًا يذكر ، فقد كان الأندلسيون في هذه الفترة يقتصرون على قراءة بعض الكنانيش[4] المختصرة لكل ما يتعلق بالطب، وهذا لاهتمامهم واستعجالهم الاشتغال به كمهنة أكثر من دراسة أصوله ، ومتطلباته ، والتدقيق في علمه ، والتمكن فيه كعلم قائم

[1] محمد بركات البيلي ، المرجع السابق ، ص 183-184 .

[2] نفسه ، ص185 وما بعدها .

[3] وكان منقبضًا عن الناس ،كثير الصلاة ، وإمام مسجد بدر بقرطبة . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 555 .

[4] جمع كناش أو كناشة ، ومعناها مجموعة الملاحظات الطبية ، أو البحوث الطبية ، كما يعرف بالمجموع الطبي . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ص 78 (تعليق الناشر في الهامش رقم 1). وأنظر: رينهرت دوزي ، تكملة المعاجم اللغوية ، ج9 ، ص153 .

بذاته ، ومن هذه الكتب والكنانيش التي كانوا يلجؤون إليها كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له الأبرشيم أي الجامع والمجموع [1] .

وبداية من عصر الإمارة الأموية أقبل الأندلسيون على دراسة كتب الطب الوافدة من المشرق ، فكانت منها الكتب اللاتينية واليونانية المترجمة ، ككتب ابقراط[2] ، وجالينوس[3] في الطب .

وفي عصر الخلافة دخل كتاب ديوسقوريدس(عاش في القرن الأول للميلاد) في الطب والنبات مكتوب باللغة الاغريقية أرسله إمبراطور بيزنطا إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وأرسل معه العالم اليوناني نيقولا (توفي في صدر دولة الحكم المستنصر)[4] ليترجم له النباتات الطبية المذكورة في هذا الكتاب سنة 340هـ/951 م[5] .

---

[1] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص78 . وقد ألف الطبيب الأندلسي يحيى بن اسحاق (ت نحو325هـ/937م) كتاباً بنفس العنوان " الابراشيم" ، وعرف بأنه كناش في الطب يتألف من خمسة أسفار ، ألفه على مذهب الروم أي بنفس طريقة المؤلفات الاغريقية واللاتينية ، وربما هناك تفسير آخر ، وهو أن الطبيب الأندلسي يحيى بن اسحاق قام بترجمته فقط . ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، ص 101. عبد الواحد ذنون طه ، تراث وشخصيات من الأندلس ، ص 15 .

[2] طبيب ، وأبوه طبيب ، وجده طبيب ،وهو كذلك فيلسوف ، وعالم في الطبيعيات ، عاش ابقراط قبل ميلاد المسيح بنحو أربع مائة سنة وبلغت مدة حياته نحو خمسًا وتسعين سنة ، وتعلم منذ الصغر لما بلغ ست عشرة سنة ، وأصبح عالمًا ومعلمًا في سنة السبعين سنة ، وله الكثير من المصنفات بلغت نحو ثلاثين كتابًا منها اثني عشر كتابًا في الطب ككتاب" الأجنة " ، " طبيعة الإنسان " ، " الفصول " ، " الأمراض الحادة " " أوجاع النساء " ...الخ . إسحاق بن حنين ، **تاريخ الأطباء والفلاسفة** ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، بيروت ، 1985 ، ص ص 153 ، 158. صاعد الأندلسي ،المصدر السابق ، ص ص 27- 28 .ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 43 وما بعدها .

[3] هو من الأطباء الكبار اليونانيين القدماء ، عاش معاصرًا للمسيح عيسى عليه السلام أو بعده بنحو مائتي سنة ، ولد ونشأ بمدينة فرغامس وهي مدينة صغيرة من مدن آسيا تقع شرقي القسطنطينية ، تعلم أولًا على يد أبيه ، ثم على العلماء والمهندسين ، والأدباء واللغويين ببلده ، ودرس الطب ، وأخذ الأدوية ، وتعلم وهو في سبع عشرة سنة ، يقال بأنه قلق على تقلص عدد النافذين في الطب ، فقام بتعليم الناس الطب وله مجالس عامة يخاطب فيها ، وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به من فضله وتمكنه ، وزيادة على ذلك فقد اتقن علم الهندسة ، والحساب والمنطق ، والفلسفة ، سافر إلى مصر ، ومات في رحلته منها إلى بلاد الشام ، له مؤلفات كثيرة منها "كتاب العصب" ، "كتاب القوى الطبيعية والعلل والأعراض" وغيرها .حنين بن اسحاق ، المصدر السابق ، ص ص 153 ، 159. صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 28 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 109 وما بعدها . محمد فريد وجدي ، المرجع السابق ، م3 ، ص3 وما بعدها .

[4] راهب بيزنطي ، وعالم بالطب والأدوية ، أرسله إمبراطور بيزنطة قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس Porphyrogenitus الذي حكم بين (914-919م) وَ(945- 959م) ، وقيل بأن الذي أرسله هو الإمبراطور رومانوس القيصر الذي حكم بيزنطة بين 920-944م إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر في بعثة دبلوماسية وعلمية إلى الأندلس ، ودخل قرطبة سنة 334هـ/945م ، وأول عمل قام به عند وصوله إلى قرطبة صناعة دواء من النباتات يعرف بترياق الفاروق. قسطنطين السابع بـورفيروجنـيتـوس ، المصدر السابق ، ص ص 5 ، 10 ، 16. ابن جلجل ، المصدر السابق ، ص 22 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 493

[5] نفسه ، ص 494 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص ص 462 – 463 .

اعتمد الأندلسيون في دراساتهم للطب على ما ألفه أهل المشرق في هذا العلم ، والذين بدورهم نقلوها عن أمهات الكتب اليونانية القديمة ، وساهم العلماء الوافدون من المشرق ، وكذلك الأندلسيون الذين ارتحلوا إليه في إدخال كم هائل من الكتب المتخصصة في هذا الميدان ، فزيادة على محاولات الأندلسيين الأولى في كتابة بعض المبادئ الأولية ، وعموميات عن علم الطب ، كالكتاب الذي ألفه الفقيه الأندلسي عبد الملك بن حبيب السلمي الألبيري (ت238هـ/852م) المسمى "مختصر في الطب "[1].

ومن طلائع أطباء الأندلس الذين اشتهروا في عصر الإمارة القرطبي أحمد بن اياس(عاش في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن)[2]، كما وفد إلى الأندلس مجموعة من علماء المشرق في الطب أو ممن أدخلوا معهم كتب الطب والتي استغلها الأندلسيون في دراستها ، والاشتغال بها في هذه المهنة ومنهم على سبيل المثال الرجل الذي يدعى الحراني ، نسبة إلى حران[3] الذي دخل إلى الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن(238-273هـ/852-886م) ، واشتهر بالطب في قرطبة[4] .

كما كان للأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق دور في العناية بالطب ، ودراسته عند أطباء المشرق ، فقد رحل الطبيب عمر بن حفص بن برتق(عاش في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر) إلى القيروان ، ودرس الطب عند ابن الجزار أبي جعفر أحمد بن إبراهيم(ت369هـ/979م) ولازمه مدة ستة أشهر، ولما عاد إلى الأندلس أدخل معه كتاب" زاد المسافر" في علاج الأمراض لابن الجزار ، واتخذ داره بقرطبة عيادةً لمعالجة المرضى، يقوم على خدمتها ستة عشر صبيًّا من الصقالبة ، وكان عمر بن حفص قد اشتهر في الأندلس بخدمة الخليفة عبد الرحمن الناصر (300 - 350هـ/912-961م) بالطب[5].

ورحل في سنة 330هـ/941م عمر وأخوه أحمد ابنا يونس بن أحمد الحراني إلى المشرق ، وأقاما في بغداد لدراسة الطب ، وكُتب جالينوس ، ورجعا إلى الأندلس في سنة 351هـ/962م ، وقربهما الحكم المستنصر لخدمته في

[1] خميسي بولعراس ، المرجع السابق ، ص 189 .

[2] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 78 .

[3] هي مدينة تقع على طريق الموصل والشام والروم ، وقيل بأنها كانت تسمى بهاران شقيق سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها ، فعربت إلى حران . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، م2 ، ص 235 .

[4] ابن جلجل ، المصدر السابق ، ص 94 . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 78 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 486 – 487 . ويقول المستشرق الاسباني أنخل جنثالث بالنثيا بأن اسمه هو يونس بن أحمد الحراني ، والملاحظ أنه لم يكن له ذكر بهذا الاسم في كتاب التراجم والطبقات سواء المذكورة سالفًا أو عند ابن الفرضي ، أو الضبي ، أو ابن بشكوال ، ولا حتى عند المقري التلمساني. أنظر أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 461.

[5] ابن جلجل ، المصدر السابق ، ص 107 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص481، 490- 491 . عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص ص 16- 17 .

الطب دون سائر أطباء ذلك العصر، فتوفي عمر في بداية عهد الحكم المستنصر بعد سنة 351هـ/ 962م، وبقي أخوه أحمد مدة الحكم المستنصر ، كما عاصر فترة الخليفة هشام المؤيد حيث ولاه خطة الشرطة وولاية السوق واشتهر باختصاصه في طب العيون بقرطبة[1] .

وبدخول الكتب الطبية السالفة الذكر، ووفود بعض أطباء المشرق إلى الأندلس ، ورجوع الأندلسيين الذين درسوا الطب في المشرق ، نشطت حركة دراسة ، وتعليم ، وممارسة الطب بالأندلس ، فقد كانت تعتمد أولًا : على الجانب النظري من خلال قراءة ودراسة تلك الكتب الطبية ، ثم يأتي الجانب التطبيقي كأن يصحب الطبيب –وهو الأستاذ المشرف على المادة– الطالب في زياراته للمرضى من زبائنه في بيوتهم لدى العائلات الميسورة ، أو في بيته هو لما يستقبل المرضى الفقراء ، فيفحص الطبيب المريض ، ثم يبدأ بطرح الأسئلة التي يعتقد بأنها تُفيده في تشخيص المرض ، ثم يدعوا الطالب بأن يفحصه ، ومن بعد ذلك يتبادل الطبيب والطالب الأسئلة ، والملاحظات لتتم مرحلة الإعداد ، وتحديد طبيعة المرض ، وفي الأخير يكتب الطبيب وصفة العلاج [2] .

ولا يجد الطبيب مانعًا من طرح أسئلته على الطالب ليعرف مدى معرفته ، وإلمامه عن المرض موضع الفحص والدراسة ، ولكي يفسر للطالب ما تعسر عليه فهمه اثناء الفحص قبل إلقاء الدرس ، فالدروس الطبية تأتي بعد معاينة بعض حالات المرضى ، وعرض بعض الإشكاليات ، والصعوبات ، والغوامض التي قد تطرأ على الطالب اثناء التشخيص والعلاج، فلا يجد الطالب مناصًا من أن يشرح له الطبيب الأستاذ ، ويفسر له ، ويجيب عن تلك الاستفسارات والأسئلة ، التي دارت في ذهن الطالب اثناء عملية التشخيص لتحديد وصفة العلاج الملائمة[3].

والملاحظ أن غالبية طلاب الأندلس درسوا الطب في جانبه النظري ، والقليل فقط من كان له الحظ في ممارسته عمليًا ؛ إذ اقتصرت تلك القلة في بعض الأسر التي حرصت على أن تتوارث هذه المهنة أبًا عن جد ، فظهرت أسر اشتهرت بالطب شأنها شأن بيوت العلم في العلوم الأخرى كالفقه ، والحديث ، والأدب ، وغيرها ، ويحظى طالب الطب الذي ينتمي لإحدى هذه الأسر بالتدريب العملي الجيد أكثر من غيره من الطلاب الآخرين ، إذ يصحبه أبوه الطبيب اثناء علاجه للمرضى ، وهو الذي يشرف على تدريبه حتى يكون ابنه وريثه في المهنة[4] .

---

[1] ابن جلجل ، المصدر السابق ، ص ص 112-113 . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 78 ، 80 – 81 . ابن أبي اصيبعة المصدر السابق ، 487 .

[2] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 67 .

[3] نفسه ، ص ص 67 – 68 .

[4] نفسه ، ص 68 .

ومن الأسر التي اشتهرت بالطب أسرة المذحجي ، إذ كان جدهم الوليد الوافد من المشرق ، والداخل إلى الأندلس مع الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية (138-172هـ/756-788م) وهو طبيبه الخاص[1]، وجاء من نسله الأطباء حتى الجيل السابع[2] ، وكذلك أسرة يونس بن أحمد الحراني المذكورة سابقًا ، وأسرة بني زهر التي قدمت ستة من أشهر أطباء الأندلس لستة أجيال متعاقبة يتقدمهم جدهم أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر بن زهر(ت478هـ/1085 أو484هـ/1091م)[3]، وغيرهم .

وعن دراسة الطب في تلك العصور ، يصرَّح القاضي أبو بكر بن أبي الحسن الزهري(عاش في عصر الحكم المستنصر) بأنه سُئل عن سبب إقدامه على تعلم الطب فرد ، وقال :" إنني كنت كثير اللعب بالشطرنج ، ولم يكد يوجد من يلعب مثلي به في اشبيلية إلا القليل ، فكانوا يقولون : أبو بكر الزهري الشطرنجي ، فكان إذا بلغني ذلك اغتاظ منه ، ويصعب علي ، فقلت في نفسي لابد أن اشتغل عن هذا بشيء غيره من العلم لأنعت به ويزول عني وصف الشطرنج ، وعلمت أن الفقه وسائر الأدب ،ولو اشتغلت به عمري كله ، لم يخصني منه وصف انعت به ،فعدلت إلى أبي مروان عبد الملك بن زهر ،واشتغلت عليه بصناعة الطب، وكنت أجلس عنده ، وأكتب لمن جاء مستوصفا من المرضى الرقاع ، واشتهرت بعد ذلك بالطب ، وزال عني ماكنت أكره الوصف به"[4].

ومن هذا النص يتضح ما يلي :

1) – أن دراسة الطب كانت أسهل بكثير من دراسة الفقه ، و العلوم الأدبية من لغة ونحو وشعر ، كما هو مصرح به أعلاه ، وهذا لأن الفقه ، والأدب ، وجل العلوم الدينية ، والأدبية تتطلب الوقت الطويل للإلمام بها وذيوع شهرته بإحداها ، وهو ما ذكره في النص عندما قال "ولو اشتغلت به عمري كله لم يخصني منه وصف انعت به " ، أو لأنه لا يستطيع منافسة فقهاء ، وأدباء عصره لأنهم كثر .

2)–كما أن طريقة تعلم الطب حسب النص لا يكلف صاحبه إلا الجلوس عند أحد الأطباء المشهورين والاكتفاء بملاحظته كيف يعالج المرضى ، ويكتب لهم الوصفات الطبية.

---

[1] ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ج4 ، ص 151 .

[2] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 68 .

[3] ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 517 وما بعدها . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 68 . محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ص234 .

[4] وأبو بكر بن القاضي أبي الحسن الزهري هو قاضي اشبيلية التي ولد ،ونشأ ،ودفن فيها ،اشتهر بالجود ، وكرم الأخلاق ، واشتغل كذلك بالأدب وكان أحد الفضلاء في صناعة الطب ، عاش خمسًا وثمانين سنة .ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 536 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، 206 .

3) – والملاحظة الأخرى التي يمكن استخلاصها ، أن دراسة الطب عملية تجريبية أكثر منها نظرية ؛ فهي تعتمد على المعاينة ، والمشاهدة ، وحسن التدريب ، وغالبًا ما يتردد في كتب طبقات الأطباء لدى صاعد ، وابن جلجل وابن أبي اصيبعة مصطلح "اشتغل " ، أو "خدم به فلان " ، مما يدل على الميزة العملية في تعلم الطب .

ولقد ألف بعض الأندلسيين رسائل في تعليم الطب ، ساهمت في توضيح طريقة تدريس هذه المادة ، فقد كتب ابن عبد البر القرطبي(ت463هـ/1070م) في كتابه جامع بيان العلم وفضله ، أن علم الأبدان هو " العلم الثاني الأوسط بعد علم الأديان(...) ، وأن طلب علم الطب يتطلب معرفة طبائع نبات الأرض ، وشجرها ، ومياهها ومعادنها ، وجواهرها ، وروائحها ، ومعرفة العناصر ، والأركان ، وخواص الحيوان ، وطبائع الأبدان ، والغرائز والأعضاء ، والآفات العارضة ، وطبائع الأزمان ، والبلدان ، ومنافع الحركة ، والسكون ، وضروب المداواة ، والرفق والسياسة ..."[1] ، ومن خلال هذا النص تتضح جملة من النتائج أهمها :

1)- أن تعليم الطب يأتي في المرحلة الثانية أو الثالثة من مراحل التعليم ، وهذا ما أكده المستشرق الاسباني خوليان ربيرا في حديثه عن تعليم الطب في الأندلس [2] .

2) – أن دارس الطب ، لابد عليه من معرفة طبيعة الإنسان الفيزيولوجية (وظائف الأعضاء) ، والنفسية ،وكذلك البيئة التي يعيش فيها ، ومكوناتها ، وخصائصها الطبيعية (الأرض ، والحيوان ، والنبات ، والمياه والمعادن ،...الخ) ، وحتى التاريخية ، والجغرافية ، والسياسية ، (طبائع الأزمان والبلدان) ...الخ ، ويُفهم من ذلك مدى تأثير تلك العوامل ، والظروف في الإنسان .

3)- في حال معرفة ، وفهم المتعلم طبيعة الإنسان ، ومؤثراته الداخلية ، والخارجية يستطيع تكوين ، ورسم منهج وسياسة للمداواة ، وكأن ابن عبد البر النمري(ت463هـ/1070م) اتخذ منهجًا خاصًا بطالب العلم في تخصص الطب .

ومما يثير الاعجاب أن الأندلسيين في تلك العصور عرفوا حتى التخصص في بعض فروع الطب ، فظهر المتخصصون في طب العيون مثلًا كالطبيبين عمر ، وأحمد أبناء يونس بن أحمد الحراني ، فقد تكوّنا عند أحد الأطباء ببغداد في علل ، وأمراض العين اثناء رحلتهما إلى المشرق في زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/ 912-961م) ، ولما عادا إلى الأندلس طارت شهرتهما بقرطبة في طب العيون ، ومداواتها[3]، ويعتقد

[1] ابن عبد البر النمري ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 253 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 204 .

[2] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 67 .

[3] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 81 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 487 .

أنهما علّما الطبيب الأندلسي المشهور أبا القاسم خلف الزهراوي(ت بعد 400هـ/ 1009م) طريقة استخراج ماء العين بواسطة الإبرة[1] .

واختص في علاج الحِميات سعيد بن عبد ربه (ت342هـ/953م) – ابن أخ أحمد بن محمد عبد ربه الأديب–[2] ، وكذلك أحمد بن يونس بن أحمد الحراني المذكور سابقًا ، فقد كان يصنع أدوية خاصة للحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م) ؛ إذ كان هذا الأخير نهمًا في الأكل ، فكانت تحدث له تخمة جراء ذلك[3]، وامتاز الطبيب أحمد بصناعة الأدوية ، والأشربة ، والمعجونات ، ولقد تولى إقامة خزانة للطب خاصة بالقصر ، ورتب لها اثني عشر صبيًّا من الصقالبة لطبخ الأشربة ، وصناعة المعجونات تحت إشرافه ، وقد استأذن الطبيب أحمد بن يونس الخليفة الحكم المستنصر بأن يعطي من هذه الأدوية ما يحتاجه منه الفقراء والمساكين المرضى ، فأجاز له ذلك ، واشتهر بدوائه للعين مداواة نفسية[4] ، كما تفرغ عريب بن سعد القرطبي(ت369هـ /979م) بدراسة طب الأطفال ، إذ ألف بحثًا بعنوان :" خلق الجنين وتدبير الحبال والمولود "[5].

ومن أبرز الأطباء الذين اشتهروا في نهاية عصر الخلافة أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (توفي بعد 400هـ/ 1009م) ، وبلغت شهرته المشرق والمغرب على حد سواء ببراعته في علم الجراحة ، حيث اعتبره علم قائم بذاته منفصل عن الطب ، وألف في هذا كتابه : " التصريف لمن عجز عن التأليف" ، قيل فيه بأنه "لم يؤلف في الطب أجمع منه ،ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع"، وله كتاب آخر في علم الطب ، وهو المعروف بكتاب الزهراوي[6] و محمد بن تمليخ التميمي القرطبي(ت361هـ/971م)[7]، وقد خدم الخليفة الناصر، وابنه الحكم المستنصر

---

[1] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 464 .

[2] ابن جلجل ، المصدر السابق ، ص 104 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 489 .

[3] نفسه ، ص 487 .

[4] ابن جلجل ، المصدر السابق ، ص 113 . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 80-81. ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 487. عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص ص 18 – 19 .

[5] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 465 .

[6] ابن حزم الأندلسي ، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ج2 ، ص 185 . الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 208- 209 . الضبي المصدر السابق ، ج1 ، ص357 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص264 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 501 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص466 .

[7] من أهل قرطبة ، يكنى بأبي عبد الله ، وله اهتمام بالنحو ، واللغة ، والشعر ، والحديث ، والفقه ؛ فقد حدث بالموطأ ، تقلد عدة مسؤوليات إدارية كخطة رد المظالم ، والشرطة ، وغيرها . ابن جلجل ، المصدر السابق ، ص ص80-81 .ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 71 -72 . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص80 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 491 .

في الطب ، وألف كتابه " الأشكال " في الطب ، وكان عضوا في ديوان الأطباء في عهد الحكم المستنصر بالله[1] ومحمد بن عبدون الجبلي (عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)[2]، الذي خدم بالطب الخليفة الحكم المستنصر بالله ، وابنه هشام المؤيد بالله ، ووصفه أحد تلاميذه بأنه لم يكن في قرطبة في ذلك العهد ممن يلحق به في اتقان الطب ، أو يجاريه في ضبطه ، وحسن تدريبه (تكوينه) ، وإحكامه لغوامضه[3] .

وفي عصر ملوك الطوائف اشتهر أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني(ت458هـ/1065م) ، وامتاز بمهارته في تخصص الجراحة الطبية في عمليات الكي ، والقطع ، والشق ، وغير ذلك من الأعمال الطبية ، وتوفي بسرقسطة[4] ، هذه الأخيرة التي استقطبت طبيبًا آخر لا يقل شأنًا عن سابقيه ، وهو أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن الحسين المذحجي المعروف بابن الكتاني (ت قريبًا 420هـ/1029م) ، وكان قد أخذ الطب عن عمه محمد ابن الحسين ، وطبقته من أمثال محمد بن عبدون الجبلي وغيره ، و كان أبو عبد الله هذا قد خدم بالطب المنصور بن أبي عامر ، وابنه المظفر بقرطبة ، وبعد الفتنة البربرية هاجر إلى سرقسطة ، واستقر بها ، وقد ألف كتابًا عن الأدوية وهو في حكم المفقود [5].

وطليطلة التي اشتهر بها محمد التميمي ، وهو من أطباء وصيادلة القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي الذي ألف كتابًا في الطب شرح فيه تشخيص الأمراض ، وأعراضها ، وأصبح مرجعًا لتعليم طلبة الطب عن طريق الممارسة [6] .

والجدير بالذكر بأن علم الصيدلة كان فرعًا من فروع الطب ، إذ كان الطبيب في الآن نفسه صيدليًّا ، وقد كانت ميزة الأطباء الأندلسيين أنهم يفحصون المرضى ، ويعالجونهم ، وفي الآن ذاته يصنعون لهم الدواء من الأعشاب الطبية ، والعقاقير ، ولقد وقفنا على العديد من هذه الحالات ، ونحن بصدد الترجمة لبعض أطباء الأندلس ، فقد ذكر مثلًا المؤرخ صاعد الأندلسي أن الطبيب إسحاق النصراني(عاش في عصر حكم الأمير عبد

---

[1] ابن جلجل ، المصدر السابق ، ص 81 . عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص ص 13 – 14 .

[2] رحل إلى المشرق سنة 347هـ/958م ، فدخل البصرة ، ومدينة الفسطاط بمصر ، واشتغل في مارستانهما ، ونبل في الطب ، وأحكم الكثير من أصوله ، وعاد إلى الأندلس سنة 360هـ/970م . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 81 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 492 – 493 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 297 .

[3] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 81 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 493 .

[4] نفسه ، ص ص 484 – 485 .

[5] صاعد الأندلسي، المصدر السابق ، ص 82 .ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 491- 492 . انخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ص ص 466-467 .

[6] نفسه ، 467 .

الله بن محمد) كان يصنع الأدوية بنفسه[1] ، وابنه يحيى(عاش في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر) الذي كان طبيبًا ذكيًّا ، عالمًا بصيرًا بالعلاج ، وهو كذلك يصنع الأدوية بنفسه ، وقد استوزره عبد الرحمن الناصر ، وولاه الولايات ومنها بطليوس[2]، حيث كان يستدعيه منها لعلاجه في بعض حالاته المرضية الطارئة ، وكان قد تعلم الطب على يد أبيه وحذق فيه ، ولقد أورد المؤرخ والطبيب القرطبي ابن جلجل(ت بعد 377هـ/987م) وغيره من المؤرخين بعض الحالات المستعصية التي تمكن يحيى بن اسحاق(ت نحو325هـ/937م) من علاجها ، وهذا مما يدل على قوة ملاحظاته ، وحذقه في علم الطب ، فلم يكتف هذا الطبيب بعلمه وخبرته ، فقد صادفته حالة مرضية تعرض لها الخليفة عبد الرحمن الناصر في أُذنه لم يجد لها حلًّا ، إلا بعدما خرج يطلب استشارة أحد الرهبان النصارى ، الذي دله على العلاج المناسب[3] ، وهنا تبرز كذلك عناية هذا الطبيب بالبحث والاستقصاء ، وتبادل الاستشارات الطبية مع نظرائه من الأطباء حتى وإن كانوا من النصارى ، وكان خالد بن يزيد بن رومان النصراني القرطبي بارعًا في الطب ، ويصنع الأدوية بيده ، وهو في نفس الوقت عالمٌ في الأدوية النباتية [4].

واشتهر كذلك ابن جلجل أبو داود سليمان بن حسان القرطبي(ت بعد 377هـ/987م) الذي كان طبيبًا فاضلًا خبيرًا بالمعالجات ، عاش في زمن هشام المؤيد بالله ، وخدمه بالطب ، وقد تخصص ابن جلجل في صناعة الأدوية المفردة ، إذ قام بتفسير أسمائها المذكورة في كتاب ديسقوريدس ، وفوائدها ، وأسرارها ، ومكوناتها ، وأوضح بعض غوامضها ، وهو الذي التقى بالراهب نيقولا مبعوث امبراطور بيزنطا إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ليترجم له النباتات الطبية المذكورة في كتاب ديسقوريدس ، ويبدو أنه استفاد منه في معرفة دور بعض النباتات في صناعة الأدوية المفردة التي اختص بها ، وصرح بأنه التقى به في عصر الحكم المستنصر[5].

ولابن جلجل الكثير من المؤلفات في علم الأدوية منها كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس ، ألفه سنة 372هـ/ 982م بقرطبة في عهد هشام المؤيد بالله ، وله فيه مقالة عن الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه ، ورجح ابن جلجل بأن ديسقوريدس لم يذكر تلك الأدوية ، إما لأنه لم يراها أصلًا

[1] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 78 .

[2] مدينة مستحدثة ، بنيت في عهد الأمير عبد الله ، تقع على ضفة نهر غربي قرطبة ، بينها وبين اشبيلية ستة أيام ، ومنها إلى قرطبة ست مراحل. ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، م1 ، ص 447 .عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص 93 .

[3] ابن جلجل القرطبي ، المصدر السابق ، ص ص 100-101 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 488- 489. عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص15.

[4] ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص485 – 486 .

[5] ابن جلجل القرطبي ، المصدر السابق ، ص22 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص494 .

ولا يعرف عنها شيئًا ، أو لأن أهل زمانه لا يستعملونها ، وله رسالة في التبيين فيما أخطأ فيه بعض المتطببين وكتاب آخر في أخبار الأطباء ، والفلاسفة ألفه كذلك في أيام هشام المؤيد بالله[1] .

وكانت للجغرافي أبي عبيد البكري(ت487هـ/ 1094م) مساهمة جليلة في ميدان الصيدلية ، إذ برع في معرفة الأدوية المفردة ، وقواها ، ومنافعها ، وأسمائها ، ونعوتها ، وكل ما يتعلق بها ، وألف في ذلك مصنف بعنوان كتاب أعيان النبات والشجريات الأندلسية "[2].

واشتهر بطليطلة الطبيب ، والنباتي ، والوزير ابن وافد اللخمي أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى (ت467هـ/1075م)[3] ، وكان متحققًا في علم الطب والنبات ، ونبغ في علوم الأدوية حتى ضبط منها مالم يضبط أحد في عصره على حد قول المؤرخ صاعد الأندلسي(ت462هـ/1069-1070م) ، وألف في ذلك كتابًا جمع فيه ما تضمنه كتابي دسيقوريديس ، وجالينوس في الأدوية ، ورتبه ، وهو يحتوي على ما يقرب من خمسين ورقة ، وبلغت مدة تأليفه لهذا الكتاب العشرين سنة ، ولقد اتخذ طريقة تميز بها في علاجه للمرضى ، إذ كان يفضل التداوي بالأغذية لا بالأدوية إلا إذا دعت الضرورة لذلك ، كما كان يفضل التداوي بالأدوية المفردة البسيطة لا المركبة من عدة أدوية ، كما اشتهر بمهارته ، ونبوغه في إبراء المرضى من الأمراض والعلل المستعصية بأيسر علاج وأبسطه ، ولابن وافد مؤلفات في الطب منها كتاب الأدوية المفردة ، وكتاب" الوساد" في الطب وآخر بعنوان " مجربات في الطب" ، و كتاب تدقيق النظر في علل حاسة البصر" ، و كتاب المغيث[4] .

وبالمرية قاعدة ملك بني صمادح ، اشتهر في أيام المعتصم محمد بن معن بن صماح(443-484هـ/1051-1091م) الطبيب المعروف بالرميلي الذي قربه المعتصم ، وكان طبيبه الخاص يعالجه ، ويعالج غيره ، وكان يصنع الأدوية بنفسه ، وله كتاب البستان في الطب[5] .

---

[1] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 382 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 495 .

[2] نفسه ، ص 500 .

[3] من أهل طليطلة ، يكنى بأبي المطرف ، طبيب ، وصيدلي ، وعالم في الفلاحة ، والفلسفة ، وهو من أشراف أهل الأندلس ، إذ كان وزيرا لبني ذي نون أصحاب طليطلة ، ولد سنة 398هـ/1008م حسب ما صرح به لمعاصره المؤرخ صاعد الأندلسي (ت462هـ/1069-1070م) رحل إلى قرطبة ، وأخذ الطب عن أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت بعد 400هـ/ 1009م) ، وكان كذلك فقيهًا ، وله كتاب في الأدوية المفردة استعمله الناس ، وكتاب الوساد في الطب ، وله في الفلاحة " مجموع" ، وهو الذي تولى غرس جنة المأمون بن ذي النون(435-467هـ/1043-1075م) بطليطلة. صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 83-84. ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ج3 ، ص 13 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 496. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص326 .

[4] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 83-84. ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 496 .

[5] نفسه ، ص ص 496 – 497 .

- **مساهمة النصارى واليهود في علم الطب :**

لم تقتصر صناعة الطب في الأندلس على المسلمين فقط ، فقد ذكرت كتب الطبقات العديد من تراجم النصارى واليهود ممن كانت لهم المساهمة والمشاركة في هذا الميدان ، وظهرت طائفة كبيرة من الأطباء النصارى واشتهروا خاصة في عهد الأمير عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م) ، فكان منهم على سبيل المثال لا الحصر الطبيب جواد النصراني ؛ إذ ينسب إليه الدواء المعروف باللعوق ، وله دواء آخر يعرف بدواء الراهب والشرابات ، والسفوفات[1] ، وكذلك الطبيب إسحاق النصراني ، ودوره في الطب والصيدلة ؛ إذ كان يصنع الأدوية لمرضاه بيده ، وشهرته فاق بها جميع نظرائه من أهل بلده في عصره [2]، وابن الملوكة الذي عاصر دولة الأمير عبد الله ، وجزء من فترة حكم الأمير عبد الرحمن بن محمد الناصر قبل إعلان الخلافة الأموية في الأندلس، وكان ابن الملوكة يصنع الأدوية بيده ، ويفصد العروق ، وقيل بأنه كان على باب داره ثلاثون كرسيًّا لقعود الناس[3] .

أما اليهود فكان منهم على سبيل المثال لا الحصر حسداي بن إسحاق ، الذي خدم بالطب الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)[4]، وأبو الوليد مروان بن جناح الطبيب ، والفيلسوف ، والنحوي الذي ألف كتاب التلخيص ، فيه ترجمة للأدوية المفردة ، وتحديد المقادير المستعملة في صناعة الطب عن العقاقير من الأوزان ، وخدم بالطب اسحاق بن قسطار(ت448هـ /1056م) مجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية (412- 436هـ/1021-1044م) ، وابنه علي إقبال الدولة (436-474هـ/1044-1081م)[5]، وألف الطبيب اليهودي يونس بن إسحاق المعروف بابن بكلارش كتابًا في الطب بعنوان المجدولة في الأدوية المفردة ؛ إذ وضعه بطريق الجداول وسماه بالمستعيني نسبة إلى المستعين بالله أبي جعفر أحمد بن هود صاحب مملكة سرقسطة (478-503هـ/ 1085-1110م) ، وأورد فيه أسماء الأدوية باللغات السريانية ، والفارسية ، واليونانية والعربية ، واللاتينية ، وباللهجة العامية الأندلسية ، وكانت له خبرة ، وعناية في معرفة الأدوية المفردة ، وخدم بالطب بني هود[6] .

---

[1] ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 485 .

[2] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 78 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 488 .

[3] نفسه ، ص 486 .

[4] من أحبار اليهود ، عالما في شريعتهم ، فقيها فيها ، وعالما بتاريخها .صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص88-89. ابن أبي اصيبعة المصدر السابق ، ص 498 .

[5] وكان إسحاق بن قسطار حبرًا من أحبار اليهود ، عارفًا بأصول الطب ، وله مشاركة في الفلسفة والمنطق ، وتوفي بطليطلة . صاعد الأندلسي المصدر السابق ، ص 89 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 498.

[6] نفسه ، ص 501 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 469 .

مما سبق ذكره يمكن استنتاج عدة نقاط أهمها :

أ)- أن العصر الذهبي لدراسة الطب ، والتمكن في أصوله ، والاشتغال به ، والحذق فيه لدى الأندلسيين لم يكن إلا في عصر الخلافة الأموية ، خاصة في فترة حكم كل من الخليفتين عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-961م) ، والحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م) ، فإذا كانت مادة الطب قد اقتصرت في عصر الإمارة الأموية على قراءة الكنانيش ، والكتب المختصرة التي ألفها اليونانيون القدماء ، والتي ترجمت في المشرق أي الاقتصار على الجانب النظري فقط ، فإن عصر الخلافة أصبح الطب فيه صناعة بأتم معنى الكلمة ، أي انتقل الأندلسيون بهذه المادة إلى الجانب العملي التطبيقي (التجريبي) ، وقل هذا النشاط ، والتميز في عصر ملوك الطوائف ، إذ نجده شحيحًا بالمقارنة مع العصر الذي قبله .

ب)- وكما كان بعض الأندلسيين يعقدون الرحلات العلمية إلى المشرق لدراسة الفقه ، والحديث ، والأدب كان البعض الآخر يقومون بها من أجل دراسة مادة الطب ، فكيف نفسر تكرار لقب الحراني في العديد من تراجم الأطباء الأندلسيين ؟ إذ تعد هذه الحاضرة – أي مدينة حران - قبلة الأندلسيين لدراسة الطب ، ومنها جاء الطبيب الذي يدعى الحراني في عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (238-273هـ/852-886م) وإليها يُنسب عمر ، وأحمد ابنا يونس بن أحمد ، وإليها قصد أبو الحكم عمرو بن أحمد بن علي الكرماني (ت458هـ/1065) ، زيادة على حواضر أخرى في المشرق كالبصرة ، والفسطاط ، والقيروان ، إذ كان طلاب الأندلس يقصدونها بعينها أو في طريق رحلتهم العلمية لتعلم الطب دراسة ، وممارسة[1] .

ج)- عرف الأندلسيون في تلك الفترة- محل الدراسة- التخصص في فروع الطب ، فكان تخصص طب العيون والحميات ، والجراحة ، هاته الأخيرة التي أصبحت علمًا مستقلًا بذاته فيما بعد بفضل جهود أبي القاسم خلف الزهراوي(توفي بعد 400هـ/ 1009م) ، كما كانت الصيدلة أو علم النبات ، والأدوية المفردة ، والمركبة ، علمًا ملاصقًا لعلم الطب ، فكان الطبيب صيدليًا في نفس الوقت .

2)-الرياضيات (الحساب والهندسة):

يرى المؤرخ صاعد (ت462هـ/1069-1070م) بأن الأندلس لم تعرف أي نشاط منذ الفتح الاسلامي إلى غاية عصر الامارة في العلوم القديمة المعروفة في المصادر بعلوم الأوائل مثلما ذكر سابقًا في علم الفلسفة ، والطب وكذلك الشأن بالنسبة للعلوم الرياضية خاصة منذ تولي الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط(238-273هـ /852-886م) الملك ؛ إذ بدأ الاشتغال بتلك العلوم ، وأخذ الاهتمام بها أكثر في عصر الخلافة ، الذي شهد

---

[1] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص81 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 490-491 .

فيه أكثر تسامحًا بتولي الخليفتين عبد الرحمن الناصر ، والخليفة العالم الحكم المستنصر ، وكذلك الشأن في عصر ملوك الطوائف[1] .

ويرجع السبب في تأخر الأندلسيين في هذا الجانب إلى تشدد الفقهاء ، وموقفهم من تلك العلوم ؛ إذ كانوا يرمون كل من يهتم أو يشتغل بها بالزندقة والالحاد ، ولم يسمح بدراسة العلوم الرياضية إلا فيما يتعلق بمسائل المواريث ، أو ما تتطلبه الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية في التجارة ، وتقسيم الأراضي ، والخراج ، والضرائب وغيرها [2].

ولتدريس العلوم الرياضية في الأندلس ظهرت رسائل ألفها العلماء في هذا التخصص ، ومنها أقدم نص رياضي أندلسي ، وهي رسالة غير منشورة حول مسح الأراضي، التي تنسب للطبيب والرياضي محمد بن عبدون الجبلي (ت قبيل منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) ، واكتسبت هذه الرسالة الطابع العلمي ، وهي أولى محاولات التأليف في مجال العلوم الرياضية بالأندلس[3] .

والملاحظ في تراجم العلماء الرياضيين الأندلسيين أنهم جمعوا بين علمي الرياضيات ، والفلك ، فغالبًا ما نجد عالمًا في العدد والحساب ، والهندسة ، وله إلمامًا ، وبراعة في علم الفلك كذلك ، والعكس صحيح ، وهو ما سيلاحظ فيما سيأتي عند عرض نماذج من هؤلاء العلماء .

وابتداءً من النصف الثاني من القرن الرابع للهجري/ العاشر الميلادي ظهرت المدرسة الرياضية والفلكية التي أسسها أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي (ت398هـ/1007م) الذي يعد إمام الرياضيين ، والفلكيين في عصره بالأندلس ، وألف كتابًا في علم العدد المعروف بكتاب المعاملات ، وكان عالما بالفرائض لذا سمي بالفرضي[4] وأسس معه هذه المدرسة من تلاميذه أبوالقاسم أصبغ بن محمد بن السمح (ت426هـ/1035)[5]، وعلي بن سليمان الزهراوي[6]، وابن الصفار أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر(توفي في عصر ملوك الطوائف) ، وهو أحد

[1] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص62 ، 64 وما بعدها .

[2] نفسه . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 72 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 447 .

[3] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 72 .

[4] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 69 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 899-900. ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 482 – 483 . سعد بن عبد الله البشري ، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ص ص 117- 118 .

[5] كان مشهورًا في علم العدد ، والهندسة ، والفلك ، والطب ، له كتب كثيرة في علم الحساب ، والمعاملات ، والهندسة منها كتابه " المدخل إلى الهندسة في تفسير كتاب اقليدس " ، وكتاب " ثمار العدد" المعروف بالمعاملات ، وكتاب " طبيعة العدد"...الخ ، توفي بغرناطة . صاعد الأندلسي المصدر السابق ، ص ص 69-70 .ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 483- 484 .

[6] يكنى بأبي الحسن ، عالم بالعدد ، والهندسة ، والطب ، له كتاب في المعاملات عن طريق البرهان المشهور بكتاب الأركان . صاعد الأندلسي المصدر السابق ، ص 70 .ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 484 . محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص ص 491- 492 .

المعلمين في العلوم الرياضية ، والفلكية بقرطبة[1]، وابن خلدون أبو مسلم عمر بن أحمد الحضرمي (ت449هـ/ 1057م) المشهور بعلمه في الهندسة ، والنجوم[2] ، وأبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني (ت458هـ/ 1065م) الذي برز كعالم من علماء الأندلس في علم العدد ، والهندسة ، والطب ، وقيل بأنه لم يكن أحد يجاريه في علم الهندسة[3] ، وتخرج على يد هؤلاء العلماء كلهم ، العديد من العلماء الرياضيين لا يتسع المجال لذكرهم[4] .

وأما على المستوى الفردي ظهر بعض العلماء ممن كانوا يحسبون ضمن أوائل الأندلسيين الذين اشتغلوا في العلوم الرياضية ، ومنهم مثلًا أبو عبيدة مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة البلنسي المعروف بصاحب القبلة(ت295هـ /907م)[5].

وأورد صاعد الأندلسي(ت462هـ/1069-1070م) العديد من تراجم الرياضيين الذين اشتغلوا بتعليم مواد العلوم الرياضية بالأندلس خاصة في علمي الحساب ، والهندسة بصيغتي : " فكان يجلس لتعليم ذلك "[6] أو " قعد للتعليم "[7] ، ومن هؤلاء مثلًا أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي عيسى الأنصاري ، وهو معلم العالم الرياضي مسلمة بن محمد المجريطي(ت398هـ/1007م) فقد أدبه ، وعلمه الهندسة ، وقد أقر له بالسبق في جميع العلوم الرياضية ، وجلس أبو بكر أحمد هذا لتعليم الأندلسيين العدد (الجبر) ، والهندسة[8] .

---

[1] كان مختصًا بعلم العدد ، والهندسة ، وعلم الفلك والنجوم ، وبعد الفتنة البربرية (399-403هـ/1008-1012م) خرج من قرطبة قاصدًا دانية قاعدة مُلك مجاهد العامري(412- 436هـ/1021 1044م) ، وبها توفي .صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 70 .ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 484 .

[2] صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، ص 71 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 485 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ص 178. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج5 ، ص 40 .

[3] وكان قد رحل إلى المشرق ، وبحران درس الهندسة ، والطب ، ولما عاد إلى الأندلس استقر بسرقسطة ، وبها توفي . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 70 .ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 484 .

[4] لمعرفة المزيد من هؤلاء أنظر صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 71 وما بعدها .

[5] من أهل قرطبة ،كان كذلك عالمًا في الفقه ، والحديث ، والفلك ، رحل إلى المشرق سنة 259هـ/872م ، فسمع الحديث والفقه بمكة وبمصر ، ورجع إلى الأندلس وبها حدَّث ، ويقول الحميدي بأنه توفي سنة 304هـ/916م ، وينقل عنه المؤرخ الضبي ذلك . ابن الفرضي ،المصدر السابق ، ق2 ، ص ص126 – 127 . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص64 . الحميدي ، المصدر السابق ، ص351 . الضبي المصدر السابق ، ج2 ، ص629. السيد عبد العزيز سالم ، في تاريخ وحضارة الاسلام في الأندلس ، ص 288 .

[6] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص68 .

[7] نفسه ، ص ص 70 ، 72 ، 74 .

[8] نفسه ، ص 68 .

واشتهر الرياضي ، والطبيب محمد بن عبدون الجبلي بأنه كان مؤدبًا في الحساب ، والهندسة قبل أن يتقلد الطب ، وله مؤلف في الرياضيات[1] ، وأبو غالب حباب بن عبادة الفرائضي(عاش في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر) باشتغاله في علم العدد ، والحساب ، وله في الفرائض مؤلفات ، وأدب بهذا العلم ، وعلم الحساب وكان اسمه حبيبًا ، ولكن غلب عليه اسم حباب[2].

وأبو محمد عبد الله بن محمد المغيلي(ت334هـ/945م) الذي كان عالمًا بالحساب ، وعبد الله بن محمد المعروف بالسري (عاش في عصر الخليفة الحكم المستنصر بالله)الذي وُصف بأنه كان عالما بعلم العدد والهندسة وله كتاب في ذلك ، وكان الحكم المستنصر يعظمه[3] ، وألف أبو أيوب عبد الغافر بن محمد الفرضي كتابًا في الفرائض ، وهو أحد المهرة في علم الهندسة حيث أخذ عنه تلميذه مسلمة بن أحمد المجريطي (ت398هـ / 1007 م) وروى عنه[4] .

و برز في عصر ملوك الطوائف بإشبيلية أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم (ت420هـ/1029م) الذي كان بصيرًا بالعلوم الرياضية ، وله مشاركة في مختلف العلوم ، توفي بمصر اثناء رحلته المشرقية[5].

وبالمرية اشتهر ابن الجلاب الحسن بن عبد الرحمن كأحد الأندلسيين المحققين في علم الهندسة[6]، ونبغ في نفس المملكة القاضي ابن شهر أبو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن مختار الرعيني (ت435هـ/ 1043م)، فقد كان بصيرًا بالهندسة[7] .

وبسرقسطة اشتهر في تعليم العدد ، والهندسة عبد الله بن أحمد (ت 448هـ/1056م) ، ونبغ أكثر في علم الهندسة[8].

---

[1] نفسه ، ص 81 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 493 .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص107 . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص67 .

[3] نفسه ، ص ص 67-68 .

[4] نفسه ، ص 67 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 559 .

[5] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص73 .

[6] نفسه .

[7] وهو قرطبي الأصل ، ولد سنة 393هـ/1002م، وكان معتنيا بمختلف العلوم في اللغة ، والنحو ، والحديث ، والفقه ، والشعر ، وعلم الكلام والتاريخ ، والسير ، تولى قضاء المرية سنة 427هـ/1035م. نفسه ، ص72 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 901 .

[8] توفي في بلنسية . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 73 .

ومن أهل قلعة أيوب[1] برز أبو اسحاق إبراهيم بن لب بن أوليس التجيبي المعروف بالقويدس(ت454هـ/ 1062م)، فقد خرج إلى طليطلة ، وفيها جلس لتعليم علوم العدد ، والهندسة ، والفرائض[2].

واشتهر بقرطبة لوحدها في عصر ملوك الطوائف مجموعة معتبرة من معلمي مادتي العدد والهندسة ، ومنهم على سبيل المثال: أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد العدوي المعروف بالطنبري ، الذي كان نافذًا في علم العدد والهندسة ، وله كتاب في المعاملات[3]، وأبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر المعروف بابن الصفار(توفي في عصر ملوك الطوائف)[4]،والواسطي أبو الأصبغ عيسى بن أحمد، الذي وصفه معاصره المؤرخ صاعد الأندلسي(ت462هـ /1069-1070م) بأنه أحد المحنكين بعلم العدد ، والهندسة ، والفرائض[5]، وابن العطار محمد بن خيرة [6] .

وبطليطلة اشتهر القاضي أبو الوليد هشام بن أحمد الكناني المعروف بالوقشي(ت489هـ / 1095م) الذي قيل بأنه من أعلم الناس بالهندسة [7].

كما كان لليهود مشاركة في هذا العلم، ومنهم الوزير والكاتب أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي (كان حيًّا 478هـ/1085م) [8].

ومما يلاحظ في مدى تمكن الأندلسيين في العلوم الرياضية خاصة منها الهندسة ،هذا العلم الذي له ارتباط وثيق ولصيق بالجانب العمراني ، الذي اشتهر بروعة فنه ، وجماله ،وتميز الأندلسيون فيه ، فأشهر المباني الأندلسية والانجازات العمرانية التي لازالت بعض آثارها ماثلة إلى اليوم تدل على نجاعة ما يُقال في عصرنا الحالي التكوين المهني ، أو التكوين المتخصص في التعليم العالي في علم الهندسة المعمارية ، ونبوغ الأندلسيين في هذا المجال.

وتوجد بعض الأمثلة عن تلك الانجازات في هذا المجال منها المسجد الجامع بقرطبة الذي يعد من أروع الأمثلة للعمارة الإسلامية في العصر الوسيط ، وقد وصفه الجغرافي عبد المنعم الحميري بقوله : " ... من أجلِّ مصانع الدنيا كبر مساحة ، وإحكام صنعة ، وجمال هيئة ، وإتقان بنية ، تهمم به الخلفاء المروانيون ، فزادوا فيه زيادة بعد

---

[1] مدينة حصينة بالثغر ، شديدة المنعة ، من أعمال سرقسطة ، كثيرة الأشجار ، والمزارع ، والثمار ، والأنهار . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ج4 ، ص390 . عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص 469 .

[2] وكان نافذا في علم العربية ، وأدب بها بطليطلة . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 74 .

[3] نفسه ، ص68 .

[4] نفسه . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 484 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج4 ، ص 178 .

[5] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 72 .

[6] نفسه .

[7] نفسه ، ص 74 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 179 .

[8] ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 499 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 90 ، 113.

زيادة ، وتتميما إثر تتميم حتى بلغ الغاية في الإتقان ، فصار يحار فيه الطرف ، ويعجز عن حسنه الوصف ،فليس في مساجد المسلمين مثله تنميقًا ، وطولًا ، وعرضًا ..."[1] .

وكذلك القصور التي ظهرت بداية من العصر الأموي ، فقد قام الأمويون بإبراز مظاهر الترف ، والفخامة لملكهم بتشييد مجموعة من القصور والمنشئات في عصري الإمارة والخلافة ، ومما يؤسف له أنه لم يتبق من تلك المآثر العمرانية إلا آثار قصور الزهراء التي في بناء الخليفة عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-961م) في محرم 325هـ/936 م ، وجلب لها أمهر ، وأحسن المهندسين ، ومنهم مثلًا عبد الله بن يونس الذي لقب بعريف البنائين ، وغيره ، كما لم تعمر هذه الآثار طويلًا ، فقد اندثرت بعد سقوط الخلافة بقرطبة[2] ، ووُصف قصر الزهراء بأنه لم يبنى مثله في الإسلام البتة[3] .

وفي عصر ملوك الطوائف الذي يعد أزهى العصور التي ازدهر فيها العمران ، فقد تنافس هؤلاء الملوك في جلب أمهر المهندسين المعماريين لبناء أروع القصور ، ومنها قصر دار السرور ، قصر الجعفرية بسرقسطة[4]، وهو أحد القصور الذي بلغ فيه المهندسون الغاية في الإتقان[5] .

وفي المرية اشتهر قصر القصبة الذي بناه خيران العامري(ت419هـ/1028م) الذي عرف بـ" بهو خيران " وبتولي المعتصم ابن صمادح(443-484هـ/1051-1091م) أقام بجانب هذا البهو قصر اشتهر بالصمادحية الذي تفنن في بنائه المهندسون ، إذ كان يضم مجلسًا عرف في الأدبيات التاريخية بـ "مجلس الحافة"، أو " المجلس العظيم "، هذا الأخير الذي أوصل إليه المياه من ساقية ، ووزعت تلك المياه في بستان القصر عن طريق جداول متعرجة محفوفة ضفافها بالأزهار ، ثم ربطت تلك القنوات بجامع المرية ، ومنه إلى القصر ليصل إلى ما وراء قصبة القصر ، ثم تسرب الساقية إلى ما تحت الأرض[6] ، وهذا المخطط دليل على براعة الأندلسيين في مجال هندسة الري وكذلك "البستان العظيم " الذي جُلبت إليه مختلف أنواع الأشجار المعروفة والغريبة , وصمم له المهندسون في وسط هذا البستان بحيرة عظيمة [7].

---

[1] عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص ص 456 – 457 . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص377 .

[2] نفسه ، ص ص 405 ، 408 ، 410 .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 56 ، 58 .

[4] نسبة إلى أبي جعفر أحمد المقتدر بالله بن هود حاكم سرقسطة بين (438-475هـ/1046-1082م). المقري التلمساني ، المصدر السابق ج2 ، ص63 . محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 453 .

[5] خميسي بولعراس ، المرجع السابق ، ص197 .

[6] لويس سيكو دي لوثينا ، **قصور المعتصم بن صمادح ملك الطوائف في المرية** ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، م13 ، مدريد ،1966 ص216 .

[7] السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص 123 .

وبرع المهندسون في بناء قصر المأمون بن ذي النون بطليطلة سنة 467هـ/1074م ، الذي تميز بتقنية دقيقة عالية الإتقان في الهندسة المعمارية ، إذ صمم في وسط القصر بحيرة ، وفي وسطها قبة من الزجاج ملونة ،ومنقوشة من الذهب ، وجلب الماء إلى رأس تلك القبة بهندسة عجيبة ، فكان الماء ينزل من أعلاها إلى الجوانب المحيطة بها ويتصل ببعضها البعض ، وكان الماء يُسكب خلف الزجاج ، ولا يتوقف عن الجريان ، فكان المأمون(435-467هـ/1043-1075م) يجلس في هذه القبة ، ولا يمسه الماء ، وقد أوقدت له فيها الشموع[1] .

وغرناطة التي أبدع فيها المهندسون في بناء حماماتها بشكل هندسي عجيب ، الذي يمونها نهر بفلوم[2] بالماء وأبراج قصبة الإمارة بطرطوشة(Tortosa) ذات الدور الدفاعي[3]، التي تبين مدى الاتقان ، والدقة العالية في الهندسة المعمارية الأندلسية ، وكيف بقي البعض منها ماثلًا إلى عصرنا الحالي .

وليس الغرض من العرض السالف الذكر التحدث عن العمران في الأندلس ، وإنما ما يهمنا منه كشف مدى تمكن الأندلسيين في الهندسة في كل التخصصات سواء منها الهندسة الريفية ، والفلاحية ، وهندسة الري والهندسة المعمارية ، هذه الأخيرة التي تعتبر في حد ذاتها مادة علمية تدرس لطلابها مستقلة عن الهندسة الرياضية كما تعد صنعة تتطلب الحذقة فيها ، والمهارة ، والإبداع ، والتجربة ، والخبرة الميدانية ، وهي من جانب آخر تخصص ضمن تخصصات ما يشبه في عصرنا الحالي بالتكوين المهني . ولهذا يطرح السؤال التالي : ألا يعقل أن يكون لهذا الإبداع الفني في مجال الهندسة مدرسة أندلسية فنية قائمة بذاتها ؟ فالصُنعة (الحرفة) تتطلب كذلك تعليم ، كما أشار إليه ابن خلدون[4] .

---

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص59 . خميسي بولعراس ، المرجع السابق ، ص 197 .

[2] وهو نهر عذب ، يتفرع منه قسمين ، قسم يجري في أسفل مدينة غرناطة ، وقسم آخر يجري أعلاها ، ويشقها شقا ، وهو الذي يمون حماماتها ونظام سقايتها ، ويستخلص منه الذهب الخالص المعروف بالذهب المدني ، كما توجد بغرناطة أنهار أخرى كنهر حدارة ، ونهر سنجل. ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج4 ،ص 195 . عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص 45 .

[3] الفتح ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص 178 . كمال السيد أبو مصطفى ، **تاريخ مدينة طرطوشة الاسلامية وحضارتها في عصر دويلات الطوائف (في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)** ، ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، ط1 ، الرياض ، 1996 ، ق1 ، ص182 .

[4] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 856 .

3-علم الفلك والنجوم[1]: على الرغم من أن المؤرخ صاعد الأندلسي(ت462هـ/1069-1070م) يذكر بأن الأندلسيين عرفوا صناعة أحكام النجوم قديمًا وحديثًا أي إلى غاية عصره ، واشتهرت في كل عصر مجموعة من العلماء ممن ينتسبون إلى هذا العلم[2] ، إلا أن تدريس هذا العلم قد خضع مثله مثل باقي العلوم العقلية الأخرى إلى الحصار ، والمنع ، ولم يتح الخوض فيه إلا ما يتعلق منه بتحديد اتجاه القبلة ، ومعرفة مواقيت الليل والنهار وأوقات الصلاة ، ومواعيد الأهلة ، وإذا تجاوز الطالب ، والعالم هذه الحدود فقد دخل في المحظور ، ورمى بنفسه تحت طائلة المتهمين بالزندقة في نظر الفقهاء ، والسلطة ، والعامة على حد سواء[3]، ولهذا فقد قل الطلب على هذه المادة ، والاشتغال بها إلا بمجيء عصر الخلافة بداية من عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله(300-350هـ /912-961م)، وبدرجة أكثر في عهد الخليفة الحكم المستنصر(350 -366هـ/961-976م)[4].

ولا يمكن انكار وجود بعض ممن اهتموا بالفلك والتنجيم قبل عصر الخلافة ، فقد اخترع أبو القاسم عباس بن فرناس(ت274هـ/887م) الملقب بحكيم الأندلس الآلة المعروفة بالمنقالة أو الميقاتة ، وهي آلة حساب الوقت واخترع كذلك آلة للرصد تسمى ذات الحلق ، وكان مولع بالاختراع ، والاكتشاف إلى درجة أنه صنع في بيته كهيئة السماء ، بحيث يخيل للناظر فيها ، وكأنه يرى النجوم ، والغيوم ، والبروق ، والرعود[5]، وفي عصره أرسل الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط (206-238 هـ/822-852م) عباس بن ناصح الثقفي الجزيري إلى العراق ليجلب له الكتب القديمة ، فأتاه بكتاب السندهند[6] ، وهو أعظم كتاب فلكي هندي ، ويعد عباس بن ناصح أول من أدخله إلى الأندلس[7] .

[1] ويسميه ابن خلدون علم الهيئة ، الذي ينظر في حركة الكوكب الثابتة ، والمتحركة ، هذه الحركات التي تتمثل في أشكال ، وأوضاع الأفلاك في مواضع هندسية تكشف بطريق الرصد ؛ أي أنه علم بالحركات المحسوسة لمركز فلك الشمس ، وموقعه بالنسبة لمركز الأرض ، وما يترتب عن تلك الحركات من كيفيات ، وأجناس ، وطرق تركيب الأفلاك في طبقاتها ، والاستقامة ، والميل ، وما إلى ذلك . ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ص 1019 . ويذكر القادري بوتشيش أن بعض المصادر العربية تسميه علم الحدثان أي علم النجوم ، والفلك ، واستكشاف توقعات المستقبل . إبراهيم القادري بوتشيش ، **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي** ، دار الطليعة ، ط1 ، بيروت ، 2006، ص 104 .

[2] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 86 .

[3] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 71 .

[4] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 447 .

[5] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 318. ابن حيان ، المصدر السابق ، ص 282 وما بعدها . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 561 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 177 .

[6] لمعرفة هوية هذا الكتاب ، وبعض التفاصيل عنه أنظر إلى الفصل الثاني ، ص 156 ، الهامش 4 .

[7] ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ،ج1 ، ص45. عبد الواحد ذنون طه ، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ص47 .

وكما كان لعلم الصيدلة ارتباط وثيق بعلم الطب كان لعلم الفلك ، والنجوم ارتباط بالعلوم الرياضية ، خاصة بعلم الهندسة ، فمعظم علماء الفلك ، والتنجيم كانوا في نفس الوقت علماء رياضيين[1]، ومنهم على سبيل المثال أبو عبيدة مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة البلنسي المعروف بصاحب القبلة(ت295هـ/907م) الذي كان عالمًا بحركات الكواكب وأحكامها[2]، والقرطبي يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة(ت315هـ/927م)[3].

وممن جلسوا لتعليم علم الفلك ، وحركات النجوم : أحمد بن محمد بن أبي عيسى معلم مسلمة بن أحمد المجريطي (ت398هـ/1007م)[4]، كما كان هذا الأخير فلكيًا أيضًا ؛ فمدرسته التي أسسها في علم الرياضيات اعتنت كذلك بالدراسات الفلكية ، بل قامت هذه المدرسة أساسًا على علمي الرياضيات ، والفلك أكثر من العلوم العقلية الأخرى .

ولقد كان العالم الأندلسي مسلمة بن أحمد المجريطي على حد قول صاعد الأندلسي :" أعلم ممن قبله بعلم الأفلاك ، وكانت له عناية بأرصاد الكواكب"[5] ، وله مؤلفات عديدة في هذا العلم من بينها على سبيل المثال كتابه الذي اختصر فيه تعديل الكواكب ، وله "رسالة الاسطرلاب"، وترجم كتاب قبه الفلك لبطليموس[6] ، ولقد تتلمذ على يديه طلاب أصبحوا فيما بعد علماء أجلاء[7] .

وحتى تلاميذ المجريطي بقدر ما اشتهروا كعلماء في الرياضيات ذاع صيتهم كذلك في علم الفلك ، فكان ابن سمح أبوالقاسم أصبغ بن محمد(ت426هـ/1035) متقدمًا في علم هيئة الأفلاك ، بارعًا في علم النجوم ،حركاتها وله كتابين في الاسطرلاب ، والكتاب الكبير في الزيج على منوال الكتاب الهندي السندهند ، وقد قسم كتابه

[1] سعد بن عبد الله البشري ، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ص 117 .

[2] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص64 .

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 188 . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 65 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 482. المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 178 .

[4] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 68 .

[5] نفسه ، ص 69 .

[6] عالم يوناني قديم (ت نحو 170م)، من أسرة تعرف بالبطالسة ،كان رياضي ، وفلكي مشهور ، من مؤلفاته كتاب الجغرافيا ، المناظر، الموسيقى الأنواء ، القانون ، المقالات الأربع في أحكام النجوم ، وأشهر كتبه المجسطي في الفلك الذي يعد المصدر الأول الذي اعتمد عليه معظم علماء الفلك اليونانيين القدماء وكذلك العرب. نفسه ، ص 19 – 20 ، 29 . عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص ص 43 – 44.

[7] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 69 .

الأخير إلى جزأين أحدهما في الجداول ، والآخر في رسائل الجداول[1]، وأبو القاسم بن الصفار (توفي في عصر ملوك الطوائف)الذي قعد لتعليم علم النجوم، وله زيج مختصر، و كتاب في عمل الاسطرلاب [2] .

ولابن الصفار تلاميذ أصبحوا كذلك علماء في علم الفلك ، وحركات النجوم ، فكان منهم على سبيل المثال ابن شهر أبو الحسن مختار بن عبد الرحمن الرعيني(ت427هـ/1035م)الذي كان بصيرًا في هندسة علم النجوم[3] وابن برغوث محمد بن عمر بن محمد (ت444هـ/1052م) الذي اختص بعلم الأفلاك ، وهيئاتها وحركات الكواكب ، وأرصادها[4] ، وعبد الله بن أحمد السرقسطي(ت448هـ/1056م) الذي قعد لتعليم علم النجوم في سرقسطة ، وله رسالة في إصلاح مذهب السندهند في حركات الكواكب ، وتعديلها[5] ، وغيرهم .

وكذلك أبو اسحاق إبراهيم بن لب بن أوليس التجيبي المعروف بالقويدس(ت454هـ/1062م)، الذي رحل من موطنه قلعة أيوب إلى طليطلة ، وجلس لتعليم العلوم الرياضية ، والفلكية ، وعنه أخذ صاعد الأندلسي (ت462هـ/1069-1070م) علم هيئة الافلاك ، وحركات النجوم[6] .

وكان المؤرخ صاعد بن أحمد الأندلسي (ت462هـ/1069-1070م) السابق الذكر قد اشتهر ضمن علماء الفلك ، وحركات النجوم ، وكانت له مشاركة التأليف في هذا العلم ، فقد ألف كتابًا بعنوان "إصلاح حركات الكواكب ، والتنبيه إلى خطأ المنجمين"، ورد في هذا الكتاب على الفلكي عبد الله بن أحمد السرقسطي (ت448هـ/1056م) الذي احتج ببعض المعلومات الواردة في كتاب السندهند ، وقد رآها صاعد الأندلسي بأنها مردودة ، وخاطئة[7] .

ومن أساتذة المؤرخ ، والفلكي صاعد الأندلسي الذين ذكرهم في كتابه " طبقات الأمم " أبو جعفر أحمد بن حميس بن عامر الطليطلي ، فقد صرح بأنه أخذ عنه علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم ، كما ذكر بأنه التقى

---

[1] نفسه ، ص ص69 – 70 . السيد عبد العزيز سالم ، في تاريخ وحضارة الأندلس ، ص 288 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ص449 .

[2] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 69 –70 .المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 178 . والزيج مفرد الأزياج ، بمعنى الجداول الفلكية ، تستخرج بالعمليات الحسابية ، وتختص بحركات الكواكب ، وأوقات ظهورها ، وسرعتها ، ومواضعها في أفلاكها لأي وقت مفروض ، ويتم إعداد الزيج بالارصادات الفلكية . ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1020 . عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ص44 .

[3] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 72 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 178 .

[4] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 71– 72 .

[5] نفسه ، ص 72 –73 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 178 .

[6] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 74 .

[7] نفسه ، ص ص 72 – 73 .

بالعالم الفلكي أبي الوليد هشام بن أحمد الكناني المعروف بالوقشي في سنة 438هـ/1046م بطليطلة ، ويرجح بأنه أخذ عنه كذلك[1] .

ومن أشهر علماء الأندلس في تخصص علم الفلك في عصر ملوك الطوائف ، والذي بلغت شهرته آفاق المشرق ، والمغرب على حد سواء العالم الفلكي الأندلسي الطليطلي المعروف بالزرقالي ، أو ولد الزرقيال أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى النقاش التجيبي (ت493هـ/1099م) ، الذي وُصف بأنه " واحد عصره في علم العدد والرصد وعلل الأزياج ، ولم تأت الأندلس بمثله من حين فتحها المسلمون ..."[2]، وقد وضع الزرقالي جداول فلكية واخترع أجهزة دقيقة اشتهرت باسمه كالزرقالية ، والصفيحة ، كما ابتكر نظريات فلكية جديدة في عصره عن الكواكب السيارة ، والحركات الدائرية للنجوم[3] ، وكانت أكثر أرصاده بطليطلة ، ثم انتقل إلى قرطبة ، وكان آخر رصد قام به فيها آخر سنة 480هـ/1087م ، وله الكثير من المؤلفات في هذا العلم ضاع أغلبها منها" كتاب الأفق" ، أو "أفق الدنيا" ، و" رسالة في العمل بالصفيحة " ، و"طريقة عمل اسطرلاب لرصد الكواكب السبعة وأفلاكها"[4] .

وكانت لبني هود أصحاب سرقسطة عناية ، ومشاركة في العلوم ، فقد كان للمقتدر بالله بن هود (438-473هـ/1047-1018) اهتمامٌ بالعلوم الرياضية ، والفلك ، والفلسفة ، أما ابنه يوسف المؤتمن (473-477هـ/1081-1085م) فقد ألف كتاب " الاستكمال في الفلك " الذي اهتم به بعض العلماء ، وأخذوا في شرحه[5] .

ومما سبق ذكره فإن الأندلسيين اهتموا وكانت لهم المشاركة بالبحث ، والتأليف ، والتدريس في علم الفلك وحركات النجوم شأن العلوم الرياضية الأخرى ، لهذا نجد كثرة المصنفات التي تناولت الأزياج ، والاسطرلابات والرسائل المؤلفة في الأرصاد ، وحركات النجوم ، فكل عالم فلكي إلا وتجد له مؤلف ، وهذا ما ساهم في تنشيط حركة إنتاج الكتب في هذا العلم ، وقد كان للعامل السياسي دور في مدى تقلص أو انحصار انتشار هذا العلم فالملاحظ أنه شهد تطورًا أكثر في عهد الخليفة الحكم المستنصر ، وكذلك في عصر ملوك الطوائف ؛ إذ كان فيه أكثر تسامحًا ،بل وتشجيعًا مقارنة بعصر الإمارة ، وبعض الفترات من عصر الخلافة أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر وحفيده هشام المؤيد، كما يلاحظ علو مستوى هذا التخصص ، فليس أي كان يستطيع أن يطرق هذا العلم ،بل

---

[1] نفسه ، ص 74 .

[2] ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ص 120 .

[3] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 72 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 451 .

[4] ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص 120 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 452 .

[5] نفسه ، ص ص 454 – 455 .

يُشترط فيه التمكن في الرياضيات من حساب، وهندسة ، والحذق فيهما حتى يُلِمَّ الطالب بهذا العلم ، ولقد أثبت الكثير من الأندلسيين جدارتهم ، وتمكنهم في هذا الجانب بدليل كثرة تراجم الأعلام من العلماء المشتغلين بهذا العلم في كتب الطبقات ، وعلى رأسها كتاب طبقات الأمم لصاعد الأندلسي، الذي أورد نماذج للكثير منهم .

4)- علم الكيمياء : وهو العلم الذي ينظر في تكوين المادة ، ومعرفة أمزجتها ، وقواها ، وارتبط هذا العلم أكثر بكل ما يتعلق ما يعرف بصناعة التعدين خاصة في المعادن النفسية ، وعلى رأسها الذهب ، والفضة[1] ، وكان هذا العلم يقتصر على السحر ، والشعوذة عند المصريين القدماء قبل أن يصبح علمًا منظمًا ، إذ يرجع الفضل في ذلك إلى العلماء المسلمين ، وعلى رأسهم جابر بن حيان(ت200هـ/815م) فقد وضع له أسسًا ، وصنف فيه رسائل ومؤلفات ، وهذا العلم الذي يعتمد على أساليب التبخير ، والتذويب ، والتقطير ، وما إلى ذلك من عمليات تحويل المعادن ، فكان للمسلمين الفضل في اكتشاف معدن ماء الفضة (حامض النتريك) ، وحجر جهنم (نترات الفضة) ، وغيرهما[2] .

واشتهر بعض الأندلسيين المتخصصين في هذا العلم ، فعلى الرغم من شح المادة – إن لم نقل معدومة- عن علماء ، ومدرسي هذه المادة في عصر الإمارة ، إلا أن عصري الخلافة ، وملوك الطوائف يعدا من أزهى العصور التي شهدت فيهما الأندلس رواج العلوم ، وانتشارها في مختلف الاختصاصات ، بما فيها العلوم العقلية من الرياضيات ، والفلك ، والكيمياء .

وفي عصر الخلافة برز في صناعة الكيمياء القرطبي مسلمة بن القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن حاتم (ت353هـ/964م)[3] الذي انصرف إلى دراسة الكيمياء ، وعلم الفلك ، والنجوم ، واتهم من طرف العامة اشتغاله بالسحر[4]، وكذلك عبد الله بن محمد المعروف بالسري[5] .

ومن أساتذة مادة الكيمياء في الأندلس مسلمة المجريطي(ت 398هـ ./1007م) الذي وصفه ابن خلدون بشيخ الأندلسيين في علوم الكيمياء[6] ، فقد ألف في علم الكيمياء كتابه المسمى "رتبة الحكيم

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1069 . محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 240 .

[2] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص240 .

[3] يكنى بأبي القاسم ، سمع بالأندلس ، رحل إلى المشرق ، فسمع بحواضر المغرب ، مصر ، الحجاز ، العراق ، اليمن ، والشام ، ورجع إلى الأندلس بعلم كثير، فسمع منه الناس ، وكان قد كف بصره بعد عودته . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 127 وما بعدها .

[4] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 448 .

[5] ونبغ كذلك في علم العدد ، والهندسة ، وهو فقيه ، وإمام في النحو ، واللغة ، ومكانته عند الخليفة الحكم المستنصر عظيمة ، فقد كان يبجله ويحترمه ، ويوقره ، ومع هذا فقد زهد في مخالطة الخلفاء . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 67 – 68 .

[6] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1079 .

ومدخل التعليم "[1] ، وله كتاب بعنوان مشابه للأول ، وهو كتاب "غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم" في السحر والطلمسات ، والذي قال فيه ابن خلدون أنه كتاب ملئ بالألغاز يصعب فهمها لمن لا يعرف ، ولا يفقه مصطلحاته[2] .

كما قام المجريطي بعدة تجارب في الكيمياء أثبتت جدارته ، وعلو كعبه في هذا العلم من خلال تجربته حول ملاحظة ما يحدث على أوزان المواد الكيمياوية التحليلية ،حيث أخذ ربع رطل من الزئبق الرجراج الخالي من الشوائب ، وجعله في وعاء زجاجي ، ثم وضعه داخل إناء آخر ، ثم وضع كل ذلك على نار هادئة لمدة أربعين يومًا ، ثم أخرج ذلك الإناء بعد تلك المدة ، ونظر في الزئبق ، فوجده قد تحول إلى مسحوق أحمر ، ثم وزنه بعد ذلك ، فلاحظ احتفاظه بوزنه الأصلي الأول بدون زيادة أو نقصان ، وبهذه التجربة أصبح المجريطي المصدر الأساسي الأول لبحوث ، ودراسات علماء الكيمياء[3] .

ويكفي لمسلمة المجريطي(ت398هـ/1007م) فخرًا بأنه بقدر ما تخرج على يديه تلاميذ علماء في الرياضيات والفلك ، كان له تلاميذ مميزون في علم الكيمياء أيضًا ، منهم الذي لا يقل عنه شأنًا تلميذه العالم الكيميائي أبو بكر محمد بن بشرون المجريطي(عاش في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي) الذي اشتهر برسالة كتبها إلى زميله في الدراسة ، دعاه فيها بأبي السمح[4] ، وتورد هذه الرسالة أجوبة عن أسئلة أبي السمح حول بعض المسائل المتعلقة بعلم الكيمياء ، ومن نص هذه الرسالة قول ابن بشرون :" ...أبين لك من هذه الصنعَة ما يُحتاج إليه فنبدأ بمعرفته ، فقد قالوا ينبغي لطلاب هذا العلم أن يعلموا أولًا ثلاث خصال : أولها هل تكون ؟ والثانية من أين تكون ؟ والثالثة من أي كيف تكون ؟ فإذا عرف هذه الثلاث ، وأحكمها ، فقد ظفر بمطلوبه ، وبلغ نهايته من هذا العلم "[5] .

ومن خلال هذا المقطع من الرسالة ، تتضح عدة قراءات حول مبادئ تعليم الكيمياء من أهمها :

---

[1] نفسه ،ج3 ، ص 1070 . وقد نسبه الباحث والمؤرخ عبد الواحد ذنون طه إلى أبي مسلمة محمد بن إبراهيم بن عبد الدائم المجريطي (عاش في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) ، وهو غير الفلكي المشهور بأبي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي(ت398هـ/1007م) **وربما** قد وقع الاستاذ عبد الواحد في خطأ بالرجوع إلى ما ذكره المؤرخ ابن خلدون سالفًا ، إذ يقر بأن المقصود هو مسلمة بن أحمد المجريطي ، وهو ما أكده المستشرق الاسباني أنخل جنثالث بالنثيا . أنظر أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص449 . عبد الواحد ذنون طه ، تراث وشخصيات من الأندلس ، ص 19 .

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 1079 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص449 .

[3] سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص ص 118 – 119 .

[4] ويحتمل أنه أصبغ بن محمد بن السمح (ت426هـ/1034م) ، وهذا الأخير من تلاميذ مسلمة المجريطي كذلك .

[5] للاطلاع على نص الرسالة كاملًا أنظر إلى ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص1071 وما بعدها . عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 20 .

– أن أبا السمح بعث برسالة إلى أبي بكر محمد بن بشرون يسأله فيها عن علم الكيمياء.
– وأن رسالة محمد بن بشرون هي رد وجواب عن أسئلة زميله أبي السمح ، بيّن فيه الأسس التي يقوم عليها البحث ، والدراسة في علم الكيمياء .
– ومن خلال رد ، وجواب بن بشرون ، فإنه على طالب هذا العلم أن يدرك ، ويتمكن من حلول المسائل الكيميائية ، ثم يحاول البرهنة على صحتها بواسطة الأشكال الهندسية ، ثم يحاول تبسيطها بأمثلة عملية ، فإذا استطاع إحكام ذلك استوعب علم الكيمياء ، وتمكن ، وحذق فيه .

والملاحظ أن ابن خلدون في حد ذاته الذي أورد الرسالة استغرب من كثرة الرموز ، والألغاز ، والألفاظ التي لم يستوعبها ، وحكم على هذا العلم بأنه صناعة غير طبيعية ، فيذكر أن العالم الكيميائي جابر بن حيان(ت200هـ /815م) في حد ذاته وضع سبعين رسالة كلها شبيهة بالألغاز بحيث لا يفقهها ، ولا يملك مفاتيحها إلا من أحاط بهذا العلم[1] .

ومن أهم المصنفات التي ألفها محمد بن شبرون في علم الكيمياء "سر الكيمياء " ، وهي الرسالة المذكورة في مقدمة ابن خلدون ، والتي أرسلها بن شبرون إلى أبي السمح ، ومصنفه " مختصر لرتبة الحكيم ومدخل التعليم " وهو واضح من عنوانه بأنه مختصر لكتاب أستاذه مسلمة المجريطي[2] .

ومما سبق ذكره يلاحظ مدى عناية الأندلسيين بكل أنواع العلوم الطبيعية بما فيها الكيمياء ، فاشتغلوا بهذا الأخير ، وألفوا فيه المصنفات ، وحتى الرسائل في طريقة التعليم ، والتدريس ، وكيفية معالجة هذه المادة ، وهذا ما يدل على علو كعبهم ، وطول باعهم في مختلف العلوم الطبيعية ، والملاحظ كذلك أن الظروف السياسية ، ورعاية الحكام كانت لها الأثر الإيجابي الواضح في تنشيط مثل هذه العلوم ، وإلا كيف يفسر ارتباط ظهورها ، وازدهارها بعصر الخليفة الحكم المستنصر راعي الحركة العلمية بالأندلس في عصر الخلافة ، وكذلك عصر ملوك الطوائف الذين إما تغاضوا عن قصد لكل مشتغل بهذا العلم ، أو تسابقوا لاستقطاب العلماء ، أو ربما انشغالهم بالأمور السياسية ، والتوسع على حساب الآخر شغلتهم عن تتبع علماء تلك المواد .

5)– **علم الفلاحة** : يصنف ابن خلدون هذا العلم ضمن فروع العلوم الطبيعية ، ويعرفه بأنه :" النظر في النبات من حيث تنميته ، ونشؤه بالسقي ، والعلاج ، وتعهده بمثل ذلك "[3] ، وأول من اشتغل بهذا العلم اليونانيون

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص1070 وما بعدها . عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص 20 .
[2] نفسه ، ص ص 20 – 21 .
[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج3 ، ص1028 .

القدماء بقصد معرفة خواص ، ومميزات النباتات ، ومكوناتها لاستغلالها في السحر ، أما لدى المسلمين فقد كان السحر محظورًا ، فاقتصروا على العناية بغرس النباتات ، وتنميتها ، واستغلالها في العلاج [1] .

ويعد أزهى عصر راج فيه علم الفلاحة ، وأَوْلَى الأندلسيون عنايتهم فيه القرنان الخامس والسادس للهجرة/ الحادي عشر ، والثاني عشر للميلاد ؛ أي فترة عصري ملوك الطوائف ، والمرابطين ، فظهرت العديد من المؤلفات استطاعت أن تؤسس مدرسة أندلسية زراعية — ان صح التعبير– ومن تلك المصنفات كتاب جموع الفلاحة لابن وافد(ت467هـ/ 1075م) ، وكتاب الفلاحة لمحمد بن إبراهيم بصال (ت499هـ/1105)[2].

ويرتبط علم الفلاحة بعلم النباتات الطبية ، أو ما يعرف بالصيدلة ارتباطًا وثيقًا ، فالفلاحة كان لها الفضل في انتشار التداوي بالنباتات بما تحمله كل نبتة من خصائص تميزها عن الأخرى ، لهذا وجد في الأندلس من اعتنى بهذا الجانب ، ولقد ذُكرت فيما سبق نماذج لبعض النباتيين ، عند الحديث عن الطب ، والصيدلة في الأندلس ومنهم جواد النصراني الذي استغل النباتات ، والأشجار لغرض صناعة الأدوية ، ومنها دواؤه المسمى " دواء الراهب" وغيره [3].

ولقد عاش فيما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين عالم نباتي مجهول الاسم ألف معجمًا بأسماء النباتات في الأندلس ، وخصائص الأقاليم الجغرافية التي تنبت فيها ، ومعلومات عن التقاليد الشعبية لأهل الأندلس ، ولغاتهم[4] .

وساعد اهتمام الأمراء ، والخلفاء ، وبعض ملوك الطوائف بالبستنة ، وتشييد القصور ، والمتنزهات على العناية بالفلاحة ، وجلب النباتات من المشرق ، زيادة على إدخال نظم الري الشامية إلى الأندلس ، فمنذ عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/756-788م) الذي جلب إلى قصره غرائب الشجيرات، والنباتات ومختلف الحبوب ، فقد بعث رسله إلى الشام ليجلبها له[5].

وساهمت العوامل السالفة الذكر ساهمت في ازدهار الفلاحة بالأندلس ، لهذا ظهرت أعمال جليلة ، ومصنفات في هذا الميدان منها الموسوعة كتاب "زهر البستان و نزهة الأذهان " للطغنري (أبو عبد الله محمد بن مالك)

[1] نفسه . وهذا لم يمنع بعض الأندلسيين الكتابة ، والتأليف في السحر ، والطلمسات ، ومن هؤلاء مثلًا مسلمة المجريطي(ت398هـ/1007م) الذي صنف كتابه " غاية الحكيم " المذكور في موضع سابق . نفسه . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 449 .

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 4 . محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 247 وما بعدها .

[3] ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 485 . أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 462 . للاستزادة أكثر عن دور النبات في الصيدلة ومؤلفات الأندلسيين في ذلك أنظر إلى ص 302 وما بعدها من هذا الفصل .

[4] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 469 .

[5] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص11 .

الذي يعد أهم المجاميع في الفلاحة ، والبيطرة ، وألف صاحب الكتاب للأمير الزيري عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة (465-483هـ/1073-1090م) في عصر ملوك الطوائف[1] .

ويصف بعض المؤرخين كالمقري التلمساني مثلًا مدى عناية الأندلسيين ، وتعلقهم بالفلاحة بقوله :"وأهل الأندلس (...) يونانيون في استنباطهم للمياه ، ومعاناتهم لضروب الغراسات ، واختيارهم لأجناس الفواكه وتدبرهم لتركيب الشجر ، وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر ، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة ومنهم ابن بصال صاحب"كتاب الفلاحة " الذي شهدت له التجربة بفضله ..."[2] .

كما أبدع الأندلسيون في طرق مسح الأراضي ، واستغلالها في إنتاج مختلف أنواع الخضر ، والفواكه ، والحبوب والأشجار ؛ إذ استغلت تلك المنتوجات حتى في الصناعة الفلاحية كصناعة الحرير مثلًا ، وكذلك الري ، وتقنيات هندسة تصريف المياه التي مازالت انجازات المسلمين في الأندلس تستفيد منها بعض المدن الاسبانية في عصرنا هذا خاصة في مجال بناء السدود في مدينة بلنسية ، وهذا بشهادة المستشرق الدكتور روزيه[3] بقوله :"طوفت بلاد الأندلس ، ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب ، فأعجبت بها كل الاعجاب ، ومما شهدته السدود القائمة إلى اليوم في بلنسية ، فإن أهل هذه الولاية من الاسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود ولم يتيسر لمدينة في القرن العشرين أن تقيم أرقى مما أنشأه أبناء جنسكم في القرون الوسطى" [4] .

مما سبق ذكره يتضح بأنه على الرغم من شح المصادر التي تتحدث عن كيفية تعلم أو استعمال الأندلسيين طرق الغرس ، وابتكار تقنيات الري ، إلا أنه من النصوص السابقة يتضح أن الأندلسيين كانوا مبدعين ماهرين في صناعة الفلاحة ، والعناية بها ، وحتى التفنن في هندستها ، بدليل المصنفات ، والمعاجم الجليلة التي ألفها العلماء الأندلسيون في شرح أنواع النباتات في الأندلس ، وأماكن تواجدها ، وطرق الري ، وغير ذلك ، والتي بلغت شهرتها في أوروبا ، والعالم الاسلامي ، وأصبحت مصادر نفيسة يرجع إليها الباحث المتخصص في هذا المجال.

كما يلاحظ أن هذه المصنفات ظهرت أغلبها في عصر ملوك الطوائف الذي يعد أزهى عصر لقيت فيه الفلاحة العناية بالبحث ، والتأليف على عكس عصري الإمارة ، والخلافة الذين اقتصرا فيهما على ترجمة المؤلفات النباتية اليونانية ، والهندية القديمة ، ومنها كتاب ديسقوريدس للنباتات الطبية ، وكتاب هيروشيش حول جغرافية وأقاليم الأندلس ، وتوزيع النباتات فيها ، وغيرهما .

[1] نفسه ، ص ص 535 – 536 .

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 3-4 .

[3] وهو الرئيس الأسبق لجامعة لوزان السويسرية . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 211 .

[4] نفسه .

الفصل الرابع

الإطار الاجتماعي والسياسي لحركة التربية و التعليم

أحاطت بمنظومة التربية والتعليم في الأندلس منذ قيام الامارة الأموية على يد عبد الرحمن بن معاوية الداخل إلى غاية نهاية عصر ملوك الطوائف – فترة محل الدراسة – مجموعة من الظروف الاجتماعية ، والسياسية كانت لها تأثير على الطلاب، وشيوخ العلم ، وعلى المجتمع والدولة بصفة عامة ، لهذا سيعالج هذا الفصل أوضاع حركة التربية والتعليم ، ومكانة أهلها الاجتماعية ، ودورهم السياسي .

المبحث الأول : الاطار الاجتماعي :

المطلب الأول : الطلاب :

أ)–**حب الأندلسيين للعلم** : تعد الأسرة التي ينشأ فيها الطالب أول مدرسة تربوية تعليمية ، حيث يستكشف بواسطتها الطفل في صغره محيطه أولًا ، ثم يتعلم اللمس ، والنطق ، والأكل ، والشرب ، والتعامل مع الآخر ...الخ ، وكل هذه المظاهر ، والقواعد التربوية تصقل المتربي لكي يكون فردًا سويًّا ، فيأخذ بعض ملامح ومظاهر الأسرة ، وعادات ، وتقاليد المجتمع الذي ينتمي إليهما ، كما تتمثل أهمية هذه المرحلة بأنها فترة إعداد الصبي لدخول مرحلة أخرى لا تقل أهمية عنها في المراحل التعليمية ، وهي مرحلة الكتاتيب ، وبداية من دخول الصبي الكتاتيب ، يلاحظ أن رعاية الصبي تختلف من أسرة إلى أخرى بحسب مستوى طبقات المجتمع ، فهناك العامة ، وفئة أخرى تعرف بالخاصة من أبناء الأمراء ، والخلفاء ، والملوك ، والوزراء ، الحكام ، العلماء ، وحسب إمكانيات الأسر فتوجد منها الفقيرة ، وأخرى ميسورة الحال ، والغنية ...الخ

وعلى الرغم من هذا التفاوت في الامكانيات ، والاختلاف في مستوى الطبقات ، إلا أن الأندلسيين اهتموا بتعليم ابنائهم ، وبذلوا في تحقيق هذا الهدف الأسمى، الغالي ، والنفيس ،حتى صار العلم ميزة أهل الأندلس[1] وتنافسوا لتحصيله ، ودليل ذلك المناظرة الشهيرة التي جرت بين ابن حزم الظاهري(ت456هـ / 1063م) وأبو الوليد الباجي المالكي(ت474هـ/1081م) ، فقد قال هذا الأخير لابن حزم :" أنا أعظم منك همة في طلب العلم لأنك طلبته ،وأنت معان عليه ، تسهر بمشكاة الذهب ، وطلبته ، وأنا أسهر بقنديل بائت السوق فقال ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك ، لأنك إنما طلبت العلم ، وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وأنا طلبته في حين ما تعلمه ، وما ذكرته ، فلم أرج به إلا علو القدر العلمي في الدنيا، والآخرة ، فأفحمه ..."[2].

---

[1] المقري التلمساني، المصدر السابق ، ج1 ، ص 181 . عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي ، ص ص 411 –412 .

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 238 .

ولقد عرف الأندلسيون قيمة العلم ، وفضائله على حامله ، وأدركوا مرتبة العالم عندهم ، فهو معظم عند الخاصة ، والعامة على حد سواء ، ولبلوغ هذه المكانة ينفقون ما لديهم للتعلم بهدف الاستزادة من المعرفة، ولا يطلبونه لنيل الأجرة أو المقابل المادي [1] .

وعدد ابن حزم الكثير من فضائل العلم ، فمنها أن المتعلم يرفعه العلم إلى درجات تشغله عن الأفكار السقيمة ، والوساوس المضنية ، والعالم يهابه الجهال بعلمه ، ويحبونه كما يحبه نظرائه من العلماء ، ويكرمونه، ومن فضل العلم على حامله ، طرد الهم ، وانشغاله بالبحث، والتقصي[2].

ب)- سن بداية التعلم: يبدأ الصبي تعلم الهجاء ، والكتابة عندما يدخل المرحلة الابتدائية ، وهي عند دخوله الكتاتيب ، وقد تساهم الأسرة بتعليمه في البيت كما هو الحال عند الأسر العلمية .

ولقد اختلف المؤرخون في ضبط ، وتحديد سن دخول الصبي الكتاتيب بدقة ، فقد ذكرت بعض المصادر كما هو عند ابن الأبار مثلًا الذي أورد نصاً لأبي الأصبغ عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر ؛ إذ كان له ولد أدخله الكتاب ، وقد أظهر نجابته فأول ، لوح كتبه أرسله إلى أخيه الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر(350-366هـ/961-976م) ، وكتب إليه الأبيات التالية :

هَاكَ يَاْ مَوْلايَ خَطًّا مَطَّهُ فِي اللَّوحِ مَطًّا

ابنُ سَبْعٍ فِي سِنِيهِ لَمْ يَطق لِلَّوْحِ ضَبْطًا

لم يَقُلْ فِي الضَّاءِ طَاءُ فَحَوى لَفْظًا وَخَطًّا

دُمْتَ يَا مَوْلاي حَتَّى يُولَدَ ابْنَ ابْنَكَ سِبْطًا[3] (البحر مجزوء الرمل).

ومن خلال البيت الثاني يتضح أن ابن أبي الأصبغ قد دخل الكتَّاب وهو في سن السابعة من العمر ، وهو السن التقريبي الذي يدخل فيه الأطفال الكتاب ، لذا فقد حدد دخول الصبي في هذه المرحلة بأنه يتراوح بين الخامسة ، والسابعة من العمر ، وقد يبلغ في بعض الحالات العاشرة من عمره أو يزيد عنها ، فهذا يرجع إلى تقدير آباء الصبيان [4] .

---

[1] نفسه ،ج 1 ، ص 181

[2] ابن حزم الأندلسي ، الأخلاق والسير ، ص 118 . عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص ص 22- 23 .

[3] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 289. الضبي ، المصدر السابق، ج2 ، ص 501 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 351. ويقول ابن الأبار(ت658هـ/1259م) أن الأبيات هذه ليست لولده ، وإنما له هو بعثها لأخيه الحكم المستنصر عندما كان صغيراً حينما كتب هذا الأبيات في أول لوح يكتبه عند دخوله الكُتَّاب . ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص 121.

[4] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 164 .

وهو ما يذهب إليه عالم المغرب أبو الحسن علي بن القابسي القيرواني(ت403هـ/ 1012م) في رسالته المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين والمعلمين ، وهو قريب زمانيًّا ومكانيًّا لهذا الموضوع ، حيث يقول أن سن دخول الصبي لمرحلة الكتاب مقترن بسن تعلمه الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم: "مُرُو أَوْلادُكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُم أَبْنَاءُ سَبع سِنِينَ وَاضرِبُوهُم عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ"[1] ، ويحدد ابن القابسي المدة التي تستغرقها مرحلة الكتاب حيث يقول بأنها ربما إلى أن يبلغ المتعلم سن الاحتلام ، ويتم في هذه المدة تعلم المبادئ الأولية الدينية[2] .

ويرى الفقيه ابن حزم الظاهري(ت456هـ/1063م) أن الآباء هم الذين باستطاعتهم معرفة متى يكون استعداد أبنائهم سواء الجسمي أو العقلي للكتابة ، وفهم ما يقال لهم ، وقدر ذلك في رأيه بأنه عندما يبلغ الصبي الخامسة من عمره أو نحوها [3] .

أما في بعض البيوت الأندلسية فقد كان الأطفال يتدربون على أنماط من السلوك تميز طبقتهم الاجتماعية عن غيرها ، كما يتعلمون بعض المواد الدراسية في منازلهم ، ومن الأمثلة التي تعبر عن تلك الفئة تربية ابن حزم (ت456هـ/1063م)، الذي علل بأن أباه كان حريصاً على أن يغرس فيه الخلق الكريم ، ويحيطه بالمراقبة والتوجيه ليكتسب أخلاقاً إسلامية ، وكانت جواري أبيه يعلمنه القرآن ، والخط ، والشعر [4] .

ومن خلال المثال السابق لتنشئة الفقيه ابن حزم في مرحلة الصبى الذي يقاس ، وينطبق على أبناء الحكام والأغنياء ، إذ يستقدمون المؤدبين لتربية أبنائهم في المنازل والقصور ، لهذا كان يُختار من هؤلاء المؤدبين من يتسم بالعفة ، والنزاهة ، والاتزان ، وحب الحق ، لما لذلك من تأثير في نفوس أبنائهم .

أما في المرحلة الثانية (الوسطى) التي يبلغ فيها المتعلم مرحلة الشباب ، فيكتنفها الغموض في تحديد سن الدخول إليها بدقة ، وما هو المستوى الذي يحصله في المرحلة السابقة لها الذي بموجبه ينتقل إلى هذه المرحلة ، فلا توجد دراسة أو نص صريح – في حدود علمنا – يجيب بصراحة عن هذه الاشكالية بدقة ، ووضوح ، ما عدا بعض التخمينات ، والاستنتاجات التي تستقرأ من خلال تراجم بعض الرجال ، والعلماء ، فقد ذكر ابن الأبار مثلًا أن

---

[1] حديث صحيح ، أخرجه أبي داود . أبوداود السجستاني ، سنن أبي داود ، ج1 ، ص 367 . وذكره أحمد بن حنبل بلفظ: " مُرُوا صِبيانُكُم بِالصَّلاةِ إِذَا بَلَغُوا سَبْعًا ، وَاضْرِبُوهُم عَلَيْهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْرًا " . أحمد بن حنبل الشيباني ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ،ج6 ، ص ص 243 – 295 .

[2] أحمد حمايمو ، المرجع السابق ، ص 06 .

[3] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ج4 ، ص 65 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص ص 159-160 .

[4] ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، ص 255 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 57 .

المنصور محمد بن أبي عامر (326 – 392 هـ/938 -1002م) : " قدم إلى قرطبة وهو شاب ، فطلب بها العلم ، والأدب ، وسمع الحديث ..."[1] ، وذكر لفظ شاب أي أنه تجاوز مرحلة الكتاتيب .

كما أن عثمان بن سعيد بن عثمان الداني(ت444هـ/1053م) قال: " سمعت أبي رحمه الله غير مرة يقول إني ولدت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، وابتدأت أنا بطلب العلم بعد سنة خمس وثمانين ، وأنا ابن أربع عشرة سنة " [2] .

و من خلال النص السالف الذكر فسن هذه المرحلة هو الرابعة عشر سنة ، وقد يقل أو يزيد بحسب استعدادات المتعلم الفطرية ، وقدراته العقلية ، وحتى حسب الظروف النفسية ، والاجتماعية التي تؤثر فيه ، أو عليه ، فمثلًا أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي التاهرتي البزاز(ت395هـ/1004م) الذي قدم قرطبة صغيرًا مع أبيه ، وهو ابن ثماني سنين ، قد بدأ بطلب العلم ، وهو في هذه المرحلة ابن خمس وعشرين سنة[3].

أما المرحلة الثالثة وهي العليا فيتميز طالب العلم فيها بالنضج ، واكتساب مقدار معين من التمكن في المواد التي درسها طيلة المرحلتين السابقتين ، كما أنه يكتسب الحرية في اختيار التخصص ، والمواد التي يريد التعمق فيها بحسب ما يميل إليه ، ويختار كذلك الأستاذ الذي يراه مناسبًا لما يطلبه ، كما ينتقي الكتب التي يراها تساعده في التحصيل ، ومن الصعب جدًا تقدير سن المتعلم في هذه المرحلة ، فهي لا تتحد بالسن ، وانما بمدى استيعاب المتعلم مواد المرحلتين الأولى ، والثانية [4] .

و على الرغم من أن هذه المرحلة تشتهر بأنها مرحلة التخصص ، والتعمق في مادة أو مادتين أكثر من غيرها إلا أن بعض طلاب العلم لم يكتفوا بذلك ، فقد يحصلون عدة مواد ، وفي سن أقل من الخامسة عشرة من العمر ، كما هو الحال لابن جلجل سليمان بن حسان القرطبي(ت بعد 377هـ/987م) الذي " سمع الحديث بقرطبة ، وهو ابن عشر سنين (...) ، وأخذ العربية (...) ، وعنى بالطب أتم عناية ، وهو ابن أربع عشرة ، وأفتى فيه ابن أربع وعشرين ، وصنف فيه كتبا جليلة النفع ...."[5].

ومن مظاهر هذه المرحلة أن يُقْدِمَ المتعلم بعقد الرحلة لطلب العلم إما إلى مدن ، وحواضر الأندلس أو إلى حواضر المشرق ، وهذا بقصد التعمق ، والتخصص في علم أو أكثر من العلوم الدينية ، أو الأدبية ، أو

---

[1] ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص 153 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 593 .

[3] نفسه ، ج1 ، ص 140 .

[4] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 41 .

[5] ابن عبد المالك المراكشي ، الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ، السفر الرابع ، ص62 .إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 176 .

الاجتماعية ، أو العقلية ، أو حتى الجمع بين أكثر من علم في مختلف العلوم ، والتخصصات حسب ما يراه ويميل إليه طالب العلم [1] .

ومما سبق ذكره عن تحديد سن التعلم ، فيمكن تحديد سن دخول الصبي إلى الكتاتيب ، التي تمثل المرحلة الأولى الابتدائية التي تتراوح بين الخامسة إلى السابعة من عمر المتعلم ، أما نهايتها فهي تتوقف على مدى تمكن الصبي في تعلم أبجديات القراءة، والكتابة ، والهجاء ، وحفظ القرآن ، والحساب، وحفظ بعض الأشعار.

أما فيما يخص المرحلة الثانية فهي تبدأ بعد خروج الصبي من الكتاتيب وولوجه إلى التدقيق أكثر، والتعمق في العلوم السالفة الذكر ، وتتوقف نهاية هذه المرحلة وبداية المرحلة العليا بحسب قدرات المتعلم الفطرية من ذكاء وذاكرة ، وحسب الظروف الأسرية ، والاجتماعية ، على أنه لا يمكن تحديد نهاية المرحلة العليا ، فطلب العلم ليس له نهاية إلا أن يتوفى طالبه .

ج)– مظاهر رعاية الآباء للأبناء ، وحرصهم على تعليمهم :

وصف المقري التلمساني الأندلسيين وميزتهم في حبهم للعلم ، وبذل العناية لاكتساب أبنائهم المعارف وشبههم بأنهم : "هنديون في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم ، بغداديون في نظافتهم وظرفهم ، ورقة أخلاقهم ، ونباهتهم ، وذكائهم ، وحسن نظرهم ، وجودة قرائحهم ، ولطافة أذهانهم ، وحدة أفكارهم ، ونفوذ خواطرهم ..."[2] ، لهذا حرص الأندلسيون على تعليم ابنائهم منذ الصغر ، فقد عرفوا قيمة العلم ومكانته في الدنيا ، وثوابه في الآخرة ، فبدون العلم لا يمكن أن يتقدم أحدهم للمناصب ، والوظائف سواء منها الدينية ، أو الادارية في الدولة سواء كوزير ، أو مشاور ، أو للفتوى ، إلا إذا كان عالمًا ، ومن أجل ذلك فهو يخضع للاختبار ، وتعقد له مجالس المذاكرة ، ونتيجة لهذا الحرص لدى الأندلسيين لم تخلُ مدينة أندلسية من العلماء ، والشعراء في قرطبة ، اشبيلية ، جيان ، غرناطة ، ميورقة .....الخ [3] .

ويرجع اهتمام المسلمين الأندلسيين بتعليم ، وتأديب أولادهم توافقًا مع ما حث عليه الدين الاسلامي على طلب العلم ، والتزود به ، ومراعاة لفضل المتعلم ، والعالم على الجاهل ، وعلى أساس أن الاهتمام بتربية ، وتعليم الناشئة هو شعور بالوعي ، والمسؤولية ، لهذا راعى الأندلسيون اختيار أكفأ المؤدبين لأولادهم ، وتعاقد بعضهم معهم لتعليمهم مقابل أجور معينة ، وهي ما عرفت بالجُعُلْ أو الجعالة[4] ، ويعرف لدى الأندلسيين بالحذقة

[1] محمد عبد الحميد عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص212 .
[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 03 .
[3] نفسه ،ج4 ، ص49 وما بعدها .
[4] وهي نوع من الأجر يناله المرء على انجازه عمل معين . عبد الواحد ذنون طه ، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ص71.

ولقد نشر المستشرق الإسباني خوليان ربيرا ، وكذلك المؤرخ عبد الواحد ذنون طه بعض النماذج لعقود كانت بين أولياء التلاميذ ، ومربين ، ومعلمين لتعليم أبنائهم الصبية حفظ القرآن الكريم ، والكتابة ، والهجاء مقابل أن يُدفع لهم نظير ذلك أجر معين من النقود ، أو مقدار من القمح ، أو الزيت متفق عليه في كل شهر [1] .

ولم تتوقف عناية الأندلسيين عند هذا الحد بل حرص بعضهم على أن يرتفع شأن أبنائهم إلى مراتب العلماء من خلال مصاحبتهم إلى مجالس العلم ، فقد وردت العديد من تراجم الأبناء الذين جلسوا مع آبائهم في الحلقات العلمية للأخذ من الشيوخ معًا ، أو اشتركوا في نفس الشيخ الذين تلقوا عنه العلم ، فالحافظ الفقيه عبد الرحمن بن عيسى بن دينار (ت270هـ/883م) سمع بالأندلس من مشايخ أبيه وغيرهم[2] ، كما أن المحدث التاجر القرطبي عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن بن يحيى التجيبي المعروف بابن الزيات (ت390هـ/999م) سمع الحديث وأُجيز له ، ولابنه ، وكُتب له بذلك [3] ، وكذلك الفقيه أبو عمر أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري الطليطلي (قتل 403هـ/1012م) الذي أجاز له جماعة من شيوخ قرطبة مع أبيه[4] ، وأحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولاني (ت508هـ/ 1114م) الذي روى عن أبيه من روايته وسمع معه من بعض شيوخه[5].

بل الأكثر من ذلك فهناك من اصطحب ابنه في رحلته العلمية إلى المشرق ، واشترك معه في السماع من المشايخ ، ولقد أوردت كتب الطبقات والتراجم كابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الأندلس ، وابن بشكوال في مصنفه الصلة ، والضبي في البغية ، العديد من العبارات على مثل تلك النماذج ، فقد تكررت العبارات التالية: «رحل مع ابنه...» ، أو «رحل مع أبيه...» ، أو «حج مع أبيه»...الخ ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر أن القاضي الشاعر أبا العلاء عباس بن ناصح الثقفي الجزيري ، وهو من شعراء الأمير الحكم بن هشام (180-206هـ/796-822م) رحل به أبوه صغيرًا إلى مصر طالبًا للغة العربية ، ثم رحل به إلى العراق ، فلقي شعراء البصرة ، والكوفة ، ورجع إلى الأندلس للحديث عن شعراء المشرق[6] ، وكذلك عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار(ت 282 هـ/ 895م) الذي سمع من أبيه ، وأخيه ، وكانت له رحلة معهما إلى المشرق [7].

---

[1] خوليان ربيرا ، المرجع السابق ، ص ص 138 ،140 ،142. عبد الواحد ذنون طه ،المرجع السابق ، ص 73 وما بعدها .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 260 .

[3] نفسه ، ق1 ، ص 247-248 .

[4] ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 72 .

[5] - نفسه ، ج 1 ، ص 126 .

[6] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 296 -297 .

[7] نفسه ، ق1 ، ص 283 .

أما المحدث ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرف العوفي السرقسطي(ت313هـ/925م) فبعد أن سمع من علماء الأندلس ، رحل إلى المغرب مع ابنه قاسم (ت302هـ/914م) ، فسمع بمكة ، ومصر ، ولما عاد إلى بلده تولى القضاء [1].

والفقيه محفوظ بن سعيد بن نمر(ت393هـ/1002م) الذي حج مع أبيه ، فسمع بمصر، ومكة[2] ، وكذلك العالم أحمد بن محمد بن بطال بن وهب التميمي(ت412هـ/1021م) الذي رحل مع أبيه إلى المشرق ، فسمع من العلماء [3].

كما توجد أمثلة ممن رحل مع أحد أفراد عائلته غير الأب ، كالأخ مثلًا بهدف طلب العلم ، فقد رحل الفقيه الإمام أبو عمر حفص بن عبد السلام السلمي السرقسطي مع أخيه حسان إلى المشرق ، فسمعا من الإمام مالك بن أنس ، وكان الأمير الحكم (180-206هـ/796-822م) يقدم حفصًا في رمضان من كل عام ليؤم به[4] وكذلك عبد الله بن مسرة بن نجيح (ت286هـ/899م) الذي رحل به أخوه إبراهيم التاجر ، وهو صغير إلى المشرق ، فسمع بالبصرة ، وعاد إلى الأندلس ، ثم رحل ثانية إلى المشرق ، ودخل مكة ، وبها توفي[5] .

وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد بعض العلماء من كان له الحظ بأن نشأ في بيت يتنفس أهله العلم ،كأن يكون الأب عالمًا ، أو الأخ ، أو العم ، أو الخال ، أو حتى الجد ، أو بعضهم ، أو كلهم ، أو ما إلى ذلك ، وهناك الكثير من التراجم لتلك النماذج ، فممن سمع من أبيه مثلًا المفتي الفقيه سعيد بن عبدوس المعروف بالـجُدَيّ (ت180هـ/796م) الذي سمع من أبيه وروى عنه[6] ، والقاضي الفقيه أحمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمي(ت 205هـ/820م) الذي سمع من أبيه ، واستقضي بقرطبة ، وتولى صلاة الجماعة بها[7] ، والمقرئ ، واللغوي والنحوي عبد الله بن الغازي بن قيس(ت230هـ/844م) الذي سمع من أبيه وقرأ عليه[8] ، وكذلك القاضي

---

[1] نفسه ، ق1 ، ص100 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص311 .

[2] ابن الفرضي ، ق2 ، ص121 .

[3] ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج1 ، ص67.

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1، ص ص 116 ، 118 .

[5] نفسه ، ق1 ، ص ص 217 – 218 .

[6] نفسه ، ق1 ، ص160 .

[7] نفسه ، ق1 ، ص23 . الخشني القروي ، قضاة قرطبة ، ص 142 وما بعدها .

[8] الزبيدي الأندلسي ، المصدر السابق ، ص259 . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 212-213 . محمد بن زين العابدين رستم بيوتات العلم و الحديث في الأندلس ، ص22 .

صاحب أحكام الشرطة ، والسوق إبراهيم بن حسين بن عاصم بن كعب الثقفي(ت256هـ/869م) الذي سمع من أبيه ، وغيره قبل أن يرحل إلى المشرق[1] .

ومن أشهر بيوتات العلم التي علمت أبناءها بيت الفقيه يحي بن يحيى الليثي(ت234هـ/848م) الذي سمع منه ابنيه اسحاق(ت261هـ/874م) ، وعبيد الله(ت297هـ/909م)[2] ، ولقد خرج من نسل هذا البيت العديد من الأحفاد العلماء ، منهم مثلًا يحيى بن اسحاق بن يحي الليثي(ت303هـ/915م) ، ويحيى بن عبد الله بن يحيى الليثي(ت303هـ/915م)[3] ، وكذلك بيت الفقيه عيسى بن دينار بن واحد الغافقي(212هـ/827م) الذي سمع منه ابنه أبو القاسم أبان (ت262هـ/875م) ثم رحل إلى المشرق للسماع ، وطلب العلم [4].

وممن أخذ عن أبيه أبو الفضل أحمد بن إبراهيم بن عجنس بن أسباط الزبادي(ت322هـ/933م)[5]، وكذلك المفتي أبو عمر أحمد بن موسى بن أحمد بن سعيد اليحصبي(ت424هـ/1032م) الذي حدث عن أبيه بكتابه الذي ألفه في الشروط [6].

ومن علماء عصر الطوائف الذين اقترنت أُسَرِهم بالعلم أحمد بن محمد بن يحيى بن داوود التميمي المعروف بابن الحذاء(ت467هـ/1074م) الذي روى عن أبيه أكثر روايته ،حيث ندبه صغيرًا في طلب العلم من الشيوخ في وقته ، فحصل بذلك السماع أن بلغ درجة أبيه في العلم ، وطاف بمدن الأندلس ، فبعد قرطبة ، قصد سرقسطة ، والمرية ، وتقلد قضاء طليطلة ، ودانية ، ثم رجع إلى قرطبة [7] .

ومن أشهر بيوت العلم في هذا العصر بيت المحدث الفقيه الشاعر أبي الوليد سليمان بن خلف التجيبي الباجي السرقسطي(ت474هـ/1081م) الذي روى عنه ابنه أحمد(ت493هـ/1099م)معظم روايته ، ومؤلفاته وخلف أباه في حلقته العلمية بعد وفاته ، وأخذ عنه أصحاب أبيه من بعده [8].

---

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ،ق1 ،ص8 . الضبي ، المصدر السابق ،ج1 ،ص264 .

[2] ابن الفرضي ،المصدر السابق ،ق1 ،ص70 .الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص288 . ج2 ، ص 460 .

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ،ق2 ،ص186 . الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص670 . محمد بن زين العابدين رستم ،المرجع السابق ص23 وما بعدها .

[4] ابن الفرضي ،المصدر السابق ، ق1 , ص22 .الضبي ،المصدر السابق ،ج1 ، ص 292 .

[5] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص32 .

[6] ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج1 ، ص79 .

[7] نفسه ، ج1 ، ص ص 110-111 .

[8] نفسه ، ج 1 ، ص 123.

و أما الذين تعلموا على يد أحد الأعمام فكان منهم مثلًا أحمد بن محمد بن قاسم بن هلال القرطبي(ت317هـ/929م) فقد سمع من عميه ، ثم من غيرهما[1] ، وكذلك الفقيه أحمد بن موسى بن أحمد بن حصيب المعروف بابن الامام (ت386هـ/996م) الذي سمع من عمه[2]، وأحمد بن محمد بن هشام بن جهور (ت430هـ/1038م) الذي روى عن أبيه ، وعمه [3] .

ومنهم من تعلم على يد خاله فالفقيه حسين بن يحيى (ت308هـ/920م) روى عنه ابن أخته العُتيبة[4] وكذلك الفقيه المؤرخ أحمد بن عبد الرحمن بن عطار الأنصاري الطليطلي(ت489هـ/1095م) صاحب كتاب تاريخ فقهاء طليطلة ، وقضاتها ، الذي روى عن خاله [5].

كما يوجد من سمع عن جده مباشرة كالوارق ثابت بن قاسم بن حزم العوفي السرقسطي(ت352هـ/ 963م) الذي سمع من أبيه ، ومن جده كذلك[6] ، وأبي محمد خلف بن فرح بن عثمان بن جرير الكلاعي(ت371هـ /981م) الذي سمع من جده ، وعلماء بلده بألبيرة[7]، والأندلس قبل أن يرحل إلى المشرق[8]، أما الفقيه ، والشاعر واللغوي ، والنحوي أحمد بن محمد بن وسيم الطليطلي(قُتل 401هـ/1010م) فقد كانت له أسمعة عن أبيه عن جده ، وكانت تقرأ عليه كتب الحديث[9] ، ونفس الحال مع المحدث ، والشاعر القرطبي أبي عمرو البياني أحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ (ت430هـ/1038م) الذي روى أبوه عن جده قاسم بن أصبغ (ت 340هـ/951م)[10].

---

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق 1 ، ص 32 .

[2] نفسه ، ق 1 ، ص 56 .

[3] نفسه ، ق 1 ، ص 87 .

[4] نفسه ، ق1 ، ص 113

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 121

[6] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق 1 ، ص ص 100-101 .

[7] من كور الأندلس ، أسسها الأمير عبد الرحمن بن معاوية (138-172هـ/756-788م) ، وأسكنها مواليه فيها ،وخالطهم بالعرب من جند دمشق ، وبساحلها كان نزوله حين عبوره إلى الأندلس ، وخربت في الفتنة القرطبية (399- 403 هـ/1008-1012م)، وهجرها أهلها إلى مدينة غرناطة ، التي تبعد عنها بستة أميال . عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص ص 28 – 29 .

[8] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق 1 ، ص 135 .

[9] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 56 .

[10] نفسه ، ج 1 ، ص 88 . الضبي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 249 . وعن ترجمة الجد أنظر ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ص364 وما بعدها .

مما سبق ذكره فإن عناية ، واهتمام الأسرة الأندلسية بتربية أبنائهم ، وتنشئتهم على أسس إسلامية سليمة والحرص على تعليمهم ، تعد ظاهرة التزم بها معظم فئات المجتمع الأندلسي ، فلم تقتصر المسؤولية على الأب فقط ، بل كذلك معظم أفراد الأسرة التي ينتمي إليها المتعلم من أخ ، وعم ، وخال ، وجد ، وربما وجد بعض الأندلسيين من كانت له الحظوة في أن يكون الأب ، والأخ معًا من طبقة العلماء ،كما هو الحال في أسرة الفقيه يحيى بن يحيى الليثي (ت234هـ/848م) .

4- تعليم المرأة:

لا شك أن الدارس والمتتبع لمدى إقبال الأندلسيات على طلب العلم ، ليُعجب بوجود أسماء الكثيرات منهن ، خاصة في ميدان الأدب ، والشعر في كتب التراجم والطبقات ، فقد خصص كل من الحميدي(ت488هـ /1095م) ، وابن بشكوال(ت578هـ/1183م) ، والضبي(ت599هـ/1202م) أبوابًا ، وفصولًا عن العالمات الأندلسيات ، والداخلات من المشرق إلى الأندلس[1] ، كما أفرد المقري التلمساني(ت1041هـ/1631م) فصلًا عن العالمات الفضليات المشهورات خاصة منهن اللواتي ، وفدن من المشرق إلى الأندلس ، ودورهن الذي لا يستهان به في تعليم بنات الأندلس [2] .

وما من شك فإن هذه الشهرة التي وصلن إليها تلك العالمات في الأندلس لم تأت من فراغ ، فالأكيد أنهن تدرجن إلى تلك المكانة بفضل التعلم ، لهذا نميز فئتين من تلك النسوة العالمات يختلفن فيما بينهن بحسب طبيعة الطبقة التي ينتمين إليها ، وهي

- الفئة الأولى : التي تتعلق بالنساء الحرات .
- الفئة الثانية : وهن الجواري .

فأما الفئة الأولى فقد كن يتلقين التعليم إما في أسرهن بنسبة لبيوتات العلم من أحد أفراد الأسرة سواء كان الأب ، أو الأم ، أو الأخ ، أو العم ، أو الجد ، .... وما إلى ذلك ، أو يذهبن إلى بيوت المؤدبين ، والمعلمين أو العكس ، المعلم هو الذي يأتي إلى بيوتهن لتأديبهن ، ومن نماذج اللواتي تعلمن بهذه الطريقة الشاعرة حسانة التميمية بنت أبي المُخَشَّى الشاعر(عاصرت الأمير الحكم الربضي ، وابنه عبد الرحمن الأوسط) التي تأدبت وتعلمت الشعر[3] ، ويرجح أن أباها الشاعر هو الذي علمها الشعر ، وكذلك عبدة بنت الفقيه بشر بن حبيب

---

[1] الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 412 – 413 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 991 وما بعدها . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 729 وما بعدها .

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص389 ، 396 وما بعدها . ج5 ، ص 101 .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج5 ، ص 101 .

التي تربت في عائلة فقه ، وعلم من أب ، وجد ، وجدة ؛ فقد كانوا يصنفون ضمن طبقة فقهاء الأندلس ، وأبوها بشر بن حبيب المعروف بالحبيبي ، وجدها حبيب بن الوليد الملقب بدحون(ت بعد200هـ/815م)، وجدتها عابدة المدنية التي كانت تروي عن الإمام مالك بن أنس(ت179هـ/795م)[1] ، وقد كانت عبدة بن بشر تروي عن أبيها ، لهذا فقد تلقت على يديه الفقه ، والحديث ، ويعد أبوها من العلماء المشهورين بقرطبة ، والأندلس وحتى في المدينة المنورة[2].

ولم يقتصر تعلم النساء في مجال الفقه فقط ، بل تعدى ذلك إلى الموسيقى ، والغناء ، فالموسيقي زرياب (ت238هـ/854م) كان يعلم بناته ، وجواريه الموسيقى ، والغناء ، واشتهرت في بيته ابنتاه علية ، وحمدونة فالأولى فقد حمل عنها الناس الغناء[3] ، أما حمدونة فهي متقدمة عن أختها علية في الغناء ، ووصفت بأنها مغنية محسنة ، ولقد أورد المقري التلمساني نصًّا يبين فيه طريقة تعليم زرياب أبنائه ، وبناته ، وجواريه الغناء ،والموسيقى[4].

وفي عصر الخلافة اشتهرت خديجة بنت جعفر بن نصير بن التمار التميمي (توفيت بعد 394هـ/1003م) بأنها حدثت عن زوجها قراءة عليه ، وقيدت سماعها بخطها سنة394هـ/1003م ، وقامت بتحبيس كتبها لابنتها[5].

وفي ميدان الشعر فحدث ولا حرج ، فقد برزت الكثير من اللواتي تعلمنه ، ونبغن فيه ، وكل شاعرة منهن لم تصل إلى هذه الدرجة إلا وحتمًا قد تلقت تأديبًا ، وتعليماً في هذا الفن ، وممن اشتهرن فيه عائشة بنت أحمد بن محمد قادم القرطبية (ت400هـ/1009م) والتي قيل في حقها بأنه لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها علمًا ، وفهمًا ، وأدبًا ، وشعرًا ، وفصاحةً ، وعفةً ، وجزالةً ، وهي شاعرة كانت تمدح الملوك ، وتخاطبهم وكاتبة حسنة الخط ، تكتب المصاحف ، وتهتم بجمع الكتب ، ولها مكتبة تحتوى على عدد كبير من الكتب وكانت تعلم النساء الأدب [6] .

---

[1] ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ،ج1 ، ص ص 182- 183 .ج4، ص ص240 ، 243 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ص ص 117 ، 396 .

[2] ابن الأبار ، المصدر السابق ،ج4 ، ص 243 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 117 .

[3] نفسه ، ج3 ، ص ص 387 ، 389 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 387-389 . وعن طريقة تعليم زرياب الموسيقى أنظر الفصل الثالث من هذه الدراسة ص ص 256 - 257 .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 993 .

[6] نفسه ، ج3 ، ص 992 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 208 .

ومما يلفت الانتباه أن الأندلسيات اللواتي وصفن بالشاعرات لم يتمكن في الشعر، إلا بعد تحصيل مستوى معين من التعليم في مجال الشعر ، والأدب من حفظ ، وفهم ، ثم الارتقاء إلى الإبداع في إنشاء الأشعار من تأليفهن ، وبها اشتهرن كشاعرات الأندلس ، فكانت منهن كذلك المرأة مجهولة الاسم ، والتي اشتهرت بالشاعرة الغسانية البجانية ، وهي من أهل المائة الرابعة ،كانت تمدح الملوك ، ولها قصيدة طويلة في مدح خيران العامري صاحب المرية في عصر ملوك الطوائف[1] ، وصفية بنت عبد الله الرَّيِّـي[2] ، وهي أديبة ، وشاعرة وكاتبة حسنة الحظ[3]، وحفصة بنت حمدون ، وهي من أهل المائة الرابعة كذلك اشتهرت كأديبة ،وعالمة بالشعر[4].

واشتهرت في البيت العامري الكثير من النساء الشاعرات منهن بهاء العامرية ، ونرجس ، وبهار ، وغيرهن[5] وطونة بنت عبد العزيز التي أخذت عن أبي عمر بن عبد البر المقرئ ، والمحدث ، و ريحانة التي قرأت هي الأخرى على يد أبي عمر ، وحضرت مجالسه[6] .

كما اشتهرت أمة عبد الرحمن بنت أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر العبسي الزاهدة(ت440هـ/1048م) التي كان لها أسمعة من أبيها[7] ، وخديجة بنت أبي محمد عبد الله بن سعيد الشنتجالي التي سمعت مع أبيها من الشيخ أبي ذر عبد بن أحمد الهروي (ت434هـ/1043م) صحيح البخاري ، وغيره من حلقات الدروس، وشاركت أبيها في السماع من شيوخ مكة[8] ، وفي اشبيلية كانت فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي حيث شاركت أخاها في بعض شيوخه ، وأجازهما معًا محمد بن فطيس الالبيري (ت319هـ/931م) في جميع روايته بخط يده[9].

ويعد عصر ملوك الطوائف العصر الذهبي لبروز طبقة كبيرة للكثير من الشاعرات التي ظهرن في قصور الملوك بل الأكثر من ذلك أنه اشتهر في كل قصر العديد من الشاعرات سواء الحرات منهن أو الجواري ، ومن الحرات

---

[1] ابن بشكوال، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 995-996 .الضبي ، المصدر السابق ،ج 2 ، ص ص 730 ، 737 . ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 202 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج5 ، ص 103 .

[2] نسبة إلى مدينة رية ، وهي كورة بالأندلس قبلي قرطبة ، ومتصلة بالجزية الخضراء ، تشتهر بكثرة الخيرات ، والعيون الحارة ، والباردة . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص114 . عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص ص 279 – 280 .

[3] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 993 . الضبي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 729 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 204 .

[5] نفسه ، ج2 ، ص ص 61 ، 124 . ج5 ، ص 15.

[6] محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 100 .

[7] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 994 .

[8] نفسه ، ج3 ، ص996 .

[9] نفسه ، ج3 ، ص 991 . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 733 .

على سبيل المثال أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح (443-484هـ/1051-1091م) صاحب المرية الذي اعتنى بتأديبها بعد أن تفطن لذكائها ، حتى أصبحت تنظم الشعر ، والموشحات[1] ، وفي اشبيلية عند قصر الملك المعتمد بن عباد(461-484هـ/1069-1091م) اشتهرت ابنته بثينة الشاعرة التي سُبيت بعد نهب قصر المعتمد في آخر أيام حكمه ، وقد اشتراها أحد التجار لابنه[2].

و من أشهر الشاعرات اللواتي برزن في هذا العصر ولادة بنت المستكفي(ت484هـ/1091) وهي أميرة أموية أديبة وشاعرة حسنة ، كانت تخالط الشعراء ، وتساجل ، وتناظر الأدباء ، وكان مجلسها بقرطبة يعد بمثابة منتدى للشعر ، والنثر ، وملتقى لأهل الأدب ، ووصفت بأنها كانت حسنة المحاضرة ، ومشكورة المذاكرة[3] ، ومهجة بنت التياني القرطبي ، التي تعلقت بولادة بنت المستكفي السالفة الذكر حيث أدبتها ، حتى أصبحت شاعرة واشتهرت باسم مهجة صاحبة ولادة[4] .

وفي المائة الخامسة اشتهرت نزهون بنت القليعي أو القلعية[5] ، وهي أديبة حافظة للشعر ، ولها معرفة بالأمثال وكانت حسنة المحاضرة ، وتذاكر ، وتراسل نظرائها من الشعراء ، والأدباء[6] ، وصنفها المقري التلمساني ضمن الشاعرات القرطبيات مع زينب بنت زياد ، وحفصة بنت الحاج ، وغيرهن[7] .

وفي الفئة الثانية من النساء ، ويُقصد بهن الجواري ، فقد لقي بعضهن تقريبًا بنفس النصيب من الرعاية والاهتمام في مجال التعليم مع الحرات ، وحرص أصحابهن بتأديبهن إما على أيديهم خاصة عند العلماء ، أو الفقهاء ، أو المحدثين ، أو الشعراء ، أو الأدباء ، أو يكلفون من يقوم بتعليمهن ، ومن تلك الفئة نذكر على سبيل المثال لا الحصر الجارية العجفاء التي اشتهرت في عهد عبد الرحمن الداخل(138-172هـ/756-788م) بأنها من أهل الفضل ، والنسك ، وأحسن الأندلسيات غناءً ، وهي شاعرة أيضًا[8] .

---

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 103 .

[2] نفسه ، ج5 ، ص ص 203 -204 .

[3] ابن دحية الكلبي ، المصدر السابق ، ص 7 وما بعدها . ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص429 وما بعدها . ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج3 ، ص 996. الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص733. المقري التلمساني، المصدر السابق ، ج5 ،ص 133 وما بعدها .

[4] نفسه ، ج5 ، ص 210 .

[5] نسبة إلى القلعة ، وهي إقليم بالأندلس من كورة قبرة ، تشتهر بإنتاج وتصدير الرصاص . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص389 .

[6] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 214 .

[7] نفسه ، ج1 ، ص 149 . ج4 ، ص ص 44 ، 51 .

[8] نفسه ، ج 3 ، ص 397

وفي عهد عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالأوسط(206-238هـ/822-852م) اشتهرت جواري زرياب ومنهن متعة التي أدبها مولاها ، وعلمها أحسن أغانيه ، وتعلمت على يده أيضًا مصابيح جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قِلْهيل ، حيث أخذت عن زرياب الغناء ، وكانت غاية في الإحسان ، والنبل ، وطيب الصوت[1] .

وكان في قصر الإمارة (عصر عبد الرحمن الأوسط) دار تعرف بدار المدنيات نسبه إلى الجواري اللواتي جُلبن من المدينة المنورة ، واشتهرت فيه العديد من الجواري الحاذقات في الغناء منهن " فضل" التي نشأت ، وتعلمت ببغداد وكانت لإحدى بنات هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) ثم انتقلت إلى المدينة المنورة ، واشتهرت بالغناء ، ثم أُشتريت للأمير عبد الرحمن الأوسط مع الجاريتين "علم" ، و" قلم " ، هذه الأخيرة ، وهي أندلسية الأصل نقلت لما كانت صبية إلى المدينة المنورة ، وتعلمت الغناء فأتقنته ، وهي كذلك أديبة ، راوية للشعر حسنة الخط ، حافظة للأخبار ، والتواريخ ، عالمة لأغراض الأدب ، وتتميز عن الأخريات بأن الأمير عبد الرحمن الأوسط كان مولعًا بالسماع منها ، رغم جودة غنائهن جميعًا[2]، ومنه فالجواري السالفات الذكر ، لم يصلن إلى هذه المكانة لولا التعليم ، والتدريب .

وفي مجال الفقه برزت الجارية عابدة المدنية ، وهي أم ولد الفقيه حبيب بن الوليد المعروف بدحون(ت بعد 200هـ/815م)، وعابدة من النساء القادمات من المشرق الداخلات إلى الأندلس ، وهي جارية سوداء من رقيق المدينة المنورة ، وكانت تروي عن الإمام مالك بن أنس(ت179هـ/795م) ، وغيره من علماء المدينة ، وقيل أنها تروي عشرة آلاف حديث[3] ، وأنجبت هذه الأسرة العلمية الفقهية ولد ، وبنت صنفا ضمن طبقة الفقهاء وهما على التوالي بشر ، وعبدة .

وفي عصر الخلافة برزت راضية(ت423هـ/1031م) جارية الخليفة عبد الرحمن الناصر(350- 366هـ/ 961 -976م) ، وكانت تدعى "نجم" أعتقها الحكم المستنصر عن أبيه ، وتزوجت لبيب الفتى ، حيث حجّا معًا سنة 353هـ/964م ، وكان يقرآن ، ويكتبان في رحلتهما ، ودخلا الشام ، ومصر ، وأخذا عن العلماء ولما عادا إلى الأندلس كانت لراضية مجالس للإقراء ، فقد روى عنها بعض الأندلسيين ، وهي من هواة جمع الكتب ، ولها مكتبة[4] ، واشتهرت كذلك الجارية مزنة (ت358هـ/968م)كاتبة الخليفة عبد الرحمن الناصر

---

[1] نفسه ، ج3 ، ص ص389 ، 396 .

[2] نفسه ، ج1 ، ص 274 . ج3 ، ص ص 396 – 397 .

[3] ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ،ج1 ، ص ص 182- 183 .ج4، ص ص240 ، 243 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ص ص 117 ، 396 .

[4] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 994 .

وهي أديبة حسنة الخط ، والتي تعد من أخط النساء[1] ، لهذا فهي أكيد أنها تلقت تعليمًا جيدًا في الخط والأدب.

كما كانت لبنى كاتبة الخليفة الحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م) حاذقة بالكتابة ، وهي نحوية شاعرة ، بصيرة بالحساب ، عروضيه ، خطاطة ، وتحسب ضمن طبقة العلماء[2] .

وفي عصر ملوك الطوائف كانت المرأة مجهولة الاسم ، التي عُرفت بالعروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون(ت450هـ/1058م)التي سكنت بلنسية ، وأخذت عن مولاها النحو ، واللغة حتى فاقته في ذلك ،وبرعت في العروض ، وكانت تحفظ العلم الكامل للمبرد(ت286هـ/899م) ، والنوادر للقالي(ت356هـ/967م) وتشرحهما ، توفيت بدانية [3] .

والجارية ريحانة التي أخذت القراءات كلها بالمرية على المقرئ أبي عمرو(ت 444هـ/1053م) ، ثم قرأت عليه خارج السبع ، وأجازها[4].

وفي قصور الملوك اشتهرت عند بني عباد في اشبيلية العبادية جارية المعتضد بن عباد(433-461هـ/1042-1069م) التي أهداها إليه ملك دانية ، وميورقة مجاهد العامري(412-436/1021-1044م)، وهي أديبة شاعرة ، ولغوية ، وصنفت ضمن عالمات اشبيلية[5] ، واعتماد الرميكية أم أولاد المعتمد بن عباد(461-484هـ/1069-1091م) فقد كانت شاعرة حسنة الحديث ، وكذلك جواريه الشاعرات "جوهرة" ، و"وداد" حيث كان المعتمد ينشد لهما الشعر، ويراسلهن به[6] .

وفي المرية برزت الجارية المتأدبة "غاية المنى " عند المعتصم بن صمادح(443-484هـ/1051-1091م) فقد كانت تقول الشعر ، وامتحنها أستاذها ابن الفراء الخطيب ، وكان كفيفًا فوجدها شاعرة موهوبة ، وهو الذي أشار إلى المعتصم بشرائها[7] .

ومما يلاحظ لدور المرأة في التعليم أن الأندلسيات لم يكتفين بالتعلم فقط ، بل اقتحمن مجال التدريس وأثبتن كفاءتهن وجدارتهن في ذلك ، واشتهرت العديد من مجالس العالمات الفقيهات ، والأديبات ، والشاعرات

---

[1] نفسه ، ج 3 ، ص 992 . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 732 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 992 . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 732 .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج 5 ، ص 103 .

[4] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 732 .

[5] ابن الأبار ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 251 – 252 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 202 .

[6] نفسه ، ج 5 ، ص 138 وما بعدها .

[7]- نفسه ، ج5 ، ص205 .

ومنهن على سبيل المثال فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامي(ت319هـ/931م) وهي عالمة فقيهة ، سكنت قرطبة ، وبها توفيت ، وكانت تدرس النساء وتذاكرهم[1] ، وهذه العبارات تدل على أنه كان لها مجلس علم للإقراء والمذاكرة ، كما أن غالبة بنت محمد وُصفت بالمعلمة الأندلسية[2] ، ومريم بنت أبي يعقوب الأنصاري(ت400هـ / 1009م) التي كانت تعلم النساء الأدب[3].

مما سبق ذكره يتضح أنه كان اهتمام بتعليم الأندلسيات ، وتأديبهن مثلهن مثل الأبناء ، والرجال ، كما كان للمرأة دور بارز في حركة التربية ، والتعليم في الأندلس ، فلم يقتصر دورها في بيتها بتربية أبنائها ، وتنشئتهم ورعايتهم فقط ، بل ساهمت في تنظيم المجالس العلمية لتعليم أبناء الأندلسيين بل وتحاضر ، وتناظر , وتراسل الأدباء ، والشعراء ، كما احترف بعضهن فن الكتابة ، والنسخ ، والتجليد ، ولم يصلن إلى هذه المرتبة لولا التعليم.

5 – تعليم الكبار:

على الرغم من أن الأندلسيين وصفوا بحبهم لعلم ، وعنايتهم ، واهتمامهم لتحصيله ، ولأبنائهم ، وبناتهم كذلك ، إلا أنه يوجد بعض الأندلسيين ممن طلبوا العلم بعد أن تجاوزوا سنوات من أعمارهم .

أما النصوص التي تورد أمثلة عن بعض الأسماء التي تخلفت عن الدراسة في الصغر ، وبدأت التعلم في الكبر أو الذين مازالوا يطلبون العلم ، وهم كبار في السن كهولًا أو شيوخًا ، فهي شحيحة جدًّا ، إن لم نقل منعدمة – في حدود علمنا– ماعدا بعض الإشارات التي قدمها المستشرق الإسباني خوليان ربيرا ؛ إذ يورد نصًّا يصف فيه نظام الدراسة في المساجد ، فيقول : " فإذا ألقيت النظر على الدرس وجدت فتيانا في الخامسة عشرة من عمرهم ، وإلى جانبهم رجالًا متفاوتين في أعمارهم ، ولكنهم في زهوة نضجهم ، وبينهم من **بلغ الخمسين أو تجاوزها** ..."[4] ولم يذكر هذا المجلس أو مكانه ، وإنما قال بأن مثل هذه المجالس تكون بحسب أهمية المادة التي يدرسها الشيخ ، أو شهرة الأستاذ القائم على التدريس ؛ إذ لا يستطيع أن يتخلف عن هذه الحلقة لا الصغير ، ولا الكبير ، ولا الفقيه ولا علية القوم ، ولا العامة ، خاصة إذا كانت تعقد في المسجد[5].

وشهد مجلس الفقيه أبي عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي القرطبي (ت367هـ/977م) حضور طلبة العلم في مختلف الأعمار ، إذ رحل إليه الناس من جميع كور الأندلس ، وسمع منه الشيوخ ، والكهول ، ومن

[1] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ،ص991 .الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 733 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص991. ويسميها الضبي الغالية , ينظر : الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 732 .

[3] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 412 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3، ص995.الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 729 .

[4] خوليان ربيرا ، المرجع السابق ، ص 110 .

[5] نفسه .

مختلف الطبقات[1] ، ولم يكن حضور هؤلاء لمجرد السماع فقط ، وإنما لدراسة أكثر الكتب طلبًا ، وشيوعًا لدى الأندلسيين ، وهو كتاب الموطأ للإمام مالك ، إذ كان الفقيه يحيى بن عبد الله من رواة هذا الكتاب عن عم أبيه عبيد الله بن يحيى(ت303هـ/915م) [2] .

كما كان للعالم ابن عائذ يحيى بن مالك(ت375هـ/985م)[3] بعد رجوعه إلى الأندلس سنة 369هـ/979م من رحلته الحجية والعلمية مجالس للتدريس ، فسمع منه الناس من مختلف طبقات طلاب العلم ، وأبناء الملوك وجماعة من الشيوخ ، والكهول ، إذ كان يملي في المسجد الجامع كل يوم جمعة [4].

مما سبق ذكره فإن تعليم الكبار لم يقتصر على العبيد الذين كانوا كفارًا ثم دخلوا الإسلام ، فلجأوا إلى التعليم لمعرفة حدودهم الدينية الشرعية ، إما بأمر ورعاية مواليهم ، أو ما يندبون لذلك ، ولم يقتصر كذلك على الجهال من الأزواج سواء الذكر أو الأنثى ، ويقوم الطرف الآخر المتعلم بتعليم الجاهل من الزوجين ، وإنما يقصد بتعليم الكبار تلك الفئة التي تنقسم إلى مجموعتين ، فمنها من لم يوفق إلى التعلم في الصغر ، فعوض ذلك عندما كَبُرَ والمجموعة الثانية التي تعني الذين لم يكتفوا بما تم تحصيله في الصغر ، والشباب ، فعهدوا بمواصلة طلب العلم في مرحلة الكهولة ، والشيخوخة ، وحتى إلى آخر نفس من حياتهم .

6- تعليم غير المسلمين (النصارى ، اليهود):

يتميز المجتمع الأندلسي بالتنوع العرقي بين عرب ، وبربر ، وإسبان مستعربين ، وصقالبة ، ومولدين ... إلخ[5] وكما كان في الأندلس التعدد العرقي ، وجد كذلك جماعات مختلفة الديانات من غير المسلمين ، ومنهم النصارى واليهود ، وعاش هؤلاء في جو من التسامح الديني ، والتعايش ، وإذا كان الإسلام هو الدين الرسمي للدولة العربية

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص191-192 .

[2] نفسه . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 111 . محمد بن زين العابدين رستم ، المرجع السابق ، ص 25 .

[3] من أهل طرطوشة ، يكنى بأبي زكريا ، سمع بطرطوشة ، وقرطبة ، له رحلة إلى المشرق ، فحج ، وسمع بمصر ، وببغداد ، والبصرة ، والأهواز ، وسمع ببغداد من سبعمائة رجل ونيف ، وجمع علمًا عظيمًا ، وبقي في المشرق نحوًا من اثنين وعشرين سنة ، وهو يكتب عن طبقات من المحدثين، وقد كُتب عنه كثيرًا في المشرق . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 193 – 194 .

[4] نفسه ، ق2 ، ص 194 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ص 115 – 116 .

[5] مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص 24 . ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2، ص6 . محمد المنوني ،" **ثقافة الصقالبة في الأندلس"**، مجلة أوراق ، المعهد الاسباني العربي ،العدد 5-6 ، 1982 -1983، ص21 .السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ص 128 – 130 . إبراهيم القادري بوتشيش ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** دار الطليعة ، (د.ط) ، بيروت ، 1998 ، ص 43 .

في الأندلس ، ويعتنقه الغالب من الأندلسيين ؛ فهذا لم يمنع من تمتع غير المسلمين بالمحافظة على شعائرهم الدينية وحرية ممارسة معتقداتهم ، وطقوسهم الدينية [1] .

ولم يقتصر دور أماكن العبادة على أداء الصلوات فقط ،بل تُعَد كذلك كمؤسسات للتعليم ، مثل ما تم الاشارة إليه في موضع سابق ، وبما أن الازدهار العلمي ، والثقافي في العصر الوسيط كان بيد المسلمين ،لم يتحرج هؤلاء من غير المسلمين كالنصارى واليهود بطلب العلم ، ولو في المساجد ، خاصة ونحن نعرف أن الكثير من المساجد الجامعة تحولت كجامعات علم ، وأقبل عليها الطلاب من مختلف الديانات سواء المسيحية ، أو اليهودية إما من المقيمين بالأندلس ، أو من أوروبا ، وغيرها [2].

ولقد اعترف المسيحيون بعظمة المسلمين ، وتمكنهم خاصة في العلوم العقلية ، والطبيعية ، فكيف نفسر طلب الإذن الذي أرسله شانجة (Sanche) ملك ليون إلى الخليفة عبد الرحمان الناصر عندما أصابه مرض عضال سنة 349هـ/960م لدخول قرطبة بغرض الاستشفاء عند الأطباء المسلمين ، وقد وجد العناية ، والمساعدة التي كان يطلبها ، وظل يردد طوال حياته تلك الحفاوة ، والرعاية ، والاهتمام التي أحيطت به أثناء إقامته بقرطبة[3] .

و ذُكر بأن قسيس اسمه جيربرت (Gerbert) وأصبح فيما بعد البابا (بين سنتي 390-394هـ/999-1003م)، والذي كان يطلق عليه اسم سيلفاستر (Sylvester) قد قصد الأندلس لطلب العلوم الطبيعية والرياضية ، ولما تمكن في تلك العلوم ، ورجع إلى بلده اعتبرته العامة ساحرًا[4] .

وتشير بعض الدراسات كالتي قدمها أحمد مختار العبادي ، وحسن إبراهيم حسن بأن بعض طلاب العلم من المسيحيين في الأندلس أثناء عصر الامارة في عهد عبد الرحمن الأوسط(206-238هـ/822-852م) أقبلوا على دراسة اللغة العربية ، وآدابها حتى أن بعضهم نسي اللغة اللاتينية لغة الكتاب المقدس ، مما أثار سخط القساوسة رجال الدين المسيحي ، فأخذوا يعيبون على هؤلاء الطلبة إقبالهم على العربية ، وترك لغة الكتاب المقدس[5] .

---

[1] عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص 23 . السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 130 .

[2] عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص ص 73 - 74 .

[3] جوزيف رينو ، المرجع السابق ، ص 202 .

[4] نفسه .

[5] ابن سعيد ، المصدر السابق ،ج1 ، ص45 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 274 – 275 . ومنهم الراهب القرطبي أولوخيو، أو المعروف بـ : " يولوغيوس" , وكذلك ألفارو(Alvaro) . ر. دوزي ، المسلمون في الأندلس ،ج 1 ، ص ص 85-86 .العبادي أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي ، ص 355. حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج 4، ص194 .

Cunat (D.) , **AL-Andalus** , éd , Espanola , Madrid , 1991 , p. 58.

ولم يقتصر الأمر على الطلبة فقط ، بل وُجد بقرطبة في سنة 235هـ/849م إن راهبًا كان متضلعًا في العلوم المسيحية ، والعربية معًا ، مما يعني أنه تلقى تعليمه في الأندلس على الأقل في العلوم العربية ، وآدابها[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ المسلم أو الشيخ هو الذي كان يتولى التدريس في الحلقات العلمية بالمساجد الجامعة ، ومنها المسجد الجامع بقرطبة ، الذي يعد بمثابة أعظم جامعة إسلامية غربية في أوروبا في العصر الوسيط تدرس فيها العلوم الدينية ، واللغوية ، ووفد إليها الطلبة المسلمون ، ومن غيرهم للدراسة ، وتحصيل العلم ، وبهذا المسجد الجامع اشتهرت قرطبة في العالم الإسلامي ، والمسيحي خاصة في عهد حكم بني أمية وتخرج من أهل الذمة منه ، فقد تعلموا فيه علوم العربية ، وثقافتها ، وبهذا أطلق عليهم اسم المستعربين [2] .

ونتيجة لتطلع بعض نصارى الأندلس من أهل الذمة لتقلد المناصب الإدارية ، ودواوين الدولة فلا مناص لهؤلاء إلا الإقبال على دراسة العلوم العربية ، والإسلامية [3] .

وعلى الرغم من تصريح الكثير من المراجع بأن النصارى قد نبغوا في العلوم العربية من أدب ، وشعر ، وظهر منهم الكتاب ، والشعراء[4]، إلا أنه للأسف لم يُعثر- في حدود معرفتنا- على نماذج لتراجم هؤلاء إلا الإحالات والاشارات التي تتحدث على العموم دون تقديم أمثلة عن هؤلاء ، خاصة في فترة محل الدراسة ، ولقد أشار المستشرق الإسباني أنخل جنثالث بالنثيا إلى نماذج قليلة من هؤلاء ، عندما ذكر مصنف لاتيني عنوانه " كتاب تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان" وهو مؤلف في الفلك ، والمناخ لأحد المستعربين لصاحبه الأسقف ريكيموندو الذي أطلق عليه العرب اسم ربيع بن زيد [5] .

---

[1] يدعى هذا الراهب في بعض المصادر باسم برفكتو (Perféctus)، أو (perfécto) بمعنى المثالي، أو (Servus_Dei) ؛ أي عبد الله وقيل بان هذا الراهب أسلم وهو غير مقتنع بذلك ، إذ سؤال ذات مرة من طرف بعض مسلمي قرطبة عن رأيه في النبي صلى الله عليه وسلم فقال كلام سيء عن النبي الكريم أفضل الصلاة والسلام عليه، فأعدم بقرار من الأمير عبد الرحمان الأوسط في أول أيام عيد الفطر من سنة 235هـ/ 850م ،ونتج عن هذا الإعدام فتنة قامت بها حركة مسيحية متعصبة غاضبة لإعدام الراهب ، عرفت في الأدبيات التاريخية بفتنة نصارى قرطبة . أنظر جوزيف رينو، المرجع السابق ، ص 142 . غنيمة أحمد ، **حركة شهداء قرطبة خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي** مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة, أكتوبر، 2004، ع 04، ص108.

Levi- Provençal (E.), **Histoire de l'Espagne musulmane**, éd Maisonneuve et Larose Paris, 1999 , p. 220.

[2] زبيب نجيب ، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس** ، دار الأمير للثقافة والعلوم ، ط1 ، بيروت ، 1995، ج3 ، ص257. عصام عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص89 . السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق، ص ص 377، 382.

[3] نفسه ، ص 382 .

[4] كدراسة السيد عبد العزيز سالم , وزبيب نجيب .السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق، ص382. زبيب نجيب ، المرجع السابق، ص257 .

[5] وصنفه صاعد الأندلسي ضمن فلاسفة الأندلس ، وخدم بعلمه الخليفة الناصر(350-366هـ/912-961م). صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 82 . انخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 487 .

وطليطلة التي اشتهرت كمدينة للترجمة ، فقد برز فيها رئيس أساقفة طليطلة المدعو ريموند ، والذي كان يتعاقد مع المستعربين الطليطليين لترجمة ، ونقل العلوم ، وقد ساهم هؤلاء المستعربون في ازدهار حركة الدراسات المترجمة من العربية ، أو إليها ، وكذلك قراءة الكتب العربية ، ومحاولة تفسيرها ، وشرحها إلى درجة أنه وجد في حواشي نسخ الكتاب المقدس ، والتراتيل الكنسية تعاليق ، وشروحات مكتوبة باللغة العربية [1]، مما يدل على أن هؤلاء النصارى قد تمكنوا في اللغة العربية ، وثقافتها إلى درجة الترجمة فيها ، وقد استمد المستعربون ذلك المستوى بفضل جودة تعليمهم ، وهذا ما يعطي صورة عن الجو التعليمي الرائد الذي كان يسود الأندلس في تلك العصور .

أما فيما يخص اليهود فيبدوا أنهم كانوا أكثر استفادةً ، وحضورًا من النصارى في الحركة العلمية بالأندلس، وقد برز منهم العديد في شتى مجالات الفكر ، إما في الفلسفة ، أو علم الفلك ، أو الشعر ، أو الطب، وما إلى ذلك.

و مر التعليم عند اليهود في الأندلس بثلاث مراحل و هي [2] :

1- المرحلة الأولى: وهي الابتدائية ، ويبدأ فيها أولًا بتلقين الطفل كل ما يتعلق بواجباته ، وشعائره الدينية حيث يتعلم قراءة الكتاب المقدس، وتلاوة الأدعية الدينية .

ثانيًا: ثم يدرس الكتابة (فن الخط) ، والحساب، ولغة البلد الذي يقيم فيه .

ثالثا : دراسة بعض أجزاء الكتاب المقدس .

2-المرحلة الثانية : هي الأعلى على سابقتها ، فيدرس فيها الطالب مقاطع من الكتاب المقدس ، بالإضافة إلى القوانين الشرعية التي وضعها علماء الدين اليهود .

3-المرحلة الثالثة : وهي المرحلة العليا في التعليم ، وهي تعني اليهود الذين بلغوا درجة عالية من الثقافة ، وفيها يدرس الطالب التلمود .

ومما يلاحظه الدارس أن التعليم لدى اليهود في عدد المراحل ، وموادها هي بنفس التطبيق عند المسلمين فكما ذكر في موضع سابق من هذا البحث أن مراحل التعليم لدى المسلمين ثلاث فكذلك هي عند اليهود ، وبما أن المسلمين اعتمدوا على القرآن الكريم كأصل ، وأساس للتعليم ، فكذلك اليهود اعتمدوا على الكتاب المقدس والديانة اليهودية كأساس للتعليم كذلك [3].

---

[1] محمد الأمين بلغيث ، **الحياة الفكرية في عصر المرابطين** ، " أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط" ، جامعة الجزائر ،الموسم الجامعي 2002- 2003 ، ص 573 . (نسخة الحاسوب الصادرة عن دار المدار الاسلامي ، بيروت ، 2004 ، ضمن سلسلة أطروحات الدكتوراه).

[2] مسعود كواتي ، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، دار هومة ، الجزائر ، 2000 ، ص ص 179- 180 .

[3] نفسه .

أما فيما يخص المؤسسات التعليمية التي كان يتلقى فيها الطالب اليهودي تعليمه ، فإن اليهود شاركوا المسلمين في بعض الحلقات العلمية خاصة في دراسة اللغة العربية ، والأشعار على يد شيوخ ، وأساتذة من المسلمين[1].

ويرجع اهتمام اليهود بتعلم اللغة العربية لأنها كانت لغة العلم ، والحضارة في الأندلس ، ومن لا يتقنها لا يمكن له معرفة علوم المسلمين ، ولقد أصدر الأمير هشام بن عبد الرحمن(172-180هـ/788-796م) أمرًا بأن تكون اللغة العربية هي لغة الدراسة ، والعلم في الأندلس في المؤسسات التعليمية ، والدينية لليهود[2].

ولما وصف المؤرخ الأندلسي ابن بسام الشنتريني(ت542هـ/1147م) أحد مجالس النحو للوزير الكاتب أبي عامر أحمد بن عبد الملك المعروف بابن شهيد(ت 426 /1035 م) , وذكر بأن أحد تلاميذه كان يعرف بيوسف بن إسحاق الإسرائيلي[3] ، وربما هو نفسه الطبيب الأندلسي المعروف بابن بكلارش(ت نحو500 / 1006م) الذي ألف كتاب المستعيني في الطب للمستعين بالله أحمد بن يوسف الهودي(478-503هـ/ 1085- 1110م) صاحب سرقسطة إبان عصر الطوائف ، وكذلك كتاب المجدولة في الأدوية المفردة[4] .

كما ألف أبو الوليد مروان بن جناح كتابه التنقيح باللغة العربية ، وهو نفسه من مؤسسي علم النحو في اللغة العبرية ، وألف كتابه المستلحِق ، الذي يتكلم فيه عن كيفية تأليف يهود الأندلس في علم النحو العبري باللغة العربية ، وهو عالم متبحر في علم لسان العرب ، واليهود ، واشغل كذلك بالطب[5].

وعلى الرغم من مشاركة طلاب اليهود حلقات المسلمين العلمية ، إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور مؤسسات تعليمية خاصة بهم ، فقد استغل هؤلاء الحرية الممنوحة لهم ولغيرهم ، فكان تعليم أطفال اليهود يتم في أماكن بيعهم ، وقد تكون خارج أماكن بيع اليهود هذا بالنسبة لأبناء العامة، وتجار اليهود ، أما أبناء الأغنياء منهم فكان المعلمون يحضرون إلى بيوتهم لتعليمهم[6].

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 302 .

[2] حسين يوسف دويدار ، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138 –422 هـ / 755 – 1030م** ،مطبعة الحسين الإسلامية، ط 1 1994، ص 397 .

[3] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص 233 .

[4] ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص 501 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج8 ، ص 217 .

[5] ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 498 .انخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 489 . وهو كاتب ووزير الخليفة عبد الرحمان عبد الناصر عالما بشرعية اليهود ، وهو أول فقهاء الديانة اليهودية بالأندلس. صاعد الأندلسي، المصدر السابق ، ص 81 . ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص 498.

[6] مسعود كواتي ، المرجع السابق ، ص 183.

أما في المرحلة العليا فقد ظهرت مدارس يهودية تعني بتعليم التلمود ، ومن بينها المدرسة التي أسسها حسداي بن إسحاق بن عزر بن شبروط(عاش بين 333- 359هـ/945-970هـ)[1] ، ثم ظهرت مدرسة يهودية أخرى لغوية لاهوتية في إليسانة التي تقع شرق قرطبة وغرب غرناطة ، وهي المدرسة التي تخرج منها النحوي أبو الوليد مروان بن جناح[2].

ونتج عن هذه الظروف ، والإمكانيات المتاحة لليهود بروز العديد من الأدباء ، والعلماء خاصة في ميدان الشعر ، والأدب ، والفلسفة ، وعلم الفلك ، والطب .

فقد برز في ميدان الفلسفة بسرقسطة مثلًا سلومون بن يهوذا المعروف لدى المسلمين بسليمان بن يحيى بن جبرول(ت450هـ/1058م)[3] فقد اختص بعلم المنطق ، وألف كتابه المعروف بـينبوع الحياة الذي تأثر فيه بالفيلسوف ابن مسرة (ت319هـ/ 931م) ،ولخص ابن جبرول في كتابه هذا فلسفته ،وتأثره بالفكر الإسلامي[4].

و يحيى بن يوسف بن هودة (من أهل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي) الذي ألف بالعربية كتابه " الهداية إلى فرائض القلوب "[5] .

أما في الطب فقد نبغ عبد الله بن إسحاق المعروف بابن شناعة ، إذا اشتغل في تدريس الطب بقرطبة ، ومن أشهر تلاميذه الطليطلي أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغويش (عاش في عهد الدولة العامرية وملوك الطوائف) [6] وغيره ممن سبق ذكرهم في موضع سابق كإسحاق بن قسطار(ت448هـ/1056م) ، وأبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي(كان حيًّا 458هـ/1065م) ، وابن بكلارش يونس بن اسحاق[7].

وفي علم الفلك اختص أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقيال بأرصاد الكواكب ، وهيئة الأفلاك ، وحركاتها ، وعلم الأزياج ، واستنباط الآلات النجومية [8] .

---

[1] كاتب ، ووزير الخليفة عبد الرحمن الناصر (350-366هـ/912-961م) ، وخدمه بالطب ، كان عالـمًا بشريعة اليهود ، والطب، وهو أول فقهاء الديانة اليهودية في الأندلس . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص81 . ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص 498 .

[2] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 488 . كواتي مسعود ، المرجع السابق ، ص 183 . عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص74 .

[3] يعرف بأبي أيوب ، ولد بمالقة ، وعاش في سرقسطة . كواتي مسعود ، المرجع السابق ، ص203 .

[4] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 89 .عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص 74 .انخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 493 .

[5] كواتي مسعود ، المرجع السابق ، ص 203.

[6] صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، ص 83.

[7] عن مساهمة اليهود في ميدان الطب أنظر إلى الفصل الثالث ، ص ص 305 - 306 .

[8] صاعد الأندلسي ،المصدر السابق ،ص 75 . أنظر إلى الفصل الثالث ، ص 308 .

ووصل بعض اليهود بفضل تميزهم العلمي ، ودهائهم إلى بعض الوظائف السياسية الهامة ، والحساسة في عصر ملوك الطوائف ،كالوزارة ، والسفارة ، واستغلها البعض في خدمة الطائفة اليهودية ، وهو الوضع الذي تخوف منه ابن حزم الأندلسي(ت456هـ/1063م) فأخذ يتهجم على اليهود في رسائله التي رد فيها على الفيلسوف اليهودي ابن النغريلة(قتل 459هـ/1066م) [1].

ولقد ألف علماء اليهود بعض المصنفات التي تؤسس لبعض النظريات التربوية اليهودية ، ومن هؤلاء موسى ابن ميمون الذي ألف كتاب " المعارف" ، وتحدث فيه عن طرق دراسة الشريعة اليهودية ، وألف يهودا بن عباس المعروف لدى المسلمين بأبي البقاء بن يحيى بن عباس المغربي الأندلسي رسالة حول التعليم ، وكذلك يوسف بن أكنين الذي ألف كتابه "طب النفوس" باللغة العربية ، وتحدث فيه عن المعلم المثالي ، والتلميذ النجيب ، كما تحدث في الفصل السابع عشر عن فضائل المعلم والتلميذ ، ومن خلاله يبدو إنه اطلع على كتاب آداب المعلمين للشيخ الفقيه محمد بن سحنون(ت256هـ/870م) وتأثر بأفكاره ، وأخذ فصولًا من كتابه[2] .

ومما سبق ذكره عن حظ غير المسلمين من التعليم في الأندلس ، ومظاهر مساهمتهم فيه ، فمن خلال العرض أعلاه يتبين أن أهل الذمة من النصارى ، واليهود ، قد وجدوا الحرية متاحة للتعليم والتعلم تحت الحكم الإسلامي سواء في فترة محل الدراسة أو ما قبلها أو ما بعدها ، والدليل على ذلك تلك التراجم السالفة الذكر ، التي قُدمت كأمثلة عن كل فئة زيادة على ذلك فقد أتيحت لهم حرية إنشاء المدارس ، و المؤسسات التعليمية الخاصة بهم فقد ظهرت مثلًا المدرسة اليهودية إليسانة بالقرب من قرطبة .

ومما يحسب للمسلمين في الأندلس أن أماكن التعليم فُتحت كذلك لغير المسلمين ، فوفد إليها النصراني واليهودي ، وتحلق هؤلاء مع المسلمين في بعض مجالسهم العلمية خاصة في مجال الدراسات الأدبية ، والعلوم العقلية ، ونتيجة لهذه الحرية المتاحة ، وهذا التسامح الديني ، وفد إلى الأندلس طلاب أوروبيون خاصة من النصارى ، وقصدوا أشهر الحواضر العلمية آنذاك كقرطبة ، وطليطلة بغرض التعلم ، والدراسة .

[1] عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص 74 . مسعود كواتي ، المرجع السابق ، ص 278 .
[2] نفسه ، ص ص 181 – 182 .

7- تعليم الصَنَائِعِ[1](التعليم المهني):

يُعد تعليم حرفة معينة أو صناعة شيء ما ملكة فكرية ينتج عنها عمل أو جهد ملموس يظهر على أرض الواقع ، عكس تعليم العلوم الذي يعتمد على الجانب النظري [2].

وتعليم الصنائع ، والحرف يحتاج كذلك إلى المعلم الحاذق ، والكفء ، والمتخصص ، إما في النجارة ، أو الحدادة ، أو الوراقة ، وما إلى ذلك ، وعلى قدر جودة التعليم ، وتمكن المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة والحرفة ، وحصول ملكته[3] .

ولقد اهتم الأندلسيون بتعليم الصنائع ، فإذا كان الجاهل منهم الذي لم يوفق في تحصيل العلم ، اختار أن يتعلم صنعة من الصنائع على أن يكون عالة على الناس[4] ، فجعل بعض الأندلسيين الصنعة أول ما ينبغي أن يتعلمه بعد معرفته لدينه[5] ، وقد ذكرت المصادر مثلًا أن الشاعر المهندس حكيم الأندلس أبا القاسم عباس بن فرناس(ت274هـ/ 887م) قد علم الأندلسيين صناعة الزجاج من الحجارة ، كما كان يعلم النجارين في قصر الإمارة بعض تصاميمه[6].

وشاعت الحرف والصنائع في الأندلس[7] ، واشتهر الكثير من الأندلسيين باسم الحرفة التي كان يمارسها كالحدادة مثلًا ، فقد اشتهر هاشم الثائر على الأمير عبد الرحمن بن الحكم بين سنتي (207 - 214

---

[1] لها اللفظ الكثير من الاشتقاقات ، ومنها الصِّنَاعَةُ التي تعني الحرفة ، لهذا يقال عمله الصَّنْعَةُ ، وصِنْعُ أو صَنِيع اليدين أي حاذق في الصَّنْعَةِ من صُنْعَى الأيدي . والصَّنْعَةُ هي مهنة في إحدى الصناعات والحرف ، وأصبحت هذه النشاطات مضرب المثل في الحث على العمل، والجد وكسب القوت ،وذم الكسل ، ومنها " غبار العمل خير من زعفران العطلة ". الفيرز آبادي ، المصدر السابق ، ص 682. الزجالي (عبيد الله بن أحمد) **أمثال العوام في الأندلس**، تحقيق ،وشرح، ومقارنة محمد بن شريفة ، وزارة الشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، (د.ط)، المغرب ، (د.ت) ،ق2 ص393 . إبراهيم القادري بوتشيش , **إضاءات حول تراث الغرب الاسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي** ، دار الطليعة ، ط1، بيروت 2002 ، ص85.

[2] ابن خلدون ، المقدمة ، ج 2 ، ص 856 .

[3] نفسه .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 181 . ج 4، ص 177 .

[5] الاشبيلي (بكر بن إبراهيم) ، **كتاب التيسير في صناعة التسفير**، نشره عبد الله جنون ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، مدريد 1959-1960 ، م7-8 ، ص41 .

[6] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود على مكي ، ص ص 283- 284 .

[7] حول موضوع الصناعات، والحرف في الأندلس أنظر جهاد غالب مصطفى الزغول ، **الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح حتى سقوط غرناطة** ، " رسالة ماجستير في التاريخ " ، الجامعة الأردنية ، عمان ، 1994 ، ص76 وما بعدها . وكذلك صباح خابط عزيز سعيد الحميداوي **الأحوال الاجتماعية ، والاقتصادية لأعيان الأندلس في عهدي الامارة ، والخلافة (138-422هـ/755-1030م)**، دار ومكتبة عدنان ط1 ، بغداد ، 2014 ، ص360 وما بعدها .

هـ/822-829م) والذي سمي بالضراب لأنه كان يضرب بالمعول في مهنة الحدادة بسوق الحدادين بقرطبة فسمي هكذا [1] وكذلك محمد بن عضن القرطبي عرف بالحداد [2] .

كما يوجد بعض العلماء ممن أُنتسب إلى الصنعة التي زاولها أبوه ، أو جده كالحدادة ، أو العطارة ، فأطلق عليهم اسم إما بابن الحداد كالقرطبي إبراهيم بن أحمد فتح مولى فهر أبا إسحاق(ت379هـ/989م)[3] ،والطليطلي أحمد بن سهل بن محسن الأنصاري المقري(ت389هـ/998م)[4]، وغيرهم ، أما ممن لقب بابن العطار فكان منهم الفقيه محمد بن أحمد بن عبيد الله(ت399هـ/1008م، وهناك من لقب بالعطار مثل محمد بن عبد الله بن يحيى الأموي (ت409هـ/1018م)[5] ، ويوجد من العلماء من اشتغل في صناعة الأصباغ كالداخل إلى الأندلس القيرواني النحوي إسماعيل بن يوسف المعروف بالطلاء[6] المنجم ، وهو أول من أدخل الطلاء العراقي إلى القيروان والأندلس[7] ، والفقيه القيرواني محمد بن حارث الخشني(ت361هـ/971م) الذي رحل إلى الأندلس ، ودخل في خدمة الخليفة الحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م) واشتغل بالتزويق ، وتركيب الأصباغ ، والأدهان ثم فتح دكانًا بقرطبة لبيع الأدهان ، وتحضير عقاقير الكتابة ، والتزويق[8] .

واهتم بعض الأندلسيين بحرفة صياغة الحلي، والأساور ، والعقود ، و اشتهرت طائفة اليهود أكثر من غيرها في هذا المجال ، إذ اشتغلوا بصياغة التحف المعدنية في سوق الصاغة[9]، ومعلوم أن اليهود اهتموا بالتعليم المهني وأولوا له أهمية خاصة فتجدهم يتعلمون تلك الحرف ، وكذلك التجارة منذ فترة الصبى [10].

---

[1] وهاشم الضراب هو مسلم من أبناء الاسبان الأصليين ، كان أحد الرهائن الذين أخذهم الأمير الحكم بن هشام180-206هـ/796-822م) من طليطلة إلى قرطبة ، وعمل كأجير في دكاكين الحدادة بقرطبة ، واستطاع العودة إلى طليطلة ، واستطاع أن يجمع أهل الفساد، والشر وحشد الكثير منهم، وقام بالإغارة على العرب ،والبربر في ضواحي طليطلة ، وشنت برية. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 83 . ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، م4 ، ص ص 279 ، 281 .السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 230 . عبد المجيد نعنعي ، **الإسلام في طليطلة** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د.ت) ، ص 36 .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 17.

[3] نفسه ، ق1، 18 .

[4] ابن بشكوال ، ج1 ، ص 35 .

[5] نفسه ،ج2 ، ص 731 .

[6] الطلاء يطلق على ما يطلى به في تنقية الآثار ، وتحليلها ، وقلعها. أنظر الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 241 .

[7] هذا النوع من الطلاء يتمثل صناعة نوع من الخزف يسمى الزليج أو القاشاني ، وهو طلاء من عناصر معدنية مؤتلفة ملتصقة ذات بريق معدني يطلى بها الفخار .صباح خابط الحميداوي ، المرجع السابق ، ص 372

[8] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 113. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص 75.

[9] صباح خابط الحميداوي ، المرجع السابق ، ص 376 .

[10] كواتي مسعود ، المرجع السابق ، ص 180.

كما مارس المسلمون الأندلسيون هذه الحرفة ، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر محمد بن سعيد بن حسان المعروف بالصائغ(ت260هـ/873م)[1]، وكذلك أبا القاسم خلف بن سعيد بن عبد الله بن عثمان بن زبارة بن عجلان (ت نحو400 هـ/1009م) عرف بابن الصائغ [2] .

ومن الحرف التي تعلمها الأندلسيون ، واشتغلوا بها حرفة البناء ، فقد ازدهرت الحركة العمرانية في الأندلس خاصة في عهدي الإمارة و الخلافة[3] ، وهذا لاهتمام الأمراء ، والخلفاء بتشييد القصور ، والمساجد ، والمدن بأكملها كما حدث مع الخليفة الناصر(300-350هـ/912-961م) الذي بنى الزهراء ، و المنصور محمد بن أبي عامر (326-392هـ/938-1002م) الذي بنى مدينة الزاهرة ، والزيادات في كل عصر للمسجد الجامع بقرطبة ، وكذلك القناطر ، وأسوار المدن ، وغيرها.

ومما يلاحظ أن المصادر ككتب التراجم ، والطبقات كابن الفرضي(ت403هـ/1012م)، وغيره أغفلت ذكر أو سرد بعض التفاصيل عن المهندسين المعماريين ، والبنائيين الذين كان لهم الفضل في بناء مثل تلك المآثر العمرانية ، بعكس الفقهاء ، والعلماء ، والرواة ، والأدباء ، والشعراء الذين حظوا بالاهتمام ، والدراسة والترجمة لهم ، ماعدا بعض الإشارات لبعضهم في كتب التاريخ العام ، وهي بصدد ذكر أهم انجازات الأمراء ، والخلفاء وملوك الطوائف[4] .

ومن المهندسين ، والبنائين الأندلسيين التي وجدت أسمائهم على بعض الجدران ، والأعمدة في المساجد والقصور الأندلسية ، ويعتقد أنهم من أشهر ممارسي تلك الحرفة في الأندلس ، عبد البر بن هارون الذي وجد اسمه منقوش على أحد الأعمدة لمسجد عمر بن عدبس بإشبيلية ، والذي شيده الأمير عبد الرحمان الثاني الأوسط[5] حيث وجدت العبارة التالية " يرحم الله الإمام عبد الرحمان بن الحكم الأمير العدل المهتدي الآمر ببنيان هذا

---

[1] قرطبي ، سمع من أبيه ، وبعض فقهاء الأندلس ، ثم رحل مع أبيه ، وشاركه في السماع ، توفي بعد دخوله الأندلس . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 07 – 08 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 258 ، 259 .

[3] صباح خابط الحميداوي ، المرجع السابق ، ص 404 .

[4] توجد بعض الدراسات التي تطرقت للتعريف بهم ، وانجازاتهم الفنية المعمارية ، ومنها : محمد محمد الكحلاوي , " **عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم المعمارية** " ، أعمال ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، ط1 ، الرياض 1996 ، ق3 ، ص201 وما بعدها .

[5] يعد هذا المسجد من أجمل البنايات الأندلسية من خلال تحفته الفنية ، وصومعته الفريدة من نوعها. ابن القوطية ، المصدر السابق، ص 50 . أبو عمران سامية ، المرجع السابق ، ص 310 .

المسجد على يدي عمر بن عدبس قاضي اشبيلية في سنة أربع عشرة ومئتين ، وكتب عبد البر بن هارون"[1] منقوش بالخط الكوفي القديم ، وصنف بعض الباحثين كمحمد محمد الكحلاوي ، والسيد عبد العزيز سالم هذه الكتابة ، كأقدم نقش عربي معروف في اسبانيا[2] ، ووفقًا للمحقق عبد الهادي التازي فإن عبد البر بن هارون المذكور في تلك العبارة هو اسم البناء [3] .

ومن عرفاء[4] البناء في عصر الخلافة ابان حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-961م) سعيد بن أيوب الذي قام ببناء الزيادة في جامع قرطبة تحت إشراف المولى ، وصاحب المباني عبد الله بن بدر[5] .

وفي عصر ملوك الطوائف ورغم التمزق السياسي الذي عاشته الأندلس فيه ، إلا أن الفن ، والحرف ، عرفا رقيًّا وازدهارًا ملفتًا بسبب انزواء الملوك إلى حياة الترف ، والبذخ ، وصرف الأموال لتشييد القصور والمتنزهات ، فقد نشطت حركة البناء ، والعمران ، فشُيِّد قصر المأمون بني ذي النون(435-467هـ/1043-1075م) بطليطلة الذي بالغ المؤرخون في وصف درجة اتقان المهندسين ، والبنائيين في زخرفته ، وإحكام بنائه ، وكيفية تسيير نظام السقاية فيه ، وهو ما يبين درجة الإتقان ، والحذق التي وصلوا إليها في هذا الفن المعماري الأندلسي المتميز[6] وكذلك قصر الجعفرية بسرقسطة الذي بناه بنو هود حتى وصف بجنة الدنيا ، وفتنة المحيا [7] .

---

[1] ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن محمد) ، **المن بالإمامة " تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين"** ، تحقيق عبد الهادي التازي دار الغرب الإسلامي، ط3 ، بيروت ، 1987 ، ص 389 – 390 .

[2] محمد محمد الكحلاوي ، المرجع السابق ، ص 211 . السيد عبد العزيز سالم ، المساجد والقصور في الأندلس ، ص29-30 .

[3] ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 390 .

[4] جمعها عريف ، بمعنى العالم بالشيء ، والعريف هو الأمير ، أو رئيس القوم ، من يعرف أصحابه ، أو النقيب ، وهو دون الرئيس ،أو القيم بأمور الجماعة ، وهذا المصطلح يقصد به كاسم لوظائف عدة ، كعرفاء الحرف فيقال عريف الصناعة ، عريف البنائين ، وتوجد رتبة عسكرية في الجيش تعرف بالعريف ، وهو المسؤول على عشرة رجال في الجيش اشتهر منذ العهد العباسي ، وبقي متداولًا إلى عصرنا الحالي ، أما في مجال البناء فقد كان يطلق على المهندس بصفته رئيس البنائين ، أو يطلق على البناء . الفيروز آبادي ، المصدر السابق ، ص 772. محمد محمد الكحلاوي المرجع السابق ، ص 202.

[5] محمد محمد الكحلاوي ، المرجع السابق ، ص 213 . السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 22 – 23 .وعبد الله بن بدر هو أحد أصحاب الخطط ، ومنها الشرطة في عهد الخليفة الناصر .محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ق1 ، ص 461 .

[6] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 60 وما بعدها .

[7] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 170 . السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 63 . حول تفنن الأندلسيين في مجال هندسة البناء والعمران أنظر إلى الفصل الثالث ، ص 310 وما بعدها من هذه الدراسة .

أما فيما يخص حرفة الوراقة ، فقد برز فيها محمد بن يوسف(عاش بين 291-362هـ/903-972م) الذي يلقب بالوراق التاريخي ، فقد تعلم حرفة الوراقة في القيروان ، وحذق فيها حتى اشتهر بها ، فدخل في خدمة الحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م) يورق له[1].

وكانت حرفة الوراقة لا يمارسها إلا من كان له خط أنيق ، وماهر في التنظيم ، والترتيب ، وتزيين الكتب وتجليدها ، وكان الناس يتنافسون على شراء الكتب الأكثر ضبطًا ، وتصحيحًا ، وأناقةً ، واشتهر بعضهم بخبرته في تمييز خطوط النساخ كاللغوي القرطبي محمد بن عبد الرحمن بن معمر(ت423هـ/1031م) الذي وُصف بأنه " أعلم الناس بالكتب وعللها ، وألهجم بجمعها ، وأفرزهم لخطوطها ، وأنسبهم لها إلى وراقها" [2].

ومما سبق ذكره عن تعليم الصنائع أو الحرف في الأندلس فيمكن القول أنه بفضل رواج هذا النوع من التعليم ظهرت في الأندلس العديد من أنواع الصناعات المختلفة ، والتي ساهمت في ازدهار الاقتصاد الأندلسي ، فبفضل حرفة الحدادة مثلًا راجت الصناعة المعدنية التي يشكل الحديد منها مادة أساسية ، وهو من أهم المعادن المنتشرة في الأندلس، ولوفرة النحاس راجت صناعة الأواني المنزلية ، ولغناء الأندلس بالأحجار الكريمة ، والمرجان راجت صناعة الحلي والتحف[3] ، أما الصناعات النسيجية فقد اشتهرت مدينة المرية في عهد الخلافة بصناعة الوشي والديباج ، والحرير الذي كان يصدر منها إلى المشرق[4] ، حتى جمال الخط العربي ، ورونقه يعد في حد ذاته صناعة وحرفة ، ومن ضمن أحسن الصنائع ، وكان الأمراء ، والخلفاء ، والملوك يختارون أحذق الخطاطين ، وأجملهم خطًّا وتوظيفهم كُتَّابًا لهم في الدواوين ، زيادة على الكثير من الصناعات ، والحرف التي لا يتسع المقام لإحصائها وحصرها.

المطلب الثاني : المعلمون :

أ)- شروط ممارسة التعليم :

يعد المعلم المحور الرئيسي الذي تقوم على أكتافه العملية التعليمية ، وبه ومن أجل علمه تنعقد الحلقة العلمية ويلتف حوله الطلاب ، وهو موجه سير الدرس ، كما يحدد طبيعة الدرس حسب تخصصه ، ومعارفه العلمية

[1] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 97 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 182-183 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج7 ص 148 .

[2] وهو قرطبي ، يكنى بأبي الوليد ، كما نُعت كذلك بصاحب التاريخ في الدولة العامرية ، فقد كان يقابل كتب المنصور بن أبي عامر ، وولده من بعده ، كما دخل في خدمة مجاهد العامري في ولاية الأحكام ، توفي بالجزائر الشرقية . ابن الأبار ، التكملة ، ج 1، ص 310 .
إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 63 .وحول الوراقة في الأندلس أنظر إلى الفصل الثاني ، ص 158 وما بعدها من هذه الدراسة .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 128 .

[4] ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ج5، ص119. الحميري، المصدر السابق، ص538. المقري التلمساني ،المصدر السابق، ج1 ، ص141.

وبحسب طريقته ، وتميزه ، وشهرته يقصده الطلاب ، أو يختاره الأولياء لتعليم أبنائهم ، لهذه الجوانب ،والاعتبارات كان لابد من معرفة أي الاشخاص الذين لهم الحق في التصدر للتدريس ، والتعليم ، وماهي الشروط التي يجب أن تتوفر فيهم لمزاولة مهنة التعليم ؟

وتجدر الاشارة بضرورة التفرقة بين ما قدمه الفقهاء ، والمربون كعبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) وابن حزم الظاهري(ت456هـ/1063م) ، وابن عبد البر النمري (ت463هـ/1070م) من نظريات في هذا الجانب ، وآراؤهم فيما يجب أن يكون عليه التعليم[1] ، وبين ما قدمه بعض المستشرقين من دراسات ، ومراجع كخوليان ريبيرا ، عن واقع ممارسة التعليم في الأندلس ، وشروط التدريس في شخص المعلم ؟

فمن خلال المستشرق خوليان ريبيرا فأنه لم يكن بالأندلس قانون أو قاعدة متفق عليها تحدد كيف ينتقل طالب العلم إلى معلم في مادة ما ، فالذين مارسوا التعليم لم يخضعوا لترتيبات معينة ، لهذا فالمعلمون من يرى نفسه بأنه يستطيع أو صاحب الكفاءة في التدريس يكون أستاذًا ، ويمارس هذه المهنة[2] ، كما يستطيع من حفظ كتاب ما في الفقه ، أو في الحديث ، أو في الأدب ، أو في اللغة ، أو غيرها من المواد أن يصبح أستاذًا ، ويتحلق حوله الطلاب للأخذ عنه ، لهذا نجد أن الطلاب كانوا يتبادلون فيما بينهم الدروس ، ويمكن أن يكون أستاذ في مادة ما طالبًا عند زميله في مادة أخرى ، أو عند أستاذ آخر في مادة أخرى[3] ، وقد يستأنس بعضهم بالإجازات التي يتحصل عليها من المشايخ نظير حفظه لكتاب أو حذقه في مادة ما ، فيشتغل بالتدريس على أساس تلك الاجازات .

وعلى الرغم من ذلك ، إلا أن حسن الممارسة ، والخبرة في التدريس ، وتقدير الطلاب هم الأساس في تحديد مدى كفاءة الأستاذ ، وجدارته في اتقان المهنة ، أو من عدمها ، وبالتالي يُختار أحسنهم [4].

ب)– ألقاب المعلمين :

تنوعت المصطلحات التي تعبر عن الألقاب العلمية ، والتعليمية للكثير من الأندلسيين الذين مارسوا التعليم وهذا الاختلاف ، والتنوع جاء حسب مستويات التعلم ممن ترجم لهم ، وكذلك حسب تخصصاتهم ، والوظائف التي مارسوها فنجد مثلًا لقب الفقيه ، والمحدث ، والمؤدب ، والمعلم ، وغيرها ، وما يهمنا هنا هو تلك

---

[1] أنظر إلى الفصل الأول ، ص 31 وما بعدها .

[2] خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 94.

[3] نفسه .

[4] نفسه . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 99 .

المصطلحات التي تعبر عن الألقاب التي تخص من مارس التعليم ، وعلى أي أساس كان الاختلاف في الألقاب ؟ هل على حسب مقدار معين مما تحصله المعلم أم على حسب المستويات التي يُدرِّس فيها ؟

وتوجد الكثير من الألقاب التي لها دلالات على المرحلة التي يُدرس فيها المعلم ، و يمكن ذكر أشهرها أو أكثرها تدولًا فيما يلي :

1- المعلم : شاع توظيف مصطلح معلم لدى الأندلسيين عند معلمي الكتاتيب أكثر من أي مستوى آخر فقد أورد ابن الفرضي أن محمد بن خمسين الثقفي الأحدب القرطبي كان معلم كتاب[1] ، ومحمد بن أحمد بن يحيى الزهري(ت325 هـ/936م) كان معلم كتاب ، ويجتمع إليه أهل الحسبة ، والمعلمون ، ويقرئون عليه[2] ، ويلاحظ أن محمد الزهري هذا على الرغم من أنه معلم كتاب ، وهذا المصطلح الذي اختص بالصبية في المرحلة الأولى من التعليم في الكتاتيب ، إلا أن ذلك لم يمنع من أن يكون معلم المعلمين الآخرين ، وهذا دليل على أن بعض ممن مارسوا التعليم في هذه المرحلة لم يكتفوا بذلك ، بل درسوا تلاميذ المرحلة الأعلى ، لهذا نجد أن مصطلح المعلم لم يقتصر على القائم بالتعليم في فئة المرحلة الأولى ، وهي مرحلة الكتاتيب ، بل تعدى إلى المرحلة الوسطى ، والعليا.

ويذكر في بعض المواضع من كتب التراجم بأن فلان "يعلم بالقرآن "[3] ، أو "معلما بالقرآن" [4] ، أو يقال فلان " كان يعلم بالعربية"[5] ، أو " كان معلم العربية "[6] ، أو يقال فلان كان " يجلس لتعليم ذلك" في علم العدد والهندسة ، والنجوم ، كما فعل صاعد الأندلسي لما ترجم للعالم الرياضي أبي بكر بن أبي عيسى (عاش في عهد الحكم المستنصر)[7]، أو يقال:" كان معلمًا بعلم العدد والهندسة"[8]، و في بعض المواضع يطلق لقب المعلم مع لقب

---

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 696 .

[2] قرطبي ، يعرف بالاشبيلي ، يكنى بأبي عبد الله . نفسه ، ج2 ، ص ص695 – 696.

[3] كإبراهيم بن أحمد بن محمد الأزدي المكتب .ابن الأبار ، التكملة ، ج1 ، ص138. محمد فارس الجميل ، المرجع السابق ، ص177.

[4] كسرواس بن حمود الصنهاجي (ت391 هـ/1000م) . ابن بشكوال ، المصدر السابق،ج1 ، ص 363 .

[5] كمحمد بن أحمد العقيلي (ت400هـ/1009م)، ومروان بن أحمد بن أبي الحباب (ت401هـ/1010م) . ابن بشكوال ، المصدر السابق ج2 ، ص 711 . ج3 ، ص888 .

[6] كمحمد بن الوليد القيشاطي الأديب (ت 460هـ/1067م) . ابن بشكوال ، المصدر السابق، ج3 ، ص 796 .

[7] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 68 .

[8] كأبي القاسم أحمد بن محمد العدوي المعروف بالطنبري ، وكذلك ابن العطار محمد بن خيرة (عاش في عصر ملوك الطوائف). نفسه ، ص ص 68 ، 72 .

آخر أعلى درجة منه ، وهو الشيخ ، فيصبحان لقبان متلازمان في شخصية عالم ما كمطرف بن لطفون[1] ، إذ كان معلمًا بحاضرة استجة (Ecija) [2].

كما أوردت كتب التراجم كابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الأندلس الكثير ممن لقبوا بالمعلم ، فنجد أسماءهم تُتْبع بلقب المعلم كأن يقال فلان المعلم[3] ، أو كان معلمًا [4] .

ومما يلاحظ أن توظيف لقب المعلم أقترن بمواد معينة ، خاصة في مرحلة الكتاتيب ، فيقال فلان معلم هجاء ومنهم مثلًا محمد بن عبد الله البهراني(ت385هـ/995م) إذ كان معلم هجاء[5] .

ويضاف إلى ما سبق أن اللقبين معلم كتاب ، ومعلم هجاء يعبران عن القائم بالتعليم في مرحلة الكتاتيب[6] وقد جاء مصطلح التعليم في إحدى التراجم ليدل على أنه يختص بالمرحلة الابتدائية فقط ، ودليل ذلك أنه لما تُرجم للمقرئ إبراهيم بن مبشر بن شريف البكري(ت395هـ/1004م) قيل بأنه كان "يقرئ في دكانه قرب المسجد الجامع بقرطبة ، وينقط المصاحف ، ويعلم المبتدئين"[7].

2- المؤدب :

على الرغم من أن كلمة تأديب تختص بالجانب الخلقي ، والتهذيبي في التربية ، إلا أن هذا المصطلح وظف كذلك في مجال التدريس ، والتعليم ، كما اقترن مصطلح المؤدب بمصطلح آخر ، وهو المعلم في التعريف

[1] من أهل استجه ، يكنى بأبي القاسم . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 136- 137 .

[2] نفسه ، ق2، ص137 . واستجة هي مدينة قديمة محصنة بسورين بأجمل صنعة ، وأحكم بناء ، وهي من أعمال رية واسعة الأراضي تقع على نهر ، وبها آثار، ورسومات تحت الأرض بينها ، وبين قرطبة مرحلة واحدة ، وقيل بأن كلمة استجة تعني عند عامة الأندلسيين: " جمعت الفوائد" . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص174 . عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق، ص 53 .

[3] كأحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان الكلاعي القرطبي (ت391هـ/1000م)، وأصبغ بن غصن. ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص59 ، 79.

[4] ومثال ذلك إسحاق بن قاسم بن سمرة الخولاني الجزيري الأصل ، القرطبي الموطن، وبشير بن سعيد العبدري من أهل بعض الثغور الشرقية .نفسه ق1 ، ص 72- 97.

[5] وأطلق عليه لقب المؤدب كذلك. نفسه ، ق2 ، ص98 .

[6] محمد فارس الجميل ، المرجع السابق ، ص 180.

[7] ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 147. محمد فارس جميل, المرجع السابق، ص180 . ويلاحظ أن لقب المعلم وظف كذلك عند أهل المغرب للتعبير به عن القائم على تعليم الصبيان في حفظ القرآن الكريم عند المرحلة الابتدائية (الكتاتيب) ممن بلغوا سن السابعة من العمر. المغرواي (أحمد بن أبي جمعة)، **جامع جوامع الاختصار ، والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان** , تحقيق ، وتعليق أحمد جلول بدوي رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، (د،ت) ص ص 24 - 25 ، 47.

بشخصية ما خاصة تعليم الصبية في الكتاتيب[1] ، ومثال ذلك أن محمد بن عبد الله بن محمد البهراني (ت385هـ /995م) كان مؤدب ، ومعلم هجاء[2] .

وقد شاع توظيف مصطلح المؤدب في الأندلس ليقصد به معلم المرحلة الابتدائية ، إما في الكتاتيب عند تعليم أبناء العامة ، أو في القصور بالنسبة للخاصة كأبناء الأمراء ، والخلفاء ، والملوك ، وكذلك الوزراء ، والولاة ، والقواد والقضاة ، والأغنياء ، وغيرهم[3].

وممن أدبوا لأبناء العامة أحمد بن شاب بن عيسى الأموي(ت317هـ/929م) إذ كان مؤدب كتاب في قرطبة وبإستجة أدب ميكاييل بن هارون الباهلي[4] ، واستخدمت بعض المصادر كالبيان المغرب لابن عذارى المراكشي مصطلح المؤدب للدلالة على معلمي الكتاتيب عندما أمر الخليفة الحكم المستنصر بالله (350-366هـ/961-976م) بإنشاء سبعة وعشرين مكتبًا حول المسجد الجامع ، وبكل ربض من أرباض قرطبة ، يقوم المؤدبون فيها بتعليم أولاد الضعفاء ، والمساكين القرآن [5] .

أما ممن أدبوا أبناء الخاصة فعددهم كثير ، ومنهم على سبيل المثال جودي بن عثمان النحوي(ت198هـ/813م) الذي يقال بأنه أول من أدب أبناء الأمراء في الأندلس[6] ، والغازي بن قيس(ت199هـ/814م) الذي كان مؤدبا للأمراء[7] ، وسوار بن طارق(ت بعد202هـ/817م) الذي أدب أبناء الأمير هشام بن عبد الرحمن (172-180هـ/788-796م) ، وأبناء الحكم(180-206هـ/796-822م)[8] ، وعثمان بن المثنى النحوي (ت273هـ/886م) الذي أدب أبناء الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط(206-238هـ/822-852م) وكذلك أبناء الأمير محمد(238-273هـ/852-886م)[9].

أما سعيد بن عيشون الالبيري فقد أدب أبناء الخلفاء بقرطبة[10]، وهشام بن الوليد بن محمد الغافقي(ت317هـ /929م) المحدث ، والعروضي، والنحوي ، الذي أدب الخليفة عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-

---

[1] محمود قمبر ، المرجع السابق ، ص 225.

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 , ص98 .

[3] محمود قمبر ، المرجع السابق ، ص 228 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 68 .

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 31 – 32 . ق2 ، ص 156 .

[5] ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 240 .

[6] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 256 .محمود قمبر، المرجع السابق ، ص 228 .

[7] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 178 .

[8] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 257 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 215. محمود قمبر ، المرجع السابق، ص 229.

[9] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1، ص 302 .

[10] نفسه ، ق1 ، ص 161 .

961م) ثم ابنه ، وولي عهده الحكم المستنصر بالله(350-366هـ/961-976م)[1]، واستدعى الخليفة عبد الرحمن الناصر المؤدب أبا القاسم أصبغ ، الذي كان من أهل الحذق بالعربية ، ومعاني الشعر لتأديب ابنه المغيرة[2] والطبيخي أبا العباس وليد بن عيسى(ت352هـ/963م) الذي كان مختصًّا بعلم اللغة ، ومعاني الشعر ، إذ كان يتنافس عليه الملوك[3]، ومن اشبيلية اشتهر محمد بن حسن بن مذحج الزبيدي(ت379هـ/989م) الذي وفد إلى قرطبة ، واستأدبه الخليفة الحكم المستنصر لابنه هشام[4] ، ومن بطليوس النحوي ، واللغوي ، والشاعر ،والاخباري محمد بن يونس الحجاري(ت462 أو 463هـ/1069 أو1070م) الذي استأدبه المظفر بن الأفطس(437-460هـ/ 1045-1067م) صاحب بطليوس لنفسه ، ولبنيه[5].

كما استخدم مصطلح التأديب في تعليم الكبار ، والمصلين في المساجد ، وممن التزموا التأديب في المساجد للعامة والمصلين محمد بن يحي بن عوانه الثعلبي(ت361هـ/971م) الذي كان إمامًا في المسجد الجامع بقرطبة ومؤدبًا[6]، وأحمد بن هشام بن أمية الأموي(ت398هـ/1007م) فبعد عودته إلى الأندلس من رحلته المشرقية التزم الإمامة ، والتأديب[7] ، وكذلك اللغوي محمد بن إسماعيل الذي كان يؤدب بمسجد متعة[8] ، وأبو محمد عبد الله بن يوسف الرهوني(ت435هـ/1043م)الذي أدب بمسجد أبي خالد بقرطبة[9].

ويلاحظ أن بعض المؤدبين اختصوا بتأديب فئة اجتماعية معينة تنتسب لإحدى الأسر ، أو البيوت العريقة المعروفة في الأندلس فيقال فلان كان يؤدب بني كذا[10] .

كما نجد أن مصطلح المؤدب استخدم كصيغة مطلقة دون تحديد تعليم فئة ، أو طبقة علمية معينة ، وهذا ما يلاحظ عند الترجمة لأبي الحسن مفرج بن مالك النحوي المشهور بالبغل الذي ذكره الزبيدي بأنه كان ذا صلاح

---

[1] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 284 .ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 174 . الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 655.

[2] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص305.

[3] نفسه ، ص 304 .

[4] ابن الفرضي ،المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 89 – 90 .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج3 ، ص 801 .

[6] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 71 .

[7] ابن بشكوال ، المصدر السابق، ج1 ص ص 41 – 42 .

[8] الزبيدي ، المصدر السابق، ص 290 .

[9] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 414 .

[10] ذكر الزبيدي الأندلسي أن مؤدب اسمه طاهر، وهو نحوي له علم بالعروض، و معاني الشعر كان يؤدب بني هاشم، وبني حدير ،و مؤدب آخر يعرف بصالح بن معاني كان يؤدب عند بني فطيس، وكذلك أبا عمر يوسف البلوطي(ت334 هـ/945م) الذي أدب عند الحديريين. الزبيدي المصدر السابق ، ص ص 276، 292 ، 298.

وفضل ، ونية في تأديب المتعلمين[1] ، وأصبغ بن تمام الحرار القرطبي(ت365هـ/975م) ، وهو من أهل القراءات والحفظ للقرآن الكريم الذي نعته ابن الفرضي بالمؤدب[2] ، وكذلك أحمد بن عبد الكريم الجياني القرطبي الذي كان له حظ في علم العربية ، والشعر ، وكان يؤدب بالمدينة[3] ، ومحمد بن خليفة البلوي(ت392هـ/1001م)الذي لقب بالمؤدب[4] .

ويستخدم مصطلح التأديب في بعض المرات للإشارة إلى المادة ، أو التخصص كأن يقال مثلًا فلان أدب بالقرآن[5]، أو أدب بالنحو[6] ، أو كان مؤدبًا بالعربية[7]، أو كان مؤدبًا بالحساب ، والهندسة [8] .

كما وجد بعض الأندلسيين ممن أدبوا أكثر من مادة ، وهؤلاء هم أصحاب الكفاءات في أكثر من تخصص كأبي الأصبغ عيسى بن أبي جرثومة الحولاني الذي أدب بالنحو، والحساب ، والعروض ، والقرآن[9] ، والحكيم أبي عبد الله محمد بن إسماعيل(ت331هـ/942م) الذي نبغ في علم العربية ، والحساب ، والمنطق ، وتخرج على يديه جملة من المؤديين ، والشعراء ، والكتاب[10] ، وشاعر الخليفة عبد الرحمن الناصر محمد بن عبد الله القرشي المكفوف

---

[1] نفسه ، ص 273 .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص81 .

[3] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 288. ابن الأبار ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 14 .

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 104 .

[5] كعبادل بن عمران (ت339هـ/950م) إذ كان يؤدب بحاضرة استجة، وأحمد بن قزلمان المؤدب (ت377هـ/987م) بقرطبة ، ومحمد بن أحمد القيسي (ت 1003/394م) بيجانة ، ومحمد بن سعيد بن نبات الأموي (ت429هـ/1037م) . نفسه ، ق1، ص ص 53- 54 ، 340 . ق2 ، ص ص 107 – 108 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج2 ، ص760 .

[6] مثل أبي الغمر عبد الواحد بن سلام الأحدب (ت209هـ/824م) ، ومحمد بن سليمان المكفوف (ت326هـ/937م). الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 289 . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 289 . ق2 ، ص 45 .

[7] كالغازي بن قيس(ت199هـ/814م) ، وسعيد بن قدامة بن عبد الوارث القيسي(ت348هـ/959م)، وإبراهيم بن لب التجيبي المعروف بالقويدس(ت454هـ/1062م) الزبيدي ، المصدر السابق ، ص ص254 ، 292 ، 293 . صاعد ، المصدر السابق ، ص 74 .

[8] ومن هؤلاء مثلًا عبد الله بن تمام بن أزهر الكندي الفرائضي المعروف بالمسري (ت373هـ/983م)، وكذلك الرياضي ، والطبيب محمد بن عبدون الجبلي، وأحمد بن محمد الأديب الفرضي المعروف بابن الطنيزي (ت410 أو417هـ/ 1019 أو 1026م). ابن الفرضي، المصدر السابق ق1 ، ص 273. ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج1 ، ص ص 68- 69.

[9] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 291 .

[10] نفسه ، ص ص 302 – 303 .

المعروف بابن الأصفر ، إذ كان مؤدبًا بالقرآن الكريم ، والشعر ، والحديث ، والنحو[1] ، وكذلك البرشقيري أبي الأصبغ عثمان بن إبراهيم الذي أدب بالعربية ، والحساب[2] ، وغيرهم.

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين كمحمود قمبر ، وإبراهيم علي العكش أشاروا إلى أن مصطلح المؤدب أطلق في الغالب على معلمي أبناء الخاصة من ذوي الأمراء ، والخلفاء ، والملوك ، وذوي الجاه ، والسلطان [3] ، إلا أن ذلك لا ينفي أن هذا المصطلح وظف كذلك لمعلمي الكتاب ، والعامة كما جرى تبيان ذلك في موضع سابق .

ويجد الباحث صعوبة في تحديد الفرق بين المعلم ، والمؤدب بدقة ، فقد رأينا أن القائم بالتعليم في مرحلة الكتاتيب يطلق عليه تارة لقب معلم كتاب ، وتارة أخرى مؤدب كتاب ، أم أن المؤدب هو لقب يشمل معلمي المرحلتين الابتدائية ، والوسطى ، لكن المؤكد أن كلا من اللقبين المعلم ، والمؤدب لا يقصد بهما ذلك العالم أو الشيخ الذي له علم ، ومعرفة موسوعية ، ومن أجله تُعقد الرحلة العلمية .

وتجدر الإشارة إلى ضرورة مراعاة الفرق في المستوى بين مؤدبي العامة ، ومؤدبي الخاصة ، فبالنسبة للفئة الأولى فيعتقد بأنها أقل مستوى ، من الفئة الثانية ، ويكتفي بها أصحابها بالتأديب لغرض كسب أجر عمله ، وقوت يومه ومن هؤلاء اشتهر مثلًا أبو عمر أحمد بن محمد الأعرج (ت345هـ/956م) : " الذي أدركه الاختلال عند اتخاذه العيال ، فجعل التأديب عونًا على ما لزم من مؤونتهم إلى أن توفي"[4] ، أما بالنسبة للفئة الثانية التي تخص أبناء الخاصة فيُختار لها الفقهاء ، والعلماء المبرزين الماهرين ، والمتمرسين ، ومثال ذلك أن الخليفة الحكم المستنصر اختار لتأديب ابنه ، وولي عهده هشام الفقيه أحمد بن محمد بن يوسف القسطلي [5] .

3– الأستاذ :

أصل مصطلح " الأستاذ" مشتق من اللفظ الفارسي أستاد ، ويقصد به المعلم الماهر بصنعته[6] ، ويطلق لقب الأستاذ على المعلم ، لكن ليس كل المعلمين أساتذة ، وإنما فئة منهم ، وهي النخبة التي استطاعت أن تبدع في

[1] نفسه ، ص303 .

[2] نفسه ، ص308 .

[3] محمود قمبر ، المرجع السابق ، ص 288 . إبراهيم على العكش ، المرجع السابق ، ص 118 .

[4] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 299.

[5] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي، ص ص 76 – 77. محمد فارس الجميل، المرجع السابق، ص ص 160–162 .

[6] محمد فارس الجميل ، المرجع السابق ، ص 173.

طريقة التدريس ، ومهمتها التعليمية ، وذاع صيتها في إجادتها، ومهارتها في التعليم ،وتمكنها في تخصصها أو أكثر[1] .

ومما يلاحظ في تراجم بعض العلماء أن مصطلح أستاذ وظف كذلك ممن اشتغلوا التعليم في تخصصات معينة كاللغة العربية ، والنحو مثلًا ، فقد ذكر الأندلسي الزبيدي أن يزيد بن طلحة العبسي المعروف بيزيد الفصيح "كان أستاذًا في علم العربية و اللغة "[2] ، وكذلك مفرج بن محمد بن عصام الفهري اللشبوني الذي سكن قرطبة ووصف بأنه كان أستاذًا في العربية ، والآداب[3]، وممن اشتهروا بالأستاذية كذلك محمد بن خلصة النحوي الكفيف (كان حيًّا 468هـ/881م) الذي قيل في حقه:"كان من النحويين المتصدرين ، والأساتذة المشهورين ، والشعراء المجودين..."[4]، وكذلك العالم بالقراءات عبد الرحمن بن الحسن الخزرجي(ت446هـ/1054م)، الذي لقب بـالأستاذ المقرئ العارف المجود[5] .

و يبدو أن مرتبة الأستاذ لا يصل إليها المعلم إلا بعد تمضية وقف طويل في التدريس ، واكتساب الخبرة والتجربة اللازمتين التي بهما يتمكن من اكتساب هذا اللقب ، وهذا ما يلاحظ لما ترجم للغوي محمد بن أحمد بن خشرم العبسي الاشبيلي فقد " كان أستاذ عربية مُبرزًا في فهمها ، حسن التعليم لها ، ودرسها بإشبيلية طويلًا وأنجب تلاميذ جلة " [6] .

كما يوجد من العلماء من اشتهر بأكثر من لقب لمكانته العلمية ، وموهبته في التعليم ، وشهرته في اتقان العمل وإلمام بأكثر من علم كما هو الحال مع غانم بن الوليد بن عمر المخزومي(ت470هـ/1077م) الذي عُرف بأنه : " فقيه مدرس ، وأستاذ في الأدب ، وفنونها مجود مع فضل ، وحسن طريقة "[7].

وما يمكن استنتاجه مما سبق ذكره فإن لقب الأستاذ لا يطلق إلا على معلم المرحلة العليا ، وهو أعلى درجة ومكانة من المعلم ، والمؤدب ، وعادة لا يصل مرتبة الأستاذ إلا ممن تكون له حلقة معروفة ، و يتردد عليه طلاب

---

[1] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 113 .

[2] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص ص 271- 272 . وهو من أجل فقهاء اشبيلية ، كان يكنى بأبي خالد ، وبصيرًا باللغة. والنحو، والشعر وصف بالبلاغة ، وحسن الخطابة ، والفصاحة ، ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق ، ص 197 .

[3] ابن الأبار ، المصدر السابق ،ج2 ، ص199.

[4] الحميدي ، المصدر السابق ، ص54 .الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 104 . ابن الأبار ، المصدر السابق ، ج1 ، ص319 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 114.

[5] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 471 .

[6] ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل و التكملة ، القسم الخامس ، ص ص 623 – 624 .

[7] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 325. ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 669 . الضبي ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 579 . عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي، المرجع السابق ، ص 68 . محمد فارس الجميل ، المرجع السابق ، ص ص 174- 175 .

كثيرون ، وله سن معين ، وقد يصل إليها صاحبها بعد أن تدركه الشيخوخة ، وينال شهرة ، ويتردد اسمه بين طلاب العلم ، ويقتنع جيل بأكمله بمكانته ، وتمكنه[1] ، كما أن الأستاذية تختص أكثر في مواد معينة كاللغة العربية و آدابها ، والنحو ، والشعر حسب ما تقدم في تراجم ممن اشتهروا بلقب الأستاذ ، ونجد في بعض الحالات لعلماء أندلسيين أجلة نبغوا في أكثر من ميدان ، أو تخصص فيقال :" فلان أستاذ مبرز" ، أو " فقيه مدرس ، وأستاذ" وفي حالات أخرى يطلق على المعلم الممتاز لقب " أستاذ مقدم"[2].

4- الشيخ : يطلق لقب الشيخ على أهل العلم ، والصلاح توقيرًا لهم ، كما يعبر به عن منصب علمي ومكانة عليا تعلى من شأن صاحبها[3] .

وتجدر الاشارة إلى أن هناك من الباحثين من ربط هذا اللقب بالسن كما هو الحال عند المستشرق خوليان ربيرا الذي قال بان لقب شيخ لا يطلق إلا على المدرسين الذين بلغوا الخمسين سنة ، ويقر في نفس الوقت بأن السن ليس هو المقياس على حصول المشيخة ، فقد يلقب بها من هو دون هذا السن إذا بلغ درجة النجابة ، واشتهر[4].

وورد لقب الشيخ في تراجم الكثير من علماء الأندلس ، ومنهم مثلًا إبراهيم بن محمد بن نابل الذي كان شيخًا أديبًا[5] ، حتى أن يوسف بن عبد الله بن عبد البر(ت463هـ/1070م) وصف بكبير الشيوخ[6] ، وذكر الضبي(ت599هـ/1202م)صاحب كتاب البغية ، لفظ شيوخ الأدب ، وهو يترجم لأبي عمر يوسف بن هارون الكندي (كان حيًّا330هـ/941م)[7] ، كما ذكر اللغوي الأندلسي الزبيدي(ت379هـ/989م)لفظ المشيخة إذ قال " أخبرني محمد بن عمر بن عبد العزيز أبوبكر بن القوطية عن بعض المشيخة قال : قصد شيوخ أهل استجة "[8] ، وكذلك نافع بن رياض الجزيري (ت بعد 440هـ/1048م) إذ صنف ضمن شيوخ الأدب[9] ، وقد وردت العبارة التالية في الترجمة لبعض الأندلسيين ، وهي : "كان متكررًا على شيوخ بلده" لتدل على أن الشيخ هو أحد الألقاب التي تطلق على المعلم ، كما تعبر عن الأخذ ، والسماع للطلبة من المعلمين ، وقد جاءت هذه

---

[1] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ص 94 – 95 .

[2] عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص 68 .

[3] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص37 .

[4] خوليان ربيرا ، المرجع السابق ، ص 95 .

[5] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 18 .

[6] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 659 – 660 .

[7] نفسه ، ج2 ، ص 664 .

[8] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 253 .

[9] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 640 .

العبارة مثلًا في التعريف بوليد بن سعيد بن وهب الحضرمي(ت419هـ/1028م)[1] ، أو يقال: "تفقه على شيوخها" ، أو "رأيت بعض أشياخي"[2] ، أو يقال:"كان متكررًا على الشيوخ ، وسمع منهم"[3].

واشتهرت بعض الحواضر بكثرة شيوخ العلم فيها ، فيقال: " مشيخة قرطبة" ، أو" مشيخة طليطلة" ، وهو ما صرح به ابن الفرضي ، وهو يعرف إسماعيل بن أمية(ت 303هـ/915م) فأورد بأنه سمع من مشيخة طليطلة وقرطبة[4] ، ولما كان ابن بشكوال يعرف بالطبيب و الرياضي جعفر بن مفرج بن عبد الله الحضرمي(ت358هـ/968م) ذكر بأن من شيوخه مسلمة المجريطي(ت398/1007م)[5] ، فصنف المجريطي ضمن شيوخ العلم في الطب .

وكذلك أحمد بن محمد بن قاسم بن هلال(ت317هـ/929م) الذي أورد ابن الفرضي معلميه بلفظ الشيوخ فقال :" سمع من عميه ومن غيرهما من الشيوخ"[6] ، وأحمد بن عبد الوهاب بن يونس المعروف بابن صلى الله(ت 399هـ/1008م) فقد كان له سماع من شيوخ وقته[7].

وممن تلقبوا بالشيخ محمد بن عتاب بن محسن(ت462هـ/1069م) وهو قرطبي ، وشيخ المفتين بها في طبقته[8] ومما يدل على أن لقب الشيخ يُعبر عن المكانة العلمية لصاحبها ما ورد في رسالة عبد الملك بن زيادة الله الطبني أبي مروان(قتل457هـ/1064م) في رحلته ، وهو في مصر إلى ابنه في الأندلس يقول فيها :

يَا أَهْـــلَ أَنْدَلُسٍ مَا عِنْدَكُـــم أَدَبُ ... بِالمشْرِقِ الأَدَبُ النَّفَاحُ بِالطِّيبِ
يُدْعَى الشَّبَابُ شُيُوخًا فِي مَجَالِسهم ... والشَيّخُ عِنْدَكُم يُدْعَى بِتَلْقِيب [9]

[1] نفسه ، ج2 ، ص646 .
[2] نفسه ، ج2 ، ص ص 537 – 538 .
[3] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 760.
[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 65 .
[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 211 – 212 .
[6] ابن الفرضي ، المصدر ، ق1 ، ص 32.
[7] نفسه ، ق1 ، ص 47 .
[8] القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 810 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 111 .
[9] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 529 .

وتجدر الاشارة إلى أنه من غير الممكن الحُكم يقينًا ، وقطعيًّا على أن لقب الشيخ يقصد به نخبة المدرسين في تخصص ما بعد قضائه مدة زمنية طويلة في التدريس ؛ إذ ما يمكن ملاحظته في تراجم بعض الأندلسيين أن الشيخ يقصد به في بعض الأحيان المعلم العادي فقط[1] .

كما أنه لا يمكن فصل هذا اللقب عن الجوانب الدينية ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، كأحمد بن عثمان بن إلياس كان شيخًا فاضلًا ، حافظًا للمسائل ،كثير التلاوة[2] ، وأحمد بن عبدالله بن فطيس الذي وصف كذلك بأنه كان "شيخًا معتنيًّا بالمسائل على مذهب مالك"[3] ، وأبي عمر أحمد بن ثابت الزبير(ت360هـ/970م) الذي وصفه ابن الفرضي بأنه كان شيخًا صالحًا ثقةً فيما روى[4] ، وأحمد بن عون الله بن حدير البزاز(ت378هـ /988م) الذي قيل في حقه بأنه : "كان شيخًا صالحًا صارمًا في السنة ، متشددا على أهل البدع " [5] .

وقد يلقب المعلم بالشيخ من طرف تلاميذه تقديرًا ، وإجلالًا ، ومجاملةً له ، كما هو الحال لابن الفرضي ،وهو يترجم لشيخه أحمد بن عبادة بن عبد العزيز المرادي الاشبيلي(ت378هـ/988م) إذ وصفه بأنه كان :" شيخًا صالحًا وقورًا مسمتًا ، قرأنا عليه الكتاب الكامل بروايته عن سعيد بن جابر" [6] .

ومما سبق ذكره حول لقب الشيخ فإنه من الصعب التحديد بدقة لمن يُطلق عليه هذا اللقب ، فتارة يعبر به عن المكانة العلمية التي يصل إليها المعلم بعد طول مدة في التدريس، وشيوعه بين تلاميذ جيله ، وبعد أن يبلغ به العمر عتيًّا ، وتارة يعبر به عن التخصص الديني لمعلم المسائل الفقهية مع اتصافه بالصلاح ، والورع ، وتارة يطلق مجاملة من طرف تلاميذه ، كما استخدم هذا اللقب للتعبير به عن معلمي الكتاب ، إذ ذكر ابن الفرضي وهو يعرف النحوي أحمد بن يوسف بن حجاج بن عمير (ت306هـ/918م) أن مصادره في التعريف به من بعض شيوخ الكتاب [7].

---

[1] ويلاحظ ذلك عندما ترجم ابن بشكوال لإسماعيل بن محمد بن خزرج (ت421هـ/1030م) لما قال في تعريفه : " وضع كتابًا سماه : الانتقاء في أربعة أسفار ، ذكر فيه أسماء شيوخه ، وعددهم مائة ، وسبعون رجلًا دونهم فيه ، وأضاف إلى كل رجل منهم ما انتقاه من حديثه . نفسه ج1 ، ص171 . والشيوخ هنا يقصد بهم المعلمين . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 112 .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 43 .

[3] نفسه ، ق1 ، ص 36 .

[4] نفسه ، ق1 ، ص 45 .

[5] نفسه ، ق1 ، ص 54 .

[6] نفسه ، ق1 ، ص 55 .

[7] نفسه ، ق1 ، ص 35 .

5- الإمــام :

يعد لقب الإمام أعلى المراتب ، والدرجات في هرم ممارسي التعليم ، ويوجد الكثير من المعلمين الأندلسيين ممن تلقبوا به ؛ إذ لا يصل إليه إلا من تمكن في تخصصه ، و يصبح حُجّة فيه للناس ، قدوة في علمه ، ويُرجع إليه فيه ويُقصد لأجله[1] ، لكن ما يلفت الانتباه أنه توجد تخصصات معينة تلقب فيها المتبحر فيها بالإمام ، وهذه التخصصات على سبيل المثال هي : القراءات ، الفقه ، الحديث النبوي الشريف ، اللغة العربية ، النحو الرياضيات ، وعلم الكلام .

ففي القراءات نذكر على سبيل المثال أبا عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني المقرئ(ت444هـ/1052م) إذ كان إمام وقته في الإقراء[2]، وعبد الله بن سهل بن يوسف المقري(ت 480هـ/1087م) الذي كان إمام الاقراء و التجويد[3] .

وفي ميدان الفقه مثلًا اشتهر عيسى بن دينار(ت212هـ/827م) الذي كان إمامًا في الفقه على المذهب المالكي[4] ، وأحمد بن خالد بن يزيد المعروف بابن الحباب(ت322هـ/933م) الذي وصف بأنه كان إمام وقته في الفقه ، والحديث ، والعبادة [5]، وكذلك أحمد بن عبد الله بن أحمد الأموي(ت348هـ/959م) فقد كان إمامًا في حفظ الرأي على مذهب مالك[6] .

و في الحديث النبوي الشريف ذكر ابن الفرضي أن إبراهيم بن نصر الجهني(ت287هـ/900م) لما خرج في رحلته العلمية إلى المشرق لقى جماعة من أئمة المحدثين [7]، و كذلك أبا جعفر أحمد بن عمرو بن منصور (ت 312 هـ/924م) الذي "كان عالما بالحديث ، حافظًا له ، بصيرًا بعلله ، إمامًا فيه ، وكانت الرحلة إليه في وقته"[8]. ومن خلال هذا التعريف الأخير يتضح بأن الإمام هو الذي يتصدر الطبقات العلمية في المستويات العليا و إليه تعقد الرحلات العلمية .

---

[1] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 108. ومن هؤلاء مثلًا أحمد بن عبد الله بن شريعة اللخمي(ت396هـ/1005م) المعروف بابن الباجي فقد وصف بأنه كان " إمام عصره ، فقيه زمانه" ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 39 .

[2] الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 538 .

[3] نفسه ، ج2 ، ص448 .

[4] نفسه ، ج2 ، ص225 .

[5] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 31

[6] نفسه ، ق1 ، ص ص 39 – 40 .

[7] نفسه ، ق1 ، ص 12 .

[8] نفسه ، ق1 ، ص ص 27-28 .

ومنهم أبو القاسم خالد بن سعد القرطبي(ت352هـ/963م) الذي صنف كإمام في الحديث "حافظًا له بصيرا بعلله ، عالمًا بطرقه ، مقدمًا على أهل وقته في ذلك"[1] .

ومن أشهر علماء الحديث في عصر ملوك الطوائف ممن لقبوا بالإمام ، المحدث أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري(ت463هـ/1070م) الذي ذكره ابن بشكوال بأنه :" إمام عصره، وواحد دهره "[2] ، وكذلك الحميدي أبوعبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي(ت488هـ/1095م) الذي وصف بأنه " إمام متقدم في الحفظ والاتقان" ، و" إمامًا من أئمة المسلمين في حفظه ، ومعرفته ، وإتقانه ، وثقته ، وصدقه ، ونُبْله ، وديانته وورعه ، ونزاهته (...) إمامًا في علم الحديث، وعلله ، ومعرفة متونه ، ورواته" [3] .

وفي ميدان الأدب ، واللغة العربية ، والنحو اشتهر في أيام الخليفة الحكم المستنصر عبد الله بن محمد المعروف بالسري بأنه إمام في النحو واللغة[4] ، وكذلك أبو بكر الزبيدي محمد بن الحسن النحوي(ت379هـ/989م) الذي ذكره المقري بأنه كان إمامًا في الأدب[5] ، وإن كتاب العين للخليل كان مختل القواعد ، " فامتعض له هذا الإمام وصقل صدأه كما يصقل الحسام ، وأبرزه في أجمل منزع ، حتى قيل هذا مما أبدع ،واخترع " [6]، وكذلك معاصره أبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطي إذ كان إمامًا في علم النحو واللغة[7] .

و محمد بن عبد العزيز الخشني المعروف بابن المعلم (ت 430هـ/1038م) كان إمامًا في فنون الآداب[8] ، وأحمد بن خلف اللخمي(ت449هـ/1057م) الذي كان إمامًا في العربية والأدب[9]، و عبد الملك بن زيادة الله التميمي الحماني الطبني (قتل457هـ/1064م) فقد وصف هو الآخر بأنه كان إمامًا في اللغة[10]، وكذلك ابن سيدة علي بن إسماعيل(ت458هـ/1065م) الذي وصف بأنه كان إمامًا في اللغة والعربية حافظا لهما [11] .

---

[1] نفسه ، ق1 ، ص 130 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 110.

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج3 ، ص 973 .

[3] الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 161 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 266 .

[4] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 67 – 68 .

[5] المقري التلمساني ،المصدر السابق ، ج3 ، ص 344 .

[6] نفسه ، ج4 ، ص 260 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 109.

[7] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 68 .

[8] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 763 .

[9] نفسه ، ج1 ، ص ص 96- 97 .

[10] الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 492 .

[11] ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج2 ، ص ص 606 – 607 ، الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 545 .

أما في علم الرياضيات فبالرغم من كثرة علماء هذا التخصص ، إلا أن القليل منهم من لُقب بالإمام كأبي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي(ت398هـ/1007م) الذي لقب بإمام الرياضيين في الأندلس في وقته[1].

و ممن لُقبوا بالإمام في علم الكلام محمد بن إبراهيم بن موسى الأنصاري المعروف بابن شق الليل(ت455هـ/1063م)[2] .

لقد اقتصر الحديث فيما سبق على الألقاب التي لها ارتباط بوظيفة التعليم كالقول فلان المعلم ، أو فلان المؤدب ، أو الشيخ ، أو الإمام ...الخ ، لكن في المقابل توجد ألقاب أخرى أطلقت على العلماء الأندلسيين بصفة عامة ، ولا تقتصر على من مارس التعليم فقط ، وتعبر هذه الألقاب الأخيرة على مكانة أصحابها ، وعلو كعبهم في تخصصاتهم ، أو في شتى المجالات المعرفية ، ومن هذه الألقاب مثلًا :

6- العالم :

و يطلق هذا اللقب إما بالصيغة المطلقة ، أو بالتخصيص ، فأما المطلقة فكأن يقال : فلان عالم الأندلس، أو يقال فلان عالم فاضل، أو عالم ، أو عالم متصرف في العلوم ، أما صيغة التخصيص فهو تقييد هذا اللقب بتخصصه في مادة معينة ، أو أكثر، ومن نماذج الصيغة الأولى على سبيل المثال فإنه لما بلغ الفقيه القيرواني سحنون بن سعيد التنوخي(240هـ/854م) نبأ وفاة عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) قال : " مات عالم الأندلس ، بل و الله عالم الدنيا "[3] ، وأبو العباس الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد الغَمري (ت 392هـ/1001م) الذي لُقب بالعالم الفاضل[4] ، ومحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن فورتش السرقسطي (ت 480هـ/1087م) الذي قيل بأنه كان عالمًا أخذ الناس عنه ، وعيسى بن عمران الذي وصف بأنه عالم متصرف في العلوم جامع لها[5] .

وأما نماذج الصيغة الثانية الذي يقيد فيها اللقب بتخصص معين ،كأن يقال فلان عالم بالقرآن ، أو بالقراءات أو فلان فقيه عالم ، أو فلان عالم بالحديث، أو فلان عالم باللغة العربية ، والشعر، والنحو، أو فلان عالم بالآثار ، والأخبار ، أو عالم بحركات الكواكب ، أو عالم بالحساب ، والمنطق ، أو عالم بالطب ، أو عالم بالشعر.

---

[1] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 69 ، ابن أبي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ص 482 - 483.

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص793 .

[3] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 260 .

[4] الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 645 .

[5] نفسه ، ج2 ، ص527 .

وممن لقبوا بالعالم بالقرآن ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الذي استأدبه الأمير الحكم بن هشام (180-206هـ/796-822م) لبنيه ، فقد كان عالمًا بالقرآن ، بصيرًا بالعربية[1] ، وكذلك ابن الأغبس أحمد بن بشر التجيبي(ت326 هـ/937م) " إذ كان عالمًا بكتب القرآن ، وقد أتقن كل ما قاله فيه قائل من جهة التفسير والعربية "[2] .

أما في علم القراءات فيذكر على سبيل المثال فرج بن حديدة المقرئ الظاهري(ت480هـ/1087م) إذ كان عالمًا بالقراءات ، وقد كلفه المعتضد بالله عباد بن محمد(433-461هـ/1042-1069م) صاحب اشبيلية بالإقراء بالمسجد المنسوب إلى والدته بإشبيلية[3] ، ومحمد بن عيسى بن فرج التجيبي المغامي المقرئ الطليطلي(ت 485هـ/1092م) ، إذ وصف بأنه "كان عالمًا بالقراءات ووجوهها ، ضابطًا لها مثقفًا لمعانيها "[4] ، وموسى بن سليمان اللخمي المقرئ (ت494هـ/1100م)[5] .

وممن لقبوا بالعلماء في الفقه أحمد بن عبد الله القينيُّ، إذ كان فقيهًا عالمًا حافظًا للمسائل، وبصيرًا بالفرائض[6] وأبو بكر أحمد بن أبي حجيرة (ت356هـ/966م)[7]، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فتح المعروف بابن الحداد (ت379هـ/989م) الذي وصف بأنه كان عالمًا بالفقه، والعربية، فصيحًا، ضابطًا، حدَّثَ ، وقُرِئَ عليه المدونة وقد سمع منه المؤرخ ابن الفرضي(ت403هـ/1012م)[8] .

ودخل قرطبة سنة 487هـ/1094م أبوبكر محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي(ت489هـ/1096م) قادمًا من جامع القرويين بفاس ، ووصف بأنه كان رجلًا نبيهًا عالمًا بالفقه ، وإمامًا في أصول الدين وقد أخذ عنه الأندلسيون [9] .

أما في الحديث الشريف ، فقد اشتهر أبو إسحاق إبراهيم بن نصر الجهني المعروف بابن أبرول(ت287هـ/900م) بأنه كان عالمًا بالحديث ، بصيرًا بعلله ، و قد حدث عنه بعض الأندلسيين[10] ، وكذلك أبو جعفر أحمد

---

1 الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 270 .

2 نفسه ، ص 282 .

3 ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 674 .

4 نفسه ، ج 3 ، ص ص 815-816 .

5 نفسه ، ج3 ، ص884 .

6 ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 41 .

7 نفسه ، ق1 ، ص 48

8 نفسه ، ق 1، ص ص 18 – 19 .

9 ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 873- 874 .

10 ابن الفرضي، المصدر السابق ، ق1 ، ص 12 .

بن عمرو بن منصور الالبيري المعروف بابن عمريل(ت312هـ/924م) إذ وصف بأنه "كان عالمًا بالحديث حافظًا له ، بصيرًا بعلله ، إمامًا فيه"[1] ، ولُقب أبو محمد على بن أحمد بن حزم الفقيه الظاهري(ت 456هـ/ 1063م) بهذا اللقب إذ كان عالمًا بعلوم الحديث وفقهه [2].

و في ميدان اللغة العربية، والشعر، والنحو فقد اشتهر الكثير ممن تلقبوا بالعالم ، و منهم على سبيل المثال لا الحصر المالقي إبراهيم بن وهب الذي وصف بأنه كان عالمًا بالشعر، والنحو ، والغريب[3] ، و كذلك عبد الله بن رافع المعروف بأبي حرشن (عاش في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)، إذ " كان عالمًا باللغة والعربية (...) وكان الناس إذا استفصحوا رجلًا قالوا: ما هذا إلا أبو حرشن" [4] ، وموسى بن أزهر الاستجي(ت306هـ /918م) الذي كان "عالمًا باللغة، حافظا لها، متقدما فيها"[5]، وبرز بقرطبة محمد بن عبد الرحمن بن يحيي المعروف بابن شق حبة(ت443هـ/1051م) فقد "كان عالمًا بالآداب واللغة، وسكن طليطلة ، وأخذ الناس عنه بها[6].

وفي علم الفرائض اشتهر الرياضي مسلمة بن أحمد المجريطي(ت395هـ/1004م) بأنه كان عالمًا بالفرائض مشهورًا بمعرفتها [7] .

أما في الأخبار والتاريخ والآثار فنجد بأن إسماعيل بن إسحاق بن ابراهيم بن زياد المعروف بابن الطحان (ت384هـ/994م)، كان عالمًا بالآثار، والسنن، وأخبار الشيوخ[8] ، وكذلك محمد بن موسى بن فتح الأنصاري المعروف بابن الغراب ، وهو من أهل بطليوس(ت460هـ/1067م) الذي لُقب بالعالم في الآثار والأخبار[9] .

وفي علم الفلك فقد اشتهر أبو عبيدة مسلم بن أحمد البلنسي المعروف بصاحب القبلة(ت295هـ/907م) بأنه كان عالمًا في حركات الكواكب ، واحكامها[10] .

---

[1] نفسه ، ق1 ، ص ص 27- 28 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 605 ، الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 543 .

[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 18 .

[4] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 259 .

[5] نفسه ، ص 276 . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 148-149 .

[6] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 492 – 493 .

[7] نفسه ، ج3 ، ص 899 .

[8] ابن الفرضي ،المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 67-68 .

[9] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 795 – 796 .

[10] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 64.

وفي الرياضيات، والمنطق لُقب محمد بن إسماعيل المعروف بالحكيم(ت331هـ/942م) بالعالم في الحساب والمنطق[1] ، وكذلك عبد الله بن محمد المعروف بالسري(عاش في عصر الخليفة الحكم المستنصر) فقد وُصف بأنه كان عالمًا بالعدد ، والهندسة[2]، وكذلك الزهراوي أبو الحسن علي بن سليمان الذي كان إمامًا بجامع مدينة غرناطة ، وعالمًا بالعدد ، والهندسة، ولقب بالحاسب[3] .

وفي ميدان الطب برز أبو الوليد محمد بن الحسني المعروف بابن الكناني الذي خدم بالطب الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وابنه الحكم المستنصر ، ولقب بالعالم في الطب[4]، و عبد الملك الثقفي الذي خدم هو الآخر الناصر والمستنصر ، ووصف بأنه كان عالمًا بالطب ، والهندسة [5] .

7- الحافظ : هو لَقَبٌ أطلق على الكثير من الأندلسيين ممن يتمتعون بقوة الحفظ ، ويُلاحظ في هذا اللقب نقطتان هامتان وهما :

أولًا: إما يطلق على التعميم بصيغة مطلقة كأن يقال فلان الحافظ دون تقييده بتخصص معين ، كما جرى الحال عند التعريف بابن العطار محمد بن أحمد بن عبيد الله القرطبي(ت399هـ/1008م) إذ وصف بأنه كان "حافظًا متيقظًا، متفننًا في العلوم"[6]، و كذلك عطية بن سعيد بن عبد الله(ت407هـ/1016م) الذي طاف بالمشرق سياحة ،وسماعًا إلى أن بلغ ما وراء النهر ، ثم عاد، فحدث ببغداد، و أقرأ بمكة المكرمة صحيح البخاري ، ووصف بأنه " أندلسي حافظ "[7] ، ونفس الحال ينطبق على أبي عبد الملك مروان بن الأسدي القطان(ت قبل440هـ/ 1048م) الذي قيل فيه بأنه "كان رجلًا حافظًا ، نافذًا في الفقه ، والحديث" [8] .

و من أهل مدينة سالم ، برز أبو الأصبغ عيسى بن عبد الرحمن بن سعيد الأموي المقرئ الذي وُصف بأنه كان من أهل العلم ، حافظًا له[9] ، وكذلك ابن حزم الأندلسي علي بن أحمد(ت456هـ/1063م) فقد وصف كذلك بالحافظ[10] .

---

[1] نفسه ، ص 65 .

[2] نفسه ، ص ص 67 - 68 .

[3] نفسه ، ص 70 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 601 .

[4] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 79 .

[5] نفسه .

[6] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ص ص 709 – 710 .

[7] نفسه ، ج2 ، ص 651 وما بعدها .

[8] نفسه ، ج3 ، ص ص 888 - 889 .

[9] نفسه ، ج2 ، ص ص 636- 637 .

[10] نفسه ،ج2 ، ص 605 . الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 543 .

ثانيًا : إن هذا اللقب أطلق على أصحاب التخصصات كالدينية ، والأدبية ، والأخبار فقط ، ولم يُذكر في التخصصات العلمية كالحساب ، والطب ، والفلك .

وممن تلقبوا بالحافظ في القرآن على سبيل المثال أحمد بن مطرف بن محمد بن خلف الأشعري (توفي أيام المستنصر بالله)[1] ، والمـرْوكي عبد الله بن مؤمن بن عذافر التجيبي[2]، وفي علم التفسير يُذكر على سبيل المثال القاضي منذر بن سعيد البلوطي(ت275هـ/888م) الذي كان حافظًا لتفسير القرآن وأحكامه[3] ، وكذلك إبراهيم بن إسحاق بن أبي زود الطليطلي(ت382هـ/992م) [4] .

وفي المسائل الفقهية والشروط اشتهر في أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر أحمد بن محمد الخرزيُّ ، إذ وصف بأنه " كان معتنيًّا بالمسائل ، حافظًا للشروط ، مقدمًا في ذلك"[5] ، وابن الحداد إبراهيم بن أحمد بن فتح(ت 379هـ/989م) الذي" كان حافظًا للمسائل، عاقدًا للشروط"[6]، وكذلك الريـبـي قاسم بن سعدان(ت347هـ /958م)[7].

أما في مجال الفقه ، كان أبو القاسم أحمد بن واضح البجاني "حافظًا للفقه ، بصيرًا بالمناظرة عليه ، متكلمًا فيه"[8]، وبرز أحمد بن بيطر القرطبي(ت303هـ/915م)الذي كان "حافظًا للفقه ، عاقدًا للشروط ، مشاورًا في الأحكام"[9] ، ولُقب أحمد بن عبد الله بن الفرج النميري(ت303هـ/915م) بأنه كان حافظًا للرأي على مذهب مالك[10]، و فرج بن عبد الملك بن سعدان الأنصاري(ت478هـ/1085م) الذي وصف بأنه كان "حافظًا للفقه والحديث ، وأسماء الرجال" [11].

---

1 ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص45 .

2 الزبيدي ، المصدر السابق ، ص291 .

3 نفسه ، ص 295 .

4 ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ص 19.

5 نفسه ، ق1 ، ص 26 .

6 نفسه ، ص 19 .

7 الزبيدي، المصدر السابق ، ص 302 .

8 ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 41 – 42 .

9 نفسه ، ق1 ، ص 28 .

10 نفسه ، ق1 ، ص 26 .

11 ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 654 - 655 .

وممن تلقبوا بالحافظ للحديث إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم بن زياد المعروف بابن الطحان(ت384هـ/ 994م) فقد كان "عالمًا بالآثار والسنن، حافظًا للحديث، وأسماء الرجال وأخبار المحدثين" [1]، وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن نبات الأموي(ت429هـ/1037م) والذي وصف بأنه كان " شيخًا صالحًا، حافظا للحديث مع الفهم"[2].

وفي التاريخ ، والأخبار برز المؤرخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي(ت344هـ/955م) كحافظ للأخبار، وله مؤلفات كثيرة في أخبار الأندلس، وتواريخ دول الملوك فيها[3]، وكذلك حرقوص عثمان بن سعيد الكناني[4] ، ويحيى بن السمينة الذي كان حافظًا للأخبار القديمة [5] .

وممن تلقبوا بالحافظ في النحو على سبيل المثال أبو عمر أحمد بن يوسف بن حجاج بن عمير(ت306هـ/ 918م)[6]، وفي العربية كان القلفاط أبو عبد الله محمد بن يحيى بن زكريا (عاش في القرن 4هـ/ 10م) " بارعًا في علم العربية، حافظًا لها، مقدمًا فيها"[7]، وكذلك أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الباجي(ت350هـ/ 961م) وهو أحد شعراء الأندلس حافظًا للغة ، والنحو[8] ، ومن أهل اشبيلية لُقب إبراهيم بن عبيد الله المعافري(ت362هـ/972م) بالحافظ للغة [9].

وزيادة على ما سبق ذكره عن ألقاب المعلمين، كانت هناك ألقاب أخرى **كالرئيس** مثلًا كناية عن مدى تمكن شخصية ما في تخصصه إلى درجة أنه لا يضاهيه في هذه المكانة أحد في عصره إلا القلة ، ويلاحظ أن هذا اللقب استعمل في التخصصات الأدبية فقط في النحو ، والشعر ، واللغة ، ونماذج من هؤلاء يذكر مثلًا محمد بن مضاء النحوي الذي وصفه ابن بشكوال بأنه " كان من رؤساء النحويين، وكبار المتأدبين"[10] ، وكذلك عبد الملك بن سعيد المرادي الخازن ، إذ لقب بالرئيس الأديب[11]، وعمر بن الشهيد التجيبي الذي وصفه الضبي بأنه رئيس

---

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 68

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 760.

[3] ابن الفرضي ، نفسه ، ق1 ، ص 42 .

[4] الزبيدي ،المصدر السابق ، 280 .

[5] نفسه ، ص 289 .

[6] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 35 .

[7] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 278.

[8] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 16 -17.

[9] نفسه ، ق1 ، ص 18.

[10] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج 2، ص746 .

[11] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 493 .

شاعر مشهور بالأدب[1]، و محمد بن أبي الحسين(عاش في عصر الحكم المستنصر)الذي قيل في حقه بأنه:" رئيس جليل ، عالم باللغة والأدب" [2].

كما كانت ألقاب أخرى تعبر عن تخصص صاحبها في مادة ما كأن يقال فلان الفقيه ، أو فلان المحدث ، أو اللغوي ، أو النحوي ، أو المقرئ ...الخ .

وتجدر الاشارة أنه توجد صعوبة في التفرقة بين لقبي المعلم والمؤدب في المرحلة الابتدائية ، وكذلك الشأن بين الأستاذ ، والشيخ ، والعالم ، والحافظ في المرحلة العليا ، مع تميز صريح للقب الإمام الذي يعد أعلى الألقاب العلمية حسب ما تم عرضه سابقًا ، إذ لا يُلقب به إلا النخبة في كل تخصص أو المتمكن في أكثر من تخصص كما نجد أن بعض العلماء من تجتمع فيه بعض هذه الألقاب كمحمد بن إبراهيم بن حيون(ت305هـ/917م) الذي قيل فيه بأنه كان" إمامًا في الحديث ، عالمًا به ، حافظًا لعلله ، بصيرًا بطرقه، لم يكن بالأندلس قبله أبصر بالحديث منه "[3] ، و ابن شق الليل محمد بن إبراهيم بن موسى الأنصاري(ت445هـ/1053م) الذي وصفه ابن بشكوال بأنه: " كان فقيهًا عالمًا ، و إمامًا متكلمًا ، حافظًا للحديث والفقه"[4]، وممن يجمعون تلك الألقاب كذلك طبقة العلماء الموسوعيين ، كابن الفرضي عبد الله بن محمد بن يوسف(قُتل403هـ/1012م) الذي وصف بالعالم ، والحافظ في آن واحد[5] ، وابن حزم علي بن أحمد (ت456هـ/1063م) الذي قيل في حقه أنه : "كان حافظًا ، عالمًا بعلوم الحديث وفقهه ..."[6] .

ج)– أجور المعلمين : يمكن التمييز بين ثلاثة مظاهر فيما يخص المقابل المادي الذي يتقاضاه المعلم نظير عمله في التعليم ، فمنهم المعلمون الموظفون من طرف السلطة برواتب معلومة، ومنهم من يشتغلون لأنفسهم بالتعليم مقابل أجر معين، وصنف آخر يعلم من دون أجر ، زاهدًا فيه .

1- المعلمون الموظفون برواتب معلومة :

تتفق بعض الدراسات[7] بأن التعليم في الأندلس كان حرًّا ، إذ لا يخضع فيه المعلمون والمتعلمون إلى نظام معين أو هيئة رسمية معينة تشرف على تسييره ، و تنظيمه ، و توجيهه إلا بعض الممارسات الشخصية الفردية الارتجالية

[1] نفسه ، ج2 ، ص 532 .
[2] نفسه ، ج1 ، ص 99 .
[3] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 26 .
[4] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ص ص 792 – 793 .
[5] نفسه ، ج1 ، ص 392 . الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 434 .
[6] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 308 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 605 ، الضبي ، المصدر السابق، ج2، ص 543 .
[7] خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 96 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 120 .

لبعض الأمراء ، والخلفاء ، والأعيان في جلب المعلمين لتعليم أبنائهم نظير أجر معلوم ، أو توجيه السلطة القائمة لبعض المعلمين بالتزام مساجد معينة لتعليم عامة الناس[1] .

وقد كثر عدد الذين أدبوا أبناء الأمراء والملوك والخاصة[2]، لكن النصوص التي تتكلم عن الأجر ، والمقابل المادي الذي يتقاضونه نادرة — في حدود علمنا– .

وورد أن الحكام الأمويين منذ زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن خصصوا موارد اقتصادية مستقلة لأبناء الأمراء وقاموا بخلق منصب في الدولة يشرف صاحبه على تسيير ، واستغلال تلك الموارد في تثقيف ، وتربية أبنائهم[3] واستجلب لهذه الفئة من المؤدبين مثلًا عبد الله بن سليمان بن المنذر المكفوف(ت325هـ/936م) المعروف بدرود إذ علم أولاد الخليفة عبد الرحمن الناصر[4] ، وأيوب مصوّر المعروف بالذهن[5] ، و غيرهما .

ومن المعلمين الذين أغدق عليهم الحكام بالعطايا لتعليم أبنائهم الرباحي محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي النحوي الذي استأدبه الخليفة عبد الرحمن الناصر لابنه المغيرة ، ثم صار في خدمة المستنصر بالله في مقابلة الكتب[6] وأبو بكر الزبيدي محمد بن حسن بن عبد الله بن مذحج(ت379هـ/989م) ؛ إذ عهد إليه الحكم المستنصر تأديب ابنه وولي عهده هشام ، واستدعاه من اشبيلية ، حيث أقام بقرطبة ، ونال بها جاهًا عظيمًا، ورياسةً[7] ، ولم يكن هو الوحيد فقط الذي استدعاه الخليفة الحكم المستنصر لولده هشام ، بل كذلك الفقيه أحمد بن يوسف الملقب بالقسطلي(ت368هـ/978م) وأجزل له العطاء[8].

أما النموذج الثاني فقد قام بعض الحكام بتعيين معلمين للتأديب في المساجد للعامة مقابل أجر أو عطية ومثال ذلك أن الحكم المستنصر عيَّن المؤدبين لأبناء الفقراء ، والمساكين لتعليم القرآن الكريم في الكتاتيب حول المسجد الجامع ، وفي كل ربض من أرباض الحاضرة قرطبة ، وأجرى عليهم المرتبات ، وقد بلغ عدد هذه المكاتب

---

[1] نفسه ، ص 120 . عبد الواحد ذنون طه، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ص 71 .

[2] أنظر إلى نماذج من مؤدبي الخاصة في الفصل الثاني ، ص ص 145 – 146 ، ومنهم مثلا الغازي بن قيس(ت199هـ/814م)، وعثمان بن المثنى(ت273 هـ/886م)، وغيرهم. ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 302 ، 345 . الزبيدي ، المصدر السابق ، ص ص 256 . 266

[3] صباح خابط عزيز الحميداوي ، المرجع السابق ، ص 242 .

[4] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 298 .

[5] نفسه ، ص 299 .

[6] خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 101.

[7] ابن الفرضي ، المصدر السابق ،ق2 ، ص ص 89 — 90 .

[8] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ص ص 76 –77 . صباح خابط عزيز الحميدي ، المرجع السابق ، ص 248.

سبعة ، وعشرين مكتبًا ، كما خَصَّصَ حوانيت السراجين بسوق قرطبة للمعلمين من أجل تأديب ، وتعليم أبناء الفقراء بقرطبة [1].

و بتولي سليمان بن حكم الملقب بالمستعين سنة 400هـ/1009م أجلس المقرئ سليمان بن هشام بن وليد بن كليب المعروف بابن الغماز(قُتل400هـ/1009م) " للإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة ، وأصاب ثراء ورفعة"[2].

وفي عصر ملوك الطوائف وفد إلى اشبيلية فرج بن حديدة البطليوسي(ت480هـ/1087م) فأجلسه المعتضد بن عباد للإقراء بمسجد أمه السيدة ، " وأجرى عليه راتبًا ، ونفقة من الأحباس"[3].

2- المعلمون الذين يأخذون الأجر ، والمقابل المادي من المتعلمين أو أوليائهم :

وجد في الأندلس بعض المعلمين ممن يتقاضون أجورًا نظير ما يقدمونه من خدمات في التعليم من العامة مباشرة ، وهذا ما أكده اللغوي ، والمؤرخ الزبيدي ، وهو يترجم للفقيه الغازي بن قيس (199هـ/814م) إذ قال أن رجلًا تخاصم مع أحد المؤدبين في أمر الحذقة ، فلم يعطها له ، ومنعها على المؤدب ، وتعصب له المؤدبون بقرطبة ، وخافوا أن يُفتح عليهم باب المنع ، ورُفع الأمر إلى الفقيه الغازي بن قيس فقالوا له : " يا سيدنا – تعريضًا له بالتأديب – عَرَضَ غَرَضٌ لنا كيت وكيت ، فقال: يُغرمها صاغرًا قميئًا ، وقضى لهم بذلك ، إذ هو مما جرى عليه أمر الناس" [4].

من خلال النص السابق يتضح أنه كان هناك عقد – ولو كان شفويًّا – يربط بين المعلم ، والمتعلم أو وليه بموجبه يدفع المتعلم للمعلم أجرًا أو مقابلًا نظير تعليمه مادة ما ، كما أن قول الزبيدي " إذ هو مما جرى عليه أمر الناس" يدل صراحة على أن دفع الأجر ، والمقابل المادي للمتعلمين كان جاريًّا في الأندلس قبل هذه الحادثة[5].

ومن المعلمين الذي كانوا يتقاضون أجرًا على التعليم نذكر على سبيل المثال الفقيه المالكي العتبي محمد بن أحمد الأموي القرطبي(ت255هـ/869م) صاحب " المستخرجة العتبية على الموطأ في فقه الإمام مالك" ، إذ روى قاسم بن سهل بن أبي شعبون ، وهو من أهل جيان أن الفقيه العتبي كان يأخذ الأجر على إسماع مستخرجته[6] .

---

[1] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق، ج2 ، ص ص 240 – 241 ابن حيان ،المصدر السابق ، ص 207 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 309 – 310 .

[3] نفسه ، ج2 ، ص 674 .الأوسي المراكشي ، الذيل و التكملة ، م3، السفر الخامس ، ص ص 452 – 453 . إبراهيم على العكش المرجع السابق ، ص 121.

[4] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 256 .

[5] محمد عبد الحميد عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، ص 258 .

[6] ابن الفرضي، المصدر السابق ، ق1، ص 362 ، إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 122.خير الدين الزركلي ، المرجع السابق،ج5 ص307 .

و يبدو أن بعض المعلمين مارسوا التعليم بأخذ الأجر عليه ، لكي يكتسب قوت يومه فقط ، وهذا ما صرح به محمد بن فطيس الغافقي الألبيري(ت219هـ/834م) إذ روى أنه لما رحل الى مصر بعض الأندلسيين ، وجدوا ابن أخي بن وهب أسهل فجمعوا له الدنانير ، و أعطوه إياها ، فقرأ لهم موطأ عمه ، وجامعه ، وقد سأل ابن فطيس أحد شيوخه عن مدى صحة جواز أخذ الأجرة على قراءة العلم قال: " فضرب الدفتر الذي كان بيدي من أسفله حتى ارتفع إلى وجهي وشعر فيما ظهر لي، أني سألته عن ابن أخي بن وهب ، فقال لي : جائز عافاك الله ، حلال لا أقرأ لك إلا ورقة بدرهم، ومن أخذني أن أقعد معك طول النهار، وأدع ما يلزمني من أسبابي، ونفقة عيالي"[1]، وأبو عمر أحمد بن محمد بن هاشم بن الغازي القيسي(ت345 هـ/956م) المعروف بالأعرج الذي طلب النحو ليستعين به على علم الحديث، و الفقه ، فأدركه بعض الاختلال عند اتخاذ العيال ، فجعل التأديب عونًا على ما لزم من مؤونتهم إلى أن توفي[2]، وكذلك أبو بكر الصقلي(عاش في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي)، الذي فارق بلده صقلية ، وجال بلاد الأندلس، فنزل قرطبة ،واعتزل الناس ، واقتصر على تعليم الصبية القرآن بمقابل مادي يقدمه له أولياء الصبيان[3] .

3–المعلمون الذين لم يتقاضوا أجرًا أو مقابلًا على التعليم :

عرفت الأندلس بروز طائفة من المعلمين الذين رفضوا أخذ المقابل المادي أو الهدايا نظير تأديبهم ، وتعليمهم فقدموا دروسهم مجانًا ، ومن هؤلاء على سبيل المثال أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى الطلمنكي[4] الذي أقرأ الناس بقرطبة محتسبًا في سبيل الله ، وأسمعهم الحديث ، والتزم الإمامة بمسجد متعة ، ثم خرج إلى الثغر فتجول فيه، وانتفع الناس بعلمه ، وقصد طلمكنة بلده في آخر عمره ، فتوفي بها بعد طول التجول والاغتراب " [5].

والأكثر من ذلك أن بعض علماء الأندلس لم يكتفوا بعدم أخذ الأجر فحسب ، بل وفروا لطلابهم كل وسائل الراحة في بيوتهم من فرش ، وطعام ، كما هو الحال مع أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري الطليطلي(ت403هـ/ 1012م) ، إذ يقول أحد تلاميذه : "كنت آتي إليه من قلعة رباح ، وغيري من المشرق ، وكنا نيفًا على أربعين تلميذًا، فكنا ندخل في داره في شهر تونبر ، ودجنبر، و ينبر – أي نوفمبر ، ديسمبر ، ويناير – في مجلس قد فرش ببسط الصوف مبطنات ، والحيطان باللبود من كل حول، ووسائد الصوف، وفي وسطه كانون في طول قامة

---

[1] الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 158 – 159 . خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 99 .

[2] الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 229 . ابن الفرضي، المصدر السابق ، ق1، ص ص 42 – 43 .

[3] ابن الأبار ، التكملة ، ج1 ، ص ص 181 – 182 . إبراهيم على العكش ، المرجع السابق ، ص 122.

[4] نسبة إلى طلمنكة التي بالأندلس ، وهي مدينة بالثغر بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (238–273هـ/852–886م) ، وبينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلًا . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص39 . عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص 393 .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج1 ، ص ص 83 – 84 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 123.

الإنسان مملوء فحمًا ، يأخذ دفئه كل من في المجلس، فإذا فرغ الحديث أمسكهم جميعًا، و قدمت الموائد عليها ثرائد بلحوم الخرفان بالزيت العذب، و أيام ثرائد اللبن بالسمن أو الزبد ، فنأكل تلك الثرائد حتى نشبع منها ويقدم بعد ذلك لونًا واحدًا، ونحن قد روينا من ذلك الطعام، فكنا ننطلق قرب الظهر مع قصر النهار، ولا نتعشى حتى نصبح إلى ذلك الطعام الثلاثة الأشهر، فكان ذلك منه كرمًا ، وجودًا ، وفخرًا ، لم يسبقه أحد من فقهاء طليطلة إلى تلك المكرمة "[1] ، وكذلك فرج بن أبي الحكم بن عبد الرحمن اليحصبي(ت448هـ/1056م) الذي قام بوقف داره على طلبة السنة [2] .

د- آراء الفقهاء حول أخذ الأجر على التعليم : تعد قضية أخذ المعلم المقابل المادي من المال نظير تقديمه لخدماته التعليمية من القضايا المعقدة التي أخذت الكثير من نقاشات علماء الأندلس بين الإباحة والحظر ، أو الجواز ، وعدمه ، عكس المتعلم الذي يرى المحدث ابن عبد البر النمري (ت463هـ/ 1070م) أنه عليه التفرغ لطلب العلم ، و ترك البحث عن العمل إلى ما قدره له الله سبحانه وتعالى ، لأنه يضمن الكسب لطالب العلم ويستند في ذلك إلى الحديث النبوي الشريف الذي نصه " مَنْ تَفَقَّهِ فِي دِينِ الله ،كَفَاهُ الله هَمَّه وَرِزقَه مِن حَيث لَا يَحْتَسِب "[3] ، ويمكن تقسيم آراء الفقهاء ، والمحدثين حول جواز أخذ الأجر على التعليم من عدمه إلى فريقين :

1/- **الفريق الأول الذي يقول بجواز أخذ الأجر، أو الهدايا على التعليم** ، ويمثل هذا الفريق على سبيل المثال الفقيه الغازي بن قيس(ت199هـ/814م)، والفقيه عبد الملك بن حبيب(ت238هـ /852م)،فأما الفقيه الغازي بن قيس فقد أورد الفتوى السالفة الذكر التي أقر فيها بجواز أخذ المؤدبين الأجر على التعليم[4] ، كما ذكر ابن بشكوال ، وهو يترجم للأصبغ بن إبراهيم اللخمي(ت395هـ/1004م)أنه سئل الغازي بن قيس عن الحذقة فقال : الحذقة واجبة[5] .

أما الفقيه عبد الملك بن حبيب السلمي فقد برر موقفه بأن المسلمين في بداية الإسلام كان حفظة القرآن قليلون ، والقرآن غير منتشر بين الناس، وكان الأخذ على تعليمه إنما كان ثمنًا للقرآن، أما بعد أن صار القرآن

---

[1] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 72 - 73 . خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص ص 98 – 99 .

[2] شكيب أرسلان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 21 .

[3] حديث غريب . أبو نعيم الأصبهاني ، **مسند الإمام أبي حنيفة** ، تحقيق نظر محمد الفارابي، مكتبة الكوثر ،ط1، الرياض ، ج1، ص 25 . عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص 104

[4] أنظر إلى الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 256 .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 178 .

منتشرًا بين الناس، ومدونا في المصاحف ، فإن الإجارة في هذه الحالة هي إجارة البدن المشتغل بتعليم القرآن، و ليس ثمنا للقرآن [1] .

ولقد أوردت بعض المصادر كالمعيار المعرب للونشريسي(ت914هـ/1508) النص الصريح الذي أقر فيه الفقيه عبد الملك بن حبيب بجواز الحذقة ، بل وتحديد مقدار هذه الحذقة المستحقة لمعلم القرآن ، إذ يقول: "يقضى بالحذقة بالنظر والظاهر بقدر ما يرى من مال الأب ويسره وقوة حال الولد من حفظه وتجويده لأنها مكارمة جرى عرف الناس عليها ، إلا أن يشترط الأب تركها . فإن أخرج الأب ابنه قرب الحذقة ، لزمته الحذقة وإن بقي منها ماله قدرُ وبالُ كالسدس ونحوه سقط ، وليس عليه حساب ما مضى منها ، وإن شرط المعلم الحذقة لم يجز دون تسمية ، وإن أخرج الأب ابنه قبل بلوغها لزم بحساب ما مضى ولو قل "[2].

ولقد قدم المستشرق الاسباني خوليان ريبرا العديد من صيغ العقود التي كانت تبرم بين أولياء التلاميذ ومعلميهم تُبين تلك العقود الكثير من الأمور منها : الاتفاق على ما يجب دفعه نقدًا أو عينًا للمعلم نظير التعليم ، وكذلك المواد التي يطلبها الولي المعلم تعليمها لولده ، والمدة التي يتم فيها التلقي ، وحتى التفاصيل التي تخص ما يجب أن يُدفع للمعلم في الأعياد والمناسبات[3] .

2- **الفريق الثاني أصحاب الرأي القائل بعدم جواز أخذ الأجر :**

يلاحظ بأن الخلاف حول أخذ الأجر على التعليم برز أكثر في مسألة تعليم القرآن الكريم ، إذ صُنِّفَ ضمن الواجبات الدينية ، ولكنه أُبيح الأجر بالنسبة للمواد الأخرى غير الدينية لأن معرفتها ليست فرضًا [4].

وعلى الرغم من ذلك رأى بعض العلماء الأندلسيين أن أخذ الأجر على التعليم فيه حرج كبير، ومنهم مثلًا الفقيه الظاهري ابن حزم(ت456هـ/1063م) ، الذي حرص على أن يكون المعلم قنوعًا لا يأخذ الأجر على التعليم إلا إذا كان متفرغًا له تمامًا ، ولم يكن له دخل آخر، وهذا ما صرح به في قوله : " فإذا كان المرء في كفاف من العيش من وجه مرضي فليحمد الله عز وجل ، وليقنع به وليعمل لدار القرار ولا يسره الإكثار من أحجار

[1] محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص 257 .

[2] أبو العباس الونشريسي(أحمد بن يحيى)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب** ، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون المغربية ، دار الغرب الاسلامي، الرباط ، بيروت،1981، ج8 ، ص ص 239- 240. عبد الواحد ذنون طه ، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ص 72 .

[3] أنظر إلى النموذج في الملحق رقم 07 . وهذه العقود التي قدمها خوليان ريبيرا في ملحق كتابه التربية الإسلامية في الأندلس هي من الوثائق المجموعة لأبي محمد بن الوليد البونتي(ت462هـ/1069م) الموجودة في معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، وهي في الأصل منقولة عن كتاب الوثائق ، والسجلات لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن العطار (ت399هـ/1008م) . عبد الواحد ذنون طه ، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ص ص 72 – 73 .

[4] خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 96 .

وخرق ... فإن أمكنه أن يجعل مكتسبه من العلم فحسن" [1] ، وذكر بأن العلوم التي يُكتسب بها المال فوجه الكسب بها ضيق وغير متسع [2] .

ونفس الموقف نجده عند المحدث ابن عبد البر النمري (ت463هـ/1070م) الذي يرى بعدم الربط بين الأجر والتعليم فمن كتم علمًا عمن لا يدفع أجرًا ، فقد توعده الله سبحانه بحجبه عن الجنة استنادًا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : " مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يَبْتَغِي بِهِ وَجْه الله لَا يَتَعَلَّمَهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عُرفَ الجَنَّة يَوْمَ القِّيامَة "[3] .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض العلماء الذين رفضوا أخذ الأجر على التعليم كانوا يتقاضون مقابلًا ماديًّا في عمل آخر غير التعليم ، وهذا ما ينطبق على ابن عبد البر النمري ، إذ كان قاضيًّا على الأشبونة ، وشنترين أيام الملك المظفر بن الأفطس(437-460هـ/1045-1067م) يأخذ أجره من عمله في القضاء ، ولم يفرض راتبًا له نظير تدريسه في حلقاته العلمية ، عكس المعلمين المتفرغين للتعليم وحده دون وظيفة أخرى ، لهذا فقد أجاز ابن عبد البر أخذ الأجر على التعليم إذا كان المعلم لا يشتغل بعمل آخر ، أو ليس له مدخول مادي آخر[4] .

ويستند أصحاب الرأي القائل بعدم أخذ الأجر مطلقًا على التعليم إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام بتعليم الناس القرآن الكريم دون أن يسأل أحدًا أجرًا ، وأتبعه الصحابة على ذلك ، ثم التابعين، ثم من جاء بعدهم ويرى هؤلاء بأن المقابل على التعليم ، وثوابه هو جزاء الله سبحانه ، وتعالى لصاحبه في الآخرة [5] .

---

[1] ابن حزم الأندلسي ، رسالة مراتب العلوم ، ص 76 . عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص ص 175 – 176.

[2] نفسه ، ص 63 . وللاستزادة أكثر حول موقف ابن حزم من الاجارة على التعليم أنظر إلى الفصل الأول ، ص 81 .

[3] حديث صحيح ، أخرجه الإمام أحمد ، وأبو داود ،و ابن ماجه . ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص 199 .

[4] عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص105 .

[5] محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص 256 .

المبحث الثاني : الإطار السياسي

المطلب الأول : علاقة السلطة السياسية بالتعليم

على الرغم من إجماع بعض الباحثين كالمستشرق خوليان ريبيرا ، والباحث إبراهيم علي العكش بأن التعليم في الأندلس كان حرًّا ، وأن السلطة الحاكمة منذ الفتح إلى غاية عصر حكم بني نصر في مملكة غرناطة لم تتدخل فيه إذ لم يكن هناك نظام تعليمي رسمي مفروض ، أو مؤسسات ، أو هيئات نظامية رسمية ، كلفتها الدولة لتنظيم وتأطير التعليم كالمدارس مثلًا [1] ، إلا أنه يرى البعض الآخر كالباحث محمد عبد الحميد عيسى بأن الدولة تدخلت في التعليم ، ولو بطريقة غير مباشرة ، واختلفت مظاهر هذا التدخل في عدة أشكال نلخص نماذج منها في النقاط الآتية[2] :

أ)- **التدخل في مضمون المادة الدراسية وطبيعة التخصص المسموح به** : ليس الغرض من صياغة هذا العنوان التأكيد على أن الدولة– على الأقل في حدود الإطار الزمني للدراسة – فرضت منهجًا ، ومواد علمية معينة يُدَرِّسُهَا المعلمون في أي مجال، أو تخصص ، أو أنها راقبت مدى تطبيق ذلك ، وإنما ثَبُتَ في المصادر ككتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية بعض النصوص التي تتحدث صراحة عن تدخل حكام الأندلس ، أو عمالهم في نشر وتعليم مواضيع معينة ومحددة ، وتوجيه المدرسين إلى ضرورة عدم تدريس بعض المواضيع أو تغيير

---

[1] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ص 10- 11 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص08 . ويلاحظ أن المشرق الاسلامي سبق الأندلس في ظهور المدارس، وأُختلف في تحديد بداية ظهورها فقيل بأن أول مدرسة ظهرت هي المدرسة النظامية ببغداد سنة 457هـ/1065م نسبة لمؤسسها الوزير السلجوقي نظام الملك (408-485هـ/1018-1092م) ، كما قيل بأن المدرسة البيهقية بنيسابور ظهرت قبل مولد نظام الملك نفسه ، أما المدرسة الأندلسية فكانت متأخرة ، فقيل بأن أول ما ظهرت هي مدرسة مرسية في عهد المرابطين، والتي ذكرها ابن فرحون، وهو يترجم للفقيه أبا علي الحسين بن علي المعروف بابن سكرة السرقسطي(استشهد 514هـ/1120م)، ومدرسة مالقة التي أسسها العلامة الصوفي محمد بن محمد بن عبد الرحيم(678-754هـ/1279-1353م)، ومدرسة أخرى بنفس المدينة تعرف بصحن البرتقال ، التي درَّس فيها الفقيه محمد بن يوسف الطنجالي(ت733هـ/1332)، ويلاحظ أن هذه المدارس أسسها أصحابها دون تدخل الدولة ، أما المدرسة الأندلسية الرسمية فلم تظهر إلا في عهد أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري (734-755هـ/1333-1354م)، حيث أنشأ مدرسة بغرناطة سنة 750هـ/ 1349م ،واشتهرت باسم المدرسة اليوسفية أو المدرسة النصرية نسبة إلى مؤسسها . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 129 . ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ص 173. لسان الدين ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة، م1 ، ص ص 508 – 509 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 17 .سعيد بن حمادة ، **النظام التعليمي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط** منشورات الزمن ، الرباط ، 2011 ،ص ص 34 ، 40، 42 . عبد البديع عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص ص59- 60 . محمد منير سعد الدين ، **المدرسة الاسلامية في العصور الوسطى مفهومها ، نشأتها ، دورها ، وخدماتها في المجتمع ، إدارتها ، وتنظيمها** ، المكتبة العصرية ط1 ، بيروت ، 1995، ص13. سعد بن عبد الله البشري ، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ص ص221- 222 . محمد الأمين بلغيث ، الحياة الفكرية في الأندلس ، ص ص 133 – 134 .

[2] محمد عبد الحميد عيسى ، تدخل الدولة في التعليم في الأندلس ، ص 980 وما بعدها .

مواضيع بمواضيع أخرى ، منها مثلًا حادثة حاتم بن الصميل (ت142هـ/ 759م) لما كان مارًا على مؤدب الصبيان وهو يقرأ لهم الآية الكريمة بعد قوله تعالى : " وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ"[1] ، فقال الصميل : نداولها بين العرب ، فقال له المؤدب : بين الناس، فقال الصميل : وهكذا نزلت الآية ؟ قال له : نعم ، هكذا نزلت قال الصميل : والله إني أرى هذا الأمر سيشركنا فيه العبيد والسفلة والأراذل[2] .

من خلال النص السابق يتضح بأن الوزير الصميل لو لم يعلم بأن النص المتلو هو قرآنٌ لفرض على المؤدب تغيير الصيغة إلى التي يريدها هو ، أليس هذا تدخلًا من أحد أعيان الدولة في مادة التدريس ، وتوجيهها الى ما يرغب فيه الساسة والحكام ؟

كما يتضح من خلال النص السابق بأن مكان التعليم كان مفتوحًا للمارة ، ويمكن سماع ما يُلقى على الصبية من دروس ومواد ، كما يمكن التخمين بأن هذه الأماكن كانت خاضعة للمراقبة ، وتفقد المسؤولين للاطلاع على ما يقوم به المؤدب في تدريسه ، ومراقبة كذلك المادة الدراسية التي تقدم للمتعلمين ، وتوجيه ، وفرض المادة التي يجب أن يدرسها المعلم حسب سياسة الدولة والقائمين عليها ، إذ ورد بأنه كان للمحتسب صاحب السوق مهمة أخرى وهي مراقبة دور التعليم كالكتاتيب مثلًا[3] .

ومن مظاهر تدخل السلطة في التعليم كذلك القرار الذي اتخذه الأمير هشام بن عبد الرحمن(172-180هـ/788-796م) بفرض اللغة العربية كلغة التعليم في معاهد اليهود والنصارى ، بما أنها لغة العلم في ذلك العصر واللغة الرسمية للدولة ، ولهدف التقريب بين أصحاب الملل المختلفة خاصة بين المسلمين و النصارى، ونتج عنه اعتناق الكثير من النصارى الدين الاسلامي[4] .

بل أن الأمير نفسه –هشام بن عبد الرحمن– اعتمد المذهب المالكي ، وفرضه كمذهب رسمي للدولة[5] ، مما نتج عنه فرض تعليم وتدريس المواد الفقهية وفقًا للمذهب المالكي دون غيره من المذاهب الفقهية الأخرى[6]، ولقد استمر اعتماد هذا الأمر لدى حكام الأندلس من بعده ، و نتج عن هذا القرار مساندة اتجاه محدد ، ومعين من التعليم بما يتلاءم مع فقهاء هذا المذهب ، وإقصاء المذاهب الأخرى ، لهذا عانى أعلام تلك المذاهب من ملاحقة فقهاء المالكية .

---

[1] سورة آل عمران 140/2 .

[2] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 60 .

[3] محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص 984 .

[4] محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ق1 ، ص 226 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 55 .

[5] خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 55 .

[6] نفسه ، ص 56 . محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص ص 296 – 297 .

وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (238-273-852-886م) وبعد عودة الفقيه بقي بن مخلد (ت276هـ/889م) من رحلته إلى المشرق مع مصنف ابن شيبة في الحديث جلس لإقرائه ، وتعليمه ، وقد أنكر بعض فقهاء قرطبة ما يُدَرِّسُهُ من مادة هذا الكتاب ، وأثاروا العامة ضده ، ومنعوه من تدريسه، وشكوا به إلى الأمير محمد الذي استدعى المحدث بقي بن مخلد ، ونظرائه الذين تألبوا ضده ، وطلب الكتاب وقرأه " جزءًا جزءًا إلى آخره ، ثم قال لخازن كتبه : هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر في نسخه لنا ، وقال لبقي انشر علمك وارو ما عندك ونهاهم أن يتعرضوا له "[1] ، بل خصه الأمير محمد وجعله من العلماء المشاورين له ، وقربه إليه ورفع من منزلته فأصبح عظيم القدر لدى العامة ، والأمير محمد ، وابنه وولي عهده وخلفه المنذر الذي أراده على القضاء فأبى[2] .

ومن خلال ما جرى بين الأمير محمد بن عبد الرحمن ، والمحدث بقي بن مخلد ، يتضح تدخل الأمير ممثل السلطة الحاكمة في الأندلس بالسماح لنشر علم ابن شيبة ، وهذا التدخل يُنظر إليه إيجابيًّا ، وإنصافًا للأمير لما احتواه الكتاب من علم ، وحديث لا يتعارض مع معتقدات وثقافة العامة ، بل رأى من الضرورة نسخ هذا الكتاب والتزود به في مكتبته الخاصة ، والاستفادة منه ، وربما من حسن حظ المحدث بقي بن مخلد أنه تصادفت هذه الحادثة مع أمير مثقف ، ورع ، وتقي ، فقد كان الأمير محمد بن عبد الرحمن من أكثر الأمراء تثبتًا ، ومن أهل اليقظة ، والحلم ، مكرمًا لأهل العلم[3] .

وفي نفس فترة حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن حدثت واقعة عكس التي أوردناها مع بقي بن مخلد ، فهي تعبر صراحة عن تدخل أحد قضاة الأمير لمؤدب الرهائن في السجون ، وتأنيبه لتعليم الرهائن شعر الشجاعة وأمره بتغيير مادة الشعر التي يعلمها إلى شعر المجون ، والخمريات ، إذ أورد ابن القوطية أن القاضي أمية بن عيسى بن شهيد[4] : " خطر يوم بدار الرهائن المجاورة لباب القنطرة[5] ، ورهائن بني قسي ينشدون شعر عنترة فقال لبعض الأعوان : إيتني بالمؤدب ، فلما نزل في فراش المدينة ، وأتاب المؤدب ، فقال له : لولا أني أعذرك

---

[1] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 109 –110 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 128 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص195 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص301 . ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ،ج2 ص110 . النباهي المالقي ، المصدر السابق ، ص18 .

[3] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 86 . ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود علي مكي ، ص ص 131 – 132 .

[4] أحد وزراء الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وأجلهم ، وأنهضهم بخدمته ، كلفه على رأس جيش سنة 253هـ/867م بغزو ماردة ، واخضاع أهلها بعد أن شقوا عصا الطاعة . ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ص 171 ، 320 – 321 .

[5] أحد أبواب قرطبة السبعة ، يقع في جهة القبلة ، ويعرف بباب الوادي ، و بباب الجزيرة الخضراء ، وهو على النهر. المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج 2 ، ص10.

بالجهل لأدبتك ، تَعْمِد إلى شياطين قد شَجِي الخلفاء بهم ، فترويهم الشعر الذي يزيدهم بصيرة في الشجاعة كف عن هذا ، ولا تروهم إلا خمريات الحسن بن هاني ، وشبهها من الهزل "[1].

ومن خلال هذا النص يتضح أنه كان يُخصص للرهائن معلم يؤدب في السجون من طرف السلطة الحاكمة زيادة على ذلك ، فالنص يبين صراحة تدخل بعض أعوان الدولة في توجيه واقتراح المواد التي يدرسها السجناء وحتى نوعية وطابع المواضيع الشعرية ، والتي لا تتناول مضامينها ما يتعارض مع مصالح الدولة .

ومن مظاهر تدخل السلطة في التعليم كذلك حظر تعليم مواد بعض التخصصات بعينها كالعلوم اليونانية من منطق، وفلسفة ، وتنجيم ، والتي يطلق عليها اختصارًا علوم الأوائل ، وسُمح بتدريس بعض التخصصات منها كعلم الطب ، والحساب ، ونستطيع القول بأن هذا الحظر شمل طيلة فترة حكم بني أمية من عصر الإمارة إلى عصر الخلافة (138- 422هـ/ 756-1031م) ما عدا عصر الخليفة الحكم المستنصر (350- 366هـ/ 961-976م)، ولقد أشار صاعد الأندلسي إلى هذا في كتابه طبقات الأمم ، إذ أورد بأن الفلسفة ، خاصة مذهب الاعتزال، وعلم المنطق ، وعلم الحساب ، والنجوم مثلًا كانت محظورة منذ منتصف المائة الثالثة للهجرة – فترة حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن- إلى غاية منتصف المائة الرابعة تقريبًا ؛ أي بتولي الحكم المستنصر وكان من يطلبها يُتهم بالزندقة، والإلحاد، والخروج من الملة ، لهذا اشتغل بها بعض الأندلسيين خفيةً وسرًا[2].

أما في عهد الحكم المستنصر فقد شهد عصره تسامحًا في تعاطي هذه المواد ، و أقبل بعض الأندلسيين على طلبها ، وقراءة كتب الأوائل ، وتعلم مذاهبهم ، وهذا التسامح راجع بالأساس إلى شخصية الخليفة في حد ذاتها العلمية والثقافية .

وبتغلب المنصور بن أبي عامر على هشام المؤيد قام بإخراج كتب العلوم القديمة المؤلفة في علم المنطق ، وعلم النجوم ، وغير ذلك من علوم الأوائل ماعدا كتب الطب، والحساب ، وأمر بإحراقها وهذا بهدف التقرب من العامة ، والفقهاء ، وأبقى على مؤلفات اللغة، النحو، الأشعار، الأخبار، الطب ، الفقه ، والحديث [3] ، كما أمر اللغوي صاعد البغدادي(ت417هـ/1026م) بإقراء الكتاب الذي ألفه له ، المعروف بكتاب الفصوص في الآداب والأشعار ،والأخبار بالمسجد الجامع بالزاهرة عقب سنة 385هـ/ 995م ، وحضر حلقاته أهل الأدب والعامة[4] .

[1] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص106.

[2] صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ص 64 ، 66.

[3] نفسه ، ص ص 65 – 66 .

[4] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 371 .

ويبدوا أن ملوك الطوائف لانشغالهم بتثبيت قواعد ملكهم ، ومحاولتهم إضفاء مظاهر الفخامة ، والمُلك تسابقوا لاستقطاب العلماء ، والشعراء إلى قصورهم ، فتغاضوا عن تلك العلوم ، وتُرك الحرية لمن يطلبها إلى أن زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها[1] .

وفي محاربة المعتزلة فقد عانى بعض الأندلسيين من تتبع الحكام ، وتأنيب الفقهاء والعامة ضدهم ، ومنهم مثلًا محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي (ت319 هـ/931م) الذي اتهم بالزندقة ، وخرج فارًا إلى المشرق والتقى بأهل الجدل، وأصحاب الكلام ، وعاد إلى الأندلس وكان له أتباع وتلاميذ[2] ، وأحرقت كتبه ومصنفاته بأمر من الخليفة عبد الرحمن الناصر خارج باب جامع قرطبة ، بدعوى أنها تتضمن إشارات غامضة ، وعبارات عن منازل الملحدين ، وكان مذهبه يجمع بين التصوف وبين الاعتزال[3]، هذا يعني بأن الكلام في الاعتزال كان محظورًا تعلمه وتعليمه.

وعين المعتضد بالله عباد بن محمد (433-461هـ/1042-1069م) المقرئ فرج بن حديدة الظاهري (ت480هـ/1087م) بالمسجد المنسوب إلى والدته السيدة في اشبيلية للإقراء وكان عالمًا بالقراءات[4] .

وواصل الفقهاء تتبعهم لأصحاب المذاهب المخالفة ، ربما حسدًا لباعهم الطويل ، وعلو كعبهم في العلوم والمعارف فقد حقد بعضهم على الفقيه ابن حزم الظاهري (ت456هـ/1063م)، فقد ألبوا المعتضد عباد بن محمد صاحب اشبيلية ضده ، إذ بعد إن استقر ابن حزم في لبلة[5] في أيامه الأخيرة، وهو يبث علمه بين طلابه يحدثهم، ويفقههم، ويدارسهم ، وقد بلغ من العمر السبعين سنة ، أمر المعتضد بحرق كتبه التي بداره في اشبيلية[6].

ومما سبق ذكره حول تدخل السلطة في فرض بعض التخصصات ، أو منع بعضها ، فإن هذا التدخل يتسم في بعض الأحيان بالسلب ، وفي بعضها الآخر بالإيجاب ، فالوجه السلبي منه هو التضييق على الإبداع وتكريس التقليد ، والجمود على الفكر الإنساني، والقضاء على روح البحث ، و الابتكار، وحرية الطلب والمناقشة ، والمناظرة ، وغير ذلك.

---

[1] نفسه ، ص 67 .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق، ق 1، ص. 39 .

[3] السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص312. إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص82.

[4] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2، ص 274.

[5] مدينة سهلية جبلية تقع بغرب الأندلس ، بينها وبين البحر المحيط ستة أميال ، قديمة البناء ، تعرف بالحمراء ، لها ثلاثة عيون ، تشتهر بزراعة الزيتون، وكثرة الأشجار ، ونبات القرمز (القرنفل) . عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص ص 507 – 508 .

[6] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص 168 وما بعدها .

أمّا الوجه الايجابي فيتوقف بحسب ثقافة الأمير أو الحاكم بصفة عامة ، فيلاحظ أن بعض أشكال التدخل تكون برعاية السلطة الحاكمة لحركة التعليم ، وفتح مجال حرية البحث في المعرفة العلمية ، وتقبل علوم الأمم والحضارات السابقة بما يفيد من تحرر الفكر الإسلامي من الخمول ، والتقليد الذي لا يفيد حسب متطلبات العصر، وحدود الشريعة الاسلامية ، ومن بين أبرز الحكام الأندلسيين الذين جسدوا هذه الظاهرة الخليفة الحكم المستنصر بالله.

ب)– بناء أماكن التعليم والإشراف عليها : وتعد المساجد أول هذه الأماكن على الرغم أن الغرض من تشييدها كان دينيًّا ، إلا أنه لا يمكن إهمال دوره في تعليم الناس أمور دينهم ، وكذلك احتضانها للكثير من الحلقات العلمية، خاصة في التخصصات الدينية والأدبية [1] .

ولقد ساهم حكام الأندلس عمومًا في تشييد المساجد ، و يُعينون لها من يتكلف بخدمتها ، وبلغ عدد هؤلاء في المسجد الجامع بقرطبة لوحده مائة وتسعة وخمسون من الأئمة، والمقرئين ، والأمناء ، والمؤذنين ، وغيرهم من المتصرفين[2] .

ومن أوجه إقبال الحكام على تشييد أماكن التعليم ما قام به الحكم المستنصر ببناء سبعة وعشرين مكتبًا لتعليم أطفال الفقراء[3] ، كما قام بوقف حوانيت السراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين كان قد اتخذهم لتعليم أولاد الفقراء والمساكين بقرطبة[4].

ولقد تعددت مظاهر الاشراف على أماكن التعليم منها مثلًا الزيارة الشخصية للأمير، أو الحاكم الأندلسي وتشجيع العلماء المعلمين على تعليم طلبة العلم ، أو بتكليف القضاة ، والوزراء ، والعمال على ذلك ، وتوجد الكثير من الأمثلة التي تحدثت عن مثل هذه الأنشطة ومنها :

– قيام الوزير هاشم بن عبد العزيز(ت273هـ/887م) بزيارة الفقيه وهب بن عبد الأعلى في مجلس علمه وهو في بستانه بقرطبة[5] .

---

[1] حول دور المسجد التعليمي أنظر إلى الفصل الثاني ، ص139 وما بعدها .

[2] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 288 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 76 .

[3] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 240 – 241 .

[4] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 15 .

[5] نفسه ، ص 81 . محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص 85 .

- كما قام الخليفة الحكم المستنصر بزيارة للفقيه أبي الحسن الأنطاكي في إحدى حلقاته العلمية[1].

- حضور الحاجب المنصور بن أبي عامر(366-392هـ/976-1002م) بعض حلقات الدروس، والاستفسار عن أحوال طلاب العلم ، وتشجيعهم وحثهم على الاستزادة من العلم ، ومنح المكافآت للمتفوقين منهم[2].

- و قصد المظفر عبد الملك بن أبي عامر(392-399هـ/1002-1008م) الفقيه المشكيالي محمد بن إبراهيم (ت400هـ/1009م)[3] بعد صلاة الجمعة ، وهو في مجلس اسماع في بيته ، وطلبته من حوله ، وقد طلب المظفر للفقيه الدعاء له ، فقال محمد بن إبراهيم : " اللهم أدخل في قلوب رعيته الطاعة ، وأدخل لهم في قلبه الرأفة والرحمة ثم انصرف "[4].

وتجدر الاشارة بأن حكام الأندلس كلفوا أعوانًا كالمحتسب ، أو صاحب السوق مثلًا بمهمة الإشراف ومراقبة الكتاتيب لمنع المعلمين المبالغة في التأديب ، وضرب الصبيان في الحلقات التعليمية [5]، وفي عهد عبد الرحمن الناصر قام صاحب المدينة بطرد ابن مسرة(ت319هـ/931م) وفرقته ، كما قام صاحب المدينة بمنع مسعود بن مفلت (ت426هـ/1034م) التدريس في الجامع [6] .

ج)- الاشراف على المعلمين و تنظيمهم : وتجسد ذلك في عدة مظاهر منها :

1) - نقل المعلمين من القرى، و الحواضر إلى العاصمة المركزية قرطبة ، أو عواصم ممالك الطوائف حسب ما يراه الحاكم في المصلحة العامة أو الخاصة[7] ، والاشارات التي تدل على تدخل الحاكم في تعيين المعلمين أو تحويلهم فهي كثيرة ومنها على سبيل المثال أن الفقيه سعيد بن خمير أو ابن حمير بن عبد الرحمن (ت301هـ/913م) الذي كان يسكن ببلاط مغيث ، نقله الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/888-912م) إلى المدينة قرطبة بقرب المسجد الجامع ، فكان يجلس فيه ، و يتحلق إليه ، ويفتي، ويعقد الوثائق ، وسُمع منه[8] .

---

[1] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 86 .

[2] نفسه ، ص 90 .

[3] من أهل طليلطة ، يكنى يأبي عبد الله ، له رحلة إلى المشرق فحج ، وسمع بمصر، والقيروان ، ويعد من أعيان طليلطة ، كان له ورع ، وزهد وتواضع ، ثقة لا تأخذه في الله لومة لائم. ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 712 – 713 .

[4] نفسه ، ج2 ، ص 713 . خوليان ريبرا ، المرجع السابق ، ص 84 .

[5] محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص 85 . عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص 73 .

[6] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 329 . محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص ص 85 – 86 .

[7] عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص 73 .

[8] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 163. الحميدي ، المصدر السابق ، ص 230. الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص394 .

والفقيه أحمد بن خالد بن يزيد المعروف بالحباب (ت322هـ/933م) الذي كان يقعد للناس في مجلسه ، فأمر عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) قبل تلقبه بالخليفة بنقله إلى المسجد الجامع بقرطبة لنشر العلم بعد وفاة الفقيه الإمام محمد بن لبابة (ت 314هـ/926م) فأجاب أحمد بن خالد بعد رفض ، وامتناع ووُصف مجلسه بأنه من أجل المجالس في قرطبة [1] ، ومحمد بن مروان بن رزيق(ت399هـ/ 1008م) المعروف بابن الغشا ، فبعد عودته إلى الأندلس استقدمه الخليفة الحكم المستنصر بالله (350- 366هـ/ 961-976م) وكُتب عنه[2]، وكذلك محمد بن فرح سبعون النحلي (ت367هـ/977م) المعروف بابن أبي سهل فبعد عودته إلى الأندلس، سمع الناس منه ببلده بجانة ، ثم استقدمه الخليفة الحكم المستنصر إلى قرطبة سنة 361هـ/971م فسمع منه غير واحد[3] ، وكذلك وهب بن مسرة بن مفرج بن حكيم التميمي الحجازي(ت 346هـ/957م) وهو من أهل وادي الحجارة ، سمع بقرطبة وببلده ، وكانت الرحلة إليه للسماع منه ، وأُستقدم بكتبه إلى قرطبة ، وقرئ عليه المدونة ، ومسند ابن أبي شيبة وغير ذلك من روايته ، وسمع منه بعض أهل قرطبة وغيرها ، ورجع الى بلده [4].

ولم يتوقف تدخل الدولة في شؤون المعلمين بنقلهم من مكان إلى آخر ، بل تعدى إلى منع بعضهم من السفر والحج حرصًا على مصلحة المتعلمين ، والاستفادة أكثر من علم المعلمين كما حدث مع عبد الله بن موسى بن سعيد الأنصاري المعروف بالشارقي (ت456هـ/1063م) الذي بعد رجوعه إلى الأندلس من رحلته استوطن طليطلة ، ولزم المسجد الجامع ، وكانت له فيه مجالس يُعلِّم الناس علم الفرائض ، ولما عزم على الحج مرة ثانية منعه القاضي وقال له : " قد قمت بالفرض ، فهذه المرة الثانية هي نافلة ، والذي أنت فيه الآن آكد ، فمنعه من الخروج حرصًا على وجوده في طليطلة معلمًا مهذبًا للناس [5].

2 -التدخل حتى في فرض أو النهي عن نوع لباس المعلم اثناء أدائه مهامه التعليمية ، كما حدث مع الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط(206-238هـ/822-852م)لما أمر الفقيه حبيب بن الوليد المرواني الأموي

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص31 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص221 . القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 177 .

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق 2 ، ص58 .

[3] نفسه ، ق2 ، ص ص 78 -79 .

[4] نفسه ، ق2 ، ص ص 165- 166 . ابن فرحون المالكي ، المصدر السابق ، ص 429 .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 423 وما بعدها .شكيب أرسلان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 14 – 15 . عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص 73 .

المعروف بدحون القرطبي (ت بعد 200 هـ/815م) بترك لبس الوشي الشامي، عندما بلغه أنه كان يلبسه في حلقته بجامع قرطبة لإسماع الناس الحديث ، فأمتثل لأمر الأمير، وتركه[1].

3 –استدعاء المعلمين للجهاد والغزو،كما حدث عندما طلب الخليفة الحكم المستنصر القاضي عبد الله بن محمد بن مغيث(ت352هـ/963م) مصاحبته في غزو الروم ، ولقد اعتذر القاضي عبد الله على تلبية طلبه بسبب ضعف في جسمه ، فاشترط عليه الحكم المستنصر مقابل قبول اعتذاره بأن يؤلف له كتابًا في أشعار الخلفاء الأمويين بالمشرق ، والأندلس مثل كتاب الصولي في أشعار بني العباس، وقد قبل القاضي عبد الله الشرط فاعتكف في دار الملك لإتمام كتابه ، وكمل عمله في مجلد، وأرسله إلى الحكم ، وهو في طليطلة فسر به كثيرًا[2].

4 –استدعاء المعلمين للاستشارة ،كما جرى مع الفقيه أبي إبراهيم لما استدعاه الخليفة الحكم المستنصر، فقد روى أحد طلبته، وهو الفقيه أبو القاسم بن مفرج أنه بينما كان عند الفقيه أبي ابراهيم للتفقه ، والرواية بالمسجد المنسوب لأبي عثمان الذي كان يصلي به قرب داره بجوفي قصر قرطبة ، ومجلسه حافل بجماعة الطلاب ، وذلك بين صلاتين ، إذ دخل على الفقيه خصي من أصحاب الرسائل جاء من عند الخليفة الحكم يطلب مرافقته إليه لأنه يطلبه ، وهو في انتظاره ، فطلب الفقيه منه أن يمهله حتى يُتِمَّ مجلسه ، وكان له ذلك من الخليفة الحكم المستنصر، بل وطلب من الخصي انتظاره حتى الانتهاء من مجلسه ، ومرافقته إلى مجلس الحكم ، ثم زاد الفقيه أبو إبراهيم بأن طلب من الخصي إبلاغ الخليفة الحكم يستسمحه بفتح أحد أبواب القصر القريب من المكان الذي يدرس فيه ، وهو المعروف بباب الصناعة ، وكان هذا الباب مغلقًا ، ففُتح خصيصًا للفقيه أبي إبراهيم ، ولما فرغ الفقيه من حلقته توجه إلى الخليفة الحكم المستنصر من ذلك الباب ، ويرافقه الخصي ، فقضى حاجته من لقائه ثم صرفه على ذلك الباب ، فأعيد إغلاقه على إثر خروجه [3].

والغرض من سرد هذه الواقعة هو بيان كذلك المكانة التي كان يحتلها المعلمون لدى الحكام ، وتقديرهم ، كما تبين مدى سعة صدر الخليفة الحكم من خلال تلبيته لطلبات الفقيه أبي إبراهيم ، فقد انتظره حتى يكمل مجلس حديثه مع طلبته ، ثم كلف أحد خصيانه لانتظاره ، ومرافقته ، وفتح له أحد أبواب القصر الذي كان مغلقًا لا يفتح إلا نادرًا ، وقد أمر بفتحه من أجله ، وخصيصًا، وتقديرًا ،وعطفًا للشيخ المعلم الفقيه ، وأعيد غلقه مجددًا بمجرد خروج الفقيه منه ، ولا غرابة في هذا التبجيل للعلماء المعلمين ، إذا علمنا طبيعة شخصية الخليفة الحكم المستنصر ، إذ يعد هو في حد ذاته من طبقة العلماء ، والمثقفين الأندلسيين .

---

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 116 – 117 .

[2] الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 431 – 432 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص ص 84- 85 .

[3] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 294 – 295 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 82 وما بعدها .

د)– التمويل : أخذ تمويل السلطة السياسية للتعليم أشكالًا، ومظاهر متعددة ، يذكر منها مثلًا :

1-الانفاق على بناء أماكن التعليم وعلى رأسها المساجد ، فقد أنفق عبد الرحمن الداخل(138-172هـ/ 756- 788م) على بناء المسجد الجامع بقرطبة لوحده ثمانين ألف دينار ، واشترى المكان الذي بُني فيه ،وقد كان عبارة عن كنيسة بمائة الف دينار[1] ،كما قام الحكم المستنصر ببناء سبعة وعشرين مكتبًا لتعليم أبناء الفقراء[2] .

2- رصد الأموال الخاصة بتسيير وعناية أماكن التعليم خاصة منها المساجد ، واقتطاع جزء من تلك الأموال للقائمين عليها من خطباء، ومعلمين ، ومؤذنين ، وغيرهم، والتمويل المادي من أجور للقائمين على المساجد على اختلاف رتبهم قد بلغ ما قيمته ثمانمائة دينار في الشهر مكافأة لهم ، وهذا بدون الأخذ في الحسبان السكن المخصص لإيوائهم ، خاصة في المساجد الجامعة في عهد الخلافة[3] .

3- وقف الحوانيت كحوانيت السراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين يقومون بتعليم أبناء الفقراء، والمساكين وكذلك العقارات والأراضي الزراعية للمساجد ، والتي خصصها الحكم المستنصر للإنفاق من عائداتها على التعليم[4] .

4- منح الأمراء والخلفاء العطايا للمعلمين، إذ ورد أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط كان مولعًا بالفلك والتنجيم ، وقد أحاط نفسه بنخبة من علماء الفلك ، وأنفق عليهم الأرزاق ، والعطايا ، كما منح عبد الرحمن الناصر الجوائز للمعلمين[5] .

5- دفع الأجر للمعلمين ، فقد خصص الخليفة عبد الرحمن الناصر موارد اقتصادية مخصصة لتربية وتعليم أبناء الأمراء[6] .

وقد أخذ حصول المعلمين على الأجر مظهرًا آخر من خلال تعيينهم في الوظائف من قبل السلطة ، وكانت أكثر هذه الوظائف في المساجد إما خطيبًا أو مقرئًا أو إمامًا ، ويرجح الباحث المؤرخ محمد عبد الحميد عيسى بأن

---

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 72 .

[2] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 240 – 241 .

[3] عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص 72 . إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص76 .

[4] ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ص 207-208 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص15. عبد البديع الخولي ، المرجع السابق ، ص ص 72- 73 .

[5] إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص78 . محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص84 .

[6] صباح خابط عزيز الحميداوي ، المرجع السابق ، ص 242 .

الهدف من إسناد هذه الوظائف للمعلمين في المساجد كان لأجل التعليم في هذه الأماكن المقدسة أكثر منه لغرض آخر[1] .

6- وبما أن الكتب هي إحدى وسائل التعليم ، فقد شجع الأمراء ، و الخلفاء ، وحكام الأندلس على تجارة الكتب، بل أن الخليفة الحكم المستنصر كلف من يشتري له نفائس الكتب بالمشرق ، ككتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (ت356هـ/967م) الذي دفع له ألف دينار ذهبًا لقاء حصوله على نسخة منه قبل نشره في العراق[2]، وفن الوراقة التي تعتبر إحدى أهم العوامل الأساسية لرواج صناعة الكتب ، والتي أغدق الحكام على محترفيها بالعطايا ، والصلات ومنهم محمد بن يحيى بن عبد السلام(ت358هـ/ 968م) ، والقاضي ابن فطيس (ت402هـ/1011م) الذي كان يملي الحديث على الناس ، وله ستة وراقين ينسخون له مقابل رواتب معلومة [3].

هـ)- استقبال المعلمين المشرقيين ، وتشجيعهم على الهجرة إلى الأندلس : ساهم حكام الأندلس في تشجيع علماء المشرق على الرحلة والقدوم إلى الأندلس من خلال دعوتهم والترحيب بهم وإغداق الأموال والعطايا ، والرواتب عليهم ، وعلى أهاليهم ، وخدمهم ، ونشطت حركة هجرة العلماء من المشرق إلى الأندلس منذ الفتح الإسلامي للأندلس ، ولقد مارس الكثير من علماء المشرق التعليم في الأندلس سواء في المساجد ، أو في قصور الحكام ، أو في غيرهما من الأماكن ، وأحاط الأمراء ، والخلفاء ، وملوك الأندلس بالرعاية والاهتمام وتكليف علماء المشرق بتنشيط بعض مجالس العلم ، والمناظرات .

وعلى الرغم من أن المعلمين الذين وفدوا من المشرق إلى الأندلس لا يمكن إحصاؤهم ، أو حصرهم فمنهم من استوطن في الأندلس إلى أن توفي ، وبقي عقبه من ذريته ، ومنهم من عاد إلى المشرق بعد قضاء حاجته التي قصد من أجلها الأندلس[4]، إلا أن الذي يهمنا في هذا الجانب هو فئة العلماء الذين مارسوا التعليم في الأندلس، وكانوا في رعاية أو بتكليف من حكام الأندلس ، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الموسيقي والمغني أبا الحسن علي بن نافع(ت238هـ/852م) الملقب بزرياب ، الذي أكرمه ، و أغدق عليه الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط بالهبات ، والأموال ، فقد أنزله في دار من أحسن الدور ، وحمل إليها جميع ما يحتاج اليه ، ثم أمر بصرف راتب له في كل شهر مائتي دينار ، كما أمر بأن يُصرف على بنيه ، وأهله الذين أتوا معه عشرون دينارًا

---

[1] محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص84 .

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء ، ص ص 117 – 118 .

[3] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 467 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 288 .

لكل واحد منهم في كل شهر ، وأن يقدم لزرياب ما مقداره ثلاثة آلاف دينار ، منها لكل عيد ألف دينار ولكل احتفال خمسمائة دينار ...الخ[1] .

ومعلوم ان زرياب قد أحدث ثورة اجتماعية ارستقراطية، ونهضة ثقافية فنية في الأندلس، فهو الذي علم الأندلسيين آداب الخدمة الملوكية مثل حسن المجالسة ، وبروتوكول المحادثة ، وحتى طريقة تقديم الطعام ،فأصبحت تلك الآداب منسوبة إليه ، وعلمهم طريقة تصفيف الشعر، وصناعة العطور ،وفنون الطبخ حتى سميت بعض الأطباق باسمه ، وتفضيل آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة ، وكذلك تفضيل أنواع بعض الأفرشة والألبسة حسب المواسم ،والفصول الصيفية ، والشتوية ، وقبل هذا كله ، فقد أسس ما نستطيع الاصطلاح عليه مجازًا مدرسة لتعليم الأندلسيين الغناء ، والموسيقى.[2]

وكذلك أبا جعفر أحمد بن الحسن بن الحارث المعروف بالأشتر النخعي ، الذي دخل الأندلس في عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، وكان يروي الأحاديث ، وقيل أن الأمير محمد روى عنه منها ، وأنزله برية[3].

وأحمد بن الفتح المليلي(ت332هـ/943م) المعروف بابن الحزاز ، الذي كان قاضيًّا على مليلة ، ووفد إلى الخليفة الناصر سنة 325 هـ/936م لما خشي من الشيعة العبيديين ، فأجاره الناصر ، وكان عظيم القدر جليلًا ، اختص في رواية الشعر ، وحفظ الأخبار[4]، وممن وفد على الخليفة الناصر سنة 343هـ/954م وأكرمه الفقيه المصري أحمد بن أبي عبد الرحمن يزيد القرشي الزهري[5] .

ووفد إلى الأندلس سنة347هـ/958م الفقيه الشافعي عبيد الله بن أحمد القيسي(ت360هـ/970م) الذي كان إمامًا في القراءات ، ضابطًا للحروف ، كثير الرواية للحديث ، وله كتب في الفقه، والقراءات ، والفرائض وغيرها ، وكان الخليفة الحكم المستنصر قد أنزله ، وتوسع له في الجراية والعطاء ، وألف له إلى أن توفي بقرطبة[6].

---

[1] نفسه ، ج3 ، ص ص 383 – 384 .

[2] ابن القوطية، المصدر السابق ، ص 62. المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج3 ، ص 384 وما بعدها . أ. ليفي بروفنسال ، الحضارة العربية في إسبانيا ، ص 68 . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص233 . أحمد الحنفي ، المرجع السابق ، ص 107.

[3] أصله من الكوفة . المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج3 ، ص399 .

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 61 .

[5] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 399 .

[6] يكنى بأبي القاسم ، ولد سنة 295هـ/907م . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 253 وما بعدها .

وحل بالأندلس عبد الملك بن محمد بن عبد الملك المعروف بالسليماني [1] في نحو 360هـ/970م ، فتوسع له الخليفة الحكم المستنصر بالله ، وأجرى له العطاء مع قريش [2] ، وكان عبد الملك بن محمد حليمًا أديبًا ، حدث عنه بعض الأندلسيين ، وكتبوا عنه[3] .

وكذلك إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي الذي رحل من مصر إلى الأندلس في أعوام الستين وثلاثمائة حين ملك بنو عبيد – الفاطميين – مصر ، فرحب به الحكم المستنصر ، وفي أيام العامريين استوطن اشبيلية، وبها تصدر للتدريس ، وكان من تلاميذه الحافظ المحدث أبو عمرو بن عبد البر (ت463هـ/1070م) [4] .

وفي عصر ملوك الطوائف تسابق كل ملك لاستقطاب أكبر عدد ممكن من العلماء والأدباء والشعراء سواء الأندلسيون منهم أو من أهل المشرق ، للاحتفاء بهم في مجالسهم كما هو الحال مع مجالس بني عباد في اشبيلية التي حل بها من المشرق عيسى بن إبراهيم بن عيسى الدينوري ، حيث وفد في ضيافة المعتمد محمد بن عباد(461-484هـ/1069-1091م) وجلب له مصنف ألفه في معنى التاريخ ، يروي فيه الأحداث عن جده وعن كتبه ،كما وفد على المعتمد بن عباد أبو الحسن البغدادي الفكيك وأنشد له أشعارًا[5] .

ووفد على ملوك الأندلس كذلك سليمان بن محمد المصري الصقلي (كان حيًّا440 هـ/1048م)، وهو من أهل العلم، والأدب، والشعر، وكان يروي الشعر من شعراء المغرب ، وحظي بمكانة واحترام عند ملوك الأندلس بفضل أدبه ، وحسن شعره [6].

وحل بالأندلس في كنف المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذي النون(435-467هـ/1043-1075م)صاحب طليطلة الوزير أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي الدارمي البغدادي(ت454هـ/1062م) [7]

---

[1] من أهل بيت المقدس ، يكنى بأبي مروان. نفسه ، ق1، ص275 .

[2] فقد خصص الخليفة الحكم المستنصر للعلماء الوافدين من المشرق ديوانًا سماه ديوان قريش للعطايا . نفسه ، ق 1، ص 121 .

[3] نفسه، ق1 ، ص275 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج 3، ص ص339 – 340 .

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 640 .

[6] الحميدي ،المصدر السابق ، ص222 . ابن بشكوال ،المصدر السابق ، ج1 ، ص 325 .

[7] يكنى يأبي الفضل ، بغدادي الأصل ، ولد سنة 388 هـ/ 998م . نفسه ، ج3، ص 865 .

وهو من أهل بيت علم ، وأدب ، وخرج أبو الفضل من بغداد إلى القيروان أيام المعز بن باديس(398-454هـ/1008-1062م)[1] ، وكان ضمن شعراء مجلسه ، ثم انتقل إلى الأندلس، فلقي ملوكها ،وحظي عندهم بأدبه، وعلمه، ثم استقر بطليطلة عند المأمون بن ذي النون، ونظم له أشعارًا يمدحه فيها[2].

وكذلك أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري المقرئ(ت488هـ/1095م) المعروف بالحُصْرِي ، وهو شاعر وأديب ، دخل الأندلس بعد سنة 450هـ/1058م، ولقي ملوكها ، وكان ضريرًا ، عالمًا بالقراءات ، وطرقها وأقرأ الناس بالقرآن بسبتة، وغيرها ، وأسمع لتلاميذه قصيدته التي نظمها في قراءة نافع ، وهي تقع في مائتي بيت وتسعة أبيات ، وقال أحد تلاميذه الأندلسيين أنه لقيه بمرسية سنة481هـ/1088م ، وكانت وفاته بطنجة[3] .

المطلب الثاني : الدور السياسي للمعلمين :

تباينت مواقف المعلمين تجاه السلطة السياسية القائمة في الأندلس ، وعرفت تنوعًا واختلافًا – في الفترة محل الدراسة – بين الاتجاه القائم على المشاركة في الحياة السياسية من خلال قبول المناصب، أو الاكتفاء بإبداء النصح والإرشاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، وانتقادها ومعارضتها ، أو حتى الدعوة للثورة عليها ، وما إلى ذلك ، وبين الاتجاه الذي ترك أصحابه أمور السياسة لأصحابها ، وعدم التدخل فيها ، والاهتمام بطلب العلم والتعليم ، والزهد في الدنيا ، وسيتم دراسة وعرض هذه النماذج على النحو التالي :

أ)–المعلمون المشاركون في الحياة السياسية : كسب المعلمون ، خاصة منهم الفقهاء مكانة اجتماعية هامة في نفوس أفراد المجتمع الأندلسي ، وهذا ما أدى بالسلطة السياسية القائمة إلى محاولة استمالة هذه الطبقة إلى صفها لكسب شرعية سياستها هذا أولًا ، ثم تحقيق رضا العامة ثانيًا ، و الحفاظ على الاستقرار السياسي للدولة

---

[1] هو من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية ، ولد بالمنصورية ، تولى بعد وفاة أبيه سنة 406هـ/1015م، وأقره الحاكم الفاطمي أبو علي المنصور (386-411هـ/996-1021م) صاحب مصر و المغرب ، ولقبه بشرف الدولة ، وساد الأمن في أيامه ، قرب العلماء ، وأكرمهم ، قامت بينه، وبين قبائل زناتة حروب انتصر فيها ، وكانت خطبته للفاطميين ثم قطعها سنة 440 هـ/1048م، وجعلها للعباسيين ، فوجه اليه المستنصر الفاطمي أبو تميم معد (427-487هـ/1036-1094م) أعراب بني هلال ، وبني سليم من قبائل الحجاز ، وأباح لهم الغارة على المغرب فاحتلوا القيروان ، وحاربهم المعز بن باديس، فغلبوه، ونزح إلى المهدية ، وبها توفي ، وهو أول من حمل الناس بإفريقية على المذهب المالكي ، وكان الغالب عليهم فيما سبق المذهب الحنفي . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج5 ، ص233 وما بعدها . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ج7 ، ص ص 269 -270 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج3 ، 365 – 366 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج 3، ص374 .

[3] ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج2، ص627 .

ثالثًا ، ومن أجل تحقيق الأهداف السالفة الذكر أصبح للعلماء ، والفقهاء بالأخص من شيوخ المالكية سلطة روحية معنوية وسياسية[1] .

ولقد اختلفت درجة مشاركة المعلمين في السلطة حسب طبقة كل معلم ، فمنهم المعلمون الذين يمثلون كبار العلماء والفقهاء ، والذين أطلق عليهم مصطلح شيوخ البلاط ، وقد كانت صفتهم السياسية كمستشارين للأمراء أو الخلفاء الأمويين ، أو ملوك الطوائف ، ومنهم الأقل درجة الذين اشتغلوا في الوظائف الدينية والعامة ، ومن أهمها الشورى ، القضاء ، الوزارة ......الخ.

1- الفقهاء المشاورون :

تكرر هذا المصطلح في الكثير من المواضع بكتب التراجم والطبقات عند ابن الفرضي ، وابن بشكوال مثلًا ويُقصد به جماعة رسمية ، تأسست من كبار الفقهاء في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالأوسط (206 -238هـ/822-852م) ، ويطلق على كبيرهم لقب رئيس الفُتْيا ،أو رئيس المُفْتِين ، أو رئيس البلد أو شيخ المسلمين[2] ، ورضى هذا الأخير على الحاكم يعد تأييدًا له ، وإضفاء لشرعية حكمه[3]، ويختار أعضاء هذه الجماعة إما الأمير من كبار فقهاء البلد ، وإما القضاة بعد موافقة الأمير[4] .

وتعد هذه الجماعة بمثابة هيئة استشارية للأمراء ، والخلفاء ، وحتى ملوك الطوائف ، وكذلك للقضاة . وقد يأخذ الحاكم برأي هذه الجماعة عند إبداء الشورى ، وقد لا يأخذ به ، ويتصرف برأيه هو ، وفي بعض الأحيان لا يستشيرهم حتى ، ويكتفي بدخولهم عليه [5] ، ومن هذه الجماعة يُختار من يتولى القضاء خاصة منصب قاضي الجماعة ، أو رئيس القضاة[6] .

---

[1] محمد محمود عبد الله بن بية ، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين** ، دار الأندلس الخضراء ، دار ابن حزم ،ط1 ، جدة ، بيروت 2000 ، ص 31.

[2] لابد من التفرقة بين فئتي من الفقهاء وهما " الفقهاء المشاورون" المذكورة أعلاه ، والفقهاء الذي كانوا يستشيرهم الحكام على انفراد دون أن تكون لهم صفة العضوية في هذه الهيئة الرسمية ، وهؤلاء الفقهاء المستشارون كانوا قبل تأسيس هيئة الفقهاء المشاورين ؛ أي قبل عهد عبد الرحمن الأوسط . وللتفصيل أكثر في معرفة الفرق بينهما أنظر خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 115 وما بعدها .

[3] حسين مؤنس ، شيوخ العصر ، ص 26. ولقد حددت بعض الشروط التي لابد أن تتوفر في شخص الفقيه المشاور ،ومنها مثلًا : السن ، فلا يُقبل من كان حدثًا ، أو شابًا ، وكذلك العلم ، إذ لابد أن يكون من كبار الفقهاء . أنظر خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 164 وما بعدها .

[4] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ص 28-29 .

[5] نفسه . عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، المرجع السابق ، ص 55 .

[6] نفسه ، ص 56 .

ولقد ارتبطت الشورى بالفتوى في شخص الفقيه ، إذ كانتا شيئًا واحدًا[1]، فالفقيه المشاور هو في حد ذاته مفتيًا وعلى الرغم من أن عدد الفقهاء المشاورين كثير إلا أنه سيقتصر الحديث مما يلي على من تولى هذه المهمة بجانب التعليم ؛ أي الفقهاء المشاورين المعلمين فقط دون ذكر الآخرين[2] ، ومن أشهر الفقهاء المشاورين الفقيه يحي بن يحي الليثي(ت233هـ/847م)، الذي أصبح يخضع لرأيه الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط ، فقد كان هذا الأخير لا يولي رجلًا إلا برأيه ، وإذا أنكر من القاضي شيئًا قال : "استعف ، وإلا رفعت بعزلك ! " فكان يستعفى ، أو يشير الفقيه يحي بعزله فيعزله [3].

وشهد عهد عبد الرحمن بن الحكم الأوسط ، كثرة قرارات تعيين القضاة ، وعزلهم ، وهذا ما يرده المؤرخ ابن حيان إلى أن الأمير عبد الرحمن كان يستمع لرأي الفقيه يحي بن يحي في تعيين هؤلاء القضاء ثم ما يلبث الفقيه يحي أن يسخط عليهم بشيء ما فيشير على الأمير بعزلهم فيعزلهم[4]، ومعلوم بأن الفقيه يحي بن يحي الليثي هو أحد شيوخ العلم في الأندلس ، فقد كان إمام وقته ، وسمع منه مشايخ الأندلس ، وحدث عنه الكثير منهم[5].

ومن أشهر الفقهاء المشاورين في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الفقيه أبو إبراهيم ، أحد كبار فقهاء المالكية في عصره[6]، وبقي مشاورًا كذلك للخليفة الحكم المستنصر الذي استدعاه في إحدى المرات ، وهو يدرس طلبته في إحدى حلقات علم الفقه بمسجد أبي عثمان بقرطبة إلى درجة أنه فتح له بابًا من قصره خصيصًا له للدخول إليه بغرض استشارته في أمر ما ، واحتشد له الخدم في استقباله[7] .

وبرز في عهد تغلب العامريين الفقيه يحي بن عمر بن حسين بن نابل(ت401هـ/1010م) الذي ينتسب لأحد بيوت العلم بالأندلس ، وقد قُدم للشورى عند أحد قضاة العهد العامري سنة 393هـ/ 1002م[8].

[1] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص27 .

[2] وعلى الرغم من أن عددهم كان محدودًا في عصر الامارة بداية من أيام تأسيس هذه الجماعة في عهد عبد الرحمن الأوسط ، إلا أن عددهم بدأ يتزايد في عهد كل من الأميرين محمد ، وعبد الله ، وتضاعف في عهد الخلافة ، وعصر ملوك الطوائف ، إذ وصل عددهم في فترة من أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر ستة عشر فقيهًا مشاورًا . خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ص 171-172.

[3] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 804. خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 168.

[4] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق : محمود علي مكي ، ص ص 40-41.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ، ق2 ، ص 181.

[6] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 293 . محمد محمود عبد الله بن بية ، المرجع السابق ، ص 34.

[7] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 294-295. خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 82 وما بعدها .

[8] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 951-952.

و بطليطلة اشتهر من الفقهاء المشاورين في عصر ملوك الطوائف الفقيه أبو بكر يحيى بن سعيد بن الحديدي (قُتل 468هـ/1075م) فقد كان مقدمًا في الشورى ، ذا مكانة عند المأمون بن يحيى بن ذي النون(435-467هـ/1043-1075م) صاحب طليطلة ، وكان لا يقطع في شيء من أوامره إلا عند مشورته[1].

وفي اشبيلية برز الفقيه عبد الله بن إسماعيل بن محمد بن خزرج(ت 478هـ/1085م)[2] الذي " كان من جلة الفقهاء في وقته ، مشاورًا في الأحكام بحضرته ، ثقة في روايته ، سمع الناس منه كثيرًا"[3] .

أما بقرطبة فقد وُصف الفقيه علي بن محمد التغلبي(ت482هـ/1089م)[4] بأنه " كان مشاورًا في الأحكام بقرطبة صدرًا فيا يستفتى بها معظمًا عند الخاصة ، والعامة ، وكان له مجلس بالمسجد الجامع بقرطبة يسمع الناس فيه[5].

2-القضاة :

يعد القضاء من أهم المؤسسات الإدارية للدولة ، ويتولى ممارسة مهامه الفقهاء ، وتتجلى مهامهم في الفصل في القضايا ، والمنازعات بين الناس ، وتحقيق العدالة ، وكذلك النظر في أموال الأيتام ، والإشراف على تسيير الأحباس ، كما نجد عبارة أخرى تتكرر في كتب التراجم ، وهي : " النظر في أحكام المظالم "[6] ، وهي من المهمات الأساسية للقاضي .

وممن مارس مهنة القاضي من المعلمين بالأندلس في عصر الامارة على سبيل المثال القاضي الفقيه معاوية بن صالح الحضرمي (ت158هـ أو 168هـ/ 774م أو 784 م)[7] الذي عينه الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل

---

[1] يكنى بأبي بكر ، له مناظرات مع بعض الأندلسيين ، وكان ضمن رجال المأمون يحيى لما دخل قرطبة ، وملكها ، ولما توفي المأمون استثقله حفيده القادر بالله (467-478هـ/1075-1085م)حتى قُتل بقصره .نفسه ، ج3 ، ص ص 961-962. محمد محمود عبد الله بن بية المرجع السابق ، ص 37.

[2] يكنى بأبي محمد ، ولد سنة 407هـ/1016م .أحصى ابن بشكوال عدد شيوخه الذين أخذ منهم بالأندلس بمائتين ،وخمسة ، وستون رجلًا وامرأتان ، زيادة على أنه راسله بعض علماء المشرق . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2، ص 433.

[3] نفسه .

[4] ولد سنة 413هـ/1022م ، يكنى بأبي الحسن ،كان من أهل العلم ، مجتهدًا في نشر العلم وتعليمه ،كثير التلاوة للقرآن الكريم . نفسه ، ج2 ص ص 610-611.

[5] نفسه ، ص 611.

[6] نفسه ، ص 459 .

[7] أصله من الشام ، دخل الأندلس سنة 123هـ/740م ، فاستوطن مدينة مالقة ،وبنى بها مسجدًا اشتهر باسمه ،ثم انتقل إلى اشبيلية ، فسكنها إلى أن تولى القضاء بقرطبة .النباهي المالقي ، المصدر السابق ، ص 63 .

قاضي الجماعة بقرطبة[1]، وسمع منه طلاب العلم بالمشرق والأندلس على حد سواء ، فقد كان من أهل العلم ورواية الحديث ، وشارك الإمام مالك بن أنس(ت179هـ/795م) في السماع من بعض شيوخه ، وأخذ عنه كبار علماء ، وفقهاء المشرق كسفيان الثوري(ت161هـ/778م) ، والليث بن سعد(ت175هـ/791م) ،وغيرهما وقيل أن الإمام مالك بن أنس روى عنه حديثًا واحدًا ، وأملى الحديث في المسجد الحرام، ولما حل بالأندلس كانت الرحلة تعقد إليه حتى من المشرق ، فقد قصده طلاب العلم من الكوفة ، وغيرها [2].

وأشهر القضاة من المعلمين في عصر الخلافة منذر بن سعيد البلوطي(ت355هـ/965م) ، الذي تولى قضاء مدينة ماردة(Merida) ، وما والاها ، ثم قضاء الثغور الشرقية ، ثم تولى قضاء الجماعة بقرطبة ، والصلاة بمدينة الزهراء سنة 339هـ/ 950م ، وقد بقي قاضيًا في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وكذلك في عهد ابنه الحكم المستنصر إلى أن توفي قاضيًا [3]، وقد كان عالمًا فقيهًا ، بصيرًا بالجدل ، من أهل علم الكلام ،خطيبًا ، أديبًا بليغًا ، شاعرًا ، وله كتب مؤلفة في علم القرآن ، والفقه ، والرد ، أخذها الناس عنه وقرؤها عليه[4]، وعلى الرغم من أنه كان ظاهري المذهب إلا أنه إذا جلس للقضاء فإنه يقضي بمذهب الإمام مالك بن أنس المذهب الرسمي الذي عليه العمل في الأندلس في وقته[5].

أما المؤرخ الفقيه أبو الوليد ابن الفرضي عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي صاحب كتاب تاريخ علماء الأندلس فقد أُستقضي بكورة بلنسية ، وهو الذي رحل إلى المشرق ، ولما عاد إلى قرطبة ، وقد جمع علمًا كثيرًا في مختلف العلوم ؛ فألف كتابه في تاريخ علماء الأندلس ، وكتابًا آخر في أخبار شعراء الأندلس ،وغيرهما وحدث عند المحدث أبو عمر بن عبد البر النمري(ت463هـ/1070م) الذي قال فيه : "كان فقيهًا عالمًا في

[1] قاضي الجماعة : لم يكن هذا اللقب معروفًا بالأندلس قبل دخول الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وانما استحدث بداية من توليد الحكم بالأندلس(138هـ/755م) ،وهو يختلف عن قاضي القضاة بالمشرق ؛ فصلاحيات قاضي الجماعة بقرطبة لا تمتد إلى باقي أقطار الأندلس كما هو الحال لقاضي القضاة بالمشرق ، وإنما على نطاق العاصمة قرطبة فقط . وقد كان يطلق على قاضي الجماعة قبل هذا العهد بقاضي الجند ثم استحدث بعد ذلك قاضي العسكر الذي لا تتجاوز حدود صلاحياته الجيش . الخشني القروي ، قضاة قرطبة ، ص ص 47 ، 146. خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ص 160-161.

[2] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2، ص 138 وما بعدها .الخشني القروي ، المصدر السابق ، ص 50 وما بعدها . النباهي المالقي ، المصدر السابق ، ص ص 63-64.

[3] الفتح بن خاقان ، مطمح الأنفس، ص 238 وما بعدها . الخشني القروي ، المصدر السابق ، ص 237 ، المقري التلمساني ، المصدر السابق ج1 ، ص 285 . ويروي الحميدي بأن الحكم المستنصر هو الذي عينه على قضاء الجماعة بقرطبة ، وليس الخليفة عبد الرحمن الناصر. الحميدي المصدر السابق ، ص 348.

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق، ق2 ، ص ص 144-145.

[5] الزبيدي الأندلسي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص 295 . النباهي المالقي ، المصدر السابق ، ص 101.

جميع فنون العلم في الحديث ، وعلم الرجال ، وله تواليف حسان ، وكان صاحبي ونظيري ، أخذت معه عن أكثر شيوخه ، وأدرك من الشيوخ ما لم أدركه أنا......"[1] ، وذكر ابن بشكوال بأنه كان جماعًا للكتب " فجمع منها أكثر ما جمعه أحد من عظماء البلد ، وتقلد قراءة الكتب أيام حكم العامريين قبل توليته القضاء ببلنسية [2].

وفي عصر ملوك الطوائف تقلد قضاء سرقسطة محمد بن إسماعيل بن فورتش(ت453هـ/1061م)[3]الذي روى الحديث بالأندلس، وكان ثقة فيها يروي ،جماعًا للكتب، سمع منه أبو الوليد الباجي(ت474هـ/1081م)[4].

وعين على قضاء طرطرشة عبيد الله بن القاسم بن خلف بن هانئ(كان حيًّا 467هـ/1074م)، وهو الذي أجاز لبعض طلبته ما رواه سنة 467هـ/1074م ، وأخذ عنه بعض شيوخ الأندلس[5] .

وبالمرية استقضى عيسى بن محمد بن عيسى الرعيني (ت 470هـ/1077م)المعروف بابن صاحب الأحباس وقد كان من كبار العلماء المحدثين ، والأدباء ، وروى الناس عنه[6] .

وأشهر المعلمين القضاة أبو الوليد سليمان بن خلف التجيبي الباجي المالكي(ت474هـ/1081م) الذي بلغ عدد طلابه في أحد مجالسه ثلاثة آلاف رجل للسماع منه ، ومنهم من أحصاهم بأربعين ألف رجلٍ ، وقد تقلد القضاء ببعض المواضع من شرق الأندلس تصغر عن قدره ، ومكانته العلمية ، والاجتماعية[7] ،وقيل أنه ولي قضاء حلب ، وهو في رحلته بالمشرق[8] .

ويوجد من لقب بالقاضي كناية لوقاره دون تقلده فعلًا للقضاء كالمؤدب النحوي أحمد بن محمد بن هشام بن خلف القيسي(ت345هـ/956م) المعروف بالأعرج[9] .

---

[1] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 391 – 392 .

[2] نفسه ، ج1 ، ص 393 .

[3] يكنى بأبي عبد الله ، له رحلة إلى المشرق حج فيها ، وكتب الحديث عن علماء المشرق . نفسه ،ج3 ، ص 788 .

[4] نفسه ، ج3، ص 789 .

[5] نفسه ، ج2 ، ص 459 .

[6] أصله من قرطبة ، يكنى بأبي بكر ، ولد سنة 395هـ/1004م . نفسه ، ج2، ص 634.

[7] نفسه ، ج1 ، ص 317 وما بعدها . النباهي المالقي ، المصدر السابق ، ، ص ص 125-126. المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج2 ص 230 وما بعدها .

[8] ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج2، ص 409 . ابن بسام الشتريني ، المصدر السابق ، ق2 ، م2 ، ص 95.

[9] قرطبي ، يكنى بأبي عمر . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 42-43.

3- الوزراء :

يحدد المؤرخ ابن حيان في كتابه المقتبس مهام الوزير في الأندلس ، وهو بصدد توضيح طريقة عمل وزراء الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط فقال : "والأمير عبد الرحمن أول من ألزم هؤلاء الوزراء الاختلاف إلى القصر كل يوم ، والتكلم معهم في الرأي ، والمشورة لهم في النوازل ، وأفردهم ببيت رفيع داخل قصره مخصوص بهم يقصدون إليه ، ويجلسون فيه فوق آرائك قد نضدت لهم ، يستدعيهم إذا شاء إلى مجلسه جماعة ، أو أشتاتًا يخوض معهم فيما يطالع به من أمور مملكته ، ويفحص معهم الرأي فيما يبرمه من أحكامه ، وإذا قعدوا في بيتهم أخرج رقاعه ، ورسائله إليهم بأمره ، ونهيه ، فينظرون فيما يصدر إليهم من عزائمه..."[1] .

ولقد تقلد الكثير من المعلمين الأندلسيين خطة الوزارة ، فمنهم من تدرج إليها بعد اشتغاله ببعض الوظائف الادارية الرسمية ، ومنهم من تلقب بالوزير مجازًا لمكانته الاجتماعية ، وتقديرًا من الحاكم ، وتعظيمًا لعلمه[2].

وأفرد المؤرخ الفتح بن خاقان(ت528هـ/1134م) فصلًا خاصًّا بمن تقلد الوزارة من الأندلسيين في كتابه "مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس" ، وترجم للكثير منهم في كتابه قلائد العقيان خاصة للذين يحملون لقب " ذي الوزارتين" : السيف ، والقلم ؛ أي السياسة ، والعلم معًا .

ومن المعلمين الذين عينوا في منصب الوزارة في عصر الإمارة على سبيل المثال الفقيه القاضي مصعب بن عمران (عاش في أيام هشام بن عبد الرحمن و ابنه الحكم) الذي استوزره هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (172-180هـ/788-796م) ، وعين كذلك قاضيًّا للجماعة بقرطبة ، ولما تولى الحكم(180—206هـ/796-822م) الامارة أقره على الوزارة و القضاء إلى أن توفي ، وقد رُوي عن المصعب بعض الأحاديث والأخبار حتى قال فيه الإمام مالك بن أنس :" تكاد أحاديث ابن عمران أن تكون سيرًا"[3] ، وكان يروي في الفقه الأوزاعي وغيره من فقهاء الشام ، والمدينة المنورة ، ولا يقلد مذهبًا معينًا [4].

[1] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود علي مكي ، ص 29. ويقر ابن القوطية بأن عبد الرحمن بن الحكم هو أول من رتب اختلاف الوزراء إلى القصر ، وطريقة تنظيمهم . أنظر ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 187 .

[2] خليل ابراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 197.

[3] الخشني القروي ، المصدر السابق ، ص 72.

[4] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص 134. النباهي المالقي ، المصدر السابق ، ص 66.

وفي عصر الخلافة لُقب أحمد بن عبد الملك بن شهيد بذي الوزارتين ، وهو أول من تسمى بذلك في الأندلس إذ صنف ضمن وزراء الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، وكان حاجبه ، وتقلد ولاية الكور ، وقيادة الغزوات التي تعرف بالصوائف ، وهو من أهل الأدب والشعر[1].

وجعفر بن عثمان المصحفي (ت 372هـ/982)[2] فقد اشتغل كاتبًا لدى الخليفة عبد الرحمن الناصر، ثم تولى خطة الوزارة في أيام الخليفة الحكم المستنصر بالله ، ثم تقلد الحجابة في عهده إلى بداية أيام تولي ابنه هشام المؤيد بالله ، وقد كان جعفر مؤدبًا للحكم ، فاستخدمه للكتابة وهو أمير قبل توليه ، ثم عُين واليًا على جزيرة ميورقة في أيام الناصر ، ثم استوزره الحكم المستنصر بعد توليه الخلافة ، وضم إليه كذلك ولاية الشرطة[3].

وفي عصر ملوك الطوائف كَثُرَ عدد الوزراء ، حيث انتدب كل ملك في بلاطه فئة منهم خاصين به ، ومنهم على سبيل المثال الوزير ، والكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم(ت438هـ/1046م)[4] ،الذي تجول في بلاد الأندلس ، وكتب لبعض ملوك الطوائف ، ونال حظًّا وافرًا عندهم ، وحاضر في مجالسهم منهم بني ذي النون بطليطلة التي بها توفي ، ودفن ، وقد وضع المؤرخ ابن بسام الشنتريني مقارنة بينه وبين ابن عمه الفقيه ابن حزم علي بن أحمد الظاهري(ت456هـ/1063م) فقال:"كان أنبه من أبي محمد في حضور شاهده ، وذكاء خاطره وحسن هيئته ، وبراعه ظرفه ، وجودة أدبه ، وهو كان في زمانه في الجد ، والهزل صاحب اللواء في مجالس الأمراء...."[5].

واشتهر الوزير الكاتب أبو حفص بن برد الأصغر أحمد بن محمد(ت بعد 440هـ/1048م) ، وهو شاعر وأديب من بلغاء الكتاب ، وينتمي إلى بيت أدب ، ورياسة ، له " رسالة في السيف والقلم ، والمفاخرة بينهما " الذي يعد أول من كتب فيهما بالأندلس ، وله كتاب بعنوان "سر الأدب وسبك الذهب " يفخر فيه بنسبه إلى بيت أهله ، حيث اشتهروا بالأدب ، والبلاغة ، والشعر[6].

---

[1] الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 131-132. الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص237 .ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ص 136-137. الفتح بن خاقان ، المصدر السابق ، ص 166 وما بعدها.

[2] يكنى بأبي الحسن ، وهو من أهل العلم ، والأدب ، وله شعر كثير . الحميدي ، المصدر السابق ، ص 187.

[3] ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص 147. الفتح بن خاقان ، المصدر السابق ، ص 153 و ما بعدها.

[4] وهو ابن عم الفقيه الظاهري علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت456هـ/1063م) ، وهو من أهل الأدب ، والشعر ، والبلاغة. الحميدي المصدر السابق ، ص ص 292 – 293 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص555 .

[5] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص 133 .

[6] الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 115 – 116 . ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص 133 .ابن خاقان ، المصدر السابق ، ص 207. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 213 .

وكذلك الوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن أحمد البزلياني الذي كان في خدمة حبوس بن ماكسن (410-428هـ/1019-1037م) صاحب غرناطة ، ثم انتقل إلى خدمة بني عباد[1] ، ويعد البزلياني أحد شيوخ الكتاب وجهابذة أهل الآداب على حد وصف المؤرخ ابن بسام الشنتريني [2] .

ولقب المؤرخ ، والجغرافي ، والشاعر أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري(ت489هـ/1095م) بالوزير حيث كان في خدمة محمد بن معن المعروف بالمعتصم بن صمادح (443-484هـ/1038-1091م) صاحب المرية وبجانة ، وهو من رجال بلاطه اصطفاه لصحبته ، وآثر مجالسته ، ورفع مرتبته ، ولأبي عبيد البكري مصنفات من مختلف العلوم منها كتابه الموسوعة في الجغرافيا " المسالك والممالك " ، وكذلك له كتاب "إعلام نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم " أخذه الناس عنه[3] .

كما يوجد بعض المعلمين ممن لقبوا بالوزير كناية عن علمه ، وفضله ، ومكانته كمغيث بن محمد بن يوسف(ت 469هـ/1076م) الذي روى عنه بعض الأندلسيين ، ومنهم حفيده يونس بن محمد بن مغيث(ت532هـ/ 1137م) ،وغيره[4]، وأما أبو مروان عبد الملك بن سراج (ت489هـ/1095م) فقد لقبه المؤرخ ابن بسام الشنتريني بالوزير كذلك[5] ، وهو أحد أئمة اللغة بالأندلس ، عالم بمعاني القرآن ، والتفسير، والحديث ، والآداب والعربية ، والأشعار، والأخبار، والأنساب، وكان يُقرئ كتب اللغة ،والغريب، وإليه تعقد الرحلة بالأندلس، ووُصف بعلو مكانته ، وهيبة مجلسه ، وهو ينتمي إلى بيت فضل، ورياسة ، ويعد من أشهر بيوت موالي الأمويين بالأندلس

---

[1] عينه عباد بن محمد المعتضد بالله (433-461هـ/1042-1069م) كاتبًا لابنه محمد المعتمد(461- 484هـ/1069-1091م) عندما كان واليًا على أونبَة وشلطيش سنة 443هـ/1051م . ابن بسام الشتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م2 ، ص 624. و أونبة من مدن جبل العيون بالأندلس ، وهي مدينة محصنة تقع بين جبال ضيقة المسالك ، بها قناة للمياه تخرق تلك الجبال الشامخة حتى تصل المياه إلى المدينة ،وتسقى بها البساتين ، ولا يُعرف مصدر هذا الماء ، تتميز هذه المدينة بوجود آثار ، عجيبة، وهي مدينة برية ، وبحرية تبعد على البحر بنحو الميل . أما شلطيش فهي جزيرة لا سور لها ، وهي بنيان متصل ببعضه البعض ، تشتهر بوجود دار لصناعة الحديد الذي يصنع فيها مراسي السفن ، ويحيط البحر بجزيرة شلطيش من كل جهة إلا جزء بسيط يتصل بالبر، والمدينة تقع في الجزء الجنوبي من هذه الجزيرة التي هي مقابلة لمدينة أونبة المذكورة سابقًا، وبينهما نحو أربعة أميال ، وتشتهر مدينة شلطيش بوجود مرفأ للسفن . الحميري عبد المنعم ، المصدر السابق ، ص ص 63 ، 343 . 344

[2] ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص 624.

[3] الفتح ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص 189 وما بعدها . ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ص 271-272.

[4] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 907 .

[5] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م2 ، ص 808.

فقد خدم جده سراج (كان حيًّا 154هـ/770م) الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، وقد اختلف إليه الكثير من طلاب الأندلس، و نقلوا عنه في مختلف العلوم الشرعية، والأدبية ، والتاريخ والأخبار[1].

4 – السفراء :

أُختير بعض من كانت له مساهمة في مجال التعليم ، ولو بقراءة إنتاجه الفكري ، ومساهمته الشعرية بالأندلس لكي يكون ضمن سفراء الأندلس ، ومنهم على سبيل المثال الشاعر، والأديب يحيى بن الحكم الغزال(ت250 أو 251هـ/864 أو 865م) الذي لقب بحكيم الأندلس ، فقد أرسله الأمير عبد الرحمن بن الحكم في سفارة إلى بيزنطة في سنة 225هـ/839م ردًّا على سفارة مماثلة بعث بها الإمبراطور البيزنطي تيوفيل من نفس السنة [2] ،كما بعثه الأمير إلى ملك النورمان بعد هجماتهم على الأندلس سنة 229 هـ/ 843 م[3] .

وقد ذكر المؤرخ ابن بشكوال بأن أحد طلاب العلم بالأندلس ، وهو حبيب بن أحمد بن محمد بن نصر بن غرسان (كان حيًّا404 هـ/ 1013م)[4] المعروف بالشَّطجيري قد دون شعر يحيى بن الحكم الغزال، ورتبه على الحروف[5] .

وكذلك الفقيه القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي (ت486هـ/1093م) الذي أرسله صاحب غرناطة عبد الله بن بلقين(465-483هـ/1073-1090م) كرسول له إلى يوسف بن تاشفين (410-500هـ/1019-1106م) عندما عزم على العبور إلى الأندلس لضمها إلى دولته ، و قد كان ابن سهل من كبار الفقهاء ، والعلماء بالأندلس ، عارفاً بالنوازل ، والأحكام له كتاب في ذلك[6].

---

[1] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2، ص 530 وما بعدها .

[2] لمعرفة تفاصيل هذه السفارة أنظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن حجي ، ص 344. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، م4 ص 282 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 272 . ج2 ، ص 380 وما بعدها . ليفي بروفنسال ، الحضارة العربية في اسبانيا ص 130 . البنداق محمد صالح ، المرجع السابق ، ص 17 وما بعدها. ماهر حمادة محمد ، **الوثائق السياسية ،والإدارية في الأندلس ،وشمال افريقية** ، مؤسسة الرسالة ،ط2 ، بيروت ، 1986 ، ص 146 وما بعدها . نصر الله سعدون ، **تاريخ العرب السياسي في الأندلس** ، دار النهضة العربية ، ط1 ، بيروت ، 1998 ، ص 91 . عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 89.

[3] ابن دحية الكلبي ، المصدر السابق ، ص 133 وما بعدها . ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج2، ص 57 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ج2 ، ص 380 . عنان محمد عبد الله ، تراجم إسلامية مشرقية و أندلسية ، ص 158 ، و ما بعدها . أ. ليفي بروفنسال ، **الإسلام في المغرب، والأندلس** ، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ، صلاح الدين حلمي محمد ، مراجعة لطفي عبد البديع ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، 1990 ، ص 104 . البنداق محمد صالح ، المرجع السابق ، ص 93 و ما بعدها .

[4] شاعر ، وأديب من أهل قرطبة ، يكنى بأبي عبد الله ، ولد سنة 324هـ/935م ، روى عنه بعض طلاب الأندلس ، ابن شكوال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 249 .

[5] نفسه .

[6] نفسه ، ج2 ، ص 635- 636 . النباهي المالقي ، المصدر السابق ، ص ص 127- 128.

أما الأديب اللغوي يحي بن هشام بن أحمد بن الأصبغ القرشي(ت437هـ/1045م) المعروف بابن الأفطس الذي وُصف بأنه كان بارعًا في الأدب، وعالمًا بالعربية ، واللغة ، ومعاني الأشعار الجاهلية ، والاسلامية، مشاركًا في غير ذلك من العلوم ، فقد توفي ببطليوس رسولًا[1] .

كما توجد وظائف أخرى اشتغل بها المعلمون زيادة على ما سبق كخطة الرد وأحكام المظالم[2]، والشرطة[3] والولاية على الكور[4] ، وتحرير العقود والفرائض[5] ، وغيرها .

---

[1] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3، ص ص 958 – 959 . وابن الأفطس المذكور أعلاه هو غير المظفر بن الأفطس أبو بكر محمد بن عبد الله (437- 460هـ/1045-1067م) صاحب بطليوس .

[2] هي وجه من أوجه القضاء ، تختص بإعادة النظر في القضايا ، والشكاوى فيما استرابه الحكام من بعض الأحكام ، والقرارات المتخذة من قبل القضاة ، ولا يتلقى صاحب الرد الشكاوى من طرف العامة مباشرة ، وانما يكلف من طرف الحكام ،كما يختص بالنظر إلى المظالم التي ترفع ضد الخاصة ، وكبار موظفي الدولة ، وتسمى هذه الخطة في المشرق بالمظالم ، ووظف هذه المصطلح كذلك لبعض الأندلسيين الذي اشتغلوا بهذه الوظيفة ، ولقد عرف النباهي المالقي بصاحب خطة الرد بقوله : "ويسمى صاحب رد بما رُدَّ عليه من الأحكام (...) ، وإنما يحكم صاحب الرد فيما استرابه الحكام ، وردوه عن أنفسهم "، ومن الذين كلفوا بهذه المهمة أحمد بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير(ت327هـ/938م) الذي حدث عنه بعض الأندلسيين ، وكذلك يحي بن عبد الله بن يحي بن يحي بن يحي الليثي (ت367هـ/977م) الذي كان قاضيًّا ببجانة والبيرة ، ثم عين على أحكام الرد بقرطبة ، وقد عمر إلى أن حدث عنه طلاب العلم في وقته ، ورحل إليه الناس من جميع كور الأندلس للسماع الشيوخ ،والكهول وكذلك الخليفة هشام المؤيد بالله في صباه سنة 364هـ/974م ، وسمع منه ابن الفرضي نفسه سنة 366هـ/976م. ابن الفرضي ، المصدر السابق، ق1 ، ص ص 37-38. ق2 ، ص ص 191-192. النباهي المالقي ، المصدر السابق ، ص20. خليل إبراهيم الكبيسي، المرجع السابق، ص ص 181 -182.

[3] ويسمى من يتولاها في الأندلس بصاحب الشرطة ، أو صاحب المدينة، يتقلد هذه الخطة كبار القواد ، وعظماء الخاصة، والفقهاء وفي أيام حُكم بني أمية بالأندلس انقسمت إلى نوعين شرطة كبرى ؛ التي تختص بالنظر في شؤون كبار الدولة ، والخاصة، والعمال، وأصحاب المراتب والوظائف السلطانية عندما يتجاوزون الحدود ، ويتولى شؤونها الوزراء ،أو الحجاب . أما الصغرى فهي التي تنظر في شؤون العامة ، ويتولاها الفقهاء خاصة ، ومن الذين تقلدوا هذه الخطة أحمد بن محمد بن يوسف المعافري(ت 368هـ/978م) وهو الذي استأدبه الخليفة الحكم المستنصر لابنه وولي عهده هشام. ابن الفرضي ، ق1 ، ص 49 ابن خلدون ، المقدمة ، ج3 ، ص ص 653-354. خليل ابراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ص ص 200-201 .

[4] كمالك بن يحي القرشي (عاش في القرن 3هـ/9م) تلميذ ، وصاحب المحدث بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) الذي وُصف بأنه كان بليغًا وشاعرًا ، وكذلك الأديب ، والمحدث ، والاخباري ، والشاعر مصعب بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدي (كان حيًّا قبل 440هـ/1048م) وهو ابن المؤرخ ، والقاضي أبي الوليد ابن الفرضي(ت403هـ/1012م) الذي تولى ولاية الجزيرة الخضراء .ابن الفرضي المصدر السابق ، ق2 ، ص 02. ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3، ص ص 904-905.

[5] وهي ما يقابلها في العصر الحالي مهنة الموثق أو الكاتب العمومي ، ومن الذين مارسوا هذه الخطة أبو عمر أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الكلاعي المعلم (ت391هـ/1000م) المعروف بابن الضحى ، الفقيه الذي عمل في عقد الشروط ، وكان يُجتمع إليه للتفقه ، والقراءة عليه . ابن الفرضي، المصدر السابق ،ق1 ،ص 59.

وتجدر الاشارة إلى أنه يوجد الكثير من العلماء، والفقهاء قد تقلدوا، وتدرجوا في العديد من الخطط والمسؤوليات فمثلًا المؤرخ، واللغوي، والأديب أبو بكر بن القوطية محمد بن عمر بن عبد العزيز(ت367هـ/977م) تولى القضاء ، ثم الشورى ، وتصرف في الخطط [1] ، أما المحدث عبد الرحمن بن محمد بن فطيس (ت402هـ/1011م) فقد تقلد أحكام المظالم ، ثم عين قاضي الجماعة بقرطبة سنة 394هـ/1003م ، وعين كذلك على الوزارة ، ثم صرف عن القضاء ، والصلاة سنة 395هـ/1004م[2] .

مما سبق ذكره فإنه تبين بكل وضوح مظاهر مشاركة الكثير من المعلمين في الحياة السياسية، ودورهم في تسيير الدولة في مختلف العصور– فترة محل الدراسة – وعلى اختلاف درجات ،وطبقات المعلمين، وكذلك تخصصاتهم في العلوم الشرعية أو الأدبية، وغيرهما، وقد برهنوا على كفاءتهم في مختلف أشكال التسيير، والتنفيذ كل حسب ما كلف به إما في القضاء، أو الوزارة ، أو السفارة ، ويمثل أصحاب هذا الاتجاه المعلمون ،والعلماء الذين رأوا بأنه لاحرج في الدخول إلى السلطان ، والتقرب إليه ، وحتى الدخول في حاشيته القائمة على شؤون الدولة[3]، وفي حين هناك اتجاه آخر رأى عكس ذلك ، و حتى شكك فيمن يخالط السلطان ، و يدخل عليه ، و يقبل المناصب ورأى أصحابه بأن العالم ينبغي له الانكباب على العلم ، ونشره بين الطلاب ، وترك ملذات الدنيا ، والاستعفاف في حالة ما إذا عرض عليه تقلد المناصب ، وهؤلاء هم المعلمون الذين رفضوا المشاركة في الحياة السياسية .

ب)- المعلمون المعارضون للسلطة : ولم يكتف المعلمون بالمشاركة في تقلد المناصب بل في بعض الأحيان عارضوا قراراتها ، وانتقدوا حكام الدولة وجاهر بعض المعلمين بآرائهم ، ومواقفهم لبعض السياسات القائمة ولقد اختلفت، وتعددت مظاهر انتقاد السلطة السياسية القائمة آنذاك – فترة محل الدراسة– فمنها مثلًا التعبير عن عدم الرضا على سياسة الحاكم ، أو حتى التعاون فيما بينهم للإطاحة به .

و في عصر الامارة شهدت فترة الحكم بن هشام (180-206هـ/796-822م) ثورتين بارزتين لفئة الفقهاء ضد السلطة الحاكمة وهما :

– الثورة الأولى سميت بالهيج ، وحدثت سنة805/189م ، والتي حاول فيها الفقهاء كيحي بن مضر القيسي ومالك بن يزيد التجيبي ،وغيرهما تدبير محاولة للتغلب على الأمير الحكم ، واختيار شخصية بديلة له فكان

---

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 76- 77 .

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص466 وما بعدها . النباهي المالقي ، المصدر السابق ، ص 116 .

[3] ومنهم مثلًا الفقيه أحمد بن خالد (ت322هـ/933م) ، والمحدث ابن عبد البر النمري (ت463هـ/1070م) الذي ألف رسالة في مسألة قبول جوائز السلطان بعد أن عاب عليه علماء عصره ذلك ، في نفس الوقت أشار على أن العالم لا يجب عليه الدخول إلى السلطان **الظالم** ، وأفرد بابًا لهذا الغرض في كتابه جامع بيان العلم ، وفضله . أنظر ابن عبد البر النمري ، جامع البيان العلم و فضله، ص 188. المقري التلمساني المصدر السابق ، ج4 ، ص 65 ، محمد محمود عبد الله بن بية ، المرجع السابق ، ص41 .

الاختيار للقاسم بن محمد المعروف بابن الشماس، وهو من أبناء عمومة الأمير، وعرضوا على هذا الأخير مبتغاهم فتظاهر بالقبول، وطلب منهم عدم التعجيل ، وأن يتركوه يستخير في الأمر ، ولكنه في السر ، والخفاء أبلغ الأمير بهذا المخطط ، فألقى الأمير القبض عليهم ، وأعدم الكثير منهم في قصره ، وبلغ عددهم اثنين وسبعين رجلًا[1] .

-الثورة الثانية هي ما اشتهرت بثورة الربض (202هـ/817م)[2]، ومن أسبابها :

أ /- أن الأمير الحكم بن هشام أدرك مدى نفوذ الفقهاء القوي في شؤون الدولة ، والعامة على حد سواء فقد كان أسلافه من الأمراء ، ومنهم أبوه هشام يولون أهمية كبيرة للجانب الديني ، لاكتساب الشرعية في الحكم فراحوا يقربون الفقهاء ، ورجال الدين ، وأصبحوا يستشيرونهم في أمور الحُكم ، واستسلم أبوه لنفوذهم ، وعظُم شأنهم ، فلما تولى الحَكَمُ الامارة حاول الحد من تدخلاتهم في شؤون الدولة ، فسخطوا عليه ، واستغلوا نفوذهم ومكانتهم الاجتماعية لهذا لجأوا إلى تأليب العامة ضده[3].

ومن الأخطاء التي سجلها الفقهاء ضد الحكم أنه لم يستشرهم في تعيين قاضي الجماعة بعد وفاة القاضي مصعب بن عمران ، فراح يُعيِّن محمد بن سعيد بن بشير[4] ، ولم يستشيرهم كذلك لما فرض الجباية التي سميت بالمعاون ، والمغارم ، وكذلك قيامه بقتل الكثير من أهل طليطلة سنة181هـ/797م لإرغامهم على طاعته ،والتي بلغ عدد قتلاها أكثر من خمسة آلاف ، و ثلاثمائة ، و قيل وسبعمائة[5] .

ب/- شخصية الحكم في حد ذاتها ، إذ اشتهر بأنه كان أمير شديد الحزم، معروف بالقسوة في تصرفاته ،وأحكامه حتى أنه وصف بالطاغية المسرف، والمتهاون بأمر ربه ،زيادة على إنهما كه في الملذات ، وشرب الخمر، والجهر بذلك ، وتفضيله مجالسة الشعراء، والأدباء على الفقهاء ، و العلماء ، وولعه بحفلات الغناء ، وايثاره للصيد ،لهذا وجد الفقهاء سببًا للطعن في شخصيته ، وسلوكه الأخلاقي ، واتهامه بالفسق ، والمجون حتى أنهم لقبوه بالمخمور

---

[1] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 68 . ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 71 . حسين مؤنس ، شيوخ العصر ، ص25. محمد سهيل طقوش ، تاريخ المسلمين في الأندلس ، ص ص 189 – 190 .

[2] حول تعريف الربض أنظر إلى الفصل الثاني من هذه الدراسة ، ص 172 ، الهامش 01 .

[3] السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص223 .

[4] كان كاتبًا للعباس بن عبد الله المرواني عامل بجانة ، ثم رحل إلى المشرق ، وحج ، وسمع من الامام مالك بن أنس (ت179هـ/795م) ، ثم عاد إلى الأندلس فعينه مصعب بن عمران كاتبًا له . ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص64 .

[5] نفسه ، ص 67 . ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 69-70 . ابن خلدون ، المصدر السابق، ج4 ، ص162 . حسين مؤنس ، شيوخ العصر ، ص ص 23 – 24 . السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص222 .

ووصل بهم الأمر حد الاستخفاف به ، إذ كانوا ينادونه ليلًا من أعلى الصوامع : " الصلاة الصلاة يا مخمور"[1] وتحدوه علنًا بأن أصبحوا يشتمونه على الطريق ، و يصفقون عليه بالأيدي [2].

ج/- تعيين الأمير الحكم خادمه وقائد حرسه الشخصي الصقلبي ربيع القومس المتولي على النصارى المعاهدين وتكليفه بجمع الجباية من المسلمين ، مما أدى إلى سخط مسلمي أهل قرطبة على تعيين نصراني في تحصيل الجباية منهم، زيادة على سخطهم في فرض ضريبة أخرى جديدة تتمثل في تحصيل عشر الأطعمة من كل سنة [3] .

وأدرك الأمير الحكم بن هشام بسخط العامة ، وتذمر طبقة العلماء ، والفقهاء منه ، فشرع في تحصين العاصمة قرطبة ، وقصر الامارة ، وترميم أسوار المدينة ، وحفر الخنادق حولها ، واستكثر من المماليك ، والجند ،والحشم ورتبهم على باب قصره ، وهو أول من جند بالأندلس المرتزقة ، وبلغ عددهم نحو خمسة آلاف ، لا يفارقون باب قصره[4] .

- **أحداث ثورة الربض** :

وفي 13 رمضان من سنة 202هـ الموافق لـ25 مارس818م حدثت الشرارة التي تسببت في اندلاع ثورة الربض فقد قصد أحد جنود الأمير حدَّادًا بحي الربض لإصلاح سيفه، فماطله الحداد ، مما أدى إلى نشوب نقاش حاد بينهما ، فأخذ الجندي المملوك سيفه ، وأجهز به على الحدَّاد إلى أن قتله ، وأدى هذا الحادث إلى إثارة غضب سكان الربض الحاقدين على الأمير، فقتلوا الجندي ، وأغلقوا متاجرهم ، وتجمعوا للاحتجاج ، واستغل الفقهاء هذه الحادثة ، وانظموا إليهم ، ونادوا بخلع الأمير الحكم ، وكان من ضمن هؤلاء الفقهاء طالوت بن عبد الجبار[5] والفقيه يحيى بن يحيى الليثي(ت234هـ/849م)، وغيرهما ، وكأنهم كانوا ينتظرون هذه الحادثة ، فثار أهل ربض

[1] ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج1، ص43. ابن الأثير ، المصدر السابق، ج5، ص 413 . السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 223. خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق، ص ص 146- 147 .

[2] ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 413. حسين مؤنس ، **موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ ، وفكر ، وحضارة ، وتراث** ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط2 ، القاهرة ، 2009، ج1 ، ص 73.

[3] ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 413 . حسين مؤنس ، شيوخ العصر ، ص ص 23 – 24 . محمد سهيل طقوس ، المرجع السابق ص189 .

[4] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 160–163 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج1 ، ص268 . السيد عبد العزيز سالم المرجع السابق ، ص220. محمد سهيل طقوس ، المرجع السابق، ص190 .

[5] فقيه له رحلة إلى المشرق ، حج فيها ، ولقي الإمام مالك بن أنس(ت179هـ/795م) ، وعاد إلى قرطبة حيث شارك مع الفقهاء في ثورتهم ضد الحكم بن هشام . المقري التلمساني ، المصدر السابق، ص 233 .

شقندة – وهو الربض الجنوبي من المدينة ،ثم انضمت باقي الأرباض من أهل المدينة ، ودخلوا في هذه الموجة من الاحتجاجات[1] .

وأما أهل القصر الأموي فقد جمعوا السلاح ، والجند ، ودخلوا في معركة معهم أدت إلى تفوق الربضيين[2] وحاصروا قصر الامارة ، وقدم الأمير الحكم بن هشام مواقف نادرة من الشجاعة، والحنكة ، والذكاء ، والدهاء إذ كلف قائدين هما عبيد الله بن عبد الله البلنسي صاحب الصوائف ، واسحاق بن المنذر على رأس فرقة من الفرسان ، والجند بالخروج من القصر دون أن يتفطن لهم الريضين المحاصرين للقصر، والذهاب إلى دور الربض وإحراق منازلهم ، وأبقى على فرقة لحمايته بالقصر يتقدمهم حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث وفطيس بن سليمان[3] ، وكلف من يخبر العامة بما نزل بدورهم ، ومنازلهم ، فهبوا راجعين إلى بيوتهم لإنقاذ عيالهم فتتبعهم الجنود ،وأحاطوا بهم من كل جانب ، وقتلوا منهم عددًا كبيرًا ، وتتبعوا البعض الآخر في الطرق ، والشوارع و نجا بعضهم ، وقُبض على ثلاثمائة منهم ، فصلبوا على ضفاف نهر الوادي صفًّا واحدًا ، ومن الفقهاء الذين استطاعوا الفرار طالوت بن عبد الجبار، وعيسى بن دينار(ت212هـ/827م) ، ويحيى بن يحيى الليثي (ت234هـ /849م)، حيث قصدوا طليطلة [4] .

وأباح الحكم القتل ، والنهب ، وتخريب أرباض قرطبة ثلاثة أيام ، ثم نودي بالأمان على أن يخرج من شارك في الثورة من أهل قرطبة ، بعد أن استشار الأمير الحكم قائده ، وحاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث[5] .

كما أعطى الأمان لأهل العلم والفقهاء على الأنفس، والأموال ، وسمح لهم بالترحال في جميع كور الأندلس ما عدا العاصمة قرطبة ، وما قرب منها ، وقيل بأنه عفى عنهم ، ومنهم من عاد إلى قرطبة كالفقيه يحيى بن يحيى الليثي [6] .

---

[1] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص26 . يذكر ابن خلدون ، والمقري ، بأن الحركة الاحتجاجية بدأت بالربض الغربي من قرطبة . ابن خلدون المصدر السابق ، م4 ، ص 162. المقري التلمساني ، المصدر السابق، ج1 ، ص 266 . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ص 224 .

[2] ابن الأثير ، االمصدر السابق ، ج5 ، ص 414 . لسان الدين بن الخطيب ، المصدر السابق، ص15. محمد سهيل طقوس ، المرجع السابق ص 191 ، خليل إبراهيم الكبيسي ، ص ص 152-153 . السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 223 .

[3] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص76 .السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص223- 224. محمد سهيل طقوس المرجع السابق ، ص192 .

[4] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص68. ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص 34 . ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص76. السيد عبد العزيز سالم ، المرجع سابق ، ص 224 . محمد سهيل طقوس ، المرجع السابق ، ص 192 .

[5] ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج5 ،ص414 .

[6] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ، ص180.

وأمر الحكم بإخلاء الربض من أهله ، وهدمه ،وحرث أرضه ، وزراعته فلم يعمر طيلة حكم بني أمية بوصية منه إلى بنيه[1] .

ومن الحركة التي قام بها الفقهاء في ثورة الهيج سنة189هـ/805م ، وثورة الربض202هـ/818م ، يمكن الخروج باستنتاج فائدتين ، لهما علاقة بموضوع البحث فيما يخص دور المعلمين السياسي ، وهما :

1- المكانة التي احتلها المعلمون في نفوس العامة ، وقدرتهم على تأليبهم ضد السلطة السياسية الحاكمة المتمثلة في الأمير الأموي الحكم بن هشام الذي أصبح يعرف بالربضي ، فهؤلاء الفقهاء هم مدبرو هذه الثورة ، وهُم كذلك من كبار معلمي ، وعلماء الأندلس ومنهم مثلًا أبو زكريا يحيى بن مضر القيسي (صُلِّبَ 189هـ/ 804م)[2] ، الذي روى عنه الامام مالك بن أنس حديث قال فيه : " حدثني يحيى بن مضر الأندلسي عن سفيان الثوري أن الطلح المنضود هو الموز" ، كما سمع منه طلاب الأندلس ، وكبار فقهائها ، ومنهم الفقيه يحيى بن يحيى

---

[1] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود علي مكي ، ص ص 434-435 ، ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص34. لسان الدين بن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 16. خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 153. وأما الربضيون الذين أخرجوا من قرطبة فقد انقسموا إلى ثلاثة مجموعات ، فمنهم من رحل إلى باقي أقاليم الأندلس ، ومنهم من هاجر إلى العدوة المغربية ، حيث استقروا بالساحل ثم انتقلوا الى مدينة فاس حديثة البناء ، ورحب بهم إدريس الثاني (188-213هـ/803-828م)، فاستقروا بها، ونقلوا إليها مختلف مظاهر الحضارة الأندلسية فقد كان منهم التجار، والحرفيين ،والصناع ، والفلاحين ، فاصبغوا على هذه المدينة الطابع الأندلسي ، وأصبحت تسمى بعدوة الأندلس ، أو مدينة الأندلسيين ، أما المجموعة الثالثة من الربضيين ، والذين بلغ عددهم نحو خمسة عشر ألفًا فقد ركبوا البحر حتى وصلوا إلى الإسكندرية ، واستولوا عليها ، وملكوها نحو عشرة أعوام إلى انتزعها منهم عبد الله بن طاهر عامل الخليفة المأمون بمصر في صفر 212هـ/ماي827م بعد حصار لمدة عشر أيام ، فاضطر الربضيون لمصالحته ، وخيرهم في النزول حيث شاءوا من عمل مصر ،وجزائر البحر، فاختاروا الابحار ثانية إلى جزيرة ايقريطش (كريت) ، فافتتحوها ، وأقاموا فيها دولة استمرت زهاء مائة ، وخمسة ، وثلاثين عامًا (135) نشروا فيها الإسلام ، وأسسوا المدن والحواضر بها وأنشأوا عاصمة لملكهم هي مدينة الخندق، والتي سميت فيما بعد باسم قندية ، واستطاع البزنطيون استعادة هذه الجزيرة في عام 349هـ/960م أو 350هـ/961م . ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 69. ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 77.حسين مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس، ص 74. السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق، ص ص 224-225. محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 193.خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 154

[2] شامي الأصل ، سكن قرية شقندة بالقرب من قرطبة ،له رحلة إلى المشرق حج فيها ، وسمع من أئمة الفقه كسفيان الثوري (ت161هـ/778م) والامام مالك (ت179هـ/795م) ، وهو أحد الفقهاء الذين فتك بهم الأمير الحكم بعد أن كشف أمرهم لخلعه ، وبيعة ابن عمه القاسم بن محمد بن منذر بن عبد الرحمان الداخل ، ويحيى بن مضر القيسي، وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ وفاته فابن الفرضي ، وابن عذارى يذكران بأنه صُلب سنة 189هـ/805م أما الحميدي فيذكر سنة 190هـ/806م . ابن الفرضي ، المصدر السابق ،ق2 ، ص 177. الحميدي ، المصدر السابق ، ص ص 378-379 ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 69 . ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 71. حسين مؤنس، المرجع السابق ، ص 74.

الليثي(ت234هـ /849م) قبل رحلته إلى المشرق ، ووصف بأنه كان عالمًا متفننًا صاحب رأي ، قدوة في الدين والورع[1].

وكذلك الفقيه عيسى بن دينار بن واقد الغافقي(ت212هـ/827م)[2] الذي رحل فسمع ، ولما عاد إلى الأندلس أصبحت الفتيا تدور عليه لا يتقدمه في وقته أحد حتى قيل بأنه هو أول من علم الأندلسيين علم المسائل الفقهية ، وقيل بأنه كان أفقه من يحي بن يحي الليثي ، وألف تلميذه الفقيه محمد بن عمر بن لبابة (ت314هـ/ 926م) كتابه البيوع من سماعه عن الفقيه عيسى بن دينار ، وهو الذي قال في حقه كلمته المشهورة التي تكررت في كتب التراجم " فقيه الأندلس عيسى بن دينار ، وعالمها عبد الملك بن حبيب ، وعاقلها يحي بن يحي "[3] وكان إمامًا في الفقه على مذهب الامام مالك ، وألف في هذا المذهب كتابه الهداية [4].

أما الفقيه المعلم قرعوس بن العباس بن قرعوس بن عبيد(ت220هـ/835م)[5] الذي رحل إلى المشرق ، فسمع من سفيان بن سعيد الثوري (ت161هـ/777م)[6]، وكذلك من فقيه الديار المصرية الليث بن سعد(ت175هـ/ 791م)[7] ، ومن مالك بن أنس(ت179هـ/795م) ، وغيرهم ، وكان الفقيه قرعوس يختص في علم المسائل

---

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق2 ،ص177 الحميدي، المصدر السابق، ص ص 378-379 .الضبي، المصدر السابق، ج2 ،ص680. المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج1 ،ص270 . حسين مؤنس ، شيوخ العصر، ص25 .

[2] أصله من طليطلة ، سكن قرطبة ، يكنى بأبي عبد الله ، وتوفي بطليطلة ، ودفن بها . ابن الفرضي، المصدر السابق ، ق1 ، ص 331.

[3] نفسه ، ق1 ، ص ص 272 ، 331. الفتح ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص ص 234-235.المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ص 185.

[4] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 298. الضبي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 525. المقري التلمساني ، المصدر السابق، ج4 ، ص 15.

[5] من أهل قرطبة ، يكنى بأبي الفضل ، وأبا محمد ، ابن الفرضي ،المصدر السابق، ق1 ، ص ص 372-373. وذكره المقري باسمه فرغوس بن العباس . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 215.

[6] يكنى بأبي عبد الله ، ولد سنة 97هـ/715م ، كان إمامًا في علم الحديث ، وغيره من العلوم ، وهو من أهل الكوفة بالعراق، فيها ولد، ونشأ توفي بالبصرة . ومن مؤلفاته "الجامع الكبير "، و"الجامع الصغير" في الحديث ، وكتاب في "الفرائض" .ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 386 وما بعدها . محمد بن سعد بن منبع الزهري ، **كتاب الطبقات الكبير** ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي، ط1 ، القاهرة ، 2001 ج8 ، ص492 وما بعدها .خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص ص 104-105.

[7] يكنى بأبي الحارث ، فقيه ، ومحدث، وإمام عصره بمصر ، أصله من أصفهان بالفرس ، وولد بقرشندة (إحدى القرى المصرية) سنة 94هـ/712م قال الفقيه الإمام الشافعي(ت204هـ/819م) في حقه : الليث بن سعد أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به ". ياقوت الحموي المصدر السابق، ج4 ، ص ص 327-328. وقال ابن خلكان بأنه من أهل قلقشندة ، وهي قرية من الوجه البحري من القاهرة بينهما ،وبين القاهرة مقدار ثلاثة فراسخ .ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 168. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج5 ، ص 248.

الفقهية على مذهب الامام مالك بن أنس، روى عنه بعض طلاب الأندلس، كعبد الملك بن حبيب(ت238هـ/ 852م)، وأصبغ بن خليل(ت273هـ/886م)[1]، وغيرهم.

2- اقتنع الأمير الحكم بأنه لا يمكن الاعتماد على القوة العسكرية لوحدها ، فلابد له من إضفاء الصبغة الشرعية لسلطته ، وهذا باستمالة العلماء ، والفقهاء ، لهذا عفى عن الفقهاء المشاركين في ثورة الربض ، وسمح لهم بالعودة إلى قرطبة ، وأعطى لهم الأمان على ذلك فقد عاد يحيى بن يحيى الليثي ، وطالوت بن عبد الجبار، وعيسى بن دينار فقربهم ، وأصبح يستشيرهم ، وأعلن عن ندمه ، وتوبته على ما قام به من أعمال ، وأصابته العلة مدة أربع أو سبع سنين ، فكان يسهر بالقرآن إلى أن توفي[2].

ومن الأمثلة الأخرى الدالة على انتقاد المعلمين للسلطة السياسية في عصر الامارة ، تهديد الفقهاء بالنزوح أو الخروج من الأندلس إن لم تضع السياسية الحاكمة المتمثلة في الأمير عبد الله(275-300هـ/888-912م) حدًّا و موقفًا صارمًا من تهديدات المطرف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم(ت277هـ/890م)[3] لهم إما بالوقوف معه في حركته التمردية ضد أبيه للاستيلاء على الحكم ، أو قتلهم ، ويتقدم هؤلاء الفقهاء عبيد الله بن يحيى(ت298هـ/910م)، ومحمد بن عمر بن لبابة(ت314هـ/926م) ، وتوجه الفقهاء إلى أحد حجاب الأمير عبد الله وهو سعيد بن المنذر المعروف بان السليم ، وقالوا له :" إنا قد بُغِينا على الجلاء عن دورنا بإخافة مطرف لنا ، ورغبته إلينا في البيعة له ، وخَلع أبيه ، فإن كنتم تحموننا ، و إلا صرنا إلى الجلاء ، فمعنا علوم لسنا نفقد من يُكرمنا بها حيث توّجهنا "[4].

---

[1] ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 372-373.

[2] ابن القوطية ،المصدر السابق ، ص 72. ابن الأبار ، المصدر السابق، ص 35. خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص 156.

[3] أحد أبناء الأمير عبد الله الطامحين للتغلب على السلطة ، فبعد أن عين الأمير عيد الله ابنه محمد(ت277هـ/ 890م) وليًّا للعهد قابل مطرف هذا الاجراء بمحاولات للحد من تنفيذه ، فدبر مقتل أحد فرسان أخيه محمد ، وقام بإطلاق سراح السجناء ، وخاف من سطوة أبيه الأمير عبد الله عليه ، فلحق بقاعدة ببشتر عند عمر بن حفصون(ت305هـ/917م) الثائر على السلطة المركزية بقرطبة ، وبقي إلى أن أرسل إليه أبوه يطلبه وأعطاه الأمان ، وقبل توبته ، ولكن بعودته إلى قرطبة لم يهنأ لمطرف البال حتى دبر مكيدة بقتل أخيه محمد حيث أغرى إلى الأمير عبد الله بأنه على اتصال مع الثائر ابن حفصون , ويغريه على تولي الامارة ، فقام الأمير عبد الله بسجن ابنه محمد ، وفي السجن دخل عليه أخيه مطرف وأجهز عليه، وقتله ، وتأثر الأمير عبد الله بذلك، وقام بتربية عبد الرحمن بن محمد حيث كان هو خليفته من بعده، وقيل بأن الأمير عبد الله قام بقتل المطرف بسبب قتله لأخيه محمد، كما قيل بأنه قتله بعد أن أرسله بالصائفة سنة 283هـ/896م مع الوزير عبد الملك بن أمية ففتك المطرف بالوزير، وقتله بسبب عداوة بينهما سابقة ، وبهذا ثأر الأمير عبد الله لابنه محمدا ، والوزير معًا .ابن القوطية ، المصدر السابق، ص ص 117-118 .ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج2، ص150 .ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج4 ، ص ص 175 -176 . لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام ، ص 28.

[4] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ص 117 – 118 .

وفي ميدان القضاء رفض القاضي النضر بن سلمة الطلب الذي التمسه منه الأمير عبد الله بإعطائه أموال الورثة الموجودة بالجامع ، فقام بعزله[1] .

أما في عصر الخلافة فقد انتقد قاضي الجماعة بقرطبة منذر بن سعيد البلوطي (ت355هـ/966م) الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) بسبب تفرغه ، وولعه ببناء مدينة الزهراء ، هذا الولع الذي أدى بالخليفة إلى أن يغيب على صلوات الجمعة لثلاث مرات متتالية ، وعندما حضر الخليفة لإحدى الجمعات ، قام منذر بن سعيد يوبخه على الاسراف وتشييد البنيان ، ويعظه ويحذره من إتباع هوى النفس ، والاعجاب والافتنان بزخارف الدنيا ، وعلى الرغم من أن الخليفة الناصر تأثر بهذه الخطبة ، فبكى ، وندم على ذلك ، إلا أنه شكا به إلى ابنه وولي عهده الحكم المستنصر ، وأقسم بأن لا يصلي خلفه في صلاة الجمعة من بعد ذلك[2] .

كما حدثت مؤامرة أخرى للقضاء على الخليفة عبد الرحمن الناصر، وقتله ، وتعيين ابنه عبد الله (قُتل 338هـ/949م) بدلًا منه ، الذي كانت علاقته بأبيه سيئة ، ربما بسبب تعيين الحكم المستنصر وليًّا للعهد[3] وكان لبعض الفقهاء دور في الوقوف مع عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، إذ كان أكثر حظًّا من الحكم في نفوسهم فقد كان محبًا للعلم ، والعلماء ، سمع منهم ، وحدث عنهم ، وله مؤلفات تدل على مدى تمكنه ، فقد ألف كتابه " العليل والقتيل في أخبار ولد العباس "، و كذلك كتابه "المسكتة في فضائل بقي بن مخلد" وكان فقيهًا شافعيًّا شاعرًا ، اخباريًّا[4] .

ومن الفقهاء الذين وقفوا مع عبد الله بن عبد الرحمن الناصر الفقيه أحمد بن محمد بن عبد البر(ت338هـ/ 949م)، وأحمد بن عبد الله بن العطار(ت345هـ/956م)[5] ، فقد اتفقوا على قتل الخليفة عبد الرحمن الناصر وولي عهده الحكم في أحد أيام العيد ، وعَلِمَ الخليفة عبد الرحمن الناصر بهذه المكيدة ، فأرسل من يقبض على الفقيهين ، وسجنهما بالزهراء ، حيث قَتَلَ أحمد بن محمد بن عبد البر في السجن الذي كان هو الرأس المدبر لهذه العملية حسب قول عبد الرحمن الناصر " فأنا أعلم أنه الذي زين لهذا العاق ذلك ليكون قاضي الجماعة ، ويأبى

---

[1] ابن سعيد ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 153 . خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص138.

[2] الفتح ابن خاقان ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، ص 245 وما بعدها . النباهي المالقي ، المصدر السابق، ص 93. المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج2 ، ص ص 89- 90 .

[3] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص217 ، 228 .

[4] ابن الأبار، المصدر السابق ، ص120 . تميز بالعلم ، والذكاء ، والنبل. ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق، ج2، ص ص 217، 228.

[5] من أهل قرطبة ، يكنى بأبي عبد الملك ، سمع من علماء بلده ، كان بصيرًا بالحديث ، فقيهًا له كتاب في الفقهاء بقرطبة ، توفي بالسجن . ابن الفرضي ،المصدر السابق ، ق1 ، ص ص 38-39.

الله ذلك "[1] ، كما قام بقتل ابنه عبد الله ، أما الفقيه أحمد بن عبد الله بن العطار فقد توفي بعد هذه الحادثة بسبع سنوات[2].

وفي الميدان العلمي رفض العالم اللغوي ، والأديب تمام بن غالب بن التياني(ت436هـ/1044م) طلب مجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية (412- 436هـ/1021-1044م) بأن يضيف في مقدمة كتابه جملة وهي : " ومما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد "، ورد إليه الدنانير، والكسوة التي أرسلها إليه لهذا الغرض وقال قولته المشهورة :" والله لو بذلت لي الدنيا على ذلك ما فعلت ، ولا استجزت الكذب فإني لم أجمعه له خاصة، لكن لكل طالب عامة[3] .

كما اشعلت قصيدة للفقيه الزاهد أبي إسحاق الالبيري إبراهيم بن مسعود بن سعيد (ت نحو460هـ/ 1068م)[4] لهيب ثورة الغرناطيين ضد النفوذ اليهودي في دولة بني زيري بغرناطة التي سميت بثورة الأتقياء[5] ، ذلك أن الوزير اليهودي إسماعيل بن النغريلة(ت448هـ/1056م)[6] وابنه وخليفته في الوزارة يوسف(ت465 أو 469هـ/ 1072 أو1076م) بعد أن تمكنا في منصبهما ، وأصبحا المتنفذين في الحكم ، ولم يستطيع حاكم غرناطة أن يتدبر أمرًا دون الرجوع إليهما ، فكان الأب إسماعيل بن النغزيلة وزير حبوس بن ماكسن بن زيري (414-429هـ/1023-1037م) ،وابنه باديس (429-465هـ/1037-1072م) يتطاول على المسلمين والدين الاسلامي ، فقد ألف كتابًا في الرد على الفقيه الظاهري بن حزم علي بن أحمد بن سعيد(ت456هـ/

---

[1] ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص ص 120-121.خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ص 143-144.

[2] ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص 120. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ، ج2 ، ص 228.خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ص ص 143 – 144 .

[3] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 183 ، ابن بشكوال ، المصدر السابق، ج1 ، ص ص 200 -201 . الضبي ، المصدر السابق، ج1، ص 309 . محمد محمود عبد الله بن بية ، المرجع السابق ، ص ص 41– 42 .

[4] شاعر أندلسي ، أصله من أهل حصن العقاب ، اشتهر بغرناطة ، له ديوان شعر. المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 255 . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 73-74.

[5] ابن حزم الأندلسي ، رسالة في الرد على ابن النغريلة ، ص 15.

[6] اختلفت المصادر الاسلامية حول ضبط هذا اللقب فابن بسام الشنتريني يقول إسماعيل بن النغريلي ، أما صاعد الأندلسي فيقول أبو إبراهيم إسماعيل بن يوسف المعروف بابن الغزال ، وابن عذارى يقول إسماعيل بن نغزالة ، وابن الخطيب يقول إسماعيل بن نغرالة ، وابن خلدون يقول اسماعيل بن نغزلة ، والمقري يذكره باسم إسماعيل بن نَغْدِلَة ، أما ابن حزم فيرجح لقب ابن نفريلة ، أو النغريلة ، وكلمة الناغيد تعنى القيم على المعبد ، أو رئيس القصر ، أو قائد الجيش ، أو رئيس فصيلة ، أو زعيم قبيلة ، أو المدبر ......الخ . نفسه ، ص ص 07-08. ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق ، ق1 ، م2 ،ص 761 . صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 90. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ، ج3 264 . لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج1 ، ص 439. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4 ، ص 206. المقري التلمساني ، المصدر السابق، ج5 ، ص 235 .

1063م) جاهر فيه بالطعن على ملة الإسلام ، وراح ينظم القرآن الكريم في أشعار، وموشحات لِيُغَنَّى بها ،ولم تسلم حتى ديانته اليهودية من السخرية ، والاستهزاء ، وأصبح اليهود في حد ذاتهم يتشاءمون من ذكر اسمه لظلمه وجوره[1] ، ولم يكتف بهذا ، بل لاحق الفقهاء ، فاضطروا للخروج من غرناطة ، ومن هؤلاء الفقهاء مثلًا محمد بن سعيد بن عمر ذي النون الثعلبي الالبيري الذي رحل إلى طليطلة [2] .

أما يوسف بن إسماعيل بن النغريلة فقد زاد في تقوية نفوذ اليهود أكثر من ذي قبل، و عينهم في أرفع مناصب الدولة [3] ، وهو الذي دبر مقتل بلقين بن باديس بالسم (قُتل456هـ/1064م) لما علم بأنه تكلم مع أبيه حول استفحال أمره ، واليهود من معه في المناصب الحساسة ، ومقته لهذا النفوذ الخطير على مستقبل الدولة[4] ، كما حاول قتل ماكسن بن باديس بعد أن خشى انتقامه لأخيه[5] .

ولقد تأثر باديس بمقتل ابنه بلقين فراح يقتل خدم ولده ، وجواريه ، وأبناء عمومته بعد أن اتهمهم يوسف بن النغريلة بأنهم هم من قتلوه ، وهرب من بقي منهم ، وأصاب الغم باديس بهذه الحادثة ، وأقبل على الشراب حتى كان لا يفيق من سكره حسب ما ذكره ذلك المؤرخان لسان الدين بن الخطيب ، وابن عذارى المراكشي[6]، وهذا ما مكن الوزير اليهودي بالتفرد في الحكم ، واستغلال هذه الظروف ، فبلغ به الأمر التخطيط في إقامة دولة لليهود عندما راسل ابن صمادح صاحب المرية يرغبه في الاستيلاء على غرناطة ، وبالتالي رأى بأن تقام هذه الدولة بضم مملكتي المرية ، وغرناطة بعد القضاء على باديس صاحب غرناطة على يد ابن صمادح ، ويقضي هو على ابن صمادح[7].

ونتيجة للأسباب السالفة الذكر حول نفوذ الوزيرين اليهوديين في مملكة غرناطة ، وأعمالهما في حق المسلمين والدين الإسلامي ، ومخططاتهما خاصة للدور الخطير الذي قام به يوسف ابن النغريلة لإقامة دولة يهودية على

---

[1] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ، م2 ، ص 266 .ابن سعيد المغرب ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 114 . ويبدوا أن ابن بسام وابن سعيد وقعا في خلط بين إسماعيل بن النغريلة ، وابنه يوسف ، فالذي قام بالازدراء على الإسلام ، والتطاول عليه ، ونظم القرآن الكريم في أسفار هو يوسف وليس إسماعيل . أنظر للدراسة التي قام بها المحقق إحسان عباس في مقدمة كتاب رسائل ابن حزم . ابن حزم الأندلسي ، رسالة في الرد علي ابن النغريلة ، ج3، ص ص 18-19.

[2] ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج2، ص 132 .

[3] ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق2 ، ص ص 232-233.

[4] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج3، ص 265. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 74 .

[5] الأمير عبد الله بن بلكين ، المصدر السابق ، ص 66.

[6] ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، ق1 ، م2، ص 767 . ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 265.

[7] ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 15 . تعليق المحقق (الهامش 3) . ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق، ق1 ، م2 ، ص ص 767-768 .ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 265-266.

أنقاض دولة بني زيري بغرناطة ، وبني صمادح بالمرية ، أنشأ الفقيه أبو إسحاق الالبيري قصيدته التي حرَّض فيها باديس (429-465هـ/1037-1072م)صاحب غرناطة ، وأهل صنهاجة للقضاء على يوسف ، واليهود والتخلص منهم ، وهي التي تبدأ بالبيتين :

ألا قل لصنهاجة أجمعين يدور الزمان وأسد العرين

مقالة ذي مقة مشفق يعد النصيحة زلفى ودين[1]

ولقد انتشرت القصيدة بين المسلمين في غرناطة [2]، كما انتشر بين الغرناطيين خبر مفاده أن الوزير اليهودي يوسف بن النغريلة قد غدر بصاحب غرناطة باديس ، وأن ابن صمادح دخل غرناطة [3] ، ولما سمع الناس بذلك انتفض أهل غرناطة من المسلمين ، وهبوا جميعًا لقتل يوسف اليهودي ، فهرب إلى داخل القصر، واتبعته العامة ولجأ إلى خزائن الفحم ، وسود وجهه بالفحم ، وتنكر، فعرفوه ، وقتلوه ، وصلبوه على باب المدينة ، ثم أخذ الناس يتتبعون اليهود حتى قُتل منهم أزيد من أربعة آلاف شخص[4] ، ونهبوا أموالهم ، وهي أقل مما انتهبه اليهودي يوسف بن نغريلة من مسلمي غرناطة ، ومستضعفيها ، وجرت هذه الأحداث سنة 459هـ/1066م [5] .

ومما سبق ذكره ، فإذا كانت ثورتا الهيج (189هـ/805م) ، والربض(202هـ/817م) ، والمكيدة التي كانت ضد الخليفة عبد الرحمن الناصر لتولي ابنه عبد الله بدلًا من الحكم (حدثت 338هـ/949م) بتدبير وتخطيط من الفقهاء ، فثورة الغرناطيين ضد اليهود سنة 459هـ/1066م كانت بقصيدة من فقيه آخر ، وهو أبو إسحاق الإلبيري ، ومن هذه الأمثلة ، والنماذج تتجلى بوضوح مظاهر قوة الفقهاء ، ومنهم المعلمين في التأثير على العامة باعتبارهم يمثلون السلطة الروحية ، والشرعية لما يتمتعون به من تبجيل، واحترام ، تقديرًا لعلمهم ، ودينهم وورعهم ، وقامت السلطة السياسية بالأندلس القائمة آنذاك بعد كل ثورة من الثورات السالفة بمراجعة سياستها والاهتمام أكثر بطبقة العلماء ، والمعلمين، ومحاولة استمالتها بإبداء الشورى لأهلها ، وتكليف فئة منهم ببعض المهام ، والوظائف الادارية .

---

[1] لقراءة مقتطفات من هذه القصيدة أنظر الى الملحق رقم 10 .

[2] وقد كان الفقيه أبو إسحاق الإلبيري أحد ضحايا سياسة هذا الوزير اليهودي ، فقد أنكر هذا الأخير عليه انتقاده لصاحب غرناطة استوزار ابن النغريلة ، واستخدامه لليهود ، فأغرى به من أجل نفيه إلى إلبيرة ، وبهذا اشتهر بالإلبيري . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق،ج1 ، ص73.

[3] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق1 ،م2، ص 769.

[4] نفسه . ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ،ج3 ، ص 266. لسان الدين بن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص 266. لسان الدين بن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة ، م1 ، ص 440. المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 235.

[5] ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ص 206.محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص 275 .

ج)–المعلمون الذين رفضوا المشاركة في الحياة السياسية و تقلد المناصب :

أقبل الكثير من المعلمين الأندلسيين على طلب العلم ، والتفرغ للتعليم وحده ، وهم الذين أطلق عليهم مصطلح " شيوخ العلم " ، وجعلوا شغلهم الشاغل نشر العلم ، وبثه بين طلابه[1].

و تجدر الإشارة إلى التمييز بين فئتين في هذه الطبقة ، فهناك من العلماء من عرضت عليهم المناصب فرفضوها وأقبلوا على نشر العلم ، وفئة أخرى لم تعرض عليها المناصب ، وإنما بقيت تطلب العلم إلى الوفاة .

ومن المعلمين الذين عرضت عليهم المناصب الادارية أو الدينية فرفضوها على سبيل المثال لا الحصر الفقيه عثمان بن أيوب بن أبي الصلت(ت246 أو267هـ/860 أو880م) الذي عرض عليه القضاء[2] ، وكذلك الفقيه ، والمحدث قاسم بن ثابت بن حزم العوفي(ت302هـ/915م) فقد عرض عليه أن يتولى القضاء بسرقسطة فامتنع عن ذلك ، وأراد أبوه اكراهه عليه ، فطلب أن يُترك ليستخير الله في ثلاثة أيام فتوفي في تلك الأيام ، وروى بعضهم بأنه دعا لنفسه بالموت فتوفي ، وكان مجاب الدعاء[3] .

أما المفتي عيسى بن محمد بن عبد الرحمن(ت402هـ/1011م) المعروف بالحشاء ، فقد دُعي إلى القضاء مرتين فأبى ذلك لكنه في المقابل قبل الشورى للعامة ، والخاصة ، وكان يُفتي للناس بالمسجد الجامع بقرطبة [4] والحافظ ، والفقيه المالكي محمد بن عمر بن يوسف(ت419هـ/1028م) المعروف بابن الفخار الذي روى عن علماء الأندلس، ثم رحل إلى المشرق ، و كان يُفتي في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقي بها جماعة من العلماء فذاكرهم ، وأخذ عنهم ، وعرض عليه بعض رؤساء قرطبة أن يكون سفيرًا لهم إلى البربر في أيام الفتنة فرفض ذلك[5].

وعرض القضاء بطليطلة على الفقيه خلف بن أحمد بن خلف الأنصاري(ت بعد420هـ/1029م) فأبى وهرب ، وهو العالم بالأحكام ، والمسائل الفقهية ، وحدث عنه بعض طلاب الأندلس[6]، أما الفقيه ، والمحدث

---

[1] محمد محمود عبد الله بن بية ، المرجع السابق ، ص 39 حسين مؤنس ، شيوخ العصر ، ص 63 وما بعدها .

[2] وهو من أهل قرطبة ، يكنى بأبي سعيد ، له رحلة إلى المشرق فسمع بالقيروان ، ومصر. ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 302 .

[3] و قاسم بن ثابت هو من أهل سرقسطة ، ولد سنة 255هـ/868م ، يكنى بأبي محمد ، رحل مع أبيه إلى المشرق ، فسمع بمصر ، ومكة المكرمة ، واعتنى هو ، وأبوه بجمع الحديث ، واللغة فأدخلا إلى الأندلس علمًا كثيرًا ، فقد ذُكر أنهما أول من أدخلا كتاب العين للخليل الفراهيدي (ت170هـ/786م) كما ألف الفقيه ، والمحدث قاسم بن ثابت كتابًا في شرح الحديث عنونه "كتاب الدلائل" ، وتوفي قبل إتمامه ، فأكمله أبوه ثابت ، ومع تخصصه في الفقه ، والحديث ، تميز كذلك في اللغة العربية ، والغريب ، والنحو ، والشعر. نفسه ، ق1 ، ص ص 360-361.

[4] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 629.

[5] نفسه ، ج2 ، ص 746 وما بعدها .

[6] نفسه ، ج1 ، ص267 .

والإخباري محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافري(ت439هـ/1047م)الذي دُعي إلى الشورى بقرطبة فأبى ذلك[1].

وزهد في الوزارة وتخلى عنها في أيام شبابه ، الفقيه الظاهري علي بن أحمد بن حزم (ت456هـ/1063م) العالم الموسوعي في شتى المجالات الفقه ، الحديث ، مقارنة الأديان ، علم النسب، التاريخ ، وهو الذي سمع منه الكثير من طلاب الأندلس ، وعلمائها كالفقيه ، والإخباري محمد بن عبد الله بن هاني بن هابيل اللخمي البزاز (ت410هـ/1019م)، وسمع منه ابن حزم كذلك[2] ، وتوفي ابن حزم بلبلة ، وهو يبث علمه في باديته حيث قصده فيها الطلاب ، يحدثهم ، ويفقههم ، ويدارسهم[3]، ولابن حزم الظاهري مواقف ، وآراء حول الدخول إلى الحاكم ، وقبول المناصب ، والهدايا منه ، حيث رأى بأنه من يقبل بذلك فقد أُبتلي بذهاب دينه ، ونفسه ، وباع ذمته[4].

أما الفقيه ، والمفتي محمد بن عتاب بن محسن (ت462هـ/1069م) فقد وُصف بأنه كان منقبضًا عن السلطان ، وأسبابه ، وعُرض عليه القضاء بقرطبة ، طليطلة ، والمرية فرفض ، واستعفى منهما ، والتزم بالشورى والفتوى للعامة ، والقضاة[5]، وكذلك الفقيه موسى بن هُذيل بن محمد بن تاجيت البكري(ت462هـ/1069م) المعروف بابن أبي عبد الصمد الذي عزم عليه محمد بن جهور(435-456هـ/1043-1064م)صاحب قرطبة أن يوليه القضاء بقرطبة فقال له: " أخرني ثمانية أيام حتى أستخير الله ، فأخره ، فعمي في تلك الأيام ، فكانوا يرون أنه دعا بذلك على نفسه "[6] .

---

[1] وهو قرطبي ، يكنى بأبي عبد الله ، ولد 358هـ/968م ، سمع من علماء بلده ،ورحل إلى المشرق سنة 381هـ/991م ، فسمع بالقيروان ومصر ، حدث عن جماعة من العلماء . نفسه ، ج3 ، ص ص 779-780 .

[2] وهو قرطبي ، يكنى بأبي عبد الله ، ولد سنة 328هـ/939م ، رحل إلى المشرق سنة357هـ/967م، فحج ، وكتب الحديث، وكان فقيهًا كثير الحفظ لأخبار فقهاء الأندلس . نفسه ، ج2 ، ص736 .

[3] ابن حزم ، طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة و الألاف ، ص 90 . الحميدي ، المصدر السابق ،ص308 وما بعدها .ابن بسام الشنتريني المصدر السابق ، ق1 ، م1 ، ص ص 168- 169 . ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 605 وما بعدها. الضبي ، المصدر السابق ص 543 وما بعدها .

[4] ابن حزم الأندلسي ، رسالة في مراتب العلوم ، ص 76.

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 798 وما بعدها .

[6] نفسه ، ج3 ، ص 879 . وابن أبي عبد الصمد هو من أهل قرطبة ، يكنى بأبي محمد ، ولد سنة 394هـ/1003م ، وصف بأنه كان من أهل المعرفة ، والعلم ، والحفظ ، والفهم ، والفضل ، والصلاح ، والتواضع . نفسه .

وعزم المقتدر بالله أحمد بن سليمان (438 - 475هـ/1046-1082م) صاحب سرقسطة على تعيين الفقيه عبد الرحمن بن موسى بن عقبة الكلي (ت468هـ/1075م)على خطة الأحكام ، فأبى ذلك ، وحلف ألا يقبلها ، فأعفاه منها[1].

وحاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمي (ت469هـ/1076م) المعروف بابن الطرابلسي الذي على الرغم من أنه كان من المشاورين بقرطبة إلا أنه رفض تولي القضاء بعدما طلب منه ذلك ، وهو أحد المعلمين المشهورين بالأندلس ، فبعد عودته من رحلته العلمية بالمشرق أدخل علمًا كثيرًا ، فقد طاف بين حواضر الأندلس يجمع ، ويبث ، ويكتب العلم في طليطلة ، وبجانة ، وقرطبة[2].

ومروان بن عبد الله بن مروان التجيبي المعروف بابن الباليه الذي دعي أن يتولى الأحباس ، فأبى ذلك ، واعتذر ولم يقبلها[3].

أما الفئة الثانية التي انكبت على طلب العلم ، ونشره إلى الوفاة ، والتي لم تشر المصادر على أنها تولت المناصب أو عرضت عليها ، فيذكر منها على سبيل المثال الوراق الحسن بن بكر بن عريب القيسي السمَّاد (ت435هـ/1043م) الذي كتب علمًا كثيرًا ، وسمع الحديث ، وبقي يطلب العلم إلى أن توفي[4]، والفقيه الظاهري ، والأديب مسعود بن سليمان بن مفلت الشنتريني الذي حدث عنه طلاب الأندلس ، فقد وصف بأنه كان طالبًا متواضعًا ، عالمًا متعلمًا إلى أن لقي الله عز وجل[5]، وأما أبو علي الحسين بن علي الفاسي فقد بقي يطلب العلم ، ويختلف إلى العلماء ، والشيوخ إلى أن مات ،وذكر ابن حزم (ت456هـ/1063م) عنه بأنه سُئل فقيل له : " يا أبا علي! متى تنقضي قراءتك على الشيخ ؟ (...) فقال: إذا انقضى أجلي "[6] .

---

[1] نفسه ، ج2 ، ص500 .

[2] وحاتم بن محمد من أهل قرطبة ، وأصله من طرابلس الشام ، يكنى بأبي قاسم ، ولد سنة 378هـ/988م ، روى عن علماء قرطبة ، له رحلة إلى المشرق سنة 402هـ/1011م ، فسمع بالقيروان عن أبي الحسن علي بن محمد القابسي (ت403هـ/1012م) ، ولزمه إلى أن توفي القابسي ثم رحل إلى مكة ، فحج ، وسمع بها ، وأجاز له علماءها ، ثم انصرف عائدًا إلى الأندلس ، فسمع في طريق عودته من علماء القيروان ودخل الأندلس يطلب العلم ، ويدرسه ، ووصف بأنه كان شيخ جليل ، نشأ في طلب العلم ، وتقييد الآثار ، واجتهد في النقل والتصحيح ، وكتبه في غاية الاتقان ، ولم يزل مثابرًا على حمل العلم ، وبثه ، والقعود لإسماعه ، والصبر على ذلك مع كبر السن ، أخذ عنه الكبار ، والصغار لطول سنه. نفسه ، ج1 ، ص 253 وما بعدها .

[3] وهو من أهل طليطلة ، يكنى بأبي عبد الملك ، سمع من علماء الأندلس ، ثم رحل إلى المشرق فحج ، وُصف بالزهد ، والورع . نفسه ، ج3 ص 890 .

[4] وهو من أهل قرطبة ، يكنى بأبي بكر ، ولد سنة 354هـ/965م .نفسه ،ج1 ، ص ص 222- 223 .

[5] وهو من أهل قرطبة ، يكنى بأبي الخيار . نفسه ، ص 891 .

[6] الحميدي ، المصدر السابق ، ص 193 . الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص328 .

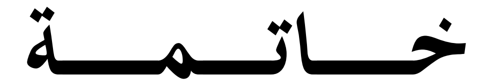
وكذلك الأديب محمد بن هشام بن محمد بن عثمان بن نصر(ت481هـ/1088م) المعروف بابن المصحفي الذي كان من المتحققين بالأدب ، والدائبين على طلبه مدة عمره ، مثابرًا على المطالعة والعناية بكتبه ، وروى الناس عنه من روايته[1] .

أما المقرئ ، والمحدث علي بن خلف بن ذي النون(ت498هـ/1104م) الذي يعد من كبار المقرئين بالأندلس وعلمائها المعلمين ، فقد أقرأ الناس بالمسجد الجامع بقرطبة ، وأسمعهم الحديث فيه ، ووُصف بأنه كان ثقة فيما يرويه ، ضابطًا لكتبه ، ومن أهل الزهد ، وبقي طالبًا للعلم إلى أن توفي بقرطبة[2].

مما سبق ذكره من نماذج للمعلمين الذين عكفوا على طلب العلم ، ودراسته ، وتدريسه لطلاب الأندلس فإنه بعد أن عرضت عليهم المناصب زهدوا فيها ، وانقبضوا منها ، رفعة عنها ، وخوفًا من فتنة الدنيا ، ومحتسبين في ذلك لله عز وجل ، ومنهم من رفضوا المناصب لأنهم أوقفوا حياتهم طلبًا للعلم ، والتزموا بصحبة أهله دراسةً وتدريسًا إلى أن تغمدهم الله عز وجل برحمته ، ووافتهم المنية .

[1] وهو من أهل قرطبة ، يكنى بأبي بكر ، ولد سنة 393هـ/1002م، ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج3، ص ص 813 – 814 .

[2] وهو من أهل قرطبة ، وأصله من اشبيلية ، يكنى بأبي الحسن ، ولد سنة 417هـ/1026م ، سمع ببلده ، ثم رحل إلى المشرق ، فحج ، ثم دخل الشام ، وسمع ببيت المقدس ، وروى بمصر ، نفسه ،ج2، ص615.


خاتمة

خــاتمـــة :

اعتنى الأندلسيون بتنشئة ابنائهم ، وتربيتهم على أسس رأوها بأنها الأمثل ، والأفضل لهم ، كما سهروا على تعليمهم ، فقاموا بتوفير كل الظروف الملائمة لذلك من أجل بناء مجتمع تكون فيه الأخلاق ، والعلم السمة العامة فيه ، بل أن بعض الأندلسيين ممن لم تتح له تلك الظروف اعتمد على نفسه لطلب العلم حتى أصبح عالـمًا أو فقيهًا يشار إليه بالبنان ، وأصبح الجاهل ممن لم يوفق في تحصيل العلم يتعلم صنعة أو حرفة معينة على أن يعيش عالة على الناس هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد اشتهر الأندلسيون بأنهم أشد الناس عناية بنظافتهم حتى أن الواحد منهم ينفق مما كسبه في يومه من المال على نظافته ، ولا يهمه حتى ولو ينفق ماله كله ، ويبيت جائعًا دون أكل أو شرب ، المهم أنه يحتاط لنظافته ، وأناقته ، إذن لابد أن لهذا الفكر الذي ترسخ في الطبائع والعادات اليومية في المجتمع الأندلسي أصولًا ارتكزت أساسًا في مبادئ التربية والتعليم التي كانوا يتلقونها في مراحلهم التعليمية والتي انتهجوها مسارًا في حياتهم اليومية ، فأصبحت تلك المبادئ ، والمعتقدات عادة تتوارثها الأجيال .

وزيادة على ما سبق ذكره يمكن الخروج بعدة نتائج أخرى توضح أصول ، وماهية التربية والتعليم في الأندلس والعوامل المساعدة لها ، وكل ظروفها منذ قيام الامارة الأموية إلى نهاية عصر ملوك الطوائف ، ويمكن تلخيص أهمها فيما يلي :

1 – ساهم الأندلسيون في إبداء بعض الآراء ، والنظريات التربوية لتقويم سلوك الفرد ، وتتبع تدرجه في مراحل تعلمه ، لهذا فقد قدم الفقيه عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ/852م) آراء استقاها من وصايا أحد علماء المشرق لمعلم ولده ، هو أمير مصر الأموي عتبة بن أبي سفيان(ت44هـ/664م) ، وركز بن حبيب في آراءه على ما يجب على الصبي تعلمه في مرحلة الكتاتيب ، كما اهتم بجانب شخصية المعلم في تربية الصبي وتعليمه باعتباره القدوة للمتعلم ، ويتأثر به ، ويقلده حتى في تصرفاته ، وقدم عبد الملك بن حبيب المواد الواجب تعلمها في هذه المرحلة ، وعرج على قضية الضرب وما ينبغي في ذلك .

أما الفقيه الظاهري ابن حزم (ت456هـ/1063م) فنستطيع القول بأنه انفرد عن نظرائه من العلماء في عصره حيث قدم نظرية بأتم معنى الكلمة انطلاقًا من تجاربه ، فتتبع المتعلم منذ بداية تعلمه إلى بلوغه سن الشيخوخة

وتحدث عن سن بداية التعلم ، والمراحل التعليمية ، والمواد التي تتضمنها كل مرحلة ،كما أبدى موقفه من بعض العلوم كالتاريخ الذي يحبه ويرغبه للمتعلم والعالم على حد سواء ، وازدراءه للشعر ، وتحدث عن شخصية المعلم وعلاقته بالسلطان ، وتحدث عن آداب الجلوس في الحلقة العلمية ، والمناظرة ، وغيرها من الآراء .

وفيما يخص المحدث ابن عبد البر النمري(ت463هـ/1070م) فقد اهتم أكثر بالمتعلم الكبير ، وأهمل مرحلة الكتاتيب ، ومعظم ما قدمه من آراء هي عبارة عن جمع مما قيل في القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ولو كانت ضعيفة السند ، زيادة على أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعين ، والحكماء ، فلم يقدم رأيًّا شخصيًّا خاصًّا به ما عدا ذمه للتقليد ، والفلسفة ، وعلم الكلام ، وركز في الآراء والأقوال التي قدمها على الجانب الخُلُقي والآداب ، أما في الجانب العلمي فقد حث على وجوب نشر العلم ، وعدم كتمانه ، والعمل به وشدد على أهمية الرحلة العلمية في التعليم ، وعلاقة العالم بالمتعلمين ، وواجباته نحوهم ، وتحدث عن طرق التدريس ، وتقسيم العلوم ، وغيرها من قضايا التعليم الأخرى .

2 – وفيما يتعلق بتدرج المتعلم الأندلسي ، فقد كان على ثلاث مراحل متباينة من حيث سن المتعلم ، ومدى تمكنه ، وإلمامه بمواد كل مرحلة ؛ فالأولى تتعلق بمرحلة الصبى ، أطلق عليها مصطلح المرحلة الابتدائية أو مرحلة الكتاتيب ، والثانية التي تدعى بالمتوسطة ؛ فهي الفاصلة بين مرحلة الكتاتيب ، والمرحلة العليا وهي تشمل مرحلة البلوغ والشباب ، أما المرحلة الثالثة فهي التي يطلق عليها المرحلة العليا أو مرحلة التخصص ، والتي يتميز فيها المتعلم بتخصصه في علم ما أو عدة علوم ، أو ربما يرتقي فيها المتعلم ، ويصبح عالـمًا موسوعيًّا .

3 – تنوعت طرق التدريس في الأندلس بين التلقين ، والاملاء ، والقراءة ، والمناظرة ، هذه الأخيرة التي تعد أرقى أسلوب للدلالة على مدى تمكن طالب العلم ،كما تتجلى أهميتها في أنها أحد الاختبارات الفعلية لمستواه بالمقارنة مع نظرائه .

4 – اختلفت الأماكن التي يتلقى فيها المتعلم دروسه ، وكان هذا الاختلاف بحسب السن ، والمستوى التعليمي وطبيعة المواد المدروسة فكانت الكتاتيب ، والمساجد ، والمنازل ، والقصور ، والدكاكين ، وغيرها.

5 – يعد الكتاب ، والرحلة العلمية أهم الوسائل المساهمة والمعينة في التحصيل العلمي ؛ فالكتاب كان يعتمد عليه المعلم في تلقين دروسه ، وإملائها ، وشرحها ، كما كان يعتمد عليه المتعلم في حفظ مواده والاستعانة به في فهم دروسه ، والتوسع فيه ، أما الرحلة العلمية فتكمن أهميتها في أن طالب العلم يتزود بالعلوم والدروس من مشارب العلماء مباشرة ، كما تساهم في تنويع مصادر معلومات المتعلم من مختلف علماء الأمصار ، زيادة على ذلك فهي تضمن ذلك الاحتكاك بين طلاب العلم من مختلف بقاع الأرض ، فيتبادلون المعلومات ، والمعارف ، والتجارب والخبرات ، فيضيف فلان لزميله كذا ، ويصحح هذا من ذلك كذا ، وهكذا.

6 – تنوعت مواد الدراسة التي يتلقاها ، أو يتعلمها ، أو يطلبها المتعلم بين مواد شرعية كعلم القراءات ، والتفسير والفقه ، والحديث ، وعلم الكلام ، ومواد لغوية وأدبية كالنحو ، والصرف ، والنثر ، والشعر بأنواعه الفصيح والموشحات ، والأزجال ، ومواد اجتماعية كالتاريخ ، والجغرافيا ، والفلسفة ، والتصوف ، ومواد علمية كالطب والصيدلة ، والرياضيات ، والفلك والتنجيم .

فقد نبغ الأندلسيون في تلك المواد والعلوم ، وكثر إنتاجهم الفكري فيها ، فالكتب المؤلفة في تلك المواد هي إما نتاج سماعهم من شيوخهم ، وإما مساهماتهم ، ونتاج أبحاثهم ، وآرائهم في موضوع ما كُلٌّ في تخصصه .

7 –وكانت لأهل الذمة (النصارى واليهود) المساهمة الفعالة في تعليم بعض المواد كالفلسفة ، والطب ، والصيدلة والفلك ، والتنجيم ، فبرز منهم الكثير ، فاشتهر من النصارى الطبيب جواد ، واسحاق ، وابن ملوكة ، وعاش هؤلاء في عهد الأمير عبد الله (275-300هـ/888-912م) ، ومن اليهود مثلًا حسداي بن اسحاق في الطب في عهد الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/ 961- 976م) وفي الطب ، والفلسفة أبو الوليد مروان بن جناح ، وفي عصر ملوك الطوائف اشتهر أبو الفضل بن حسداي في الفلسفة والطب ، وغيرهم ، وهذا دليل على أن المجتمع الاسلامي في الأندلس لم يكن منغلقًا على نفسه في تلك العصور ، بل عرف التسامح الديني وتَقَبُّل الآخر ، ونشط التبادل المعرفي والعلمي بين علماء تلك الديانات .

8- أكد المجتمع الأندلسي عنايته ، واهتمامه بتربية ، وتعليم ابنائه ، فقد غُرست فيهم ثقافة حب العلم والاجتهاد في تحصيله حتى أصبح العامي منهم يفتخر بوجود مكتبة يتزين بها في بيته ، ولم تقتصر حلقات الدروس على الذكور فقط ، بل كان للمرأة الأندلسية حضور ، ومشاركة بارزة سواء في التعلم أو التعليم ، كما شهدت

المجالس العلمية حضور غير المسلمين كالنصارى ، واليهود ، فقد كانت اللغة العربية ،هي لغة العلم ، والحضارة في تلك العصور ، ولم يقتصر التعلم على اكتساب المعرفة ، وتحصيل العلوم ، بل عرفت الأندلس في ذلك الوقت تعليم الصنائع ، والحرف بما يعرف في عصرنا الحالي بالتكوين المهني، فقد تفنن الأندلسيون في البناء والتعمير والابداع في فنون الزخرفة ، وجماليات الخط العربي على جدران المساجد ، وصناعة الحلي ، وغيرها .

9- شاع بين المعلمين الأندلسيين التعاون ، وتبادل المعارف ، والمعلومات ، وتنوعت مجالس العلم بحسب المادة المدروسة ، والتخصص ، وتصدر كل مجلس من تلك المجالس الأعلم من بين نظرائه في تخصصه ، ولم تكن هناك شروط محددة ، وواضحة في ممارسة التعليم ،كما تعددت ألقاب المعلمين بحسب المرحلة التي يُدرِّسها ، أو بحسب مستواه ، وكثافة معلوماته ، وكفاءته ، أو بحسب مكانته الاجتماعية ، والسياسية .

10- انقسم المعلمون إلى ثلاث فئات من حيث أخذ الأجر على التعليم ، فمنهم المعلمون الموظفون من طرف الدولة برواتب معلومة ، ومنهم المعلمون الذين يتقاضون أجورهم من طرف المتعلمين أو أوليائهم ، ومنهم المعلمون الذين لا يأخذون أجرًا على التعليم .

11- اختلف الفقهاء ، والمحدثون ، والعلماء حول جواز أخذ الأجر على التعليم ، أو عدم جوازه ، فمنهم من يجيز ذلك كالفقيه الغازي بن قيس(ت199هـ/814م) ، وعبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) أما الذين لا يجيزونه فكان منهم مثلًا الفقيه ابن حزم الظاهري (ت456هـ/1063م) ، والمحدث ابن عبد البر النمري (ت463هـ/1070م) .

12- التعليم لم يكن حرًّا تمامًا ، بل كانت للدولة المساهمة فيه ، ولو نسبيًّا ، وهذا التدخل تجلى في مظاهر عدة ومنها على سبيل المثال :

أ- فرض بعض المضامين ، والمواضيع للتعليم في ميدان الشعر مثلًا ، بل فرض المنهج الذي يتوافق مع المذهب المالكي كما حدث في عصر الأمير هشام بن الحكم ، زيادة على تعيين المحتسب ، أو ما يعرف بصاحب السوق لدى الأندلسيين لمراقبة بعض المعلمين لكي لا يتجاوزوا في ضرب الصبية إلى الحد الغير المقبول ، وكذلك حضر بعض المواد في التدريس كتعليم علوم الأوائل (علم المنطق ،

والفلسفة والاعتزال ، ومواضيع ما وراء الطبيعة) في عصري الامارة والخلافة باستثناء عهد الحكم المستنصر ، وعصر ملوك الطوائف الذي عرف فيه نوع من التسامح في ذلك .

ب- وشمل تدخل الدولة في تعيين بعض المقرئين في المساجد ، وتحويل بعض المعلمين من أماكن إلى أماكن أخرى ، وكذلك الاشراف على بناء أماكن التعليم ، والعبادة كبناء المساجد ، والكتاتيب كما فعل الخليفة الحكم المستنصر ، وتشجيع العلماء ، والحركة العلمية ، والزيارات التي قام بها حكام الأندلس ووزرائهم لأماكن التعليم ، وحضور بعض حلقاتهم العلمية .

ج - ومن مظاهر تدخل الدولة في التعليم ، تمويلها لبعض الأنشطة التي لها علاقة بالتعليم كالإنفاق على بناء دور العلم ، وحبس الحوانيت ، والعقارات لفائدة المعلمين ، والمتعلمين ، ومنح العطايا والأجر للمعلمين ، واستدعائهم ، واستقبالهم للعلماء من المشرق بغرض تنشيط الحركة العلمية ، والتعليمية بالأندلس .

د- وكان للتكوين العلمي لحكام الأندلس على طول فترة الحكم الأموي سواء في عصر الإمارة ، أو الخلافة ولبعض ملوك الطوائف دور بارز في تشجيع التعليم ، وتنشيط الحركة العلمية فلم يكد يخلو قصر من مجالس الندماء ، والنظراء في القصور ، ومجالس الخاصة ، كما قاموا بتشجيع العلماء في التأليف فأغدقوا عليهم الأموال والمناصب ، وتقريبهم إلى البلاط الرسمي أو على الأقل أتيح لبعضهم الحرية في نشر العلم ، والتعليم حسب الحواضر التي استقروا بها ، أو التي انتقلوا إليها.

13- وكما كان للدولة دور في التعليم ،كان للمعلمين دور في الحياة السياسية ، وتجلى ذلك في عدة أشكال ومن بينها:

أ- مشاركة المعلمين في الحياة السياسية من خلال تقلد بعض المناصب الادارية سواء كانت عامة ، أو دينية كمنصب الفقيه المشاور ، أو الوزير ، أو القاضي ، أو الشرطي...الخ ، كما برهن العديد من المعلمين الفقهاء عمليًّا على المكانة التي احتلوها في المجتمع الأندلسي ، فراحوا يهددون بها الحكام في حالة ما إذا لاحظوا انحرافًا ما ، وقد عبروا عن هذا التهديد إما بالتعبير عن عدم الرضا لسياسة معينة

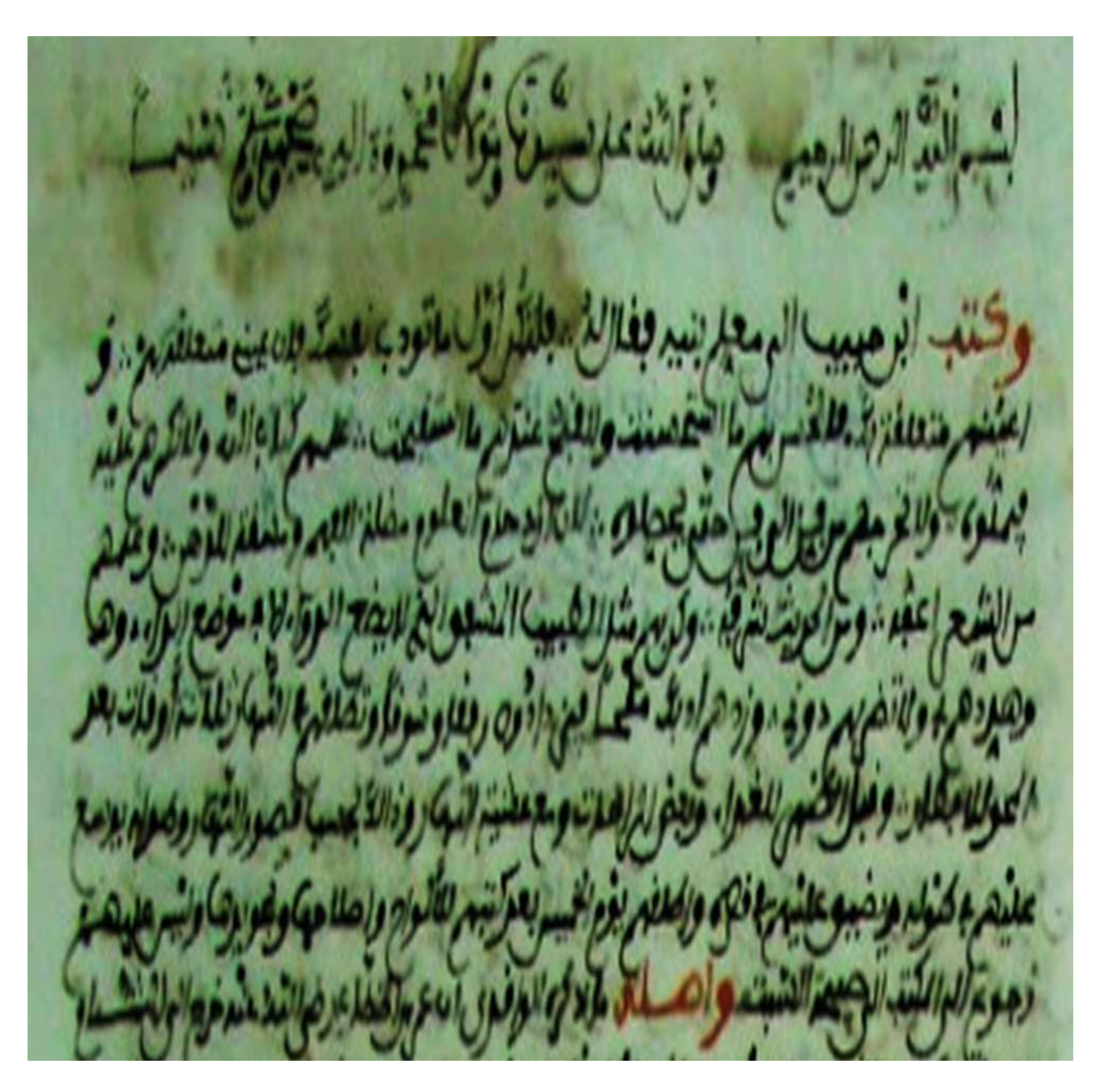
وانتقاد السلطة في بعض تصرفات الحكام التي لا تتوافق مع مبادئهم ، وكذلك رفض بعض طلبات الحكام ، والأخطر من كل ذلك هو قيام بعض المعلمين الفقهاء بالتدبير للإطاحة بالأمير ، أو الخليفة أو بملك ما ، ومحاولة تعيين شخص آخر بدلًا منه ، وبهذا أدرك الحكام قوة ، ومكانة هؤلاء العلماء المعلمين في التأثير على العامة ، فراحوا يستميلون هذه الطبقة ، ويجاملون أهلها ، إما بتعظيمهم وتبجيلهم ، وإعطائهم حيزا للمشاركة في شؤون الدولة من خلال الرجوع إلى بعضهم لاستشارتهم أو بتعين بعضهم في الوظائف ، وكذلك الابتعاد عن أي نشاط يحرك ، ويثير حفيظتهم ، وهذا ما تفطن له بعض حكام الأندلس كالأمير الحكم بن هشام ، وابنه ،و خلفه عبد الرحمن الأوسط ، وابنه محمد وكذلك الخليفة الحكم المستنصر ، والحاجب المنصور بن ابي عامر ، وملوك الطوائف كابن عباد ومحمد بن جهور وغيرهم، فقد أدرك هؤلاء مدى قوة الجانب الديني ، والعلمي في نفوس العامة بالأندلس .

ب- ومنهم من لم يشارك في الحياة السياسية ، وإنما عُرضت عليه المناصب فرفضها من أجل التفرغ للعلم فقط ، وطلبه ، وعلى الرغم من عدم مشاركة بعضهم في تولي الوظائف ، فالمؤكد أنه لم تعرض عليهم تلك الوظائف إلا بعد أن تيقن حكام الأندلس من مدى تمكنهم في العلوم باختلاف التخصصات خاصة منها الشرعية ، وكذلك لمكانتهم الاجتماعية ، والدينية ، وهو اعتراف من طرف السلطة الحاكمة بفضلهم ومحاولة الاستفادة من معارفهم، ومن مكانتهم تلك .

الملاحق

الملحق رقم : 01

وصية الفقيه عبد الملك بن حبيب (ت238هـ/852م) لمعلم ولده من خلال مخطوط



المصدر : مؤلف مجهول (عاش بعد 1214هـ/1800م) ، فوائد فيها وصية ابن حبيب الأندلسي لمعلم أولاده وغيرها ، ضمن مجموعة من الخطب والتعليقات على بعض الكتب، وتفاسير بعض السور القرآنية مخطوط رقم 739 ، المكتبة العامة ، تطوان ، المملكة المغربية ، الورقة 76 (وجه).

الملــحــق رقــم : 02

النص الكامل لوصية الفقيه عبد عبد الملك بن حبيب (ت238هـ/852م) لمعلم ولده

" وكتب ابن حبيب إلى معلم بنيه فقال له : فلتكن أول ما تؤدب نفسك ، فان عيني متعلقة بهم ، وأعينهم متعلقة بك ، فالحسن لهم ما استحسنت ، والقبح عنهم ما استقبحت علمهم كتاب الله ، ولا تكرههم عليه فيملوه ، ولا تخرجهم من فن إلى فن حتى يحصلوه ،لأن ازدحام العلوم مضلة للفهم ، ومشقة للذهن ، وعلمهم من الشعر أعفه ، ومن الحديث شرفه وكن لهم مثل الطبيب المشفق الذي لا يضع الدواء إلا في موضع الداء ، وهددهم بي ، ولا تضربهم دوني ، وزدهم أدبك مدحًا ، يزدادون رفقًا وشوقًا ، وتطلفهم في النهار ثلاثة أوقات: بعد المحو للافطار ، وقبل الظهر للغداء ، وبعض الراحات ، ومع عشية النهار وذلك بحسب قصور النهار وطوله ، يوسع عليهم في طوله ، ويضيق عليهم في قصره ، واطلقهم يوم الخميس بعد كتبهم للألواح واصلاحها وتجويدها ، وليس عليهم رجوع إلى المكتب إلى صبيحة السبت" .

المصدر : مؤلف مجهول (**عاش بعد 1214هـ/1800م**) ، **فوائد فيها وصية ابن حبيب الأندلسي لمعلم أولاده وغيرها ضمن مجموعة من الخطب والفوائد وتفاسير السور القرآنية** مخطوط رقم 739 ، المكتبة العامة ، تطوان ، المملكة المغربية ، الورقة 76 (وجه).

وحرر نص المخطوط ونشره: سعيد اعراب ، **رسالة من ابن حبيب إلى معلم ولده " أقدم نص في التربية والتعليم بالأندلس"** ، مجلة الثقافة المغربية ، العدد07 ، وزارة الثقافة والتعليم الأصلي والعالي والثانوي ، الرباط ، المملكة المغربية ، 1972 ، ص ص 59 – 60.

الملــحــق رقــم : 03

المراحل التعليمية ومنهج التدريس عند الفقيه الظاهري ابن حزم(ت456هـ/1063م)

المراحل	نوع العلم	المستوى المطلوب	الكتب المقررة	للمعلومات الأساسية	للتعمق
المرحلة الأولى عندما يكون الصبي في سن الخامسة أو نحوها.	أ-الخط ب-القراءة	أ-خط قائم الحرف بيِّن صحيح التأليف. ب-المهارة في قراءة كل كتاب يخرج من يده بلغته. ج- حفظ القرآن الكريم للتدريب على القراءة والتلاوة	القرآن الكريم		
المرحلة الثانية	أ-النحو. ب-اللغة. ج-الشعر.	أ-إتقان أحوال الاعراب. ب-إتقان المستعمل الكثير الدوران في الكتب. ج-شعر الحكمة والخير والمدح والرثاء.	"الواضح" للزبيدي أو "الموجز" لابن السراج	"الغريب المصنف" لأبي عبيد "العين" للزبيدي	"خلق الانسان" لثابت،"الفرق" لثابت،"المذكر و المؤنث" لابن الأنباري،"الممدود والمقصور" للقالي "النبات"للدينوري.
المرحلة الثالثة	-علم العدد	-الضرب والقسمة والجمع والطرح والتسمية. -المساحة. الارثماطيقي(طبيعة العدد). دوران الكواكب . الكسوفات .أوقات الليل والنهار . المد والجزر .	أقليدس والمجسطي		

المرحلة الرابعة	أ-المنطق . ب-العلوم الطبيعية.	الحدود.علم الأجناس والأنواع ، والقضايا عوارض الجو ، الحيوان النبات ، المعادن التشريح.			
المرحلة الخامسة	-علم الأخبار إما على الممالك أو على السنين أو البلاد أو الطبقات.	التواريخ القديمة والحديثة ،وأصحها تاريخ الملة الاسلامية يتلوه تاريخ بني إسرائيل يتلوه أخبار الروم، يتلوه أخبار الفرس.			
المرحلة السادسة	-قضايا فكرية	معرفة هل العالم محدث أو لم يزل ؟ هل له مُحْدِث؟ هل النبوة ممكنة؟ النبوات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.			
المرحلة السابعة	-علم الشريعة	علوم القرآن ، الفقه الحديث ، الكلام (بتفريعاتها).			

المصدر : ابن حزم الأندلسي ، **رسالة مراتب العلوم** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، بيروت 1983 ، ج4 ، ص27 وما بعدها .

الملــحــق رقــم : 04

آداب التعلم عند الحافظ المحدث ابن عبد البر النمري(ت463هـ/1070م)

يقول ابن عبد البر النمري : " وأحسن ما رأيت في آداب التعلم والفقه من النظم ما ينسب إلى اللؤلؤي من الرجز ، وبعضهم ينسبه إلى المأمون ، وقد رأيت إيراد ما ذكر من ذلك لحسنه ، ولما رجوت من النفع به لمن طالع كتابي هذا نفعنا الله وإياه به ، قال :

و اعــــلم بــأن الـــعـلـم بالـتـعـلـم	والحـفـظ والاتقــان والتــفهــم
والعـــــلم قـــــد يـرزقـه الصغـيـر	فـي سـنـه ويــحرم الكــبـيــر
فـإنــمـــا الــمـرء بـأصـغـريــــه	لـيـس لـرجـلـيـه ولا يـديـــه
لســــانـه و قلـبــــه الــمـــركـب	في صدره وذلك خلق عجيب
والعلــم بالــفـهـم و بالـمـذاكــرة	والــدرس والفـكـرة و المناظـرة
فــربّ إنــســان يـنـال الـحـفـظا	ويـورد النصّ ويـحكي اللفظـا
ومــالــه فــي غـيــره نــصيـــب	مــمــا حـــواه العـــالـــم الأديب
وربّ ذي حـرص شـديـد الحب	للـعلـم والـذكـر بلـيد القـلب
مـعــجـز فـي الحـفـظ والـروايـة	ليست له عمـا روى حـكايـة
وآخر يــعـطـى بـــلا اجـتـهاد	حفظًا لما قد جاء في الاسـناد
يــــــهـزه بـالقلــب لا بناظــره	ليس بمظـطـرٍّ إلـــى قـماطـره
فالتمس العلم وأجْمِل في الطلب	والعــلم لا يَحْسُــــنُ إلا بالأدب (البحر الرجز)

المصدر : ابن عبد البر النمري ، **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله** ، دار ابن حزم ، ط1 بيروت ، 2006 ، ص 170 .

الملـــحــق رقـــم : 05

المنهج التربوي التعليمي عند ابن عبد البر النمري(ت463هـ/1070م)

السن	المواد الدراسية	شيوخ التخصص	الكتب المقررة	العلوم المساعدة
قبل البلوغ	حفظ القرآن الكريم		-القرآن الكريم	
البلوغ وما بعده	فهم القرآن الكريم ومقاصده		-القرآن الكريم	-اللغة العربيةوغريبها -النحو -ناسخ القرآن ومنسوخه وأحكامه (الفرائض). -اختلاف العلماء واتفاقهم(علم الكلام).
	السنن المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيره الناسخ والمنسوخ في السنن (حديثًا وسيرةً)، (قراءةً وحفظًا)	مالك بن أنس شعبة بن الحجاج سفيان الثوري الأوزاعي ، ابن عيينة ، ابن شهاب ابن جريج ،ابن وهب حماد بن يزيد، حماد بن سلمة ، يحيى بن سعيد القطان ، ابن المبارك ، وغيرهم.	-الحديث الشريف المنقول عن كتب السنن الصحاح كالبخاري ومسلم وأبوداود ، النسائي (الطبقة الأولى) . أما الطبقة الثانية: كالعقيلي،الترمذي ابن السكن ، وغيرهم	
	فهم الحديث النبوي الشريف.		الحديث الشريف من كتب الصحاح.	علم لسان العرب (العربية) ومواقع كلامها ، وسعة لغتها واستعاراتها ، ومجازها ، وعموم لفظ مخاطبتها، وخصوصه وسائر مذاهبها . أي غريب اللغة والنحو ، والاعراب.

المصدر : ابن عبد البر النمري ، **جامع بيان العلم وفضله** ، ص ص 404-405 .

المــلــحــق رقــم : 06

حال التعليم وطلبة العلم بالأندلس في عصر ملوك الطوائف من خلال وصف المحدث ابن عبد البر النمري (ت463هـ/1070م)

قال ابن عبد البر : " واعلم رحمك الله أن طلب العلم في زماننا هذا ، وفي بلدنا هذا ، قد حاد أهله عن طريق سلفهم وسلكوا في ذلك ما لم يعرفه أئمتهم ، وابتدعوا في ذلك ما بان به جهلهم ، وتقصيرهم عن مراتب العلماء قبلهم : فطائفة منهم تروي الحديث وتسمعه قد رضيت بالدؤوب في جمع ما لا تفهم ، وقنعت بالجهل في حمل ما لا تعلم ، فجمعوا الغث والثمين والصحيح والسقيم ، والحق والكذب في كتاب واحد ، وربما في ورقة واحدة ، ويدينون بالشيء الكثير وضده ، ولا يعرفون ما في ذلك عليهم ، قد شغلوا أنفسهم بالاستكثار عن التدبر والاعتبار ، فألسنتهم تروي العلم وقلوبهم قد خلت من الفهم غاية أحدهم معرفة الكتب الغريبة والاسم الغريب ، أو الحديث المنكر ، وقد تجده قد جهل ما لا يكاد يسع أحدًا جهله من علم صلاته وحجه وصيامه وزكاته ، وطائفة هي في الجهل كتلك أو أشد لم يعنوا بحفظ سنة ولا الوقوف على معانيها ولا بأصل من القرآن ولا اعتنوا بكتاب الله –جل وعز– فحفظوا تنزيله ، ولا عرفوا ما للعلماء في تأويله ، ولا وقفوا على أحكامه ، ولا تفقهوا في حلاله وحرامه ، قد اطرحوا علم السنن والآثار وزهدوا فيهما ، وأضربوا عنهما فلم يعرفوا الاجماع من الاختلاف ، ولا فرقوا بين التنازع والائتلاف ، بل عولوا على حفظ ما دون لهم من الرأي والاستحسان الذي كان عند العلماء آخر العلم والبيان وكان الأئمة يبكون على ما سلف وسبق لهم فيه ، ويودون أن حظهم السلامة منه.

ومن حجة هذه الطائفة فيما عوّلوا عليه من ذلك أنهم يقصرون وينزلون عن مراتب مَنْ له القول في الدين لجهلهم بأصوله وانهم مع الحاجة إليهم لا يستغنون عن أجوبة الناس في مسائلهم وأحكامهم ، فلذلك اعتمدوا على ما قد كفاهم الجواب فيه غيرهم وهم مع ذلك لا ينفكون من ورود النوازل عليهم فيما لم يتقدمهم فيه إلى الجواب غيرهم ، فهم يقيسون على ما حفظوا من تلك المسائل ، ويفرضون الأحكام فيها ، ويستدلون منه ويتركون طريق الاستدلال من حيث استدل الأئمة وعلماء الأمة فجعلوا ما يحتاج أن يستدل عليه دليلًا على غيره ، ولو علموا أصول الدين وطرق الأحكام وحفظوا السنن كان ذلك قوة لهم على ما ينزل بهم ، ولكنهم جهلوا ذلك فعادوه ، وعادوا صاحبه ، فهم يفرطون في انتقاص الطائفة الأولى وتجهيلها وعيبها وتلك تعيب هذه بضروب من العيب ، وكلهم يتجاوز الحد في الذم ، وعند كل واحد من الطائفتين خير كثير وعلم كبير ، أما أولئك فكالخزان الصيدلانيين ، وهؤلاء في جهل معاني ما حملوه مثلهم إلا أنهم كالمعالجين بأيديهم لعلل لا يقفون على حقيقة الداء المولد لها ، ولا على حقيقة طبيعة الدواء المعالج به ، فأولئك أقرب إلى السلامة في العاجل والآجل ، وهؤلاء أكثر فائدة في العاجل وأكبر غرورًا في الآجل ..." .

المصدر : ابن عبد البر النمري ، **جامع بيان العلم وفضله** ، ص ص 407 – 408 .

الملــحــق رقــم : 07

نموذج لصيغة عقد استئجار معلم

"استأجر فلان بن فلان ، فلان بن فلان المعلم ، ليعلم ابنه فلانًا ، او ابنته فلانة ، أو بنيه فلانًا وفلانًا وفلانًا القرآن ، نظرًا أو ظاهرًا ، والكتب ، والخط ، والهجاء عامًا ، أوله شهر كذا ، من سنة كذا ، وبكذا وكذا دينار صفة كذا ، يودي إليه كل شهر ما ينوبه منها ، وذلك كذا وكذا ، ويدفع إليه في كل شهر ، في أوله من دقيق القمح الطيب الريون – الأشقر- الجيد الطاهر ربعين أو ثلاثة بوزن كذا ، ومن الزيت نصف ربع من زيت الماء الطيب الأخضر بكيل كذا ، ويشرع المعلم في التعليم المذكور وعليه الاجتهاد ، ثم يكمل الوثيقة " .

" فإن اشترط عليه في الأعياد شيئًا ذكرت ذلك ، وقلت : ويدفع إليه في عيد الفطر كذا ، وفي عيد الأضحى كذا ، ويعطيه عند حذقة الصبي فلان القرآن كله كذا شهد " .

المصدر : خوليان ريبيرا ، **التربية الإسلامية في الأندلسية أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية** ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1994 ، ص 138 .

المـلـحـق رقـم : 08

جوانب من السياسة التعليمية التي أوصى بها
الفقيه القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت 474هـ/1081م) لولديه

" يا بَنَّي هداكما الله وأرشدكما ووفقكما وعصمكما ، وتفضل عليكما بخير الدنيا والآخرة ، ووقاكما محذورهما برحمته ، انكما لما بلغتما الحَدَّ الذي قَرُبَ فيه تَعيّنُ الفروض عليكما ، وتوجه التكليف إليكما ، وتحققت أنكما قد بلغتما حَدَّ من يفهم الوعظ ويتبين الرشد ويصلح للتعليم والعلم ، لزِمَني أن أقدم إليكما وصيتي ، وأظهر إليكما نصيحتي ، مخافةَ أن تخترمني منيةُ ولم أبلغ مباشرة تعليمكما وتدريبكما وإرشادكما وتفهيمكما (...).

وأول ما أوصيكما به ما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب : " **يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** " [سورة البقرة 131/2] ، وأنهاكما كما نهى عنه لقمان لابنه وهو يعظه : " **يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** " [سورة لقمان 12/31] (...).

وأفضل العلوم علم الشريعة ، وأفضل ذلك لمن وفِّق أن يجوِّد قراءة القرآن ، ويحفظ حديث النبي – صلى الله عليه وسلم– ويعرف صحيحه من سقيمه ، ثم يقرأ أصول الفقه ، فيتفقه في الكتاب والسنة ، ثم يقرأ كلام الفقهاء وما نقل من المسائل عن العلماء ، ويدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلة والحجج ، فهذه الغاية القصوى والدرجة العليا .

ومن قصَّر عن ذلك فليقرأ بعد تحفظ القرآن ورواية الحديث المسائل على مذهب مالك –رحمه الله – فهي إذا انفردت أنفع من سائر ما يقرأ مفردا في باب التفقه ، وإنما خصصنا مذهب مالك –رحمه الله – لأنه إمام في الحديث وإمام في الرأي وليس لأحد من العلماء ممن انبسط مذهبه ، وكثرت في المسائل أجوبته ، درجة الإمامة في المعنيين ، وإنما يشاركه في كثرة المسائل وفروعها ، والكلام على معانيها وأصولها أبو حنيفة والشافعي ، وليس لأحدهما إمامة في الحديث ولا درجة متوسطة .

وإياكما وقراءة شيء من المنطق وكلام الفلاسفة فإن ذلك مبنى على الكفر والالحاد والبعد عن الشريعة . وأحذركما من قراءتها ما لم تقرآ من كلام العلماء ما تقويان به فهم فساده وضعف شبهه وقلة تحقيقه(...).

المصدر : جودة عبد الرحمن هلال ، **مقدمة لوصية القاضي أبي الوليد الباجي لولديه** ، ص ص 30 – 31 . 35

المـلــحــق رقـــم : 09

جزء من وصية الفقيه محمد بن موسى الشهير بابن عمار الكلاعي الميورقي(كان حيًّا 485هـ/1092م) لابنه

بُنَيَّ قـد بـذلت الـنُّصْح فَـاقْبـلْ	ولا تـردد نَـصِـيحَةَ نَـاصِحِـينَا
بتـقْـوى الله يبـدأُ كــل مـــوص	فَـخَــيـر الـزَّاد زاد الـمُـتـقـينا
بـها بَـدَأَ الكِـتَابُ صفات قوم	هـــدى لـلمُتَّقِيـن الـمـؤمِـنِيـــنَا
وما التــقوى تَـصِحُّ لغير عـبد	مُنِـيـب مـؤمـن حقـا يـقـيــنا
ألا فَـاعْـلَـمْ فـإن العِلُمَ وصف	بـه رفـع الإلـه العـالــميــنا
وبعض العلم في الأعيان فَرْضٌ	وجُـمْلَتُـه فَـرِيـضـة عَـامِـلِيـنـا
متى ما لم تَكُنْ من حَامِلِيه	تـكـثـر مـــن سَـواد الـجَاهِلِينا
ألا إن العــلـومَ لـها اتِّـسَـــاعٌ	فَـخُـذْ مِنْـهَا من أَحْسَنِها فُنُونَا
وخيرُ العلـم مَـا أَدَّى لأُخرى	ومَـا يـخــفى على الـمُتَعَلِّمِينا
كحـفظ كِتَابَ ربك بالمَعَاني	فَدَارِسْـهُ تَكُـنْ في الـدَّارِسِينَا
فَـإنَّ لِكُــلِّ حرف مِنْهُ عَشْرًا	من الحَسَنَـاتِ إن أَلِفًـا وَنُـونًـا
وفِقْهٌ في الحَدِيثِ وَمَنْ رَوَاهُ	ومَـعْرِفَـة الأُصُـول الـرَّاسِخِـيـنَـا
أُصُول الدِّين حـَقِّقْهَا اعْتِقَادًا	تُـرِيـكَ فَـضِـيـلَـة المُتَكَـلِّمِينَا
أُصُول الفِقْه إنْ حَقَقْت فِيهَا	تُرِيـكَ فـضِيـلَة المتَـفَقِـهِيـنَا
وتَــقْـرَأُ فِي الدَّفَاتِرِ كُلَّ وَقْت	رَقَـائِـق مِـنْ كَـلَامِ الـنَّاسِكِينَا
زَكَاةُ العِلْم فِي الـتَّعْلِـيمِ فَاعْلَمْ	فَـعَـلِّــمْ لِـلْإِلَــهِ الطَـالِـبِــيـنَـا
فَحَـالُ الـعِلْم فَارْفَعْ لَا تضعه	فَـــتَأَخُــذْ أُجْـرَةً كَـمُـؤدِبِـيـنَا

المصدر : ابن عمار الكلاعي الميورقي (محمد بن موسى) ، **وصية محمد بن موسى الشهير بابن عمار الكلاعي الميورقي لابنه** ، ص ص74، 82، 85 (بتصرف) .

الملـــلحــق رقـــم : 10

مقتطفات من قصيدة الفقيه أبي إسحاق الإلبيري (ت نحو460هـ/ 1068م) التي حرض فيها باديس بن حبوس بن ماكسن (429-465هـ/1037-1072م) صاحب غرناطة ، وأهل صنهاجة ضد تمادي الوزير اليهودي ابن النغريلة

ألا قُلْ لــصنهـاجةٍ أجمعيـن بُـدُورُ الـزمـانِ وأسد الـعَـرِيـنْ

مَقَـــالَة ذي مِـقَــةٍ مُـشْـفـقٍ يـعد الـنَّصيـحـةِ زلـفى ودين

لَـقَـدْ زلَّ سيـدكـم زَلَّـــــةً تُـقِـرُّ بـِهَـا أعـيــن الشَّامِـتِيـنْ

تـَخـيَّـرَ كــاتـبُـه كــافِـــرًا ولـــو شـــاء كَـانَ من المُؤْمِنِينْ

فعـزَّ اليـهـودُ بــه وانْـتَخوا وتـَاهُـــوا وكَـانُوا من الأَرْذَلِيــنْ

أَبـاديس أنت امــــرءٌ حــاذق تُـصيــبُ بـظنّك مرمى اليقين

وكـيـف إسـتـنمت إلـى فـاسقٍ وقـارَنْـتَـه وهــو بئـس الـقـريـن

وقــد أَنْـزلَ الله في وحــيـــه يُحَـذِّرُ مــن صحبة الفاسقيــن

فــلا تـتَّـخـذْ منهُـمُ خـادمًا وذُرهــم إلــى لـعـنــة الـلاعنيــن

فـقـد ضجَّت الأَرض من فسقهم وكـادت تـميـد بِـنَـا أَجْـمَـعِـين

ورحَّـــم قِــــرْدُهُــــمُ دارَه وأجــرى إلـــــيهــا نمير العيون

ويـــضـحــك منَّـا ومن ديـنـنا فـإنَّـــا إلــى ربِّــنـــا راجــعـون

فَــبَـــادِرْ إلى ذبحــه قـربــةً وضـحِّ بـــه فـهـو كبـشٌ سمين

ولا تـــرفــع الـضغط عن رهـطه فــقـــد كنـزوا كـلَّ عـلـق ثمين

ولا تـحـسبـن قـتلــهـم غـــــدرةً بـل الـغـدر فـي تـركـهـم يعبثون

فـقـد نـكـثـوا عَـهْـدنَا عندهم فـكـيــف تُــلام على الناكـثيـــن

(البحر المتقارب).

المصدر : لسان الدين بن الخطيب ، **أعمال الأعلام** ، ق2 ، ص 231 وما بعدها . المقري التلمساني ، **نفح الطيب** ، ج5 ، ص 235 . محمد الأمين بلغيث ، **دولة المرابطين بالأندلس** ، ص 275وما بعدها.(بتصرف)

المــلــحــق رقـــم : 11

مواد الدراسة لصبيان المكتب في الأندلس ، ومقارنتها بما هو معمول به في بعض الأمصار الاسلامية حسب العلامة ابن خلدون(ت808هـ/1405م) في مقدمته

يقول ابن خلدون :

" فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولْدان الاقتصار على **تعليم القرآن فقط** ، وأخذهم أثناء المدارسة **بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه** ، **لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم** ، لا من حديث ولا من فقه ولا شعر ولا من كلام العرب ، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه ، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة .وهذا مذهب أهل الأمصار في المغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولداهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة .وكذا في الكبير إذا رجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره . فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم .

وأما أهل الأندلس فمذهبهم **تعليم القرآن** والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم . إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلا في التعليم . فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية **الشعر** في الغالب والتراسل وأخذهم بقوانين **العربية** وحفظها وتجويد **الخط** والكتاب . ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه **بالخط أكثر** من جميعها ، إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة ولقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما ، وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة لو كان فيها سند لتعليم العلوم . لكنهم ينقطعون عند ذلك انقطاع سند التعليم في أفاقهم ، ولا يحصل بأيديهم إلا ما حصل من ذلك التعليم الأول ، وفيه كفاية لمن أرشدهم الله تعالى واستعداد إذا وجد المعلم .

وأما أهل افريقية فيخلطون في تعليمهم بالولدان **القرآن بالحديث** في الغالب ، ومدارسة **قوانين العلوم** وتلقين بعض مسائلها . إلا أن عنايتهم ب**القرآن** ، واستظهار الولدان إياه ، ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته **أكثر مما سواه** ، وعنايتهم **بالخط** تتبع لذلك . وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن **أقرب** إلى طريقة أهل **الأندلس** ؛ لأن سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الأندلس الذين أجازوا عند تغلب النصارى على شرق الأندلس ، واستقروا بتونس ، وعنهم أخذ ولداهم بعد ذلك .

وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا ؛ ولا أدرى بم عنايتهم منها . والذي ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة **القرآن وصحف العلم وقوانينه** في زمن الشبيبة ولا يخلطون بتعليم الخط ؛ بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده ، كما تتعلم سائر الصنائع ، ويتداولونها في مكاتب الصبيان . وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الاجادة . ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويبتغيه من أهل صنعته .

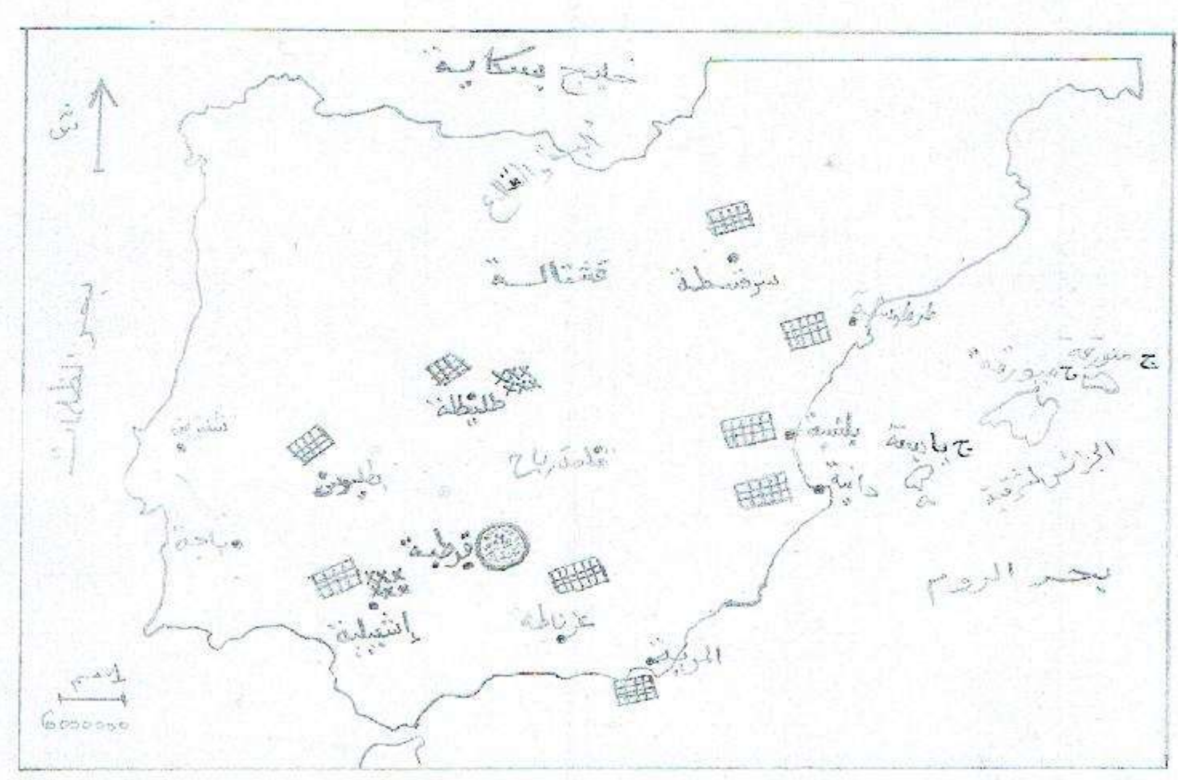
فأما أهل افريقية والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة ، وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة ، لما أن البشر مصروفون عن الاتيان بمثله ، فهم مصروفون ذلك عن الاستعمال على أساليبهم والاحتذاء بها ، وليس لهم ملكة في غير أساليبه ، فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي ، وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام . وربما كان أهل افريقية في ذلك أخف من أهل المغرب لما يخلطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه ، فيقتدرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل ، إلا أن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة ، لما أن أكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة (...).

وأما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي ، وقصروا في سائر العلوم لبعدهم عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها فكانوا لذلك أهل خط وأدب بارع أو مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا .

المصدر ، ابن خلدون ، **المقدمة** ، ج3 ، ص 1116 وما بعدها .

الملحق رقم 12

خريطة لأهم الحواضر العلمية بالأندلس



منارة العلم في العصر الأموي (الإمارة والخلافة).

المراكز الفرعية للاشعاع العلمي في العصر الأموي.



أشهر الحواضر العلمية في عصر ملوك الطوائف.

المصدر: جهد الطالب بالاعتماد على معلومات البحث وإسقاطها في خريطة صماء مستخرجة من: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة 1987، ص171.

قــائــمــة المــصــادر والــمــراجـــــــع

- **القرآن الكريم** برواية ورش عن نافع .

أولًا : المصادر :

I)- المخطوطة :

- مؤلف مجهول(**عاش بعد 1214هـ/1800م**) ، **فوائد فيها وصية ابن حبيب الأندلسي لمعلم أولاده وغيرها ، ضمن مجموعة من الخطب والتعليقات على بعض الكتب ، وتفاسير بعض السور القرآنية** ، مخطوط رقم 739 ، المكتبة العامة ، تطوان ، المملكة المغربية .

II) – المطبوعة :

أ–كتب العلوم الدينية ، والنوازل :

- ابن الأثير الجزري(مجد الدين المبارك بن محمد) ، **جامع الأصول في أحاديث الرسول** ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ، مكتبة الحلواني ، مكتبة دار البيان ، ط1 .

- الأصبهاني أبو نعيم ، **مسند الإمام أبي حنيفة** ، تحقيق نظر محمد الفارابي، مكتبة الكوثر ، ط1 الرياض .

- البخاري(محمد بن إسماعيل) ، **الجامع الصحيح** ، شرحه وحققه محب الدين الخطيب المطبعة السلفية ومكتبتها ، ط1 ، القاهرة ، 1400هـ .

- // // // ، **الأدب المفرد** ، تحقيق سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف،ط1 ،الرياض، 1998.

- أبو بكر البيهقي (أحمد بن الحسين)، **المدخل إلى السنن الكبرى** ، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت .

- أبو بكر البيهقي(أحمد بن الحسين) ، **السنن الكبرى** ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط3 ، بيروت ، 2003 .

- أبو بكر الحميدي(عبد الله بن الزبير) ، **مسند الحميدي** ، تحقيق وتخريج حسن سليم الدَّاربي ، دار السقا ، ط1 ، دمشق ، 1996 .

- أبو بكر بن أبي شيبة(عبد الله بن محمد) ، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار** ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، مكتبة الراشد ، ط1 ، الرياض ، 1409 هـ .

- أبو بكر الطرطوشي (محمد بن الوليد) ،**الحوادث والبدع** ، تحقيق علي بن حسن الحلبي ، دار ابن الجوزي، ط3 ، 1998 .

- الترمذي (أبو عبد الله محمد بن علي) ، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم** تحقيق عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت .

- جلال الدين السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر)، **الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير** تحقيق يوسف النبهاني ، دار الفكر ، ط1 ، بيروت ، 2003 .

- ابن حجر العسقلاني(أحمد بن علي) ، **التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بالتلخيص الحبير** ، تحقيق محمد الثاني بن عمر بن موسى ، دار أضواء السلف ، ط1 ،2007 .

- ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد) ، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، صححه وذيله بالهوامش ،عبد الرحمن خليفة ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ط1 ، مصر ، 1347هـ .

- أبو الحسن الهيثمي(نور الدين علي بن أبي بكر) ،**كشف الأستار عن زوائد البزار** ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، بيروت ، 1979 .

- // // // // ، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي القاهرة، 1994م .

- الحميدي الميورقي(محمد بن فتوح الأزدي) ، **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم** ، تحقيق علي حسين البواب ، دار ابن حزم ، ط2 ، بيروت ، 2002 .

- ابن حنبل (أحمد بن محمد) ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ط1 ، القاهرة ، 1995 .

- أبو داود الأزدي السجستاني(سليمان ببن الأشعث) ، **سنن أبي داود** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط محمد كامل قره بللي ، دار الرسالة العالمية ، ط1 ، 2009 .

- أبو داود الطيالسي البصري(سليمان بن داود) ، **مسند أبي داود الطيالسي** ، تحقيق محمد عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط1 ، مصر .

- السلماني (يحيى بن ابراهيم) ، **منازل الأئمة الأربعة** ، تحقيق محمود بن عبد الرحمن قدح ، الجامعة الإسلامية ، ط1 ، المدينة المنورة ، 2002 .

- ابن سهل الأندلسي(أبو الأصبغ عيسى) ، **تسع وثائق في شؤون الحسبة على المساجد في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى** ، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف ، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، العدد 22 ، جامعة الكويت ، 1984 ، م5 .

- // // // ، **ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام** تحقيق يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة ، 2007 .

- الطبري (محمد بن جرير) ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط1 ، 2000 .

- الطبري (أبو القاسم سليمان بن أحمد) ، **المعجم الكبير** ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي مكتبة ابن تيمية ، ط2 ، القاهرة .

- أبو عيسى الترمذي ،**الجامع الكبير سنن الترمذي** ، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1998.
- أبو الفتح الشهرستاني(محمد عبد الكريم بن أبي بكر) ، **الملل والنحل** ، إشراف وتقديم صدقي جميل العطار ، دار الفكر ، ط2 ، بيروت ، 2002 .
- أبو الفداء بن كثير ، **جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن** ، تحقيق عبد الملك بن عبد الله الدهيش ، دار خضر للنشر ، ط2 ، بيروت ، 1998 .
- الفراء البغدادي (محمد بن أبي يعلى) ، **طبقات الحنابلة** ، تحقيق وتقديم وتعليق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1999.
- ابن فرحون القرطبي ، **الزاهر في بيان ما يستند من الخبائث الصغائر والكبائر** ، تحقيق أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1997.
- مالك بن أنس ، **الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي** ، تحقيق وتخريج الأحاديث وتعليق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1997 .
- الإمام مسلم (مسلم بن الحجاج النيسابوري) ، **المسند الصحيح المختصر** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- مجموعة من العلماء ، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ط1 . 1973
- مجموعة من العلماء ، **المسند الجامع لأحاديث الكتب الستة وموطأ الإمام مالك** ...الخ ، حققه ورتبه وضبط نصه محمود محمد خليل ، دار الجيل ، بيروت ، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ط1 ، الكويت ، 1993 .

- ابن ماجة القزويني (أبو عبد الله محمد بن يزيد) ، **سنن ابن ماجة** ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون دار الرسالة العالمية ، ط1 ، 2009 .

- المقدسي الحنبلي(أبا عبد الله محمد بن أحمد) ، **مناقب الأئمة الأربعة** ، تحقيق سليمان سلم الحرش دار المؤيد .

- مكي بن أبي طالب ، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه** ، تحقيق بإشراف الشاهد البوشيخي ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة ،ط1 ، 2008 .

- الونشريسي أبي العباس (أحمد بن يحيى) ،**المعيار المعرب ،والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس ، والمغرب** ، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف ، والشؤون المغربية ، دار الغرب الاسلامي، الرباط ، بيروت ،1981 .

ب) مصادر متخصصة في التربية والتعليم :

- ابن عبد البر النمري(يوسف بن عبد الله) ، **أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العيِّ وتعليم الإعراب وغير ذلك** ، تحقيق ودراسة سمير حلبي ، دار الصحابة للتراث ،ط1، طنطا، 1989.

- // // // ، **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله** ، دار ابن حزم ، ط1 ، بيروت 2006 .

- ابن الجزار القيرواني (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم) ، **سياسة الصبيان وتدبيرهم** ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ، تونس ، 2008 .

- ابن حزم الأندلسي(علي بن أحمد) ، **الأخلاق والسير في مداواة النفوس** ، تحقيق وتقديم وتعليق الطاهر أحمد مكي ، دار المنارة ، ط2 ، جدة ، 2007 .

- // // // ، **رسائل ابن حزم الأندلسي 384 – 456 هـ** ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، ج4 ، 1983 ، ط2 (الأجزاء1 ، 2 ،3) ، 1987.

- ابن خير الإشبيلي (أبوبكر محمد) ، **فهرسة ابن خير الإشبيلي(502– 575هـ/ 1108–1179م)** تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط1 ، القاهرة، بيروت ،1989.

- ابن سحنون (محمد بن عبد السلام) ، **كتاب آداب المعلمين** ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ومحمد العروسي المطوي ، مراجعة إبراهيم بن مراد ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ط3 ، تونس ، 2010 .

- ابن عمار الكلاعي الميورقي(محمد بن موسى) ، **وصية محمد بن موسى الشهير بابن عمار الكلاعي الميورقي لابنه** ، تحقيق وتصحيح وضبط أبو أويس محمد بوخبزة الحسني التطواني ، دار الكتب العلمية ط1 ، بيروت ، 2003 .

- الغزالي أبو حامد (محمد بن محمد) ، **أيـها الولـد** ، ترجمة إلى العربية عمر فروخ ، تقديم جورج شيرر اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ، ط3 ، بيروت ، 1969.

- القابسي(أبو الحسن علي) ، **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين** دراسة وتحقيق وتعليق وفهارس وترجمة فرنسية أحمد خالد ، الشركة التونسية للتوزيع ، ط1 ، تونس .1986

- المغرواي (أحمد بن أبي جمعة) ، **جامع جوامع الاختصار ، والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان** ، تحقيق وتعليق أحمد جلول بدوي ، رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر ، والتوزيع، الجزائر.

ب)–كتب التاريخ العام :

– ابن الأثير الجزري(علي بن أبي الكرم محمد) ، **الكامل في التاريخ** ، راجعه وصححه ، محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1987 .

– أرسلان شكيب ، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط1 فاس ، 1936 .

– الاشبيلي(بكر بن إبراهيم) ، **كتاب التيسير في صناعة التسفير**، نشره عبد الله جنون ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، مدريد ، 1959-1960 ، م7-8 .

– البغدادي (أحمد بن علي) ، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها (تاريخ بغداد)** ، تحقيق وضبط وتعليق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ط1 ، بيروت ، 2001 .

– ابن بلكين عبد الله ، **كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة** ، تحرير علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ، القاهرة ، 2006 .

– ابن حيان القرطبي (أبومروان حيان بن خلف) ، **المقتبس** ، القطعة التي حققها عبد الرحمن علي الحجي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1965 .

– // // // ، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس** ، تحقيق وتقديم وتعليق محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1973 .

– ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله) ، **رقم الحلل في نظم الدول** ،المطبعة العمومية ، تونس .1898

– // // // ، **تاريخ إسبانية الإسلامية أو أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** ، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، ط2 ، بيروت ، 1956 .

– ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد) ، **تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1968 .

- // // // ، **مقدمة ابن خلدون** ، تحقيق وتنظيم وضبط وشرح وتعليق علي عبد الواحد وافي الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2006 .

- ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلي المغرب** ،تحقيق وتعليق شوقي ضيف ،دار المعارف، ط3 القاهرة ، 1978.

- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن محمد) ، **المن بالإمامة " تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين"** ، تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي ، ط3 ، بيروت ، 1987 .

- ابن عـذارى المراكشي (أبو عبد الله محمد) ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ،تحقيق ومراجعة ج.س.كولان وَ ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، ط3 ، بيروت ، 1983.

- قسطنطين السابع بـورفيروجـنـيتـوس ، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية** ، عرض وتحليل وتعليق محمود سعيد عمران ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1980 .

- ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر) ، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط2 ، القاهرة ، بيروت ، 1989 .

- محمد الغساني الأندلسي ، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، تحرير وتقديم نوري الجراح ، دار السويدي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط1 ، أبوظبي ، بيروت ، 2002 .

- المقري التلمساني (أحمد بن محمد) ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، ط1 ، بيروت ، 1998 .

- مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ط2 ، القاهرة ، بيروت ، 1989.

- عبد الملك بن حبيب ،**كتاب التاريخ** ، وضع حواشيه سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية ط1 ، بيروت ، 1999 .

- عبد الواحد المراكشي (محيي الدين أبي محمد بن علي) ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،مطبعة بريل ، ليدن ، 1881 .

ج)-كتب الطبقات والتراجم والأنساب :

- ابن الأبار القضاعي(محمد بن عبد الله) ، **التكملة لكتاب الصلة** ، تعليق ألفريد بل ، ابن أبي شنب المطبعة الشرقية ، الجزائر، 1919 .

- // // // ، **الحلة السيراء** ، وضع حواشيه وعلق عليه علي إبراهيم محمود ، دار الكتب العلمية ط1 ، بيروت ، 2008 .

- إسحاق بن حنين ، **تاريخ الأطباء والفلاسفة** ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، بيروت . 1985

- أبو اسحاق الشيرازي الشافعي ، **طبقات الفقهاء** ، حققه وقدم له إحسان عباس ، دار الرائد العربي بيروت ، 1970 .

- الأسنوي عبد الرحيم جمال الدين ، **طبقات الشافعية** ، تقديم كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1987 .

- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أحمد بن القاسم) ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، شرح وتحقيق نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

- الأوسي المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد) ، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول و الصلة**، تحقيق وتعليق إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغربي الإسلامي، ط1 ، تونس .

- ابن عبد البر النمري القرطبي (أبوعمرو يوسف بن عبد الله) ، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** صححه وخرّج أحاديثه عادل مرشد ، دار الأعلام ، عمان ، 2002 .

- ابن بسام الشنتريني ، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت . 1997

- ابن بشكوال(أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ، **الصلة** ، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني ، ط1 ، القاهرة ، بيروت ، 1989 .

- أبوبكر المالكي(عبد الله بن محمد) ، **رياض النفوس** ، حققه بشير البكوش ، راجعه محمد العروسي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1994 .

- تاج الدين السبكي (أبو نصر عبد الوهاب بن علي) ، **طبقات الشافعية الكبرى** ، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1976 .

- جلال الدين السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر) ، **بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحويين** ، دار الفكر ، ط2 ، 1979.

- // // // **تاريخ الخلفاء** ، تحقيق أحمد إبراهيم زهوة ، سعيد بن أحمد العيدروسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط4 ، 2003 .

- ابن جلجل الأندلسي(أبوداود سليمان بن حسان) ، **طبقات الأطباء والحكماء** ، تحقيق فؤاد سيد مؤسسة الرسالة ، ط2 ، بيروت ، 1985 .

- ابن حزم الأندلسي(علي بن أحمد)، **جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون دار المعارف ، ط5 ، 1982 .

- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح) ، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966.

- ابن خاقان(الفتح بن محمد) ، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس** ، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة ، دار عمار ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1983 .

- الخشني القروي (محمد بن الحارث) ، **قضاة قرطبة وعلماء افريقية** ،نشره وصححه وراجعه السيد عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، ط2 ، القاهرة ، 1994 .

- ابن خلكان شمس الدين(أحمد بن محمد) ، **وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان** ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1994 .

- الدباغ (عبد الرحمن بن محمد) ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ،أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، 1968.

- ابن دحية الكلبي(أبو الخطاب عمر)،**المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون دار العلم للجميع ، 1955.

- الزبيدي الأندلسي(أبوبكر محمد بن الحسن) ،**طبقات النحويين واللغويين** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1984 .

- ابن الزبير (أبوجعفر أحمد بن إبراهيم) ، **صلة الصلة** ، تحقيق عبد السلام الهراس ، سعيد اعراب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية ، 1995 .

- الزهري محمد بن سعد بن منبع ، **كتاب الطبقات الكبير** ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ط1 ، القاهرة ، 2001 .

- ابن سعد البصري البغدادي (أبو عبد الله محمد) ، **الطبقات الكبرى** ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968 .

- شمس الدين الذهبي(محمد بن أحمد) ، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق وإخراج وتعليق شعيب الأرناؤوط محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994.

- صاعد الأندلسي (أبو القاسم صاعد بن أحمد) ،**طبقات الأمـم** ، نشره وذيله بالحواشي لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1912 .

- الصفدي صلاح الدين (خليل بن أيبك) ، **الوافي بالوفيات،** تحقيق أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى دار احياء التراث العربي ، ط1 ، بيروت ، 2000 .

- الضبي (أحمد بن يحيى) ، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** ، تحقيق إبراهيم الأبياري دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط1 ، القاهرة ، بيروت ، 1989 .

- أبو عبد الله المقدمي (محمد بن أحمد) ، **التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم** ، تحقيق محمد بن إبراهيم اللحيدان ، دار الكتاب والسنة ، ط1 .

- أبو العرب بن تميم (محمد بن أحمد) ، **طبقات علماء افريقية** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

- ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي) ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، دار إحياء التراث العربي ، بيـروت .

- ابن فرحون (إبراهيم بن نور الدين) ، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ، دراسة وتحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1996 .

- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد) ، **تاريخ علماء الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ، 1966 .
- القاضي عياض(عياض بن موسى) ، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية .
- ابن قنفذ (أحمد بن حسين) ، **الوفيات** ، تحقيق عادل نويهض ، ذخائر التراث العربي ، ط1 بيروت ، 1971 .
- المراكشي(أبو عبد الله محمد الأنصاري الأوسي) ، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** تحقيق محمد بن شريفة ، إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت .
- المقري التلمساني(أحمد بن محمد) ، **أزهار الرياض في أخبار عياض** ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1940
- النباهي المالقي(علي بن عبد الله) ، **تاريخ قضاة الأندلس أو المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا** ، ضبط وشرح وتعليق وتقديم وترتيب فهارس مريم قاسم طويل ، دار الكتب العلمية ، ط1 بيروت ، 1995.
- ابن عبد الهادي الدمشقي الصالحي(أبو عبد الله محمد بن أحمد) ، **طبقات علماء الحديث** ، تحقيق أكرم البوشي ابراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، بيروت ، 1996 .
- ياقوت الحموي(شهاب الدين بن عبد الله) ، **معجم الأدباء ارشاد الأريب في معرفة الأديب** تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

د)–المصادر الجغرافية :

- البكري أبو عبيد ، **المسالك والممالك** ، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفن ، أندري فيري ، بيت الحكمة ، قرطاج ، 1992 .
- // // // ، **المغرب في ذكر افريقية والمغرب** ،دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة .
- الحميري(محمد بن عبد المنعم) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط2 ، بيروت ، 1984 .

- الشريف الإدريسي(محمد بن عبد العزيز) ، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1863 .
- العذري (أحمد بن عمر بن أنس) ، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار** تحقيق عبد العزيز الأهواني ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد .
- العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله) ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، معهد العلوم العربية والإسلامية ، جامعة فرانكفورت ، ألمانيا ، 1988 .
- = = = = = ، **وصف افريقية والمغرب والأندلس(مقتبس من كتاب مسالك الأبصار)** ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، العدد11 ، مجلة البدر ، جامعة الزيتونة ، تونس .
- كرباخال مارمول ، **إفريقيا** ، ترجمة محمد حجي وآخرون ، دار المعرفة ، الرباط ،1988.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين بن عبد الله) ، **معجم البلدان** ، دار صادر ، بيروت .

هـ)-كتب اللغة العربية وقواميسها والأدب والشعر:

- الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر) ، **البيان والتبيين** ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط7 ، القاهرة ، 1998 .
- الجوهري الفارابي (إسماعيل بن حماد) ، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ط4 ، بيروت ، 1987.
- ابن حزم الأندلسي(أبو محمد علي بن أحمد)،**طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة والألاف**،دراسة وتحقيق عبد الحق التركماني مراجعة عبد العزيز بن علي الحربي، دار ابن حزم، ط2 ، بيروت، 2013.
- الرازي الحنفي(زين الدين محمد بن أبي بكر)،**مختار الصحاح** ، تحقيق يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، ط5 ، بيروت ، 1999.

- ابن عبد ربه الأندلسي (أحمد بن محمد) ، **العقد الفريد** ، تحقيق مفيد محمد قمحة ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت .

- الزجالي (عبيد الله بن أحمد) ، **أمثال العوام في الأندلس،** تحقيق وشرح ومقارنة محمد بن شريفة وزارة الشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المغرب .

- الزبيدي المرتضى(محمد بن محمد) ، **تاج العروس من جواهر القاموس،** تحقيق مجموعة من المحققين دار الهداية .

- الشرشي (أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن)، **شرح المقامات الحريرية** ، المطبعة الكبرى الميرية ط2 ، القاهرة ، 1300هـ .

- الفراهيــدي البصري(الخليل بن أحمد) ، **كتاب العــين** ، تحقيق مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال .

- الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) ، **القاموس المحيط** ، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، ط2 ، بيروت ، 2003 .
- ابن منظور الافريقي (جمال الدين محمد بن مكرم) ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت.

ثانيًا : المراجع العربية :

- أحمد رمضان أحمد ، **تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط** ، وزارة الثقافة المصرية ، القاهرة .
- // // // ، **الرحلة والرحالة المسلمون** ، دار البيان العربي ، جدة .
- اسكان الحسين ، **تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط(1–9هـ/7 – 15م)،** مركز الدراسات التاريخية والبيئية ، (ضمن سلسلة الدراسات والأطروحات رقم 02) ، الرباط ، 2004 .
- آل إسماعيل نبيل بن محمد إبراهيم، **علم القراءات،** مكتبة الملك فهد الوطنية، ط2 ،الرياض، 2002 .
- اعراب سعيد ، **مع القاضي أبي بكر بن العربي** ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1987 .
- الألباني ناصر الدين ، **مختصر صحيح الامام البخاري** ، مكتبة المعارف ، ط1 ، الرياض ، 2002.

- البشري سعد بن عبدالله ، **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (422 – 488 هـ/1030 – 1095م)**،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط1 ، الرياض ، 1993.
- // // // ، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316-422هـ/928-1030م)** معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1997.
- بكار عبد الكريم ، **حول التربية والتعليم** ، دار القلم ، ط3 ، دمشق ، 2011.
- بلغيث محمد الأمين ، **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي** ، دار التنوير ، 2006 .
- // // // ، **دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم** ، دار الوعي ، ط1 الجزائر ، 2009 .
- البنداق محمد صالح ، **يحيى بن الحكم** ، منشورات دار الافاق الجديدة ، ط1 ، بيروت ، 1979.
- بوتشيش إبراهيم القادري ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** دار الطليعة ، بيروت ، 1998 .
- // // // ، **إضاءات حول تراث الغرب الاسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي** ، دار الطليعة ط1 ، بيروت ، 2002.
- // // // ، **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي** ، دار الطليعة ، ط1 ، بيروت . 2006
- بوزيان أحمد ، **تيارت عاصمة الدولة في عهد الرستميين** ، دار الهدى ، الجزائر ، 2004 .
- بوغلا أحمد ، **الرحلة الأندلسية (الأنواع والخصائص)** ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، ط1 ،الرباط . 2008
- بونار رابح ، **المغرب العربي تاريخه وثقافته** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1968 .
- البيلي محمد بركات ، **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري** دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1993 .
- بن بية محمد محمود عبد الله ، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين** ، دار الأندلس الخضراء دار ابن حزم ، ط1 ، جدة ، بيروت ، 2000 .
- الترغي(عبد الله المرابط) ، **فهارس علماء المغرب من النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها-تطورها-قيمتها العلمية** ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد الملك السعدي ، ط1 ، تطوان (سلسلة الأطروحات رقم02) ، 1999 .

- التليسي بشير رمضان ، **الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي** ، دار المدار الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2003.
- تيمور باشا أحمد ، **المذاهب الفقهية الأربعة(الحنفي – المالكي – الشافعي – الحنبلي) وانتشارها عند جمهور المسلمين** ، تقديم محمد أبو زهرة ، دار القادري ، ط1 ، بيروت ، 1990.
- الثعالبي عبد العزيز ، **تاريخ شمال افريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية** ، تحقيق أحمد بن ميلاد ، محمد إدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، بيروت . 1987
- جبر المالكي حسن عبد الحميد ، **أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها** ، دار الكتاب الحديث ط2 ، الكويت ، 1999.
- الجديع عبد الله بن يوسف ، **العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية** ،دار الإمام مالك ، دار الصميعي ،ط2 ،1995.
- // // // ، **تيسير علم أصول الفقه** ، مؤسسة الريان ، ط4 ، بيروت ، 2006 .
- جرار نبيل سعد الدين سليم ، **الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء – زوائد الأمالي والفوائد والمعاجم والمشيخات على الكتب الستة والموطأ ومسند الإمام أحمد** ، أضواء السلف للنشر ، ط1 .
- الجراري عباس ، **الرحلة العلمية بين الأندلس والمشرق** ، كراسات أندلسية ، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات الرباط ، ط1 ، 2006 .
- جودت عبد الكريم يوسف ، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر . 2007
- الجيار سيد إبراهيم الجيار ، **دراسات في تاريخ الفكر التربوي** ، وكالة المطبوعات ، ط1 ، الكويت . 1974
- الحاجري محمد طه ، **دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية بالمغرب العربي** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1 ، بيروت ، 1983 .
- حافظ عبد السلام هاشم ، **المدينة المنورة في التاريخ "دراسة شاملة"** ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ط3 ، 1982 .
- الحجي عبد الرحمن علي ، **التاريخ الأندلسي** ، دار القلم ، ط5 ، دمشق ، 1997.

- // // // ، **المكتبات في الأندلس** ، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ، المجمع الثقافي ، ط1 . 2007 .
- الحريري محمد عيسى، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها ،وعلاقاته الخارجية بالمغرب والأندلس 160 – 296ه** ، دار القلم ، ط3 ، الكويت ، 1987 .
- حسان محمد حسان، **ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي** ، دار الفكر العربي ، القاهرة.
- حسن زكي محمد ، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى** ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981 .
- بن حمادة سعيد ، **النظام التعليمي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط** ، منشورات الزمن، الرباط . 2011 .
- حمادة محمد ماهر ، **الوثائق السياسية ،والإدارية في الأندلس وشمال افريقية** ، مؤسسة الرسالة ،ط2 بيروت ، 1986
- // // // ، **المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها** ، مؤسسة الرسالة ، ط7 ، بيروت . 1996 .
- حمدان عاصم حمدان علي ، **المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ** ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ط1 ، 1991 .
- الحميداوي صباح خابط عزيز سعيد ، **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لأعيان الأندلس في عهدي الامارة والخلافة (138–422ه/755–1030م)**، دار ومكتبة عدنان ، ط1 ، بغداد ،2014 .
- الحنفي أحمد محمود ، **إسحاق الموصلي** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة .
- // // // ، **زرياب أبو الحسن علي بن نافع موسيقار الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- أبو حويج مروان سليم ، **أصالة التثقيف التربوي الإسلامي في الفكر الأندلسي** ، الدار الجامعية . 1987 .
- الحويري محمود محمد ، **مصر في العصور الوسطى " من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني "** المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، ط2 ، القاهرة ، 2002 .
- خضيري أحمد حسن ، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362–567ه /973–1171م)** ، مكتبة مدبولي ، ط1 ، القاهرة .
- بن خميسي عمار ، **الممتع في أخبار العلم والعلماء** ، دار ابن حزم ، ط1 ، بيروت ، 2007 .

- الخولي عبد البديع عبد العزيز عمر ، **الفكر التربوي في الأندلس 403-478هـ** ، دار الفكر العربي ط2 ، 1985 .

- دندش عصمت عبد اللطيف ، **دراسات أندلسية في السياسة والاجتماع** ، دار الغرب الإسلامي ط1 ، تونس ، 2009 .

- دويدار حسين يوسف ، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138 -422 هـ / 755 - 1030م** ، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1 ، 1994 .

- دياب حامد الشافعي ، **الكتب والمكتبات في الأندلس** ، دار قباء ، ط1 ، القاهرة ، 1998.

- ذنون طه عبد الواحد ، **دراسات أندلسية** ، دار المدار الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2004 .

- // // // ، **دراسات في التاريخ الأندلسي** ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2004 .

- // // // ، **دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها** ، دار المدار الإسلامي ، ط1 ، بيروت . 2004

- // // // ، **تراث وشخصيات من الأندلس** ، دار المدار الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2009.

- رستم محمد بن زين العابدين ، **بيوتات العلم والحديث في الأندلس** ، دار ابن حزم ، ط1 ، بيروت . 2009

- // // // ، **الكتب المشرقية والأصول النادرة في الأندلس** ، دار ابن حزم ، ط1 ، بيروت . 2009

- زنيبر محمد ، **دراسات في الحضارة الإسلامية وثقافة الغرب الإسلامي** ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس أكدال ، ط1 ، الرباط ، 2010 .

- زيتون محمد محمد ، **المسلمون في المغرب والأندلس** ، دار الكتب ،1990.

- زيدان عبد الكريم ، **الوجيز في أصول الفقه** ، مؤسسة الرسالة ، ط7 ، بيروت، 1998 .

- زينل نهاد عباس ، **الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس** ، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت 2013.

- سامعي إسماعيل ، **معالم الحضارة العربية الإسلامية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983.

- سالم السيد عبد العزيز ، **تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس** ، دار النهضة العربية بيروت ، 1969 .

- // // // ، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981.

- // // // ، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 1985 .

- // // // ، **المساجد والقصور في الأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1986.

- // // // ، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997.

- سعد الدين محمد منير ، **المدرسة الاسلامية في العصور الوسطى مفهومها نشأتها دورها وخدماتها في المجتمع إدارتها وتنظيمها** ، المكتبة العصرية ، ط1 ، بيروت ، 1995 .

- سعدون نصر الله ، **تاريخ العرب السياسي في الأندلس** ، دار النهضة العربية ، ط1 ، بيروت،1998.

- السعيد سليمان أحمد ، **تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة** ، دار المعرفة ، مصر .

- السيد عبد العزيز سالم سحر ، **شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي التاريخ السياسي والحضاري** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1995 .

- سيسالم عصام سالم ، **جزر الأندلس المنسية – التاريخ الإسلامي لجزر البليار –** ،دار العلم للملايين ط1 ، 1984 .

- شاكر حضباك ، **الجغرافيا عند العرب** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، بيروت ، 1986.

- شلبي أحمد ، **التربية والتعليم في الفكر الإسلامي** ، مكتبة النهضة المصرية ، ط8 ، القاهرة ، 1987.

- الشيال جمال الدين ، **تاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الاسلامي** ، دار المعارف ، القاهرة .

- الصابوني محمد علي ، **التبيان في علوم القرآن** ، مكتبة رحاب ، ط3 ، الجزائر ، 1986 .

- الصوفي خالد ، **تاريخ العرب في الأندلس** ، منشورات الجامعة الليبية .

- ضيف شوقي ، **من المشرق والمغرب بحوث في الأدب**، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، القاهرة . 1998

- طقوش محمد سهيل ، **تاريخ المسلمين في الأندلس** ، دار النفائس ، ط3 ، بيروت ، 2010 .

- الظفيري مريم محمد صالح ، **مصطلحات المذاهب الفقهية وأسرار الفقه المرموز في الأعلام والكتب والآراء والترجيحات** ، دار ابن حزم ، ط1 ، بيروت ، 2002 .

- عاشور سعيد عبد الفتاح ، **أوربا في العصور الوسطى (التاريخ السياسي)** ، المكتبة الأنجلو مصرية ط10 ، القاهرة, 1986.

- العبادي أحمد مختار ، **في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية** ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية .

- // // // ، **في التاريخ العباسي والأندلسي** ، دار النهضة العربية ، بيروت .

- عباس إحسان ، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين** ، دار الثقافة ، ط5 ، بيروت . 1978

- // // // ، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة .

- عبيدات محمد وآخرون ، **منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات** ، دار وائل ، ط2 عمان ، 1999 .

- العبيكان طرفة عبد العزيز ، **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة بين القرنين السابع والثامن للهجرة** مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1996 .
- عتيق عبد العزيز ، **الأدب العربي في الأندلس** ، دار النهضة العربية ، ط2 ، بيروت ، 1976 .
- العريني يوسف علي بن إبراهيم ، **الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين** ، مطبوعات الملك عبد العزيز العامة ، ط1 ، الرياض ، 1995 .
- عبد العزيز محمد عادل ، **التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987 .
- عقيل حسين عقيل ، **فلسفة مناهج البحث العلمي** ، مكتبة مدبولي ، 1999.
- العكش إبراهيم علي ، **التربية والتعليم في الأندلس** ،دار عمار ،دار الفيحاء ،ط1، عمان ، 1986.
- العمايرة محمد حسن ، **أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية** ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2010 .
- عنان محمد عبد الله ، **تراجم إسلاميـــة شرقيـة وأندلسية** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1970.
- // // // ، **دولة الإسلام في الأندلس** ، مكتبة الخانجي، ط5 ، القاهرة .
- العنتيل محمد فوزي ، **التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة 1966.
- عويس عبد الحليم ، **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري** ، الزهراء للإعلام العربي ، ط2 ، القاهرة ، 1988
- عيسى بك أحمد ، **تاريخ البيمارستانات في الاسلام** ، دار الرائد العربي ، ط2 ، بيروت ، 1981.
- عيسى محمد عبد الحميد ، **تاريخ التعليم في الأندلس** ، دار الفكر العربي ،ط1 ، القاهرة ، 1982.
- فروخ عمر ، **تاريخ الأدب العربي** ، دار العلم للملايين ، ط3 ، بيروت ، 1996 .
- الفقي عبدالرؤوف عصام الدين ، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس** ، دار الفكر العربي ، القاهرة.
- فيلالي عبد العزيز ، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982.
- // // // ، **المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس** ، دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس ، 1991 .
- قمبر محمود ، **دراسات تراثية في التربية الإسلامية** ، دار الثقافة ، الدوحة ، 1985.

- قويدر بشار ، **مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه** ، دار الوعي ، ط1 ، الجزائر ، 1993 .
- الكبيسي خليل إبراهيم ، **دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة** ، دار البشائر الإسلامية ، ط1 ، بيروت ، 2004 .
- كرد علي ، **غابر الأندلس وحاضرها** ، المكتبة الأهلية ، ط1 ، 1923.
- كواتي مسعود ، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين،** دار هومة الجزائر ، 2000 .
- لقبال موسى ، **المغرب الإسلامي** ، دار هومة ، الجزائر، 2002 .
- محجوب عباس ، **التربية والتعليم في كتب التراث** ، جدارا للكتاب العالمي ، عالم الكتب الحديث ،ط1 عمان ، أربد ، 2007 .
- محمود السيد ، **تاريخ العرب في الأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2002 .
- محمود علي عبد الحليم ، **التربية الاجتماعية الإسلامية** ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ط1 ، القاهرة .2001
- مدكور علي أحمد ، **منهج التربية في التصور الإسلامي** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1990.
- مرسي محمد منير ، **تاريخ التربية في الشرق والغرب** ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1993.
- مصطفى مسعد سامية ، **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399هـ/ 912- 1008م** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،ط1 ، 2000 .
- مصطفى وديع واصف ، **ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق** ، المجمع الثقافي ، أبوظبي . 2000
- مطلق ألبير حبيب ، **الحركة اللغوية في الأندلس من الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف** ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1997 .
- ابن المواز(أحمد بن عبد الواحد بن محمد) ، **خطوة الأقلام في التعليم والتربية في الإسلام** ، تقديم وتحقيق أحمد طالبي ، مطبعة كرافيك أصالة ، ط1 ، 2004 .
- مؤنس حسين ، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس** ، مكتبة مدبولي ،ط2 ، 1986 .
- // // // ، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر** العصر الحديث للنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت ، 1992 .

- // // // ، **شيوخ العصر في الأندلس** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- // // // ، **معالم تاريخ المغرب والأندلس** ، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية ،2004 .
- الموسوي محسن جابر ، خالدي بثينة ، **الوافي في تراث العرب الثقافي في الأندلس والمشرق العربي منذ سقوط الخلافة العباسية** ، مطابقة وتدقيق ماهر مهدي هلال ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، الدار البيضاء ، 2010 .
- الميمي حسن ، **أهل الذمة في الحضارة الإسلامية** ، تقديم الشاذلي القليبي ، دار الغرب الإسلامي ط1 ، بيروت ، 1998 .
- نعنعي عبد المجيد ، **الإسلام في طليطلة** ، دار النهضة العربية ، بيروت .
- عبد النور جبور ، **إخوان الصفا** ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، 1983 .
- ولد اباه محمد المختار ، **تاريخ القراءات في المشرق والمغرب** ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو ، سلا المغربية ، 2001 .
- يونس نواب محمد عواطف ، **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين " دراسة تحليلية مقارنة "** ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض . 1996

ثالثًا المراجع الأجنبية :

أ) **المترجمة إلى اللغة العربية :**

- أعرافي علي رضا ، **فقه التربية المبادئ النظرية والمنطلقات** ، تعريب محمد ترمس ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2012 .
- بالماد غي ، **مناهج التربية** ، ترجمة جوزف عبود كبه ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1970.
- جاك ريسلر، **الحضارة العربية** ، تعريب أحمد خليل أحمد ، منشورات عويدات ، ط1 ، بيروت ، باريس .1993
- دوزي (ر) ، **المسلمون في الأندلس** ، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994 .
- // // // ، **تكملة المعاجم العربية** ، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي ، وزارة الثقافة والاعلام ، ط1 ، العراق ، 2000 .

- ريبيرا خوليان ، **التربية الإسلامية في الأندلسية أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية** ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، 1994 .
- رينو جوزيف ، **الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلاد** ، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي ، دار الحداثة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 لبنان ، الجزائر ، 1984 .
- علم الهدى جميلة ، **النظرية الإسلامية في التربية والتعليم** ، تعريب عباس صافي ، مراجعة حسين صافي مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2011 .
- ليفي بروفنسال (أ) ، **الحضارة العربية في اسبانيا** ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، 1985.
- // // // ، **الإسلام في المغرب والأندلس** ، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ، صلاح الدين حلمي محمد ، مراجعة لطفي عبد البديع ، مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ، 1990.
- هونكه زيغريد ، **شمس العرب تسطع على الغرب وأثرها على الحضارة العربية في أوروبا** ، نقله عن الألمانية فاروق بيضون ، كمال دسوقي ، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري ، دار الآفاق الجديدة ، ط6 ، بيروت ، 1981 .

ب) المحررة باللغة الأجنبية :

- Arié(Rachel), **Espana musulmana (Siglos VIII – XV)**, éd. Laboe,s.d.
- Cunat (D.) , **AL-Andalus** , éd , Espanola , Madrid , 1991.
- Berge Marc , **Les Arabes** , éd. Lidis, Paris , 1983 .
- Durard(F.), **les Vikings**,éd.PUF ,Paris,1994.
- H.Terrasse ,**Les Fortesse de L'Espagne musulmane**, Mdrid,1954.
- Garcia-Gomez(E.), **Historia de Espana**, Espasa-alpe S.A. Tomo.4 ,Madrid,s.d .
- Lèvi-Provençal (E) , **Abdelrahme** , E . I , 2 e èd, E. J.brill, Paris 1975 ,tI.

- \\ \\ , **Histoire de l'Espagne musulmane**, éd Maisonneuve et Larose , Paris, 1999.
- Pérès Henri , **La poéandalouse**,librairie d'Amérique et d'Orient Paris,1937.

رابعًـا : الرسائل الجامعية والأطروحات :

- بلغيث محمد الأمين ، **الربط بالمغرب الإسلامي** ، "رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي " ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، الموسم الجامعي 1986 – 1987.
- // // // ، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين** ، " أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي" ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، الموسم الجامعي 2002-2003م (نسخة الحاسوب).
- ذنون محمد المشهداني هاشم علياء ، **فقهاء المالكية** ، **دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد** ، " أطروحة دكتوراه" ،كلية التربية ، جامعة الموصل ، 2003 .
- الزغول جهاد غالب مصطفى ، **الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح حتى سقوط غرناطة** "رسالة ماجستير في التاريخ " ، الجامعة الأردنية ، عمان ، 1994 .
- سلام أيمن شاهين ، **المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني** "أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي" ، قسم التاريخ ، جامعة طنطا ، مصر ، 1999 .
- أبو عمران سامية ، **أوربا في المسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري** ، تحقيق وترجمة إلى الفرنسية مع دراسة وتحليل " أطروحة دكتوراه" ، جامعة السربون ، باريس ، 1993.
- بولعراس خميسي ، **الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف400 – 479 هـ/1009– 1086 م** ، "مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي" ، قسم التاريخ ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الموسم الجامعي2006-2007 .
- لامة شفيق ، **مجالس العلم والمناظرة بالمغرب والأندلس على عهد المرابطين والموحدين** " أطروحة دكتوراه في الدراسات الإسلامية" ، كلية الآداب والعلوم الإسلامية بنمسيك ، جامعة الحسن الثاني ، المحمدية ، الدار البيضاء ، الموسم الجامعي 1432- 1433هـ/ 2011-2012م .

خامسًا : المقالات :

- اعراب سعيد ، **رسالة من ابن حبيب إلى معلم ولده " أقدم نص في التربية والتعليم بالأندلس"**، مجلة الثقافة المغربية ، العدد07 ،وزارة الثقافة والتعليم الأصلي والعالي والثانوي، الرباط ،المملكة المغربية،1972.
- بوباية عبد القادر، **إسهام التاهرتيين في الحركة العلمية بالأندلس** ، مجلة الخلدونية ، جامعة ابن خلدون تيارت ، عدد خاص أكتوبر 2009 .
- البوشيخي أحمد ، **تاريخ التربية والتعليم وماله من أثر في النهوض بالثقافة الإسلامية بالمغرب** ، مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية ، الرباط ، العدد 362 ، 2001 .
- بويوزان بن عيسى أحمد ، **فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين** ، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية 1426هـ .
- تمورو عبد الصمد ، **تجديد الكلام في علم الكلام** ، أعمال ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي بمراكش، تنسيق علي الإدريسي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس أكدال ، ط1 ، الرباط ، 2005 .
- الجميل محمد فارس ، **المصطلحات التعليمية في الأندلس (خلال خمسة قرون)** ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، ط1 ، الرباط ، العدد المزدوج 21 -22 ، 1998.
- حمايمو أحمد ، **التربية والتعليم عند القابسي** ، المعهد التربوي الوطني ، جامعة محمد الخامس ، العدد 6 الرباط ، ديسمبر 1982 .
- شقور عبد السلام بن المختار ، **المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية** ، " بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الاسلامية 1426هـ " .
- الشوشتري محمد إبراهيم خليفة ، **ظاهرة التضمين** ، مجلة العلوم الإنسانية للجمهورية الاسلامية الإيرانية العدد: 09 , مركز الدراسات العلمية ، طهران ، 1423هـ .
- الصمدي خالد ، **مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري** ، مجلة الحضارة الإسلامية معهد الحضارة الإسلامية ، وهران ، عدد خاص حول المراكز الثقافية بالمغرب الإسلامي ، 1993.
- عيسى محمد عبد الحميد ، **تدخل الدولة في التعليم في الأندلس** ، مجلة أوراق ثقافية ، المعهد الإسباني العربي للثقافة ، العدد03 .

- غنيمة أحمد ، **حركة شهداء قرطبة خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي** ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، ع04 ، أكتوبر، 2004 .
- قاهر محمد الشريف ، **منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي خاطباً قاضياً شاعراً** ، القسم الثاني ، مجلة الدراسات الإسلامية ، المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، العدد 02 ، ديسمبر 2002 .
- الكحلاوي محمد محمد ، " **عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم المعمارية** " ، أعمال ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، ط1 ، الرياض ، 1996.
- لويس سيكو دي لوثينا ، **قصور المعتصم بن صمادح ملك الطوائف في المرية** ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، 1966 .
- أبو مصطفى كمال السيد ، **تاريخ مدينة طرطوشة الاسلامية وحضارتها في عصر دويلات الطوائف (في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)** ، ندوة الأندلس ، قرون من التقلبات والعطاءات مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، ط1 ، الرياض ، 1996 .
- مكي الطاهر أحمد ، **الدراسات العربية في إسبانيا** ، مجلة الثقافة العربية ، طرابلس ، نوفمبر 1974 .
- المنوني محمد ، **ثقافة الصقالبة في الأندلس** ، مجلة أوراق ، المعهد الاسباني العربي ،العدد 5-6 ، 1982 -1983 .
- هلال جودة عبد الرحمن ، **مقدمة لوصية القاضي أبي الوليد الباجي لولديه** ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، العدد03 ، 1955 ، م1 .
- الوراكلي حسن ، **المشيخة العلمية في المغرب والأندلس خلال القرن الثامن الهجري** ، مجلة أبحاث أندلسية ، المطابع المغربية والدولية ، ط1 ، طنجة ، 1990.
- يفوت سالم ، **المناخ الفكري بالأندلس ودور المالكية في تشكيله** ، أعمال ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي بمراكش ، تنسيق علي الإدريسي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس أكدال ، ط1 ، الرباط ، 2005 .

- سادسًا : قواميس الأعلام والموسوعات ودوائر المعارف:

- آل الشيخ صالح بن عبد العزيز ، **موسوعة الحديث الشريف** ، دار السلام ، الرياض .
- البستاني بطرس ، **دائرة المعارف** .
- الحفني عبد المنعم ، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية** ، دار الرشاد ، ط1 ، القاهرة 1993.

- خليفة حاجي ، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992.
- الزركلي خير الدين ، **الأعـلام** ، دار العلم للملايين ، ط16 ، بيروت ، 2005 .
- عباس عباس ، **موسوعة الحضارات** ، دار البدر ، الجزائر ، 2010 .
- كحالة عمر رضا ، **معجم المؤلفين** ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، بيروت ، 1993 .
- مؤنس حسين ، **موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ وفكر وحضارة وتراث** ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط2 القاهرة ، 2009 .
- نجيب زبيب ، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس** ، دار الأمير للثقافة والعلوم ، ط1 ، بيروت . 1995
- وجدي محمد فريد ، **دائرة معارف القرن العشرون** ، دار المعرفة ، ط3 ، بيروت ، 1971 .

الـفـهـارس

- فهرس الأعلام .
- فهرس الأماكن .
- فهرس المصطلحات .
- فهرس المحتويات .

فهرس الأعلام

(ب)

(ع)

فهرس الأماكن

فهرس المصطلحات المتعلقة بالموضوع

(و)

(ي)

فـهـرس المـحـتـويـات

الفصل الأول

الفصل الثالث

الفصل الرابع